

وَأَنْزَلَكَ كِتَابًا عَزِيزًا
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
نُزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الكتاب الكريم ؛ تدل على ذات الله العلية ، وصفاته السنية ؛ وقد ورد أنها المعنية بقول الحكيم العليم : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » قيل : إن من قرأها - متعبداً بها - أتجاه الله تعالى من ملائكة التسعة عشر « عليها تسعة عشر » فعدد حروفها بعدددهم . وقال بعضهم : لأنها تيجان لسور القرآن ؛ وليست بآية منه . وعلى ذلك قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها . وقيل : لأنها آية من كل سورة ؛ وعلى ذلك قراء مكة والكوفة وفقهاؤها . وقد رجحوا أنها آية من الفاتحة فحسب ؛ لأحاديث وردت بذلك . والرأى أنها آية من كل سورة عدا براءة ؛ لثبوتها في المصحف الإمام ؛ الذي لازيادة فيه ولاقصان ياجماع الأمة الإسلامية .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم : فهو أيتراً أى ناقص وقليل البركة ! لذا وجب علينا أن نبدأ بها في كل أمورنا : لتعمل بركتها ، وبسم قعها ا

هذا وقد جرت عادة بعض كتاب هذا العصر على إغفالها في مؤلفاتهم ؛ وهو خطأ فاحش شنيع ! إذ كيف نبدأ في أمورنا باسم بعض المخلوقات القانية العاجزة ، ونفقل اسم الإله الباقي العظيم الخبير ، اللطيف القدير ؟ (رب) مالك وسيد . يقال : « رب » الدار أى مالكها ، و« رب » الفلام ؛ أى مالكه قال تعالى : « ارجع إلى ربك » أى إلى سيدك ولا يقال لمخلوق : هذا الرب : معرفاً بالألف واللام . فإن هذا لا يجوز إلا لله

تعالى وحده . وإنما يقال : « رب » المنزل ، و« رب » القرية . فيعرف بالإضافة أنه من الأرباب المخلوقين ؛ فتعالى رب الأرباب رب العالمين ! (العالمين) جمع العالم . والعالم : الملق كله . والمراد : رب سائر المخلوقات ؛ من ملك وإنس وجن ، ووحش وطيء وغيره وبالجملة فهو ماسوى الله تعالى من أحياء وجماد ويتناول أيضاً سائر العوالم الكائنة بشئى الكواكب المنتشرة في ملكوت الله تعالى . فتعالى الله رب العالمين ا (مالك) يوم الدين (مالك) يوم الجزاء - وهو يوم القيامة - فلا شفيع إلا بإذنه ، ولا عقاب إلا بأمره ، ولا ثواب إلا بفضلله ا (صراط الذين أنعمت عليهم) أى طريق الذين أنعمت عليهم بالهداية والاصطفاء كالنبيين ، =

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ⑤
نَسْتَعِينُ ⑥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑦
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ⑧
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑨

= والصديقين ، وخواص المؤمنين (غير المغضوب عليهم) وهم العصاة ؛ الذين جعلوا لأهلهم هوام ، واشتروا دنياهم بأخرام ، ولم يبالوا بغضب مولايم ؛ فارتكبوا الذنوب وهم بها عالمون ، ولعاقبتها مقدرعون . وقيل : هم اليهود (ولا الضالين) وهم الذين يرتكبون الذنوب حال كونهم غير عالمين بجرمها ، ولا يبلغ لعنهما . وقيل : هم النصارى . ولا يخفى أن اليهود ؛ مغضوب عليهم وضالون ، وأن النصارى : ضالون ومغضوب عليهم . « آمين » ليست من القرآن بالإجماع ؛ ويسن قولها بعد الفراغ من قراءة الفاتحة ؛ وبعد سكتة قصيرة ؛ للفرق بينها وبين كلامه تعالى .
ومعناها : اللهم استجب ، أو كذلك فليكن . وقيل : هي اسم من أسمائه تعالى .

(الم) قيل : لث المعنى : ألف ، لام ، ميم (ذلك الكتاب) أى إن هذا الكلام البالغ المعجز : مكون من جنس الأحرف التى يتكون منها كلامكم ؛ وهى الألف ، واللام ، والميم ؛ وهكذا . وقيل : إن «الم» : اسم للسورة ، وهكذا سائر أوائل السور المكونة من الأحرف . وقيل : غير ذلك . وجميع ما ذكر فى هذا الصدد لا يرتاح إليه الضمير ؛ والله تعالى أعلم بما يريد .
وقد جاءت «الم» فى بدء ست سور من القرآن الكريم : البقرة ، وآل عمران ، والتكوير ، والروم ، ولقيان ، والسجدة . وزيدت عليها الصاد فى الأعراف : «المص» وزيدت عليها الراء فى الرعد : «المر» (انظر آية ١ من سورة غافر) (لا ريب) لا شك (الذين يؤمنون بالغيب) بما غاب عنهم ؛ من أمر البعث

والحساب ، وغير ذلك ؛ مما غاب عن البصر ، ولم يغب عن البصيرة (ومما رزقناهم) من الثمار والأموال والخيرات (ينفقون) يتصدقون على الفقراء والمعوزين (انظر آيتي ٤٤ من سورة الروم ، ١٠٧ من سورة الصافات) (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على من تقدمك من الرسل : كالتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ؛ عليهم السلام . والمراد أنهم يؤمنون بالرسول عليه الصلاة والسلام وما أنزل إليه ، وبالرسل المتقدمة - الذين جاء ذكرهم فى القرآن - وصدق دعواهم : «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأمم السابقة وما أتى موسى =

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ

وَأَصْلُهَا مَا نَزَّلَهُ فِي مَكَّةَ مِنْ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝



وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا فرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (وبالآخرة) وما فيها من نعم مقيم ، وعذاب أليم (م يؤمنون) يؤمنون بالقيامة وما فيها تمام الإيمان ؛ من غير شك ولا شبهة (أولئك) المذكورون (على مدى من ربهم) هداية أضفها عليهم ، وعناية أحاطهم بها : لإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم الصلاة ، وإتقانهم مما رزقهم الله ! (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة ، الناجون من النار (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى وعظمتهم أم لم تعظمهم ، وخوقتهم أم لم تخوفهم (لا يؤمنون) عناداً واستبداداً (حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أى غطى عليها وطبع (وعلى أبصارهم غشاوة) غطاء . من غشاء : إذا غطاه . والمعنى : أنه تعالى طبع وغطى على قلوبهم ؛ فلا تفهم العظة ، وعلى أسماعهم ؛ فلا تسمع النصيح ، وعلى أبصارهم ؛ فلا ترى الحقيقة (ومن الناس) وهم المنافقون (من) يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وغاية الإيمان : أن يؤمن الانسان بقلبه بالله فيتيقنه ، وباليوم الآخر وما فيه . أما إذا كان الإيمان لا يجاوز اللسان : فهو خداع ونفاق ؛ وذلك لأنك إذا تيقنت أن هناك إلهاً قادراً عظيماً ؛ يراك حين تصاه ، ويسمك حين تنبى على مخلوقاته : وجب عليك أن تتجنب هذا العصيان وذلك البغى ، وإذا آمنت أن هناك يوماً تحاسب فيه على الكبير والصغير ، والنقيب والقطيع : وجب عليك ألا تفعل إلا طيباً ، ولا تقول إلا حسناً (مخادعون الله) يبدوون من الإيمان ، خلاف ما يخفون من الكفران (في قلوبهم مرض) شك ونفاق . لأن الشك : تردد بين الأمرين ، والمرض : متردد بين الحياة والموت (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) هكذا شأن الفسدين في كل زمان ومكان : يظنون في أنفسهم الإصلاح وهم عنه بعياء ،

المسرة الأولى

أُولَئِكَ عَلَىٰ مِزَانٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾
 مَن يَقُولْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
 يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْفَهُمْ
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٤﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٧﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ
 السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْمُوا قَالُوا اسْمُوا مَا لَنَا بِاسْمٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْمُوا قَالُوا

قَالُوا

ويتوهمون ما يفعلونه الخير وهم منه براء (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون بالسفهاء : أئمة المسلمين ، وهداة الدين ؛ الذين آمنوا بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه» والسفهاء : الجهال . قال تعالى رداً عليهم (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) لمزيد جهلهم ، وفرط سفههم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى إذا انفردوا بمن هم كالشياطين في الفتنة والتمرد والكفر ؛ وهم رؤس الكفر والضلال من تقسمهم وورثتهم .

(قالوا إنا معكم) في الدين ؟ فلا تظنوا أننا قد آمنا مع هؤلاء واتبعنا دينهم (إنما نحن) بظاهرها بالإيمان (مستهزون) بحمد وأصحابه . قال تعالى ردّاً على استهزائهم بالمؤمنين (الله يستهزي بهم) أي يسخر منهم ، ويجازيهم على استهزائهم . وسمى الجزاء باسم العمل ؛ كقوله تعالى « جزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله جل شأنه « ومكروا ومكر الله » (وعدم) يعلمهم (في طغيانهم) وذلك لأنهم ابتدأوا بالكفران ؛ فزاد لهم ربهم في الطغيان . والطفين : تجاوز الحسد في العصيان (يعمّهون) يتحيرون ويرددون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي الكفر

سورة البقرة

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمُ إِيمَانُحُنْ مُسْتَهْزِئُونَ ۝۱۱ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَعَذِّبُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝۱۲ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ قَلِيلًا رَّجِيحًا تَجْرَبُ تَجْرِبُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ۝۱۳ مَثَلُهم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا
أُضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ
لَّا يَبْصِرُونَ ۝۱۴ مِمَّنْ بَكَرَ عَمِّيٰ فَهُمْ لَآبِرِحْمَتٍ ۝۱۵
أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝۱۶ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مِّشْوَاهٌ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝۱۷ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكَ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝۱۸ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

بالإيمان (أنظر آية ١٧٥ من هذه السورة)
(مثلهم) في طغيانهم ونفاقهم، وزعمهم الإيمان،
وإنكارهم له (كمثل الذي استوقد ناراً)
أوقدها ، أو طلب إيقادها للاضائة (فلسا)
أضاءت ما حوله) واستبدل ظلمته نوراً ؛
باللفظ بالإيمان ؛ وهو قولهم عند ملاقة
المؤمنين : « آمنا » (ذهب الله بنورهم) عندما
خلوا إلى شياطينهم ، و « قالوا » لهم « إنا معكم
إنما نحن مستهزون » (وتركهم في ظلمات
لا يبصرون) وهم ظلمات الكفر، والنفاق ،
والجهل . والدنيا كلها ظلمات ؛ لإموضع العلم ،
والعلم كله هباء ؛ لإموضع العمل ، والعمل
كله هباء ؛ لإموضع الإخلاص . فالإخلاص
أس العباد ، وجماع الإيمان والفضائل (١)
(ممن) عن سماع الحق (بكم) عن النطق به .
(عمي) عن رؤيته . والصمم : انسداد الأذن ،
ونقل السمع . والبكم : الحرس (فهم لا يرجعون)
عن الظلمات التي يعمّهون فيها ؛ وذلك لصممهم
وعمام وخرسهم (أو كصيب) أي « مثلهم
كمثل الذي استوقد ناراً » أو مثلهم « كصيب »
والصيب : المطر الشديد . وأريد بالصيب :
القرآن الكريم (فيه ظلمات ورعد) وهو
ثقل لما فيه من الوعيد الشديد ؛ بنيرات
الجحيم ، والمذابح الأليم (وبرق) أي فيه

ظلمات الوعيد ، ورعد العذاب « وبرق » المعرفة ! لأنه أريد بالبرق : نور الحجج البينة النيرة اللامعة (يجعلون
أصابعهم في آذانهم من الصواعق) وقاية وحسراً منها . والصاعقة : نار تنزل من السماء ؛ عند قصف
الرعد . وهل تمنع الأصابع في الآذان ، عذاب الملك الديان ؟ وكيف تمنع (والله محيط بالكافرين) عالم بهم ،
قادر عليهم ؛ لا يفوته شيء من أعمالهم ؛ ولا تعجزه أفعالهم ؛ فلا يستطيع أحد الفرار من بطشه ، أو النجاة
من بأسه ، أو الخروج عن أمره ! (يكاد البرق يخطف أبصارهم) لسرعة وميضه ، وشدة لمعانه =

(١) جماع كل شيء - بضم الجيم وفتح الميم المشددة - مجتمع أصله ، وكل ما تجمع وانضم بمضه إلى بعض .

= (كَلَّا أَضَاءَ لَهُمْ مِثْوَاهُ) أى كلما لمع البرق مشوا مسرعين فى ضوءه (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) أى إذا سكت البرق ، وخبث ناره ، واضطأ نوره : وقفوا فى أماكنهم متحيرين مترددين خفقة أخرى ؛ عسى يتسنى لهم الوصول إلى مقاصدهم (الذى جعل لكم الأرض فراشاً) تقدمون عليها وتمشون وتنامون (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) ماء المطر : ينزل من السماء رأى العين ؛ ومنشؤه الجار ، وتحمله السحب . قال الشاعر :

الجزء الأول

٦

كالبجر يطره الغمام وماله

فضل عليه لأنه من مائه

(أَنْدَاداً) شركاء ونظراء وأمثالا (وإن كنتم فى ريب) شك (مما أنزلنا على عبدنا) محمد من آيات الكتاب المجيد (فأتوا بسورة من مثله) تحداهم أولا بقوله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » وبعد ذلك تدرج تعالى معهم - نكايه بهم ، وزيادة فى توبيخهم - بقوله : « قل فأتوا بعشر سور مثله » وبعد كل هذا الاحتقار والازدراء ؛ أراد أن يستثير كامن همهم ، وماضى عزيمتهم بقوله : « قل فأتوا بسورة مثله » أى سورة ، بل أى آية ؛ وأتى لهم أن يأتوا باقصر سورة من مثل هذا القرآن الذى أعجز البلقاء ، وأخرس الفصحاء ؛ وانظر - يارعاك الله - فى أى عصر من المصور حصل هذا التحدى ؟ إنه فى عصر الفصاحة التى لا تمارى ، والبلاغة التى لا تجارى ، والمنطق الذى لا يلحق له بفبار . وقد وقف الجميع مكتوفوا الأيدي ، ناكسوا الرؤس ؛ لا يستطيعون أن يعيروا جوابا أو أن ينسوا بينت شقة (وادعوا شهداءكم) آلهتكم التى تعبدونها (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى رزقنا فى الدنيا مثله : فى المنظر ، لاقى الخبز (ولهم فيها أزواج مطهرة) من

الْأَرْضِ فِرْقَانًا وَالسَّمَاءِ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَحَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَحْجِلُوا فِيهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَقْلُونَ ﴿٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا رَزَقْنَاهُ عَلَى عِدَّتِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ وَأَنْذَرْتُ الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ وَيَسْتَرْشِدُونَ وَأُمُوءًا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ قَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

وَمَا يُضِلُّ

الحيض والأقذار ، والأدناس الحسية والمعنوية (إن الله لا يستحي) من الحياء ؛ جاءت رداً على الكفرة حيث قالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والنعكوت . فجاءت على سبيل المبالغة (فأفوقها) فى المقارة والصغر (يضل به) أى بهذا المثل (كثيراً) من النافقين ؛ لكفرهم وعنادهم (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين ؛ لتسليمهم وافتقارهم

(وما يضل به إلا الفاسقين) الكافرين ؛ لأن الله تعالى لا يضل مؤمناً «وما كانت الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» وإنما إضلال الله تعالى يقع عقوبة لمن يصر على الكفران ، وبأى داعي الإيمان ! (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) والمراد بنقض العهد : المناقضة ، أو الكفار جميعاً ، أو هم أحبار اليهود ؛ بدليل قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) كصلة الأقرباء ، والطف على الفقراء ، ومعاونة الضعفاء ، وإشاعة المحبة بين الناس ،

والألفة والرحمة ! (وكنتم أمواتاً) نطفاً في أصلاب آبائكم . والموت يطلق على السكون وعدم الحركة (فأحياكم) في الأرحام ، أو بالخروج إلى الدنيا (ثم يميتكم ثم يحييكم) بيعثكم (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة ؛ فيؤاخذكم بما فعلتم و(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) لخدمتكم ومصلحتكم : لقد سخر تعالى لكم الحيوان والطير ، والنبات والجماد ، والماء والهواء ؛ بغير حول لكم ولا قوة فانظر أيها المؤمن إلى تدليل الله تعالى للحيوان ، وخضوعه واستكانته لربي الإنسان : فترى البعير الكبير ، وقد انقاد للطفل الصغير وكيف أن الفيل - رغم قوته وضخامته - ينقاد لربي الإنسان ، ويكون له مطية في كثير من الأحيان ، ومعاوناً له في الرحال ، وحمل الأثقال . وانظر إلى الطير ، وكيف يرحل من موطنه ، ويسير آلاف الأميال ؛ حتى يرقى بين فكيك ، وينسحق تحت ماضنيك ، وانظر إلى الثمار والنبات : كيف ترى البذرة فتنتج لك الجئات ، وتلقى بالحبة فتنتج لك الأقوات . وانظر أيضاً إلى الجماد : فقد علمك المعلم على الاستفادة به في شتى الحالات . وكذلك الماء : فقد ساقه الله تعالى لك سلسلاً ؛ تستقي منه وتسقي ما تشاء من العجماوات . والهواء : وقد أجراه الله تعالى لك ؛ ليحييك وبكفيك صنوف البلاء !

ولو شاء ربك لقلب هذه النعم تقياً ، وجعل الداء مكان الدواء ؛ لأنه تعالى وحده خالق الخلق الفاعل لما يشاء ! (ثم استوى إلى السماء) وجه قدرته وإرادته لخلقها بعد خلق الأرض (فسواهن) خلقهن مستويات ؛ لا عوج فيها ، ولا خلل ، ولا خطأ «لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت» (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) يخلفني في تنفيذ أحكامي ، والقيام بأوامري ؛ وهو آدم أبو البشر عليه السلام ، (فالوا) آتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وهذا يدل على وجود الأرض قبل آدم ، وسكناها بأهم قبل بني آدم ؛ كان دأبها الإفساد في الأرض وسفك الدماء . أو كان قول الملائكة استفهاماً عن الحكمة الداعية لذلك الخلق ؛ وقد كانوا عليهم السلام ملء الأرض والسموات ، وقد رأوا في اللوح المحفوظ فساد بني الإنسان ، =

سورة البقرة

وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَحَسِرُونَ ﴿٢﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِمَّنْ تَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ ۖ إِن كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ قَالَ يَتَّخِذُ

== وشهوتة إلى سفك الدماء ! وها هو الجنس آدمي قد حقق ظن الملائكة فيه؛ ففلأ الأرض فساداً وإفساداً ، وأراق الدماء بجاراً وأنهاراً ، وعصى خالقه ورازقه جهاراً ، وكفر بموجده ومريه نهاراً ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! هذا ولم يكن سؤال الملائكة عليهم السلام اعتراضاً على فعله تعالى ، أو مخالفة لأمره ؛ فغاشا أن يعترض على الله تعالى أعلمهم به ، وأخوفهم منه ، وأقوام له ! (ونحن نسبح بحمده) نزهك عن كل نقص ، ونحمدك على نعمائك (وقدس لك) أى نظمتك ، أو نظهر أنفسنا أعبادتك . ومعنى قدس :

الجزء الأول

٨

تظهر (وعلم آدم الأسماء كلها) أى ألهمه معرفة كل شيء يحتاج إليه . وسمى « آدم » لحقيقته من أديم الأرض ؛ وهو ما على وجهها من تراب . وزعم بعضهم : أن آدم وإبليس لبا على حقيقتهما ؛ وإنما هما ميزان لأصل لهما ؛ يمثلان الشر والعصية . وهو قول بادى البطلان ؛ يدفعه صريح القرآن (ثم عرضهم على الملائكة) أى عرض السميات لا الأسماء ؛ بدليل قوله تعالى (أنبئوني بأسماء هؤلاء) السميات ؛ ليرىهم أنه تعالى قد وهب لآدم من المعرفة ما لم يهبه لهم ، وليرىهم آيته في حكمة خلق الإنسان وخلافته في الأرض . هذا وقد أضنى تعالى على نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه علوم الأولين والآخرين ؛ ليحصله رحمة للعالمين ؛ ولله درالبوصري حيث يقول في همزته :

لك ذات العلوم من عالم النور
ب ومنها لآدم الأسماء

(قالوا سبحانك) تزهت وتعاليت (أنظر آية ١ من سورة الإسراء) .

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) أمرهم الله تعالى بالسجود ابتلاء لهم واختباراً ؛ وهو سجود لقدره الله تعالى وإبداعه ؛ ولاوجه لمن قال : إن سجودهم كان بالإنحاء فحسب ؛ على سبيل التحية ؛ بل كان سجوداً حقيقياً كسجود الصلاة ؛ يدل عليه قول الحكيم العليم : «ففعوا له ساجدين» (فسجدوا) أى سجد الملائكة جميعاً ، وسائر المخلوقات (إلا إبليس أبى) رفض السجود للمأمور به . و« إبليس » : أبو الجن ؛ وليس من الملائكة كما زعموا . وسمى إبليس : لبأسه من رحمة الله تعالى وتحيره ؛ لأن معنى أبلس : يش وتخير (رغداً) الرغد : طيب العيش وسعته (ولا تقربا هذه الشجرة) هى شجرة أى شجرة نها عن الأكل منها امتحاناً لهما ، واختباراً لعزمهما . وقيل : إنها الخنطة ، أو العنب ، أو الفاح (فتكونا من الظالمين) يؤخذ من ذلك أن هناك خلقاً قبل آدم عليه السلام ، وأن ظالماً وظالماً قد كان في الأرض قبله (فأزلهما الشيطان) أو قههما في الزلة . وقرئ « فأزلهما » أى عن النعم الذي كانا فيه (اهبطوا) أنزلوا .

ينبئ

سجدوا حقيقياً كسجود الصلاة ؛ يدل عليه قول الحكيم العليم : «ففعوا له ساجدين» (فسجدوا) أى سجد الملائكة جميعاً ، وسائر المخلوقات (إلا إبليس أبى) رفض السجود للمأمور به . و« إبليس » : أبو الجن ؛ وليس من الملائكة كما زعموا . وسمى إبليس : لبأسه من رحمة الله تعالى وتحيره ؛ لأن معنى أبلس : يش وتخير (رغداً) الرغد : طيب العيش وسعته (ولا تقربا هذه الشجرة) هى شجرة أى شجرة نها عن الأكل منها امتحاناً لهما ، واختباراً لعزمهما . وقيل : إنها الخنطة ، أو العنب ، أو الفاح (فتكونا من الظالمين) يؤخذ من ذلك أن هناك خلقاً قبل آدم عليه السلام ، وأن ظالماً وظالماً قد كان في الأرض قبله (فأزلهما الشيطان) أو قههما في الزلة . وقرئ « فأزلهما » أى عن النعم الذي كانا فيه (اهبطوا) أنزلوا .

والمعنى : تحولوا من الجنة العالية ، إلى الأرض السافلة ، ومن النعيم ، إلى البؤس والشقاء (بعضكم لبعض عدو) بنى الإنسان ، وبنى الشيطان ، أو بعض بنى الإنسان عدو لبعض (ومتاع) تمتع (إلى حين) وهو انقضاء الأجل (فتلقى آدم من ربه) ألهم ، أو أوحى إليه (كلمات) هى قوله تعالى «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (فتاب عليه) ربه : قبل توبته ، وغفرله «قلنا اهبطوا منها جميعاً» المراد آدم وحواء ؛ تؤيده قراءة من قرأ «اهبطا منها جميعاً» وقوله تعالى : «قال اهبطا منها جميعاً» وقد

خوطبا بلفظ الجمع : لأنهما أصل لبنى الإنسان ، أو على مذهب من يقول : إن أقل الجمع اثنان وقد يكون المقصود بالخطاب : آدم وحواء وإبليس (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب أو رسول (يا بنى إسرائيل) خطاب لليهود . و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام . وخص بنى إسرائيل بالذكر : لأنهم أوفر الأمم نعمة ، وأشدهم كفرأ ، وأكثرم فسادأ وعنادأ (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أنجاهم من الدل ، وفضلهم على الكل ؛ فازدادوا طغيانأ وكفرأ ، وبغياً وعتوأ (وأوفوا بعهدى) الذى عهدته إليكم فى التوراة ؛ بالإيمان بمحمد عند بعثته . أو أوفوا بما عاهدتكم عليه ؛ من تبليغ ما أنزل إليكم ، وتبيينه للناس : «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (أوف بعهدى) الذى قطعته على نفسى ؛ وهو إيتائكم على ذلك بالثواب والأجر (وإياى فارهبون) تخافون وأطيعوا أمرى (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقاً لما معكم) من التوراة ؛ وفيها ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنباء بعثته (ولا تكونوا أول كافر به) أى بالقرآن ، أو بالرسول (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) أى لا تبيعوا دينكم بدنياكم وأخرام بأولام (ولا تلبسوا) لا تخطلوا (الحق) الإيمان

(بالباطل) بالكفر الذى تفترونه (أتأمرون الناس بالبر) البر : الاتساع فى الخير (وتنسون أنفسكم) فلا تأتمرون بما به تأمرون . قيل : نزلت فى أحبار اليهود ، كانوا ينصحون سرأ باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يتبعونه ؛ طمعاً فيما يصل إلى أيديهم من الصلات والهبات والهدايا (وأنتم تتلون الكتاب) التوراة ؛ وفيها ذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وأنباء رسالته (واستعينوا) على الأمور الشاقة ، والشهوات الموقية (بالصبر) على الطاعات ، وعن الملهات (والصلاة) التى هى مناجاة رب العالمين ! «كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر^(١) فزع إلى الصلاة» (ولأنها لكثيرة) ثقيلة شاقة =

سورة البقرة

يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا بِعَهْدِيْ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّىْ فَارْهَبُونِ ۝
وَمَا آتَيْنَاكُمْ مِّنْ أَمْرٍ إِلَّا أَنزَلْنَاهُ مِصْحَاقًا لِّمَن مَّعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ
بِهِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِيْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّىْ فَاتَقُونَ ۝
تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرِّكْعَيْنِ ۝
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَثِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَمِسُونَ رِجْهٍ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝
يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّىْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝
وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝
وَإِذْ خَلَقْنَاكُمْ

(١) حزبه أمر : أصابه ضر ، ونابته نائبة .

== (الاعلى الحاشعين) الذين يستغرقون في مناجاة ربهم (الذين يظنون) يوقنون (أنهم يلاقوا ربهم) فيجازيهم على طاعتهم وإخلاصهم (واقفوا يوماً) خافوا يوم القيامة (ولا يؤخذ منها عدل) بدل أو فدية (يسومونكم) يظلمونكم أشد الظلم ؛ من سامه خسفاً :

الجزء الأول

١٠

إذا أولاه ظلاماً (ويستحيون نساءكم) يتركونهن أحياء ، أو يفعلون بهن ما يخل بالحياة (بلاء) بلية ومحنة (وإذا فرقنا) فصلنا وقلنا (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة) وذلك لما دخل بنو إسرائيل مصر - بعد هلاك فرعون - ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه : وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه كتاباً « التوراة » وضرب له ميثاقاً : « ولما جاء موسى لميثاقنا وكلمه ربه » (ثم اتخذتم العجل) عبدتموه ؛ وهو العجل الذي صنعه لهم السامري من حليهم ؛ وكان الشيطان يدخل في جوفه ويخور كما يخور العجل قال تعالى : « فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار » وقيل : صنعه بحيث إذا تعرض للهواء : أصدر صوتاً يشبه خوار العجل (وإذا آتينا موسى الكتاب) التوراة (والفرقات) الذي يفرق بين الحق والباطل (بارئكم) خالفكم (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البريء منكم المذنب ؛ ولا يقسّر عليه لقرايته ، أو لمحنته . وقيل : كانت التوبة عندهم أن يقتل التائب نفسه إثباتاً لصديق توبته . أو المراد بقتل النفس : كبح جماحها ، وقتل شهواتها ، والحيولة دون سطاوتها وتسلفها ، وتمردها على الحق ؛ ويمكن في التوبة : الإقلاع عن المعصية ، ورد

مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ ثُمَّ يُسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ١٠
وإذا فرقنا بك البحر فأهبطناك وأغرقنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ١١
وإذا وعدنا موسى أربعين ليلةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ١٢
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٣
وإذا آتينا موسى الكتابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٤
وإذا قال موسى لِقَوْمِهِ : يَتَقَرَّبُ إِلَيْكُمْ فَلْيَمْسِكُوا إِلَهُكُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَفَإِلَهِكُمْ قُرُوبًا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ خَيْرًا لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَاقْبَلُوا إِلَهُكُمْ وَاسْكُرُوا لَكُمْ قُلُوبَكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْنَعُونَ ١٥
وإذا قلتم بِنُوحٍ
لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ١٦
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مُونِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٧
وَوَلَلْنَا عَنْكُمْ آلِهَتَكُمْ وَأَوْرَثْنَاكُمْ الْقَدَمَ وَارْتَدَّا عَنْكُمْ الْقَدَمَ

وَالسَّوْءِ

المظالم ، واجتتاب المحارم (الصاعقة) نار تنزل من السماء ؛ ذات أصوات (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أى من بعد أخذ الصاعقة لكم ، ومعاناة أسباب الموت وموجباته . ولعل المراد بالبعث هنا : من خلفهم من ذراريهم وأبنائهم (الغمام) السحاب (المن) ظل ينزل من السماء وينعقد عسلاً . أو هو كل ما يمن الله تعالى به على الإنسان

وَالسَّالُونَ كُلًّا مِنْ طَيْبَتِ مَارَزَقِنَا وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَبِّحُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٠١﴾
* وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِصَاحِ
الْحَجَرِ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَنْشَرَهُمْ كُلًّا وَاتَّخِذُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
مُقْسِدِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَهُودِيَّةَ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامِ
وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِطَّيْهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَسْتَلِدُونَ
الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا

(والسّالون) قيل إنه السمان؛ الطائر المعروف. أو هو كل ما يتسلى به؛ من فاكهة ونقل، ونحوهما
(كلوا من طيبات مازقناكم) من الرزق الحلال المبارك (أنظر آتي ١٧٢ من هذه السورة ٨٠ من الأعراف)
(وما ظلمونا) بكفرهم ومعاصيهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) بتعريضها للعذاب الأليم المقيم
(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) وهي بيت
القدس، أو أريحا؛ وهي بلد بالشام (رغدا)
الرغد: سعة العيش (وادخلوا الباب سجدا) أي
حينما تدخلون باب هذه القرية: اسجدوا
لله تعالى؛ شاكرين فضله وأنعمه (وقولوا
حطة) مسألنا حطة؛ أي نطلب حط الذنوب
عنا. وهو كناية عن التوبة وطلب المغفرة
(رجزا) عذابا (بما كانوا يفسقون) الفسق:
الترك لأمر الله تعالى، والعصيان، والخروج
عن طريق الحق، وجادة الصواب (وإذ استسقى
موسى لقومه) طلب لهم السقيا من الله تعالى
(فقلنا) له (اضرب بعصاك الحجر) فضربه
(فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) وذلك أنه
لما اشتد العطش بيني إسرائيل: طلبوا من
موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليرسل لهم
الماء؛ فدعا الله تعالى؛ فقبل له: «اضرب
بعصاك الحجر» فضربه «فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا» تفيض بالماء؛ وذلك بعدد رؤساء
الجن (قد علم كل أناس منشَرَهُمْ) أي قد علم
كل فرقة من الجن عينهم التي يشربون منها
(ولاتنثوا) العثو: أشد الفساد (لن نصبر على طعام
واحد) وهو «المن والسّلولي» (بقليها) البقل:
ما تنبت الأرض من الخضر؛ كالقول والفصوليا
واللوبيا، والحمص وأمثالها؛ وهو ما ينبت في بزره لاني أصل ثابت (وفومها) القوم: الثوم. وقيل: الحنطة
(الذي هو أدنى) أقل وأحق (اهبطوا مصرا) مصر: العاصمة. أي اهبطوا مصرا من الأمصار،
أو هي مصر نفسها (فإن لكم ما سألتكم) من البقل، والقثاء، والقوم، والعدس، والبصل.

(وضربت) جملت (عليهم) وصارت لزماً لهم (الذلة والمسكنة) أعظم الله تعالى جميع مأسألوها ، وومهم فوق الذي طلبوا ؛ فما زادهم ذلك إلا طغياناً وكفراناً ؛ فسلبهم العزة ، وألبسهم الذلة . وليس المراد بالمسكنة : الفقر نفسه ؛ بل المراد لازمه ؛ وهو الحفارة ، وقلة الثأن ، والصغار . ومصدق هذه الآية : اضطهاد الصالح أجمع لليهود ، وتشتيتهم في سائر الممالك ؛ حيث لا وحدة تجمعهم ، ولا رابطة تضيقهم ؛ اللهم سوى ما اغتصبه بعض الأفالين من أرض فلسطين ؛ وهو عائد إلى أربابه بإذن رب العالمين ! (وباعوا) رجعوا (إن الذين آمنوا)

بأنه تعالى ، وبرسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والذين هادوا) اليهود . من هاد : إذا تاب ورجع إلى الحق ، وهم قوم موسى عليه السلام (والنصارى) وهم قوم عيسى عليه السلام . قيل : سماوا نصارى ؛ لتناصرهم وتألفهم على دينهم - وقت تسميتهم - وقيل : نصرائى ؛ نسبة إلى نصورية : - بفتح النون ، وضم الصاد ، وكسر الراء وفتح الياء - قرية بالشام (والصائبين) الخارجين من دين إلى آخر ؛ من صبا : إذا مال . وقيل : هم قوم عبدوا الملائكة . وقيل : لأنهم كانوا يعبدون الأنجم والكواكب . وقيل : هم قوم على ملة نوح عليه السلام ؛ استمروا على إيمانهم به ، فلم يقبلوا اتباع من أرسل بعده من الرسل (من آمن) إيماناً حقيقياً كاملاً ؛ من هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ، أو آمنوا بعيسى ، أو آمنوا بعيسى ، أو آمنوا بنوح ؛ من آمن منهم (بأنه) وعظمته وقدرته ووحدانيته (واليوم الآخر) القيامة ؛ وما فيها من عقوبة للماصين ، ومشوبة للطائمين (وعمل صالحاً) في دنياه ؛ تقرباً إلى مولاه ! وذلك لأن الإيمان لا ينفع ولا يحمي ؛ ما لم يكن مقروناً بالعمل الصالح (فلهم أجرهم) أي فلهؤلاء المذكورين جزاءهم على إيمانهم (وإذا أخذنا ميثاقكم) العهد عليكم بالعمل بما في التوراة (ورقنا فوقكم الطور)

الجزء الأول

١٢

سَأَلْتُمْ وَضَرَبْتُمْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءَهُمْ نَضَبٌ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الْنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِّنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا بَيْنَكُمْ يَفْقَهُوا
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْنَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ لَعَلَّنَاهَا نَكَلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخِذْنَا هَٰذَا

قَالَ

الجليل . قيل : لما جاء موسى عليه السلام لبي إسرائيل بالصصف المنزلة عليه من ربه : أمرهم بالعمل بما فيها ؛ فقالوا : «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» فرفع الله تعالى الجبل فوقهم ؛ حتى صار كالظلة عليهم . فقال لهم موسى : إن لم تؤمنوا وقع عليكم وكنتم من الهالكين ! فآمنوا جميعاً ذعراً وخوفاً من الهلكة (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) ائتمروا بأوامره ، واتموا بواحيه (ثم توليتم) أعرضتم عن الإيمان (ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت) بصيد السمك فيه ؛ وقد نهيناهم عنه . والمقصود بالسبت : يوم السبت ؛ ومعناه لغة : الراحة ؛ لأنه يوم راحتهم ؛ وكانوا قد أمروا بالتفرغ فيه للعبادة ؛ غالفوا ذلك ، وخرجوا للصطياد (فلننا لهم يكونوا قردة) أي كالقردة ؛ في الخفة والحق والفساد . أو مسخوا قردة على =

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَافَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَوْمَرُونَ ﴿١٣١﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْكَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذُلُولٌ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ مُسَلَّمَةً لِأَٰشِيَةٍ فِيهَا قَالُوا الْفَنِّ جَنَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا بِمَعْلُومٍ ﴿١٣٤﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٣٥﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكَ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٣٦﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

= الحقيقة (خاسرين) مطرودين (لجعلناها) أى جعلنا هذه العقوبة ، أو هذه السخة ، أو هذه الآلة (نكالا) عبرة وعظة . يقال: نكل به تكيلا : إذا صنع به صنيعا يحذر به غيره «والله أشد بأسا وأشد تنكيلا» (لما بين يديها وما خلفها) أى لمعاصريهم ومن بعدهم ، أو للسابقين واللاحقين (وإذا قال موسى لقومه)

حين وجدوا قتلا من بينهم ؛ ولم يعلموا قاتله فسألوه أن يدلهم عليه (إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة) وحكاية ذلك : أن رجلا موسرا قتلته بنوعه ليرثوه ، وطرحوه عند باب المدينة ، ثم جاءوا يطالبون بديته ؛ فأمرهم الله تعالى أن يدبحوا بقرة ، وضربوا القتل ببعضها ؛ فيجاء ويخبرهم بقاتله . فضربوه بذنبها ، فخي وقال : قتلى فلان وفلان - يريد ابني عمه - فاقص منها ، وحرما ميراثه

(فارض) طاعة في السن (عوان) وسط في السن «لا فارض ولا بكر» (فاقع لونها) شديد الصفرة (لا ذلول) أى لم تدل للعمل (مسلمة) سالمة من العيوب (لا أشية فيها) لا علامة (فادارأتم) أصلها : فتدارأتم ؛ أى تدافعت في الحصومة ، وتستر بعضكم وراء بعض (والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من الجرعة (فقلنا اضربوه ببعضها) أى اضربوا القتل ببعض البقرة فيجاء ، أو اضربوا القاتل ببعض جثة القتل ؛ وهذا يكون مدعاة لاعتراف القاتل (كذلك) أى مثل لإحياء القتل أمامكم (يحيي الله الموتى) يوم القيامة ؛ فتقوم ، وتجادل ، وتحاسب ، وتثاب ، وتناقض وعلى القول الثاني - وهو ضرب القاتل ببعض جثة القتول - «يحيي الله الموتى» يظهر القتال ، والاقتصاص منه .

(ثم قست قلوبكم) أيها اليهود (من بعد ذلك) أى من بعد أن أظهر الله تعالى ما كنتمتموه في أنفسكم من القتل ، وبعد أن أراكم كيف يحيي الموتى ؛ ومن حق القلوب التي ترى ذلك أن تقضع وتلين ؛ ولكن قلوبكم ازدادت قسوة (فهى كالحجارة) في الصلابة والجود ، وعدم الخشوع والفهم (أو أشد قسوة) من الحجارة

(وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) إشارة إلى أن من الحجارة ما هو أرق من القلوب القاسية ،

الجزء الأول

١٤

وأرق من القلوب الكافرة (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أى وإن من الحجارة لما ينشع ويخضع خوفاً من الله ؛ قال تعالى: «فلما تجلّى ربه للجل جملته دكا» (أفطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أى تؤمن لكم اليهود عن طريق النظر والاستدلال ؛ وكيف يكون ذلك (وقد كان فريق منهم) أى من أسلافهم ، ومن هم على شاكلتهم ؛ وهم قوم موسى (يسمعون كلام الله) في التوراة ؛ ويعلمون تمام العلم أنه حق - بما ظهر لهم من الآيات المتتالية ، والمعجزات المتوالية - (ثم يحرفونه) يغيرونه ، ويبدلونه ؛ متعمدين معاندين (من بعد ما علوه) فهمه بقولهم (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بأنكم على الحق ، وأن رسولكم هو المبشر به في التوراة (وإذا خلا) انفراد ورجع (بعضهم إلى بعض قالوا) أى قال الذين لم ينافقوا ولم يؤمنوا للذين نافقوا بقولهم «آمنا» قالوا لهم (أتحدّثونهم بمافتح الله عليكم) عرفكم في التوراة من نعت محمد (ليحاجوكم) ليقبوا عليكم الحجة (ومنها) أى من اليهود (أميون) لا يقرأون ، ولا يكتبون (لأمانى) إلا أكاذيب . وقيل: «أمانى» : قراءة . والمعنى : إنهم يقرأون بغير فهم ، ولا علم ، ولا تدبر (فويل) الويل: حلول الشر ، وشدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) التوراة (بأيديهم) مغيرين فيها ومبدلين ؛ طبقاً لأهوائهم

وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يسقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون * أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علوه وهم يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون وقالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودة

قل

(بلى من كسب سيئة) ارتكب جرماً ، أو المراد بالسيئة : الشرك (وأخطت به خطيئته) أى لم يخرج

من معصيته بالتوبة ، ومن كفره بالإيمان

(وبالوالدين إحساناً) لقد أمر الديان ،

لوالدين بالإحسان ، فى كل وقت وزمان ، وفى

كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول

أرسله ؛ فتدبر هذا أيها المؤمن ، وتقرب إلى

ربك بطاعتها وبرها ! (انظر آية ٢٣ من

سورة الإسراء) (وقولوا للناس حسناً) أى

قولا حسناً ؛ وهو حث بليغ على طيب الأخلاق

وحسن المعاملة . والقول الحسن : يجمع سائر

الفضائل ، وبه تنبع المحبة من القلوب ، وله

تطمئن النفوس ، وبه تخفى الإحن ، وتذهب

حزازات الصدور ! (ثم توليت) أعرضتم عن

الإيمان ، والعمل بهذه الوصايا النافعة فى الدنيا

والآخرة (وإذ أخذنا ميثاقكم) أى أخذنا

المعهد عليكم ؛ بأن أمرناكم وعقلنا ما أمرناكم به ،

أو أمرناكم بما يجب أن يطاع ، وبما فيه

مصلحتكم ؛ فكان ذلك بمثابة العقد والمهد

والميثاق (لاتسفكون دماءكم) أى لا ترتكبون

من الجرائم ما يوجب سفكها قصاصاً

(ثم أقررتم) أى أقر عقلكم بذلك واستصوبه

(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) أى يقتل

بعضكم بعضاً (تظاهرون) تتعاونون (بالإثم

والعدوان) بالمعصية والظلم (وإن يأتوك أسارى

تفادوهم) أى قبلوا إطلاقهم نظير أموال تدفع

لبيكم ؛ وقد حرم عليكم أصلاً محاربتهم

وبالتالى يحرم عليكم أخذ الفدية منهم ؛ لأنهم إخوانكم

(وهو محرم عليكم إخراجهم) (أفتؤمنون ببعض

وأخراجهم من ديارهم)

قُلْ أَتُحَذِّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحْطَتْ
بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَصْهَدُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ
هَٰؤُلَاءَ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ تُخْرِجُونَ فَزَيِّقُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
تُظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمُ اسْرِئْ
تُقَاتِلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ
إِلَّا نَجْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِخَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ
اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا
مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُّسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَهُ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا تَفْتُلُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
بَشَرًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا

الكتاب) التوراة (وتكفرون ببعض) لأن فيها حل المفاداة ، وحرمة القتل والإخراج (إلا أخرى) فضيحة وهوان (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أى اشتروا اللذة الفانية ، والشهوة الزائلة ؛ بالثواب الباقى ، والنعيم السرمدى ! (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وقفينا) أتينا (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الواضحات ، والمجزئات الظاهرات (وأيّدناه بروح القدس) جبريل عليه السلام (وقالوا قلوبنا غلف) مشاة بأغطية (ولما جاءهم كتاب من عند الله) القرآن الكريم (مصدق لما معهم) موافق لكتابهم (وكانوا من قبل يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) المتمرّكين - إذا قاتلهم - ويقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ، الذى نجد وصفه ونفته فى كتابنا «التوراة» (فلما جاءهم ما عرفوا) أى ما عرفوه فى كتبهم ؛ من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم (كفروا به) فلم يؤمنوا ؛ وقد كان الأجدر بهم أن يؤمنوا بما عرفوا . (أنظر آية ١٤ من سورة الشورى) (بشما اشتروا به أنفسهم) أى ساء ما اشتروا به أنفسهم ، أو بشئ الشئ الذى اشتروا به أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) على رسوله (بغيا

أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أى حسداً منهم : أن أنزل الله تعالى الكتاب على غيرهم (فباءوا) رجعوا (بغضب على غضب) غضب استوجبه بسبب كفرهم بمحمد عند بعثته ، وغضب استحقوه بسبب جحودهم بنبوته ، وزعمهم بأنه ليس هو المنعوت في كتابهم ، وحسد لهم لمن بعث فيهم (وإذا قيل لهم

آمنوا بما أنزل الله) على محمد ؛ وهو القرآن الكريم (قالوا) لا (تؤمن) إلا (بما أنزل علينا) من التوراة والإنجيل (ويكفرون بما وراءه) بما بعده ، وبما عداه ؛ وهو القرآن (وهو الحق مصدق لما معهم) أى حال كون هذا القرآن - الذى يكفرون به - هو الحق ، وهو مصدق لما معهم

من التوراة والإنجيل (قل) فان كنتم صادقين فيما تقولون ، وأنكم بغير الذى أنزل عليكم لا تؤمنون (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) كزكريا ويحيى عليهما السلام (واقصد جاءكم موسى بالبينات) المعجزات الظاهرات (ثم اتخذتم العجل) عبدوه (وأنتم ظالمون) لأنفسكم بكفركم (وإذا أخذنا ميثاقكم) أخذنا العهد عليكم بأن تبينوا الكتاب للناس ولا تكتمونه عنهم «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (ورفعنا فوقكم الطور)

الجبل (خذوا ما آتيناكم) من الأوامر والنواهي (بقوة) بمجد واجتهاد وعزيمة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك . أى قالوا بألسنتهم : «سمعنا» وعملوا بعكس مايعمل السامع ؛ كمن قال «عصينا» قال تعالى : «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم» (وأشربوا في قلوبهم العجل) عبر بذلك كناية عن تغافل حب العجل في قلوبهم وعبادته كتغافل الشراب (قل إن كانت لكم

الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) فيما تقولون ؛ من أن لكم الثواب في الآخرة ، ولأن عداكم العقاب . وذلك لأن من يثق أن النعيم أمامه : أسرع إليه ، ومن يثق أنه سائر إلى الجنة : اشتاق إلى ورودها ؛ ليخلص من دار الآثام والآلام . ولكن قولهم يتناقض فعلهم ؛ إذ هم متمسكون بدنياهم ، مفرطون في شئون أحرامهم (ولتجدنهم أحرص الناس

أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلَئِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنَزَّلُ الْمَآءُ مِنَّا وَهُمْ أَكْفَرُ ۚ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۖ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۚ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَلُّوا مَآءَاتِينَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا ؕ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِتَّاعْتِسِرَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ وَلَنْ يَمُنُّوهٗ أَبَدًا ۖ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۚ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

عَلَى حَيْزَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوْءِ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعْمَرُ النَّفْسُ
سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَّجٍ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعْمَرُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَلَّمَاهُمَا عِنْدَ عَهْدِهِمَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى

الملكين

وَتَأْتِي الْجِنُّ بِأَوَامِرِهِ (ولكن الشياطين كفروا) بتعليمهم الناس السحر (يعلمون الناس السحر) بالسوسة؛
ويحتمل أن يعنى بالشياطين : شياطين الإنس والجن معا (وما أنزل على

على حياة) لما تراه من خوفهم وجبنهم ؛
شأن المزجج على مصيره ، الخائف من عاقبه
(وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)
في الدنيا ؛ ما دام الموت له بالمرصاد ، والجحيم
معدة له يوم المعاد (قل من كان عدوا لجبريل
فإنه نزل به على قلبك) أى فإن جبريل الذى
يعادونه: نزل القرآن على قلبك . وناهيك بمن
نزل بالقرآن من الرحمن ! وقد نشأت عداوة
اليهود لجبريل عليه السلام ؛ حين علموا أنه ينزل
بالعذاب والهلاك والدمار (مصدقاً لما بين يديه)
ما تقدمه من الكتب المنزلة (أو كلما عاهدوا
عهداً) وهو موقفهم في التوراة بتبيين أحكامها
للناس ، وعدم إخفاء شيء منها (نبذه) طرحه
وألقاه (فريق منهم) وهم المنكرون لمحمد
عليه الصلاة والسلام وبعثته ، والقرآن ونزوله
(واتبعوا) أى اليهود (ماتلوا الشياطين) من
كتب السحر والشعوذة (على ملك سليمان) أى
في زمنه وعهده ، أو حول ملكه وسلطانه ؛
وكانوا يذيعون أن ملكه كان قائماً على السحر
(وما كفر سليمان) كما ادعت اليهود ؛ حيث
قالوا : إن محمداً يخطئ الحق بالباطل ، ويذكر
أن سليمان نبى ؛ مع أنه كان ساحراً يركب الريح،

وتأتمر الجن بأوامره (ولكن الشياطين كفروا) بتعليمهم الناس السحر (يعلمون الناس السحر) بالسوسة؛
ويحتمل أن يعنى بالشياطين : شياطين الإنس والجن معا (وما أنزل على

المسكين بيابل) يحتمل أن يكون هناك ملكان حقيقة ؛ أنزلها الله تعالى لتعليم الناس السحر ؛ لإظهار الفرق بين السحر والمجزة ؛ وليرى أن ملك سليمان ، وما فيه من خوارق وعظمة وسلطان ؛ لم يكن قائماً على سحر وتخييلات ، بل على كرامات ومعجزات ؛ وأنه عليه السلام لم يكن ساحراً ما كراً ؛ بل كان رسولا عظيماً ، ونبياً كريماً ؛ أمدّه الله تعالى بالملك الواسع ، والغنى الجامع ؛ تحقيقاً لرغبته ، واستجابة لدعوته ؛ وإلا فأين السحر من تكليم الحيوان والحشرات والطيور ؟ وأين السحر من تسخير الهواء والماء ، والجن والإنس ؟ وقد ذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية ؛ في قوله

سورة البقرة

١٩

الْمَلَكَيْنِ يَسَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَمُونَ مَا يَنْهَوْنَهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا أَنِ اشْتَرَوْهُ مَا لَهُ مِنَ الْفَائِدَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَمَوْا أَمْرَهُمْ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَقُولُوا رِجْسًا وَفُورًا وَنَظَرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلَكِنْ نَجَرَيْنَا مَاءَهُمُ الْمَيْمُ ﴿١٦٢﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦٣﴾ * مَا تَسْخُ مِنْ ءَالِيَةٍ أَوْ نَسَبٍ نَاتٍ يَحْتَزُّ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا لَرَّ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٤﴾ لَرَّ تَعْلَمَ

تعالى «وما أنزل على المسكين بيابل» وقوله جل شأنه «وما يعلمات من أحد» أى لم ينزل على المسكين شيء من السحر، ولم يعلمه أحداً؛ كما ادعت اليهود أن هناك ملكين أنزل عليهما السحر ، وأنهما يعلمانه للناس ، وكما ادعوا على سليمان ؛ فكذبهم الله تعالى في ذلك . و«بابل» قرية بالعراق (هاروت وماروت) اسمان للملكين المزعومين ؛ كما أسمتهما اليهود . وقيل : إنهما رجلان تعساه من الشياطين ، وجعلا يعلمانه للناس . وقيل : لإنهما قبيلتان من قبائل الجن . وعلى قراءة من قرأ «ملكين» يكون المراد بهما : داود وسليمان (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر) أى إنما نحن ابتلاء من الله تعالى واختبار ؛ فلا تكفر بتعلم السحر والعمل به (فيتعلمون) أى الناس (منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وهى الأشياء التى يعملها بعض الفجار ؛ مما يودى إلى التفرقة بين الزوجين بواسطة بعض التخييلات . ويلاحظ أن الراى القائل بأن «ما» نافية لا يستقيم مع نافي الآية . وقيل : لأن أهل بابل كانوا يعبدون الكواكب - بصرف السحرة لهم عن الحق - فأنزل الله تعالى هذين الملكين ليفضحا حيل السحرة ، وليظهرأ أهم السحر للناس على حقيقته ، ويعلموهم أن ما يسيطرون به عليهم ليس إلا نوعا

من التوهم والتخييل ، وكان الملكان يعلمان الناس حيل السحرة ، ويخبرانهن أن يفعلوا مثله ، لأنه كفر وضلال ، ويقولان لهم : إنما نحن متحان لكم ، فلا تكفروا بما نعلمكموه ؛ فأما نعلمكم للتجذير من الوقوع فى مثله ، ولتستطيعوا أن تفرقوا بين السحر والمجزة ، وبين الحق والباطل .

أما ماذهب إليه أكثر المفسرين : من أن هاروت وماروت : ملكان ؛ عصيا الله تعالى وزنيا ، وقتلا النفس ، وشربا الخمر ؛ فغضبهما الله تعالى بأن علقهما من شعورهما فى بئر بيابل ؛ فجعلا يعلمان الناس السحر . إلى آخر ما أورده من أقاصيص من وضع الدسائسين والزنادقة واليهود ؛ وهو كلام لا يجوز نسبتة بحال إلى الملائكة السكرام عليهم الصلاة والسلام ؛ الذين قال الله تعالى فيهم : «ومن عنده لا يستكبرون عن =

عبادته ولا يستجسرون ، يسعون الليل والنهار لا يفترون » وقال جل شأنه واصفا طاعتهم : « لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (خلاق) نصيب (ولو أنهم آمنوا واقفوا لشئبه) أى لكان ذلك ثواباً لهم (راعنا) راقبنا ؛ وهى بلفظ اليهود: كلمة سب ؛ من الرعونة (انظرنا) انتظرنا (نسخ) نبذل (أو ننسها) من النسيان . وقرئ : « أو ننسأها » أى تؤخرها (نأت بغير منها) أى نأت بآية جديدة حاوية لحكم جديد ، خبر من الحكم المنسوخ . وقد ذهب كثير من العلماء والمفسرين إلى تقسيم المنسوخ إلى أقسام : منها ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته ، ومنها ما نسخ حكمه

الجزء الأول

٢٠

وبقيت تلاوته ، ومنها ما نسخت تلاوته وبقي حكمه . فإذا ما استساغ العقل منسوخ الحكم والتلاوة ، ومنسوخ الحكم باقى التلاوة ؛ فإن القسم الأخير لا يستساغ عقلاً ؛ إذ كيف تنسخ التلاوة مع بقاء الحكم ؟

ومن ذلك زعمهم أن القنوت فى الصلاة من القرآن المنسوخ ؛ فى حين أن القنوت ورد بالفاظ شتى ، وعبارات متباينة ، وقد أخذ كل واحد من الأئمة بصيغة تخالف ما أخذه غيره .

كما زعموا أيضاً أن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموا البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » من القرآن المنسوخ تلاوة الباقى حكماً . هذا مع أن الرجم لم يزل به قرآن البتة ؛ بل هو عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وتصريح الرسول واجب حتماً كتنصريح القرآن ؛ لقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقوله جل شأنه : « وما آتاكم الرسول فخذوه » وقوله عز وجل : « من أطاع الرسول فقد أطاع الله » .

وأغشى هذه المزاعم : روايتهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها : كان فيما يقرأ من القرآن « عشر رضعات معلومات يحرمن » وأن ذلك

أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْأَكْثَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢١﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْحَابُ يَتَّى اللَّهِ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقْلِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْسِبُونَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا أَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِنْ أَمَّا نَحْنُ مُرْتَدِّينَ أَوْ نَصْرَنِي تِلْكَ آمَانَتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَنِي

على

قد نسخ بقوله تعالى « خمس رضعات معلومات يحرمن » وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وهى فيما يقرأ من القرآن . وأن الدواجن أكلتها بعد موت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه !

وهذا الزعم يشهد بفساده وبطلانه : وعد القدير العظيم ، بحفظ كتابه العزيز الكريم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقد حفظه تعالى من شياطين الإنس والجن ؛ فكيف بالدواجن ، وضعاف الطير ؟ ! (ولى) عجب بلى أموركم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أى كما سأل قوم موسى موسى بقولهم : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » وقولهم « أرنا الله جهرة » (سواء السبيل) الطريق السوى (حسداً من عند أنفسهم) المراد بالحسد هنا : الأسف على الخير عند الغير (انظر آية ٥ من سورة الفلق) =

= (فاعفوا) عنهم (واصفحوا) عن ذنوبهم (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال ، أو ينمو الإسلام بزيادة بنيه وقدرتهم على دفع عدوهم (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) أى تجدوا ثوابه وجزاءه (هوداً) أى من اليهود (تلك أمانيتهم) آمالهم ، أو تلك أقوالهم التى يدعونها (بلى من أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله ، وصدق فى عبادته (وهو محسن) لنياته

وأعماله (ولا خوف عليهم) فى الدنيا (ولام يمحزون) فى الآخرة (وهم) أى اليهود والنصارى (يتلون الكتاب) التوراة لليهود ، والإنجيل للنصارى ؛ وفى التوراة : تصديق عيسى . وفى الإنجيل : تصديق موسى . وفى الكتابين : تصديق محمد . وفى القرآن :

تصديق ما تقدمه من الكتب والرسل (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) . (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) أى تعطيلها . ويدخل فى ذلك : منع الصلوات وحبس المياه أو التور عن المساجد ، أو تركها بغير إصلاح وتعمير ؛ مع حاجتها الى ذلك ، والقدرة عليه . أو هو نهى عن ترك الصلاة وهجر المساجد (خزى) فضيحة وهوان (ثم) هناك (واسع) أى واسع الرحمة ؛ يسع فضله كل شيء (وقالوا) أى النصارى (اتخذ الله ولداً) يعنون به المسيح عيسى ابن مريم (سبحانه) تنزيهاً له عن الولد والوالد (بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون) خاضعون مطيعون . وهو إنكار لاتخاذ الله تعالى للولد بالدليل العقلى : لأن الإنسان لا يسعى للولد إلا رغبة فى المساعدة والمعاونة ؛ وكيف يحتاج تعالى لذلك و «له ما فى السموات والأرض»

ومن فيهما : طائفتين خاضعتين (بديع السموات والأرض) مبدعتهما (ولذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) هو تقرب لأنهمنا ؛ والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً كان ؛ بغير افتقار للفظ «كن» (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا الله (أو تأتينا آية) معجزة مما تفرحه . قال تعالى : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب تفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما رزمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً» .

عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَبَسْتَ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٨﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّا اللَّهُ وَبِشَاسِعٍ عَالِمٌ ﴿١٥٩﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٦٠﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٦١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٦٢﴾

(إنا أرسلناك بالحق) بالقرآن (بشيراً) مبشراً
من أطاع بالثواب والجنة (ونذيراً) منذرأمن
عصى بالعقاب والنار (ولا تسأل عن أصحاب
الحجيم) أى ولا نسألك عنهم : ما لهم لم يؤمنوا
بعد أن أبلغتهم رسالتهم؟ « ليس عليك هداهم »
(ولى) يحب بلى أمرك ، وبهمه شأنك (الذين
آتيناهم الكتاب) من اليهود والنصارى ؛ وآمنوا
به إيماناً حقيقياً (يتلونه حق تلاوته) يفهمونه
حق فهمه (أولئك يؤمنون به) أى بحمد ،
أو بالقرآن ، أو بكتابه الذى هداهم إلى معرفة
محمد وكتابه (عدل) بدل أو فدية (ابتلى)
اختبروا متحن (بكلمات) أو أمروا نواه (فأعمن)
فأداهن أحسن تأدية ، وقام بهن خير قيام (قال
إني جاعلك للناس إماماً) أى رئيساً لهم ؛ يأخون
بك فى الدين ، ويقتدون بك فى الأعمال (قال
ومن ذريتى) أى واجل من ذريتى أيضاً أئمة
يقتدى بهم (قال لا ينال عهدى الظالمين) المراد
بالظلم هنا : الكفر . أى لا تصيب الإمامة الكافرين
من ذريتك . ويمسح أن يراد بالظلم : الظلم
نفسه لا الكفر ؛ إذ أن ولاية الظلمة والفسقة
لا تجوز ؛ وكيف تجوز ولاية الظالم ، لكف
الظالم ؟ (مثابة) مرجحاً ؛ من تاب : إذ ارجح

إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب
الحجيم ١١٥ ولن ترخص عنك اليهود ولا النصارى حتى
تبيع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولين أتبعن
أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من
ولى ولا نصير ١١٦ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك
هم الخاسرون ١١٧ يبنى إسرائيل أذكروا نعتى أنى
أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ١١٨ وأنتم
يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ١١٩ * وإذ ابتلى
إبراهيم ربه بكلمات فآمنهن قال إني جاعلك للناس
إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ١٢٠
وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام

إبراهيم

أو المعنى : موضع ثواب ؛ ينجون إليه ، فيتابون عليه (وأماناً) يأمن من فيه على نفسه - فى الجاهلية
والإسلام - فقد كان الرجل يلقى فيه قاتل أبيه ؛ فلا يستطيع أن يصعد النظر نحوه (واتخذوا من مقام

إبراهيم مصلًى موضع صلاة . وهو أمر بركعتي الطواف . روى جابر رضى الله تعالى عنه : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ؛ وقرأ « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى » ومقام إبراهيم : هو الحرم كله ، أو الحجر الذى قام عليه عند البناء ؛ وفيه أثر قدمه ، أو الموضع الذى كان فيه الحجر - حين قام عليه وأذن بالحج - وعن عمر رضى الله تعالى عنه : وافقت ربي في ثلاث . قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى ؟ فزلت « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى »

وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ؛ فلو أمرتهن أن يحججن ؛ فزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نساؤه - في الغيرة - فقلت لهن : « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن » فزلت كذلك (وعهدنا) أو صينا وأمرنا (والعاكفين) القيسين (وارزق أهله من الثمرات) وقد أجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام ؛ فحمل الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم ؛ قبل أن يتذوقها زارعوها وحاملوها ؛ وقد تجددت أيديهم فأكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ؛ وقد رأيت بعيني أرقى ثمار العالم تحمل إليه بالطائرات عبر البحار والمحيطات ، فعبت - حيث لا تحب - لماذا يحمل كل ذلك لهذه البلدة الخاوية إلا من الدين ، الخالية إلا من المؤمنين ؟ فذكرت دعوة إبراهيم ، فبارك السميع العليم (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) فقد كان دعاؤه عليه السلام قاصراً على من آمن منهم فحسب ؛ ولذا قال تعالى (ومن كفر) أى وسأرزق أيضاً من كفر (فأنتم قليل) في الدنيا (ثم أضطره) ألجته (القواعد) الأسس والجدور (ربنا تقبل منا) أى قالا : « ربنا تقبل منا » ما فعل في سبيلك ؛ من بناء بيتك ، وإعلاء دينك (إنك أنت السميع)

لفعلنا ودعائنا (العليم) بإخلاصنا وصدق نياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين) مخلصين (وأرنا مناسكنا) عرفنا عبادتنا (ونب علينا) أى اقبل توبتنا ورجوعنا إليك ، ولانابتنا لك ؛ وإذا كان هذا حال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؛ وهما من كبار الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ فكيف بنا معشر العصاة الطغاة - وقد ارتكبنا ما ارتكبنا ، وأتينا ما أتينا - فلم تدبر المسأب ، ولم تفكر في المناب ؛ كأنما أخذنا عند الله عهداً بعدم العذاب ، أو كأن ما فعلناه لا يستوجب العقاب ! (وابعث فيهم رسولا منهم) أى من ذرية إبراهيم عليه السلام ؛ وهو خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنادعوه أبى إبراهيم » (وزكريهم) يظهرهم من الشرك ، ومن دنس المعصية (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) يرغب عن الشيء : =

إِبْرَاهِيمَ مَصْلًى وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا
يَتَّبِعِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ
النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
إِلَّا مِنْ سَفِهٍ نَفْسُهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

= لم يرده ؛ ضد رغب فيه إذا أرادته (إلا من سفه نفسه) حملها على السفه ، أو أهلكها (ولقد اصطفتناه) اخترناه

الجزء الأول

٢٤

(أسلم) استسلم (ووصى بها) أى بالملة ؛
ومى الإسلام (إن الله اصطفي لكم الدين) أى
أختاره ورضيه (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) المعنى
حافظوا على دينكم ، وقربوا إلى ربكم ؛ حتى
لا تموتن إلا وأنتم ثابتون على الإسلام (أم كنتم
شهداء) مشاهدين وحاضرين (مسلمون)
مطيعون ومتقادون (تلك أمة قد خلقت)
وهو خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى .
أى إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ،
وذراريهم من المؤمنين «أمة قد خلقت» والأمة :
الجماعة (لها ما كسبت ولكم ما كسبت) أى عليها
لأن ما اقترفت من الذنوب ، وثواب ما عملت من
الصالحات ، وعليكم لأن ما جنيت من الآثام ، وأجر
ما عملتم من الحسنات (وقالوا) أى اليهود والنصارى
للمؤمنين (كونوا هوداً) يهود (قل) لهم : لن
أتحول عن ديني الذي هداني إليه ربي ؛ ولن
أكون يهودياً أو نصرانياً (بل أمة) أبى (إبراهيم
حنيفاً) مستقيماً (وما كان) إبراهيم (من
المشركين) بل كان عابداً لله فاتناً (الأسباط)
حفدة يعقوب : ذرارى أبنائه

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّهَا
وَاحِدَةٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ كُنُوزِهِمْ
أَوْ نُحْلُوهُمُ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَتَّبِعُوا قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨﴾
قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا بِإِذْنِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

(وإن تولوا) أعرضوا (فإنما هم في شقاق) في خلاف ومعاداة (صفة الله) دينه (قل أمحاجوتنا) أمجادونا

(ولنا أعمالنا) أي جزاء أعمالنا ونوابها (ولكم

أعمالكم) لأفعالهم وعذابها (ونحن له مخلصون)

في الحب، والعبادة! والإخلاص: لب كل خير،

وأساس كل قبح؛ فيغفره لا يصل الإنسان إلى

ربه، ولا يهتأ بقربه؛ فالدنيا كلها ظلمات لا موضع

العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل،

والعمل كله هباء، إلا موضع الإخلاص.

والإخلاص لا يكون باللسان؛ بل بالجان، ولا

يكتسب بالركوع والسجود؛ بل بالاتجاه إلى

الرب المعبود! فأحرص - هديت وكفيت -

على الإخلاص؛ فهو باب النجاة والخلاص!

(والأسباط) حفدة يعقوب عليه السلام:

ذراري أبنائه (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم

(من كتم شهادة) أخفاها ولم يدها (تلك

أمة قد خلت) قد مضت (لها ما كسبت) جزاء

ما عملت (ولكم ما كسبت) جزاء ما عملتم

(ولا تسألون عما كانوا يعملون) أي

ولا تؤاخذون بكفرهم وطفيتهم «كل امرئ

بما كسب رهين» (سيقول السفهاء من الناس)

الجهال منهم (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا

عليها) أي ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا

يصلون نحوها؛ وقد كان المؤمنون - في بدء

الإسلام - يصلون نحو بيت المقدس؛ حتى نزل

قول العزيز الكريم: «قد نرى قلب وجهك

في السماء فلنولينك قبلة ترضاها» (قل لله

المشرق والمغرب) أي له الكون أجمع بسائر جهاته «فأينما تولوا فثم وجه الله» (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)

أي متوسطين بين الغلو والتفريط. ووسط كل شيء: أعدل. والطريقة الوسطى: المثلى. قال تعالى

مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٥﴾ فَإِنْ أَمَسُوا مِنْ لِيْلِ مَا أَنتُمْ بِهِ

فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَيَسِيْرُكُمْ

أَلَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُمْ عَبِيدُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أُمَحْجَوْتُنَا فِي اللَّهِ

وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ

مُخْلِصُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا بِرُحْمَةٍ وَأَنْتُمْ بِالْغَيْبِ

وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ

أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ

بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾

* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَتَى

كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٣﴾

﴿٣٤﴾

﴿٣٥﴾

﴿٣٦﴾

﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾

﴿٣٩﴾

﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾

﴿٤٢﴾

﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾

(وما جعلنا القبة التي كنت عليها) وهي بيت المقدس (إلا لنعلم من يتبع الرسول) فيها يذكره عن ربه ؛ من تحويل القبة من بيت المقدس إلى الكعبة (من ينقلب) يرجع (على عقبيه) أي يعود إلى الكفر الذي كان فيه (وإن كانت) التولية عن القبة (لكبيرة) شاقة صعبة ؛ لأن كل تغيير في أمر من الأمور - خاصة إذا كان هذا الأمر جديداً في أوله : كالإسلام ، وكان هاماً : كقبة الصلاة - فإنه يكون صعباً وشاقاً على النفوس

الجزء الثاني

٢٦

(إلا على الذين هدى الله) وفهم للإيمان ، وهذا هو التصديق (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاحكم إلى القبة الأولى . ولا يخفى ما في التعبير عن الصلاة بالإيمان : من تعظيم لشأنها ، وإعلاء لقدرها ؛ وأن من تمسك بأدائها ، وحافظ على أوقاتها ؛ فقد تمسك بالإيمان كله ! كيف لا وهي النامية عن الفحشاء والمنكر : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وهي فوق ذلك مذهبة الهوم ، ومفرجة الكرب « كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة » (١) (فول وجهك شطر المسجد الحرام) جهته (وإن الذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي ليعلمون أن تحويل القبة هو الحق ؛ لأنه معلوم عندهم ، مدون في كتبهم (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (بكل آية) بكل معجزة يقترحونها ، وبرهان يطلبونه (ماتبعوا قبانك) لإصرارهم على الكفر والعناد (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم لأك إذا لمن الظالمين) علم الله تعالى أن رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ليس يتابع قلوبهم ، ولا يتبع أهواءهم ؛ ولكنه خطاب موجه لسواد الأمة الإسلامية ، ونهى لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ عن اتباع الأشرار والفجار ، واتخاذهم أولياء . وهو كنهى الملك

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَبِيعُ
الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَذَكَّرُ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءٌ وَفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٧﴾ قَدْ زُرَى قَلْبٌ وَجْهَكَ
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
وَالَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَنِيْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ آوَوْا
إِلَى الْكِتَابِ بِكَلِمَةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ أَنْ يَقْبِلَنَّكَ وَوَأَنْتَ تَتَابِعُ قِبَلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلَمٍ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٩﴾
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

وَلَا

لِقائده ، وتهديده أمام جنده ؛ بقصد حثهم على الاستقامة ؛ وتحفيزهم على الطاعة . وكل ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات بهذا المعنى ؛ فهو لهذا المرمى (الذين آتيناهم الكتاب) اليهود والنصارى (يعرفونه) أي يعرفون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . قال تعالى : «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» (أنظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) .

(١) حزبه أمر : أصابه ضر ، ونابته نائبة .

(وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق) أى ينكرون معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذى هو حق معروف ثابت فى كتبهم (فلا تكونن من المترين) الشاكين (ولكل وجهة هموليها) أى ولكل قبة يتجه إليها .

أو لكل فريق طريقة هو متبعها (فاسبقوا الخيرات أيئنا تكونوا يأت بكم الله جميعاً) أى حيث إن الله تعالى قادر على الإتيان بكم جميعاً ، ومحاسبتكم عما ضيعتموه ، ومعاقبكم على ما اقترعتموه ؛ فاسبقوا إلى الخيرات والحسنات ؛ ليحل الثواب مكان العقاب ، والرحمة مكان العقبة ، والنعم مكان الجحيم ! (شطره) جهته (لثلا يكون للناس) اليهود والنصارى والمشركين (حجة) يجادلونكم بها ؛ وذلك لأن اليهود تعلم أن النبي المنعوت فى التوراة تكون قبلته الكعبة لا بيت المقدس (إلا الذين ظلموا) من أهل الكتاب ؛ الذين قالوا : ما نحول إلى الكعبة إلا رغبة فى دين قومهم ؛ ويوشك أن يرجع إلى ملتهم (وزيكرهم) يطهرهم من الكفر والمعاصي (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى يعلمكم ما لا سبيل إلى علمه ومعرفته ؛ إلا بالوحي الإلهى الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام (فأذكروني) بالطاعة (أذكركم) بثوابها ، وبالتوفيق إلى أمثالها (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم .

والشكر قسبان : قسم بالأقوال ، وقسم بالأفعال . والقول إن لم يصحبه فعل يدل على صدقه ؛ فلا فائدة منه ، ولا طائل وراءه . ورب شاكر باللسان ورب الغرة عليه غضبان ! أما إذا صاحب القول الفعل ؛ فقد ازداد

الشاك سعة ونعمة ، ومن الله حباً وقرباً ! وشكر المال : إنفاقه فى سبيل الله تعالى وإتقائه مرضاته ، وإخراج زكاته . وشكر البصر : غضه عن المحارم . وشكر السمع : ألا يسمع به غيبة أو لنوا . وشكر القوة : نصرة المظلوم ، والكف عن الأذى ، وبذلها فى الجهاد والدفاع عن الدين والوطن !

وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٧﴾ وَلِكُلِّ
وَجْهَةٍ هُومُولِيهَا فَاَسْبِقُونَا أَنْفِيرَتْ أَيْنَ مَا تَكُونُوا
يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٨﴾
وَمَنْ حَيْثُ نَزَجَتْ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَأَنْتَ لِلْعَقَبِ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَمَنْ حَيْثُ نَزَجَتْ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
وَلَأَنِّي نَعْمَ عَلَى عِبِيدِي وَلَعَلَّكَ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا
فِيكَ رَسُولًا مِنْكَ يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾
فَإِذْ كُرِّوْا فِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٦٢﴾

(يا أيها الذين آمنوا استمعوا) على قضاء حوائجكم الدنيوية والأخروية (بالصبر) على الطاعة ، وعن
المصيبة ، وعلى الأمور الشاقة (والصلاة) وكيف لا يستعان بها ؛ وهي مرضاة رب العالمين ، ومناجاة أكرم
الأكربين ، ومفرجة كرب المكروبين « كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »

الجزء الثاني

٢٨

(ولنلونكم) لنختبرنكم (بشيء من الخوف)
من العدو (والجوع) القحط (وقس من
الأموال) بالفقر وتقدير الرزق (والأفْس)
بالموت والأمراض (والثمرات) بالجوائح
والآفات الزراعية « لنلونكم » فذلك لننظر
أنصبرون أم تكفرون ؟ (الذين إذا أصابهم
مصيبة قالوا إنا لله) ملكا وخلقاً وعبداً
(ولنا إليه راجعون) فيجزينا أجر ما أصابنا !
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من
عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله ولنا إليه
راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي
خيراً منها ؛ إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له
خيراً منها » وقد ورد عن أم المؤمنين أم سلمة
رضي الله تعالى عنها ؛ أنه لما توفي زوجها
أبو سلمة رضي الله تعالى عنه : قالت - في
نفسها - ومن خير من أبي سلمة ؟ رجل
شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ، وفاز بصحبته ، وحظى بمحبته ؛
ولكنها استرجعت ، ودعت الله كما جاء في
الحديث : غفلها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ؛ فكان نعم الخلف ! وعنه أيضاً صلى
الله تعالى عليه وسلم « ما يصيب المسلم من نصب ،
ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ،
ولا غم حتى الشوكة يشاكها ؛ إلا كفر الله بها
من خطاياها » (أولئك عليهم صلوات من ربهم)

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُتُوهُ بَلْ أُحْيَاهُ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَشْيَةِ وَالْجُرْعِ وَنَقُصُّ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٨﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالرِّوَاءَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَصَرَ فَلَجُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا
وَمَنْ يَطُوعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ﴿١٦١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَاُولَئِكَ

أَتُوبُ

الصلاة من الله تعالى : المفردة (إن الصفا والروء) هما جيلان بمكة شرفها الله تعالى (من شعائر الله) أعلام
مناسك (اعتصر) زار (فلا جناح عليه) لا حرج ، ولا إثم عليه (أن يطوف بهما) أى بالصفا والروء ؛
بأن يسعى بينهما سبعاً (ومن تطوع) زاد على ذلك (خيراً) أى بخير ؛ بأن أراد زيادة التقرب إلى الله تعالى
بالنوافل (فإن الله شاكر) له لمزاد ، مجاز عليه (عليه) بطواهه وسرائره

(أتوب عليهم) أغفر لهم (ينظرون) يمحون ويؤجلون (إن في خلق السموات وما فيها من كواكب وأنجم، وأفلاك وأملاك (و) في خلق (الأرض) وما فيها من مخلوقات ونباتات، وأشجار وأنهار (و) في (اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والحجى، والزيادة والنقصان (و) في (الفلك) السفن (التي تجرى في البحر) بأمر الله تعالى ونعمته (بما ينفع الناس) من التجارات، والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) بعد جفافها (وبت) فرق ونشر (فيها من كل دابة) وهي كل ما يدب على وجه الأرض؛ من إنسان وحيوان ونحوهما (و) في (تصريف الرياح) تقلبها جنوباً وشمالاً، باردة وحارة؛ بما ينفع الناس والمخلوقات، والزرع والضرع (و) في (السحاب المسخر) بأمر الله تعالى وقدرته (بين السماء والأرض) إن في جميع ذلك (آيات) (لقوم يعقلون) يتدبرون هذه الآيات، وفهمون هذه الدلالات (ومن الناس) أى ممن لا يعقلون، ولا يفهمون، ولا يتدبرون (من يتخذ من دون الله) غيره (أنداداً) شركاء وأمثالا (ولو يرى) ولو يعلم (الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر واتخاذ الأنداد (أن القوة) والقدرة والبطش (لله جميعاً) له

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٣١﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ الْإِلَهِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣٢﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ آتٍ يُخَيِّرُ فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيِّنَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٢٣٤﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ

(إذ يرون العذاب) يوم القيامة؛ وقد كانوا يكذبون به في الدنيا (أن القوة) والقدرة والبطش (لله جميعاً) له وحده؛ لا للأنداد التي كانوا يعبدونها (إذ تبرأ الذين

اتبعوا) أى تبرا الأنداد التى كانوا يعبدونها ، والكهان والرهبان الذين كانوا يطيعونهم ، والسادة والرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ، وكل من دعا إلى عبادة غير الله تعالى ؛ تبرا هؤلاء جميعاً (من الذين اتبعوا) أى الذين اتبعوهم على الكفر ؛ وهم قراء الكفار والمشركون وأراذلهم . يقول السادة والرؤساء يومئذ : لا نعرفهم ، ولم نقل لهم : اعبدونا أو اتبعونا (وتقطعت بهم الأسباب) أى أسباب المودة ؛ من قرابة وصداقة ولم يبق لهم نصراء (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة) أى لو أن لنا رجة إلى الدنيا (فتتبرا منهم) أى من رؤساء

الأيديان ؛ الذين دعونا للكفر فى الدنيا ،

وتبرا أو منا فى الآخرة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تطيعوا وسوسته لكم بترك الحسنات ، وفعل السيئات . ويدخل فى ذلك شياطين الإنس أيضاً ؛ فمنهم من هو أشد فتكاً ، وأبلغ نكاية من شياطين الجن ! (انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) (ما ألقينا) ما وجدنا (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) أى أولو كان آباؤهم جهالاً ؛ لا يفقهون ، وعجائز لا يعون ؛ فهم لهم متبعون ؟ ! فتاهم (كئيل الذى ينطق) يصيح (بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أى صوتاً يسمعه ولا يفهم معناه ؛ كالبهايم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (صم) عن سماع الحق (بكم) عن الطلق به (عمى) عن رؤيته (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى من الرزق الحلال ؛ ومتى كان الأكل حلالاً : كان العمل صالحاً ومتقلاً ! وإذا شاب الحرام الرزق أو أحاطت به شبهات الكسب : فترت الهمة ، ووهنت العزيمة ؛ ولم يقبل الله تعالى من عبده العادات والطاعات ، وردت عليه دعوته ؛ واكتنفت الدل مع عزته ، والفقر مع غناه ، وخسر ديناه وأخراه ؛ فليحذر المؤمن الشبهات فى سائر الحالات ؛ خاصة فى طاعمه وشرابه (انظر آية ٥٨ من سورة الأعراف) (واشكروا لله إن كنتم

٣٠

الجزء الثانى

أَتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ
مِنْهُمْ كَمَا نَدْرِكُهُمْ إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَمَلُهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ ۖ يَكْبِتُهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ
بِمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا يَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَمُّونَ ۖ إِنَّمَا بِأَكْثَرِ النَّاسِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَإِنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۖ وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوًا وَنِدَاءً
صُمٌّ بَكْرٌ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۖ يَكْبِتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُلُّهُمْ مِنْ طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ۖ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ

وَمَا

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فالشكر من لوازم العبادة ؛ وغير الشاكر : لا يكون عابداً ، ولو ظل طول دهره ساجداً . (انظر آية ١٥٢ من هذه السورة) (إنما حرم عليكم الميتة والدم) المسفوح (ولحم الخنزير) نهانا تعالى عن لحم الخنزير ؛ لما فيه من شر وضر ؛ فقد ثبت أنه يحمل ميكروبات شتى تسبب أمراضاً يعسر شفاؤها ويعز دواؤها ! وهذه الآية من أهم ما حرص عليه الطب الوقائى : فى الميتة ملايين الميكروبات التفتية والرمية ، كما أن الدم هو حامل الميكروب إلى سائر الجسم ؛ وقد لجأ الطب أخيراً - حينما اكتشف ذلك - إلى تحليل جزء منه فيتضح له كل ما فى الجسم من أمراض ؛ وهو فى هذه الحال من أسرع وسائل العدوى ، ولحم الخنزير : مباءة لكثير من المكروبات ، وهو العائل الأصلى للدودة الشريطية

وَمَا أَهْلُ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ قَوْمَ اضْطُرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا أَقِمَّ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ نَمَنَّا
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿٣٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَلَّ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿٣٣﴾ * لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

(وما أهل به لعن الله) أى ما ذبح للأضنام ، أو ذكر عليه اسم غير اسمه تعالى (فن اضطر) أى أُلجأته
الضرورة إلى أكل شيء من ذلك الحرم ؛ بسبب جماعة مهلكة أشترى فيها على التلف ؛ فله أن يأكل على
الابتئاول منه سوى القدر الذى يحفظ عليه حياته (غير باغ) على أحد؛ كأن يحتطف ما يسد رمقه من إنسان آخر؛
ليس له ما يسد رمقه سوى ما اختطفه منه . أو «غير باغ» على جماعة المسلمين وخارج عليهم (ولا عاد) معتد عليهم
يقطع الطريق ؛ فأُلجأه ذلك إلى الجوع المهلك المتلف ؛ فليس له أن يستمتع بهذه الرخصة (إن الذين يكتمون
ما أنزل الله من الكتاب) وهم اليهود والنصارى؛

كتموا نعت محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وهو
موصوف عندهم في التوراة والإنجيل (ويشترون
به) أى بذلك الكتمان (ثمنًا قليلًا) هو ما يأخذ
أجبارهم ورهبانهم (ولا يزكهم) لا يطهرهم .
والمعنى : لا يفر لهم (أولئك الذين اشتروا
الضلالة) الكفر والعصية (بالهدى) بالإيمان
والطاعة (والعذاب) الذى ينالهم ؛ عقوبة على
ضلالهم وكفرهم (بالمغفرة) التى تنال المؤمنين
المهتدين ؛ جزاء لإيمانهم وطاعتهم !

ومن عجب أن ينصرف كثير من الناس
عن لإرضاء مولاهم ؛ إلى الحرص على دينهم
وينصرف آخرون إلى لإرضاء المخلوقين ،
وإغضاب رب العالمين ؛ قال الشاعر :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
ولمشتري دينه بالدين : أعجب
وأعجب من هذين : من باع دينه
بدينا سواه : فهو من ذن أخيب

(شقاق) خصام وجدال وخلاف (بعيد)
كبير (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب) في الصلاة (ولكن البر من آمن)
بالله إيمانًا حقيقياً (واليوم الآخر) أى وآمن
بالقيامه ومافيه من بعث وحساب ، ونعيم وعذاب
(والكتاب) أى وآمن بالكتاب ؛ وهو
اسم جنس . أى آمن بسائر الكتب المنزلة (وآتى

المال) أعطاه وبذله (على حبه) أى رغم حبه للمال ، وحاجته إليه ، وافقاره له ؛ لأن مقتضى الحب : الحاجة
إلى المحبوب ، والشوق إليه . وقيل : في سبيل حبه تعالى ، ورغبة في إرضائه جل شأنه !

والمراد : أن يعطى المال وهو طيب النفس بإعطائه (انظر آية ٣٢ من سورة الزخرف) (وابن السبيل)
المسافر المنقطع (وفي الرقاب) أى إعتاق العبيد ، وفك الأسرى . والرق معروف - من أقدم العصور - قبل
الإسلام ؛ فقد عرف في مصر الفرعونية ، وفي دولة آشور ، ودول فارس ، والدولة الرومانية والبيزنطية ؛ ولم
يكن الإسلام مؤسساً للرق وموجداً له - كما يزعم الكثيرون - بل كان داعياً إلى التخلص منه والقضاء عليه ؛
لما يكتنفه من المباهاة والمفاخرة وإذلال الغير . وحين بزغ فجر الإسلام ، ولاح فجر الإسلام ، وسطمت =

= أنوار الحرية : سعى الدين إلى رفع الذل والعبودية عن الأرقاء ؛ فجعل من العتق قرينة إلى الله تعالى ومنجاة من العذاب ، وكفارة من الإثم ! فدعا بذلك إلى حرية الجنس الإنساني ، وقدسية آدمية (انظر آية ٩٢ من سورة النساء) . (البأساء) الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) وقت اشتداد القتال (يأيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) وهو الأخذ بالمثل في العقوبة : كقتل القاتل (الحر بالحر) فلا يقتل حر بعد (والعبد بالعبد) ويقتل بالحر أيضاً . (والأنتى بالأنتى) وتقتل بالذکر ، كما يقتل الذکر بها .

الجزء الثاني

٣٢

و « القصاص » : يقتضى المائلة في الدين ؛ فلا يقتل مسلم - ولو عبداً - بكافر - ولو كان حراً - (فمن عني لمن أخيه) أي ولي المقتول ؛ بأن ترك المطالبة بالقصاص واكتفى بالدية (فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) أي حيث إن ولي المقتول عني عن قتل القاتل ، وقبل الدية منه فليتبع ذلك بالمعروف ، وليؤد إليه الدية بإحسان من غير مظل ولا ضرار (فمن اعتدى بعد ذلك) بأن جاوز هذا الشرط ؛ كأن لم يدفع القاتل الدية كاملة لولي المقتول ، أو أن يقتل ولي المقتول القاتل بعد قبوله الدية (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) إقرأ هذه الآية - أيها المنصف الحكيم - وكرر قراءتها ، وتبين معانيها ومراميها ، وقسمها جلياً ، وتأملها ملياً ؛ وانظر إلى بلاغة القرآن وإيجاز القرآن وإعجازه : يقول الله تعالى : إن لكم في الموت حياة . لأن القصاص : هو القتل ولنا في هذا القتل حياة !

ولو لم يكن القصاص : لما بقي على ظهرها إنسان : إن النفوس التي جبلت على الشر ، وروضت عليه لو علمت أنه لا يوجد حاكم يحكمها ، ولا رادع يردعها ، ولا ولي يأخذ لضيقها من قومها ، ولفقيرها من غنيها ؛ لقتل الأشرار الأخيار ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ! وقد صدق الله : فإن لنا في القصاص لحياة وأى

بِعَلَيْهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّيْرِينَ فِي آبَسَاءٍ وَالضَّرَّاءِ
وَبَيْنَ آبَسَاءٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَّ عَلَيْكَ الْقِصَاصُ
فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى
فَمَنْ عَنَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حِكْمَةٌ يَتَأْتِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْمَعْرُوفُ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِمَّا تِمَّةً أَوْ كَفِيرًا عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوْسَ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

يَأْتِيَا

حياة ! (كتب عليكم) فرض عليكم (إذا حضر أحدكم الموت) أي حضرت أسبابه ، وأحسن المريض بدونه أجله ولم يبق له سوى صالح عمله (إن ترك خيراً) أي مالا كثيراً (الوصية للوالدين والأقربين) الذين لا يرثونه (بالمعروف) الذي أذن فيه الله تعالى وأجاز به الوصية ؛ مما لم يجاوز الثلث ، ولم يتعد فيه ظم ورثته . وقيل : إن هذه الآية نسخت بآية الوارث في سورة النساء (فمن بدله) أي غير الإيصاء - من الورثة ، أو الشهود - عن وجهه الذي أراده للموصي (فإمّا تمة) إثم هذا التبديل (على الذين يبدلونه) لاعلى للموصي الذي أبرأ ذمته ، وأرضى ربه ! (فمن خاف من موسى جفناً) جوراً وميلاً عن الحق (أو إثمًا) بألا يوصي لوالديه ؛ بقضاً لهما ، أو لا يوصي للأقربين ؛ مع فقرهم وحاجتهم ، أو يوصي بأكثر مما أجاز به الله تعالى =

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٥﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكَ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٧﴾
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٨﴾
أَحِلَّ لَكُمُ اللَّيْلَةُ الصِّيَامِ الْفَتْحُ إِنَّكَ نَسِيتُكَ مِّنْ لِّبَاسٍ

في الوصية ؛ متعمداً لحوق الضرر بالورثة (فأصلح بينهم) بين الموصى وورثته ، أو بينه وبين من تجب عليه
الوصية لهم (يا أيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فقد كان الصوم مفروضاً
على من تقدمنا من الأمم (لعلكم) بسبب هذا الصيام (تتقون) الله تعالى ، وتخشون غضبه ، وتعملون بأوامره ؛
ومن هذا يعلم أن الصيام يبعث على الإيمان الصادق ، ويرقق القلب ، ويصني النفس ، ويعين على خشية الله تعالى ؛
ولذا استعان به الأنبياء في تحقيق مآربهم ، والأولياء في تهذيب نفوسهم ، والمخاصة في شفاء قلوبهم ، والعامّة
في شفاء جسامهم! (أياماً معدودات) أي قلائل
(وعلى الذين يطيقونه) يتحملونه بمجهود ومشقة ؛

وهو رخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده (أنظر
آية ٢٢٦ من هذه السورة) (فمن تطوع خيراً)
زاد في الإطعام ، أو زاد في الصيام ؛ تطوعاً منه
فوق ما فرض عليه من الإطعام والصيام (فهو
خير له) وفي هذا ما فيه من الحث على الإطعام ،
والترغيب في الصيام . ومنه يعلم ما في الصيام من
فوائد جمة لا تدرجها العقول ؛ فانه فضلاً عن كونه
مرضات للرب ، ومطهرة للنفس ؛ فقد ثبت أنه
علاج ناجع لكثير من الأمراض المستعصية ؛
وقد يكون العلاج الوحيد لضغط الدم ، وقد أجمع
الأطباء على فائدته الكبيرة لمرضى السكر ؛ يدل
على ما تقدم قوله تعالى (وأن تصوموا) حال
المرض والسفر (خير لكم إن كنتم تعلمون)
ما فيه مصالحكم (وبيّنات من الهدى) آيات
الكتاب الكريم (والفرقان) الذي يفرق بين
الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر) أي
حضره ؛ ولم يكن مسافراً ، ولا مريضاً
(فليصمه) وليس معنى المشهود : الرؤية
والمشاهدة (ولتكمّلوا العدة) أي عدة الشهر ؛
ليتساوى صائم الشهر كاملاً ، مع من قضى ما فاتته
لعذر (ولما سألك عبادي عني) أين ربنا ؟
وهل يسمع لدعائنا ، ويستجيب لدعائنا ؟
(فاني قريب) منهم ؛ أسمع نحيوانهم وشكواهم ،

و (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ورب قائل يقول : لما نفي أسأله في كل يوم فلا يعطيني ، وأناديه في كل ساعة
فلا يجيبني . والجواب على هذا القائل : إنك أيها السائل لم تسأل ربك بل امتنحتته ، ولم تناديه بل سخرت منه ؛
ولو أنك ناديته بحق لأجابك ، وسألته بصدق لاستجاب لك !

إن من شرائط السؤال - أيها المتنحن لربه ، الساخر بقدرته - أن تتيقن بإجابته تيقنك بوجودك ، وأن
تثق بما عنده وثوقك بنفسك : تسأل صديقك - الدليل الحقير الضعيف الفقير - أن يعطيك شيئاً ؛ وأنت على
تمام الوثوق ، ومزيد اليقين بإجابة سؤالك ، وتدعو ربك - المعطي المانع ، الضار النافع - أن يهبك أحقر
الأشياء ؛ وأنت من الإجابة آيس ، ومن عطائه فاطر ! فما الذي ترجوه بعد هذا الكفران ! ؟ تؤمن =

== بصديقك أكثر ماتؤمن بربك ، وترجو إجابة سؤالك ودعائك ؛ هيئات هيئات أن يجاب لك ؛ قبل أن تحسن ظنك به ، وتثق بما عنده ، وتمده كأنك تراه ، وتحشا كأنه يراك ! (أنظر آية ٦٠ من سورة غافر) (فليستجيبوا لي) إذا دعوتهم لما يصلحهم وينجيهم ؛ لأجيهم فيما يطلبونه مني !

ومن هذا يعلم أن الإيمان والعمل الصالح : شرط في قبول الدعاء (لعلهم يرشدون) يصيبون الرشد

الجزء الثاني

٣٤

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ عِلْمُ اللَّهِ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَابُونَ
أَنْفُسَكُمْ قَلْبَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْظَنُّ بِشُرُوهُمْ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ
لَكُمْ الْخَطِيطُ الْآبِيضُ مِنَ الْخَطِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ
ثُمَّ أَمْرًا الصَّبَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسْجِدِ يَلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٨﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ وَالْبَيْطِلِ وَعَمَلُوا بِمَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَآ كُلُوا فَرِيقًا
مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٩﴾ * يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْتِي لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آتَى
وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿١٩٠﴾
وَقُنْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْنِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا

والسداد ، ويوفقون لما يجعلهم مجاب الدعاء ،
عظيمي الرجاء ! (أحل لكم ليلة الصيام) أي كل
ليلة صيام ؛ لا الليلة الأولى من رمضان ؛ كما توهمه
بعض العامة (الرفث) الجماع (هن لباس لكم
وأنتم لباس لهن) أي كلا كما ستر للآخر عن
الحرام ، أو شبهها تعالى بالباس : لا اعتناقها ،
واشتمال كل واحد منهما على صاحبه ، أو هو
بيان لسبب الإحلال : فإن الذي بينكم وبينهن
مثل هذه المخالطة والملازمة : قل صبركم عنهن ،
وصعب عليكم اجتنابهن ؛ فلذا رخص لكم في
مباشرتهن (تختانون) أن تحنون (أنفسكم)
وتظلموهن بالجماع ، أو تقتصوهن حظها من
الثواب (فتاب عليكم) غفر ما سلف منكم
(وعفا عنكم) بإحلال ما كان محظوراً عليكم
(فالآن) بعد الإحلال (باشروهن) جامعوهن
(الخطيط الأبيض) الفجر (من الخطيط الأسود)
الليل (ولا تبشروهن) لا تجامعهن (وأنتم
عاكفون) مقيمون ومتكفنون (في المساجد)
للتعبد والصلاة (وتدلوا) تلقوا (بها)
بالأموال (إلى الحكام) على سبيل الرشوة .
وهذا مشاهد ؛ يفعله بعض ضعاف النفوس
عديمي الضمائر : فيرشون أمثالهم - ممن لا خلق
لهم - ليقطعوا بذلك مال إخوانهم (بالإثم)
بالباطل والظلم ! فليحذر هذا وليتجنبه من
يؤمن بالله ويحشا ، وليخف يوماً إذا طول

فيه بالوفاء : عجز عن الأداء (وأتوا البيوت من أبوابها) هو كناية عن وجوب مباشرة الأمور من وجوها
التي يجب أن تبشر عليها .

وقيل : كانوا يأتون بيوتهم - في الإحرام - من قُب يقبونه في ظهرها ؛ زاعمين أن ذلك من البر
(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) أي قاتلوا الذين يبدأونكم بالقتال ، أو قاتلوا الرجال الذين يقاتلونكم
حسب ؛ ولا تقاتلوا الشيوخ والنساء والصبيان (ولا تمتدوا) بالابتداء بالقتال ، أو بقتال الذين لم يقاتلوكم

إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ
فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾
فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٢﴾ وَتَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدُونَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
مِثْلَ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٥﴾
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ

(واقتلوهم حيث تقتلهم) حيث وجدتموهم (وأخرجوهم) والمراد بذلك المشركين (من حيث أخرجوكم) أى من مكة ؛ لأنهم أخرجوا المسلمين منها (والفتنة أشد من القتل) «الفتنة» : عذاب القيامة ، أو الإخراج من مكة ، أو الشرك (فإن انتهوا) عن الشرك (فإن الله غفور) لهم ما تقدم من كفرهم (رحيم) ٣٥ ؛ فلا يذهبهم بما فعلوه حال كفرهم . والإيمان يجب ما قبله (واقتلوهم حتى لا تكون فتنة) لا يكون شرك ، ولا يكون إلهاء (فإن انتهوا) عن الشرك والقتال (فلا عدوان) أى لا يصح القتال والاعتداء (إلا على الظالمين) الكافرين ؛ وقد انتهوا عن القتال وأسلموا (الشهر الحرام) في الحرمه والتقديس والأمن وعدم القتال (بالشهر الحرام) أى مقابله . والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب . فإذا قاتلكم المشركون في شهر منها ؛ فلا تضعوا أيديكم على صدوركم ، وتخرجوا من قتالهم في مثاها وتقولوا : لا قتال في الأشهر الحرم ؛ فقد حرم الله تعالى فيها القتال والاعتداء . بل قاتلوهم فيها كما قاتلوكم (والحرمات قصاص) فكما انتهكوا حرمة الأشهر الحرم ؛ جاز لكم أن تقتصوا بمثاها . يؤكده قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم) في الأشهر الحرم (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) فيها . وليس معنى ذلك : أن من قتل ولدى أقتل ولده ، ومن يسم بهيمى أسم بهيمته ؛ لاذ ماذب الولد حتى يعاقب بما جناه أبوه وما ذنب البهيمه حتى تعاقب بما جناه صاحبها ؛ بل يجب أن تقع المائله في العقاب على نفس المجرم جزاء ما جنت يده (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بعدم الإتيان في سبيل الله تعالى ،

والاستعداد للجهاد ؛ فيقوى عدوكم ، وتضمحل قوتكم ! وفي هذا ما فيه من الذل المؤبد ، والهلاك المحقق . وقيل : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» بأن تعرضوها للموت الحتم ، أو بافئاق سائر ممالك تعرضون أشيكم وعبائكم للفقر والتلف والضياع (وأحسنوا) الظن بالله تعالى في النصر والإخلاف أو أحسنوا أعمالكم وبناتكم (فإن أحصرتم) أى حوصرتهم من الأعداء ، ومنتم من الحج (فما استيسر من الهدى) ما تيسر منه . و«الهدى» الإبل المهداة للحرم

(فن كان منكم مريضاً) مرضاً يضطره إلى ترك شيء من المناسك (أو به أذى من رأسه) كبثور ، أو قمل ، أو نحوهما ؛ مما يلجئه إلى حلق رأسه وهو محرم (فقدي من صيام) يصوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يتصدق بها ؛ وهي ثلاثة أصع . والصاع : أربعة أمداد . والمدة : ملء كف الرجل المعتدل (أو نسك) ذبح شاة .

الجزء الثاني

٣٦

عن هادي الأمة صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ أنه قال لكعب بن عجرة : «لعلك أذاك هوامك ؟» قال : نعم يا رسول الله . قال : «أحلق وسم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين ، أو انسك شاة» والفرق : ثلاثة أصع (فاذا أمتم) الإحصار وكنتم في حال سعة وأمن (فمن تمتع) حل من إحرامه ، واستباح ما كان محظوراً عليه (بالعرة) وفاته الحج بسبب إحصاره .

والعرة : زيارة البيت الحرام ؛ مع الطواف والسعي بالإحرام (إلى) وقت (الحج) فاستيسر من الهدى أى فعليه دم بسبب تمتعه بمحظورات الإحرام (إذا رجعت) أى من الحج (ذلك لمن لم يسكن أهله حاضري المسجد الحرام) أى لم يكن من مستوطني مكة (فلا رقت) الرقت : الجماع ، أو الفحش في القول (ولافسوق) الفسوق : الفجور ، والترك لأمر الله تعالى (ولا جدال في الحج) أى لا مجادلة ، ولا محاسبة أثناء الحج . وذلك لأن الحج عبادة روحية تستدعي الصفاء وتفرغ النفس لعبادة ربها وحده ، والبعد عن مواطن الخطأ والزلل (وتزودوا) لاخرتكم ؛ بالعبادة والعمل الصالح والإخلاص (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) أى لا حرج عليكم إن ابتغيت

قَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِنْ تَمَتُّعٍ بِالْعَرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ قَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ قَن قَرَضَ فِيهِنَ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ لِكُلِّ وَاكِفٍ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

وَأَسْتَفِرُّوْا

- مع الحج - التجارة والتكسب (فاذا أفضتم) رجعتكم (من عرفات) جبل معروف بمكة (المشعر الحرام) جبل يقف عليه الإمام ، واسمه «الفرح» (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى ارجعوا من حيث رجعوا ؛ وهو أمر لفرش خاصة ؛ وقد كانوا يقفون بالزدلفة (١) ترفعاً عن الوقوف مع باقي المؤمنين بهرفة

(١) المزدلفة : موضع بين عرفات ومنى ؛ سمي بذلك : لأنه يتقرب فيه إلى الله تعالى . وهو من الازدلاف ؛ وهو التقرب . وقيل : سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة ، أو لجيء الناس إليها في زلف من الليل .

(فاذا قضيتكم مناسككم) أديتم عباداتكم المتعلقة بالحج (فاذكروا الله) بالتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) وقد كان من دأبهم المفاخرة بالآباء (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) أى يجعل كل همه نيل

ما يمتنى من دنياه (وماله في الآخرة من خلاق) أى ليس له فيها من نصيب ؛ لانصرافه عن تحصيلها ، وانشغاله بالفانية عن الباقية ؛ فكان جزاؤه الحرمان من طيبات الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة (وممنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) أى رزقاً واسعاً ، وعيشاً رغداً (وفي الآخرة حسنة) ثواباً ومغفرة ، وجنة عرضها كعرض السموات والأرض ؛ فكان حقاً على الله أن ينيله ما يتمناه فضلاً من لدنه ونعمة ! وقيل : لأن حسنة الدنيا : المرأة الصالحة (أولئك لهم نصيب مما كسبوا) أى ثواب ما عملوا .

(واذكروا الله في أيام معدودات) مى أيام التشريق ؛ وذكر الله فيها : التكبير عقب الصلوات (إليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة ؛ فيجازيكم على ما عملتم (ومن الناس من يعجبك قوله) المزخرف ، ورفاه المستتر (في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه) لك ؛ من ودوح (وهو ألد الحصاص) شديد العداوة والمصومة أو «يعجبك قوله» في الدين واليقين «ويشهد الله على ما في قلبه» من إيمان وإحسان «وهو ألد الحصاص» للدين والله ولسوله (وإذا تولى) انصرف من عندك : ظهر على حقيقته ، وبان على طبيعته ، و(سمى

في الأرض ليفسد فيها) بكفره ورفاهه وإذاعته الإلحاد بين الناس (ويهلك الحرث والنسل) هو مبالغة في الإفساد ؛ كقولهم أهلك الزرع والضرع (وإذا قيل له اتق الله) ولا تفعل ما يفضبه (أخذته العزة) حملته الأثمة والحمة ؛ على العمل (بالإثم) الذى أسمر باتقائه والبعد عنه

وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ
مِنْكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿١٩١﴾
فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٩٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٣﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٤﴾
* وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا أَتِمَّ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا أَتِمَّ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتَقُوا
اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٩٥﴾ وَمِنْ النَّاسِ
مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى
مَا فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٩٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٩٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

(غيبه) كفيه (جهنم) التي سيصلها عقوبة له (ولبس المهاد) الفراش (من يشرى نفسه) أى يبيعها (في السلم) الإسلام ؛ أو هو الاستسلام ؛ وهو الصلح . أى اجنبوا البغضاء والشقاء (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) لأنه يدعوكم إلى التفرقة والشقاق (فان زلتم) وقعتم في الزلة (البنات) العجرات الظاهرات ،

الجزء الثاني

٣٨

والآيات الواضحات (هل ينظرون) ما ينتظرون (إلا أن يأتيهم الله) أى بعذابه ؛ كقوله تعالى : «أو يأتي أمر ربك» أى بالعذاب (في ظلال) جمع ظلة ؛ وهو ما أظلك (من الغمام) السحاب الكثائف (وقضى الأمر) قامت القيامة ، أو وجب العذاب (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة واضحة (ومن يبدل نعمة الله) أى آياته ؛ التي أنعم بها على عباده هدايتهم ، وإنجاهم من الضلال ؛ لأنها من أجل النعم ! وتبدليها : أنها سبقت لتكون سبباً للهداية ، فيجعلونها سبباً للقواية (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أى حبت لإيهم ، وزينها الشيطان لهم ، ومجلنا لهم طياتهم فيها . قال تعالى : «مجلنا لهم طياتهم في الحياة الدنيا» (ويسخرون) في الدنيا (من الذين آمنوا) لأنهم لا يعبأون بالدنيا ولا بأهلها ؛ وكل همهم الحرص على رضا وبهم جل شأنه ! (والذين اتقوا) ربهم وخافوه ، وعملوا بأوامره ، واجنبوا نواهيه ، وصدقوا برسوله ، وآمنوا بالنور الذي أنزل معه ؛ فهؤلاء (فوقهم) أى فوق الكافرين ؛ الذين بدلوا نعمة الله كفرأ وأحلوا قومهم دار البوار ! فالمتقين في الجنة ، والكافرين في النار ! (والله يرزق من يشاء) من المؤمنين والكافرين (بغير حساب) أى بغير سبب ؛ فقد يرزق

بِالْإِنْفِمْ حَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٣٨ يَتْلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٣٩ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَطَلَقَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤١ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّةً ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةِ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤٢ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٣ كَانُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

وَأَنْزَلَ

البلد ، ومنع النسيط ، ويعطى العاصي ، ومنع الطامع ؛ ما أَرَادَهُ كان ، وما لم يرده لم يكن ! (كان الناس أمة واحدة) على دين واحد ؛ هو دين الفطرة ؛ أو كانوا كفاراً لا يعلمون حالهم ولا ما لهم (انظر آية ١٩ من سورة يونس) (بعث الله النبيين) لإيهم (مبشرين) من أطاع بالجنة (ومنذرين) من عصى بالنار !

(وأنزل معهم الكتاب) الذين يؤيدهم (بالحق) الذي يأمرون به ، ويسرون عليه . و « الكتاب » اسم جنس : يقع على سائر الكتب المنزلة ؛ كالنوراة ، والإنجيل ، والزيور ، والقرآن (وما اختلف فيه)

أى فى الكتاب المنزل مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إلا الذين أوتوه) أى إلا الذين أنزل عليهم الكتاب ؛ أنزله الله تعالى مزيلا للاختلاف ، فجعله سبباً للخلاف (بقياً بينهم) أى حسداً وظلماً : كيف ينزل الكتاب على رجل غيرهم ؟ وكل واحد منهم يرى أنه أحق بنزوله عليه ، وأجدر ممن نزل عليه « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (صراط) طريق (خلوا) مضوا (مستهم البأساء) الفقر والحاجة (والضراء) المرض (وزلزلوا) أزعجوا لزعاجاً شديداً (يسألونك ماذا ينفقون) ما الذى يتصدقون به ؟ (قل ما أفنقتم من خير) مال ؛ أو هو كل ماينفق : من مال ، أو غذاء ، أو كساء ، أو دواء . وسمى تعالى ماينفق : خيراً ؛ لأنه سبب فى كل خير فى الدنيا والآخرة ؛ وناهيك بقول العظيم الكريم (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) يجزى عليه أحسن الجزاء (كتب) فرض (عليكم القتال) الجهاد فى سبيل الله (وهو كره) مكروه (لكم) لما فيه من مشقة ، وبعد عن الأهل والولد ؛ ولأنه فى ظاهره تعرض للتلف والفناء ، مع أنه أساس الحياة وسر البقاء ! (وعسى أن تكرهوا شيئاً) كالقتال (وهو خير لكم) فى الدنيا ؛ بتخليص البلاد ، ونجاة العباد ، ورفع كلمة الله تعالى ! وفى الآخرة بنعيم الجنان ، ورضا الرحمن (وعسى أن تحبوا شيئاً) كالقعود مع الأهل والولد (وهو شر لكم) فى الدنيا ؛ بالدل والاستعباد ، وفقدان الكرامة ! وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! (والله يعلم) ما فيه الخير لكم (وأتم لا تعلمون) فاتبعوا أوامره ، وابتغوا ما فرضه عليكم ؛ ففيه نجاتكم وسعادتكم !

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِمَا صَوِّطَ مُسْتَقِيمًا ۚ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمَجِينَ ۚ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۚ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۚ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۚ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ

(يسألونك عن الشهر الحرام) الأشهر الحرم هي: ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب (قتال فيه) أى هل يجوز القتال فيه ؟ (قل قتال فيه كبير) من المشركين لكم (وصد عن سبيل الله) منع عن دينه (و) صد أيضاً عن (المسجد الحرام وإخراج أهله) المؤمنين (منه) وجميع ذلك (أكبر عند الله) إغماً وأعظم جرماً ؛

الجزء الثاني

٤٠

من القتال في الأشهر الحرم . فكيف تسألون عن جواز القتال في الأشهر الحرم؟ قال تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» (والفتنة) أى الكفر ، أو الإخراج من مكة ، أو العذاب يوم القيامة (أكبر من القتل) وأنكى وأشد (حبطت أعمالهم) أى بطلت أعمالهم الحسنة التى عملوها ؛ لأن الكفر يحبط لسائر الأعمال (يسألونك عن الحرم) ما حكمها ؟ (انظر آية ٩٠ من سورة المائدة) (والليسر) القمار (قل فيها لثم كبير) وأى لثم ! لقد أكرمك الله تعالى أيها الإنسان بالعقل المنير؛ فكيف تطفئه بالحجر؟ ! ووهبك الخير الكثير؛ فكيف تتلفه بالقمار؟ وهب أنك كاسب فيه غير خاسر؛ فم تستغل لنفسك ما ليس لك بحق ، وما هو محرم عليك ، وشؤم على عيالك ؟ ! ويدخل في عموم اليسر : ما يسمونه باليانصيب ، وكذلك سائر المراهنات ، وسباق الخيل ؛ وكل كسب أو خسارة بغير سبب معقول ، ووجه مشروع : فهي لثم ! (و) في الحرم واليسر ؛ مع ما فيها من أسقام وآثام (منافع) في الظاهر (للناس) ألا يربحون في تجارة الحرم ، ويكسبون في لعب اليسر؟ ! وهو ربح ممقوت ؛ الخسارة منه أكسب ! وكسب حرام ؛ الإفلاس منه أربح ! وهى منافع حقيرة زائلة ؛

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدْعٌ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يَرْدُّوكَ عَنْ دِينِكَ إِنِ
اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكَ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أُتُوا النَّارَ هَابِينَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْأَعْمُرِ وَالْيَسْرِ قُلْ فِيهِمَا لَئِمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَأَمَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
الْمَعْفُوكَ كَذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْآيَاتُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٢﴾
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ

لَكُمْ

بجانب ما يترتب عليها من الآلام والآثام ! فقد أثبت الطب - قديمه وحديثه - ان الإيمان على الخمر : يسبب تلفاً بالكبد ، ويحول خلاياه الحية إلى ألياف ميتة ؛ كما تؤدى إلى تصاب الشرايين ، وإلى نزف المخ ، وإلى إفساد الجهاز العصبي ، وضعف المدارك الحسية ! (ويسألونك ماذا ينفقون) أى أى شيء ينفقونه ؟ (قل المعفو) أى الزائد عن حققتكم وحاجاتكم . أو خير ما تنفقونه : «المعفو» عند القدرة «ألا تحبون ان يفر الله لكم»

(وإن تخاطبهم) في المعيشة (والله يعلم الفساد) منكم في هذه الخاطلة (من المصلح) الذي أراد بها تدبير أموال البتاي ، وإصلاح أمورهم (ولو شاء الله لأعنتكم) لأخرجكم وضيق عليكم (ولا تتكفوا المشركات) أى لا تتزوجوهن . والمشركة : التي تدعو مع الله لها آخر ؛ وهي غير الكتابية : اليهودية أو النصرانية . (ولا تتكفوا المشركين) أى لا تتزوجوهم بناتكم (حتى يؤمنوا) وقد ذهب جماعة - منهم جبر الأمة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما - إلى أن لفظ المشركات والمشركين ؛ يعم اليهود والنصارى لقوله تعالى :

سورة البقرة

٤١

«وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى

المسيح ابن الله» فهم مشركون أيضاً ؛ لأن

إلههم الذي يعبدونه يلد ؛ وإلهنا تعالى «لم يلد

ولم يولد» ويعارض هذا الرأى : قوله تعالى

«والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب» وقد

قصد بهم اليهود والنصارى الذين قالوا : عزيز

ابن الله ، والمسيح ابن الله . وعلى ذلك يكون

المراد بالمشركين : عبدة الأصنام والنار

والكواكب ، ومن شاكلهم ؛ ممن لا يؤمنون

بوجود إله أصلاً ! (أو تلك) المشركون

والمشركات (يدعون إلى النار) أى إلى الكفر

المؤدى إلى النار ؛ فلا يجوز منا كحتمهم (والله

يدعو إلى الجنة والمغفرة) بما يدعو إليه من

أعمال صالحات ؛ موصلة إليهما ، موجبة لهما

(بإذنه) بأمره وإرادته (ويسألونك عن

الحيض) أى عن شأن الزوجة فمدة الحيض ،

وما ينبغى على الزوج حيالها وقت نزول دم

الحيض ؟ (قل هو أذى) مستقذر مبغوض

(فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن)

أى لا تجامعهن ؛ لأن الأصل في الجماع : إنتاج

الولد ؛ وهن في هذه الحال غير مؤهلات

للحمل . وقد جعل الله التلذذ عند التقاء الرجل

بالمرأة : حرصاً على بقاء الجنس ، واستيفاء

لحاجة الكون من نبي آدم وغيره من الأحياء ؛

والمرأة الحائض تستقذر عادة ؛ فإذا حاول

الرجل إتيانها - وهى على هذه الحال - ربما أبغضها استقذاراً لها ؛ فنهانا الحكيم العليم بعدم قربانها في

الحيض (حتى يطهرن) أى حتى ينقطع الدم ، ويمتنع الأذى ؛ ويفتسلن ؛ فيصرن نظيفات طاهرات مؤهلات

لما أعدهن الله تعالى له . وقد أثبت الطب تحقق الضرر من التقاء الرجل بالمرأة وقت حيضها (فإذا تطهرن

فاتوهن) جامعهن (من حيث أمرهم الله) في الفرج ؛ لافى مكان آخر يكرهونه ويفضبه الله تعالى (نساؤكم

حرث لكم) شبههن الله تعالى بالحرث : لما يلتقى في أرحامهن وينتجن من الولد (أنى شئتم) أى بأى طريقة

أردتم ؛ في المكان المعلوم : موضع الحرث ، لاموضع القرث . وزعم بعض الفساق : أن الله تعالى أباح إتيان

المرأة في دبرها ؛ مستدلاً بقوله تعالى «أنى شئتم» أى في أى موضع أردتم . والمعلوم أن معنى «أنى» أمة : =

لَمْ يَخْبَرْ وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَلَا تَحْزَنْهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَتَكَفَّوْا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ
مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَتَكَفَّوْا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنُ الْبَيِّنَاتِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَاسْأَلُونَا عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى
فَاعْتَزِلُوا الْنِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ
فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاءُ زَكْرٍ حَرَتْ لَكُمْ
فَأَتَوْا حَرَّتْكُمْ أَنْ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرًا مُّلْقًوهُ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

== كيف . فلا تعطى المعنى الفاسد الذى ذهبوا إليه ! ومن المعلوم أيضاً أن الله تعالى أنزل هذا القرآن على مخلوقات تسمع وتفعل وتمي ؛ فإذا ما كان هناك أمر تعاف لإتيانه أخط الحيوانات ؛ فكيف يتوهم حصوله من أفضل المخلوقات ! ولم نسمع أن حماراً أتى أناناً فى دبرها ؛ فكيف نصدق أن إنساناً يستطيع أن يكره امرأته على إتيانها فى غير ما أمر الله تعالى به ؟! فليترك الله من يؤمن بالله ، ولا يدع شيطانه ينزل به إلى درك لم تنزل إليه البهائم التى لاتعقل ! وإن الإنسان ليرى العذرة فى الطريق فيستقذر أن يعيش بقربها ؛ فكيف يذهب بازادته ويندس فى مكانها ووعائها ! أف لمن يفعل ذلك ، أو يحاوله ؛ وله الويل يوم يسأل عنه ويعاقب عليه !

الجزء الثانى

٤٢

عَرَضَ لَأَيُّكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَقُولُوا نَحْنُ نَصِلُكُمْ وَاللَّهُ يَصِلُكُمْ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَأَيُّكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْ نَسَائِمِ رَبِّصُ أَرْبَعَةٍ
أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَرْبِصْنَ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَعْلَمْنَ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَلَمَّا كَانَتْ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَرَيجٍ يَحْسِنُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا
بِمَاءٍ تَأْتِيُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقْبِيا حُدُودَ اللَّهِ

فَإِنْ

ويتطلب رضا. وقد يكون الواقع عكس المحلوف به (لأَيُّكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ) لا يعاقبكم (باللغو فى أيمانكم) وهو مالا يعقد عليه القلب ؛ كقول الإنسان : لا والله ، وبلى والله (يُولُونَ) يقسمون . وبها قرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (تربص) التربص : الانتظار (فاءوا) رجعوا (ثلاثة قروء) ثلاثة حيضات (وبعلتهن) أزواجهن (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) لقد كانت النساء قبل الإسلام مستعبدات ، مملوكات ، مهانات ؛ وكان الرجل يرى أن وجود المرأة معرة ؛ ويعاملها معاملة العبيد - بل أسوأ من معاملة العبيد - وكانت المرأة توهب وتورث كسائر الجمادات والحيوانات ؛ ويزوجها وليها لمن لا تريد ولا ترغب رغم أنفها ؛ شأن جهلة هذا العصر : الذين يضحون ببناتهم على مذبح الأطماع الدنيئة ؛ ابتغاء العرض الزائل . وكان الرجل =

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
 افْتَدَتْ بِهِ ۚ إِنَّكُمْ لَعِنْدَ اللَّهِ فَلَاحُدُودٌ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ
 حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٠﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
 بَحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۚ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
 وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
 النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ
 بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْتِ اللَّهِ هُرُوفًا
 وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَزَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكَذِبِ
 وَالْحِكْمَةِ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ
 شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٢٢٢﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ
 فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَاؤَ بَيْنَهُنَّ

= في الجاهلية إذا مات عن زوجة : جاء ابنه - من غيرها - أو جاء أحد ورثته ؟ فألقى ثوبه عليها وقال :
 ورتت امرأتها كما ورتت ماله . وتصير في حوزته ، ويصير أحق بها من كل الناس - حتى من أهلها
 وأبويها - فإن شاء تزوجها من غير صداق ، وإن شاء زوجها وأخذ صداقها لنفسه . قلنا أشرقت شمس
 الإسلام وبزغ قر السلام : خلصهن من هذا الاستعباد وأقذهن من الدل والاسترقاق ، وأوجب لهن
 على الرجال - مثل ما يجب للرجال عليهن - من حسن العشرة ، وترك المضارة ، والحب ، والإخلاص ،
 والمودة ، والرحمة ! وغير ذلك من الحقوق
 التي تعرف بالبدية ، ويحس بها كل ذى عقل
 وقلب ! وأمر ألا تزوج إلا باذنها ، وعن
 ترخيصه لنفسها . ولاجة لمن قال بعكس ذلك من
 الفقهاء ؟ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
 « لا تنكح الأيم (١) حتى تستأمر » ، ولا تنكح
 البكر حتى تستأذن ؟ واذنها صامتة ، وقد رد
 الرسول الكريم ؛ صلوات الله تعالى وتسلياته
 عليه : تزوج الأب ابنته بغير اذنها ! وقد
 حثنا الدين الحنيف على التلطف بهن والعناية
 بأمرهن !

وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :
 انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى . وأتى عمر
 ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بامرأة تصير
 على فراق زوجها ؛ فنظر إلى الزوج فوجده
 أشعث غير نظيف الثياب ؛ فقال : أدخلوه الحمام
 وألبسوه الأبيض . فلما جرى به نظيف الجسم ،
 نظيف الثياب ؛ قال لها : أقيمى معي ؟ قالت
 نعم . فاصلح بينهما ؛ وقال لمن حضره : تصنعوا
 لهن كما يصنعن لكم . (الطلاق مرات)
 دفتان ، ففترقتان . فلو طلقها ثلاثاً بلفظ واحد :
 لم يقع إلا واحدة (انظر مجت الطلاق بآخر
 الكتاب . وانظره أيضاً مفصلاً في « زاد المعاد »
 لابن قيم الجوزية) (تسريح) تطليق (باحسان)

من غير إحجاف ولا مضارة (ولا يحل لكم) أى حرام عليكم (أن تأخذوا مما آتيتكموه) من مهر وغيره
 (إلا أن يخافا) الزوجان (ألا يقيموا حدود الله) بأن يخشى الزوج أن يسئ معاملتها - لكرهاته لها -
 أو أن تسئ عشرته - لبعضاله - (فان خفتم) أيها الحكماء . قال تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما
 فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » (فلا جناح عليهما) لا لثم ولا حرج (فما افتدت به) نفسها ؛ من =

(١) الأيم : من لا زوج لها ، بكراً كانت أم ثيباً . والمراد بها في الحديث الشريف : الثيب ؛ لمقابلتها
 في الحديث مع البكر .

= رد ما أخذته - إن كانت كارمة له - ولا يجوز للزوج أن يأخذ أكثر مما أعطى؛ إذ هو ظلم بين ، ودليل على خسة الطبع ، وفناء النفس ! وحكمة رد المهر : أنها له كارمة ، ولصحبته مبنضة ؛ وهو في حاجة للزوج بغيرها ؛ فوجب أخذ مادفعه ليمهر به سواها . أما إذا كان هو السكاره لها ، المائل عنها لغيرها ؛ فلا يحل له أصلاً أن يأخذ شيئاً مما آتاها «أناخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً» هذا وقد جاءت جملة بنت ساول - وكانت زوجا لثابت بن قيس - إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقالت له : يا رسول الله إني لا أعتب على ثابت

في دين ولا خلق ؛ ولكنني أخشى الكفر بعد الإسلام ؛ لشدة بغضي له ! فقال لها سيد ولد آدم : أتدين عليه حديثه التي أصدقك ؟ قالت : نعم وزيادة . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : أما الزيادة فلا ؛ ولكن حديثه . فأخذها ثابت وخلق سبيلها . وهذا أول خلق في الإسلام .

وقال بعض الفقهاء بجواز أخذ شيء من مالها . ولا حجة لهم فيه : لقوله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً» واستثنى من ذلك بقوله جل شأنه «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله» ، فإن ختم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به» أي في هذه الحال فقط يحل أخذ بعض المهر أو كله ، في حدود قوله تعالى «مما آتيتوهن» من المهور والمدايا ونحوهما (انظر آية ٢٠ من سورة النساء) «فإن طلقها» للمرة الثالثة (فلا تحل له) مراجعتها (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى تتزوج رجلاً آخر ، ويبنى بها ويدوق عسلتها وتدوق عسلته (فإن طلقها) الزوج الآخر (فلا جناح عليهما) هي والمطلق الأول (أن يتراجعا) بعد انقضاء عدتها من زوجها الآخر بعقد جديد ؛ وذلك (إن طنا) تأكيداً (أن يقيما حدود الله) وأوامره وشرائعه ؛ التي سنّها

الجزء الثاني

٤٤

بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَالْوَالِدَتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَئِنَّ حَوْلَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا يُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا تَنْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٢﴾

ولا

لعباده : من ترك المضارة ، وحسن المعاملة ، وطيب المعاشرة ، وتوافر المودة والرحمة ! «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن» أي قاربن آخر عدتهن (ولا تمسكوهن ضراً) أي مريدن الإضرار بهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه ، وتربيضها للعقاب (نعمة الله) الإسلام ، ونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ! (يعظكم به) أي بالقرآن (فبلغن أجلهن) انقضت عدتهن (تعضلوهن) تمنعهن (أن ينكحن أزواجهن) الذين كانوا قبلكم . أو الذين يتقدمون إليهن ، أو هو خطاب للأولياء . (ذلك) الأمر والنهي المتقدم (يوعظ به) ينمط ويعمل به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) الذي يعاقب فيه العاصي على عصيانه ، ويثاب فيه الطائع على طاعته (ذلكم أزكى لكم) أفضل للمآب وأتمى =

= للثواب (وأظهر) لقلوبكم ونفوسكم (والله يعلم) ما يصلحكم في دنياكم وأخراكم (وأنتم لا تعلمون) لجهلكم وقصور أفهامكم ، وطعمكم في الحطام الزائل الفاني ، ونسيانكم النعيم الدائم الباقي ! (حولين) عامين (وعلى المولود له) أي الوالد ؛ ولم يقل : وعلى الوالد ؛ إشعاراً بأن الوالدات إنما ولدن لهم (بالمعروف) من غير إسراف ولا تقتير (لا تكلف نفس إلا وسعها) أي لا يكلف الوالد بما لا يطيق ؛ بل يتفق النفقة التي يستطيعها « لينفق ذو سعة من سعته » و (لاتضرر والدة بولدها) أي بسبب ولدها ؛ ألا يتفق عليها ، أو يهددها بأخذها منها (ولا) يضار (مولود

له بولده) بأن تطالبه بما لا يستطيع ، أو تترك له ولده - بعد أن ألها واعتاد صحبتها - وما أشبه ذلك . وإضافة الولد إليهما في الموضعين : استعطافاً لهما ، وهزأً لمشاعرهما ! (وعلى الوارث) أي وارث الصبي ، أو وارث الأب (فإن أرادا) أي الأب والأم (فصلا) فطام الصغير (وإن أردتم) أيها الأزواج الآباء (أن تسترضوا أولادكم) أي تسترضعوا لأولادكم مرضع غير الوالدات (إذا سلمتم ما أنتمن) أي ما أردتم إتياءه لهن من الأجرة . وقرئ : « ما أوتيتهن » أي ما آتاكم الله تعالى ، وأقدمكم عليه (ويذرون) يتركون (يتربصن) ينتظرن (أربعة أشهر وعشراً) وهي عدة المتوفى عنها زوجها ؛ ما لم تكن حاملاً ؛ فعديتها أبعد الأجلين : الوضع ، أو الأربعة الأشهر والعشر (فاذا بلغن أجلهن) قضين عدتهن (فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع ؛ فلا يبالغن في التزين ، ولا يفرطن في التبرج (ولاجتاح عليكم) لا حرج ، ولا إثم (فيما عرضتم) لوحتم وأشرتم (به من خطبة النساء) كأن تقول لهما : إنك جميلة ، أو صالحة ، أو من غرضي أن أتزوج . وشبه ذلك مما لا ينكره الذوق ، ولا يعقته الدين (أو

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْوِعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٩﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِمِ قَدَرَهُ وَ عَلَى الْمُتَفَرِّقِ قَدَرَهُ مَتَّعُوا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَصَفِّ مَافَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

أكننتم) أضمرتم (ولكن لاتواعدوهن) على اللقاء (سراً) خفية عن أعين الرقباء ؛ ففي هذا ما فيه من تمكين للشيطان ، الذي يجري مجرى الدم من الإنسان ! وقيل : المراد بالسر : الزنا ، أو هو التعريض بالجماع . والمراد : لا يكون تعريضكم سفهاً وجوراً ؛ فذكر أمثال ذلك - أمام غير الزوجة - فحش ؛ لا يرتكبه إنسان ! (ولا تمنوا) تقصدوا قصداً جازماً (حتى يبلغ الكتاب أجله) باقضاء عدتها (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من سوء وشر (فاحذروه) خافوا عقابه ، ووطنوا أنفسهم على فعل الخير ما استطعتم ؛ وروضوا قلوبكم على عمل الطاعات ، وتجنب المخالفات (لا جناح عليكم) لا حرج (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) تجمعهن (أو تفرضوا لهن فريضة) أي لم تقدروا لهن مهراً (ومتعوهن) أي أعطوهن =

= (علم) بمن هو أحق بالملك ، وأجدر بالرفعة (آية ملكه) علامته (النابوت) وهو صندوق كانت به التوراة ؛ وكان قد رفع من قبل عقوبة لهم (فيه سكينه) طمأنينه لقلوبكم ؛ وهو كتاب الله تعالى «التوراة» وقد جرت عادته جل شأنه أن يبعث طمأنينة وسكينته في كتبه الكريمة ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ؛ وأى طمأنينة وسكينه أعلى وأرقى من حسن الجزاء ومزيد العطاء ، وكرم الرحيم ، ورحمة الكريم ! (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) بعض الألواح التي أنزلت على موسى عليه

الجزء الثاني

٤٨

السلام ، وبها الكثير من الأحكام (فلما فصل طالوت) خرج (مبتليكم) مختبركم (فلما جاوزه) أى جاوز طالوت النهر (قالوا) أى قال الذين خانوا أمر طالوت ، وشربوا من النهر (قال الذين يظنون) يتأكدون (أنهم ملائكة الله) وهم الذين أطاعوا أمره ، وسمعوا قوله ؛ ولم يشربوا من النهر (كم من فئة) جماعة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أى استعدوا لمحاربتهم ، واصطفوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أصيب (ولولا دفع) الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) يؤخذ من هذه الآية : أن الحرب من لوازم الحياة الدنيا ، وأنه بدونها لا يتم العمران : فيها يحفظ التوازن الكوني ، ولا يبقى على ظهر الأرض سوى من يصلح للبقاء ، وللخلافة فيها ؛ اللهم ! إذا أراد الله تعالى لأرضه الفناء ؛ فيشيع الفجور ، وتعم الفوضى ، ويملك الأرض الغاة المتجرون ؛ فيعيثون فيها فساداً ، وفي أهلها إفساداً ؛ ليم الله تعالى أمره ، ويرث الأرض ومن عليها ؛ «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى» .

وحاجة الكون إلى الحرب ؛ كحاجته إلى الأوثية والطواعين ؛ إذ لو ترك العالم بغير حرب ، وبغير وباء ؛ لتكدس الناس فوق

لَايَةً لَّكَرَّ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٧﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَاصْرُنَا عَلَى الْفُرْقَانِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾ فَهَرَمُومُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦٩﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

وإنك

هذه الأرض تكدس الذباب ، وتكاثروا تكاثر الجراد ؛ ولأكل بعضهم بعضاً شأن أحقر الحيوانات وأدناها ! ولكن شتان بين الحروب التي يحتاجها الكون ، والحرب التي يدبرها الآن بعض المخلوقين للبعض الآخر ؛ فإن الأولى يجب أن تكون لدفع ظلم ، أو رد عدوان - وكثيراً ما يقع الظلم ، ويحق العدوان - أما الثانية فهي حروب تدبرها رؤس خوت من العقل ، وقلوب خلت من الرحمة ! ولا سبب لها سوى حب السيطرة ، والسيادة ، والتوسع . هذا وقد تطورت الحروب منذ بدء الخليقة حتى الآن : فقد كانت بادية ذى بدء بالمضى والحجارة ، ثم صارت بالملنى والسيوف ، والقسى والرماح ؛ ثم تطورت إلى البنادق والمدافع ؛ وأخيراً - وليس آخراً - دبر الإنسان لهلاك نفسه ، ومحو حضارته : القنابل الذرية والهيدروجينية ، =

== والكوبالت ، والصوارخ الموجهة ؛ وماشا كل ذلك من وسائل التخريب والهلاك ؛ ليهدم ما بنته الإنسانية في مئات الملايين من السنين ، ويحتاج ما شيدته الفطر السليمة من مدنية وحضارة بتوجيه من موجد الكون ومنشئه تعالى ! ولو استمرأ دعاة السوء والحرب مالم عليه الآن ؛ لحق لنا أن نقول بحق : ان الجنس الإنساني قد أصبح بغير شك أغني من الذباب - وقدهاه الله تعالى النجدين - وأحط من الصرصور - وقد خلقه تعالى في أحسن تقويم - وهذا نهاية الطيش والحق والجنون ! وهو إن دل على شيء ؛ فلا يدل إلا على عقول عفنة ، أتلفها الجشع والطمع ! وقلوب متعجرة ، أفسدتها الأنانية وحب الذات ! وحقا إن أعدى أعداء الإنسان ؛ هو الإنسان نفسه !

٤٩

سورة البقرة

وَأَنكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٦﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا إِنَّمَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

ولو خير العقلاء بين هذه الحروب وتلك الأوباء ؛ لاختاروا الثانية وفضلوها على الأولى وذلك لأن الأولى من صنع خثالة الخلائق ، ووحوش البشرية ؛ والثانية من صنع الحكيم العليم ، العزيز الرحيم ، الذي لا يصدر أعماله إلا بحكمة ، ولا ينفذ قضاءه إلا برحمة ؛ وكل شيء عنده بمقدار !

وترى دعاة الحروب - رغم استعدادهم بتلك القوى الهائلة ، وهذه الأدوات المهلكة - يتميزون بالجن والخور : يخشون المحن ، وعاديات الزمن ؛ تحيط بهم الأطباء من كل جانب ؛ ليحافظوا على نبضهم وضغطهم وحرارتهم فهم دائماً في مرض ونفس ، وهم وتعب ! (انظر آية ٥٠ من سورة طه) ولكن الله ذو فضل على العالمين) فيسخر هؤلاء للحرب : تبعاً لحاجة الكون إلى الحرب ؛ لا تبعاً لحاجاتهم وأطاعهم ؛ تعالى القادر القاهر ، السير المسخر الذي هو بكل شيء عليم ! (تلك الرسل) الذين نقص عليك قصصهم معجزة لنبوتك ، وآية لأمتك (فضلنا بعضهم على بعض) لما ميزناه به عن الآخرين (منهم من كلم الله)

كوسى عليه الصلاة والسلام ؛ وهي مرتبة جلية : اصطفاه الله تعالى لها ، واختصه بها . (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (ورفع بعضهم على بعض درجات) وناهيك برفعة قدر نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يذنبوه في علم ولا كرم !

لم يساووك في علاك وقد حا ل سنا منك دونهم وسنا !

(وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) المعجزات الواضحات ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبصر بإذن الله تعالى (وأيذناه روح القدس) جبريل عليه السلام . وقيل الإنجيل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) زكوا وتصدقوا (مما رزقناكم) به ، وأمرناكم بالإففاق منه (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة ==

== (لا يبيع فيه) أى لامعاملة فيه بين الناس كشأنهم فى الدنيا . أو هو إشارة إلى أن حرصهم فى الدنيا على الربح والكسب ، والبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، واهتمامهم بشئون دنياهم ؛ كل هذا لا يفيد فى الآخرة ؛ التى لا يفيد فيها سوى العمل الصالح ؛ وأين العمل الصالح ؛ وقد قضا أعمارهم فى الحرص على الربح - من أى وجه كان - من ربا ، أو سرقة ، أو كذب ، أو خداع ! (ولا) تنفع فى هذا اليوم (خلة) صداقة أو محبة ؛ وقد كانوا فى الدنيا يتحابون فى الشيطان ، ويتصادقون على المعاصى ! فلامداقة اليوم تنجى من عذاب الله (والكافرون هم الظالمون) أى

الجزء الثالث

٥٠

والتاركون للزكاة «هم الظالمون» بدليل أول الآية «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم» وبديل قوله تعالى «وويل للمسكرين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» وكفرتارك الزكاة لا يحتاج إلى دليل ؛ فقد قاتل الصديق رضى الله تعالى عنه مانعيا ؛ والمؤمن لا تجوز مقاتلته إطلاقا ؛ فيؤخذ من ذلك أن أبا بكر حكم بخروجهم من الإسلام لمنعهم الزكاة ؛ وقد قال : «والله لو منعوني عقال يعير لقاتلتهم عليه» ومن أولى بالاعتداء والاتباع من أبى بكر ؟

وقد سماهم الله تعالى فى هذه الآية بالكافرين وفى آية أخرى بالمسكرين ، وهذه التسمية بهم أول وأيق ! (انظر الآيات ٧ و ٦ من سورة فصلت ، وآية ١٤١ من سورة الأنعام) . (الله لا إله إلا هو الحى) الذى لا يموت أبدا (القيوم) القائم بتدبير الخلق وحفظه ؛ والقائم بذاته : الذى لا يقوم غيره إلا به ! وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن «الحى القيوم» هو الإسم الأعظم ؛ الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ! (لأناخذ سنة) ناس وهو ما تقدم النوم من القنور (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) أى لا يشفع أحد عنده تعالى إلا إذا أذن له بالشفاعة ورضى قوله

وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٥٠﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّكَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ أَنَّمَا إِنَّهُ آلَ اللَّهِ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ أَلَّذِى يُبْحِى وَيُمْيْتُ قَالَ أَنَا أَخِيه وَأُمِّيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَبِمِى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَرِهْتَ

قَالَ

«يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا» قال شفيعنا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام «يجمع الله تعالى الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا عند ربنا فيرحنا بما نحن فيه ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؛ فاشفع لنا عند ربنا . فيقول : لست هناك لست لي هذه المرتبة ؛ ويذكر خطيئته - أكله من الشجرة - ويقول : اثنا نوحا ؛ أول رسول بعثه الله تعالى . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويذكر خطيئته - دعوته على قومه - ويقول : اثنا إبراهيم ؛ الذى اتخذ الله خليلا . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويذكر خطيئته - كذباته الثلاث التى مرض بها - ويقول : اثنا موسى ؛ الذى كله الله تعالى . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويذكر خطيئته =

== قتله القبطى - ويقول : اثنوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هناكم ؛ اثنوا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فيأتونى فأستأذن على ربي ، فاذا رأيته وقت ساجداً ؛ فيدعى ما شاء ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ! فأرفع رأسى فأحمد ربي بتحميد يعلمنيهِ ؛ ثم أشفع فيحد لى حداً ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ؛ ثم أعود فأقع ساجداً مثله - فى الثالثة أو الرابعة - حتى مايبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى أوجب عليه الخلود» (انظر آية ٩٣ من

سورة النساء) (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما سيعملونه ، وما عملوه (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء) أن يعلمهم إياه (وسع كرسيه) أى وسع علمه (السماوات والأرض) وما فيها (ولا يؤوده) لا يشق عليه تعالى ولا يتعبه (حفظها) بهذا النظام العجيب ، والتدبير البديع « لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى ذلك يسبحون » « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون » (لا إكراه فى الدين) يؤخذ من هذه الآية الكريمة : حرية الاعتقاد ؛ ليكون الدين قرين البحث الفكرى ، والافتتاح العقلى ؛ وذلك لأنه (قد تبين) مما سقناه من المعجزات ، وأوردناه من الآيات (الرشد) الصواب ؛ وهو الإيمان (من النقيض) الضلال ؛ وهو الكفر (فمن يكفر بالطاغوت) الطاغوت : الشيطان ، أو الأصنام ، أو هو كل رأس فى الضلال . وهو مشتق من الطفيان (فقد استمسك بالعروة الوثقى) الحبل المحكم الوثيق (لا انقسام لها) أى لا انقطاع لهذه العروة التى وثقها الله تعالى بالحق ، وقواها بالإيمان (الله ولى الذين آمنوا) ناصرهم ومعينهم ، ومتولى أمورهم وكافيتهم ! ولا تكون ولاية الله تعالى إلا

للمؤمنين الصادقين « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » والإيمان سابق على ولاية الله تعالى ؛ فلو لم يؤمن الإنسان : لكان وليه الشيطان ! (مخرجهم) مولاهم (من الظلمات) الكفر والجهل (إلى النور) الإيمان والعلم . (انظر آية ١٧ من هذه السورة) (والذين كفروا أولياؤهم) نصرأؤهم وأصدقاؤهم (مخرجونهم من النور) الإيمان والعلم (إلى الظلمات) الكفر والجهل . جلنا الله تعالى من المؤمنين الجديرين بولايته وحمايته ، وأخرجنا من ظلمات الكفر والجهل ، إلى نور الإيمان والعلم ! (ألم ترأى الذى حاج) جادل (إبراهيم فى ربه) أى فى حقيقة وجوده وربوبيته (أن آتاه الله الملك) أى غره ما هو فيه من ملك وسلطان ؛ فجادل إبراهيم فى ربه ؛ وقد فات أن السلطان الذى هو فيه ، والملك الذى أوتيهِ ؛ من لدن ==

قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةً عَامٍ
فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَأَبْنَسَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِرَاكِ
وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مِّثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَقُلِّ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ
سَبِيلَةٍ مِّائَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

= ذى الجلال والاكرام ؛ الذى يؤتى فضله من يشاء - منحة أو منحة - ليقم بذلك الدليل على وجوده ، والبرهان على وحدانيته (لذا قال إبراهيم) لعدو الله نمرود (ربى الذى يحيى ويميت) أى يخلق الحياة والموت (قال) نمرود (أنا) أيضا (أحيى وأميت) مثلما يحيى ربك ويميت (قال إبراهيم) فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ان استطعت . وهنا أسقط فى يد الكافر الحاسر ؛ وقامت عليه الحجة القاطعة الدامغة (فبنت الذى كفر) دهش وتعجب ، ولم يحرج جوابا ! وذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألهمه موله أن يسلك مع عدو الله أسلوباً قاطعاً لكل جدل ، دافعاً لكل حجة : لقد قال الكافر لإبراهيم - جواباً على تقريره بأن الله تعالى يحيى ويميت - « أنا أحيى وأميت » فلو قال إبراهيم : كيف يحيى وكيف تميت ؟ وقد اقرده الله تعالى بهما دون سائر الخلائق ؟ ! لأحضر عدو الله إنساناً مقضياً بمسوته فأطلقه ، وإنساناً بريئاً فأماته ؛ وكان لإبراهيم على ذلك رد آخر : وهو أنت الله تعالى يحيى ابتداء ويميت بغير أداة ؛ ولانسمت بينهما رقعة الجدال ؛ ولكن الله تعالى ألهمه المدول عن مجاراته فى هذه المهارات ، والتضييق عليه بالحجة التى لا تقبل التأويل ، ولا تحتل الجدل ، ولا تنسج للمعاورة والمداورة ؛ فقال له : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق » فان كنت لها كاتزعم « فأت بها من المغرب » وأنى لعدو الله أن يتعرض للملك الله بتغيير ، أو لنظامه بتبديل ؟! (أو كالذى مر على قرية) وهو عزيز : أحد أنبياء بنى إسرائيل (انظر آية ٣٠ من سورة التوبة) (وهي غارة على عروشها) أى ساقطة على سقوفها ؛ وهي بيت القدس ؛ وقد خربها بختنصر ، وقتل أهلها ومن فيها (قال) عزيز فى نفسه (أتى يحيى) كيف يحيى ؟ (هذه) القرية ؛ أى أهلها (الله بعد موتها) خرابها

الجزء الثالث

٥٢

عَلَيْهِمْ وَلَا تُمْحِزُونَ ﴿٣١﴾ * قَوْلَ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَّبْنِيهَا أَدَّى وَاللَّهُ غَفِيءٌ حَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْغُلُوا صَدَقَتَكُمْ ؕ إِلَٰلَٰهُنَّ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَنَسَاءً وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ فَيَذَرُكُمْ كَنِفَلٍ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ رَبَّابٌ فَاصْبِرْ ۚ وَإِلَّٰهُ فَتَرَكُمْ صِلَاتًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَلِيُقْبِلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَثِيلًا جَنَّةً يَرَوْنَ أَصَابَهَا وَإِبِلَ فَتَاتَتْ أَكْثَلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّرِ يُصْبِحَ وَإِبِلَ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٤﴾ أَبَدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا مِغْصَارُ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ

لَمَّا كَرَّ

وهلاك أهلها (فأما الله مائة عام) أنامه ؛ كما أنام أصحاب الكهف نيف وثلاثمائة عام (ثم بعثه) أيقظه كما أيقظهم . وقد يكون المراد بالإماتة : الموت الحقيق ؛ الذى هو سلب الروح من الجسد - سلباً كلياً - ليكون لإحيائه دليلاً على إحياء أمثاله ممن مات من أهل هذه القرية (لم يتسنه) لم يتغير (وانظر إلى حمارك) كيف صار رمياً ؛ وهذا يدل على طول المكث ، وأنه لبث مائة عام ؛ لا « يوماً أو بعض يوم » كما توهم . وقد أراه الله تعالى - فى نفسه - كيف يقوم الإنسان بعد الإحياء عند بعثه ، وأراه - فى حماره - كيف يجمع العظم التفتت ، وكيف يركب بعضه فوق بعض ! (وانظر إلى العظام كيف نفقروها) نركب بعضها على بعض (انظر آية ٢٠ من سورة الكهف) (ولذا قال إبراهيم رب أرنى كيف يحيى الموتى) قد بطن طان =

= من هذه القالة - أن إبراهيم عليه السلام كان شاكاً في البعث ، أو كان مرتاباً في قدرة ربه تعالى - وهو صفيه وخليله ومصطفاه - ولا يجوز بحال نسبة الشك ، أو الارتياب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ خصوصاً في أهم المقندات التي يتوقف عليها صحة الإيمان : كالبعث والاحياء . وأماننا الكهرباء واللاسلكي وأمثالها ؛ فإما من أحد إلا ويؤمن بهما إيماناً يقيناً وهو لا يعرف كيفيتهما أو كنهيهما ؛ ويود لو توصل إلى عرفاتهما . ولا يقال : إنه يطلبه هذه المعرفة شك فيها ، غير مؤمن بوجودهما (فصرهن) اضممن

(ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا) قيل : إنه أخذ أربعة أصناف من الطيور ؛ فذبحها وخلط بين لحمها وعظمها ودمها وريشها ، وجعل على كل جبل جزءاً منها ؛ ثم نادى : تعالين ياخذن الله ؛ فصار كل جزء منهن يتضام إلى الآخر ويتناسك ، وجئن إليه طائرات كما كن ! (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) ابتغاء مرضاته ونوابه (كمثل حبة) من قمح ؛ زرعت في الأرض فـ (أبنت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وهذا العدد أصناف ما تنتجه أخصب الأراضي وأحسنها (والله يضاعف) ينمي ويزيد في الحسنات (لمن يشاء) أكثر من السبعائة ضعف المذكورة : «سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» فقد يجعل الكريم الحليم ، الدود الرحيم ؛ من كل حبة من هذه السبعائة : سبعائة أخرى ؛ فتكون أربعائة وتسعين ألفاً - كما يفعل الزارع التري الغني - ويضاعفها تعالى أيضاً إن شاء ؛ وذلك معنى قوله تعالى : «فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» ولا حرج على فضله تعالى : (انظر آية ١١٧ من سورة آل عمران) (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) ابتغاء ثوابه ومرضاته (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها) لأن : أن يعتد الإنسان ويفخر على من أحسن إليه باحسانه (ولا أذى)

ينالون به المنفق عليه ؛ بأن يسخروه في المشاق ، ويؤذوه بالشم والسب ؛ أولئك المنفقين الذين لا يمنون ولا يؤذون (لهم أجرهم عند ربهم) وناهيك بأجر الكريم العظيم ! وفي هذا ما فيه من عظم الأجر ، ومزيد الثواب «وما عند الله خير للأبرار» (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) أي إنك إن تلين لأخيك القول ، وتغفر له ذلته ، وتغفر عن سيئاته ؛ خير - عند الله - من أن تتصدق عليه صدقة تتبعها بالبن والأذى ! (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى) أي لا تذهبوا ثواب صدقاتكم بأن تتنخوا بها على الفقراء ، وتقابلوهم بالسخرية والاستهزاء ، وتؤذوهم بالقول أو بالفعل ؛ بسبب حاجتهم إليكم ، ولا تجعلوا إضاعفكم (كالذي ينفق ماله رياء الناس) أي مرأاة لهم وتفاخراً ؛ يقال : هو كريم =

لَمَلِكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَمْتَرْنَا عَلَيْكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْغَلَبَةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاجِلِيهِ إِلَّا أَنْ
تُقِيمُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿٢٢٧﴾ الشَّيْطَانُ
يَعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ وَيَبْسُرُكُمْ بِالْمُخَشَاةِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٢٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٣٠﴾ إِنْ تَبَدَّلُوا
الْصَّدَقَاتِ فَيَعْمَأُوذُوا وَإِنْ تَحَقَّرُوا فَتُؤْتَاهُمُ الْفُقَرَاءُ فَهُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَعْيَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٣١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبَدَّلُوا
مِنْ بَيْنَائِهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِكْهُ عَنْكُمْ وَاللَّهُ

= جواد . وما أكثر هؤلاء في عصرنا هذا ! (فتله) أى مثل المنفق رياه (كمثل صفوان) حجر أملس (عليه تراب فأصابه وابل) مطر غزير (فتركه صلباً) أملس لم يعلق به شيء ؛ فكذلك من يرأى بعبادته وإقامته ؛ فان رياه يذهب ثواب عمله ، ولا يبقى له أجر ؛ كما يذهب المطر ما على الحجر الصلب الأملس من التراب (لا يقدر على شيء مما كسبوا) أى لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا ؛ لأنهم أنفقوه رياه ؛ وابتغاء الفخر ، لا ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاه . هذا مثلهم (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أى طلباً لرضائه (وتثبيتاً من أنفسهم) أى

الجزء الثالث

٥٤

مشتبهين مستيقنين بحسن جزائه ، ومزيد نوابه ! (كمثل جنة) بستان (بربوة) مكان مرتفع (أصابها وابل) مطر شديد (فأثت أكلها) أثبتت ثمرها (ضعفين) أى مثلى ما يثمر غيرها (فان لم يصبها وابل فطل) مطر قليل ؛ وهو الرذاذ ، أو الندى . أى ان المنفقين ابتغاء وجه الله تعالى : يتضاعف لهم ثواب أعمالهم ، ويميزون عنها الجزاء الأوفى ؛ وذلك بعكس المرائى الذى يعى ثواب عمله (أيود أحدهم) استفهام للانكار (أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب) ذكر الله تعالى النخيل والأعناب في غير موضع من كتابه الجليل ؛ وذلك لفتاً لأظار ذوى الاعتبار إلى ما يحتويه الصنفان من فوائد تجل عن الحصر : فن فوائد التمر أنه يقوى الكبد والرتان والخلق ، وزيد في الباه مع الصنوبر ، وأكله على الريق : قاتل لديدان المعدة ، وهو من أكثر التمار تغذية للبدن ؛ ويعتبر التمر غذاء ، ودواء ، وفاكهة . أما العنب فهو من أجل الفواكه وأكثرها نفعا ؛ وهو يسهل ويسمن ، ويقوى القلب والرتان ، ويقطع الباهم (وأصابه الكبر) ضعف عن السعى والكسب ، واحتاج إلى الدعة والراحة (وله ذرية ضعفاء) أبناء صفار ضعاف ؛

لَا أَبْتَغَاءَ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُونَ مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَقْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ النَّعْفِ يَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْقُونَ النَّاسَ إِلَّا قِافًا وَمَا تَنْفِقُونَ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْرَءُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ إِلَيْهِ يَخِطُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَاسَلَفٌ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

لَا يُحِبُّ

لا يقدر على السعى والكسب (فأصابها) أى أصاب جنته ؛ الذى أصبح هو وذريته في سبيل الحاجة إلى ثمارها (إعصار) ريح شديدة مهلكة (فيه نار) أى في هذا الإعصار نار (فاحترقت) جنته بما فيها من نبات وثمار !

وهذا تمثيل لذهاب ثواب المرائى يوم القيامة ؛ وهو أشد ما يكون احتياجاً إلى قليل الثواب ! (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أى من أحسن ما عندكم وأنفسه (وما أخرجنا لكم من الأرض) من سائر صنوف النبات والفاكهة (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) أى لا تصدقوا أردأ ما عندكم فتجودوا به ؛ يؤيده قوله تعالى «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (ولستم بأخذيه) أى لو قدم لكم =

لَا يَجِبُ كُلُّ كَفَّارٍ أَحَدٌ ﴿٢٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ
وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٢٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ
وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ
كَاتِبٌ بِالْقَدْرِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَمَرَّقِ اللَّهُ رُءُوسَ

ما تقدمونه من الحديث ؛ لتأخذوه في حق من حقوقكم ؛ ما قبلتموه لفساده ورداءته (إلا أن تمضوا فيه)
أى إلا أن تضوا أضراركم عن خبثه ورداءته ؛ فكيف تقدمون لله ما لا ترضونه لأنفسكم ! أتجهلون الله
ما تكرهون ؟ ! والاعراض : غض البصر . وهو كناية عن المساحة (واعلموا أن الله غنى) عنكم وعن
إففاقكم ؛ ولكنه تعالى يمنح بهذه الأوامر قلوبكم (حميد) محمود ، وأهل لكل حمد . أو «حميد» يحمده
أفعالكم الحسنة ؛ فيجازيكم عليها (الشیطان يعدكم الفقر) أى يخيل إليكم بوسوسته أن الإففاق يذهب بآمالك ،
ويفضى إلى سوء حالكم ؛ ولكن الله تعالى
(يعدكم مغفرة منه) لذنوبكم (وفضلا) يختصكم به
في الدنيا (والله واسع) موسع عليكم جزاء
إففاقكم ؛ ألا ترون إلى قوله جل شأنه :
«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل
حبة أبنت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة»
وقوله عز وعلا «وما أنفقتم من شيء فهو
يخلفه وهو خير الرازقين» وقد وعد تعالى
مغفرة ذنوبكم : جزاء حسناتكم «إن الحسنات
يذهبن السيئات» (عليه) بالمتقين فيكافئهم ،
وبالمسكين فيعاقبهم ! (يؤتى الحكمة من
يشاء) والحكمة : العلم النافع ، الموصل لحقيرى
الدنيا والآخرة (ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا) ومن الحكمة : أن يعلم الإنسان
أن الله تعالى صادق الوعد ، وأن ما يبذله في
سبيله سيؤتيه مكانه أضعاافا مضاعفة في الدنيا ،
وثوابا عظيما ومغفرة ورضوانا في الآخرة
(وما يذكر) تذكر (إلا أولوا الألباب)
ذووا العقول (وما للظالمين) الأغنياء ؛ الذين
ظلموا الفقراء بحبس حقوقهم عنهم ، ومنع
إيصال الصدقات إليهم ؛ فهؤلاء ما لهم (من
أنصار) ينصرونهم من الله تعالى ، ويمنعون
عنهم عذابه يوم القيامة . أو المراد : أنهم
ليس لهم أنصار في الدنيا ؛ لكرهاة الناس لهم ،
وبغضهم لإيائهم (انظر الآيات ١٤١ من سورة

الأنعام ، ٦٥ و٦٦ من سورة فصلت) (إن تبدوا الصدقات) وتوزعوها أمام الناس عيانا (فعما هي) فنعمة
شيئا هي ؛ لأن إبداءها يحجز الهمم على التقليد لكم ، والاختداء بكم (وان تخفوها) عن الناس ، وتسترها
عند إعطائها (فهو خير لكم) لأن فيه جبر خواطر الفقراء ، وعدم إذلالهم ! والأفضل أن يبدى الزكاة
المفروضة للاختداء ، ويخفى الصدقة حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه ! (ويكفر) ينجو (ليس عليكم) يا محمد
(هدام) أى لا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ فإست ملزما بهديتهم ؛ إنما عليك الإنذار والبلاغ المبين
«من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها» (وما تنفقوا من خير فلا تنفسم) أى فتوايه
وأجره عائد عليكم (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) جزاؤه في الدنيا بالستر ، وفي الآخرة بالأجر . =

== (للقراء الذين أحصروا) منعوا بسبب الجهاد عن التكسب ، وعن السير في منابها (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أي لا يستطيعون سفراً للتجارة والكسب (بحسبهم الجاهل) مجاهلهم (أغنياء من التعفف) وذلك لإبائهم السؤال ، وبجائنتهم التملق والتزلف (تعرفهم بسيماهم) بما يلوح عليهم من انكشاف البال ، ورتانة الحال (لا يسألون الناس إلحافاً) إلحافاً (الذين يأكلون الربا) أي يأخذونه ويستحلونه . والربا : الزيادة . هذا وقد فشا الربا في مجتمعنا هذا فشواً شنيعاً ذريعاً ؛ ينذر بضياح الثروة ، وعو البركة ، وسقوط المحبة ، وانعدام التعاطف والتراحم بين الناس . وآكلوا الربا (لا يقومون) يوم القيامة . أو «لا يقومون» في الدنيا (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) وهو المصروع (من المس) الجنون . وهذا مشاهد فيهم في الدنيا ؛ إذ هم - رغم وفرة أموالهم ، ومزید ثرائهم - لا يزالون في هم دائم ، وفكر مقيم ! وقد حرمهم الله تعالى اللذائذ - رغم توافر أسبابها - ومن النعم - رغم وجود مقوماتها - فتجدهم يأكلون أطيب الطعام ؛ وكأنما يتناولون السم الزعاف ، ويتداولون النفود ، وكأنما يتداولون الصخور والأحجار ، وينامون على الحرر ، وكأنما يتقلبون على الجمر ! فحياتهم دائماً ظاهرها النعم ، وباطنها العذاب الأليم ! ويظن كثير من الناس أن إثم الربا يقع على آكله دون موكله ؛ وأن موكله لا نص يوجب تأنيبه ؛ وهو ظن فاسد ، ووهم باطل ؛ فالدليل قائم على اشتراك الموكل مع الآكل في الجرم والإثم ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لمن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) ذلك قولهم عند نزول هذه الآيات البينات ، القاطعات الدلالة ؛ وقد خلف من بعدهم خلف قالوا قائلهم ، وساروا على نهجهم واتبعوا طريقتهم ؛ وهانحن أولاء وقد فشا بيننا الربا فشواً يؤذن بالتمسك ، وينذر بسوء المصير ! وهامو تاريخ

٥٦

الحكمة الثالث

وَلَا يَبْتَخِشُ مِنْهُ شَيْعًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ إِلَيْهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَبْ يَأْتِي الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ يَكْفُرَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِنَّ أَجْلَهُ ذَكَرَ أَقْصَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَرَّةٍ حَاضِرَةٍ تُدِيرُهَا يُدِيرُهَا فَيَنْكِرَ فَيَلْسَنَ عَلَيْكُمْ جَنَاحُ الْأَنْكَبُوتِ وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأْتُمُ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَمَا لَهُمْ شُوقٌ بِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي الْوَقْدَ مِنْ أَمْنٍ

وَلَمْ يَكُنْ

الكفر يعيد نفسه ؛ فاذا بالمعاملات جميعها وقد صار الربا جزءاً منها متمماً لها ؛ وبالنسبة للمعاملين به يقولون بتصرعه ؛ كمن يتعاطى الحر ويرتكب الزنا ؛ عالماً بتصرعها ، كرهاً لها ؛ ولكنهم يتعاملون الربا ، ويقولون كما قال آباء لهم من قبل : «إنما البيع مثل الربا» (وأحل الله البيع) لأنه عن تراض . كما أن الزيادة في ثمن المبيع بسبب تأخير دفع الثمن ؛ لا غبار عليها ، وهي مما أحل الله (وحرم الربا) لأنه ظلم وغصب . ولو أنه يخفى دائماً مظهر الرضا في كثير من الأحيان - ومن عجب أن قام أناس من العلماء ، يحلون ذلك الوباء ؛ فانا لله ولانا إليه راجعون أ (فن جاءه موعظة من ربه) تنهيه إلى سواء السبيل ، وتحول بينه وبين هذا الداء الويل (فانتهى) فامتنع عن أكل الربا ، ورجع إلى الله تعالى (فله ما سلف) ==

== ما مضى من أمره قبل مجيء الموعظة ، ولا يعاقبه الله تعالى عليه ؛ بشرط أن يرد ما أخذه لأربابه ؛ لأنه ظلم . والظلم قرين الكفر ! قال تعالى « وان تبتم فلکم رؤس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (وأمره إلى الله) إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه (ومن عاد) إلى أكل الربا ؛ بعد استماع الموعظة (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وأولئك الذين أعلن الله تعالى ورسوله الحرب عليهم : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (عحق الله الربا) يبطله ويذهب ببركته (ويربى الصدقات) يزيد وينمى المال الذى أخرجت منه الزكاة ! فاجب لمال يزيد : فينقصه الله ويمحقه ، ولمال ينقص فيزيده الله تعالى ويباركه !

٥٧

سورة البقرة

وَلَيْتَنِي اللَّهُ رَبِّهِ ۖ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فَأِنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ اللَّهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَرُسُلُهُ لَا تَقْرَفُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا نَحْمَدُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٣٠﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
سَبِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا مِمَّا حَمَلْتُمْ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

هذا فضلا عن زيادة ثواب الزكاة والصدقة « والله يضاعف لمن يشاء » (والله لا يحب كل كفار) شديد الكفر (أنيم) كثير الإثم (وذروا) اتركوا (ما بقى من الربا) لكم عند مدنيكم (فان لم تفعلوا) ذلك ، وطالبتم بما استحق لكم من الربا ؛ بعد ما علمتم حرمة وشؤمه (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الويل كل الويل لمن سمع هذا الإنذار ولم يرتع ولم يتب ؛ بل انتحل الأعذار التي لا يستسيغها بعض المخلوقات ، فضلا عن مبدع الكائنات ! والإيدان : الاعلام (وان كان) المدين (ذو عسرة) لا يستطيع دفع ما عليه في موعده (فنطرة) مهلة وانتظار (إلى ميسرة) أى إلى أن يتيسر للمدين دفع دينه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من أنظر معسرا أو وضع عنه : أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » (وأن تصدقوا) تصدقوا على المعسر بالترك ، أو الإبراء ، أوحط جزء من الدين (خير لكم إن كنتم تعلمون) ما أعدده الله تعالى من الأجر للمتصدق (ثم توفى) تجازى (كل نفس ما كسبت)

جزاء ما عملت من خير أو شر (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى) إلى أجل معلوم ؛ وهذا غير ما يعطى على سبيل المعونة (فاكتبوه) ليتذكر الدائن ما له ، والمدين ما عليه .

أنظر أيها المؤمن كيف يعلمنا الله تعالى النظام والكتابة ؛ ليحل الوثام مكان الحصاص ، والوفاق مكان الشقاق ؛ فله تعالى الحمد والمنة ، والشكر والنعمة ! (وليلل الذى عليه الحق) لأنه هو المدين ، وهو الذى يعلم مبلغ يساره ووقته (وليتق) المدين الممل (الله ربه) أو «وليتق» الكاتب (ولا يخس) لا ينقص (منه شيئا) أى من الدين (فان كان الذى عليه الحق) المدين (سفيها) لا يحسن التصرف (أو ضعيفا) عن الإملاء ؛ لمرض ، أو كبر (أو لا يستطيع أن يمل) لحرس ، أو عى ونحوهما (فليلل وليه) متولى =

== أمره ؛ كوالده ، أو ولده ، أو وصي ، أو قيم (أن تضل) أى خشية أن 'نفسى' (إحداهما) إحدى الرايتين (فتذكر إحداهما الأخرى) بما نسبته (ولا ياب) لا يمتنع (الشهادة إذا ما دعوا) للشهادة (ولا تسأموا) لا تعلوا (أن تكتبوه) أى الدين (صغيراً) كان (أو كبيراً إلى أجله) مدته ، وموعد أدائه (ذلك أقط) أعدل (وأدنى ألا تترابوا) أقرب ألا تشكوا في مقدار الدين وأجله (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) بالنسليم وتسلم الثمن (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) إذ لا فائدة

الحسنة الصالحات

٥٨

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَكِّيَّةٌ
وَبِأَيَّهَا ٢٠٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ
الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾
هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

من الكتابة ؛ فقد تم تسليم البضاعة ، وتم دفع ثمنها (ولا يضار كاتب) بسبب كتابته (ولا شهيد) بسبب شهادته ؛ ما دام قد قاما بما أمر الله به من العدل والاستقامة (وان تعلوا) ما نهيت عنه ، وألغتم الضرر بين كتب ، أو شهد (فانه فسوق بكم) خروج عن الطاعة (واتقوا الله) خافوه ، واخشوا عقابه (ويعلمكم الله) ما لم تكونوا تعلمون ؛ بسبب خشيتكم وتقواكم (ولا تكتبوا الشهادة) أى أدوها على وجهها الأكل ؛ لترد الحقوق إلى أربابها ، والمظالم إلى أصحابها (ومن يكتبها فانه آثم قلبه) إسناد الائم إلى القلب - مع أنه سيد الأعضاء والمضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله - دلالة على أن كتم الشهادة من أكبر الآثام ؛ إذ أن إثم القلب ليس كإثم سائر الجوارح (ولأن تبدوا ما في أنفسكم) فيعلمه الناس عنكم (أو تخفوه) عن الناس ؛ فان الله تعالى يعلمه (آمن الرسول بما أنزل إليه) من القرآن (والمؤمنون آمنوا أيضاً به) (كل) من الرسول والمؤمنين (آمن بالله وملائكته) أى وآمن بوجود ملائكة الله تعالى المكرمين (وكتبه) أى وكل آمن بسائر الكتب المنزلة على رسل الله وأنبيائه السابقين (ورسله) أى وآمن برسله عليهم السلام ؛ الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم (لا تفرق)

أى يقول الرسول والمؤمنون: «لا تفرق» (بين أحد من رسله) فتؤمن ببعض ، وتكفر ببعض (وقالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا) لذنبونا (وإليك المصير) فاعف عنا واغفر لنا (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) طاقتها (لها ما كسبت) من الثواب (وعليها ما اكتسبت) من العقاب (ربنا لا تؤاخذنا) بذنوبنا (إت نسينا) ان فعلناها ناسين (أو أخطأنا) أو فعلناها مخطئين ، غير عادين . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) أى لا تكلفنا أمراً يشغل علينا حمله وأداؤه . والإصر : العبء الثقيل (كما حملته على الذين من قبلنا) كبنى إسرائيل ؛ حين شددوا فشدد الله تعالى عليهم ، وحرّم عليهم طيبات أحلت لهم (ربنا ولا تجعلنا

= ملا طاقة لنا به) أى لا تحملنا ما يصعب علينا القيام به . وليس معناه : لا تحملنا ملا قدرة لنا على احتماله لأن ملا قدرة عليه ؛ لا يدخل في باب التكليف «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (أنت مولانا) سيدنا ومتولى أمورنا !

(سورة آل عمران)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٥٩

سورة آل عمران

(الم) (أنظر آية ١ من سورة البقرة)

(الله لا إله إلا هو المحى القيوم) القام بتدبير الخلق وحفظه . عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها أنه الإسـم الأعظم (نزل عليك الكتاب) القرآن (مصدقاً لما بين يديه) ماقبله من الكتب: كالأنجيل والإنجيل (وأُنزل التوراة) على موسى (والإنجيل) على عيسى (من قبل) أى من قبل محمى إمام الرسل عليه الصلاة والسلام (وأُنزل الفرقان) القرآن الكريم ؛ ويطلق «الفرقان» على سائر الكتب المنزلة ؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) ذكراناً وإناثاً أيضاً وسوداً ، حسناً وقبحاً (منه آيات محكمات) قطعية الدلالة ؛ لا تحتمل اشتباهاً ، ولاناً ولا (من أم الكتاب) أى أصله ، تحمل التشابهات عليها ، وترد إليها (وأخر) أى وآيات أخر (متشابهات) محتملات التأويل ، لها معان متشابهة . وقد ذهب قوم - عفا الله تعالى عنهم - إلى أن القرآن كله محكم ، لقوله تعالى «كتاب أحكمت آياته» وذهب آخرون إلى أنه كله متشابه ؛ لقوله جل شأنه «كتاباً متشابهاً» وليس هذا من معنى الآية فى شيء ؛ إذ أن معنى قوله تعالى «أحكمت آياته» أى فى حسن النظم ، وقوة التعبير ، وأنه

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخَرُ مَتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ فِي الْعِلْمِ بِقُولِهِمْ عَلِيمٌ ۖ فَمَنْ يَدْعُ كُلَّ مَنٍ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْكِتَابِ ۖ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِوَادَ ۖ إِنْ أَتَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَن تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ ۖ كَذَابٍ ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِن سَعَتُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۖ قَدْ كَانَ لِكُرْءَايَةِ فِي فِتْنَتَيْنِ النَّفَقَةُ فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ

حق من عند الله . ومعنى «متشابهات» : أى يشبه بعضه بعضاً ، ويصدق بعضه بعضاً (أولوا الألباب) ذوا العقول (ربنا لا تزغ) لا تمل (قلوبنا) عن الحق (بعد إذ هديتنا) إلى الإيمان (ليوم لا ريب) لا شك (فيه) وهو يوم القيامة (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه لهم ، واتقاهم منهم (كذاب) كشان وعادة (آل فرعون) أى فرعون وقومه (والذين من قبلهم) من الأمم الكافرة المعاندة ؛ كعاد وثمود (كذبوا بآياتنا) التى أنزلناها على رسلنا (فأخذهم الله بذنوبهم) جازاهم بها ، وعاقبهم عليها . يقال : أخذته بكذا : أى جازته عليه (قل) يا محمد (للذين كفروا سعتلون) يوم بدر (وتحشرون) تجمعون يوم القيامة (إلى جهنم وبئس المهاد) الفراش (قد كان لكم آية) برهان وعبرة =

== (في اثنين) فرقتين وجماعتين (التقيا) للقتال يوم بدر (ثمة) مؤمنة (تقاتل في سبيل الله) أى في سبيل نصرة دينه ، واعلاء كلمته (وأخرى) أى وقفة أخرى (كافرة) تحاول إطفاء جذوة الإيمان (برونهم مثلهم) أى يرى الكفار المؤمنين ضعفي عددهم ، فتتخلف قلوبهم ، أو يرى المؤمنون الكفار ضعف عددهم - مع أنهم يزهدون عن الضعف زيادة كبيرة - فتقوى بذلك قلوبهم ؟ وقد وعدهم الله تعالى بالنصر والغلبة : «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» (انظر الآيات ٤١ وما بعدها من سورة الأنفال) (إن في

الجزء الثالث

٦٠

ذلك) الحقد الذي بدا على أعين القوم ؛ والذي تسبب في نصرة المؤمنين ، وخذلان الكافرين (لعيرة) لطفة (لأولى الأبصار) لدوى البصائر (زين للناس) حب للناس ، وزين الشيطان لهم (حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) والاستكثار من كل ذلك : يحبون النساء للشهوة ؛ لا لابتغاء الولد الصالح ، ويحبون البنين للطفان والكرمة ؛ لا للمادة والقربى ، ويحبون الذهب والفضة للجمع والكنز ؛ لا للبذل والتصدق (والخيل المسومة) الحسان المطعمة ؛ يحبونها للفض والريفة ؛ لا للجهاد في سبيل الله (والأنعام) وهي الماشية التي ترعى ؛ وأكثر ما تطلق على الإبل (والحرث) الزرع (ذلك) كله (متاع الحياة الدنيا) يأخذ الإنسان على تصرفه فيها ، والقيام بحقوقها (والله عنده حسن المآب) حسن المرجع ؛ فمن شاء عمل لذلك ؛ ولم تفره مفاتيح الدنيا ومتاعها الزائل (قل أؤنبشكم بخير من ذلكم) المتاع المذكور: الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير من الذهب والفضة ، والخيل الفارحة ، والزرع والضرع ؛ بخير من ذلك كله : ما أعده الله تعالى للمتقين (الذين اتقوا عند ربهم جنات) فأين الشهوات الزائلات ، والأموال الفانيات ؛ من الجنات العاليات ،

اللَّهُ وَأَخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَتَهُ مَنْ يَشَأْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٧﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ جَنَّةُ حَسَنٍ الْمَغَابِ ﴿٥٨﴾ * قُلْ أُوْنَبِّشُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَانَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٦٠﴾ الصَّادِقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَخْيَارِ ﴿٦١﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ

عند

التي عرضها كعرض الأرض السموات (خالدين فيها) أبداً (و) لهم فيها (أزواج مطهرة) من الأدناس ، ومن كل ما يستقذر عادة ؛ كالخيل والنفاس (ورضوان من الله) وهو خير من الجنات ، وما فيها من اللطيمات (والفائتين) الطائعين الداعين (والمنفقين) نما آتاهم الله ؛ الذين وقام شح أنفسهم ، وزادهم هدى وآتاهم تقواهم (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من) التبيين والصادقين والشهداء والصلحين وحسن أولئك رفيقا (والمستغفرين بالأسحار) أواخر الليل ، قبيل الصبح (شهد الله) قرر ، وبين لحقته بالدلائل والآيات (أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) يقررون ذلك أيضاً (فأتموا بالقسط) مقبياً للعدل بين خلقه (إن الذين

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
 اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾ فَإِنْ حَاجَّكَ قَوْمٌ
 أَنَسْتَ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ
 وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقِطَ أَعْمَلُهُمْ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فِرَقًا مِمَّنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٥﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمْسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ

عند الله الإسلام) أى إن الدين الحق ،
 المرضى المقبول ، هو الإسلام . وقد قال فيلسوف
 الإنجليز برناردشو في إحدى كتاباته عن
 الإسلام : هو دين المستقبل . (فإن حاجوك)
 جادلوك (فقل أسلمت وجهي) أخلصت قسى
 (لله) أنا (ومن اتبعني) من المؤمنين (وقل
 للذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى
 (والأُميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى
 العرب (أسلمتم فإن أسلموا) وانقادوا (فقد
 اهتدوا) إلى الصراط المستقيم (ولأن تولوا)
 أعرضوا عن الإيمان (فإنما عليك البلاغ)
 « ليس عليك هدام » (بالقسط) بالعدل
 (حطت) بطلت (ألم تر إلى الذين أوتوا
 نصيباً من الكتاب) هم أحيار اليهود (يدعون
 إلى كتاب الله) التوراة (ليحكم بينهم) عن
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : دخل
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جماعة
 من يهود فدعاهم إلى الله؟ فقال له نعم بن عمرو
 والحارث بن زيد : على أى دين أنت يا محمد ؟
 فقال : على ملة إبراهيم ودينه . فقالا : فإن
 إبراهيم كان يهودياً . فقال لها رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : فهلوا إلى التوراة
 فهى بيننا وبينكم . فأبوا عليه ؟ فأنزل الله
 تعالى هذه الآية .

(فكيف) يكون حالهم (إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) لاشك فيه ؛ وهو يوم القيامة (ووليت كل نفس) في ذلك اليوم (ما كسبت) جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بزيادة عذاب ، أو نقصان ثواب (تولج الليل في النهار) أى تدخله فيه ؛ بزيادة النهار ونقصان الليل (وتولج النهار في الليل) بزيادة الليل

الجزء الثالث

٦٢

ونقصان النهار كما هو مشاهد في نهار الصيف والشتاء وليهما (وتخرج الحى من الميت) الدجاجة وهى حية ، من البيضة وهى ميتة ، والإنسان وهو حى ، من التلى وهو ميت في الظاهر (وتخرج الميت من الحى) البيضة وهى ميتة ، من الدجاجة وهى حية ، والتلى وهو ميت ظاهراً من الإنسان وهو حى . أو تخرج النخلة والأشجار وهما أحياء بالفاكهة والثمار ، من النواة والبذرة وهما لا تقع منهما ، ولا حياة فيهما . وروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن » ولا بدع فالحياة الحقيقية : حياة القلوب لا الجسوم ؛ ولا حياة بغيرها ! والحياة الأبدية : هى الإيمان ! (وترزق من نشاء) رزقه (بغير حساب) بل بغير سبب ؛ فقد يرزق تعالى الجاهل ، ويمنع العاقل ! (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهى سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار دون المؤمنين ؛ لما يترتب على ذلك من مضار دينية ودنيوية ؛ لإذ أن الكافر إن أظهر الود لخداع وفاق ، وإن أبان الإخلاص بغصام وشقاق ! وما آخر الأمم الإسلامية وأذلها بالاستعباد والاسترقاق : سوى موالاة الكفار ، وبجانبه الأبرار (انظر آية ٥١ من

وَعَرِّمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٥١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تَرْزُقُ الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتَبْرِعُ الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتَعْرِزُ نَشَاءً وَتَنْزِلُ مِنْ نَشَاءٍ سَيْدَكَ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٤﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ تَعْسَةً ﴿٥٥﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُورِكُمْ أَوْ تَبْلُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يُحَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ

من

سورة المائدة) (ومن يفعل ذلك) بأن يوالى الكافرين من دون المؤمنين (فليس من الله في شيء) أى فقد برىء من الله تعالى ، وبرىء الله منه (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أى إلا إذا واليتهم بقدر ، وصاحبتمهم بحذر ؛ لتتقوا بذلك أذاهم ، وتسلموا من كيدهم (ويحذركم الله نفسه) أى يحذركم ببلشه وعقابه إذا لم تسمعوا قوله وتزولوا على حكمه (والى الله المصير) فيؤاخذكم على ما فعلتم ، ويعاقبكم على ما جنيتكم (يوم) تحد كل نفس ما عملت في الدنيا

مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَلِمْتَ مِنْ سُوٍّ تَوَدَّلُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
 أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦٠﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾
 * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
 لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَلَمَّا
 سَمِعَتْهُ مَرْيَمُ وَآلِي عِيسَىٰ هَكَذَا قَوْلُهَا مِنْ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا

(من خير) أى أجره وثوابه (مخضراً) لم ينقص منه شيء (أمداً) مسافة وغاية (قل) أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) أعرضوا عن الطاعة (فإن الله لا يحب الكافرين) وسيعاملهم يوم القيامة معاملة الكاره لهم ؛ والويل لمن أنقضه الله ! (إن الله اصطفى) اختار واجتنب (آدم ونوحاً) لاتباع دينه ونشره (وآل إبراهيم وآل عمران) للإسلام. وآل الرجل: قومه وأتباعه ، ومن هم على دينه . قال تعالى « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » (ذرية بعضها من بعض) فى موالاة الله ، وفى الدين (إذ قالت امرأة عمران) أم مريم عليها السلام (رب لى نذرت لك ما فى بطنى) من الولد (محراً) خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس

(وإنى أعينها) أجبرها وأحصنها (بك) وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها) تقبل مريم التى نذرتها أمها (وأنبثها نباتاً حسناً) وهو مجاز عن التربية الحسنة . قال ابن عطاء : ما كانت ثمرته مثل عيسى ؛ فذلك أحسن النبات !

(وكفلها زكريا) أى جملة الله تعالى يتكفل بتربيتها (كما دخل عليها زكريا المحراب) الفرفة التى تجلس فيها ، أو هو مكان العبادة (وجد عندها رزقا) طعاما . قيل : كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك) من أين لك (هذا) الذى أراه (هنالك) عندما رأى زكريا مشاهد الرضا والقبول (دعا زكريا ربه)

الحسنة الثالث

٦٤

فى مواطن التجل يستجاب الدعاء ! (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى) فيه إشارة إلى أن الصلاة مفتاح للخيرات ، وبها تنجاب الدعوات ؛ وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . (مصدق بكلمة من الله) أى مصدقا بيبسى عليه السلام ؛ لأنه أتى إلى الحياة بكلمة «كن» فكان (وسيدا وحصورا) المحصور : الذى يحصر نفسه وعنهما عن ملاذها وشهواتها ، أو هو المحصور من الذنوب ؛ كأنه حصر نفسه عنها . وقيل : المحصور : الذى لا يأتى النساء (قال) زكريا (رب أنى يكون لى غلام) كيف يكون لى ولد (وامرأتى عاقرا) لا تلد لكبرها (قال رب اجعل لى آية) علامة على ذلك ، أو مرهنا بأمر إذا وقعت إليه : أعلم منه لإجابة دعوتى (قال آيتك) علامتك (ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أى بالإشارة ، لا بالنطق . وقد كان صيامهم عن الطعام والكلام «إنى نثرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم لنسبا» (واذكر ربك كثيرا) اعبدته (وسبح) بحمده (بالعشى) وهو من الزوال إلى الغروب (والإبكار) من طلوع الفجر إلى الضحى . والمراد : طول مدة التسبيح (يا مريم إن الله اصطفاك اختاراك وطمهرك) من كل سوء .

حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنصَرِّمُ أَفَنِي لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِرِزْقِي مِنْ نِسَاءٍ يَتَوَحَّشٍ ۖ
هَذَا دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
قُرْبَةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ فَنَادَتْ الْمَلَكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنصَرِّفُ ۖ يَمْحِصُ مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً ۖ قَالَ عَاشِيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمْرَمًا ۖ وَأَذْكُرْ بِكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعْشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَنصَرِّمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۖ يَنصَرِّمُ أَفَنِي لَرَبِّكَ

وَأَنْتِ

وقيل : من مس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) قيل : على سائر النساء ؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة . وقيل : على زمانها غصب ؛ وأنها عليها السلام لا تفضل فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا خديجة بنت خويلد ؛ واستدلوا بقوله تعالى «يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين» ولم يقل أحد : إن بنى إسرائيل أفضل من أمة خير الأنام صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ بل إن تفضيلهم كان على عالمي زمانهم ، أو من تقدمهم من الأمم (يا مريم اقنتى لربك) أديعى الطاعة له ، والخشوع والابتهال إليه .

(ذلك) المذكور من أمر مريم وأما، وزكريا وابنه (من أنباء الغيب) الذي غاب عن علمك وعلم قومك (نوحه إليك) آية لنبوتك، وبرهاناً على صدقك (وما كنت لديهم) في هذه المصور؛ حتى ترى ما فعلوا، وما فعل بهم؛ فتحكيه لقومك. ولكننا أطلعناك عليه من غيبنا الذي لا نطلع عليه إلا من ارتضينا «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول» أطلعناك عليه ليؤمن بك من أنار الله بصيرته، ويهتدى بهديك من أراد الله هدايته! «وما كنت لديهم» قبل ذلك عند ولادة مريم (إذ يقولون أقلامهم) لبرون (أيهم يكفل مريم) قيل: اختص أهل مريم عليها السلام فيمن يكفلها؛ فاتفقوا على الاقتراع؛ وطريقته وقتذاك: أن يلقوا أقلامهم في النهر؛ ويحتمل أن تكون القرعة لصاحب القلم الذي يظل طافياً على الماء، أو الذي يكون رأسه إلى أعلى، أو أمثال ذلك (يا مريم إن الله يختارك بكلمة منه) يعيسى عليه السلام؛ لأنه خلق بقول «كن» (وجيهاً في الدنيا والآخرة) أي ذا منزلة عالية في الدنيا، وعزة وكرامة في الآخرة (ويكلم الناس في المهد) وهو ما يفرش للطفل؛ وكلامه في المهد معجزة له، وتبرته لأمه مما اقتراه عليها المفكرون (وكهلاً) أي ويكلمهم كهلاً. والكهل: الذي جاوز الثلاثين، وخطه الشيب. والمراد بذلك نبي ما ادعاه الكافرون من ربوبيته؛ فذكر تعالى أنه عليه السلام يدركه ما يدرك البصر من التغير والانتقال من الصغر إلى الكبر، ومن حال إلى حال (فالت) مريم (رب أنى) كيف (يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) كسائر من يلدن (ويعلمه الكتاب) الكتاب التي يخطها بيده (والحكمة) العلم النافع؛ والمراد بها الشرائع والأحكام (والتوراة) الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام؛ وقد كان معمولاً به حتى بعثه عيسى عليه السلام (أنى

قد جئكم بآية) معجزة دالة على صدق (وأبرىء الأكمه) الذي ولد أعمى (والأبرص) وهو يبايض يصيب بعض الجلد؛ فيجعله مشوهاً. وخصاً بالذكر: لأن المبتلى بهما لا يبرأ منهما (وأحيى الموتى بإذن الله) بارادته وقدرته؛ لا بإرادتي وقدرتي. قيل: إنه أحيى سام بن نوح؛ فكلهم وهم ينظرون. وذهب بعض المفسرين المحدثين إلى أن المراد به إحياء موتى القلوب والنفوس؛ وهو تأويل فاسد، منكر لإحدى معجزات عيسى عليه السلام التي اختصه الله تعالى بها؛ وإلا فإن أكثر الصالحين يموتون موتى القلوب والنفوس (وأنشكم) أخرجكم.

وَاتَّخِذِي وَآرَتَيْكَ مَعَ الزَّكِيِّينَ ۖ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝
إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَسْرِمُ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ بِكَلِمَةٍ مَن يَشَاءُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتِ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي
بَشَرٌ قَالَ ذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْتَارُ مَا بَسَّاءَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ
كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأَبْرَأُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْشِكُم

(بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) قيل : انه عليه السلام كان يقول لأحدهم : يا فلان لقد أكلت كذا في يومك ، وادخرت كذا في بيتك ؛ وذلك بغير تفكير ، أو استنطاق لرمل أو أرقام ؛ كما يفعل الدجالة . ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصها ، وكيف يحفظونها ويدخرونها . وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والملاجات : وقد تخصص فيها معجزة له عليه الصلاة والسلام (ومصدقا لما بين يدي) ما تقدمني (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) وقد كان تعالى حرم عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم

المعزة الثالث

٦٦

قال تعالى «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم» وقال جل شأنه «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما اختلط بظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بظلم» (وجشكم بآية) معجزة دالة على صدق ، وحجة وعبرة ؛ وهو كل ما قدمه من إبراء ، وإحياء ، وإخبار بغيب (هذا صراط) طريق (مستقيم) ومن عجب أن يرى عيسى - لبي إسرائيل - الأكمة والأبرص ، ويحيي لهم الموتى ، ويخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه سواهم ، وما هو كائن في خلوقهم وطرقتهم ؛ فيأبون الاقبياد لحير العباد ، ويرفضون الإيمان للديان ! (فلما أحس عيسى منهم الكفر) بالله ، وانكار بشته ، ونبوته : أراد أن يختار خلاصه من بين من آمن منهم - ولليل مأم - (قال من أنصاري إلى الله) أي من أنصاري لنصل معاً إلى الله ، أو من أنصاري مع الله (قال الحواريون) حوارى الرجل : صفوته وخاصته (فاكتبنا مع الشاهدين) الذين يشهدون بوحدانيتك ، ويؤمنون بصدق رسولاك (ومكروا ومكر الله) أي جازاهم الله على مكرهم بمكر أشد منه وأقوى . وهذا على سبيل المقاتلة . والمكر : الخداع . قال تعالى «يخادعون الله وهو خادعهم» (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك) أي مستوفى أجلك . وقد اختلف في موته عليه الصلاة والسلام ؛ وهل رفع حياً ، أم رفعت روحه نجس ؟ واستدل كل فريق بما يراه مؤيداً لرأيه : فاستدل من قال بموته بقوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» وعيسى عليه السلام من جملة النفوس التي كتب عليها الموت . ورد الفريق الآخر بأنه عليه السلام سيدنق الموت قبيل القيامة ، وبعد نزوله إلى الأرض وحكمه بشريعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! ونحن إذا قلنا برفع روحه نجس ؛ فإن سائر الأرواح ترفع إلى بارئها سبحانه وتعالى ؛ ولا يكون ثم فضل لعيسى عليه السلام اختصه الله تعالى به ! وزعم قوم بأنه مات ودفن بجهة سموها ؛ ولعلها ببلاد الهند ؛ والله تعالى أعلم بقوله وفعله ! (ورافعك إلى) أي إلى السماء =

في الدنيا

خادعهم» (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك) أي مستوفى أجلك . وقد اختلف في موته عليه الصلاة والسلام ؛ وهل رفع حياً ، أم رفعت روحه نجس ؟ واستدل كل فريق بما يراه مؤيداً لرأيه : فاستدل من قال بموته بقوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» وعيسى عليه السلام من جملة النفوس التي كتب عليها الموت . ورد الفريق الآخر بأنه عليه السلام سيدنق الموت قبيل القيامة ، وبعد نزوله إلى الأرض وحكمه بشريعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! ونحن إذا قلنا برفع روحه نجس ؛ فإن سائر الأرواح ترفع إلى بارئها سبحانه وتعالى ؛ ولا يكون ثم فضل لعيسى عليه السلام اختصه الله تعالى به ! وزعم قوم بأنه مات ودفن بجهة سموها ؛ ولعلها ببلاد الهند ؛ والله تعالى أعلم بقوله وفعله ! (ورافعك إلى) أي إلى السماء =

= (ومطهرك من الذين كفروا) بتخليصك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) وآمنوا بك (فوق الذين كفروا) بك . وهم اليهود - قاتلهم الله - كفروا بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

سورة آل عمران

٦٧

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ
الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٦٩﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَبُكُنَ ﴿٧٠﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُنَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٧١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءِقُصُصُ
الْحَقِّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَوْءَعِزُّ
الْحَكِيمِ ﴿٧٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

(ذلك) القصص (تتلوه عليك) يا محمد (إن)
مثل عيسى عند الله في الخلق (كمثل آدم)
خلقه من غير أب ولا أم ، وخلق عيسى من
غير أب ؛ قال لها : كونا فكلنا (الحق من
ربك فلا تكن من الممترين) الشاكين (فمن
حاجك) جادلك من النصارى أو المشركين (من
بعد ما جاءك) الذي جاءك (من العلم) في هذا
الكتاب الحق (فقل) هؤلاء المجادلين
(تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم
وأفئسنا وأفئسكم ثم نبتهل) تضرع إلى الله
تعالى .

والباطلة : أن يجتمع الفريقان ويخرجان
بأبنائهم ونسائهم ، ثم يدعون الله تعالى باللعنة
على الكاذب منهما (فنجعل لعنة الله على
الكاذبين) الذين يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها ! (فان تولوا) أمرضوا (فان
الله عليهم بالمفسدين) الكافرين (قل يا أهل
الكتاب) اليهود والنصارى (تعالوا إلى كلمة
سواء) مستوية ؛ والسواء : العدل

بَعْضًا أَرَبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٣٥﴾ يَتَأَهَّلُ الْكَتِيبُ لِمُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا
أَنْزَلَتْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾
هَئَانَتْ هَذِهِ حَاجَتُكُمْ فِيكُمْ بِهِ عَلِمَ فَلِمَ تُحَاجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ
وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يَضِلُّونَكُمْ وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٠﴾
يَتَأَهَّلُ الْكَتِيبُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تَقْتُلُونَ ﴿٤١﴾ يَتَأَهَّلُ الْكَتِيبُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) زعم كل من اليهود والنصارى : أن إبراهيم عليه السلام كان منهم ؟ وجادلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ، فقبل لهم : إن اليهودية إنما كانت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الإنجيل ؛ وبين إبراهيم وموسى ألف عام ، وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون على دين لم يأت بعد ، ولم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة (ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم) من أمهموسى وعيسى (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من أمهم إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) كما تزعمون (ولكن كان حنيفا) مائلا إلى الدين الحق القيم ؛ وهو الإسلام (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) أى آمنوا به ؛ وليس من بينهم اليهود أو النصارى (وهذا النبي) محمد ؛ لأنه نادى بدين إبراهيم وملته «قل إنا نى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديننا قبيلا ملة إبراهيم حنيفا» (والذين آمنوا) بمحمد عليه الصلاة والسلام ؛ فهؤلاء هم أولى الناس

أهل

بإبراهيم ؛ لا من كذبوه ! (ودت طائفة من أهل الكتاب) جماعة من اليهود (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن (وأنتم تصفدون) تعلمون أنه حق منزل من عند الله تعالى ؛ لورود ذكر مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون) تخطون (وقالت طائفة من أهل الكتاب) لطائفة أخرى منهم

(آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أوله (واكفروا آخره) وذلك أنهم تواصلوا فيما بينهم أن يؤمن فريق منهم أول النهار، ثم يكفروا آخره ؛ لأجل أن تتزلزل عقائد المسلمين ؛ فيقولون في أنفسهم : مادعا هؤلاء إلى الارتداد ؛ إلا ظهور بطلان ديننا (لعلهم يرجعون) أي لعل المؤمنين يرجعون عن إيمانهم (ولا تؤمنوا) لا تصدقوا ولا تلمشوا في هذا السر الذي اتفقتا عليه (إلا لمن تبع دينكم) لئلا يطلع المسلمون عليه (أن يؤتى) بأن يؤتى (أحد) من المؤمنين (مثل ما أوتيتم) من الميزات والتوراة ، وخلق البحر ، والبن والسوى ، وأشباه ذلك (أو يحاجوكم) يجادلكم المؤمنون يوم القيامة (عند ربكم) لأنكم أصبح ديناً . قال تعالى رداً عليهم : مخاطباً خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام (قل إن الفضل) كله (بيد الله يؤتیه من يشاء) وقد آتاك النبوة ، وأنزل عليك الكتاب بالحق (ومن أهل الكتاب) اليهود (من إن تأمنه بقنطار) من الذهب ؛ والمراد به المال الكثير (يؤده إليك) لأمانته (ومنهم من إن تأمنه بدينار) واحد (لا يؤده إليك) لحياضته (إلا ما دمت عليه قائماً) أي ملصاً بالمطالبة والمقاضاة . وهو تحذير من معاملتهم وعدم الاغترار بأمانته بعضهم (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين) أي العرب (سبيل) طريق الإثم ؛ وذلك لأن اليهود لعنهم الله تعالى يستحلون أكل مال من عدايم من الأمم - مسلمين ، أنصارى ، أو غيرهما - ويزعمون أن الله بذلك أمرهم . قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) بنسبة ذلك الإنك إلىه ؛ وقد أمر تعالى بالوفاء بالعقود والعهود والوعود - للمسلمين والكافرين على السواء - وقد حض على ذلك بقوله جل شأنه (بل من أوفى بعهده) أدى أمانته (واتق) الله ربه في سائر معاملاته (فإن الله يحب المتقين) فيعزهم في الدنيا ، ويكرمهم وينعمهم في الآخرة (إن الذين

أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴿٦٩﴾ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم ﴿٧٠﴾ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿٧١﴾ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا لبس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴿٧٢﴾ بل من أوفى بعهده وأتق فإن الله يحب المتقين ﴿٧٣﴾ إن الذين يشررون عهد الله وأيمانهم ثمناً لأوليك لا خلق لهم في الآخرة ولا يمسكهم الله ولا ينظر

يشترون) يستبدلون (بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) أي يستبدلون الصدق والوفاء والأمانة بالكذب والاختلاف والحياة ؛ نظير ثمن قليل هو حطام الدنيا الزائل الفاني ؛ وذلك كمن يتفق مع آخر على بيع ساعة من السمع ؛ فيزيد له إنسان في ثمنها فيبيعها له ، وينقض اتفاقه مع الأول . أو من يخطب ابنة إنسان ؛ فيعاهده أبوها على تزويجها له نظير مهر مقدر بينهما ؛ فيأتي آخر فيزوجها له نظير زيادة في المهر . أو كمن يحلف ببراءته من دين هو عليه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم ؛ لقي الله تعالى وهو عليه غضبان» وكيف يرجو الخير من يلقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان ؟ أعادنا الله تعالى من غضبه ، وأنجانا من سخطه ومن علينا برضاه يوم نلقاه! (أولئك) الذين اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمناً =

قُلْ قَوْلِي بَعْدَ ذَلِكَ فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾
 أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَوْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
 وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦٨﴾
 وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٩﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ
 أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٧١﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٧٢﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(من تولى) أعرض عن الإيمان بمحمد؛ وقد
 آمن به الأنبياء قبل لمجاده (أفغير دين الله
 يبتغون) يطلبون (وله أسلم) اتقاد (من في
 السموات والأرض) من أملاك، وإنس
 وجن، ومخلوقات لا يعلمها سوى خالقها
 (طوعاً) بعد تدبر الأدلة والآيات، والحجج
 البينات (وكرهاً) بالسيف، أو بعد معاناة
 العذاب؛ كتنق الجبل على بني إسرائيل،
 وإغراق فرعون وقومه، وأمثال ذلك
 (والأسباط) حفدة يعقوب عليه السلام؛
 ذراري أبنائه

(وجاءهم البينات) الدلائل الواضحات

(ينظرون) يملون

(إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أى بعد
 ارتدادهم (وأصلحوا) أعملهم (فإن الله غفور)
 لذنوبهم .

(رحيم) ٣٣

رَحِيمٌ ٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِعْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
كُفْرًا أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ٣٤
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلٌّ إِلَى الْأَرْضِ ذَعْبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ٣٥ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٣٦ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
بِمَا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٣٧
* كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ٣٨ قُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٩ قُلْ أَفَرَأَيْتَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٤٠
قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٤١ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٤٢ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ

مَقَامٌ

كانا أحب الأشياء عنده - لمرضه يرق النساء - و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) مكة ؟ وهما لفتان فيها (مباركا) كثير الخير والبركات ؛ لما فيه من الثواب وتكفير السيئات (فيه آيات بينات) حجج ظاهرات .

(لن تنالوا البر) أى لن تنالوا بر الله تعالى وتوابه ومغفرته (حتى تنفقوا مما تحبون) وهذا يكاد أن يكون منعذما في هذا الزمان ؛ لأنك ترى الرجل يتصدق بثوبه المزق ، ولقمته المفضة ، وكل ما يكرهه ويستقفره ؛ ثم يديه غيباً ، ويغتنال طرباً ، ويمس غفراً ، بما جاد به ، ويستغنى أن الجنة لم تخلق إلا لأجله ؛ فهذه هي هيات أن يدخل مثل هذا جنة الله ، أو أن يتمتع برضوانه ! ولن ينال بر الله ، سوى من أشفق مما يجب في دينه ! (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) فيؤخذكم عليه إن كان مما تكرهون ، ويثيبكم عليه إن كان مما تحبون ! فاقظروا - هداكم الله - ماذا أنتم فاعلون ! (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم لإسرائيل على نفسه) حرم على نفسه لحوم الإبل والابلها - وقد

مَنْ أُمِرَ بِإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَنْ تَكْفُرُونَ
بِغَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ
الْكِتَابُ لِمَنْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبَغُّوهَا
عُوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرَيْنَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

(مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي قام عليه
عند بناء البيت فأثرت فيه قدماه ، ومنها أن
الطائر لا يطوئه أبداً ؛ مع كثرته وشدته (وقه
على الناس) أى طلب منهم ، وفرض عليهم
(حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) بالمال ،
والصحة ، والأمن (ومن كفر) أى جحد
فرضية الحج . أو هو من كفران النعم ؛ أى
من لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم ،
وسعة الرزق ؛ ولم يحج (فإن الله غنى عن
العالمين) وهم الفقراء إليه ، المترلقون له ،
الطالبون مرضاته ، المؤمنون فضله ! (قل
يا أهل الكتاب لم تصدون) تمنعون (عن
سبيل الله) عن دين الحق ؛ وهو الإسلام
(تبغونها عوجاً) تطلبونها وتريدونها معوجة
(ومن يعتصم بالله) يحتذى به ، ويلجأ إلى
أوامره ، ويهرع إلى مرضاته (فقد هدى إلى
صراط) طريق (مستقيم) قوم واضح ،
موصول لكل خير (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)
أى خافوا الله واحذروه ، واثمروا بأوامره ،
واجتنبوا نواهيه ، وداوموا على ذلك حتى
تموتوا وأنتم مسلمون (واعتصموا بحبل الله)
بكتابه ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
«القرآن حبل الله المتين» .

(وكنتم على شفا حفرة من النار) الشفا: الحافة (فأقذكم منها) بأن هداكم للإسلام؛ وذلك لأن الكافر والمذنب - مثلها في الدنيا - كمثل الواقف على حافة النار؛ فإذا مات: وقع فيها؛ فأقذنا الله تعالى - بمنه وكرمه - من الوقوع في النار؛ بهدایتنا إلى الإيمان (ولتكن منكم أمة) أى جماعة من مثقفكم وعلمائكم (يدعون إلى الخير) يرشدون إلى الإيمان، ويحضون على الإحسان، ويوجهون إلى البر، ويحثون على الشكر (ويأمرون بالمعروف) بالفعل الحسن الذى يقره العرف والشرع (وينهون عن المنكر) الذى يستقبحه الشرع، وينكره العقل (وأولئك) الداعون إلى الخير، الأمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر (هم المفلحون) هذا وقد أوجب الله تعالى على سائر الأمة الإسلامية: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لما يترتب على تركهما من فساد المعاشى، وانتهاك حرمان الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: «ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم؛ إلا عمهم الله بهذاب محضر» وما نحن أولاء - وقد دعونا إلى الشر، وأمرنا بالمنكر، ونهينا عن الخير - نعانى قلة البركات، وفساد النفوس والثمرات، وقلة الأرباح، وكساد التجارات، وعقوق الأبناء، وتجر الآباء! ولا دواء لما نعانى، وشفاء لما نلاقه؛ سوى اللجوء إلى الله تعالى، والتمسك بأوامره، واجتناب نواهيه وزواجره! (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) هم اليهود والنصارى؛ حيث تعادوا وكفر بعضهم بعضا «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» (من بعد مجاءهم البينات) الآيات الواضحات (يوم تبيض وجوه وجوه المؤمنين؛ ولو كانت سوداء) (وتسود وجوه وجوه الكافرين؛ ولو كانت بيضاء) (فأما الذين أسودت وجوههم) (فقال لهم) (أكفرتم بعد إيمانكم) أى بعد أن كان الإيمان فى

٧٤

لبسز الرابع

قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْطَّيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ بَيَّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٠﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ بِرِيدُ ظَلَمَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١١﴾ وَاللَّهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ اِلٰى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ ﴿١١٢﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ

متناول قلوبكم وعقولكم! يقال لهم ذلك على سبيل إذلالهم والنكاية بهم (وأما الذين أبيضت وجوههم ففى رحمة الله) وجنته ورضوانه (هم فيها خالدون) أبد الآبدين، ودهر الداهرين! (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وخلقاً وعبيداً! (وللى الله ترجع الأمور) فى الدنيا والآخرة؛ فيقضى فيها حسبما تقتضيه المصلحة، وتستوجب العدالة المطلقة (كنتم) يا أمة محمد (خيراً أخرجت للناس) بسبب أنكم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: صبرا الأمة الإسلامية خير الأمم وأفضلها! كذلك تركهما يصير الإنسان أخط من العجاوات؛ فادأب - هديت وكفيت - على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لترضى نفسك، وترضى ربك؛ وتكنى ذل الحياة وبؤسها! وليكن أمرك

يَا مَعْرُوفٌ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ
 يُولُوكُمْ أَدْبَارًا ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
 أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُورٍ
 بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايِنَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً
 مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ
 اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَسِرْجُونَ
 فِي التَّحْرِكِتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
 مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ

بالمعروف ونهيك عن المنكر ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، ورغبة في مرضاته ! وحذار أن تفعل ذلك ابتغاء
 شهرة أو تظاهر قهالك ؛ وينقلب سعيك إلى خسران ، وحقك إلى بطلان ! (منهم) أى من أهل الكتاب

(المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه
 (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون، الكاذبون
 لكم (لن يضروكم) بكفرهم وكيدهم (إلا
 أذى) يسيراً (وان يقاثلوكم يولوكم الأدبار)

لجبنهم ، وضعف باطلهم أمام حقكم (ضربت
 عليهم الذلة أينما تقفوا) أى أينما وجدوا .
 نزلت في اليهود ؛ وهى من الآيات البينات ،
 والمعجزات الظاهرات ، والمعانيات الواضحات ؛
 وليس أدل على ذلك من اضطهاد العالم أجمع

لهم ، وتشديتهم في سائر الممالك ، وتغريق
 شتمهم ؛ ولا يفرنك ما هم عليه الآن من ملك
 اغتصبوه ، وحق استلبوه ؛ سيدد إلى أهله
 بقوة السنان والإيمان ؛ بعون الله تعالى !
 وستضرب عليهم الذلة - التى كتبها الله تعالى

عليهم - والمسكنة - التى أرادها الله لهم -
 وستحل عليهم اللعنة أينما تقفوا ! (انظر آية
 ٦١ من سورة البقرة) (لأبجبل من الله وحبل

من الناس) الجبل : السبب والعهد . أى أنهم
 لا يأمنون على أنفسهم إلا إذا كانوا يدفعون
 جزية ، أو يتملقون مسلماً ؛ وهذا نوع من

الذلة كتبه الله تعالى عليهم (وباءوا) رجعوا
 (بغضب من الله وضربت عليهم) كتبت
 (المسكنة) الذلة والضعف ؛ وهائم أولاء

تعاونهم شتى الدول بالمدرة والذخيرة ، والعدة
 والعدد ؛ فلم يزدكم ذلك إلا ذلاً وضعفاً

وهواناً ! (ويقولون الأنبياء) كيحي وزكريا عليهما السلام (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستوين
 في الخير والشر «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله) أى
 «ليسوا سواء» لأن منهم أمة قائمة بأمر الله ؛ يتلون آياته (آناء الليل) ساعاته (وما يفعلوا من خير فلن
 يكفروه) أى لن يعدموا نوابه !

(مثل ما ينفقون) أى مثل ما ينفق الذين كفروا (في هذه الحياة الدنيا) من بر ، وصدقة ، وصلة رحم (كمثل ريح فيها صر) الصر: برد يضر الحنث والنبات (أصاب) تلك الريح (حرت قوم ظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصي ، وتعريض أنفسهم للعقاب (فأهلكته) أى أهلك تلك الريح ذلك الحنث . وقد وصف تعالى المؤمنين في إلتفاتهم - وما يجلبه هذا الإلتفات عليهم من أجر عظيم ، وخير عظيم - بقوله جل شأنه «مثل الذين

الجزء الرابع

٧٦

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» فضاعف تعالى أجر المؤمن المنفق إلى سبعة مائة ؛ ووعد أيضاً بأن يضاعف له هذه السبع مائة أضعافاً مضاعفة «والله يضاعف لمن يشاء» هذا مثل المؤمن المنفق ؛ أما مثل إلتفات الكافر فقد مثله الله تعالى بالريح التي تمصف بالنبات والأقوات ، وتهلك الزرع والضرع ! (وما ظلمهم الله) بذلك الجزاء (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل : خاصته وأصدقاؤه . ومنه بطانة الثوب ؛ للاصقته له (من دونك) أى من غير دينكم وجنسكم ؛ لأن الأجنبي لا يعمل لحريك ، بل يدس ويكيد لك ؛ فوجب الابتعاد عنه ، والاحتراز منه ؛ قال تعالى «لا تتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم قساة» (لا يألونكم خيالا) أى أنهم لا يقصرون في إفسادكم ، وإلصاق الضرر بكم (ودوا ما عنتم) أى ودوا ضرركم أشد الضرر وأبلغه ؛ وهو من العنت: أى المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) بما يقذفونكم به من سباب ، وما ينطقون به من كفر وهجر (وما تحفي صدورهم أكبر) مما بدا من أفواههم (ها أنتم أولاء تحبونهم) وتتخذون منهم بطانة (و) هم (لا يحبونكم) لأنهم مفطورون على كراهة من عدائهم (وتؤمنون بالكتاب كله) بالكتب المنزلة كلها ؛ بما في ذلك كتابهم ؛ في حين أنهم لا يؤمنون بكتابكم ، ولا بكتابتهم أيضاً لأنهم لا يعلمون بما في كتابهم (وإذا لقوكم) نافقوا و (قالوا آمنا وإذا خلوا) بأنفسهم (عضوا عليكم الأنامل من الغيط) وعض الأنامل: عادة يفعلها المغيظ المحنق ، إذا لم يتل من عدوه مثالا (إن الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب (إن تمسككم حسنة) نصر أو غنيمة (تسؤم وإن تصبكم سيئة) باخفاق مقصد أو بهزيمة من عدو (يفرحوا بها) أرايت أيها المؤمنون حال من نهاكم عن اتخاذهم بطانة لكم ، أو أولياء توالوهم من دون المؤمنين ؟ !

كَمَرُوا نَ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٠﴾ مَٰ يَنفِقُونَ فِي مَنَٰلِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا كَنُفْلِ رِيحٍ فَيَهِىَ صِرَٰطٌ مَّسْلُوكٌ ﴿١١١﴾ قَرَرُوا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَآلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تحْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ هَٰٓأَنتُمْ أَوْلَىٰ بِحُبِّهِمْ وَلَا بِحُبِّكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِم مِّنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٤﴾ إِن تَمْسِكْهُمْ حَسَنَةً تَرْوَاهُمْ وَإِن نُّصَبِّحْهُمُ سَيِّئَةً نُّفَرِّحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَلَبِقُوا لَآيُضْرَكُ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ

وتؤمنون بالكتاب (وتؤمنون بالكتاب كله) بالكتب المنزلة كلها ؛ بما في ذلك كتابهم ؛ في حين أنهم لا يؤمنون بكتابكم ، ولا بكتابتهم أيضاً لأنهم لا يعلمون بما في كتابهم (وإذا لقوكم) نافقوا و (قالوا آمنا وإذا خلوا) بأنفسهم (عضوا عليكم الأنامل من الغيط) وعض الأنامل: عادة يفعلها المغيظ المحنق ، إذا لم يتل من عدوه مثالا (إن الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب (إن تمسككم حسنة) نصر أو غنيمة (تسؤم وإن تصبكم سيئة) باخفاق مقصد أو بهزيمة من عدو (يفرحوا بها) أرايت أيها المؤمنون حال من نهاكم عن اتخاذهم بطانة لكم ، أو أولياء توالوهم من دون المؤمنين ؟ !

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٧٧﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
 الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ إِذْ هَمَّتْ
 طَائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
 يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزِلِينَ ﴿٨١﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
 فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُسَوِّمِينَ ﴿٨٢﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
 قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿٨٣﴾ لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ
 فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٨٤﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
 عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

(وإذ غدوت من أهلك) أى خرجت غدوة
 من أهلك . والغدوة : ما بين صلاة الفجر
 وطلوع الشمس (تبوئ المؤمنين) تنزلهم
 (مقاعد للقتال) مواقف ؛ أى ترتب جيوش
 المؤمنين : مينة وميسرة وقلبا وجناحين .
 وكان ذلك فى وقعة أحد (إذ همت طائفتان)
 هم بنو سلمة ، وبنو حارثة (أن تفشلا) تضعفا
 عن القتال (والله وليهما) كافيهما وناصرهما
 (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى أحد غيره
 قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»
 (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) قليلون ؛
 نصركم - رغم قلتكم وضعفكم - على المشركين
 رغم كثرتهم وقوتهم (ويأتوكم من فورهم)
 من وقتهم (مسومين) معلمين (وما جعله الله)
 أى هذا الإمداد (ولتطمئن قلوبكم به) فلا
 تجزع لكثرة العدو (وما النصر إلا من عند
 الله العزيز الحكيم) يهبه لمن يشاء بلا قدرة
 ولا قوة ، ويمنعه ممن يشاء مع مزيد القدرة
 ووفور القوة ؛ وقد وهبكم النصر على الكافرين
 مع قلتكم وكثرتهم ، وضعفكم وقوتهم (ليقطع
 طرفا من الذين كفروا) أى ليهلك طائفة منهم
 (أو يكتسبهم) يغيظهم وينلهم ويخزيهم (فينقلبوا
 خائبين) فيرجعوا منهزمين .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا) كل نهى جاء مصحوباً ببدء المؤمنين : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فهو من المحرمات ؛ التي يأثم فاعلها ، وثواب تاركها : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» «لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا» «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» «لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ» وأمثال ذلك . وأكل الربا من أغشى الموبقات التي عنها ؛ خاصة لأن كانت (أضعافاً مضاعفة) وهو ما يسميه الربوبون بالفوائد المركبة ؛ وهو أن يضم المراتب فوائد الدين إلى أصله ، ويحتسب الدين وفوائده وفوائد الفوائد ؛ وهكذا حتى

المجزء الرابع

٧٨

يتضاعف الدين «أضعافاً مضاعفة» وليس معنى الآية : إباحة الربا إذا لم يكن أضعافاً مضاعفة ؛ بل هو حرام قل أو كثير ، ضعف أو لم يضاعف ؛ ويأثم فاعله ، ويكفر مستحله ؛ لقوله تعالى (واقتوا النار التي أعدت للكافرين) الذين لا يطيعون الله فيما أمر ، ولا يعاونون بهديه ووعيده ! (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) أى بادروا للفعل ما يوصل إليها ؛ من فعل الطيبات ، واجتناب المحرمات (و) سارعوا إلى (جنة عرضها السموات والأرض) هذا عرضها فكيف بطولها؟ والمراد بذلك وصفها بالسعة والبسط ؛ فشبهها تعالى بأوسع ما علمه الناس وألفوه . أما وصفها الحقيقي : فهو ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! (أعدت) هذه الجنة ، التي هذا وصفها ، وهذه سمعها (للمتقين) الذين يرجون رحمة ربهم ، ويخافون عذابه ! ووصف الله تعالى المتقين بقوله (الذين ينفقون) مما آتيناكم (في السراء والضراء) في اليسر والعسر ، في السعة والضيق ، في السرور والحزن ؛ لا ينعمهم مانع عن الإفاق والاعطاء ؛ أليس هذا أمر ربهم ، وتوجيه لهم ؟! (والكاظمين الغيظ) يقال : كظم غيظه : إذا حبسه ومنعه (والعاقين عن الناس) إذا صدر منهم ما يستوجب المؤاخظة (والذين إذا

وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِبُونَ يَسَاءً وَيُعَذِّبُ مَنْ يَسَاءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أضعافاً مضاعفةً وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦٧﴾
وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٩﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَاقِلِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ يَصْرونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾
أُولَئِكَ جَزَاءُهم تَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٧٣﴾

قد

فعلوا فاحشة) الفاحشة : الفعل القبيحة ، الخارجة عما أمر الله تعالى به . وقيل : الفاحشة : الزنا (أو ظلموا أنفسهم) بارتكاب الماضى ، وتمريضها للعقاب (ذكروا الله) تذكروا أمره ونهيه ، وثوابه وعقابه (فاستغفروا لذنوبهم) طلبوا منه تعالى غفرانها ، وعاهدوه على تركها وعدم العودة إليها (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أى لا أحد يغفرها ومعوها سواء تعالى ؛ بشرط الاستغفار ، وعدم الأصرار (ولم يصروا) أى لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب التي استوجبت الاستغفار وإلا فالعائد إلى ذنبه ، كالمتسيزء بربه ! (وهم يعلمون) أن ما يفعلونه من الآثام .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ سُنَنٌ قَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧٩﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ
 وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
 الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ إِنْ يَمْسِكُ قَرْحٌ فَقَدْ
 مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ وَلَكِ الْآيَاتُ لِنَاسٍ
 لَّيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
 الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٤﴾
 وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
 وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
 وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

(قد خلت) مضت (من قبلك سنن) وقائع أو أمم (هذا) القرآن (بيان للناس) بين لهم ما خفى عليهم
 (وهدى) هداية لهم يهديهم إلى الطريق القويم ، والصراط المستقيم (وموعظة للمتقين) يتعظون بما فيه من
 الآيات ، ويعتبرون بما فيه من الحوادث (ولا تهنوا) من الوهن أى لا تضعفوا (ولا تحزنوا) فانه تعالى معكم
 (وأنتم الأعلون) بالغلبة والنصر على الكافرين
 (إن يمسك قرح) القرح : واحد القروح ؛
 وهو كناية عن القلب والهزيمة يوم أحد (قد
 مس القوم قرح مثله) أى مستهم هزيمة منكرة
 يوم بدر (وتلك الأيام نداهلها بين الناس)
 أى نصرها بينهم: فنصر هؤلاء يوماً، ونصر
 أولئك يوماً آخر . ونفقر هؤلاء ، ونفقى
 هؤلاء ؛ ثم نفقى من أفقرنا ، ونفقر من أغنيانا
 كل شئ عندنا بمقدار وتقدير ، ونظام وتدير
 (وليعلم الله) علم ظهور (الذين آمنوا) بصبرهم
 على بلوهم ، وشكرهم على نعمهم ! (وليمحص)
 يبتلى ويختبر (ويحق) يهلك (أم حسبتم)
 أيها المؤمنون (أن تدخلوا الجنة ولما) لم
 (يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)
 على ما أصابهم في سبيله (ولقد كنتم تمنون)
 تمنون (الموت) في الجهاد ؛ عند ما فاتتكم وقعة
 بدر التي انتصر فيها المسلمون (فقد رأيتموه)
 أى رأيتم أسبابه ؛ في الجهاد يوم أحد ؛ فلم
 جبنتم وانهمزتم ؟ أليس هو الموت الذي تمنونه
 والشهادة التي تشدونها ؟ ! (انظر آية ٢٤ من
 سورة الزمر) (وما محمد إلا رسول) يعرض له
 ماعرض لسائر الرسل ، ويجوز عليه ما جاز عليهم
 وهو كسائر البشر : يأكل الطعام ، ويمشي
 في الأسواق . ويعرض ، ويموت (انظر آية ٤
 من سورة القلم) (قد خلت) مضت (من قبله
 الرسل) وماتوا حين حان أجلهم (أفان مات) كباقي مخلوقات الله تعالى (أو قتل) كسائر المستشهدين
 في سبيله (انقلبتم) رجعت (على أعقابكم) والمراد : ارتددتم إلى الكفر بعد إيمانكم (ومن ينقلب على
 عقبيه) فيكفر بعد إيمان ، ويشك بعد إيقان (فلن يضر الله شيئاً) بل يضر نفسه ، ويوردها مورد الهلكة

(وما كان لنفس أن تموت) بارادتها ؟ بل تموت (بإذن الله) حين ينتهي أجلها المحدد لها فإذا جاء أجلها لا تتأخر ساعة ولا تستقدم (كتاباً) مكتوباً عند الله (مؤجلاً) أى مؤقلاً بأجل معلوم ؛ فلا ينقح الجبن ،

المعزة الرابع

٨٠

ولا تنجي الهزيمة «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا نؤته) ما كتب له (منها) وليس له حظ في ثواب الآخرة (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) وما أعده الله للمتقين (نؤته منها) ما يستحقه من النعيم المقيم (وكان) (من نبي قاتل معه ربيون) أى ربابيون ؛ وهم العلماء العاملون ، والمؤمنون الموحدون : حواربو الأنبياء وخاصتهم (فأ وهنوا) أى فأ قدروا ، وما انكسرت هممتهم ، أو ضعف قوسهم (وما استكانوا) وما خضعوا (والله يحب الصابرين) في الحرب ، وعلى البأساء والضعفاء ، وعلى الطاعة ، وعن العصية (وما كان قولهم) أى لم يكن قولهم هنذا ولا لنؤا ولا شكاية ، ولا تأقفاً وتضجراً ؛ وإنما طاعة وصبراً ؛ ولم يكن قولهم (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) تجاوزنا الحد فيما أمرتنا به ، ونهيتنا عنه (ونبت أقدامنا) في الحرب ؛ فلا نزول من مكانها إلا إلى النصر والظفر ! من هنا نعلم أن واجب الإنسان حين يدعوز به لدفع ملة ، أو رفع كربة : أن يتجرد من دنياه ، ويستغفر من خطاياه ، ويتجه إلى مولاه ؛ فيستجيب دعاه ! ألا ترى - هداك الله تعالى إلى مرضاته - إلى

الشكرين ﴿١١١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَاجِلًا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزَى الشَّكْرِينَ ﴿١١٢﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبْيُونٌ كَثِيرٌ فَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجُلَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي طَلَبْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١٦﴾ بَلَى اللَّهُ مُولِكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١١٧﴾ سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ

نفس

قول العزيز الجليل (فآتاهم الله ثواب الدنيا) بالنصر والقيمة والذكر الحسن (وحسن ثواب الآخرة) بالجنة والنعيم المخلد ، ورضى عنهم وأرضاهم ! (بل الله مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب) فلا يستطيعون مقاتلتكم (بما أشركوا) أى بسبب إشراكهم (بالله) ما لم ينزل به سلطاناً (حجة أو برهاناً) (وماؤام) مرجعهم .

وَيْسَ مَثْوًى لِّلظَّالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
 إِذْ تَحْسُرُونَهُ يَاقُوتَهُ حَتَّىٰ إِذَا فَتِلْتَمَ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
 وَصَيْبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مُّجِيبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا
 وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
 وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾
 * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوِنُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
 فِي الْأَثَرِ فَأَنْتُمْ كَرِهْتُمْ خَيْرٌ لِّكُلِّ مَخِرٍّ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ
 وَلَا مَا أَصْبَحْتُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ
 عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ
 وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ
 الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
 لَوْ كُنَّا لَسَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ

(مثنوى) مقام (إذ تحسرونهم) تقتلونهم . والحس : القتل والاستئصال (ياذنه) بأمره وإرادته وقدرته
 (حتى إذا فتلتهم) جبتهم وضعتم (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغلبة ، وانهمزام
 العدو في مواقع عدة (منكم من يريد الدنيا) الغلبة ؛ فترك مراكز القتال ؛ ليفوز بها (ومنكم من يريد
 الآخرة) ونوابها ؛ فثبت في مراكزه حتى قتل ؛ وفاز بالأجر والشهادة ؛ وأنتم بهما من سعادة !
 (ثم صرفكم عنهم) ردكم عن الكفار بالهزيمة
 (ليبتليكم) ليختبركم بالمصائب ، وليظهر ثباتكم
 على الإيمان (إذ تصعدون) الإصعاد : الذهاب
 في صعيد الأرض ، أو الإبعاد فيه . والصعيد :
 ما على وجه الأرض من تراب وحجر ونحوهما .
 والمعنى : تستبقون إلى الحرب في مستوى الأرض ،
 وفي بطون الأودية والشعاب . وقيل : هو من
 الصعود ؛ وأنهم صعدوا هاربين في أحد (ولا
 تلوون) لا تلتفتون (والرسول يدعوكم في
 أخراكم) يناديكم وأتم منهيهم : إلى عباد الله ،
 إلى عباد الله ! (فأنا بكم) جزاكم (غما) هزيمة
 (بغم) أى مقابل غمكم للرسول صلوات الله
 تعالى وسلامه عليه ، وغالفتكم أمره . أو
 المعنى : غمكم بالهزيمة في أحد ، مقابل غم
 الكافرين وهزيمتهم بيدى ! وهو كقوله تعالى
 « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (ثم أنزل
 عليكم من بعد الغم) والهزيمة (أمنية نعاساً)
 أى أنزل تعالى على المؤمنين الأمن ، وأزال
 عنهم الخوف حتى نكسوا (نعسى) هذا النعاس
 (طائفة) جماعة (منكم) وهم الذين كانوا مع
 الرسول في القتال ، وعملوا بأمره ، ولم تلهمهم
 الغنائم عن طاعته : فنكسوا من كثرة ما آمنوا .
 والنعاس في القتال : أمن من الله ورحمة ،
 وفي الصلاة : من الشيطان (وطائفة) أخرى ؛
 وهم الذين خافوا أمر الرسول ، وانصرفوا إلى
 الغنائم ؛ فتقدم المشركون وأنفخوا المؤمنين . وهذه الطائفة (قد أهمتهم أنفسهم) والحفاظة على حياتهم ؛
 فهم من حذر الموت ، وخشية القتل في شغل (يظنون بالله غير الحق) ويتوهمون أنه تعالى
 لا ينصر محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (ظن الجاهلية) الأولى ، الذين كانوا يشركون بالله ، ولا يعرفون
 رباً يعتمدون عليه ، ويكونون أمورهم إليه (يخفون في أنفسهم) من النفاق (ما لا يبديون لك) وذلك لأنهم
 كانوا يبديون للرسول الإسلام - وهم برآء منه - والحرس على الجهاد - وهم بعداء عنه -

(لبرز) خرج (الذين كتب) قضى (عليهم القتل إلى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلي) يختبر (مافي صدوركم) من إيمان وإخلاص ، أو كفر وفناء (وليمحص) يميز حقيقة (مافي قلوبكم) من حب له ، وفناء في سبيله ، أو حب للذات ، وفناء في المذات (وَالله عليم بذات الصدور) بما في القلوب (إن الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) الجيشان :

الحزن الرابع

٨٢

فِي يَوْمِ تَكْرُرِ لَبْرَزِ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَالله عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ
النِّقَةِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ بَنَائِبَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَالله يُخَيِّمُ
وَيُعِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٩﴾
وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴿١٦٠﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ
اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا

تكرعاً لهم ، وتطبيعاً لنفوسهم : يا الله ؟ عفو ومغفرة ، ورفعة تبلغ حد المشاورة ! يأمر المولى عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم في الأمر - وهو خير الأنام ، وهاديهم ومرشدهم - وكل الناس مهما ارتقوا وعلموا فمن مدده يفترون ، ومن فيضه يستقون ! ولكن الله تعالى أراد بهذه الآية أن يعلمنا التدبر في الأمور ، والتشاور فيها ؛ وما المبادئ الديمقراطية ، والنظم الدستورية ، والمجالس النيابية ؛ إلا نتيجة تعاليم هذا الكتاب الكريم ؛ فله تعالى الحمد على ما من به وأنعم !

(فإذا عزم) أى إذا استقر رأيك على إمضاء أمر من الأمور ، وطابت نفسك له ، وشاورت إخوانك وأحباءك ، واستخرت إهلك (فتوكل على الله) اعتمد على معوته ونصرته ؛ فإنه لا شك معينك وناصرك (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) الصادقون فى الإيمان ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما كان لبي أن يفل) أن يخون. يقال :

٨٣

سورة آل عمران

غل من الغم : إذا أخذ منه خفية (ومن يفل) منكم (يأت بما غل يوم القيامة) المعنى : أنه يأت حاملاً ذنب الغلول وإثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ما عملت وافيأ ؛ غير زائد ولا منقوص . قيل : نزلت حينما افتقدوا قطيفة من مفاتيح بدر ؛ فقال بعضهم: لعل محمداً أخذها لنفسه . وقيل : «أن يفل» أى يكتم شيئاً مما أنزله الله تعالى عليه ؛ رهبة من الناس أو رغبة ! (أفمن اتبع رضوان الله) أطاعه واتبع أمره ، ولم يفل من غم ، ولم يكتم علماً (كن) غل فى الغم ، وعصى مولاه ، و (باء) رجع (بسخط) غضب (من الله) لا يستويان ! (ثم درجات عند الله) فالتبج لرضوانه فى جنات النعيم ، والذى باء بسخطه فى العذاب الأليم . (لقد من الله على المؤمنين) تفضل عليهم وأكرمهم وأعزهم (إذ بعث فيهم رسولا) محمداً : خاتم الرسل وإمامهم ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (من أقسمهم) أى من جنسهم ، ولسانهم (يتلو عليهم آياته) من القرآن الكريم (ويزكيهم) يطهرهم من دنس الكفر والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) العلم النافع (أولما أصابكم) أى أوحى أصابكم (مصيبة) يريد ما أصابهم

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٨٣﴾
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
قَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ
مِّنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨٦﴾ هُمْ دَرَجَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُصِيبُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٨﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبَةٌ
قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلُهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

يوم أحد ؛ من قتل وجراح (قد أصبتم مثلها) يوم بدر ؛ فقد قتل من المسلمين بأحد سبعون رجلاً ، وكان المسلمون قد قتلوا منهم يبلد سبعين وأسروا مثلهم (قلتم أنى هذا) كيف يكون هذا ؟ ومن أين أصابنا هذا ! ونحن مؤمنون وهم كفرون (قل هو من عند أنفسكم) لأنكم خذلتم الرسول ، ولم تطيعوا أمره ، وهرعتم إلى الفناء ، وتركتم مراكز القتال التى أمركم بالوقوف فيها ؛ ففكر عليكم المشركون ، ونالوا منكم ما نالوا ؛ فلا تلوموا إلا أنفسكم !

أَلْحَمَّانِ فَيَا ذِي اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا وَيَحِلُّ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا
قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَثُكُمْ هُمْ لِكُفْرٍ يَوْمَ ذِي الْقُرْبَى
مِنْهُمْ لِأَيِّمَنِ يَقُولُونَ يَا فُتُوهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَالُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَالًا بَلْ أَمْوَالٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ ﴿١٥٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا
ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِمْ مِنْ خَلْقِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٠﴾
* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ
مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَيْ

(هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن من دعى للجهاد فلم يلب ؛ كان للكفر أقرب منه للإيمان ! وجدير بمن سمع نداء الدين والوطن والواجب ؛ فلم يلب هذا النداء ؛ أن يموت إن شاء يهودياً أو نصرانياً ! (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) وهو قولهم «لو نعلم قتالاً لاتبعناكم» (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا) عن الجهاد ؛ كفرأ وجنأ (لو أطاعونا) أى لو أطاعنا الذين خرجوا للقتال (ما قتلوا) ولكانوا سالمين مثلنا . قال الله تعالى لهم ردأ عليهم (قل فادروا) ادفخوا (عن أنفسكم الموت) بعودكم عن الجهاد (إن كنتم صادقين) فيما تقولون (ولا تحسبن) لا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) في الجهاد ؛ لاعلاء دينه ، ونصرة نبيه . لا تحسبنهم (أمواتاً) كسائر الأموات ؛ الذين لا يحيون ، ولا يبعثون إلا يوم القيامة (بل) هم (أحياء عند ربهم يرزقون) يأكلون ويشربون ، ويتلذذون ويتنعمون ، ويضحكون ويمرحون

(فرحين بما آتاهم الله من فضله) من نعيم مقيم ، ورزق كريم ! (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أى يستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد بعد ، وبما سيؤول إليه حالهم بعد موتهم ؛ من إكرام كإكرامهم ، ونعيم كنعيمهم ! (من بعد ما أصابهم القرح) الهزيمة بأحد

(ولكن الله يجتبي) يختار (من رسله من يشاء) فيصطفيه فيطلمه على ما في ضمائر بعض الناس (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) من الأموال والأرزاق ؛ لا يحسبون أن يبخلهم به (هو خيراً لهم بل هو) في الحقيقة (شر لهم) في الدنيا بالأضرار ، وبغض الناس لهم . وفي الآخرة (سيطوفون ما بخلوا به) هو كناية عن إحاطة إثم البخل بهم ؛ كإحاطة الطوق بالعنق (ولله ميراث السموات والأرض) ملكها ، وما فيها ، ومن فيها (والله بما تعملون) من خير أو شر (خير) فيحكم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا إنا لله فقير ونحن أغنياء) قاله اليهود لضم الله تعالى ؛ حين نزل قوله تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (سكتب ما قالوا) في صحائف أعمالهم ؛ ليجازوا عليه يوم القيامة (وقتلهم الأنبياء) ونكتب أيضاً قتلهم الأنبياء : كتركيا ويحيى عليهما السلام (وتقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا) أيها الأغنياء الأغنياء (عذاب المريق. ذلك) العذاب (بما قمتم أيديكم) من كفر ونكر ألم قتلوا الأنبياء ؟ ألم تقولوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ؟ ١٩ (الذين قالوا) وهم اليهود أيضاً (إن الله عهد إلينا) أوصانا وأمرنا (ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أي حتى يقدم هذا الرسول قرباناً ؛ فتزل نار من السماء تأكله . وهذا افتراء منهم على الله حيث لم يعهد إليهم بذلك (قل) لهم يا محمد (قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) بالآيات الواضحات والمعجزات الظاهرات (وبالذي قلتم) أي

٨٦

الجزء الرابع

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٢٠
وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢١
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٢٢
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَالَمِينَ ٢٣
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَاللَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٤
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ

فَبَلِّغْ
بِالْقُرْآنِ الَّتِي تَأْكُلُهَا النَّارُ (فلم قتلتموهم) وقد جاءوا بما عهد إليكم به الله في زعمكم (فان كذبوك) بعد أن أغفمتهم (فقد كذب رسول من قبلك جاءوا) أقوامهم

(البينات) بالحجج والمجرات (والزبر) الصحف. جمع زبور؛ من الزبر: وهو الكتابة (والكتاب المنير) الذي ينير العقول من ظلمات الجهل، والقلوب من ظلمات الكفر (كل نفس ذائقة الموت) حتما ولا يبقى غير وجه الله تعالى. وهذه الدنيا - كما أنها ليست بدار خلود - فانها ليست بدار جزاء؛ فقد يغنى الله تعالى فيها الشقي، ويفقر النقي! (ولمّا توفّون أجوركم) كاملة (يوم القيامة) فيدخل الجنة من ابتغاهما وعمل لها، ويصلى النار من كفر بالله، ولم يعبأ بوعده ووعيده! (فمن زحزح عن النار) بأمر الله (وأدخل الجنة) بفضلها ورضاه (فقد فاز) فوزاً عظيماً! (وما الحياة الدنيا لإمتهان الغرور) يتمتع بها من يفتقر بزخرفها؛ وقد قلت فيها:

تعلموا أنما دنياكم عرض
ما لامرئ عاقل في جمعها غرض
دنيا تهم إذا ما أقبلت، وإذا
ما أدبرت فهي في قلب الفقي مرض!
فكم لفرقتها أشفى على تلك
صب بها مولع، في حبها حرض
وهي الغرور؛ فمن يبيع الركون لها
فانه يبيع أهل الحق معترض
صلوا وصوموا، وهشوا للزكاة إذا
ما كان مال، وقولوا: الحج مفترض
وارضوا بما قسم الرحمن بينكموا
فحسبكم أن تكونوا في الدين رضوا
ولا تظنوا دوام الحال، واعتبروا
بمن ترون عيائنا، أو من انقضوا

(تبلون) لتختبرن وتمتحن (في أموالكم) بذمائها وقصائصها (وأفسدكم) بالأمراض والأوبئة، وفقد الأحبة (ولأن تصبروا) على ذلك البلاء (وتتقوا) الله (فان ذلك) الصبر والتقوى (من عزم الأمور) أى من الأمور الواجبة الاتباع؛ التي يحرص عليها، ويعزم

على أدائها (فتبذوه) طرحوا هذا الميثاق، وذلك الكتاب (وراء ظهورهم) فلم يبينوه للناس، وكنتموا ما فيه عنهم (لا تحسن الذين يفرحون بما أتوا) من الأعمال، ويظنون أنهم من خيار الصلحاء الأتقياء (ومحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) أى يحبون أن يشتهر عنهم التقى وليسوا بالأتقياء، والصلاح؛ وليسوا بالصلحاء وهذا هو الرياء كل الرياء! (فلا تحسبنهم بمفازة) بمنجاة (من العذاب) وذلك لأن أعمالهم مردودة عليهم، وعبادتهم غير مقبولة منهم؛ لأن الرياء يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (ولهم عذاب أليم) جزاء مرءاتهم للناس، وتركهم الإخلاص (ولله ملك السموات) وما فيها من كواكب وأجرام (والأرض) وما عليها من دواب وحیوان وإنسان.

قَلِيلٌ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٥١﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَلِمَّا نُوَفِّقُ أَجُورَكُمْ ﴿١٥٢﴾
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ۖ فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٥٣﴾
* تَبْلُونَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ۖ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٥٤﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ۖ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٥٥﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغِيحُونَ بِمَا أُنُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُمَجَّدُوا ۖ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ فُلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١٨٨﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ
قِنَّا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ آتَارَ فَقَدْ
أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٢﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعِيعَادَ ﴿١٩٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا
فِي سَبِيلِي وَقَتَّلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَا دُخْلَنَّهُمْ

الله تعالى (وَأَتْنَا مَا وَعَدْتَنَا) من الفضل والرحمة والغفرة (على رسلك) أي على السنة رسلك (فاستجاب لهم ربهم) أجاب دعاءهم ، فانلأهم (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) وسأجزى كلا بما فعل (بعضكم من بعض) يستوى في الأعمال الذكور والإناث (لا كفرن) لأعون

(إن في خلق السموات والأرض) وما فيها من عجب عجاب (واختلاف الليل والنهار) بالزيادة والنقصان ، والنور والظلمة (آيات) ليعبر (لأولي الأبواب) ذوى العقول (الذين يذكرون الله) يتذكرونه (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) والمراد بذكر الله في هذه الحالات : هو خشيته ومراقبته في كل حالة ؛ وليس كما يدعيه أرباب الطرق : من أن تأويله ما يفعلونه في مراقصهم مما يتناقض مع الدين وآدابه ! وقيل : المراد بالذكر : الصلاة ؛ وليس بشيء . قال تعالى «فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وكيف خلقهما الله تعالى ، وكيف حفظهما ، وكيف رزق من فيهما ؟ فائتلين في حال ذكرهم وشكرهم (ربنا ما خلقت هذا) الكون عبثاً و (باطلاً سبحانه) تزهت وتعاليت عما يقوله الكافرون (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ربنا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا) هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو القرآن الكريم (وكفر عنا) استر وامنح (وتوفنا مع الأبرار) جمع بر ، أو بار ؛ وم المستسكون بالصرعية ، المحافظون على حدود

وَلَا ذُلٌّ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوَابِلًا مِّنْ
عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٠٦﴾ لَا يَفْرَنَكَ
قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٠٧﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٠٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا رَبَّهُمْ هُمْ
جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزِلَّ مِنْ
عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّهِ رِزْقًا ﴿١٠٩﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَزِنُونَ بِعَابِلَتِ اللَّهِ تَمَنَّا
قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١١٠﴾ يَكَايِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبَرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابَطُوا وَآتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١١﴾

(ثواباً من عند الله) وجزاء لأعمالهم
(لا يفرنك) يا محمد ، أو «لا يفرنك» أيها
المؤمن (تقلب الذين كفروا في البلاد) بالأموال
والتجارة ؛ فهذا (متاع قليل) في الدنيا (ثم
مأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش
(تزلا) موضع لإكرام . والنزل: ما بعد لتزول
الضيف ولإكرامه

(وما عند الله خير للأبرار) المتقين (ولأن
من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (لمن
يؤمن بالله) ورسوله (وما أنزل إليكم) من
القرآن (وما أنزل إليهم) من التوراة والإنجيل

(وصابروا) أي غالبوا الأعداء في الصبر على
أهوال القتال ، وشدائد الحروب (ورابطوا)
أي لازموا حدود بلادكم وثقوركم ؛ مستعدين
للدفاع والكفاح والغزو

بها (ولا تقبلوا الحيث) الحرام ؛ أى لا تقبلوا الأمر الحيث ؛ وهو أكل مال اليتامى (بالطيب) الحلال ؛ وهو المحافظة عليه ، فرده لأصحابه (ولا تأكلوا أموالهم) بأن تفسوها (إلى أموالكم) وتزعمونها لكم (إنه كان حوبا) إثمًا (وإن ختم ألا تقسطوا) ألا تعدلوا (في) شأن (اليتامى فأنكحوا) تزوجوا (ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) انظر مبحث «تعدد الزوجات» بآخر الكتاب (ذلك أدنى) أقرب (ألا تعولوا) ألا تجوروا . من حال الحاكم في حكمه : إذا جار . أو «ألا تعولوا» بمعنى ألا تعيلوا . من عال الميزان عولا إذا مال . وقيل : المعنى : ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم . يؤيده قراءة من قرأ «ألا تعيلوا» (وآتوا النساء صدقاتهن) مهرهن

(نحلة) النحلة : العطاء الذي لا يقبله عوض . أو «نحلة» أى عن طيب نفس . أو «نحلة» بمعنى : حقاً لهم ، لامراء فيه ؛ لأن النحلة أحد معانيها الدعوى (فإن طين لكم عن شئ منه) أى من المهر بأن تنازلن لكم عن بعضه (فكلوه هنيئاً مريئاً) حالاً لا شبهة فيه ؛ لأن كل حق تنازل عنه صاحبه - عن طيب نفس - فهو حلال طيب للتنازل إليه (ولا تؤنوا السفهاء) المبذرون وعديمو الأهلية ، أوهم النساء والعصيان أى لا تؤنوا ابنتك السفية ، ولا امرأتك السفية مالك وكان أبو موسى الأشعري يقول : ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفياً ، ورجل كان له دين على آخر فلم يشهد عليه . والآية في السفهاء عامة بدوت تخصيص والسفية : هو المستحق الحجر ؛ لنفساده وإفساده وسوء تدييره ؛ فلا تؤنوا (أموالكم) فيتلونها ويضيعونها ؛ وهي (التي جعل الله) أى جعلها (قياما) قواماً لأبدانكم ، وسبباً لمعاشكم ؛ ويدل على أن المراد بذلك الأبناء والزوجات : قوله تعالى (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً) لأن الإنسان غير مكلف برزق وكسوة سائر السفهاء ؛ وإن كان مكافئاً بأن يقول للجميع «قولا معروفاً» والقول المعروف : أن يقول لهم : إن صلحتم ورشدتم أعطيناكم كذا ، ووصلنا إليكم كذا وجعلناكم رؤساء أمراء ، لامراء وسين مأمورين ؛ وأمثال ذلك . وقد يكون المراد بقوله تعالى «أموالكم» : أموالهم ؛ فيكون المراد سائر السفهاء كما قدمنا . وسمى ماله السفهاء : أموال المخاطبين : لأن المال مشاع الانتفاع بين الناس ، وتجب المحافظة عليه على كل واحد منهم (وابتلوا البتة) أى اختبروا صلاحهم ودينهم وعقلهم (حتى إذا بلغوا النكاح) أى سن الزواج ؛ وهو بلوغ الحلم . هذا وقد قيدت القوانين الوضعية سن الزواج

لصالح ارتأها المفقن ؛ وطاعة الحاكم واجبة مالم تمس حرمة الله تعالى ! (فان آستم) وجدتم وعرفتم (منهم رشداً) عقلاً وصلاحاً في التصرفات (فادفعوا إليهم أموالهم) ليتصرفوا فيها طبقاً لرغبتهم - في حدود ما أمر الله تعالى - وإلا فالحجر واجب على كل سفية ! (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبشرين أكل أموالهم قبل أن يكبروا ويتسلطوا منكم (ومن كان غنياً) أيها الأوصياء (فليستغف) أى فلا يأخذ أجراً على وصايته (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) لا يزيد عن أجر إدارة أموال اليتيم فحسب (للرجال نصيب) حظ مقدر (مما ترك الآلادان والأقربون والنساء نصيب) من ذلك أيضاً (نصيباً مفروضاً) فرضه الله تعالى (وإذا حضر القسمة أولوا القربى والمسنكين فالرزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفاً) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية

لصالح ارتأها المفقن ؛ وطاعة الحاكم واجبة مالم تمس حرمة الله تعالى ! (فان آستم) وجدتم وعرفتم (منهم رشداً) عقلاً وصلاحاً في التصرفات (فادفعوا إليهم أموالهم) ليتصرفوا فيها طبقاً لرغبتهم - في حدود ما أمر الله تعالى - وإلا فالحجر واجب على كل سفية ! (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبشرين أكل أموالهم قبل أن يكبروا ويتسلطوا منكم (ومن كان غنياً) أيها الأوصياء (فليستغف) أى فلا يأخذ أجراً على وصايته (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) لا يزيد عن أجر إدارة أموال اليتيم فحسب (للرجال نصيب) حظ مقدر (مما ترك الآلادان والأقربون والنساء نصيب) من ذلك أيضاً (نصيباً مفروضاً) فرضه الله تعالى (وإذا حضر القسمة) قسمة الميراث (أولوا القربى) ذوو القرابة ؛ ممن لا يرت =

== (و) حضر (اليتامى والمساكين فارزقوهم منه) من الميراث بقدر ما تطيب به نفوسكم (وقولوا لهم قولا معروفا) ترضية لنفوسهم ، وتطيباً لقلوبهم . وهي وصية لأولى القرى : الذين يحزنون ولا يرتون . قال تعالى « إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » وقد ذهب بعضهم إلى نسخ ذلك الحكم ؛ وهو عكم وليس بمسوخ ؛ وقد أجمع على ذلك الصدر الأول من الإسلام : فقد روى عن يحيى بن عمر رضى الله تعالى عنه : ثلاث آيات محكمات مدنيات ؛ تركهن الناس : هذه الآية ، وآية الاستئذان « يا أيها الذين آمنوا

الجزء الرابع

٩٢

لستأذنكم الذين مالكت أيمانكم » وآية التعارف « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وقيل : على الوارث الاعطاء ، وعلى المعطى له قول المعروف (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) بعد موتهم (ذرية ضعافا خافوا عليهم) نزلت هذه الآية في الأوصياء والمعنى : تذكر أيها الوصى ذريتك الضعاف من بعدك ؛ وكيف يكون حالهم بعد موتك ؛ وعامل اليتامى الذين وكل إليك أمرهم وتربوا في حجره ؛ بمثل ما تريد أن يعامل أبناؤك بعد فقدك ! (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى ظالمين لهم (إنما يأكلون في بطونهم نارا) وهذا مشاهد في الدنيا : ترى آكل مال اليتيم ؛ وقد اتابته الأمراض الفتاك المهلكة ؛ فهذه قرحة في المصارين تقض مضجعه ، وهذا سرطان يسرى في دمه ويأكل لحمه ، وهؤلاء أبناؤه وقد فسدوا خلقاً وخلقاً ، وعاتوا فساداً وإفساداً ، وأهلكوا ماله وأفسدوا حاله ؛ جزاء وفاقاً لما جنته يده ، وعصيانته لمولاه ! وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالنار التي يأكلونها في بطونهم : نار الآخرة ؛ لأن ما لهم إليها . والقول الذي ذهبنا إليه أولى لما نشاهد ، ولقوله تعالى (وسيصلون سعياء) في الآخرة (يوصيكم الله) أى يهتد إليكم ، ويأمرهم

ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرَّمِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّا يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَائِشَةَ وَزَيْنَبُ وَكُرَّا تَدْرُونَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ لَكَ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾ وَلَكَ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكَ إِن لَّا يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُلِّ الرُّبْعِ مِمَّا تَرَكَ مَن بَعْدَ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ وَلِلسَّيِّدِ الرُّبْعُ

جاء

(في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أى مثل نصيب الأنثيين . ولا توجد حالة يسوى فيها المشرع بين الذكر والأنثى في الميراث ؛ سوى عند وجود الأبوين مع ابن أو بنتين فصاعداً ؛ فإن نصيب الأم يكون مساوياً لنصيب الأب ؛ فيأخذ كل منهما السدس . وعند وجود أخوة ، وإخوة لأم ؛ فانهم جميعاً يستحقون ثلث التركة : يقسم بينهم بالتساوى ، لافرق بين ذكورهم وإناثهم . ولا عبرة بما يدعو إليه غلاة الزنادقة ، وأئمة الإلحاد ؛ من مساواة المرأة بالرجل في الميراث ؛ إذ أن ما يدعون إليه من أكبر الكبائر ! كيف لا وهو مخالف لما جاء به الكتاب الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! والميراث من الحقوق التي قررها الله تعالى ، وجعلها فريضة محكمة ، وتوعد مخالفيها والخارج عليها بنار الجحيم ؛ والعذاب =

== الأليم : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » فليس لإنسان - بالغ ما بلغ - أن يطعمه الشيطان ؛ بأن هداه أهدي من هدى الله ! وليس لإنسان أن يحاول الخروج عما رسمه الله تعالى وأراد له عباده ؛ وليس لهوى الإنسان ، مكان مع صريح القرآن ! « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نعماً . فريضة من الله إن الله كان عليهما حكيماً » . يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » وقد يقول قائل : إن الله قد جعل الإنسان حراً فيما آتاه ! وهو وهم يلقيه الشيطان لأوليائه من بني

الإنسان ؛ فهي حرية مقيدة بما فرضه وقرره وأهب المال ! وقد جعله تعالى فتنة للناس « واعملوا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » « فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » باتباع أحكامه ، والزام أوامره ، ومن شاء اتخذ للهواه ، وخرج من دينه بسخط المخلوقين ، وغضب رب العالمين ! وليس معنى ذلك أننا نحرم الوصية المفروعة ؛ التي يجب وضعها حيث أمر الله ؛ وما شرعها تعالى إلا لزيادة ثواب فاعلها وتنمية أعماله ؛ وهي - في حدود الثلث - لذوى القربى من المعوزين ، ولذوى الحاجات من الفقراء والعاجزين ! وقد جاء في الحديث الشريف : أن أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منح أحد أولاده بعض ماله ، وجاء ليشهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه على ما منح ؛ فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم : أله أخوة ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : أعطيت مثلها أعطيت ؟ قال : لا . قال عليه الصلاة والسلام : « لا أشهد على جور ؛ اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ! » وقد وضع من ذلك الحديث : أن محابة بعض الأبناء ظلم وجور ؛ وعن ذلك نهى الله تعالى ورسوله « فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون

بِمَا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ بِمَا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ قُضِيَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْرُ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ مَالٌ فَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٠﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَامْسِكْ بِهَا وَبِأُخْرَى أَرْبَعَةً مِنْكَ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكْهُمْ فِي النَّيِّبِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ مِنْ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ

أيهم أقرب لكم نعماً) في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الله يدرى ذلك ؛ فقم حيث توجد المصلحة ، وتتوفر المنفعة . وهذا يقتضى مع ما يعمل بعض الجهال ؛ من إثارة بعض أبنائه بماله ، وحرمان البعض الآخر ؛ مما يوجب البغضاء والشحناء ، ويؤدى إلى ارتكاب الجرائم ، ووخيم العواقب (من بعد وصية يوصى بها) إلى بعض الأقرباء الفقراء ؛ كما بينا في الآية السابقة (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة : الذى لا ولد له ولا والد (غير مضار) أى بشرط أن تكون تلك الوصية للمصلحة ؛ لا بقصد الإضرار بالورثة (تلك) الفرائض التى بينها الله تعالى وشرعها (حدود الله) فلا ينبغي تجاوزها « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) هى السحاق . وقال الأكثرون : هى الزنا ، ولها =

== نسخت بقوله تعالى «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» وسندهم في ذلك : قوله تعالى (فاستشهدوا عليهن أربعة شهداء ؛ لم يرد إلا في الزنا (فان شهدوا) بإتيانهن الفاحشة (فأمسكوهن) احبسوهن (في البيوت) فلا يخلطن بأحد - رجلا أو نساء - عقوبة لهن وحفظاً (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلاً) طريقاً للخلاص ؛ مما هن فيه من الحبس ، ومما كن عليه من الإثم ! وذلك السيل بالزواج . ويرد على قول من قال : إن هذه الآية نزلت في الزنا ولها منسوخة ؛ يرد على ذلك بقوله تعالى «والذان يأتيانها منكم» نفس في الأولى الأنات وحدهن ، وفي الثانية الرجال وحدهم ؛ فبان لنا من ذلك أنه تعالى إنما عني في الأولى المساحقة ، وفي الثانية اللواط (فأذوها) أى اللواط والملاوط به : والإيذاء يكون بالضرب ، والتوبيخ ، والتشنيع ، والتعير ، والمجران ، وغير ذلك . وهو دليل أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ؛ في حد اللواط بالتعزير . والتعزير قد يصل إلى حد القتل ؛ وقد قضا في اللواط ؛ بأن يلقى من حلق ! واللواط من الفواحش الذميمة التي يستحق مرتكبها أن يقطع إرباً ، ويلقى للكلاب ؛ جزاء فعلته التي قبحها الله وتوعد فاعلها ! عافانا الله تعالى من كل ما يقضيه بمنه وكرمه ، وأنجانا من ذل المعصية ، ووهنا عز الطاعة ؛ إنه سميع مجيب ! (فإن تابا) عن اللواط (وأصاحا) أعمالهما (فأعرضوا عنها) توقفوا عن لذاتيهما ؛ ماداما قد تابا إلى الله ، وأصلحا (إن الله كان تواباً) قابلاً للتوبة من تاب (رحيماً) بعباده ؛ إذا حسنت توبتهم : بدل سيئاتهم حسناً ! (إنما التوبة على الله) يقبها ويثيب فاعلها (للذين يعملون السوء بجهالة) يجهل منهم عاقبة أمرهم (ثم يتوبون من قريب) أى يتوبون سريعاً ، ويرجعون إلى مولاهم ! ومن علامة التوبة النصوح : عدم العود إلى

الجزء الرابع

٩٤

فَعَاذُوهُمْ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴿٩٥﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٩٦﴾ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَتُوبُ وَلَا أَلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٩٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلْ لَكُمْ زُرْعَاكُمْ تَرْفُوا النَّسْلَ كَرْهًا وَلَا تَقْضَوْهُنَّ لِنَدْبِهِنَّ بَعْضُ مَا يَتَّبِعُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغِيصَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيراً ﴿٩٨﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْسِفِدَالِ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ فِطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَنَاخُذُونَهُ بِهِنَّ وَأَنْتُمْ مِينَا ﴿٩٩﴾

وكيف

الذنب ؛ وإلا فالإثم لذنبه ، كالمستهزى به ؛ وهذه هي التوبة المقبلة ؛ التي تجعل صاحبها في عداد الطيبين الصالحين ! (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) ولا يعبأون بفطر الأرض والسماوات ! وهم أهل الإصرار على المعاصي (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أى حضرت أسبابه ومقدماته ، وأخذ في النزع (قال إنني تبت الآن) فهذا القر لا قبل توبته ، ولا ترد غيبته ، ولا نحمد أوبته ! فما أشبهه بفرعون - حين أدركه الفرق ، وأخذ الموت بتلايه - قال : «آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل» فقبل له : «الآن وقد عصيت قبل وكنت من القسدين» (انظر آية ٩١ من سورة يونس) (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا) أعدنا وهماً نا (لهم عذاباً أليماً) في جهنم وبئس المصير ! (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن ترضوا النساء =

= كرها) أى لا يحل لكم أن تأخذوا نساء مورثكم فتزوجوهن كنهن من الميراث المتروك لكم ؛ وكان ذلك شأنهم فى الجاهلية . وقد يكون المعنى : لا يحل لكم أن ترثوهن أحياء ؛ فتأخذوا أموالهن كرها (ولا تفضلوهن) الفضل : الحبس والضيق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر ونحوه (إلا أن يأتين بفاحشة) من الزنا . وقيل : ما تستحيل معه المعيشة : كالنشوز ، وإيذاء الزوج وأهله ؛ فهذا فقط يجوز للزوج أن يسترد ما آتاها (وعاشروهن بالمعروف) بلودة والرحمة اللتان فرضهما الله تعالى بين الأزواج (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا

ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وهو حق كريم على المطف وعدم الطلاق إلا للضرورة القصوى التى تستحيل معها جنة الحياة الزوجية ، إلى حميم الشجاء والبغضاء ! (وإن أردتم) أيها الأزواج (استبدال زوج مكان زوج) بتطليق وتزوج (وآتيتم أحداهن) أى آتيتم الزوجة المرغوب عنها ، المرغوب فى تطليقها (فقطارا) كناية عن كثرة المطى لها ؛ من مهر وهديّة ونحوهما (فلا تأخذوا منه شيئا) تأخذونه بهتاناً ولعناً مبيناً وصف الله تعالى أخذ المطلق شيئا مما آتاها لمطلقة بالبهتان - وهو الظلم - وبالإثم المين - وهو الذنب بين الفادح . وهذا التهى فى حالة واحدة: هى رغبة الرجل وحده فى الطلاق ؛ ابتغاء «استبدال زوج مكان زوج» أما فى حالة رغبتها هى فى الانفصال ؛ فيجوز له أخذ كل ما آتاها أو بعضه ؛ لقوله تعالى «فلا جناح عليهما فيما افتدت به» نفسها ؛ اتخلص من هذا الزوج الذى لا ترغب فى البقاء تحت إمرته (انظر آية ٢٢٩ من سورة البقرة) (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) هو كناية عن الخلوة الصحيحة (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) الميثاق الغليظ : هو ما أمر الله تعالى به من إمساكن بالمعروف ، أو

تسريحهن بإحسان ، أو هو عقد الزواج ، أو هو كناية عن الالتقاء والجماعة . أو المراد بالإفشاء والميثاق : هو ما بينهما من المودة والمحبة ، وما يجب عليهما من ستر المعاييب ، والحفاظة على السر (ومقتا) وبغضا عند الله تعالى (وربانيكم اللاتى فى حجوركم) أى بنات أزواجكم اللاتى ربيتموهن ؛ وسميت ربية: لتربيته لها . والتجريم يتناول من تربت فى الحجر ومن لم ترب فيه ؛ لأن الزوجة المدخول بها : يحرم على الزوج أصولها وفروعها . وقد ذهب أهل الظاهر إلى أن الربية لا تحرم إلا بشرطين : الدخول بالأمر ، والتربية فى الحجر ؛ فإذا انعدم أحد الشرطين ؛ لم يوجد التجريم (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لا حرج فى تزوج الربية فى حالة طلاق الزوجة ، أو موتها قبل الدخول بها ؛ والدخول: كناية عن الجماع (وحلائل أبنائكم) =

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٩٥﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٩٦﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّذِينَ أَرْضَعْنَكُمْ وَآخَوْتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا رَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ

= جمع حليلة ؛ وهى الزوجة (وأن تجمعوا بين الأخنتين) لما فى الجمع بينهما من مضارة لهما ؛ وإبدال ما بينهما من ود بالغ ، إلى حقد شنيع ! ويحرم أيضاً الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، أو ابنة أخيها ، أو ابنة أختها ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وعلى ابنة أخيها ولا على ابنة أختها » (والمحصات) المتزوجات (من النساء) أى وحرمت عليكم النساء المتزوجات ؛ ويتناول التحريم : أن يتعرض لها بوعد ، أو أن يعرض نفسه عليها (إلا ما ملكت أيمانكم) فهن غير محرمات . وهن

الحصة الخامس

٩٦

قَالَ اسْتَمْتَعْتُ بِهِ مِنْهُنَّ فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْنَهُ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٦ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ
أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَحَصْنَتٌ لَكُمْ مِنْ فَوَاحِشٍ
مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ
فَعَلَيْنَ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٧ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ

أَنْ

اللاثى سين فى الحرب ، وهن أزواج من الكفار المحاربن ؛ فقد أصبحت - بالكفر والسبي - من ملك اليمين ؛ حلالا لمن أخذها ؛ بشرط أن يستبرئها ؛ وإذا باعها فقد طلقت منه بالبيع . وقيل : « المحصات » الغائف ؛ إلا ما ملكت أيمانكم » بالعمد . وقيل : هن نساء أهل الكتاب : لا تحل إلا إذا ملكت بالسبي وقت الحرب (كتاب الله) أى كتب الله تعالى تحريم ما حرم ، وتحليل ما حلل من ذلك (عليكم) فلا تحلوا ما حرم ، أو تحرموا ما أحل (وأحل لكم ما وراء ذلك) أن تبينوا الحلال (بأموالكم) للمهر أو للثمن (محصنين) متزوجين . والأحصان : العفة ، وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام (غير مسافحين) غير زانين . والمسافحة : الزنا (فما استمتعتم به منهن) بالزواج (فآتوهن أجورهن) مهورهن (ولا جناح عليكم) لا لائم ، ولا حرج (فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) أى فى إقاص جزء من المهر المفروض ؛ بشرط التراضى الكامل ؛ الذى لا عسف فيه ولا إكراه (ومن لم يستطع منكم طولا) غناء وسعة (أن ينكح المحصات) الحرائر العفيفات (فما ملكت أيمانكم من فتيانكم) إمائكم (المؤمنات والله أعلم بآيمانكم) أى ليتزوج أحدكم أمة أخيه أو

صديقه - ما دامت قد أظهرت إيمانها - والله أعلم بسرائركم (بعضكم من بعض) أى إنكم جميعا بنو آدم ؛ قد خلقتم من نفس واحدة ؛ فلادعى أن تستكفوا من زواج الإماء المؤمنات ؛ حيث إنكم فى ضيق لا يمكنكم من زواج الحرائر ؛ أليس الزواج بالأمة خير من الوقوع فى الزنا ؟ ! (فانكحوهن) تزوجوا الإماء (بأذن أهلهن) موالين (وآتوهن أجورهن) مهورهن (بالمعروف) على ما تراضيتن به ؛ من غير مطل (محصات) عفيفات (غير مسافحات) زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن : وهو الحليل (فاذا أحصن) زوجن (فإن أتين بفاحشة) أى زنين (فعلين) أى على الإماء من الحد (نصف ما على المحصات) الحرائر (ذلك) الذى أبجته لكم من زواج الإماء (لمن خشى العنت) الزنا . وأصل العنت : الضيق والضرر والمشقة =

== (وَأَنْ تَصْبِرُوا) عن المعاصي ، وعلى الطاعات (خير لكم والله غفور) لما فرط منكم ؛ إن أصلحتم أمور أنفسكم فيما بينكم ودينه (رحيم) بكم ؛ لا ينهاكم إلا عما فيه الضرر المحيق بكم ، ولا يأمركم إلا بما فيه المصلحة الدنيوية والأخروية لكم (يريد الله لبيان لكم) الفرائض السليمة (ويهديكم سنن الدين من قبلكم) طرق من سبقكم من رسل الله تعالى وأنبيائه ، وعباده المؤمنين الصالحين (والله يريد أن يتوب عليكم) يغفر ذنوبكم ، ويعفو عما سلف من آثامكم (ويريد الذين يقعون في الشهوات) من شياطين الإنس ؛ الذين نسوا

مولايم ، وجعلوا لهم هوايم (أَنْ تَمِيلُوا)

عن الإيمان والحق (يريد الله أَنْ يَخْفَ

عنكم) بما يسره وأباحه لكم ؛ من زواج

الأمة - عند تقدر زواج الحرة - وبما

رخصه لكم (وخلق الإنسان ضعيفا)

لا يستطيع الصبر عن النساء (يا أيها الذين

آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) بما

لم يجهه الشرع ؛ كالنصب ، والقمار ، والربا ،

والسرقه ، وما شاكل ذلك (إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تِجَارَةً) تديرونها بينكم (عن تراض منكم)

على أَنْ يكون التراضي غير مشوب باكره ؛

كمن يرى تاجراً في ضيق فينتهز فرصة ضيقه

وإفلاسه ، ويساومه في بضاعته ؛ بدون عنها

المعلوم ، أو بأقل مما يشتري به مثلاً ؛ فيقبل

البائع مضطراً ؛ لحاجته . ويقول المشتري في

نفسه : أليس البيع عن تراض ؟ أليس من

حق أن أشتري بالثمن الذي أرتضيه ؟ ويستحل

بذلك ما حرم الله تعالى ! فليس هذا بالتراضي

المطلوب الذي أَرَادَهُ الله تعالى ؛ بل هو بالنصب

أشبه . وإنما التراضي : أن تكون نفس

البائع راضية ؛ وقسه لن تكون راضية وهو

خاسر في بيع سلعته ؛ أكرهته الظروف على

هذا البيع ، واضطرته مطاعم المشتري إليه !

فليق الله من يرغب في جنته ، وليتجنب

الشبهات في ماله وعرضه ودينه ! (وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ) أي لا يقتل بعضكم بعضاً ، أو لا تفعلوا ما يوجب قتلها . أو هو على ظاهره بمعنى الانتحار (ومن

يفعل ذلك) بأن يأكل أموال الناس بالباطل ، أو يشتري بغير تراض ، أو يقتل النفس التي حرم الله تعالى

قتلها (عدواناً) منه على الغير (وظلماً) لهم (فسوف نصليه) ندخله (ناراً) جهنم وبئس المصير ! (إن

تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الكبائر : لا تعد ، ولا تحدد ؛ وأكبرها : الشرك بالله ، وقتل النفس ،

وعقوق الوالدين ، والزنا ، وشرب الخمر ، وقول الزور ، والفرار يوم الزحف . وقد قالوا : لا صغيرة من

الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ! أي إن الصفائر إذا لازمها المذهب وأصر على إتيانها : فهي كبائر ،

والكبائر إذا ندم على ارتكابها ، واستغفر ربه منها ؛ قبله الله تعالى وغفرها له ! (نكفر عنكم سيئاتكم) =

أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٩٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٩٨﴾ يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٩٩﴾
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَطَغًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرًا ﴿١٠٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ
عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ ﴿١٠١﴾
وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ
وَسَوَّلُوا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٠٢﴾
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ
عَقَدْتُمْ آبَتَكُمْ فَقَاتِلْتُمْ أَنْفُسَهُمْ نَصِيبٌ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٠٣﴾ الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النَّسَاءِ وَمَا

= المراد بالثبات : الصغار (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي الزموا الطاعة ، وتمسكوا بأهداب القناعة ؛ ولا تطلعوا بأعينكم إلى ما خص الله تعالى به غيركم ؛ فهو جل شأنه مالك الملك ؛ يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ؛ بيده الخير كله ! وهو حث على عدم الحقد والحسد . وقيل : نزلت حين غنت النساء مثل أجر الرجال (واسألوا الله من فضله) فإن آلاؤه لا تعد ، وفواضله لا تنفد ؛ وهو وحده القادر على تحقيق أمانيكم ، وبلوغ آمالكم (ولكل جعلنا موالاً) وهم الأقرباء الذين ليست لهم فرائض مساة ؛ فيأخذون ما بقي - من الميراث - من أصحاب الفرائض (الرجال قوامون على النساء) أي تأمونت عليهن بالأمر والتهى والتوجيه ، والرجز والتأديب ، والإنفاق والرعاية ؛ كما يقوم الولاة على الرعية . وذلك لأن القوامه أحوج إلى الحزم والتدبير ؛ منها إلى الحنان والوجدان ! صفات الرياسة والقوامه متوافرة في الرجل توافراً كاملاً ؛ لأنه خلق ليكون قائداً ورأياً ؛ كما أن صفات الرقة والحنان ، والرقة والوجدان ؛ متوافرة في المرأة ؛ لأنها خلقت لتكون زوجاً وأماً (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي هذه القوامه سبب تفضيل الله تعالى للرجال على النساء ؛ لوفور علمهم ، ومزيد قوتهم ، واضطلاعهم بالأعباء الجسم (وبما أنفقوا من أموالهم) لأن النفقة واجبة عليهم . وهذا هو سبب قوامه الرجل على المرأة ، فإذا انعدمت هذه الأسباب ؛ وكان الرجل خاملاً ، ضعيفاً ، جاهلاً ، معدماً ؛ فأى قوامه له على المرأة النابهة ، القوية ، العالمة ، الغنية ؟ ! (فالحالات) من النساء (فانتات) مطيعات لله تعالى ولأزواجهن (حافظات للغيب بما حفظ الله) أي حافظات لعرسه وماله - حال غيبته - بما أمر الله به أن يحفظ . أو حافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ، ويجمل ستره .

الجزء الخامس

٩٨

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَأَصْلَحَ تَنَزَّاهُ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاجْهَرُوا فِي الْمَصَاحِبِ
وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَابْتَغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ * وَاقْبَلُوا
الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ شِقَاقًا وَبِالَّذِينَ إِحْسَنَّا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْحَنِيفِ وَالصَّاحِبِ بِالْغَنِيِّ وَالَّذِينَ فِي السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝
الَّذِينَ يَخُلُونِ وَيَمْشُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝

وَالَّذِينَ

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ؛ ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » ولا يخفى ما يأتيه الآن سفهاء القوم ؛ حين يصبح أحدهم فيقول : صنعت في ليلة أمس كيت وكيت ، وتصبح زوجته أيضاً فتقول لجارتها : لقد صنع في أمس كيت وكيت . فيتصاحكن لتلك السفاهة الشنيعة ، والبذاءة المفقوة ! (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن (فعظوهن) أي مهروهن بالطاعة (واجهروهن في المصاحب) بأن لا تناموا معهن في فراش واحد . أو كناية عن عدم لائيهن (واضربوهن) ضرباً يسيراً غير مبرح ؛ ولكنه يبلغ حد الإيلاء ، ولا اتفت به حكمة التأديب . انظر كيف يعاملنا الله سبحانه وتعالى كيف نؤدب نساءنا ؟ وكيف تتدرج بهذا التأديب ؛ فن نصح يبلغ =

حد اللطف ، إلى هجر لا يبلغ حد العنف ، إلى ضرب بعيد عن القسوة ؛ فإذا نفع الوعظ : حرم الهجر . وإذا تم التأديب بالهجر : حرم الضرب (فإن أظفركم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى إن أظفركم بالوعظ ؛ فلا تبغوا عليهن بالهجر ، وإن أظفركم بالهجر ؛ فلا تبغوا عليهن بالضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) أى إن استحك هذا الشقاق ، وخشيت عواقبه ؛ ولم تتأدب بما أدهبا الله تعالى به ، أو تجاوز الزوج حدود الله في تأديبها (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) ليحكما بين الزوجين من خلاف (إن يريد) الحكمان (إصلاحاً) بين الزوجين (يوفق الله بينهما)

أى بين الحكمين ؛ فيزيلا ما بين الزوجين . أو «يوفق الله بينهما» أى بين الزوجين (إن الله كان عليهما) بما فعله الحكمان (خيراً) يمكنون صدورهما (واعبدوا الله) حق عبادته (ولا تشركوا به شيئاً) وبالوالدين إحساناً (قرن تعالى عبادته بالإحسان بالوالدين في غير موضع من كتابه الكريم ؛ لما لها على الابن من فضل يمجزه وفاؤه (والجار ذى القربى) القريب منك (والجار الجنب) البعيد عنك . أو المراد بها قرابة النسب ؛ وعلى كلا المعنيين فقد أوصى الله تعالى بنى القربى - جاراً كان أو غير جار - وقد أوصى جبريل الأمين الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليهما بالجار حتى ظن النبي أنه سيورثه ؛ ومن وصيته عليه الصلاة والسلام بالجار : «إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن مرض عده ، وإن احتاج أعطيته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابه مصيبة عزبته ، وإن مات تبع جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتجعب عنه الريح إلا باذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، وإن اشتريت فأكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده» (والصاحب بالجنب) وهو الذى رافقك في سفر ، أو تعلم

علم ، أو جاورك في الصلاة . وقيل : هي امرأة الرجل تكون إلى جنبه (وابن السبيل) المسافر المنقطع (وما ملكت أيمانكم) من العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالاً) متكبها (غوراً) على الناس بجاهه وماله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من مال كثير ، ورزق وفير ؛ فلا يبطون منه الفقير ؛ فحسبهم جهنم وبئس المصير ! (وأعتدنا) هيئنا وأعدنا (للكافرين) الذين يبخلون بما آتاهم الله (عذاباً مهيناً) هذا شأن الذين يبخلون ؛ أما الذين يتظاهرون بالكرم والجود - رياءً ونفاقاً - فهم أسوأ حالاً ومآلاً ممن يبخلون ! وقد وصفهم الله تعالى بقوله : (والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) أى مراعاة لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) لأنهم لو آمنوا بربههم ؛ لمعملوا له بالخلقاته ! =

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيعَةً لِلنَّاسِ وَلَا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٥٥﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَظْلِمُ شَيْئًا مُنْقَلَبَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً بَضِعْنَاهَا وَبَوَّزْتَ
مِنْ لَّدُنْهُ آيَةً عَظِيمًا ﴿٥٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥٨﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرُّسُلَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٥٩﴾ يَتْلِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا
إِلَّا بِأَعْيُنٍ سَبِيلٍ حَتَّى تَقْضُوا أَوْ أَنْتُمْ مَرْضَى أَوْ
عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَمْسُ
النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

فهم في العطاء أسوأ من البخلاء ؛ لأنهم قرناء الشيطان (ومن يكن الشيطان له قريناً) أى مصاحباً ؛ يأمر فيطاع : يأمره بكل شر ، وينهاه عن كل خير (إن الله لا يظلم مثقالاً) وزن . من الثقل (ذرة) ومي أصفر من النمل أو هو ما ينفروه الهواء من سفار المخلوقات ؛ التي خلقها بارئ الأرض والسوات ! (ولأنك حسنة يضاعفها) ينمها ويزدها (فكيف إذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة بشهيد) هو رسولها يشهد بما لها أو عليها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أى على قومك (شهيذاً) بما عملوا من عناد وفساد

(يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) أى لو يدفنون وتسوى بهم الأرض كما يفعل بالموتى (ولا يكتنون الله حديثاً) أى ولا يستطيعون أن يكتنوا الله تعالى ما فعلوا ؛ وكيف يكتنونه وأعضاءهم وجوارحهم تشهد عليهم (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) قيل : نزلت هذه الآية في بدء تحريم الخمر ؛ حين قرأ أحدكم في صلاته « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » فنهوا عن الصلاة وهم سكارى (ولاجنباً) أى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب (إلا عابري سبيل) أى لا مسافرين ؛ فقد أبيحت لكم الصلاة بغير وضوء - عند فقدان الماء - ويجزى حينذاك التيمم (أو لامستم النساء) جامعتموهن (فتبهموا) اقصدوا (صعيداً) هو وجه الأرض؛ تراباً كان أوحراً أو غيرها (طيباً) طاهراً (إن الله كان عفواً غفوراً) كثير العفو (غفورا) للمذنبين :

سبحان من نهفو ويعفو دائماً

ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطى الذى يخطئ ؛ ولا يمنع

جلاله من العطا لذى الخطأ

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب)

هم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى يريدون أن تكونوا مثلهم في الضلال ، وتحضوا طريق الحق (من الذين هادوا) من اليهود قوم (يحرفون السكمان عن مواضعه) أى يبدلون الكلام عن معناه . قال بعضهم : أريد بالكلم التوراة . وقد أخفوا فيها ذكر محمد عليه الصلاة والسلام ، وأخفوا منها آية الرجم (ويقولون سمعنا وعصينا) المعنى : إنهم سمعوا قوله ؛ فقلقوه بالصبيان . وقد عبر تعالى عن ذلك بالقول - مع أنهم لم يقولوه - كما جاء في قوله تعالى « قلنا أتينا طائعين » (واسمع غير مسمع) هو دعاء بمعنى : اسمع لاسمعت (وراعنا) هى كلمة سب بالعبرية أو السريانية (لياً بالسنتهم) أى يلوون ألسنتهم بقولهم « غير مسمع » وقولهم « راعنا » التى هى في الحقيقة سب ودعاء ، ويقولونها في قالب =

يُوجِهْكُمْ وَيَذِيبْكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَ غَفُوراً ﴿٣٧﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُسْتَرُونَ
الضَّلٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٣٩﴾ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرِعْنَا لِيَّا يَأْتِيَنَّهُمْ وَطْعًا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّنَعْنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٠﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنًا وَمَا
زَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أُنْحَبَ السَّيِّئِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ

آخر : كقولهم : السام عليكم مكان «السلام عليكم» والسام : الموت (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (آمنوا بما نزلنا) من القرآن ، على رسولنا محمد (مصدق لما معكم) من التوراة والإنجيل (من قبل أن نطس وجوها) نفيها بالسخ (أو ناهنهم) نطردهم من رحمتنا أو نمنسحهم قردة (كما لعنا أصحاب السبت) اليهود الذين خالفوا بالصيد يوم السبت ؛ وقد نهوا عنه «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) يمدحونها ويصفونها بالطاعة والتقوى ؛ وهو لأم . وأريد بهم اليهود ؛ حيث قالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه»

١٠١

سورة النساء

وليست تزكية النفس بالقول (بل الله يركى من يشاء) يأجره ويجزيه (ولا يظلمون شيئا) هو كناية عن القلة . والقتيل : الذى يقتل بين الأصابع ؛ لتفاتهته وقتله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) اليهود (يؤمنون بالجبت) الصنم ، أو الكاهن ، أو الساحر (والطاغوت) كل رأس فى الضلال . وقيل : الجبت والطاغوت : صنمان كانوا يعبدونهما فى الجاهلية (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أئى هؤلاء الناس الذين وصفهم كتاب محمد بالكفر) أهدى سبيلا (من الذين آمنوا) بمحمد (وأولئك الذين نعيمهم الله) طردهم من رحمة (أم لهم) أى أم لهؤلاء اليهود (نصيب من الملك) من ملك الله ؛ يعطون من أرادوا ويعنعون من شاءوا (فاذا) إذا كان لهم نصيب من الملك (لا يؤتون الناس نقيراً) النقر : النقرة فى ظهر النواة ؛ وهو مثل فى القلة : ضربه الله تعالى لهم ؛ إشارة لشدة بخلهم . وهذا كقوله تعالى «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأسكنكم خشية الاثاق» (أم) بل (يحمدون الناس) المسلمين (على ما آتاهم الله من فضله) وهو بعث الرسول محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه فيهم ، وانزال القرآن الكريم إليهم (فقد آتينا) من قبل محمد (آل إبراهيم)

إِنَّمَا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلَى اللَّهِ يَزْكُوا مِنْ بَشَرَةٍ لَا يُظِلُّونَ قَيْلًا ۝ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْضُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَانَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝ فَبِئْسَ مَا يَفْتَرُونَ مِنْ ءَمَانٍ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصْجَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

إبراهيم وأبناءه عليهم السلام (الكتاب) الكتب التى أنزلت لإيهم : كصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، والإنجيل عيسى ، وزبور داود (والحكمة) النبوة والعلم النافع (وآتيناهم ملكاً عظيماً) كملك سليمان - وهو من آل إبراهيم - وقيل : المراد بالملك : النبوة ، والجاه ، وكثرة الأتباع ، والانتصار على الكفار . وذهب أكثر المفسرين - ساجهم الله - إلى أن المقصود بـ«الناس» فى الآية : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبالفضل الذى آناه الله : ما أباحه له من النسوة ؛ ينكح منهن ماشاء بغير عد ولا حد . وقد وثقوا هذا التأويل الفاسد بمنعنة دونوها ، وأسماء طنائة أوردوها ، وألفاظ تحقوها ، وهو قول فاسد يأثم فاعله وراويه ونالقه ، ومعقده فلا حول ولا قوة إلا بالله ! (فهم) أى من الذين أوتوا الكتاب من يهود =

== بنى إسرائيل (من آمن به) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام . أو «من آمن به» أى بالكتاب - أى كتاب منزل - وليس فيه . ما يؤمنون به من الجيت والطاغوت بل فيه نعت محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنباء بعثته (ومنهم من صد عنه) أى أعرض ومنع الناس عن الإيمان به (سوف نصليهم) ندخلهم (كلما فضجت جلودهم) أى أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها ليزوقوا العذاب) وذلك لأن أشد العذاب والإيلام يكون عن طريق سطح الجلد ؛ فإذا ما احترق الجلد : فتر الألم ، وقل العذاب . أما وقد قضى ربك بتعذيبهم ، والتشديد عليهم ، وعدم النظر إليهم ، وطردهم من رحمة ، وحرمانهم من عطفه ! لذا فإنه تعالى قدر أن تبدل جلودهم كلما فضجت «ليزوقوا العذاب» الذى كفروا به ، وكذبوا بمحمدوه (والذين آمنوا) بالله تعالى ، وملائكته وكتبه ورسله ، وبعثه وجهته وناره (وعملوا الصالحات) التى أمرهم الله تعالى بها وحضهم عليها ؛ وماتوا على ذلك ! (لهم فيها أزواج مطهرة) مما يستغفر عادة ؛ كالخبيث والنفاس والأنجاس (وندخلهم ظلا ظليلا) أى دائماً لا تنمخه شمس (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) هى فى ولاية الأمور ؛ وتأدية الأمانة إلى أهلها : أن تضع ثقتك فى عملها ؛ فلا يحكمك إلا من هو أهل للحكم ، ولا يليك إلا من هو أهل للولاية ؛ فلا تلعب بك الأمواء ، فتجفل ثقتك فى غير موضعها ؛ وتغون الأمانة التى وضعها الله تعالى فى عنقك . والأمانات : كل ما ائتمنت عليه من مال ، أو عهد ، أو عقد ، أو سر ، أو شبه ذلك (إن الله نما بعضكم به) أى نعم الشيء الذى يعظم به ؛ وهو تأدية الأمانات إلى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل (أطيعوا الله) أى أوامره ونواهيهِ الواردة فى القرآن (وأطيعوا الرسول) أى ما جاء عنه من القول السديد ، والفعل الحميد (هو أولى الأمر منكم) فى هذه الآية دليل على أن

أولى الأمر الواجبة طاعتهم على الأمة : يجب أن يكونوا منها - حسا ومعنى ، ولما ودما - «وأولى الأمر» هم الولاة والسلاطين ؛ ماداموا قائمين بأمر الله تعالى ؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (فإن تنازعتم فى شىء) أى إذا اختلفتم فيما بينكم وبين أنفسكم فى أمر من الأمور أو إذا تنازعتم أنتم وأولوا الأمر (فردوه) ارجعوا فى حكم هذا النزاع (إلى الله) إلى ما جاء فى كتابه المستبين (والرسول) وإلى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه حال حياته ، وإلى سنته وهديه من بعده ؛ (ذلك) الرجوع إلى الله ورسوله فيما شجر بينكم من خلاف (خير) من رد النزاع إلى التهور والتعصب الأعمى (وأحسن تأويلا) مآلا وعاقبة (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) من القرآن ؛ وهم بعض من آمن من اليهود (وما أنزل من قبلك) من التوراة

المحز الخامس

١٠٢

الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ ۝ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنَادِيَ بِهِ أَنْ أَعِظْكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا ۝ بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَتَزَّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِطَاعَةِ حُلُقًا وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لهم
أولى الأمر الواجبة طاعتهم على الأمة : يجب أن يكونوا منها - حسا ومعنى ، ولما ودما - «وأولى الأمر» هم الولاة والسلاطين ؛ ماداموا قائمين بأمر الله تعالى ؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (فإن تنازعتم فى شىء) أى إذا اختلفتم فيما بينكم وبين أنفسكم فى أمر من الأمور أو إذا تنازعتم أنتم وأولوا الأمر (فردوه) ارجعوا فى حكم هذا النزاع (إلى الله) إلى ما جاء فى كتابه المستبين (والرسول) وإلى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه حال حياته ، وإلى سنته وهديه من بعده ؛ (ذلك) الرجوع إلى الله ورسوله فيما شجر بينكم من خلاف (خير) من رد النزاع إلى التهور والتعصب الأعمى (وأحسن تأويلا) مآلا وعاقبة (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) من القرآن ؛ وهم بعض من آمن من اليهود (وما أنزل من قبلك) من التوراة

= والإنجيل . أو المراد بـ «الذين يزعمون أنهم آمنوا» : بعض المؤمنين أو المنافقين «وما أنزل من قبلك» بعض اليهود (يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) وهو كل رأس في الضلال ؛ من ساحر وكاهن ونحوهما (وقد أمروا أن يكفروا به) أى أمروا بالتحاكم إلى الله ورسوله . قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» (وإذا قيل لهم تعالوا) نحتكم (إلى ما أنزل الله) في كتابه (والى الرسول) ليحكم في تنازعنا (رأيت المنافقين يصدون عنك

صدوداً) ينعون الناس من الاتصال بك ، والإيمان بما أنزل عليك ، والاحتكام إليك (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) نزلت بهم فazole (بما قدمت أيديهم) بسبب ما قدموه من كفران وعصيان (يحلفون بالله إن أردنا) ما أردنا في الاحتكام إلى غيرك (إلا إحساناً وتوفيقاً) بين الناس (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق (وقل لهم في أنفسهم) ازجرهم في السر (قولا بليغاً) زجرأ عنيقاً ؛ ليتعظوا ويؤمنوا ، ويرجعوا عن نفاقهم . أو «قل لهم في أنفسهم» أى فيما ارتكبته أنفسهم من آثام (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بارتكاب الآثام ، وتعرضها للعقاب (جاءوك) تائبين (فاستغفروا الله) مما فرط منهم (واستغفر لهم الرسول) هو على طريقة الالتفات ؛ أى واستغفرت لهم مستشفعاً (لوجدوا الله تواباً) أى قابلاً لتوبتهم واستغفارهم ؛ كيف لا . وقد تابوا وأتابوا ، واستشفع لهم شفيع الأمة ومنقذها صلوات الله تعالى بخاتم رسله وأنبيائه (فلا وربك) أقسم تعالى بخاتم رسله وأنبيائه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يؤمنون) لإيماناً حقيقياً (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلط عليهم ، واختلفوا فيه (ثم لا يجدوا) أى المتحاكمون (في أنفسهم حرجاً) ضيقاً

(مما قضيت) به بينهم (وسلموا تسلياً) بطواهرهم وبواطنهم ، بألسنتهم وقلوبهم (ولو أنا كتبنا عليهم) فرضنا وقضينا (أن اقتلوا أنفسهم) أى عرضوها للقتل بالجهاد (أو اخرجوا من دياركم) مهاجرين إلى الله (ما فعلوه) لأن قلوبهم لم تطمئن بعد للجزاء الذى وعدهم به (إلا قليل منهم) ممن أثار الله بصيرته ، وأتق سريرته (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من الإقدام والاستبسال (لكان خيراً لهم) لأنهم سيفوزون بالنصر والنعمة ، أو بالأجر والشهادة (وأشد ثيبناً) لقلوبهم ، وتحقيقاً لإيمانهم !

لَهُمْ تَعَالَى إِلَهُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۚ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّتُوا سَلِيلًا ۚ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ۚ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِنْ

(ولمدينام مراعاة مستقباً طريقاً واضحاً
 نوعاً) ومن صلح الله والرسول فأولئك مع
 الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
 الصديق: البالغ في صدق ظاهره بالمعاملة،
 وباطنه بالمراقبة، وطلق على خواص محابة
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (يا أيها الذين
 آمنوا خذوا حذرکم) من الأعداء (فاقروا
 ثبات) أي فاخرجوا إلى العدو جماعات منفردة:
 سرية بعد سرية؛ و«الثبات»: الجماعات؛
 واحداً ثبة (أو اقرروا جميعاً) مجتمعين؛
 حسبما تقتضيه ظروف ملاقة العدو، وأسباب
 الحرب وقوته؛ من حكر وفر، وإقدام
 ولحجم، وتظاهر بالكثرة الغالية، أو بالقلّة
 الضاربة (وان منكم من ليظن) ليتأقن
 ويتخلف عن الجهاد؛ ويظن هم المجاهدين
 (فان أصابتكم مصيبة) انتابتكم هزيمة (قال)
 المتأقن، الجبان، المتأقن، المتخلف، المتبط
 (قد أنعم الله علي) بالسلامة والنجاة
 (إذ لم أكن معهم شهيداً) شاهداً للقتال،
 وحاضراً فيه (ولئن أصابكم فضل من الله) نصر
 وغنيمة (ليقولن) متمسكاً على ما فاته من نصر
 وكسب (يا ليتني كنت معهم فأفوز) بما فازوا به

لَدَنَا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٧﴾ وَلَمَدِينَتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٣٨﴾
 وَمَنْ يَصْلَحْهُ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسَنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
 وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
 فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٤١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَكَفَرٌ
 لِّيُظِنَ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ
 أَكُنْ مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٤٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
 لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِسْنِي كُنْتُ
 مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٤٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ يُقَاتِلْ أَوْ يَقَاتِلْ فَنُفُوتٍ نُّزُوبِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٤﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرجال

(فليقاتل) أمر صريح بالجهاد (في سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) أي يستبدلونها
 بها (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين) أي وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله، وفي سبيل
 خلاص المستضعفين؛ الذين أسروهم الكفار، أو المراد بالمستضعفين: النساء. أي في سبيل حماية نساءكم من
 الاعتداء، وأعراسكم من الضياع.

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْمَلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتَتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمْ تُكَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ تَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ اللَّهُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلِمُونَ قِيلًا ﴿٥٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ مَسْئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ مَسْئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ كُلُّ

(الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) هي مكة ؛ إذ أنها كانت موطن الكفر، ولذا هاجر منها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) في سبيل إعلاء كلمته ، ونصرة دينه (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) الطغيان ، أو هو كل رأس في الضلال (فقاتلوا أولياء الشيطان) أنصاره (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) لأن كيده معلوم لأرباب القلوب ، ويمكن لكل ذي لب أن يتعاشاه (الم تر) يا محمد (إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) عن القتال ؛ قبل فرض الجهاد (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب) فرض (عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس) أى يخشون لقاء الأعداء في الحرب ؛ لجبنهم (تخشية الله) وعذابه (أو أشد خشية) من الله ؛ وأمثال هؤلاء لا تقول بتفاهيم أو ضعف إيمانهم ؛ بل هو الكفر بعينه (انظر آية ١٨ من سورة التوبة) (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ، ومتاع الآخرة كثير دائم ؛ والكثير إذا كان مشرفا على الزوال : فهو قليل ؛ فكيف بالقليل الزائل ؟ (ولا تظلمون فتيلًا)

هو مثل للقلّة ؛ وهو ما يقتله الإنسان بأصبعيه ؛ لقلته وحقارته (وإن تصبهم) أى اليهود ، أو المنافقين (حسنه) خصب وسعة ، وسلامة وأمن (وإن تصبهم سيئة) جذب وفقر ، ومرض وخوف (يقولوا هذه من عندك) أى بشؤمك علينا (قل كل) من الحصب والرخاء ، والجذب والبلاء

(من عند الله) يمتحن بها من يشاء ؛ ليعلم علم ظهور : أشكرون على السراء أم يفجرون ؟ ويصبرون على الضراء أم يكفرون ؟ (ما أصابك) أيها الإنسان (من حسنة) نعمة وإحسان (فمن الله) بفضلها ومنته (وما أصابك من سيئة) بلية ومصيبة (فمن نفسك) بذنب ارتكبته ، وتقصير أتيته . وقد ذهب بعض الجهال إلى أن المراد بالحسنة : الطاعة . وبالسيدة : العصية ؛ وبنوا على ذلك قصوراً من الآمال ، على كتمان من الرمال ! ونسقوا على ذلك البطلان قول الحكم العدل اللطيف الخبير «قل كل» من الطاعة والعصية

الجزء الخامس

١٠٦

«من عند الله» وهو قول هراء ينسب ظلم العالمين ، لأحكم الحاكمين ؛ وهو القائل في كتابه المبين «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» «فإل هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً» (ومن تولى) أعرض عن الإيمان (ويقولون طاعة) أي أمرنا طاعة لك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) بيت الأمر ؛ دبره ليلاً ؛ وهي في الغالب تستعمل في الأمر للبيت له (فأعرض عنهم) لاتعابهم ، فإن الله حافظك منهم (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا) والتوكل على الله تعالى : هو الوثوق به عند الملمات ، والاعتماد عليه في سائر الحالات ! وهي مرتبة سلمية قل أن يرتفع إليها إنسان ؛ إلا من هدى الله ، وقليل ما هم ! فقد اعتاد الغالية العظمى أن يعتمدوا على المال - وهو عرض زائل - أو على بعض مخلوقين - وهو جسم فاني - فالتى تعود الاتكال على ماله ، أو على صديقه : يأتيه زمن تضيق به دنياه بل تضيق به نفسه ؛ فلا يجد من ماله نفعا ، ولا من أصدقائه متنفساً ، ولا يجد من دون الله ولياً يلى أمره ، ولا نصيراً ينصره في نكبته ، أو يعينه في محنته !

مَنْ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿١٠٦﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٠٧﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿١٠٨﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةُ فَإِذَا يَمُذُّوْنَ مِنْ عِنْدِكَ بَيْتٌ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْهِنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَقَةَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١١٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَفِطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعُمُ الشَّيَاطِينُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١١﴾ فَفَقِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ تَكُلَّ إِلَّا نَفْسَكَ

وعرض

أما إذا كان العبد متوكلاً على الله حق توكله ؛ فهو تعالى كافيه من كل شر ، وحافظه من كل سوء !

وأي المال والصديق عند زلزلة العقائد ، وعند الأزمات الماحكة ، والأوقات العصية ؛ أين المال والصديق ساعة الموت ، وعند طلوع الروح ، وفي ظلمة القبر ووحشته ؛ بل أين المال والصديق عند الحساب ؛ وعند ما تفتح أبواب النيران ؛ ويقال لها «هل امتلأت وتقول هل من مزيد» ؛ عند ذاك لا ينفع مال ولا بنون ؛ إلا من أتى الله بقلب سليم ! وعرفه حق معرفته ، وتوكل عليه حق توكله ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلتُم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تندوا خاصاً ، وتروح بطاناً» ولا شك أن فتنة الحياء والملمات ، ونسيان القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؛ لا شك أن كل هذه البلايا =

= العظام ، وهاتيك المصائب الجسم ؛ لاسبب لها سوى ترك التوكل ، والاعتماد على غير الله تعالى ؛ فعود نفسك أيها المؤمن الركون إلى ربك لترشد ، والتوكل عليه لتسعد ؛ ولتلقى في دنياك غبطة وسروراً ، وفي آخرتك جنة وحريراً !

هذا وليس معنى التوكل على الله تعالى : غلق الأبواب ، وترك الأسباب ؛ فقد حث تعالى على السعي والعمل ، وابتغاء الرزق . ألا ترى إلى قوله تعالى لريم :

«وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً» ولو شاء لأسقط عليها الرطب من غير هز الجذع ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً : فجعل سبب الرزق : السعي والدأب .

١٠٧

سورة النساء

وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُفَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝ مَنْ يَسْفَحْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَسْفَحْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ وَإِذَا حُيِمَ بِحِيٍّ فُجِّرُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْزِيَكَ فِي يَوْمٍ الْقِيَمَةِ لَأَرْبَبٍ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُمُهم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا أَنْ تَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَخَذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَخْذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝

وليس معنى ذلك إنكار الكرامات والمعجزات ؛ فقد يسخر الله تعالى السموات والأرضين ، في خدمة بعض المخلوقين ! ولكن ليس هذا من طبيعة الأشياء ، فهو تعالى يختص من شاء بما شاء (أفلا يتدبرون القرآن) أى أفلا يتأملون في معانيه ومراميه ومبانيه ؛ فيعلمون أنه الحق من ربهم (وإذا جاءهم) أى جاء المسلمين ، أو المنافقين (أمر من الأمن) خبر يؤدي إلى النصر (أو) أمر من (الخوف) خبر يؤدي إلى الهزيمة (أذاعوا به) أفشوه ؛ وفي هذا مافيه من اذاعة الأسرار المتعلقة بالحروب ، والتي قد تؤدي إلى أوخم العواقب (ولو ردوه) أى ردوا هذا الأمر (إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم) من الرؤساء والولاة والقادة ؛ لأنهم وحدهم الذين يعلمون أين توجد المصلحة . ويعلمون مايجب إذاعته ومايجب كتمانه (لعله) أى لعل ذلك الأمر الخطير - الذى يعتبر سراً حقيقياً - (الذين يستنبطونه) يستخرجون من الأمر ما يذاع وما لا يذاع (ولولا فضل الله

عليكم) بإرسال الرسل ، وإبداء النصيح والارشاد ، والتوفيق إلى السداد (و) لولا (رحمته) بأنزل القرآن (لأبغى الشيطان) الذى يوردكم موارد الحسران ؛ مثل هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - إذا أمرهم بأمر - : «طاعة . فاذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذى تقول» والمخاطب للذين قال لهم جل شأنه : «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا» والاستثناء بقوله تعالى (إلا قليلا) ينصب على المستنبطين من أولى الأمر ؛ الذى عنانهم العلم الحكيم بقوله : «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم» (وحرص المؤمنين) حشم على القتال (عسى الله أن يكف) يمنع بهذا التحريض ، وهذا الاستعداد (بأس الذين كفروا) قوتهم =

== وسطوتهم ؟ فأنتم تدعون إلى الحق ، وهم يدعون إلى الباطل وأنتم تدعون إلى الجنة ، وهم يدعون إلى النار وأنتم يدفعكم الرحمن ، وهم يدفعهم الشيطان ! وإن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » (والله أشد بأساً وأشد تكليلاً) أشد تعذيباً . وكل به : جملة عيرة لغيره (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع الشر ، أو جلب الخير (ومن يشفع شفاعة سيئة) هي السعي في جلب الشر ، أو منع الخير ، أو هو كناية عن التهمة (يكن له كفل) نصيب (منها) أي من شرها في الدنيا ، ومن إثمها في الآخرة (وكان الله على كل شيء

الجزء الخامس

١٠٨

مقيتاً) مقتدر (وإذا حييتم بتحية) التحية : أي تكريم يكون بالقول ، أو بالعمل . فالقول الحسن : تحية . والدعاء : تحية . والهدية : تحية . والمحب : من أجل التحايا (فحيوا بأحسن منها) قولاً أو فعلاً فالسلام : يرد بأحسن منه . والتكريم : بأكرم منه . والدعاء : بأبلغ منه . والهدية : بخير منها . والمحب : وناهيك بالمحب : فهو خير الهدايا والتحايا ، والأقوال والأفعال (وأوردوها) أي أجيئوا في القول بمثله ، وفي الفعل بمثله . أو المراد « فحيوا بأحسن منها » أهل الإسلام « وأوردوها » فلا تزيدوا عليها ؛ لأهل الكتاب ، والتحية في الأصل : تلوع ، وردها بأحسن منها أو مثلها : فريضة .

هنا ولا يرد السلام في الخطبة ، وقراءة القرآن ، ورواية الحديث ، ومذاكرة العلم ، والأذات ، والإقامة . ولا يسلم على لاعب الملاهي ، ولا على الفنى ، ولا على القاعد لحاجته (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم) من قبوركم (إلى يوم القيامة) للحساب (لا رب فيه) لاشك في ذلك الجمع ، أو لاشك في ذلك اليوم (فالكم) أي ما شأنكم أيها المؤمنون (في المنافقين فشين) فرقتين مختلفتين ؛ فرقة

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبْنًى
أَوْ جَاءَتْكُمْ حِصْرٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُغْنِيُوا
قَوْمَهُمْ وَأَوْشَاءَ اللَّهُ سَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْنِتُوكُمْ فَلِنْ
أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَمْ تَجْعَلْ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝ سَجِدُونَ لَخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَمُوتُوا وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرَلُوكُمْ وَلَقُوا إِلَيْكُمْ أَلَمْ
يَكْفُؤْا إِلَيْهِمْ يَخْلَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْفُتُونَهُمْ
وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ
يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبْنًى

فدية

تقول : قتلهم . وفرقة تقول : لا قتلهم . و « المنافقين » هم الذين تخلفوا عن القتال يوم أحد ، وقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام ولأصحابه : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » (والله أركسهم) ردهم عن دولين مقهورين . والركس : رد الشيء مقلوباً (بما كسبوا) بما عملوا (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) طريقاً إلى النجاة (ودوا) أي ود هؤلاء المنافقون الجبناء (لو تكفروا كما كفروا) وتجنون كما جنوا (فتكونون سواء) مستويون في الجبن والكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) أصدقاء ، أو خلاصاء (حتى يهاجروا في سبيل الله) فيثبت بذلك إيمانهم وإقدامهم ، ووقوفهم بما عند الله (فان تولوا) أعرضوا عن الإيمان والجهاد في سبيل الله (فخذوهم) الأخذ : العقوبة ، والإيقاع بالشخص (واقتلوهم حيث وجدوهم) =

== بلا شفقة ولا رحمة (ولا تتخذوا منهم وليا) صديقا ؛ وكيف تصادقونهم بعد ظهور كفرهم وعداوتهم للمؤمنين ؟! (ولا تتخذوا منهم نصيرا) تصرونه ، أو تستنصرون به (إلا الذين يصلون) يحتضنون ويلجأون (إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد (أو جاءوكم) مسلمين (حصرت صدورهم) ضاقت . والمحصرون الضيق والانتقاص (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) الذين أسلموا وانضموا إلى زمركم (وألقوا إليكم السلم) الاقبياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا للقتال ؛ لأنهم لم يقاتلوكم وجاءوكم مسلمين (كلما ردوا إلى الفتنة) أى كلما دعوا إلى

١٠٩

سورة النساء

الشرك (أركسوا فيها) قلوبوا فيها (واقتلوهم حيث تفتنهم) صادفتمهم (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) تسلطا قويا ، وحجة ظاهرة في قتلهم . وبعد أن أباح الله تعالى قتل الكافرين المحاربين المخادعين : نهى عن قتل المؤمنين . قال تعالى (وما كان) ما صح وماجاز (لؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) أى بغير عمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعله لإعتاق رقبة مؤمنة ؛ لأنه لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء ؛ لزمه أن يدخل نفسا مثلهافي جملة الأحرار ؛ إذ أن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها . وللق حدود وواجبات مفصلة في كتب الحديث والفقه . وللسيد الرقيق في الإسلام من الحقوق ما ليس للأحرار في الأمم الأخرى ؛ وليس أدل على ذلك من قوله تعالى «فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء» وقول الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه في مرضه الذي مات فيه «الصلاة الصلاة وماملكت أيماكم؛ لا تكفؤهم ما لا يطيقون» ومن يطلع على معاملة الزنوج بأمرىكا يتضح له جليا صحة ما نقول . وهما في الأمم الغربية تحرم استرقاق العبيد ؛ في حين أنها تسترق الأحرار . وتحرم

قَدِيمَةً سَلَمَةً إِلَىٰ أَهْلِهِ ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ قَضِيَّتَهُمْ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُّؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ ۝ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ أَكَلِكُمْ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ لَّكَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

استرقاق الأفراد ، وتسترق الجماعات والأمم والشعوب ؛ باسم الاستعمار ، والانتداب ، والاحتلال ، ومناطق النفوذ (انظر آيتي ١٧٧ من سورة البقرة ، و٧١ من سورة النحل) (إلا أن يصدقوا) أى إلا أن يتصدق أهل القتل بالدية للقتال ؛ فلا يطالبونه بها (فمن لم يجد) أى لم يملك رقبة ، ولا ما يتوصل به إليها من مال ونحوه (فصيام شهرين متتابعين) مكان الإعتاق (توبة من الله) تجاوزا منه للتخفيف عليكم (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) فاصدا قتلها (فجزاؤه جهنم) لا جزاء له غيرها (خالدا فيها) خلودا مؤبدا ؛ يدل عليه ما بعده من غضب الله تعالى عليه ولعنه ، واعداد أشق العذاب وأعظمه له ! وقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «لزوالم الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم» وقال الأكثرون : المراد بالخلود ==

= في سائر الآيات : طول المكث . وهو معنى لا يستقيم مع صريح لفظ الكتاب الكريم ؛ فقد أخبرنا الله تعالى - بما يبلغ حد اليقين - بأن خلود الكافرين على وجه التأييد ؛ قال تعالى «ومأثم بخارجين من النار» «ولهم عذاب مقيم» (انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) «يأبى الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله» أى سرتهم في طريق الفزو (فتبينوا) تثبتوا ممن تريدون قتله ، ولا تأخذوا بالشك بل باليقين . فلا تقتلوا سوى من تيقنتم عداوته وإغداه (ولا تقولوا لمن أتى لإيكم السلام) الاستسلام أو كلمة الشهادة ، وقيل : التسليم (لست مؤمناً) أى تقولون له : أنت

الجزء الخامس

١١٠

لست مؤمناً ؛ بل تظاهرت بالإيمان لتنجو من القتل (تبتغون) بذلك (عرض الحياة الدنيا) متاعها الزائل الفانى ؛ وهو لباسه وسلاحه وماله (فند الله مقام كثيرة) تقنونها في الدنيا برزقه ، وفي الآخرة بفضل (كذلك كتم من قبل) مثل هؤلاء الكفار الذين تقتلونهم الآن أو «كذلك كتم» تخفون دينكم تحزوا منهم ، كما أخفوا دينهم تحزوا منكم (فن الله عليكم) بالإيمان والنصر والظفر (فتبينوا) كما أمرتكم (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد في سبيل الله تعالى (غير أولى الضرر) المرض ، واللعنة : من عمى ، أو عرج ، ونحوهما (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین) من أولى الضرر ؛ فضاهم عليهم (درجة وكلا) من المجاهدين والقاعدین بسبب ضرر لحقهم (وعد الله الحسنی) الجزاء الحسن في الآخرة (وفضل الله المجاهدين على القاعدین) عن الجهاد بغير ضرر يمنهم ، أو سبب يعوقهم (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) التوفى: قبض الروح . و«الملائكة» ملك الموت عزرائيل عليه السلام وأعوانه . والمعنى : إن الذين توفاهم الملائكة ؛ وهم ظالمون لأنفسهم بالجبن والخور ، وبقصدان الأمل ؛ وضمف العزيمة ،

دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ
وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿٥٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾
قَالُوا لَيْتَكُم عَسَىٰ أَن يَاقُوَهُمْ عَنَّا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
غَفُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِثْ فِي الْأَرْضِ
مَرْغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَىٰ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِن خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا

مبيناً

وعدم الهجرة (قالتوا فيم كنتم) أى قال الملائكة للمتوفين : في أى شيء كنتم ؟ وهو سؤال تقريع وتوبيخ ؛ حيث إنه كان في مقدورهم أن يقولوا عزائمهم ، ويهاجروا من أوطانهم ، ويتخلصوا من ظلم وجنهم ، ولا يحموا حياة السوائم ! والدين الاسلامي القويم : لم يرض لمعتيق الضعف والذل ؛ بل أراد لهم وبهم العزة والرفعة والكرامة ؛ وألا يحل مسلم في أرض إلا إذا كان عزيزاً مكرماً مرهوب الجانب ؛ والا فأرض الله واسعة وأبواب رزقه ورحمته مفتوحة ! وربما أريد بظالمى أنفسهم : المنافقين ؛ الذين بخلوا وتركوا الهجرة بدينهم مع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (قالتوا) جواباً على سؤال ملائكة الموت (كننا مستضعفين) أى عاجزين عن القيام بأعباء العبادة بين كفار مكة وصناديد قريش (في الأرض) أرض مكة (قالتوا ألم تكن =

مُيِّنًا ۖ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۖ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۖ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

= أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أى قال لهم الملائكة : أليست أرض الله - على سعتها ورحبتها - تسعكم إذا هاجرتم فيها ، وفرتم بدينكم ؛ كما فعل من هاجر إلى المدينة ، وإلى الحبشة ؟ (إلا المستضعفين من الرجال) لكبر ، أو مرض ، أو فقر ونحو ذلك (لا يستطيعون حيلة) للقتال ، أو للهجرة (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً) مذهبا ومكانا للهرب (وسعة) في الرزق (وإذا ضربتم) سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قصر الصلاة: هو تصوير الرباعية ثنائية في السفر وقد قال بعض الفقهاء:

إن صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الخوف ركعة

واحدة . وقال آخرون : إن القصر في السفر

حال الخوف غصب ، وأما في الأمن فلا قصر

في السفر . ورووا عن النبي صلوات الله تعالى

وسلامه عليه القصر حال الخوف والأمن في

السفر ؛ وعلى ذلك الأكثرون (إن خفتم أن

يفتنكم) يعذبكم (الذين كفروا) بأن يؤذوكم

وقت الصلاة ويقتلوكم (وإذا كنت فيهم)

وقت القتال ، وحان وقت الصلاة (فأقت لهم

الصلاة) صلاة الخوف ؛ فليقتسوا فرقتين

(فانقم طائفة منهم) فليصلوا (معا وليأخذوا)

أى لتأخذ الطائفة الأخرى التي لم تقم للصلاة

(أسلحتهم) استعدادا للقاء العدو ؛ إذا غدر

بكم ، منتهزا فرصة انشغالكم بالصلاة . وقيل:

الأمر بأخذ السلاح للصالحين ؛ فيأخذون

سيوفهم ورماحهم وخناجرهم ؛ استعدادا

للدفاع إذا دهمهم العدو وقت الصلاة (فإذا

سجدوا) وأتموا سجودهم ؛ فليقتلوا من

مكانهم في الصلاة (فليكونوا من ورائكم)

للمحافظة على من يصل بعدهم ؛ وهى الطائفة

الأخرى - التي لم تصل ، وكانت قائمة

بالحراسة - (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا)

بعد ؛ لأنهم كانوا قائمين بحراسة المصلين

(فليصلوا معك) كما صلى أفراد الطائفة الأخرى

(وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) أى لتأخذ

الطائفة التي صلت حذرهما وأسلحتها ؛ لتقوم بحراسة الطائفة التي قامت للصلاة . وقيل : إن الطائفة التي

تأخذ حذرهما وأسلحتها : هى الطائفة المصلية (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۖ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۖ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

عليكم) يأخذونكم خدعة على غرة ؛ وهذا هو سبب الأمر بالمحطة والحذر واتخاذ الأهبة (ولا جناح

لا حرج ولا إثم) (عليكم) إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) لا يستطيعون الاستمرار في حل

السلاح ؛ فلا حرج عليكم في (أن تضعوا أسلحتكم) أمامكم ، ولا تحملوها (وخذوا حذركم) اجعلوا

الأسلحة قريبة منكم وفي متناول أيديكم (إن الله أعد للكافرين) في الآخرة (عذابا مهينا) عظيما مؤلما

(فإذا قضيت الصلاة) فلا تقطعوا صلواتكم بربكم ، ولا تظنوا أنكم قد أدبتم ما عليكم (فادكروا الله) تذكروه =

== وراقبوه (قبلاً وقعوداً وعلى جنوبكم) أى فى سائر حالاتكم ؛ ليعينكم على عدوكم (فاذا اطمأنتم) وزال خوفكم من أعدائكم (فأقيموا الصلاة) كاملة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) فرضاً واجباً ؛ محمداً بأوقات مطومة (ولا تنهوا) لانضفوا ولا تنهوا (فى ابتغاء القوم) فى طلبهم (إن تكونوا) تأملون فانهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون) أى إن كنتم تأملون من القتال ، وتخشون من الهلاك ؛ فانهم يتأملون أيضاً منه كما تأملون ،

ولكنكم ترجون من الله الشهادة والمثلة الرفيعة ، حيث لا يرجونها هم (إنا أنزلنا إليك الكتاب) القرآن (الحق) بالصدق (لتحكم بين الناس بما أراك الله) فى القرآن ؛ من الأحكام والأوامر والنواهي (ولا تكن للظالمين خصماً) أى لا تكن مدافعاً عنهم ، وخصاماً من أجلهم (ولا تجادل عن الذين يخافون أنفسهم) أى يخشونها ؛ بارتكاب المعاصي . وعبر بلفظ الحياة : لأنهم كانوا (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) أى لا يحاولون الاستخفاء منه بترك معاصيه ؛ وكيف يستخفون منه (وهو معهم) يعلم سرهم ونجواهم (إذ يبيتون) يضررون فى أنفسهم (وكان الله بما يعملون محيطاً) عالماً به ؛ لا يخفى عليه منه شيء ؛ فيجازى على الخير والشر (ومن يعمل سوءاً) يرتكب ذنباً يسيراً إل غيره (أو يظلم نفسه) يرتكب ذنباً يسيراً إل نفسه ، ويعرضها للعقاب يوم القيامة (ثم يستغفر الله) ويتوب عن ذنوبه وآثامه (يجد الله غفوراً) لذنوبه (رحيماً) به ؛ فلا يؤاخذنه ولا يعاقبه (ومن يكسب إثمًا فاعلم يكسبه على نفسه) أى ومن يقترف إثمًا متمسداً ؛ فاعلم يعود وبال ذلك على نفسه . وعبر تعالى بلفظ الكسب للدلالة على العمد

المحسن الخامس

١١٢

لِتَعْلَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلظَّالِمِينَ خَصِيصًا ۝١٥۞ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٦ وَلَا تَجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٨ هَٰؤُلَاءِ جَعَلْنَا لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَن يَجِدِلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٩ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٠ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٢١ خَطِيئَتُهُ أَوْ إِنَّمَا كُنتُمْ بَرِيًّا فَقَدْ آخَضَ اللَّهُ ذَنبًا بَارِعًا ۝٢٢ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

لَمَتَّ

(ومن يكسب خطيئة أو إثماً) الخطيئة : الذنب الذى يحتمل الخطأ أو العمد . والإثم : المعصية التى لا تتأتى إلا عن عمد (ثم يرم به) بالخطيئة أو الإثم (بريئاً) كمن يقتل ، أو يسرق ، أو يزنى ؛ ثم يلقى التهمة بغيره .

لَمَسْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ اتَّخَذَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مِنْهُمْ

(وأنزل الله عليك الكتاب) القرآن
(والحكمة) النبوة ، والعلم النافع (لا خير في
كثير من نجوَاهم) مساراتهم (إلا من أمر)
في نجواه (بصدقة أو معروف أو إصلاح بين
الناس) فهذا الأمر بالخبر والمعروف ؛ تباح له
النجوى والمسارة (ومن يفعل ذلك) التناجى
بالحث على الصدقات ، والأمر بالمعروف ،
والإصلاح بين الناس (اتخذ مراضات الله)
يقصد بهارضاءه تعالى ، ولا يقصد رياء ،
ولا ثناء بين الناس (ومن يشاقق) يخالف
ويعادي (الرسول من بعد ما تبين له الهدى)
وصار في متناول عقل العاقل ، وسمع السامع ،
وبصر المبصر (ويتبع غير سبيل المؤمنين)
بألا يؤمن بالله تعالى ، ولا يصدق برسوله
عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) تركه
وشأنه ؛ فلا تولى عنايةنا وحفظنا ، بل نجعل
وليه وحافظه وهاديه : من تولاها واتخذها
لها ؛ من صنم ، أو نجم ، أو نار ، أو مال
(ونصله) ندخله (إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويفر ما دون ذلك) استدلل بهذه الآية

القائلون بأن الله تعالى يغفر سائر الكبائر (لن يشاء) وهو جل شأنه لم يشأ غفرات الكبائر للعصر
عليها ، الجاهل بها ، الذي لم يتب عنها (إن يدعون) ما يعبدون (إلا إنا) كان كل حي من العرب له صنم
يسمونه : أنى بنى فلان ؛ وكانوا يقولون غنهن : هن بنات الله ! (وإن يدعون) وما يعبدون (إلا شيطانا
مريدا) مترددا ، خارجا عن الطاعة (وقال) الشيطان لربه (لأتخذن من عبادك) أى الذين خلقتهم لعبادتك
(نصيبا مفروضا) مقطوعا به (ولأضلنهم) عن طريق الحق (ولأمنينهم) بطول الأمل ، وامتداد الأجل ؛
وألأبعث ولا حساب ، ولا نواب ولا عقاب

(ولا أمرهم فليبتكن) البتك: القطع (فليغيرن خلق الله) كخصاء العبيد والحيوان . أو هو تغيير دينه . الذي خلقه وارتضاه ، وتحريم ما أحله ، وتحليل ما حرمه ؛ وما أشبه ذلك (ومن يتخذ الشيطان وليا) يتولاه ويطعمه (يعدمهم ويمنهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا) خداعا وباطلا . والغرور : أن يرى الشيء على خلاف حقيقته (ولا يجدون عنها محمصا) محمصا ومهربا (ومن أصدق من الله قيلا) أى قولا (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) أى ليس الأمر كما تشتهون وتتمنون ، ولا كما يشتهي أهل الكتاب ويتمنون ؛ بل الذى يعمل سوءا يجزي به ، وينال عقابه (ولا يجمد له من دون الله) غيره (وليا) بل أمره (ولا نصيرا) يمنعه من عذاب الله تعالى (ولا يظلمون قبرا) مبالغة فى القلة ؛ وهو النقرة فى ظهر النواة (ومن أحسن دينا) أى لا أحد أحسن دينا (من أسلم وجهه لله) واتبع ملة إبراهيم حنيفا (وما أمره ، وتجنب نواهيهِ) (واتبع ملة إبراهيم) ومى ملة الإسلام (حنيفا) مائلا عن كل دين يخالف الإسلام (واتخذ الله إبراهيم خليلا) لأنه صافي القلب ، خالص الحب !

فَلْيَبْتِكُنْ أَذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْمَرُهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُتَبَيِّنًا ﴿١١٤﴾ يَعْلَمُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٥﴾ أُولَئِكَ مَا أُولَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحْصَاً ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١١٧﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
يُحَدِّثْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَوُكُلِّكُمُ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١١٩﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

(وكان الله بكل شيء عحيطا) بعلمه وقدرته وبأسه وسلطوته (ويستفتونك في النساء) أى يسألونك عن شأن النساء ، وما الذى يجب لهن وعليهن : في الزواج والمهر والطلاق والمعاملة ، وغير ذلك (قل الله يفتيك فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وهو ما تقدم من آيات الفرائض في أول هذه السورة (في يتامى النساء اللاتي لا توثقن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) تنزوجوهن (والمستضعفين) الصغار الضعفاء (من الولدان) وأن تقوموا لليتامى بالقسط) بالعدل (وما تفعلوا من خير) في شأن اليتامى ، أوفى أى شأن من الشئون (فإن الله كان به عليما) فيجازيكم عليه أحسن الجزاء (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) أى جفاء وأذى (أو إمراضا) بأن يقل من مؤاساتها ؛ بسبب دمامة ، أو كبر سن ، أو تطلع إلى أخرى (فلا جناح عليهما) لالأم ولا حرج (أن يصلحا بينهما صلحا) بأن يتصالحا على أن تنزل له عن نصيبها في القسم ، أو النفقة ، أو بعضها (والصلح خير) لما (وأحضرت الأنفس الشح) أى وأحضرت أنفس النساء الشح بأنصباهن في القسم والنفقة . و «الشح» : الإفراط في الحرص (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) العدل المقصود في هذه الآية : هو العدل في المحبة القلبية فحسب ؛ وإلا لو قلنا بأنه العدل المطلق ؛ لكان ذلك تناقضا مع قوله جل شأنه «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ؛ ويقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك ولا أملك» يعني بذلك المحبة القلبية ؛ ويؤيده ما بعده من قوله تعالى «فلا تبيحوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» أى لا تبيحوا

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَى عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ وَإِنْ أَرَأْتُمْ خَافَتِ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَلَنْ تُسْتَطَاعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ۝

عن المرغوب عنها فتجعلوها كالمعلقة التي ليست بأيم ، ولا ذات بعل . ولا عبرة بما يدعو إليه من يتسمون بالمجددين : من وجوب الزوج بواحدة فقط ؛ مستلدين بهذه الآية . وهو قول باطل تردده الشريعة السمحة ، والسنة الثابتة ! فليحذر غضب الله من «يمحرفون الكلام عن مواضعه» انظر مبحث تعدد الزوجات بآخر الكتاب (وإن يفرقا) هذان الزوجان المتباغضان (يفرن الله كلا) منهما (من سعته) وفضله ! فيبرقه خيرا منها خلقا وخلقاً ، ويرزقها خيراً منه رقة ولطفاً ، وحناناً وعطفاً (وكان الله واسعا) أى واسع الفضل والرحمة والرزق (حكيماً) في صنعه !

(من كان يريد ثواب الدنيا) أى متاعها الزائل وحطامها الفانى ؛ كالمجاهد الذى يريد بمجاهده الغنية والفقر ؛ لا الثواب والأجر ! والذى يريد بصلاته وجهه : الرياء والسمة ، ولا يتغنى بعبادته وجه الله تعالى ؛ فقد أخطأوا جميعاً وجه الصواب ؛ وآبوا شر مآب (فعد الله ثواب الدنيا والآخرة) يطى من كليهما

الجنة الخاسر

١١٦

من شاء ! فقد يطى أحد الناس الدنيا غصب ويحرمه من الآخرة والعياذ بالله ! وقد يطى أحدهم الآخرة غصب ؛ ويحرمه من الدنيا ؛ وهو عنه راض ! وقد يطى أحدهم الدنيا والآخرة «وما كان عطاء ربك محظوراً» ! (وكان الله سميعاً) لأقوالكم (بصيراً) بأفعالكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) فائمين بالعدل فى كل شئ (شهداء لله) أى تقيمون الشهادة لا تبتغون بها سوى وجه الله بدون تحيز أو عباة (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أى ولو كانت تلك الشهادة على أنفسكم ، أو على آبائكم ، أو أقاربكم ؛ فلا تموقفم القرابة ، ولا المنفعة عن أداء الشهادة على وجهها الأكل ! ولا يجل كتمانها ؛ لأن فيه من ضياع الدماء والأموال والحقوق ما فيه ! (انظر آية ٢٨٣ من سورة البقرة) (إن يكن) المشهدود ضده (غنياً) فلا يتنعم عن أداء الشهادة عليه لقناه ، طلباً لرضاه ؛ فرضا الله تعالى أحق أن يطلب ! (أو فقيراً) فلا يتنعم عنها عظفاً عليه ، ورغبة ! (فأله أولى بهما) أى حكمه تعالى وقضاؤه أول بأن ينزل عليهما «ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله» (فلا تتبعوا الهوى أن تعملوا) أى فلا تتبعوا هواكم بأن تعملوا عن الحق ؛ فتضيموا حقوق الخلق ! (وإن تلووا) أيها الشهداء فى شهادتكم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكَ وَإِنَّا نَقُورُ اللَّهُ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ إِنَّ يَسَّٰدَ بَعْضُكُمُ آيٰهَا النَّاسُ وَيَلِكُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يَرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ * يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءٰمَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوٰى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْنَهَا أَوْ تَعْرِضُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءٰمَنُوا ءٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءٰلِ الْكِتٰبِ الِّى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ

فتحرفوها (أو تعرضوا) عن أدائها (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) فيجازيك عليه . وقيل نزلت الآية فى الحكماء ؛ لاقى الشهداء (يا أيها الذين آمنوا) بالرسول السابقين ؛ وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؛ فاليهود آمنت بالتوراة وبمن جاء بها ؛ وكذبت بالإنجيل والقرآن وبمن جاء بهما . والنصارى آمنت بالإنجيل وألفت من جاء به ، وكذبت بالقرآن ومن جاء به صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى سائر أنبيائه وملائكته ! فنزل الخطاب لهؤلاء : «يا أيها الذين آمنوا» (آمنوا بالله) تعالى (ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والكتاب الذى نزل على رسوله) وهو القرآن الكريم .

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَدُوا كُفْرًا لَا يُكُنَّ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١١٨﴾ يَتَّبِعُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ هُمْ عَدَابًا
أَلِيمًا ﴿١١٩﴾ الَّذِينَ يَخْدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُونَ عَنْهُمْ أَعْوَةً فَإِنِ الْعَزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٠﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَفَعْتُمْ عَائِلَتِ اللَّهِ
يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ كُفْرٌ فَخُذُوا مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَعِذْ

(والكتاب) اسم جنس؛ أي وآمنوا بالكتب
(الذي أنزل من قبل) كالتوراة والإنجيل
(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر) أو يؤمن بالله وحده ويكفر
بأحد هؤلاء (فقد ضل ضلالا بعيدا) أي جاعن
حجة الطريق القويم، إلى مهابى الهالك، وبعد
عن الهدى والاستقامة (بشر المنافقين) عبر
تعالى بلفظ «بشر» تهكما بهم. والتبشير :
يجيء أيضا بمعنى الاخبار (الذين يتخذون
الكافرين أولياء) أصدقاء ونصراء (أيتنون
عندهم العزة) أي يطلبون العزة والرفعة في
الدنيا بصحبة الكافرين وصدقهم، واتخاذهم
أولياء من دون المؤمنين الذين هم إخوانهم (فإن
العزة لله جميعا) لا يملكها أحد سواه؛ يهبها
لمن يشاء من أوليائه وأجائه (وقد نزل عليكم
في الكتاب) القرآن (أن إذا سمعتم آيات الله
يكفر بها ويستَهْزَأُ بها فلا تقعدوا معهم) أي
لا تقعدوا مع الكافرين المستهزئين بآيات الله
(حتى يخوضوا في حديث غيره) فإن قعدتم معهم
مع كفرهم بآيات الله تعالى، وخوضهم في الحق
الذي أنزله (إنكم إذا مثلهم) في الكفر -
يؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن السامع

شريك للقاتل؛ مالم يردده قسراً. أو عنعه جبراً؛ فإن لم يستطع فليفارق مجلسه من فوره (إن الله جامع المنافقين
الذين يظهرون غير ما يبطنون (والكافرين في جهنم جميعا) للعذاب (الذين يتربصون) ينتظرون (بكم فإن
كان لكم كُفْرٌ) نصر وغلبة (من الله قالوا) أي قال المنافقون للمؤمنين (ألم نكن معكم) بالمساعدة والراي
(وإن كان للكافرين نصيب) من النصر عليكم (قالوا) أي قال المنافقون للكافرين

(ألم نستعوذ عليكم) ألم نقب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ؛ بعد أن بطنهم حتى هابوكم وخافوكم وقربناكم عليهم (ونحنكم) نحنكم وندفع عنكم (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) حجة ، أو طريقاً للنيل منهم (إن المنافقين) وحالهم كما وصفنا (يخادعون الله) يظهرون خلاف ما يبطنون (وهو خادعهم) لأنه تعالى يطن لهم في الآخرة خلاف مظاهر لهم في الدنيا فقد أعطانا فيها ما يؤملونه من صحة ومال ؛ وبیت لهم في

الآخرة من العذاب ما تشيب لهوله الولدان ، ويعلمهم سكارى ومائم سكارى ! (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) متهاولين يذهب الإنسان لقاء صديقه : فيشط لقلبته ، ويسرع لرؤيته ؛ ويقوم الإنسان للنجاة ربه ، والوقوف بين يدي حبه : الخافض الرافع ، المعطي المانع ؛ متباطئاً متفلاً ؛ كأنما يساق إلى أصعب الأعمال ، وأشق الأعمال ! وقد فاتته أن هذا التكاسل والتثاقل من صفات الكافرين ، وسمات المنافقين ؛ وهم رغم تناقضهم وتكاسلهم (يراءون الناس) بصلاتهم (مذبذبين) مترددين (بين ذلك) بين الإيمان والكفر ؛ ولم يراعوا الميثاق الذي واقعهم به ربهم ، وهم في عالم الغيب ؛ وأضاعوا الأمانة التي ائتمنهم عليها ، وأساءوا إلى آسميتهم ، وأهدروا عقولهم ، ونزلوا من مصاف الإنسانية إلى درك الحيوانية ؛ وأصبحوا (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) لا إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ؛ والتردد : أسوأ ما يوصف به مخلوق ! وهو إن دل على شيء ؛ فأنما يدل على انعدام الشخصية ، وفساد العقل ! (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) إلى الخير ، أو إلى الجنة ، أو إلى الصواب ! وذلك لأنه أرخى لسهواته العنان ، واستمرأ ما عليه عليه الشيطان فاستوجب الخذلان والحرمان ؛ ونحلى عن حفظه الرحمن ؛ «فاذا بعد الحق إلا الضلال»

عَلَيْكُمْ وَتَحْتَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۖ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَذْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۖ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحًا ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ

وَكَانَ

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) أصدقاء ونصراء ؛ بعد أن بينا لكم شأنهم وعداوتهم (أريدون أن يجعلوا عليك سلطاناً مبيناً) حجة واضحة على قفاكم ، وموالاتكم للكفار ؛ تؤدي إلى عذابكم ! (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) دركات النار : منازل أهلها فيها . والنار دركات ، والجنة درجات ! (إلا الذين تابوا) من النفاق ومن التثاقل في العبادات (وأصلحوا) أعمالهم (واعتمصوا بالله) استعانوا به ، ووثقوا بوعده ووعيدته (وأخلصوا دينهم لله) أى أخلصوا له تعالى في العبادة (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) .

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١١٩﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٢٠﴾
إِن تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوه أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نَحْنُ
بَعْضُ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَبْتَلُوا بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٢٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٢٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٤﴾ بَسَّكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ
مِنَ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ

(وكان الله شاكرًا) يجازيك على إخلاصك وشكرك (عليًا) بحالك ؛ ظاهرا وباطنا (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) أى لا يحب الله الفحش فى القول ، والإيذاء باللسان ؛ إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه ، وأن يذكره بما فيه من السوء ؛ (إن تبدوا خيرا) أى ان تظهروا ما تعملونه من أعمال الخير والبر (أو تخفوه) تعملوه سرا (أو تعفوا عن سوء) تتجاوزوا عن أساء إليكم (فإن الله كات عفوا) عن ذنوبكم - يحب العفو - ويجزيكم برأ برب ، وعفوا بعفو (قديرا) على ذلك ! بعد أن أباح تعالى لمن ظلم أن ينال من ظالمه بالجهر بالدعاء عليه : حث على العفو ، وأشار إلى أنه تعالى عفو مع قدرته ؛ فكيف لا تعفون مع ضعفكم وعجزكم (وأعتدنا) أعدنا وهبنا (والذين آمنوا بالله ورسله) جميعا (ولم يفرقوا بين أحد منهم) كأن يقول المسلم : لا أومن بموسى ولا بيسى ، أو أن يقول اليهودى : لا أومن ببيسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصرانى : لا أومن بموسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصارى : إن عيسى لم يكن رسولا من عند الله كموسى ومحمد ؛ بل هو ابنه أرسله ليحمل عن الناس أوزارهم وخطاياهم (يسألك أهل الكتاب) اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) يرونه بأعينهم نازلا عليهم ؛ فلا تعجب من ذلك (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) (فقالوا أرنا الله جهرة) نراه بأعيننا ، ونمسك بأبداننا «قاتلهم الله أنى يؤفكون» (فأخذتهم الصاعقة) وهى نار تنزل من السماء (بظلمهم) بسبب ظلمهم ؛ وأى ظلم أفتح ، وأى كفر أفتح ؛ من طلبهم رؤية من «لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (ثم اتخذوا العجل) عبوده (من بعد ما جاءتهم البينات) وتضافرت لهم الآيات والمعجزات .

(وأتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل ؛ تهديدا لهم حين امتنعوا عن العمل بما في التوراة (ميثاقهم) أى بسبب أخذ العهد عليهم بالإيمان بموسى ، والعمل بما في التوراة (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) أى ادخلوا باب إيلياء مطاطين رؤوسكم (وقلنا لهم لا تعبدوا) لا تعبدوا بالصيد (في) يوم (السبت) وقد نهيتهم عن ذلك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا قويا وثيقا ؛ فنقضوه (فبا نقضهم) فيسبب نقضهم (ميثاقهم) الذى واثقناهم به (وكفرهم بآيات الله) تكذيبهم بكتبه ورساله ، وآياته في الآفاق والأفئس (وقتلهم الأنبياء)

١٢٠

الجزء السادس

ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٢١﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوََابَ سُبْحَاتِكُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْبُدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٢٢﴾ فَبَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا وَكَيْ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢٣﴾ وَكَفَرُوا بِقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَيْتْنًا عَظِيمًا ﴿١٢٤﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ مِمَّنْ وَهَلْ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لِي شکٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنُّ وَمَا قَوْلُهُمْ يَقِينًا ﴿١٢٥﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٢٦﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٢٧﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا

عليهم

من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام (قبل موته) أى قبل موت الكتاب - حين تحضره ملائكة الموت - فلا ينفعه الإيمان ، أو قبل موت عيسى عليه السلام ؛ حين ينزل قبيل الساعة لقتل الدجال ، والحكم بشرية سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ؛ كما جاء في الآثار والأحاديث الشريفة (ويوم القيامة يكون) عيسى (عليهم شهيدا) أى شاهدا على أهل الكتاب ؛ بتكذيب من كذبه منهم ، وتصديق من صدقه . ومن كذب بمحمد: فقد كذب بعيسى ، لأن عيسى بشر بمحمد ووصفه لقومه (فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى فيسبب ظلم الذين هادوا ضيقنا عليهم ، وحرمانا عليهم الطيبات . قال تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها

عَلَيْهِمْ طَبِئَتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِيقِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 كَثِيرًا ۝ وَأَخْلَصَ الرِّبَا وَقَدَّحُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ
 النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۝ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝
 لَكِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۝ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
 أَجْرًا عَظِيمًا ۝ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
 إِلَيْكَ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ يُونُسَ وَأَيُّوبَ
 وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۝ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝
 وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
 نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۝ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝
 رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

إلا ما حلت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» (وبصدم) أى وذلك التضييق والتحریم بسبب صدم
 (عن سبيل الله) دينه (وأخذه الربا وقد نهوا عنه) (انظر آية ٢٧٥ من سورة البقرة) (وأكلهم أموال
 الناس بالباطل) وهو ما يأخذونه من الرشاق الحكم (وأعتدنا) أعددنا وهيانا (لكن الراغبون
 في العلم منهم) أى من اليهود (يؤمنون بما أنزل إليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) من التوراة
 والإنجيل (والأسباط) حفدة يعقوب عليه
 السلام (وآتيناهم زبوراً) الزبور: الكتاب
 ويجمع على زبور (ورسلناهم) (ونقصصهم عليك)
 إشارة إلى أنه تعالى أرسل للناس رسلاً في كل
 زمان ومكان غير من ذكرهم في القرآن (وكلم
 الله موسى تكليماً) لا يوصف ، ولا يعلم له كنه
 فلا ينبغي لأمثالنا أن نبعث عن كيفية ، أو
 نحاول الوقوف على حقيقته ؛ فليس بالصوت
 الحادث ، ولا بالأحرف المعلومة ؛ فقد كلم الله
 موسى ، وسمع موسى كلام ربه ؛ ولكن كيف
 كان ذلك الكلام ؛ وكيف كان ذلك السماع ؛
 فهذا مما لا ينبغي الخوض فيه والبحث وراءه ؛
 لأن الكلام قد حصل من قبيل الوجدات
 والشعور النفسي ؛ كالإحساس باللذة والسرور
 - وهما من الأشياء التي يتذوقها الإنسان تدوقاً
 كاملاً - غير أنها لا يمكن وصفها بما توصف
 به المحسوسات ؛ وإلا لو قلنا بخلاف ذلك لجاز
 لموسى - وقد سمع كلام الله تعالى - أن يصف
 ذلك التكلم بالسرعة أو بالبطء ، ولجاز له
 أيضاً أن يصف الصوت المسموع بالجهورة أو
 الخفوت ، وما شاكل ذلك ؛ وقد تعالى الله عن
 قول القائلين ، ووصف الواسفين ١ وهؤلاء
 الرسل الذين قصصناهم عليك ، والذين لم نقصصهم
 قد أرسلناهم إلى أقوامهم (مبشرين) من
 أطاع بالجنة (ومنذرين) من عصي بالنار (ثلاثاً)

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى إنه بعد إرسال الرسل تنقطع حجة الناس ، وتسقط مغزرتهم ؛
 ويقال للكافرين عند دخول النار : «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
 هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» هذا وقد وفينا هذا البحث في كتابنا «الفرقان»

حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٣٦﴾ لَكِنَّ اللَّهَ
يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ
وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَعَمِلُوا الزُّكُورَ يَكُنْ اللَّهُ لِيَفْجُرْهُمْ وَلَّا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٩﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ بَسِيرًا ﴿١٤٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ
بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَاعْلَمُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٤١﴾ يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُمْ الْقَهْنُ إِنَّ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَعَلِمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك) أى لا يجزئك يا محمد حسد الحاسدين ، وتكذيب المكذبين ؛ فان الله تعالى يشهد بأنك صفوته من عباده ، وخبرته من خليقته ، وأن ما أنزل إليك هو كلامه القديم الكريم ! لأنه تعالى (أنزله بعلمه) وادارته (والملائكة يشهدون) بذلك أيضا (إن الذين كفروا وصدوا) منعوا الناس (عن سبيل الله) دينه (إن الذين كفروا وظلموا) أنفسهم بكفرهم (لم يكن الله ليفجر لهم) قال تعالى «إن الله لا يفجر أن يفرك به» (ولا يهديهم طريقا) يوصلهم إلى الإيمان والجنة (إلا طريق جهنم) الذى سلكوه واختاروه لأنفسهم (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق) بالقرآن (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) أى لا تتجاوزوا الحد ؛ حيث قالت اليهود عن عيسى : إنه ابن زنا . وقالت النصارى : إنه ابن الله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) بأن توحده ، وتمجدوه وتنزهوه عن الولد والصاحبة والشريك (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) كسائر الرسل الذين أرسلهم لهداية عباده (وكلته) التى (ألقاها إلى مريم) على لسان ملائكته

عليهم السلام ؟ في قوله «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه» يعنى برسالة منه ، وبشارة من عنده (وروح منه) أى رحمة منه على من اتبعه ، أو وقوة منه ؛ لإحيائه الموت وإبرائه الأكه والأبرس ، وإتيانه بالمعجزات الظاهرات . قال تعالى «وأيدم بروح منه» أى بقوة منه ، أو برحمة منه (فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) وهو ما يزعمه النصارى من أن الإله ذو ثلاثة أقانيم : الأب ، والإبن ، وروح القدس (انتهوا) ارجعوا عن ذلك القول

لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٧٣﴾
يَتَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُمْ بَرَاهِنٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا
إِلَيْكَ نُورًا مَبِينًا ﴿٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكَ فِي الْكَلَالَةِ
إِنْ أَمْرُوا هَٰذَا هَلْكَ لَبْسٌ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

(خيراً لكم) إذ أن فيه نجاتكم (إنما الله له
واحد) لا ولد له ولا والد (سبحانه أن يكون
له ولد) تنزه عن أن يكون له ولد؛ كما زعمت
النصارى أن عيسى ابنه؛ تعالى الله عما يقولون
علواً كبيراً! (لن يستنكف) أى لن يأف
(المسيح أن يكون عبداً لله) فكيف
تستكفون أنتم عن عبادته تعالى (ومن
يستكف عن عبادته ويستكبر) مثلكم
(فسيحشرهم إليه جميعاً) أى يجمع سائر
المخلوق يوم القيامة للحساب: مؤمنهم وكافرهم
(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من
شروط الإيمان: العمل الصالح (فيوفيه
أجورهم) نواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله)
فوق ما يستحقونه (وأما الذين استنكفوا) أقوا
من الإيمان، ومن عبادة الرحمن (واستكبروا
فيعذبهم عذاباً أليماً) جزاء كفرهم واستكبارهم
(ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) يدفع
عنهم عذابه (ولا نصيراً) ينعمهم منه (يا أيها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم) هو الرسول
عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يحمل برهات
صدقه، وبرهان وجوده تعالى (وأنزلنا إليكم
نورا مبيناً) هو القرآن الكريم؛ وأنعم به من

نور! لأنه يهدي إلى الحق، وينجي من الضلال (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أى بالله،
أو بالقرآن؛ والاعتصام: الامتناع والوقاية (فسيدخلهم في رحمة منه) خير ونعمة (وفضل) كبير
(ويهديهم إليه) يوفقه إلى طاعته ومحبه (صراطاً) طريقاً (مستقيماً) موثقاً إلى مرضاته (يستفتونك)
يسألونك يا محمد عن الكلاله (قل) لهم (الله يفتيكم) يجب على سؤالكم (في الكلاله) ومع (إن أمرؤ هلك)
مات؛ و (ليس له ولد) يرثه (وله أخت فإلها نصف ما ترك) وما بقي فلنصبتها. و «الكلالة»: من
لا ولد له ولا والد

(وهو يرثها) أى يرث أخته إن ماتت قبله ؛ لا ولد لها ولا والد (فلذلك مثل حظ) نصيب (الأثنين)
(انظر آية ١١ من هذه السورة) (بين الله لكم) الأحكام (أت تضلوا) أى لثلا تضلوا .

(سورة المائدة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء السادس

١٢٤

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) هو أمر بالوفاء بكل عقد . والعقد : كل اتفاق يتم بين اثنين فأكثر؛ مكتوباً كان أو غير مكتوب : فالزواج عقد ، والوفاء به : حسن العشرة ، وترك المضارة . والبيع عقد ، والوفاء به : عدم الفش ، وحسن المعاملة . والوعد - أياً كان - عقد ، والوفاء به : إنجازه . ويقاس على ذلك سائر الاتفاقات التى تحمل بين طياتها حقوقاً والتزامات (انظر آية ٧٢ من سورة الأنفال) (أحلّت لكم بهيمة الأنعام) وهى الإبل والبقرة والغنم ؛ وهى الأنعام الوحشية ؛ من الظباء والبقرة والحمر وفتلها (الا ما يتلى عليكم) تحريمه فى قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقودة والمتردية والنطعية وما أكل السبع إلا ما ذكيت» وما ذبح على النصب » (غير على الصيد وأنتم حرم) أى «أحلّت لكم بهيمة الأنعام» غير مستحل صيد ما يصاد منها ، وأنتم محرّمون . وقبل المراد بالإحلال : أجنة الأنعام التى توجد ميتة فى بطونها عند ذبحها (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا مما أكل الله) شعائر الله : حدوده التى حددها لعباده - من إحلال الحلال ، وتحريم الحرام - والمراد بها هنا : معالم الحج ؛ كالطواف ، والسعى ، والحلق ، والنحر ، ونحوه . وإحلالها : تعدى حدود الله تعالى فيها ، ومخالفة أوامره (ولا الشهر الحرام) أى ولا تنتهكوا حرمت الشهر الحرام ؛ والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ؛ وانتهاك حرمتها : القتل فيها (ولا الهدى) وهو ما يهذى إلى البيت تقريباً إلى الله تعالى (ولا القلائد) جمع قلادة ؛ وهو ما قلده به الهدى . أى لا تنتهكوا حرمت الهدى ؛ سواء كان مقلداً أو غير مقلد . وقيل : لأنهم كانوا فى الجاهلية يتقلدون من لحاء شجر الحرم ؛ فيأمنون على أنفسهم حتى يلحقوا بأهلهم ؛ فنهى الله عن التقليد بشىء من شجر الحرم (ولا آمين) ولا قاصدين (البيت الحرام) أى لا تمنعوا قاصدى البيت عن الوصول إليه ، ولا تقاتلوه ؛ لأنهم (يبتغون) بذلك (فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم) انتهت من أداء مناسك الحج ، وحل لكم ما حرم

مَاتَكُمْ وَهُوَ يَرْتَبُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَى
فَلَهَا الْفُلَانُ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً
فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآثِنِينَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُ عِلِيمٌ

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَلَكُوتِ

الآيَةُ ٢٠ فَتَرَكُ بِرِجَالٍ فِي حِمَى الْوَدَاعِ
وَأَمَّا ١٢٠ تَرَكَ بَعْدَ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ؕ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ ؕ لَا مَيْتَةً عَلَيْكُمْ غَيْرَ بِحِلٍّ مِنَ الْبَيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ
إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا
شَعَائِرَ اللَّهِ ؕ وَلَا أَشْهُرَ الْحَرَامِ وَلَا أَمْوَالَ الْيَتَامَى
وَلَا ءَمَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ؕ يَتَنَفَّسُونَ فَضْلًا مِّنْ رَبِّهِمْ

وَرِضْوَانًا

وَنَجْوَاهُ . وإحلالها : تعدى حدود الله تعالى فيها ، ومخالفة أوامره (ولا الشهر الحرام) أى ولا تنتهكوا حرمت الشهر الحرام ؛ والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ؛ وانتهاك حرمتها : القتل فيها (ولا الهدى) وهو ما يهذى إلى البيت تقريباً إلى الله تعالى (ولا القلائد) جمع قلادة ؛ وهو ما قلده به الهدى . أى لا تنتهكوا حرمت الهدى ؛ سواء كان مقلداً أو غير مقلد . وقيل : لأنهم كانوا فى الجاهلية يتقلدون من لحاء شجر الحرم ؛ فيأمنون على أنفسهم حتى يلحقوا بأهلهم ؛ فنهى الله عن التقليد بشىء من شجر الحرم (ولا آمين) ولا قاصدين (البيت الحرام) أى لا تمنعوا قاصدى البيت عن الوصول إليه ، ولا تقاتلوه ؛ لأنهم (يبتغون) بذلك (فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم) انتهت من أداء مناسك الحج ، وحل لكم ما حرم

وَرِضُونَا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُم عَنِ النَّسِيْدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعَدْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلَةُ الْوَلَدِ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِفَةُ الْمُوقُوْدَةُ وَالتَّمْرِيدَةُ وَالطَّيْحَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَن
تَسْتَفْسِمُوا بِأَلْزَلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تُخْشَوْنَهُمْ وَآخِشُونَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ
لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ

عليكم - بسبب الإحرام - كالصيد والخلق
ونحوهما (ولا يجرمكم) لا يحملكم (شنان) بفض
(قوم أن صدقكم) أى من أجل أنهم
منعوكم (عن المسجد الحرام أن تعتدوا)
عليهم (وتعاونوا) جميعاً (على البر)
بالناس (والتقوى) وتقوى الله تعالى وخشيته
(ولا تعاونوا على الإثم) أى ولا تعاونوا على
ارتكاب الذنوب (والعدوان) على الناس
(وما أهل لغير الله به) أى ما سمي عليه بغير
اسمه تعالى (والموقودة) التى ماتت من الضرب؛
من وقده: إذا ضربه حتى استرخى وأشرف على
الهلاك (والتمرية) التى تردت - أى سقطت -
من مكان عال (والطيحة) التى ماتت من
نطح أخرى لها (وما أكل السبع) أى ما بقى
من أسكه، أو ما أمسكه ليأكله (إلا)
ما ذكيت (أى يستثنى من التحريم: ما ذكيتوه؛
أى طهرتموه بالذبح قبل أن يموت من الضرب،
أو السقوط، أو النطح، أو أكل السبع
(وما ذبح على النصب) أى على الأصنام والأوثان
(وأن تستقسموا بالأزلام) الاستقسام: طلب
ما قسم فى الغيب؛ و«الأزلام»: قداح كانوا
يستعملونها لذلك (ذلكم) الذى ذكرته لكم
وحرمته عليكم (فسق) خروج عن أمر الله
تعالى (فمن اضطر) إلى أكل شئ (فى مخمصة) جماعة (غير متجانف لإثم) أى غير مائل للذنوب؛ وإنما ألجأته
الضرورة القصوى (يسألكم ماذا أحل لهم) من المطاعم (قل أحل لكم الطيبات) التى تدونها بأيديكم
(وما علمتم من الجوارح) أى وأحل لكم أيضاً صيد ما علمتموه «من الجوارح» وهى سباع البهائم والطيور
كالكلب، والفهد، والعقاب، والصقر، والبايزى؛ ونحوها

مَكْلَبِينَ تَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَّكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَرِيعُ الْحِسَابِ ① الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ
وَأَطْعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَأَطْعَامُكُمْ
حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِي أَخْدَانٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ② بَنَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَسَمَ إِلَى
الصَّلَاةِ فَاعْلُوا وَجُوهَكُمْ وَأَيُّكُمْ إِلَى التَّرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا

(مكلبين) المكلب : مؤدب الجوارح ، ومعلم
الكلاب (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى مما
أمسكن لكم من الصيد ، ولم يأكلوا منه ؛
أما إذا أكلت الجوارح من الصيد ؛ فلا يحل
أكله ؛ بل يترك لهم (وطعام الذين أوتوا
الكتاب) من اليهود والنصارى ؛ الذين يدنون
بما نزل عليهم ، ويسمون الله تعالى على ذنوبهم
(حل لكم) كذبائهم تماماً ؛ ولا يطلق الحل
إلا على الذبائح نجس - إلا على سائر الأطعمة -
ألا ترون أنهم يطعمون الخنزير ؛ وهو حرام
عندنا واثم كبير (والمحصنات) المراتم العفيفات
(من المؤمنات) حل لكم زواجهن (والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب) حل لكم أيضاً
(إذا آتيتهم أجورهن) مهورهن (محصنين)
متزوجين (غير مسافحين) زانين . والسفاح :
الزنا (ولامخذي أخدان) الخدن : الصديق
(حبط) بطل (أو جاء أحد منكم من الغائط)
أى أحدث ؛ وذلك أنهم كانوا يذهبون إلى
الغائط لقضاء حاجتهم . والغائط : الأرض
المستوية الواسعة ؛ ومنه غيط ، وغيطان : لما
يجرت وزرع (أو لامستم) أى جامعتم

فَتَيْمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاسْحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٠١ وَادْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْلَهُ الَّذِي وَاتَّكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٠٢
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْآخَرِ أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٠٣
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ١٠٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ١٠٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَنْ يَسْطُورَ إِلَيْكُمْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٠٦

(فتيمموا) اقصدوا (صعيدا) الصعيد: وجه الأرض؛ من تراب وغيره (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) ولكن يريد ليطهركم يطهر أجسامكم من الأحداث والخبائث، وأرواحكم من دنس الشك والمعاصي؛ ويؤخذ من التيمم أن الله تعالى لم يرد من الغسل والوضوء: مجرد النظافة الظاهرية - وإلا لما أجزأ التيمم الذي هو في حقيقته يتنافى مع مظهر النظافة - وإنما أريد بذلك التطهر الباطني، والتطهر الروحي؛ وبهذا يكون العبد أهلا لمناجاة ربه وللوقوف بين يديه، وبذلك أيضاً ينظر الله تعالى إليه برحمته ومغفرته، وإنعامه وإحسانه! فعلى المفتل والمتوضئ أن ينوي تطهير روحه، قبل تطهير جوارحه؛ وأن يقصد بغسل يديه: محو ما ارتكبتا من آثام وذنوب. وبغسل وجهه: إزالة خائنة عينيه، وإلزام أذنيه. وبمسح رأسه: لإزاحة هواجسه ووساوسه، وطرده ما يلقي الشيطان في فكره، مما يكون سببا في وبال أمره. وبغسل رجله: لإزالة ما علق بهما من آثار خطاها إليه، وجرم مثنى فيه؛ وما أراد الله تعالى بالغسل والوضوء والتيمم: سوى تطهير ذاتكم وصفاتكم، وبقاء سرهم وسررتكم (وليتم نعمته عليكم) بالوفاء والصفاء (واذكروا نعمة الله عليكم) بالإيمان (وميثاقه الذي واثقكم به) بأن تسمعوا وتطيعوا؛ فإذا وقيتم بذلك: وفي لكم ماضن لكم الوفاء به: من إتمام نعمته، ودخول جنته، والتمتع بدار كرامته؛ وقيل: الميثاق: هو الذي أخذ عليهم - وهم في صلب آدم - حين قال لهم: «أأست بربكم قالوا بلى شهدنا» والأول أولى (إن الله عليم بذات الصدور) أي بما تخفي القلوب (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قائمين في سبيل مرضاته: تقصدون وجهه في سائر أعمالكم، وتبتغون فضله في جميع أموركم (شهداء بالقسط) أي يجب أن يكون العدل في الحكم، والصدق في الشهادة؛ في المكان الأول من تقديركم، وألا تحيدوا

عن ذلك أبداً مهما كان المحكوم عليه أو المشهود له (ولا يجرمكم) لا يمحلكم (شتان قوم) بغض قوم (على ألا تعدلوا) بينهم؛ لعادوتكم لهم، وكراهتكم إياهم (اعدلوا) بين الجميع - أعداء وأحباء، بقاء وأقرباء - فذلك أركى لكم، وأطهر لنفوسكم؛ وهذا (هو أقرب للتقوى) أي أقرب لحشية الله تعالى، ومجانة عقابه! وأهل التقوى: هم أهل الخوف من الله تعالى، والمخذر من أن يخالفوه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم لاذمهم قوم) هم يهود بني النضير. وقيل: قريش (أن يسطروا إليكم أيديهم) بالإيذاء والقتال (فكف) منع (أيديهم عنكم) أن تصل إليكم بسوء (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) لا على غيره (انظر آية ٨١ من سورة النساء)

(ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) على الإيمان والطاعة (وبعثنا منهم اثني عشر نبياً) النقيب : هو الذي ينقب عن أفعال القوم ويفتش عنها (وقال الله) لبني إسرائيل على لسان رسله (إني معكم) بالتوفيق والمعونة (لئن أقمتم الصلاة) وداومتم عليها (وآتيتم الزكاة) أعطيتموها لمن أمرت باعطائها لهم (وأمنتم برسلي) جميعاً (وعزرتوهم) عظمتوهم ووقرتوهم (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) بالصدقات التي يردھا لكم في الدنيا أضعافاً مضاعفة ، وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ! لئن فعلتم ذلك (لأكفرن) لأعون (عنكم

المجزء السادس

١٢٨

سيئاتكم) التي ارتكبتموها «إت الحسنات يذهبن السيئات» (فن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الصواب والحق (فما نقضهم ميثاقهم) أي فبنقضهم عهدهم (لناهم) اللعنة من الله تعالى : الطرد والقت ؟ نفوذ به تعالى من غضبه ! (وجعلنا قلوبهم قاسية) جافية عن الإيمان بي ، والتوفيق لطاعتي (يحرفون الكلم عن مواضعه) وذلك بتحريفهم التوراة ، وكتابة ما يرغبون فيها ، ومحو ما لا يرغبون ، أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهواءهم (ونسوا حظاً مما ذكرنا به) الحظ : الصيب . أي تركوا نصيباً مما ذكرنا به فلم يملوه (ولأنزال تطلع على خائنة) على خيانة (منهم) ومن ذلك همهم ببسط أيديهم إليكم بالإيذاء والقتال (إلا قليلاً منهم) استكانوا ولم يبسطوا أيديهم (فأغف عنهم) أي عن الذين هموا بكم (وأصفح) عن ذنبهم هذا (إن الله يحب المحسنين) خصوصاً من أحسن لمن أساء . وقيل : هي منسوخة بقوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» هذا هو حال اليهود (ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم) أيضاً ؟ كما أخذنا ميثاق اليهود (ففسوا حظاً) نصيباً

* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿١٩﴾ يَتَأَهَّلُ الْكَفَرُ قَدْ جَاءَ كُرُّ

رَسُولُنَا

(بما ذكرنا به) كما نسبت اليهود «تشابهت قلوبهم» (فأغرينا بينهم) أي بين اليهود والنصارى ، أو بين اليهود أنفسهم ، أو بين النصارى وبعضهم مع بعض . وعلى كلا الوجهين : فقد شاعت العداوة بين اليهود وبعضهم ، وبين النصارى وبعضهم ، وبين اليهود والنصارى ؟ فترى اليهود وقد انقسموا إلى فرقتين متنازعتين : قرابين وربانيين ؟ وكلاهما له دين خاص ، وشريعة خاصة ، ونظام يخالف نظام الآخر - في العبادات والعاملات - لا يجتمعان إلا في أمر واحد : هو كراهة المسلمين والنصارى . وترى النصارى وقد انقسموا إلى فرق متعددة : كاتوليك ، وأرثوذكس ، وبروتستانت ؟ كل منها له شريعة خاصة ونظام خاص ؟ وترام دأبي الخلاف في كل صغيرة وكبيرة . أما عداوة اليهود للنصارى ، والنصارى لليهود ؟ فأمر لا يحتاج إلى =

== برهان أو دليل ؟ قال تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » وترى الأمم الغريبة - وهم أبناء دين واحد - وقد تفنن بعضهم في إهلاك البعض - هلاكاً تشييب لهوله الولدان - فمن اخترع للقتلة الذرية ، إلى اختراع للهيدير وجينية ، إلى مصمم لقتلة الكوبالك ؛ إلى مالا نهاية له من صنوف الإيذاء والبلاء الذي لا يوصف ؛ وبذلك حق عليهم الإغراء ؛ فهم أبداً الدهر في شحشاء وبغضاء ! (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قد جاءكم رسولنا)

محمد (بين لكم كثيراً مما كنتم تحفون من الكتاب) اسم جنس . أى ما كنتم تحفونه من كتابكم «التوراة والإنجيل» وكان مما أخفوه وبينه النبي عليه الصلاة والسلام : رجم الزانين المحصنين (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) موضع ؛ وهو القرآن الكريم . اللهم أمدنا بنوره ، واجعله حجة لنا لا علينا ! (يهدى به الله من اتبع رضوانه) طريق مرضاته (سبل السلام) طرق الأمن والسلامة ؛ و «السلام» : يشمل كل ما تحمله هذه الكلمة من معات زاخرة بأنبال الصفات والسمات ؛ فالسلام : هو السلامة والسلم ، والود والهدوء ، والسكينة والطمأنينة ، والخير والبر ! (ويخرجهم من الظلمات) وهى جمع ظلمة ؛ وهى تقع على كل ضلال وخيال ، وسوء وشر ، وعصيان وفسوق ! أرايت كيف يتعذر الإنسان في الظلمات : فلا يرى ما يعترضه من عقبات ، ولا ما يصادفه من مهاوى ومهلكات ؟ فيقع في موارد التهلكة وسوء العاقبة . والمراد بالظلمات أيضاً : الجهل والكفر (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) فمن أحبه الله تعالى : هداه إلى سبل السلام ، وأخرجه من الظلمات (إلى النور) والنور : كل عمل يتسم بالنبال والفضل ، والهدى والرشاد ! أرايت كيف يهتدى الإنسان في النور إلى سلامته وأمنه ،

ويتوقى مواطن الخطأ والزلل ؛ وبالتالي يق نفسه غضب الرب ، وسوء المنقلب ! والمراد بالنور : الإيمان . أى يخرجهم من ظلمات الكفر ، إلى نور الإيمان ! (يأذنه) تأمره وإرادته (ويهديهم إلى صراط) طريق (مستقيم) طريق النجاة ، طريق الفلاح ، طريق الجنة ! كأن سائلاً سأل : ما هو القرآن ؟ وما فائدته ؟ وما جدوى نزوله ؟ فقبل له : هو «كتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور يأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» وهو تعريف عرّف به القرآن منزله تعالى ؛ العالم بأسراره وأنواره ، الواضع لمعاليه وأحكامه !

وهذا التعريف بالقرآن ؛ خير مباعره به الأصوليون ؛ من أن القرآن : هو اللفظ العربى ، المنزل =

رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٢٩ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٣٠ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُنَزِّلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٣١ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَ حَقِّ يَعْقِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلِإِلَهِ الْمَصِيرُ ١٣٢ يَأْمُرُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ

== على عهد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ للتدبر والتذكر ، المنقول متواتراً ؛ وهو ما بين دفتي المصحف ؛
البدء بسورة الفاتحة ، المنته بسورة الناس .

وهو تعريف - كما ترى - جاف ، خال من الروح والروعة الواجبة . وخير التعاريف به : تعريف منزله وميدعه ؛ تعالى شأنه ، وعز سلطانه ! (قل من يملك من الله شيئاً) أى من يملك أن يدفع شيئاً أراداه الله تعالى (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم) الذى ترعمون ألوهيته ، أو بنوته لله (و) أن يهلك (أمه) مريم التى ولدتها ؛ ذكرها تعالى ليعرفهم أن الله الواجب الوجود : لا يلد ولا يولد ؛ فكيف تقولون عمن ولدت مريم : إنه الله ، أو ابن الله ؟ ! (وقالت اليهود والنصارى) تبجحاً منهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) قالوا ذلك حين دعاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للإيمان ، وحذروهم غضب الله تعالى وعقابه (قل) لهم يا محمد : إذا كنتم صادقين فى أنكم أبناء الله وأحباؤه (فلم يعذبكم بذنوبكم) وذلك أنهم قالوا : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » (بل أنتم) فى الحقيقة (بشر من خلق) كسائر البشر (يفر لمن يشاء) بأن يوقفه للإيمان والطاعة (ويعذب من يشاء) بأن يتخلى عن هدايته ؛ لتمسكه بالكفر وعصائه (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد (بين لكم) طرق الهداية (على فترة من الرسل) أى على فتور من إرسال الرسل ، واقطاع الوحي (أن تقولوا) أى أرسلناه لئلا تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم) محمد (بشير) لمن آمن منكم وأطاع بالجنة (ونذير) لمن كفر وعصى بالنار (وجعلكم ملوكاً) أى مالكيين ؛ بعد أن كنتم بملوكين لفرعون وقومه (وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) خلصهم من الذل ، وفضلهم على الكل ؛ فازدادوا كفرأ

١٣٠

المحز السادس

رَسُولَنَا بَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِكْرَ أَنْبِيَاءٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَتَقَرَّمُ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَاؤُنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلَبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا

رَسُولَنَا بَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِكْرَ أَنْبِيَاءٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَتَقَرَّمُ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَاؤُنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلَبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا

إِنَّا

وعتوا ! وأنجهم من البلوى ، وأطعمهم المن والسلوى ؛ فأبوا الطعام الأعلى ، وطلبوا الطعام الأدنى ! وأنزل عليهم مائدة من السماء ؛ فكفروا بما هناك ، وأوقوا أنفسهم فى المهالك ؛ فأعد لهم ربهم عذاباً لا يعذب به أحداً من العالمين ! (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس (التى كتب الله لكم) أى كتب فى لوحه المحفوظ أن تسكنوها وتقيموا فيها (ولا تترددوا على أدباركم) أى لا ترجعوا مدبرين منهزمين (قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين) أقوياء أشداء شجعاناً . وقيل : سفلة لا خلاق لهم . وقال بعض المفسرين : أنهم من بقايا قوم عاد ، وأنهم ضخام الأجسام ، عظام الأجساد ؛ حتى أن أحدهم ليحمل الاثني عشر نفساً فى أحد أكمامه . وهو قول غير صحيح ، وإنما قصه القصاصون الأفاكون ؛ وزينوه بروايات ==

إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَهْلِي فَاغْفِرْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ * وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ
أَبْنَىٰ ءَادَمَ بِمَلَكَيْنِ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِي بُيُوتًا لِأَتِيَنِّي وَلِيَمُكَّدَ فَتَكُونَ مِنَ الصَّاحِبِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُمْ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْسُفُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْدَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَتَوَلَّىٰ أَخِيكَ أَخْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ

= لا أصل لها ، وعنما لا وجود لها (قال رجلان من الذين يخافون) الله تعالى ويخشونه (أنعم الله
عليهما) بالإيمان والشجاعة والاقدام (ادخلوا عليهم الباب) أى ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب المدينة (فاذا
دخلتموه) عليهم ؛ وبدأ قومهم بالمجوم والقتال (فانكم غالبون) أنظر كيف يعلمنا الله سبحانه وتعالى الخطط
الحربية الحكيمة الموقفة : يعلمنا أن نتبع خطة الهجوم ، خطة الاستبسال ، خطة بيع النفس في سبيله جل
شأنه ! وهى قاعدة معروفة متبعة ؛ يعلمها كل ذى لب ، ويتبعها كل ذى قلب : «اطلب الموت توهب لك

الحياة !» وإذا فكرت أيها المؤمن جلياً ،
ونظرت ملياً في هذه الخطة ؛ لأنبأك التاريخ
عن إصابتها وسدادها ؛ فهناك سعد بن أبي
وقاص ، وقد قام بجيشه الصغير ؛ فاكسح به
دولة الفرس اكتساحاً وجعلها أثراً بعد عين ؛
وقد كانت في أوج عظمتها وقوتها ! وهناك
أيضاً طارق بن زياد ؛ وقد فتح الأندلس فتحاً
سجله التاريخ بعداد الفخار والإكبار ولم تكن
تلك الفتوح والانتصارات : لكثرة في المدد ،
أو زيادة في المدد ؛ وإنما هي الخطة التى وضعها
القائد الأعلى ، والمرشد الأعظم ، وحث عليها
عباده ! (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة)
(وعلى الله فتوكلوا لأن كنتم مؤمنين) من
هذا نعلم أن التوكل من لوازم الإيمان ؛ وأن
الإيمان بلا توكل : إيماء مشوب بالشك
والشك ؛ إذ أن الإيمان به تعالى يستوجب
حما الإيمان بقوته وقوته ، والوثوق بعموته !
ومن آمن بالله تعالى ولم يؤمن بصفاته العلية
السنية ؛ فهو من عداد الكافرين ! (انظر
آية ٨١ من سورة النساء) (قالوا يا موسى لن
ندخلها أبداً ما داموا فيها) فازدادوا بذلك
جنباً على جنبهم ، وخوراً على خورهم ، ورفضوا
التوكل على الله ، وأبوا الاستماع إلى نصيح
الناصحين ؛ الذين يخافون ربهم ، وقد أنعم الله
عليهم (فانذهب) ياموسى (أنت وربك فتقاتلا

لإنا هنا قاعدون) أضاف بنو إسرائيل إلى جنبهم وضعفهم وحقارتهم : كفراً برهم لايعدله كفر ، وتحدياً
يستأهل ما أعد الله تعالى لهم من عذاب بئس ! إذ قالوا لتبيهم الكريم ؛ الذى بعثه الله تعالى إليهم ليخرجهم
من الظلمات إلى النور : «فانذهب أنت وربك فقاتلا» (قال) موسى (رب إني لا أملك) من دنياى
(لأنفسى وأخى) ولا نصلح أن تلقى بمفردنا الجبارة فنخرجهم من بيت المقدس (فارق) فافصل واحكم
(بيننا وبين القوم الفاسقين) الكافرين ؛ الذين خرجوا عن طاعتك (قال) الله تعالى لموسى (فاتها) أى
الأرض المقدسة (محرمة عليهم أربعين سنة) لا يدخلونها ولا يتمتعون بمخبراتها ؛ بل (يتشبهون في الأرض)
سائرهم على وجوههم ؛ لا يبلغون مقصداً ، ولا يحوزون مأملاً ؛ عقوبة لهم على عصيانهم وجبنهم ، وعدم =

= استماعهم لكلام ربهم ونصح نبيهم (فلا تأس) لا تخزن (على القوم الفاسقين) الكافرين العاصين (واتل) يا محمد (عليهم) على هؤلاء اليهود؛ الذين هموا أن ييسطوا إليكم أيديهم بالبش والاذى (نأى بنى آدم) هابيل وقايل (إذ قريا قربانا) لله (فتقبل من أحدهما) هابيل (قال) قايل - الذى لم يتقبل قربانه - لهابيل الذى تقبل منه (لأقتلك) حسداً منه له (قال) هابيل (لما يتقبل الله من التقيين) الذين يخشونه (لئن بسطت) مدت (إلى يدك لتقتلني) فلن أقابلك بمثل بغيك ؛ و (ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك) لأنى لست

الميزه السادس

١٣٢

شرير أمثلك (إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أنت نبوء) ترجع (بأئى) ثم قتل (ولمأك) الذى ارتكبتك من قبل ؛ ولم يتقبل قربانك بسببه أو المراد «بأئى» : آئامى تلقى عليك «ولمأك» الذى ارتكبتك بقتلى . قال صلى تعالى عليه وسلم : « يؤخذ من حسنات الظالم فتراد في حسنات المظلوم حتى ينتصف ؛ فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه » بعضه قوله تعالى « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » (فطوعت له نفسه) زينت له ، وتابعت وطاوعته (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض) يحفر فيها برجله ومقارنه (ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) جسده ؛ والسوءة: كل ما يسوء الإنسان ظهوره (من أجل ذلك) القتل الذى حصل بين ابني آدم (كتبنا) حكمتنا وقضيتنا (على بنى إسرائيل) وعلى غيرهم أيضاً (أنه من قتل نفساً بغير نفس) أى بغير أن يكون ذلك القتل قصاصاً من المقتول الذى قتل نفساً ظالماً (أو فساد في الأرض) أى وبغير أن يكون القتل بسبب إفساد المقتول في الأرض ، وقطعه للطريق ، وسلبه أموال الناس وإفساده للأمن (فكأنما قتل الناس جميعاً) أى لأنه بفعله هذه سن القتل ، وجعل كل الناس عرضة له ، ولأن عقوبته في الآخرة لا تنقص عن عقوبة

فَأَوْرَىٰ سَوْءَهُ أُنْحَىٰ فَلَمْ يَسْجَعْ مِنَ النَّاصِيغِينَ ﴿٥١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُقَوَّامِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا آتِقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَفِيَ الْأَرْضِ

جميعاً

من قتل الناس جميعاً ؛ ألا ترى أن جزاءه جهنم ، وأنه خالد فيها ، وأن غضب الله تعالى محيط به ، ولعنته منصبة عليه ، وأنه تعالى أعد له عذاباً عظيماً مهيناً ! ؟ فأى شقاء وأى عذاب بقى لمن قتل الناس جميعاً بعد هذا الشقاء ، وفوق هذا العذاب ؟ (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) (ومن أحياها) أى أقعدنا من هلاك عمق : كفرق ، أو حرق ، أو دفع عدو ظالم ، أو غير ذلك (فكأنما أحيا الناس جميعاً) لأنه سن بينهم النجدة ، والتضيعة ، والأمن . وقيل : إن الكف عن القتل هو الإحياء .

بعد ذلك بين الله تعالى لنا الأسباب الموجبة للقتل ، واتى استنهاها في الآية السابقة بقوله جل شأنه : « بغير نفس أو فساد في الأرض » قال تعالى (لما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بمحاربة المسلمين ، =

== ومخالفة ما أمر الله تعالى به ، وإتيان ما نهى عنه (ويسعوت في الأرض فساداً) وهم قطاع الطريق ؛ الذين يعيشون في الأرض ، ويتهمكون الحرامات ، ويفسدون الأمن ؛ غزاة أمثال هؤلاء (أن يقتلوا) إن كان لأثمهم القتل فقط (أو يصلبوا) إن كان لأثمهم القتل وسلب المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) إن كان لأثمهم سلب المال «السرقه بالإكراه» وطريقة ذلك أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى - يده للسرقه ، ورجله لإخافة الطريق - فان لم يئب تقطع يده اليسرى ورجله اليمنى (أو ينفوا من الأرض) إن كان لأثمهم التخويف فقط ؛ والنبي : أن يطرد من موطنه قسراً حتى يلحق بأرض العدو ، أو هو نفيه من بلده إلى بلد آخر يسجن فيها حتى تبدو توبته ، وتظهر إنباته ؛ ويقطع عن معصية الله وليضاء عبادته الآمين ! (انظر آية ٣٨ من هذه السورة) (ذلك) الجزاء المتقدم (لهم خزي) ذل وفضيحة (في الدنيا) يعلق بهم وبأبنائهم وذرايرهم (إلا الذين تابوا) عن عمارية الله تعالى ورسوله ، وعادوا إلى حظيرة الإيمان (من قبل أن تقدروا عليهم) فأولئك ليس لكم عليهم من سبيل ؛ لأن الإيمان يجب ماقبله . أما إذا كان الساعي في الأرض بالفساد من المؤمنين : فعليه القود والقصاص .

وقال النافعى رضى الله تعالى عنه : يعنى من حق الله تعالى ، ويؤخذ بحق الناس (بأيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوه ، واخشوا عقابه (وابتغوا إليه الوسيلة) الوسيلة : هى القرية ، والعمل الصالح (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) يسرق السارق - حين يسرق - وهو آمن مطمئن ؛ لا يخشى شيئاً : اللهم سوى ذلك السجن الذى يطعم ويكسى ويعالج فيه ؛ فيقضى مدة العقوبة التى فرضها عليه القانونوضى ، ويخرج من هذا السجن وهو إلى الإجمام أمل ، وعلى الشر أقدر ! يدل على هذا أن تعداد الجرائم يزداد يوماً عن يوم .

وعاما عن عام ، وذلك لقصور العقل البشرى ومجزه عن الوصول للشفاء النافع ، والدواء الناجع ! أما عقوبة قطع يد السارق فالتى وضعها الرحيم الرحمن ، الذى هو أعلم بالإنسان من الإنسان ؛ وهامى ذى بلاد الحجاز - رغم فقر أهلها وعوزهم - فلا تكاد تسمع بوقوع سرقه فيها ؛ حتى ان الإنسان ليقع منه الدرهم فيتركه فيعود إليه فيجده فى موضعه بعد أيام ؛ حيث لا يجسر أحد أن ينظر إليه ، فضلا عن أن يعد يده لأخذه وما ذلك إلا بفضل انتشار الأحكام الدينية ؛ جزى الله تعالى القاصين بها خير الجزاء ! وهامى ذى أوروبا وأمريكا تناديان بوجوب تغيير هذه القوانين الوضعية ؛ حيث لم تعد صالحة لردع النفوس الشريرة ؛ بدليل ازدياد الجرائم ؛ فله ما أحلى هذا الدين ، وأجل تعاليمه وشرائعه ! (جزاء بما كسبوا) من إثم السرقه =

سورة المائدة

١٣٣

بِمَعَا وَشَلَهُ مَعَهُ لِيَفْعَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يُومُ الْقِيَمَةِ
مَا تُقِيلُ بِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۝ يَرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا
مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ۝
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكٌ مُّسَكِّنٌ وَالْأَرْضُ بَعْدُ مِنْ
يَسَاءٍ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَخْزِكْ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَمِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ غَائِرِينَ لَّا يَأْتُونَكَ
بِحُرُوفٍ أَلِكَلِمَةٍ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّا نُرِيتُمْ هَذَا
فَقُذِّدُوهُ وَإِن لَّا تَنْتَوِهِ فَاخْذَرُوا وَمَن يَرِدْ اللَّهَ فِتْنَةً

== (نكالا من الله) النكال : العبرة للغير . أى ذلك القطع عبرة من الله : يعتبر بها الغير ؛ فيتجنب أسبابها (فن تاب من بعد ظلمه) رجع إلى الله من بعد ارتكاب السرقة ، واعترف بها (وأصلح) أعماله (فإن الله يتوب عليه) يقبل توبته ؛ بعد توقيع الحد عليه (يا أيها الرسول) خاطب الله تعالى سائر النبيين بأسمائهم ؛ فقال : « يا آدم ، يانوح ، إبراهيم ، ياداد ، يعيسى ، يازكريا ، يايحي » ولم يخاطب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلا بقوله : « يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها الزمل ، يا أيها المدر » وفي هذا من رفعة شأنه عليه الصلاة والسلام مالا يحصى !

الجزء السادس

١٣٤

(أكلون للسحت) الحرام والرشوة

(فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل

فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَا يَرِيْدُ اللَّهُ أَنْ
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نِجْرٌ ۖ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثُلُونَ لِلصَّحْتِ
فَإِنْ جَاءَهُمْ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِنْ تُعْرِضْ
عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْعًا ۖ وَإِنْ حَكَتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّيِّثُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۖ فَلَا تَحْشُرُوا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرْوُوا
بِعَايِنِي ۖ مِمَّا قَلِيلًا ۖ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

بِالنَّفْسِ

(والرمانيون) جمع رمان نسبة إلى الرب ؛
وهم العلماء والحكماء . وقيل : هم الرهبان
(والأخبار) العلماء (بما استخفظوا) حفظوا ،
واستودعوا علمه (من كتاب الله) وهو
التوراة (فلا تحشروا الناس واخشوا) أى
لا تخافوهم خوفاً ينسيكم أوامرهم ؛ فأنا أحق
بالخشية منهم ؛ لأنى أنفع وأضر ، وهم لا يستطيعون
جلب نفع لأنفسهم ، ولا دفع ضرر عنها . وهذا
نهى عن السترف والتلق ، ووجوب نهى
العاصى عن عصيانه ، والطاغى عن طغيانه

(وكتبنا عليهم فيها) أى فى التوراة (أن النفس) تقتل

الَّذِينَ

مولاة الكفار كفر؟ ألا ترى إلى قوله تعالى «فانه منهم» أى من جنسهم ، ومن جماعتهم ! فاحذر - ياربك الله - أن توالى الكافرين ؛ فتكون من الظالمين ! (انظر آية ٢٨ من سورة آل عمران) «فترى الذين في قلوبهم مرض» شك ونفاق (يسارعون فيهم) أى يسارعون في ولايتهم وصدقاتهم (يقولون) إنما نوالهم لأننا (نخفى أن تصيينا دائرة) أى مصيبة ، أو حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها (ففى الله أن يأتى بالفتح) بالنصر (أو أمر من عنده) ينزل العذاب (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق والكفر بالمؤمنين

(حطت أعمالهم) بطلت (فسوف يأتي الله بقوم) غيركم : مؤمنين ، طامعين ، صالحين (يحبهم) لإيمانهم (ويحبونه) لمعرفتهم به ، ومزيد فضله عليهم !

وحب المؤمن لربه : يجب أن يكون متيزاً عن سائر الحب ؛ فلا يجوز أن يكون كحب الولد ؛ إذ هو كاسبه ، ولا كحب الوالد ؛ إذ هو واهبه ، ولا كحب المال ؛ إذ هو مكسبه ، ولا كحب الزوج ؛ إذ هو هادياها وراعيها ، ولا كحب سائر الأهل - مهما كانوا نافعين قادرين ، ومهما كانوا أجباء محبين - بل يجب ألا يشاركه تعالى في الحب مخلوق - مهما سما قدره ، وعلت منزلته - ولا يجوز أن يتعلق به تعالى بسبب من الأسباب ؛ لثلا يزول ذلك الحب بزوال هذا السبب ! بمعنى أنه يجب لأنه يحفظ عليه أهله ، أو ولده ، أو ماله . بل يجب أن يكون حبه لله لذات الله ! فانه تعالى إن شاء وهب ، وإن شاء سلب ؛ وإن شاء أعطى ، وإن شاء منع ؛ لا يسأل تعالى عما يفعل وهم يسألون !

١٣٧

سورة السائدة

الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ
حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُخَوِّهُمْ وَأَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّمَا
وَلِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٣﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْقَتِيلُونَ ﴿٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا
وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ ءَاوَوْا إِلَى الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلِيَاءُ
وَأَقْرَبُ إِلَيْنَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾

والحب لله ان كان مبنياً على خوف عذابه ، أو رجاء نوابه ؛ فانه لا يخالف القصر ؛ قال تعالى «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» لكنه على كل حال ليس بالحب الذي يناسب ذات الله المقدسة ! وقد ذهب بعض الصوفية الى أكثر من هذا ؛ فقال : إن حبه تعالى لا يجوز أن يكون رغبة في جنته ، أو خوفاً من ناره ؛ بل يجب أن يكون مجرداً عن كل غرض ، أو شبهة الغرض ؛ بل يكون حبه تعالى : هو الغاية ، وهو الوسيلة ، وهو المقصد ، وهو المطلب ! فإذا ما وصل العبد الى هذه المرتبة : كان صديقاً ؛ بل وفوق مرتبة الصديقين ! واعلم أيها المؤمن - هديت وكفيت - أن محبة الله تعالى ورضاه لا يتوافران إلا برضاء الناس ومحبتهم ؛ فاحرص على رضاء مخلوقاته

وحبهم - حتى العجاوات منها - فيرضى عنك الجميع ويحبونك ، ويرضى عنك الله تعالى ويحبك !

وما من إنسان يحبه موله : إلا أحبه كل مخلوق ، وتيسر له كل صعب ، وهان عليه كل عسير ! واعلم أن مخلوقات الله تعالى بمثابة عياله ؛ فن أكرمهم : أكرمهم الله ، ومن أعزهم : أعزهم ، ومن غفر لهم : غفر له ! «ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» .

واعلم - هداك الله وعافاك - أنه ما من لقمة تطعمها ، ولا فقة تنفقها ؛ إلا كان لك بها أجر : لو علمته لأطعمت الفقراء سائر طعامك وما طعمته ، ولو تحققته لأنفقت عليهم فقة عيالك وما نجت به ! =

== واعلم - علم اليقين - أن الله تعالى معطيك بذلك ما تريد وفوق ما تريد - في الحياة الدنيا - ومعطيك في الآخرة ما لم تتوهمه ، وما لم يخطر ببالك ! وأن عطاءه تعالى ليس كعطائك - مهما بذلت - وأن مثوبته ليست كمتوبتك - مهما بالفت - فاعمل بذلك لديناك وآخرتك ؛ إني لك من الناصحين ! (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) من علامة حب الله تعالى للمؤمن ، وحب المؤمن لربه : أن يكون لين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين ، قوى الشكيمة متسر بلا العزة والكبرياء حيال الكافرين والمنافقين ؛ لا يراعى أحداً لسنته أو لبطشه .

الجزء السادس

١٣٨

أقدار الناس عنده تتساي بإيمانهم وتقواهم ، لا بقوتهم وغنائم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) من خلصائه وأوليائه (لعمركم) (لعمركم) (والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) جل تعالى لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : شرطاً من شرائط الإيمان ؛ فلينظر هذا وليعتبر ! (ولإذا ناديتُم إلى الصلاة) أى أذن مؤذنين بها (اتخذوها هزواً ولعباً) هذه صفة الكافرين ؛ وصفهم الله تعالى بها في كتابه الكريم ؛ ومن عجب أن هذه الصفة قد أصبحت من سمات كثير ممن تسوا بالمؤمنين : يراك أحدهم وقد شرعت في طاعة مولاك بإقامة الصلاة - التي أمرك بأدائها - فيغرب في الضحك ، ويعمن في السخرية ، ويجمع حولك مع أمثاله من الفاسقين الضالين ؛ فيجعلون من صلاتك سبباً للضحك عليك ، والسخرية بك ! «فليضحكوا قليلاً وليكوا كثيراً جزء بما كانوا يكسبون» (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون) هل تكرهون (منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا) من القرآن (وما أنزل من قبل) على النبيين (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة) أى ثوابا . والثوبة - وإن كانت مختصة بالاحسان - لكنها وضعت هنا موضع

قُلْ يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ هَلْ تَنفَعُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَتَىٰ مِنْ قَبْلِهِ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ
فَتْسِقُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ هَلْ أَنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ
وَأَنزَلَ مِنْهُمْ الْطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُ آيَةٍ مِّنَّا وَقَدْ
دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١٤٠﴾ وَرَأَىٰ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ
فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدُوتِ وَأَكْثَرُهُمُ السَّخِرُ لَيْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ لَوْلَا يَنْبَهُمُ الرَّسُولُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ
الْإِيمَانُ وَأَكْثَرُهُمُ السَّخِرُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤٢﴾
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

مِنْهُمْ

العقوبة ؛ كقوله تعالى «فبشرهم بعباد أليم» (من لعن الله) طرده من رحمته (وغضب عليه) وأى شر أشر من لعن الله تعالى وغضبه ؟ بل أى درك ينحط فيه لإنسان - بعد اللعن والغضب - أحط من السخ ؟ (وجعل منهم الفرقة والفتنة) وأى حيوان أبقح شكلاً ، وأخبث منظراً ، وأكره رائحة ، وأزرى خلقاً وهيئة من الفرقة والفتنة ؟ ! هذا وصف بني إسرائيل من ناحية الخلق ؛ أما وصفهم من ناحية الحق : فقتلناه لا يقل مجال عن الحق ؛ فقد وصفهم الله تعالى بقوله (وعبد الطاغوت) والمراد بالطاغوت : الطغيان السادى أو هو كل رأس في الضلال ؛ هذه الصفات ، وتلك السمات ؛ ساقها الله تعالى وصفاً لليهود (أولئك شر مكاناً) في الدنيا : بما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة ، وفي الآخرة : بما أعده الله تعالى =

مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُفَيْنًا وُكُفْرًا وَآلَقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا
نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
آمَنُوا وَأَقْرَأُوا لَفَرَّغْنَا عَنْ سِيَائِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّةَ
النَّعِيمِ ﴿١١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ
إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَبِنْتٍ أَرَجُلِهِمْ
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَتْلُمَل
الْكِتَابَ لَسَمَّ عَلَى شَيْءٍ وَحَتَّى نَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
الْكِتَابَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

= لهم من عذاب النار وبئس المصير ! (وأصل عن سواء السبيل) عن طريق الصواب والحق (وأكلهم
السحت) الحرام والرشوة . والسحت : الحرام . أو هو ما خبث من المكاسب فزعم عنه العار ! (لولا) هلا
(ينهاهم الربانيون) الزهاد فيهم (والأخبار) العلماء (عن قولهم الإثم) الكذب والزور (وقالت اليهود
يد الله مغلوله) أى شحيحة بخيلة ؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! (غلت أيديهم) دعاء عليهم بتقييد
أيديهم عن عمل الخير ؛ ليجرموا من نوابه (بل يدها مبسوطتان) غل اليد وبسطها : كناية عن البخل والجود .
قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

ولا تبسطها كل البسط» ومن أكرم من
الله ؟ ومن أبسط يدا منه تعالى ؟ !
(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم
القيامة) أى بين اليهود والنصارى وبين
سائر المسلمين ؛ لأنه تعالى قال قبل ذلك :
«لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء» أو هو
بين اليهود أنفسهم ؛ فكل فرقة منهم تحالف
الأخرى ؛ ولقوله تعالى «تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى» فهم متباغضون أبدا الدهر ، متنافرون
طول العمر ؛ شتت الله تعالى شملهم ، وفرق
جمعهم ! (لكفرنا) عونا (ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يؤخذ
من هذه الآية الكريمة : أن الطاعات مفتاح
لسائر السعادات ، وأن ماعد الله لا ينال إلا
بطاعته ! (منهم أمة) طائفة (مقتصدة) تعمل
بالعدل والخير ؛ ولا تقول إلا الحق . وأصل
القصد : الاستقامة ؛ وهو ضد الإفراط ؛
والمقصود بهم الطائفة التي قالت في عيسى : إنه
رسول الله وكلته ألقاها إلى مريم ، وروح
منه ؛ ولم تقل : إنه ابن الله ، أو إنه ابن زنا ؛
صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! (وكثير
منهم ساء ما يعملون) أى ساء الذى يعملونه ؛
لأن أعمالهم كلها سيئة (والله يعصمك من

الناس) يحفظك من مكروهم وكيدهم ؛ فلا يتمكن أحد من قتلك أو خداعك ؛ وقد كان الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم يحرسون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فلما نزلت «والله يعصمك من الناس» قال :
«انصرفوا عني فقد عصمني الله من الجن والإنس ؛ فلا أحتاج إلى من يحرسنى !» أما عصمته - صلوات الله
تعالى وسلامه عليه - من الشيطان ؛ ففي عصمة مصاحبة له منذ ولد عند ما تداعى إيوان كسرى ، وخبث
نيران الفرس ؛ وعند ماشق جبيل الأمين عن صدره الشريف ؛ فزعم منه حظ الشيطان من بنى الإنسان ؛
فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة الله تعالى بين البشر ، وسيد ولد آدم ولا خرا ! (قل يا أهل
الكتاب) اليهود والنصارى (لستم على شيء) أى لستم على دين ، ولا على نظام ، أو لستم على حق =

== (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) بأن تعملوا بما فيها . وفي التوراة والإنجيل
نعت مجد عليه الصلاة والسلام ، والتبشير بمجيئه ؛ فالإيمان به إذن : إمامة للتوراة والإنجيل ، وعمل بما فيها
(انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) (وليزيدن كثيراً منهم) أى من اليهود والنصارى (ما أنزل إليك
من ربك) من القرآن (طغياناً) على طغيانهم (وكفراً) على كفرهم (فلا تأس) لا تحزن (إن الذين آمنوا)
بالله تعالى ؛ وهم قوم مجد عليه الصلاة والسلام

الحيز السادس

١٤٠

(والذين هادوا) اليهود : قوم موسى عليه
السلام (والصابئون) جنس من أهل الكتاب .
وسباً : إذا رجح . وقيل : هم قوم كانوا
يعبدون النجوم . وقيل : قوم كانوا على دين
نوح عليه السلام ؛ وأبوا اتباع دين آخر
(والنصارى) قوم عيسى عليه السلام (من
آمن) من هؤلاء جميعاً (بالله) واليوم الآخر
وعمل صالحاً في دنياه (فلا خوف عليهم)
من العذاب (ولا هم يحزنون) يوم القيامة ؛ إذ هم
ناجون بإيمانهم بالله واليوم الآخر ، وبالعمل
الصالح (وحسبوا) أى ظن بنو إسرائيل (ألا
تكون فتنة) أى ألا ينزل بهم عذاب بسبب
تكذيبهم (فعموا) عن رؤية الحق (وصموا)
عن سماعه ؛ وذلك لأنهم لم ينتفعوا بما رأوا
ولا بما سمعوا ؛ فكانوا كالأعمى والأصم
(ثم تاب الله عليهم) رفع عنهم العذاب ،
ومهد لهم سبيل التائب ، ولن يتوب إنسان ،
قبل أن يتوب عليه المنان ! قال تعالى «ثم تاب
عليهم ليتوبوا» لكن بنى إسرائيل هم هم ؛
طول العمر ، وأبد الدهر ؛ فبعد أن عموا
وصموا ، وبعد أن رفع ربهم عنهم العذاب ،
(ثم) مهد لهم سبيل التائب (عموا وصموا
كثير منهم والله بصير بما يعملون) فجازيهم به
(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ
وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٨﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَحَسِبُوا أَنَّا لَآتُونَكَ بَقَرَةً صَمُونًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
فَمِمَّا كَفَرُوا وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ أَهْلُ بَصِيرَةٍ يَمَعِلُونَ ﴿١٦٠﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٦١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثَةٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَدْرُوا

عَمَّا

مريم) وكيف يكون لها من ولده مريم ؟ ومن صفاته تعالى أنه لا يلد ولا يولد ! «قل فمن يملك من الله شيئاً
إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً» (وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم لأنه من يشارك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) أن يدخلها ، أو يشم ريحها (ومأواه) مرجعه (النار)
وما للظالمين الكافرين (من أنصار) ينعونهم من عذاب الله ، أو يصبرونهم من دونه ؛ و(لقد كفر)
أيضاً (الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وهم النصارى حيث يقولون : إن الله ذو ثلاثة أقانيم (ولن لم
ينتهوا) يرجعوا

عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمَسْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ آلِيمٍ ﴿٧٥﴾
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾
 مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمْ
 الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
 كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٩﴾ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
 عَنْ مُكْرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ تَرَى كَثِيرًا
 مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ

(عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) بهذا القول (عذاب آليم) في الدنيا بالخرى ، وفي الآخرة بالنار! (ما المسيح ابن مريم) الذي ألهته النصارى ورمته اليهود (إلا رسول) من عند الله (قد خلت) مضت (من قبله الرسل) أمثاله (وأمه صديقة) مبالغة في الصدق (كانا يأكلان الطعام) كما تأكل سائر المخلوقات ؛ وفي هذا القول إشارة لطيفة إلى أن من يأكل الطعام ؛ لا بد أن يكون في حاجة إلى إخراجه ومن يكن هذا حاله ؛ فكيف يعبد ؛ أو كيف يتوهم أنه إله ؟ ! (انظر كيف نبين لهم الآيات) الدالة على فساد حكمهم ، وخطأ رأيهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن عبادتي ؛ رغم ظهور الآيات الدالة على وحدانيتي ؛ ! (قل) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق (العلو: مجاوزة الحد ؛ من إفراط . أو تفريط : فقد قالت النصارى عن عيسى : إنه إله ، وإنه ابن الله . وقالت اليهود عنه : إنه ابن زنا ! فاتهم الله أنى يؤفكون ! (ولا تتبعوا أهواء قوم) يعني بهم اليهود (قد ضلوا من قبل) باقتنائهم على المسيح وأمه ؛ وهو عبد الله وكلته ، وأمه صديقة (واضلوا كثيرا) من الناس ؛

بصرفهم عن الإيمان (وضلوا عن سواء السبيل) عن الطريق المستوى الواضح المستقيم (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنوا على لسان داود في الزبور ، وعلى لسان عيسى في الإنجيل (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) قال تعالى «واقفوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الطامعين والعاصين معاً ؛ لأن الطامعين لم يكونوا يهتدون مرنكي المنكر عن منكرهم ؛ فيصيبهم ما يصيبهم (ترى كثيراً منهم) أى من اليهود (يتولون الذين كفروا) يصادقون مشركي العرب وعبداء الأوثان ؛ ليستعينوا بهم على المسلمين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لدنياهم وآخرتهم ا

أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ ثُمَّ خَلِدُوا ۖ
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا اخْتَدَوْهُمْ
 أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٦﴾ * لَتَجِدَنَّ
 أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ
 ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قِيسِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾
 وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
 الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾
 فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَلَكِنَّا بِمَا يَفْعَلُونَ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩١﴾

بَيَانُهَا

عليه الصلاة والسلام حق ، وأن نزول القرآن عليه حق (انظر آية ١٥٨ من سورة الأعراف) (يقولون ربنا آمنا فاكْتُبْنَا مع الشاهدين) أى مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذين هم شهداء على سائر الأمم (فأناهم) جزاءهم

(أن سخط الله عليهم) بسبب مصابحتهم للكافرين ، ومولاتهم لهم ، وعدائهم للمسلمين وعدم تهايمهم عما يعملونه من المنكر (ولو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر لما اتخذوا أولياء) إذ أن موالاة الكافرين كفر (لتجدن) يا محمد (أشد الناس عداوة للذين آمنوا) بك (اليهود والذين أشركوا) بالله من عبدة الأوثان (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) قيل : نزلت في قوم من نصارى الحبشة ؛ وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن وآمنوا به ؛ ولما رجعوا إلى الحبشة أخبروا النجاشي بذلك فآمن وظل على إيمانه حتى مات مسلماً . وقيل : إنهم قوم كانوا على ملة عيسى عليه السلام ؛ فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آمنوا به وصدقوه . والظاهر أن المراد: عموم النصارى (ذلك بأن منهم قيسيين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) خشوعاً وتأثراً (بما عرفوا من الحق) وذلك أنهم عرفوا من الإنجيل أن مجيء محمد

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اليمين اللغو : أن يخلف على شيء يرى أنه كذلك ، وليس كما ظن ، أو هو ما يسبق لآله اللسان من غير قصد الخلف ؛ كقول الإنسان : لا والله ، وبلى والله (أو تحرير رقة) وتحريرها : إعتاقها من الرق ؛ كفارة لليمين (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) (يا أيها الذين آمنوا) إنما الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) و«الحمر» : كل ما خمر العقل ؛ وقد جاء في الحديث الشرف أنها أم الكبرأى ! وقد تعددت في زماننا هذا أنواعها وألوانها ؛ أشد رغبة العصاة فيها ، وانكبابهم عليها ؛

١٤٣

سورة المائدة

قال صلى الله تعالى عليه وسلم «يأتى على أمتي زمان يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها» وقد صدق الحديث على هذه الفترة من الزمن ؛ وهام الآن يشربونها بأسماء عدة ؛ ليس من بينها لفظ «الخمر» ويشربون بعضه للتداوى ؛ وهو من أفتك أنواع الخمر وأخسها ؛ كأصناف حديد الكينا وغيرها ؛ مما لا يتورع بعض العلماء والفقهاء عن شربه ؛ مستترين بأنها تحمل اسما غير اسم الخمر ، وغاب عنهم أن الله تعالى مطلع على خفاياهم ، وعالم سرهم ونجواهم !

ومن دواعي الحسرة والأسف أننا نجد بعض لأمم الغربية - الغير الاسلامية - تحارب الخمر بكل الوسائل وكافة السبل ؛ وتحظر صنعها وبيعها وحملها ؛ في حين أننا في مصر لا نكون عصريين ومتحضرين إذا لم نشربها ونعرف سائر أنواعها وأصنافها .

ومن عجب أنها في مصر - زعيمة الدول العربية - تباع جباراً وعلى مقربة من المساجد ، وتصريح رسمى من الحكومة المسلمة - التي دينها الرسمى الإسلام - حتى متى نظل في هذه الأدران ، راضين عن هذا الكفران ؟ !

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا ظِلَيتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٤٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ -وَإِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ- مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٤٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

ونحن نرجو ونلحف في الرجاء : أن تقوم حكومتنا الرشيدة المسلمة برفع هذا الإصر ، ومحو هذا العار ؛ لنكون أهلاً لما بوأنا الله تعالى من زعامة ، وما اختصنا به من كرامة !

والخمر : يحد شاربها ويستتاب . وقد جاء في البخارى : «أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حد شارب الخمر ، وأمر أن يضربوه بالعال» وهذا فاطح بوجوب امتهان شارب الخمر وتسفيهه والإزراء به !

والخمر من أولى مهامها أن تجعل شاربها يحيا حياة هي دون مستوى الحياة الإنسانية المهيبة ؛ فيسلط عليه الجانب الحيوانى ، على الجانب العقل والروحى ، الكامن في أعماقه ! وهى فوق هذا تهبط بالقوى =

== العقلية إلى مستوى لا يرتضيه لنفسه إنسان يريد أن يعيش موقراً بين أقرانه ؛ مكرماً بين أئداده ؛ لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على جهازه العصبي ؛ فتغير من إحساساته وانفعالاته تغييراً كبيراً يجعله أقل قدرة على ضبط أنواله وأفعاله ؛ فيسهل اتقياده إلى حيث يرضى الشيطان ، ويغضب الرحمن ! « والميسر » : القمار ؛ ويدخل تحته سائر ضروب اللعب وأوراق اليانصيب « اللوترية » و « الأنصاب » : الأصنام والأحجار التي كانوا ينصبونها للعبادة من دون الله تعالى « والأزلام » : قذاح أو سهام ؛ كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ؛ قال تعالى « وأن تستقسموا بالأزلام »

الجزء السابع

١٤٤

والاستقسام بها : طلب معرفة ما قسم للانسان في الغيب . والرجس : القنذر ؛ وهو كل ما يستوجب العذاب والمقاب (لأنما يريد الشيطان) يدفعكم إلى شرب الخمر ، وإغوائكم على لعب القمار (أن يقع بينكم العداوة) بعد أن ألف الله تعالى بين قلوبكم بالإيمان (وال بغضاء) بعد أن جعلكم الله تعالى إخواناً أجباً ! ولكن الشيطان - ودأبه دائماً إذاية بني الإنسان - أراد يدفعكم إلى هذه المناكير أن يعادى بعضكم بعضاً ، ويبض بعضكم بعضاً ، وكيف لا يتعادى من سلبت عقله الخمر ، وأطاحت برشده وله ؟ أو كيف لا يتعادى القاصرون ؛ وقد سلب بعضهم مال البعض الآخر ظلاً وزوراً ؟ ! (و) قد أراد الشيطان بذلك أيضاً أن (يصدكم) يمنعكم ويحول بينكم وبين (ذكر الله) تذكركه وعبادته (وعن الصلاة) وكيف يذكر الله تعالى أو يصل له من لا عقل له ؟ أو كيف يعبد الله من شغله القمار عن أهله وولده ، بل عن أكله وشربه ؟ ! (فهل أتم) أيها المؤمنون (متهنون) راجعون عن طاعة الشيطان ، إلى طاعة الرحمن ؟ ومنصرفون عن الصبيان ، وعائدون إلى حظيرة الإيمان ؟ ! (انظر آية ٢١٩ من سورة البقرة) (فان توليتم) أعرضتم عن الطاعة (جناح) أثم (فياطعموا)

مَتَّهِنُونَ ﴿١٤٤﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْرِضُوا عَنَّا إِنَّ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغَ الْمُبِينِ ﴿١٤٥﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بَشْيَءً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَافًىً أَوْ يُدْبِرُوا مِرْمَاحَكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُ بِالْغَيْبِ ﴿١٤٧﴾ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَنَّا إِلِيمٌ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتم حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا بِحِرَاءٍ مِّثْلَ مَا نَحْلَلُ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عِلٍّ مِّنكُم هَذِي بَالِغِ أَكْثَرِهَا أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَن سَلَفٍ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

الْبَلَاءِ

ذاقوا . قال أكثر المفسرين : لأنها نزلت حين تخرج قوم عند نزول تحريم الخمر وهي لا تزال في بطونهم . والذي أراه في معنى الآية : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » أي أكلوا وشربوا من اللباحات (إذا ما اتقوا) الله تعالى وخافوه ، وتناولوا هذا المطعوم من حله ، وأدوا حق التمتع به ، وأطعموا منه البائس والفقير ؛ يدل عليه قوله جل شأنه (وآمنا وعملوا الصالحات) وأي صالحات أسمى ، ولا أعنى من إطعام الطعام ؛ فيه يدخل المؤمن جنة ربه ، ويمطى بقره ومزيد حبه ! وليس الصانع سوى التبران وغضب الرحمن ! واذكر إن شئت قول الحكيم العام : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » وقول الجبار القهار : « ماسلككم في سقر » قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين » =

أَنِقَامٌ ﴿١﴾ أَمَلٌ لَكَرْ صَيْدِ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعٌ لَكَرْ
وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرْمٌ عَلَيْكَ صَيْدِ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْأَنْقِلَابَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْلِي شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿٣﴾ اَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٥﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَبْغَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا اللَّهَ يَتْلُو الْأَلْبَابَ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ سُؤْرُهَا وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا جِئْ بِتَرْجُمَةٍ
الْقُرْآنُ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧﴾

== (ثم اتقوا) ربهم؛ فلم ينالوا ما طعموه واطعموه إلا من حله؛ لا يشوبه نهب ولا سلب، ولا خداع
(ثم اتقوا) ربهم؛ فلم يدركهم العجب بكرمهم، ولم يراءوا بجودهم (وأحسنوا) العمل خالصاً لوجهه الكريم؛
غير مبتغين أجراً ولا شكوراً «إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوْجَهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا» (يا أيها الذين آمنوا
ليبلونكم) ليختبرنكم (الله بشيء من الصيد) يسوقه إليكم؛ بحيث إنه (تناله أيديكم) بالامساك؛ كصغار
الوحش، وضفاف الطير وفراخه ويضيه (و) تناله (رماحكم)؛ وذلك الابتلاء (ليعلم الله) علم

ظهور؛ إذ هو جل شأنه عالم بما كان
وسيكون (من يخافه بالغيب) أي من يخشاه؛
مع أنه غائب عنه لا يراه (فمن اعتدى بعد
ذلك) فاصطاد (فله عذاب أليم) لاستهاتته
بأوامر الله تعالى، وارتكابه ما نهى عنه،
واستحلالة ما حرم! والتكاليف: امتحان
من الله تعالى لعبيده؛ وقد تكون المغفرة،
وقد يكون التعذيب: بقدر تسلط الطبيعة البشرية
على النفس وعدم تسلطها؛ فكما كان تسلط
الطبيعة قاسياً ومستحكماً على النفس؛ كانت
مغفرة الله تعالى أدنى من المذنب - طالما أفلح
عن ذنبه، ولجأ إلى ربها - وكما كان ارتكاب
الإثم واقفاً تحت الاختيار المحض، والرغبة
المطلقة: كان الذنب أقبح، والجرم أفدح! -
وكانت العقوبة أشد - لاستهانة النفس بوعده
خالقها ووعيده! - لذا توعد الله تعالى من
اصطاد في الإحرام، بالتعذيب والإيلام! -
وإلا فأى دافع يدفع المحرم إلى الصيد؟ وأى
حافز له إلى ذلك غير المخالفة لأوامر الله تعالى،
وعدم الاعتداد بنواحيه! لذلك وجبت له
الحجيم، وحق عليه العذاب الأليم! (يا أيها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم)
محرمون بالحج أو العمرة (ومن قتله منكم
متعمداً) قتله، ناسياً لإحرامه، أما متعمداً
القتل مع تذكر الإحرام «فله عذاب أليم»

(فجاء) أن جزاء على قتل الصيد (مثل ما قتل من النعم) أى يذبح ما يماثلها في الشكل والعدد: نظيره
في الخلق، وقدره في الجسم؛ فإن قتل نعامه: أهدى ناقة - للتمائل ولقرب الشبه بين الاثنين في الخلقة -
وان قتل حماراً وحشياً: أهدى بقرة، وان قتل طلياً: أهدى شاة، وهكذا. و«النعم»: واحد الأنعام؛
وهو المال الراعية؛ وأكثر ما يقع على الإبل (هدياً) الهدى: ما يهدى إلى الحرم (أو كفارة) لحو
ما ارتكبه من قتل الصيد وهو محرم (طعام) إطعام (مسكين) وذلك بأن يقوم من الثلث؛ ويطعم به
المساكين (أو عدل ذلك) أى ما يعادل ذلك الإطعام ويمثله من الأيام (صياماً) يصومه قاتل الصيد المتعمد؛
عن كل صاع يومين (ليذوق وبال أمره) ثقل جزائه (عفا الله عما سلف) عما مضى قبل التحريم ==

= (ومن عاد) إلى ما نهى عنه (فانتقم الله منه) في الآخرة (أحل لكم صيد البحر) ما اصطدتموه من سمك وحيوان ؛ عخين أو محرمين و«البحر» : سائر البحار والأنهار (وطعامه) ما قذفه على ساحله : حياً أو ميتاً ؛ ما دام صالحاً للأكل (متاعاً لكم) تمتعون بأكله (والسيارة) السائرين من أرض إلى أرض (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) يقوم به أمر دينهم ؛ بالهجر إليه . ودنياهم ؛ بأمن من يدخله . وهي قوام من لا قوام لهم ؛ من ملك يجمع كلتهم ، أو رئيس يحجز قلوبهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن

الجزء السابع

١٤٦

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِجَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآعْتُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى أَرْسُولٍ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدِينُونَ ﴿١٥٨﴾ بَنِيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمُ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعَكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥٩﴾ بَنِيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةً بَيْنَهُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ إِنَّنِي أَنزَلْتُ قَوْلًا عَدَلٍ تُنْكِرُ أَوْ تَعْتَرِجَانِ مِنْ غَيْرِكُ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الضَّلَاطَةِ فَئَقْبِسَانِ بِاللهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نُشْرِي بِهِ وَهَمْنَا وَلَوْ كَانَا

فَاتَرَيْنَا

عسئهم ، وظالمهم عن مظلومهم (و) جعل تعالى (الشهر الحرام) كذلك ؛ يمنع فيه القتل والعدوان . والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب (والهدى) وهو ما يهتدى إلى الحرم من الأنعام (والقلائد) جمع قلادة ؛ وهي ما يعلق بأعناق الأنعام المهداة إلى الحرم ؛ جميع ذلك جعله الله تعالى حراماً لا يعتدى عليه ؛ وذلك لتهديب النفوس التي أشربت حب الفتك والعدوان ، ولتأهيلها لتلقي الأوامر والنواهي ، وإعدادها لقبول الزجر عن المخالفات والعصيان ؛ فكان جميع ذلك بمثابة الرئيس الذي يقوم به أمر أتباعه، وينتظم عقدهم ، ويسلس قيادهم (اعلموا) أيها الناس (أن الله شديد العقاب) لمن عصاه (وأن الله غفور رحيم) لمن أطاعه (ما على الرسول إلا البلاغ) «إن علينا للهدى» (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فحاسبكم عليه (قل لا يستوى الخبيث الحرام (والطيب) الحلال . وكيف يستويان و«الخبيث» موصل إلى النار «والطيب» موصل إلى الجنة ؟! (فاتقوا الله) واتركوا الحرام - مهما كثر - فانه متعدي البركة ، يحقق الحق ! واحرصوا على الحلال - مهما قل - ففيه الخير كل الخير ، وفيه النماء والبركة ! (يا أيها الذين ياذبون العقول) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم

وهي الأشياء التي لا يستفاد بها علم ، ولا يبتنى من ورائها نفع . وقد كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام ؛ مستهزئين به تارة ، ومنتحنين له أخرى . روى البخاري ومسلم رضي الله تعالى عنهما في صحيحهما «قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يابني الله من أبي ؟ قال أبوك فلان . فزلت » والإساءة المتوقعة والمعنية بقوله جل شأنه «ان تبد لكم تسؤم» هي أن يكون السائل ابن زنا ، أو منتسباً لغير أبيه .

وروى أيضاً أنه لما نزل قوله تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» قالوا : يا رسول الله أتى كل عام ؟ فسكت . فقالوا : أتى كل عام ؟ قال : «والذي نفسي بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أظفتموها ، ولو لم تطبقوها لكفرتم» فأُنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا

عن أشياء ان تبد لكم تسؤم . وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ؛ فالآية الكريمة نزلت للنهي عن كل سؤال لا فائدة من ورائه ، ولا حاجة إلى استقصائه . وقد كان هدى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : السؤال للفهم والعلم ؛ فقد سأله صلوات الله تعالى وسلامه عليه عما فيه خير دنياهم وآخرتهم رجاء النفع لا الضرر ، والاستفادة لا التعنت : « يسألونك عن الحيف . يسألونك عن الأهلة . يسألونك عن اليتامى . يسألونك عن الشهر الحرام . يسألونك ماذا ينفقون » .

وقيل : كان السؤال عن البعيرة والسائبة والوصيلة والحامى .

وخير مايقال فى هذه الآية الكريمة : إن المراد بالنهى : سؤال الآيات ، واقتراح المعجزات ؛ وفى إبدائها لإساءة بالغة لمكريمها . قال تعالى عند ما سأله بنو إسرائيل أن ينزل عليهم مائدة من السماء : « إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » (وإن تسألوا عنها) أى عن هذه الأشياء التى نهيت عن السؤال عنها (حين ينزل القرآن تبد لكم) أى لا تسألوا معجزة ، ولا تترحموا آية ؛ إلا إذا نزل القرآن ؛ فيه كل تبيان وبرهان ، وفيه ما يفتنكم عن كل سؤال ، وعن كل آية ، وعن كل معجزة ؛ قال الإمام البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

دامت لدينا ففافت كل معجزة

من التبين إذ جاءت ولم تدم
(عفا الله عنها) أى عن المسألة التى سلفت منكم (قد سأله قوم من قبلكم) أى سأل قوم - ممن كان قبلكم - مثل سؤالكم هذه الآيات واقترحوا مثل ما اقترحموه من المعجزات (ثم أصبحوا) بعد إجابة سؤالهم (بها كافرين) وذلك كما فعل بنو إسرائيل عند اقتراحهم استبدال

الطعام ، وإززال المائدة ، أو كقوم صالح الذين سألوها الآية ؛ فلما جاءتهم الناقة عقروها (ماجل الله من بعيرة) وهى الناقة يعبر أذنها «أى يشق» وهى ابنة السائبة ؛ وحكمها حكم أمها (ولاسائبة) كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث ؛ سيئت فلم تتركب ، ولم يشرب لبنها لإولدها أو الضيف حتى تموت ؛ فاذا ماتت : أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبجرت أذن بنتها الأخيرة فصارت «بعيرة» (ولا وصيلة) الوصيلة التى كانت فى الجاهلية : هى الشاة تلد سبعة أبطن - عناقين عناقين (١) - فان ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لأهلهم ، وإن ولدت جدياً وعناقاً ؛ قالوا : وصلت أخاها ؛ فلا يذبحون أخاها من أجلها ، =

سورة المائدة ١٤٧

ذَا قَرَّبْتَ وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآمِينَ ﴿١﴾
فَلَمَّا عَزَّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا فَمَّا فَاعَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَوَيْنِ فَبَقِيسَانِ بِاللَّهِ
لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ أَذَقْنَا أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا
أَوْ يَخْتَفُوا أَن تَرُدَّ آمِنَ بَعْدَ آمِنَتِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَ أَجَبْتُمْ فَأَلَوْا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِيَ بَنِي مَرْيَمَ أَذْكُرْ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُبْدِيكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
نُكِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي

== ولا تشرب لبنها النساء ؛ وكان للرجال وحدهم ، وجرت مجرى السائبة (ولا حام) كانوا في الجاهلية إذا نتج من سلب الفحل عشرة أبطن ؛ قالوا : قد حنى ظهره . فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى (قالوا حسبنا) كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) من عبادات ومادات (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) فقوموها على الإيمان ، وروضوها على الطاعة ، واعملوا على خلاصها من عقاب الله تعالى ، وأمرها بالمعروف ، ونهوها عن المنكر (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقد فعلتم ما أمرتم به ، وقم بما وجب عليكم . وهو كقوله تعالى : (ليس عليك هداهم

الجزء السابع

١٤٨

«لأنك لا تهدي من أحببت» (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى ليشهد بينكم (إذا حضر أحدكم الموت) أى حضرت أسبابه ومقدماته ؛ كاستعداد المرض ، والنزح (حين الوصية اثنان ذوا عدل) مشهود لهما بالثبوت والورع والصلاح (منكم) من دينكم وملتكم (أو آخران من غيركم) أى من غير دينكم وملتكم - إذا لم يوجد الأولان - وذلك لأن الوقت وقت ضرورة ملحة ؛ وليس في الإمكان أن نطلب من يعالج سكرات الموت أن ينتظر حتى يعثر على المؤمنين الأتقياء الصالحاء ؛ وقالوا بعدم جواز شهادة غير المسلم على المسلم ؛ لافاق الوصية - بشرط أن تكون في حال السفر - وقيل : «منكم» أى من أقرابكم ؛ لأنهم أعلم بأحوال الميت (أو آخران من غيركم) أى من الأجانب المؤمنين (إن أتم ضربتم في الأرض) سافرت فيها (فأصابكم مصيبة الموت) أى فتم بعد أن أدبتم إلى الشاهدين ما تملكون ، وأوصيتهم بما يريدون ؛ فان قلما بما استودعاه ، وأديا ما ائتمنا عليه ، وارتاح ورتة المتوفى لتصرفها ؛ فقد تم أمر الله . أما إذا توم الوتره كذبها أو خيانتها ؛ فاعليكم إلا أن (تحيسونها) تحسكونها (من بعد الصلاة) وقد كانوا يجلسون للحكومة بعد صلاة العصر

وَتَبَرَّى الْأَحْمَقُ وَالْأَرْصُ بِإِقْنَى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِقْنَى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَافِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَلْهَامٌ مِّنْ مِّثْنٍ ۖ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ عَلِمُوا مِنِّي وَرَسُولِي قَالُوا أَهَآءَا وَاتَّبَعُوا بَنَاتًا مُّسْلِيُونَ ۖ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَنُوحِي بَنِي مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْرَأُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَّا وَقَطْعَيْنَ قُلُوبِنَا وَنَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ وَبِنَا أُنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۖ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكَ قَرْنَ يَكْفُرُ بَعْدَ مَنكَ فَإِنِّي أَغْلِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْلِيهِ

أحمد

(فيقسم بالله) يحلف الشاهدان به تعالى (إن ارتبتم) إن شككم فيها ؛ ويقولان (لا نشترى به) أى بالحق الذي استودعناه وائتمنا عليه ، أو لانشترى بالخلف بالله (ثمنًا) عوضاً ؛ ولا نبيع آخرانا بدينانا (ولو كان) المتوفى ، أو صاحب المصلحة المقسم له (ذا قرين) بهما أمره (ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين) المستوجبين للعقاب إذا كتمنا الشهادة (فان عثر على أنفسهما استحقا لعنا) بأن كذبنا في الشهادة ، ولم يؤدباها على وجهها (فآخران) من أولياء الميت ؛ أو من الوصى لاليهم (يقومان مقامهما) في الحلف (من الذين استحق عليهم) أى استحق عليهم الإثم ؛ وهم الحنفي عليهم من أهل الميت وعشيرته ووارثيه (الأوليان) الأحقان بالشهادة لقرابتهما ، أو لمرقتهما (فيقسمان بالله) يحلفان به (لشهادتنا أحق) =

أولى وأصدق (من شهادتهما) وأنها قد كذبا فيها قالا ، وخافا الأمانة ؛ وأن ما وجد لديهما هو من مال التوفى لا من مالهما (وما اعتدنا) عليهما في ذلك (لما إذا لمن الظالمين) إن كنا معتدين ، أو كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره ؛ من ترتيب الشهادة ، ودفعها عند الارتياح ووقوع الإثم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أى الشهداء (بالشهادة على وجهها) الصحيح ؛ كما حملوها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) فيفتضحوا بظهور كذبهم (يوم يجمع الله الرسل) الذين أرسلهم لهداية خلقه (فيقول ماذا أجبتكم) أى بماذا أجابكم أقوامكم (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك)

بالإمامة والرسالة (وعلى والدتك) بالطهارة ، والاصطفاء على نساء الصالحين (إذ أيدتك) قوتك (روح القدس) جبريل عليه السلام (تكلم للناس) صغيراً (في المهد) المهد : فراش الطفل (وكهلاً) الكهل : الذى جاوز الثلاثين وخطه الشيب (وإذ علمتك الكتاب) الكتابة (والحكمة) العلم النافع (وتبرئ الأكنه) وهو الذى ولد أعمى (وإذ تخرج الموتى من القبور أحياء) (بأدنى) قيل : أخرج سام ابن نوح ، ورجلين ، وامرأة ، وجارية ؛ وتكلم معهم خلق كثير . وقال بعض المحدثين : المراد بالموتى : موتى القلوب والنفوس . وهو قول هراء لا يلتفت إليه عاقل ؛ وذلك لأن إحياء موتى القلوب متيسر لمن عنده أدنى معرفة بالله تعالى ؛ فكيف يكون معجزة لنى ؟ والمعجزة من صفاتها وخصائصها عدم توفرها لغير نبي مؤيد من الله تعالى ! (وإذ كفت) منعت (بنى إسرائيل عنك) أى اليهود حين هموا بقتلك (إذ جثتهم بالبينات) بالمعجزات والحجج الظاهرات (وإذا وحيت إلى الحوارين) وحى لإمام . والحواريون : الحواسب والأصفياء ؛ وهم أنصار عيسى عليه السلام (قال اتقوا الله

إن كنتم مؤمنين) أى لا تمتحنوا ربكم باقتراح الآيات والمعجزات ؛ خشية أن يصيبكم عذابه - إذا كذبتموني بعد نزولها - قال تعالى : (إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين) (انظر آية ١٠١ من هذه السورة) (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) بأنها منزلة من السماء ، وليست من صنع البشر (ونعلم) بذلك (أن قد صدقتنا) في ادعائك النبوة (تكون لنا) يوم نزولها (عيداً لأولنا وآخرنا وآية) علامة دالة على صدق ، وعلى وجودك ! (قال الله إني منزلها عليكم) كما اقترحتم (فمن يكفر بعد منكم) أى بعد نزولها (قال سبحانه) أنزهك عما لا يليق بك (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ما يكون لي) ما يصح لي ولا يجوز (أن أقول ما ليس لي بحق) فكيف بادعاء الألوهية !! =

أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ؕ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَيِّ الْمَلَائِكَةِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِن كُنتَ تَعْلَمُ قَدْ عَلِمْتُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ قَلْبِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٥١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٥٢﴾ إِن تَعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَلَهُمْ الْغَفَرُ الْحَكِيمُ ﴿١٥٣﴾ قَالَ اللَّهُ مَتَى يَوْمُ الصِّدْقِ يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٥٤﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٥﴾

= وسؤاله تعالى لعيسى يوم القيامة ليس سؤال استفهام ؟ بل هو لإقامة الحجة على هؤلاء الكفرة الفجرة ؛ الذين عبدوا من دون الله مخلوقات الله ؛ واتخذوا عبيده آلهة ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! (إن كنت قلته) أى قلت للناس ذلك القول (فقد علمته) لأنك علام الغيوب (تعلم ما فى نفسى) أى ما أكنه فى صدرى ؛ فكيف بالذى أقوله بلسانى ؟ (وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم) أى كنتم مشاهداً لأعمالهم ، مراقباً لأفعالهم ؛ مدة إقامتى بينهم فى هذه الحياة (فلما توفيتنى) أمتنى ، أو توفيت مدة إقامتى فى الدنيا ورفعتنى إليك (كنت أنت

الرقيب عليهم) المراقب لأعمالهم وأفعالهم (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فى الدنيا ؛ فى عبادة الله تعالى والإجابة إليه (لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أى خلوداً موبداً ؛ لا غاية له ، ولا انتهاء لأمده ! (رضى الله عنهم) فأرضاهم (ورضوا عنه) فرضى عنهم (انظر آتى ٤٥ من هذه السورة ، و ٢٢ من سورة المجادلة) (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) ملكاً وخلقاً وعبيداً ؛ لم يشركه أحد فى خلقهم ، ولا يشركه أحد فى عبادتهم ! (وهو على كل شئ) أراده (قدير) على فعله .

(سورة الأنعام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وجعل الظلمات والنور) الليل والنهار ؛ فأنهما آيتان من آيات الله تعالى . أو المراد كل ظلمة ، وكل نور ، أو هو ظلمة الكفر ونور الإيمان ، وظلمة الجهل ونور العلم ؛ جعل الظلمات ليستبدل بها على ما عداها ؛ فلولا ظلمة الليل ما عرفنا نور النهار ، ولولا الكفر ما عرف الإيمان ، ولولا الجهل ما عرف العلم . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ثم الذين كفروا) بعد هذه الدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته (يريم يبدلون) أى يحولون

له عدلاً ؛ وهو المثل ، والشبيه ، والنظير ؛ وهو تعالى « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير » (وهو الذى خلقكم) أى خلق أصلكم آدم عليه السلام (من طين ثم قضى أجلاً) لكل مخلوق من مخلوقاته لا يتجاوزها « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (وأجل مسمى عنده) هو أجل القيامة ووقتها (ثم أنتم) بعد كل ذلك (تمترون) تشكون فى القيامة ، وتجادلون فى الله (وهو الله) الخالق البارئ المصور (فى السموات) وأين أنتم من السموات وما فيها ؟ ! « أنتم أنشد خلقاً أم السماء ؟ » (وفى الأرض) وهو ذلك الكوكب الصغير الحقيق ؛ بالنسبة لملك الله تعالى وملكوته (يعلم سرهم) ما تسرونه فى أنفسكم ، وتحفظون به فى صدوركم (ويعلم ما تكسبون) ما تعملون (وما تأتيهم من آية) معجزة وبرهان =

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢

لَكَرُّوْا زَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ زَلَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيُسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ
فَئِمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَاءً يَلْسُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ اسْتَبْرَأَ بِرُسُلٍ مِنْ
قَبْلِكَ لَخَافُوا بِالَّذِينَ حَزَبُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَهُمْ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْذِبِينَ ﴿٦﴾ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرُ الْإِنْسَانِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

= (إلا كانوا عنها معرضين) لا يأنهون بها ، ولا يلتفتون إليها ؛ وأى معجزة أكبر أو أجل من القرآن ؟
وأى برهان أقوى من رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ذلك اليتيم الذى آواه الله ، والصال الذى هداه ،
والعائل الذى أغناه ! والأى الذى أخرس بفصاحة ما جاء به البلاء والفصحاء ، وتحدى بآياته أساطين
البيان (فقد كذبوا بالحق) القرآن الكريم ، أو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (لما جاءهم فسوف
يأتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون) أى سوف يأتهم العذاب الذى يدهم على صدق ما كذبوا به ؛ وصحة
ما سخروا منه (ألم يروا كم أهلكنا من
قبلهم من قرن) القرن : الأمة ، أو أهل
الزمان الواحد (مكتنهم فى الأرض) أى جعلنا
لهم مكانة فيها ، وقوة وسعة (وأرسلنا
السما عليهم مدراراً) أى جعلنا السماء تدر
عليهم بالمطر ؛ وهو كناية عن بسط الرزق ،
وسعة القوة ؛ لأن المطر مصدر الرخاء والنعاء
(وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) لكنهم
طفوا وبغوا (فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من
بعدهم قرناً) أمة (ولو أنزلنا عليك كتاباً
فى قرطاس) أى لو أنزلنا عليك من السماء
كلاماً مكتوباً فى ورق (فلسوه بأيديهم)
ورأوه بأعينهم ؛ لما آمنوا ، و (لقال الذين
كفروا إن هذا) الذى نراه ونلمسه (الاسحر
مبين) سحر واضح بين (وقالوا لولا) هلا
(أنزل عليه) أى على محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم (ملك) من السماء ؛ يعنى معه ويؤيده ،
ويصدق أماناً بما جاء به (ولو أنزلنا ملكاً)
كما يقترحون (لقضى الأمر) بهلاكهم
واستئصالهم (ثم لا ينظرون) لا يؤجلون ،
ولا يعملون (ولو جعلناه) أى الرسول إليهم
(ملكاً) من السماء (لجعلناه رجلاً) أى
جعلناه على صورة رجل ؛ ليستطيعوا رؤيته ،
ويقووا على مواجهته ؛ لأنه لا قوة ولا طاقة
للإنس على رؤية الملك على حقيقته ؛ ولأن كل

نوع يعيل إلى نوعه ، وكل جنس يألف لجنسه ؛ والإنسان عن الإنسان أقبح ، وطباعة بطباعه آتس ؛
والإنسان لا يقوى على رؤية غفريت أو شيطان ، فكيف برؤية الملك الذى يهلك قرية بصيحة ، وفى أمة
برجفة ؟! وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لنبيينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه على صورة رجل ؛
ليأنس إليه ، ويطن إلى مخاطبته ؛ ولم يره صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته الحقيقية غير مرتين : مرة
عند غار حراء ؛ رآه ساداً للأفق ، حاجباً للشمس ؛ فثنى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عظمة
ما رأى ! ورآه مرة أخرى عندما أسرى به فى السموات العلى «عند سدرة المنتهى» فتعالى الخالق المبدع
المصور ؛ الذى هدانا برسول من أنفسنا ، وأنس إليه ، وثلمس غنى الدارين من يديه ! (وللبسنا عليهم) =

= لحاطنا عليهم (ما يلبسوت) على أنفسهم ؛ بأن يقولوا على الملك الذي أنزلناه في صورة رجل « ما هذا إلا بشر مثلكم » (ولقد استهزئ برسل من قبلك) مثل ما استهزئ بك (خاق) فزول (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أى جزاءه من العقاب والتعذيب (كتب) قضى ربكم (على نفسه الرحمة) فضلاً منه على العباد ؛ ومن دلائل رحمته تعالى : تعلقه بخلقه رغم تعبيرهم ، ولمدادهم رغم عصيانهم ؛ وأى رحمة أبغ من رزقه لمن يكفر به ، وإمهاله لمن يعبد غيره ؟! (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) للحساب والجزاء

الجزء السابع

١٥٢

(لا رب فيه) لا شك في حصول ووقوعه (الذين خسروا أنفسهم) أضاعوها بكفرهم ، وأعمالهم السيئة في الدنيا ؛ فلا يقام لهم وزن في الآخرة ، وليس لهم نصيب فيها سوى الجحيم والمذاب الأليم ! (وله ما سكن في الليل والنهار) أى له تعالى كل شيء - هو خالقه ومالكه - من ساكن أو متحرك ؛ لأن الذى يسكن لابد أن يكون متحركاً . والآية الكريمة تص على كل مخلوق من متحرك وساكن بطبعه ، أو ساكن بعد تحرك (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بأفعالكم (قل أغير الله أنخذ ولياً ناصراً ومعيناً فاطر السموات والأرض) فاطر الشيء : خالقه ابتداء من غير مثال سبق (وهو يطعم) سائر مخلوقاته ويشكل بأرزاقهم وأقواتهم (ولا يطعم) لا يحتاج لأحد يرزقه أو يطعمه ؛ شأن من عبدهم من المخلوقات كيبس (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (وهو الفاهر) الذى لا يعجزه شيء (فوق عباده) مستعالياً عليهم ؛ فهم كلهم تحت رحمته ؛ وقيد إرادته ؛ يمز من يشاء ، وينل من يشاء ، يحيى من يشاء ، ويميت من يشاء ، يسعد من يشاء بجنته ورحمته ، ويشقى من يشاء بناره وغضبه ، ييده الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ؛ تفرد بالظلمة والسطان ! (وهو الحكيم) في صنعه (الحير) بخلقه

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥٢﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْذَ وَلِيٍّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٤﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَرَهُ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْمَعِينُ ﴿١٥٥﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِحَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَاطِثُ ﴿١٥٧﴾ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَتْلُوهُ بِهٖ وَمَنْ يُلَاحِظْ أُنْكُرُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

الَّذِينَ

(قل أى شيء أكبر شهادة) لى بالرسالة والنبوة (قل الله شهيد بيني وبينكم) أى ان دعوتى لتوحيده ، وحى على معرفته : شهادة على نبوتى ، ودليل على صدق (وأوحى إلى هذا القرآن) وهو شهادة أخرى قاطعة ناصحة ؛ فأى شهادة أكبر من هذا تطالبونى بها ، وتزعمونى بأبدائها ؟! (لأنذركم به ومن بلغ) أى لأنذركم بهذا القرآن ؛ ومن سبيله من بعد وفائى ؛ فكلانما أنذرته بنفسى وأبائته . أو ومن بلغه القرآن : وجب عليه القيام بتبليغه أيضاً (الذين آتيناهم الكتاب) اليهود والنصارى (يعرفونه) أى يعرفون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لفته في كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف)

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلَحُ
الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ
إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يَتَّبِعُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ
عَنْهُ وَإِنْ يُبْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْ
رَأَى إِذْ وَفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ
بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ بَلْ بَدَأْنَاهُمْ

(الذين خسروا أنفسهم) بتعريضها للجحيم
والعذاب الأليم (فهم لا يؤمنون) بحمد ؛
رغم معرفتهم له كعقوبتهم لأبنائهم (ومن أظلم)
أى لا أحد أظلم (من افترى على الله كذباً)
بأن أشرك معه غيره من مخلوقاته (ثم نقول
للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم
تزعمون) أنهم آلهة ، وتشركونهم معى في
العبادة (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا بمعنى
الاختبار ؛ أى لم يكن جوابهم حين اختبروا
بهذا السؤال . وقيل : «فتنتهم» معذرتهم
(وضل عنهم) غاب (ومنها من يستمع إليك)
بأذنيه ، وينصرف عنك بقلبه ؛ ومثل هذا
غير جدير بالاعتبار ؛ وأولى بمثله أن يورده
الله تعالى موارد النواية ، ويبعده عن مواطن
الهداية (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية ؛
بسبب انصرافهم وعنادهم وكفرهم (أن يفقهوه)
أى لتلايفقوها القرآن (وفي آذانهم وقراً) نقلاً
يمنع من السمع (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها)
عليك من القرآن الكريم (يقول الذين كفروا
إن هذا القرآن (إلا أساطير) أ كاذب
(وهم ينهون عنه) أى ينهون الناس عن
سماعه (ويتأون) يتباعدون (وإن)

وما (يهلكون) بهذا النهي والنأى (إلا أنفسهم) لأنهم يعرضونها للعذاب الشديد يوم القيامة (ولو ترى
إذ وقفوا) حبسوا (على النار فقالوا يا ليتنا نرد) نرجع إلى الدنيا

(ولو ردوا) إليها (لعدوا لما نهوا عنه)
أى لعدوا إلى كفرهم وعنادهم (وقالوا إن)
ما (مى إلا حياتنا الدنيا) لا شىء غيرها
ولاحياة بعدها (ومانحن بمبعوثين) فى الآخرة
كما يزعم محمد .

هذا وقد ظهر فى زماننا هذا قوم من
غلاة الزنادقة ينكرون البعث ، ويقولون
بالتعطيل (١) وفى الواقع أن عقولهم وقلوبهم
مى المطة ؛ وسIRON غداً حيناً تلتهمهم
النيران ، ويحل بوادهم الحسران ؛ من أضل
سبيلاً ، وأسوأ قبيلاً ! (انظر بحث التعطيل
بآخر الكتاب) (ولو ترى إذ وقفوا على
رهبهم) للحساب ، ورأوا بأعينهم سوء المآب
(قال أليس هذا) الذى ترونه وتلمسونه
(بالحق) الذى أنكركم به محمد ؛ فكذبتموه
وكفرتهم به (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) فجأة
(قالوا) وقتذاك (ياحسرتنا على ما فرطنا فيها)
أى على ما قصرنا فى الدنيا (وهم يحملون
أوزارهم) ذنوبهم (ولقد كذبت رسل من
قبلك) مثلاً كذبت قومك ؛ وهو تسلية
لرسل عليه الصلاة والسلام (فصبروا على
ما كذبوا وأوذوا) فاصبر كما صبروا (حتى
أتاهم نصرنا) باهلاك المكذبين (ولا مبدل لكلمات الله)

مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَمَا نُهُوا عَنْهُ لَكَانُوا يُحْفُونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا
عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِءٌ وَلَهْوٌ
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَحْجَدُونَ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ
رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
اتَّهَمْتَهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ

نبيه

لأوامره وسنته ، ومواعيده بنصر رسله

(١) التعطيل : التفرغ والإخلاء ، وترك الشىء ضياعاً . ويطلق على تعطيل الكون ، وإخلائه
بغير خالق . والمطة : من يقولون بألا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء !

(وإن كان كبر عليك) عظم وشق (إعراضهم) عن الإيمان (فإن استطعت أن تتبني) تطلب وتجد (تفقاً) سرياً (في الأرض أو سلفاً في السماء) تصعد عليه (فتأتيهم بآية) معجزة مما يقترحونه من غير إرادتنا (إنما يستجيب) الدعوة إلى الإيمان (الذين يسمعون) سماع تدبر وتفكر (والموتى) الكفار؛ سمام موتى: لأن حالهم كحالهم (بيتهم الله) يوم القيامة، ويوقعهم على النار؛ فيقولون: «يألتينا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين... ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» (وقالوا لولا) هلا (نزل) عليه آية معجزة (وما من دابة في الأرض)

١٥٥

سورة الأنعام

الدابة: كل ما يدب على وجه الأرض؛ من إنسان أو حيوان. والمراد بها هنا الحيوان (إلا أم أمثالكم) تحتاج إلى تدبير رزقها ومعاشها، وتدل على خالقها المشكف بأرزاقها؛ وفي الآية دليل على وجوب السير مع هذه الأمم بالحسنى، وعدم مجاوزة الحدود التي رسمها الله تعالى في معاملتها؛ ووجوب الرفق بها في سائر الحالات؛ أليست أمماً أمثالنا؟!

وقد شغف أناس كثيرون من علماء الحيوان والنبات بدراسة هذه الأمم - من الحيوانات والطيور - فأروا عجباً يضيق بصنعه بنو الإنسان فانك لو أردت أن ترى آية في الاختراع، وغاية في الإبداع؛ لما وجدت أروع ولا أبداع من لوح الشمع الذي يصنعه النحل بنفسه؛ فان الرسام المبدع لا يكاد يستطيع أن يرسم بأدواته وأقلامه مارسمه النحل بتوفيق من ربه؛ وناهيك باختياره للورود والأزهار التي يرتشف منها الرحيق الذي يحوله - بقدرة ربه وإلهامه - إلى شراب مختلف الطعوم والألوان!

هذا عدا النظام الدقيق الذي تسير عليه مملكة النحل؛ مما تعجز أساطين العقول البشرية عن الإتيان بمثله؛ فسبحان من خلقه وسخره، وأوحى إليه بأمره؛ فاستمع إلى وحى ربه؛ شأن فضلاء بني الإنسان!

ولو تأملت إلى مملكة النمل، وماهى عليه من نظام محكم دقيق؛ لصغرت أمامك نفسك، وهانت عليك حكمتك وتدبيرك؛ فقد ثبت أنه من خير الأمم المنظمة؛ التي تدبر حياتها ومعيشتها، وتحفظ في يومها لغدها، وتناثر في عملها حتى تنال مرادها؛ وترى النمل إذا نزلت به نازلة، أو اجتاحتها جائحة؛ لا تفر عزيمته، ولا تنهار قوته؛ بل يعتبر النمل نفسه وحدة لا تتجزأ، وأنه يجب التضحية بالفرد لمصلحة المجموع؛ فكما يدفع الإنسان عن نفسه - ما يصيبه في هذه الحياة - بيده أو بأى عضون من أعضائه، ويضحي زهرة أبنائه في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه؛ فكذلك النمل يضحي ببعضه في سبيل حياة باقية؛ فتراه إذا دهمه مطر أو سيل =

نَبِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ تَقَفًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بَغَائَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا
تَكُونُ مِنَ الْخَالِئِينَ ﴿١٥٦﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا
أَمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى
رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْرٌ
فِي الْأُظْلُمِ مَنْ يَسْمَعْ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَسْمَعْ جَعَلَهُ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦١﴾

== فأودى بمنزله ، وأطاح بملكته ؛ فجعلها خراباً يباباً ؛ وصار الفناء الشامل ، والهلاك اللدني قيد خطوة منه ، حينئذ تراه يتجمع ألوفاً مؤلفة ، وملايين لاعداد لها فيتكور على نفسه ، فيجعل السيل هذه المجموعات الهائلة منه حتى تستقر على اليابسة - بعد أن يبید أكثرها اختناقاً وغرقاً - فيبدأ من نجا من أفراد هذه الملكة في العمل والإنشاء والتعمير ؛ كأن لم تجل بهم داهية تنهب بلب الحكماء ، وتصف بمقول العقلاء ! وترام يبدؤون بما فيه قوام حياتهم ؛ فيلتقطون الحبوب - التي اختزنوها ونالها مياه الأمطار - فيجففونها في الشمس خشية التلف ، ويعيدونها إلى مخازنها التي أعدوها لها من قبل !

الجزء السابع

١٥٦

والذي يبدو أن الله تعالى خلق هذه المخلوقات وأبدع هذه الكائنات ؛ لحكمة بني الإنسان ومنفعته الخاصة ؛ ولا تقف هذه المنافع عند المنفعة المادية فحسب ، بل هناك منافع أدبية وتعليمية لا حد لها ؛ فالؤمن الصادق الإيمان يجب عليه أن يقلد هذه الأمم - التي هي دونه في الخلق ، وفوقه في الخلق - فلا يعيش لنفسه فقط ، ولا يقصر جهده على ما يعود عليه وحده بالمنفعة ؛ بل يجب أن يكون كالنحلة : دائب العمل لمصلحة الآخرين ؛ فما من شك أن النحل يأكل من الثمار والأزهار ليحفظ نفسه وحياته ؛ ولكنه لا يكتفي بهذا القدر ؛ بل يسعى جاهداً لتوفير القوت والشراب لغيره !

وكذلك النمل : فان تديره لمعيشه ؛ يفوق تدبير كثير من المخلوقات ؛ فان مثارته وكده ، ونضجيه بعضه في سبيل بعضه ؛ كل ذلك سخره الله تعالى لستفيد منه بنو الإنسان ما يجعلهم أهلاً للخلافة في هذه الأرض ؛ ليعمروها بالخير والبر ؛ فتبارك الخالق الباري المصور ؛ الهادي للحیوان ، والمنعم على الإنسان ! فليتدبر ذلك من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ! (انظر آية ٦٩ من سورة النحل) (ما فرطنا

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَقْسُونَ مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلَّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤﴾ قَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّن لَّهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ تَعْرِفُونَ ﴿٦﴾ أَلَا يَتَّبِعُهُمُ بَصِيرَتُهُمْ أَمْ يَعْبُدُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن تَشْكُرُوا عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْدِي إِلَيْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ وَمَا تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ قَدْ ءَامَنَ

وَأَصْلَحَ

في الكتاب) ما تركنا في الروح المحفوظ (من شيء) لم نثته ونينه (ثم إلى ربهم) يوم القيامة (يحمشرون) يجمعون ؛ فيقتصر للجاء من القراء ؛ بل يقتصر من بني الإنسان ، ما فعله بالحيوان ! (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) (والذين كذبوا بآياتنا صم) عن سماع الحق (وبكم) عن الطلق به (في الظلمات) ظلمة الكفر ، وظلمة الضلال ، وظلمة العصيان ، وظلمة الجهل ! (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (من يشأ الله) أن يضلله (يضلله) بما قدمت يده ، من عصيان مولاه ؛ بأن كذب بآيات الله ، وأصم أذنيه عن سماعها ، وحبس لسانه عن النطق بها ، وتغرغ في أحوال الجهل والجهال ؛ فليس له جزاء سوى التردى في الضلال (ومن يشأ) أن يهده (يجعله على صراط مستقيم) طريق قوم ؛ هو الإيمان ، الذي هو طريق الجنة ==

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٨﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٥٩﴾
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنَسُخُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٠﴾
وَأَنفِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَيْكَ رَبِّيمَ لَيْسَ لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَا تَطْرُدُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ وَتَطْرُدَهُمْ فَكَوْنٍ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٢﴾ وَكَذَلِكَ
فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنَا لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ

طريق النعم القيم ! (قل أرايتكم) هي عند بعضهم بمعنى : أرايتم . وعند الآخرين بمعنى : أخبروني
(إن أناكم عذاب الله) الذي توعدكم به في الدنيا (أو أنتم الساعة) القيامة (أغير الله تدعون) ليكشف
ما حل بكم . والمعنى : هل يوجد عندك من يستطيع أن يمنعكم من عذاب الله تعالى ، أو أن يدفع عنكم بأسه (بل
إياه تدعون) منه وحده تطلبون (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء) أي إن أراد أن يكشف ما نزل بكم
(وتنسوا ما كنتم تكفرون) به في عبادته (تأخذناهم بالأساء) بالبوأس ؟ وهو القحط والجوع (والضراء)

الضرر ؛ وهو المرض ، وتقصان الأنفس (لعلهم
يتضرعون) إلينا فنكشف ما بهم (فلولا)
فهلأ (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا)
تدلوا إلينا لنكشف عنهم ما نزل بهم ؛
كعادتنا دائماً (فلما نسوا ما ذكروا به)
أي تركوه فلم يعملوا به (فتحنا عليهم أبواب
كل شيء) قوينا جوسمهم ، ووسعنا أرزاقهم ،
وبذلنا لهم المزيد من الخيرات والنعم ؛ استدراجاً
لهم (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) فرح بطر
وكفران ، لا فرح شكر وإيمان (أخذناهم)
بالعذاب (بفتة) فجأة . عن سيد الخلق
صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إذا رأيتم الله
تعالى يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم فأنما
ذلك استدراج منه لهم» ثم تلا «فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتة فإذا
هم مبلسون» أي فاطلون يأسون . يقال : أبلس
من رحمة الله ؛ إذا قنط ؛ ومنه سمى إبليس .
والإبلاس أيضاً : الانكسار والحزن (نقطع
دابر القوم الذين ظلموا) استؤصلوا عن آخرهم
(من إله غير الله يأتيكم به) أي بما أخذه
مكم (ثم هم يصدفون) يعرضون (قل أرايتكم)
أرايتم (إن أناكم عذاب الله بفتة) فجأة ؛
بغير مقدمات ، أو دلائل تدل على مجيئه ؛ فقد
تأتى النعمة من جهة الرحمة ، وقد يحل القحط

من جهة الرخاء ؛ فقد يطر السحاب ناراً ، وقد تقذف الأرض حمماً ! (أو جهرة) ظاهراً بمقدمات تدل على
إتيانه . أو المراد : «بفتة» ليلاً ، و «جهرة» نهاراً (فمن آمن) بالله (وأصلح) عمله (قل لا أقول لكم
عند خزائن الله) فأملك التصرف فيها ، والإعطاء منها (ولا أعلم الغيب) فاستكثر من الخير . وهامو
الرسول الأعظم ؛ سيد الخلق قاطبة ! يقول له ربه : أعلن على الملا أنك لا تعلم الغيب ؛ فإبطل أقوام يدعون
علم ما مضى ، وما حضر ، وما استقبل ؛ وأعجب من ادعائهم هذا : أنهم يجحدون من يصدقهم ويشق بأقوالهم ؛
مع أنهم من كبار الدجاجلة ، وقد جاء ذكرهم والتحذير منهم في شتى الأحاديث ؛ فليحذر المؤمن من تورطهم
وباطلهم ؛ وليعلم أن الاستسلام لمثل أقوالهم ضرب من الكفر ! قال صلى الله عليه وسلم : =

«من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (ولا أقول لكم إنى ملك) ذهب بعضهم إلى تفضيل الملك على الرسول ؛ بدليل هذه الآية . والآية الكريمة لا يؤخذ منها التفضيل ؛ بل المراد نفي الأفعال الخارقة للعادة ، والى لا تنأتى إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (ان أنبع) ما أنبع فيما أقول وأعمل (لأما يوحى إلى) من ربي (قل هل يستوى الأعمى) الكافر (والبصير) المؤمن (أفلا تتفكرون) فى ذلك فتؤمنون (وأنذره) أى بالقرآن (ليس لهم من دونه) غيره (ولى) ينصرم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) يعبدونه ويتضرعون إليه (بالفداء

الجزء السابع

١٥٨

والشئ) أى صباحاً ومساءً (يريدون وجهه) يطلبون مرضاته تعالى ؛ ولا يبتغون شيئاً من أعراض الدنيا (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) ابتلينا الشريف بالوضع ، والقوى بالضعيف ، والغنى بالفقر ، والسادة بالعبيد (ليقولوا) أى ليقول السرفاء ، والأقوياء ، والأغنياء ؛ والسادة (أهولاء) الوضعاء ، والضعفاء ، والفقرء والعبيد (من الله عليهم من بيننا) بالعقل والإيمان والهداية ؛ قال تعالى ردأ على استغفاهم البادى على ألسنتهم تارة ، وفى قلوبهم أخرى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فيوقعهم إلى مرضاته ، ويسوقهم إلى جناته ! (كتب) قضى (ربكم على نفسه الرحمة) تفضلاً منه على عبيده ، وإحساناً منه لحلقه ! ومن رحمته تعالى (أنه من عمل منكم سوءاً يجهل به ثم تاب من بعده) أى من بعد عمل السوء (وأصلح) أعماله (فانه) تعالى (غفور) لذنبه (رحيم) به ! يؤخذ من هذه الآية أن جناية العالم أكبر من جناية المجاهر ، وأن من لوازم التوبة : إصلاح العمل (وكذلك تفصل الآيات) نوضحها ونبينها (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) الذين يصرون على ذنوبهم ؛ فلا يتوبون منها ، ولا يرجعون عنها (قل إنى

عَلَى نَفْسِي الرَّحْمَةُ أَنْزَلَ مِنْ رَبِّي مَنَاسِكَ سَوَاءً يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْبِئُكُمْ عَنْ شَيْءٍ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ ۝ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۝ * وَعِنْدَ مَنَاقِبِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ

بِالْبَلِّ

على بينة من ربي وكذبت به) أى إنى على حجة واضحة ظاهرة من ربي ؛ وهى القرآن (و) قد (كذبت به) و (ما عندي ما تستعجلون به) أى ليس عندي ما تطلبونه من العذاب ؛ وذلك كقولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» (إن الحكم إلا لله يقضى الحق) أى يقوله ، ويتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره وفى قراءة «يقضى الحق» (وهو خير الفاصلين) الحاكمين (قل لو أن عندي ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الأمر بيني وبينكم) بتعجيله وإزاله بكم ؛ وقسمكم على الإيمان ، ولكن الله تعالى وحده يعلم متى يعذب عباده ، ومتى يغفر عنهم ، ومتى يرجمهم (والله أعلم بالظالمين) فيعذبهم وقت إرادته ؛ لا وقت طلبهم (وما تسقط من ورقة) من ورق الشجر (إلا يعلمها) يعلم شكلها وحجمها ومقدارها ، ومتى تسقط ، =

بِالْأَيْلِ وَيَعْلَمَ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَلَا يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يُبَدِّلَكُمْ سُدًّا وَيُدْخِلُ بَعْضَكُمْ فِي بَعْضٍ لَّا تَبْصُرُ أَنظَرُ كَيْفَ تُصَرِّفُ ۚ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ

== وأين تسقط ، وكما مرة تدور في الهواء ، وكما مرة تتقلب على الأرض عند سقوطها ! (ولا حبة) من الحبوب ؛ كالبر والشعير والذرة والعدس ونحوه ؛ لا يعلم كيف تنبت ، ومتى تنبت ، ومن يحبتها ، ومن يأكلها ؛ وقد تحمل الحبة من قطر إلى قطر ، وتجوب البحار والأنهار ؛ جرياً وراء آكلها ؛ حتى تستقر في جوف من كتبت له ، وزرعت من أجله ؛ فتعالى الخالق الرازق ، العليم الحكيم ! (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب) مكتوب (بين) بين واضح ؛ وهو اللوح المحفوظ : كتب فيه لتعلمه الملائكة الموكلون بانفاذ أوامره تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يمشيكم عند نومكم ؛ وذلك لأن النوم قرين الموت ؛ إذ فيه تقبض روح النائم ، وتسبج في ملكوت ربه ؛ كما تقبض روح الميت تماماً ؛ غير أن النائم لا تنفصل روحه من جسده انفصال تاماً ؛ بل لا تزال متصلة به . أما الميت فتتفصل روحه من جسده انفصال تاماً فيريها الله تعالى ما شاء من أمة أو نعمة ؛ حتى يقضى تعالى بالقيامة فتفصل كل روح بجسدها الذي يعيده الله تعالى لها ؛ فيبقى المؤمن من كرم الله تعالى وحسن وفادته ما ينسيه البؤس الذي لقيه في دنياه ؛ وبقى الكافر من التل والهوان والعذاب ما ينسيه النعيم الذي كان فيه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم فيه من الآثام . وجرح واجترح : بمعنى كسب ؛ وذلك لأن الآثام لا ترتكب إلا بالجارح (ثم يمشيكم فيه) أي في النهار ؛ برد أرواحكم (ليقضى أجل مسمى) وهو انقضاء آجالكم (انظر آية ٤٢ من سورة الزمر) (ثم ينبيئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (وهو القاهر) الذي لا يعجزه شيء (فوق عبادته) بالاستعلاء ؛ فكلمهم مخلوق وفق لإرادته ، وكأهم تحت سلطانه ورحمته ؛ يحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل ؛ وهو اللطيف الخبير ! (ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين (حتى إذا جاء أحدكم الموت)

أي جاء وقته وأوانه (توفته رسلنا) المكلفون بقبض أرواح الخلائق (وم لا يفرطون) فيما عهد إليهم به ، فلا يتعجلون أحداً لم يحن حينه ، ولا يتركون أحداً انقضى أجله (ثم ردوا إلى الله مولاهم) سيدهم ومالكهم (الحق ألا له) وحده (الحكم) بين عبيده ؛ لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه (وهو أسرع الحاكمين) قيل : يحاسب الناس جميعاً في مقدار حلب شاة (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) مخاوفها وأهوالها ، أو ظلمات البر : الصواعق . وظلمات البحر : الأمواج ؛ وكلاهما يشتد في النيم والليل (تدعون) عند الوقوع في المهالك (تضرعاً) ابتهاجاً وتذلاً ؛ معتلين الضراعة (وخفية) مسرين ؛ فإثنين (لئن أنجانا) ربنا (من هذه) المهالك والأهوال (لنكونن من الشاكرين) له ، =

== المؤمنين به (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم سحابةً
يغاطسكم فراقاً على أمواء شتى متباينة (ويذيق بعضكم بأس بعض) شدة بعض في القتال . لما نزل قوله تعالى
« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أعوذ بوجهك »
فلما نزل « أو من تحت أرجلكم » قال : « أعوذ بوجهك » فلما نزل « ويذيق بعضكم بأس بعض » قال :
« هذا أهون وأيسر ! » . وقد ذهب بعض مفسري هذا العصر إلى أن قوله تعالى « عذاباً من فوقكم » : هو ما يليق

الجزء السابع

١٦٠

من الطائرات ، من قتابل ومهلكات ، وقوله
« أو من تحت أرجلكم » : هو الديناميت الذي
يدسه الأعداء في باطن الأرض ؛ يدل على ذلك
ما جده : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ولم يقل
ويذيقكم بأسه . وهو قول ظاهر التكلف ،
بادى العسف . والمعنى المراد من الآية : « عذاباً
من فوقكم » هو الصواعق - التي أهلك الله
تعالى بها كثيراً من مكذبي الأمم قبلنا - وما تلقى
البراكين من الأحجار والحلم . وقوله « أو من
تحت أرجلكم » : هو الخسف والزلازل ؛
أعاذنا الله تعالى من قبته ، عنه ورحمته !
(لكل نيا) أنباتكم به ، وعذاب ذكرته
لكم (مستقر) أى قرار يستقر عنده ، ونهاية
يتقى إليها ؛ فيعلم صدق النيا من كذبه
(وسوف تعلمون) صدق ما أنباتكم به ؛ حين
ينزل بوابكم العذاب ، وتدمون ؛ ولات ساعة
مندم ! (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا)
يتكلمون فيها بما يلقى ؛ من النقد ، أو الطعن ،
أو التكذيب (ولما ينسبك الشيطان) تركهم
عند خوضهم ، والاعراض عنهم (فلا تقعد
بعد الذكرى) أى بعد التذكر (وما على الذين
يتقون) الخوض مع الخائضين (من حسابهم)
من آثام الخائضين (من شئ) ولكن ذكرى)
أى ولكن قيامهم وعدم القعود معهم لتذكيرهم
بالقيام عنهم ، وإظهار الكراهة لهم ! (لعلمهم

يُوكِلُ ۝ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفْزِرٍ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِئِكَ الشَّيْطَانُ
فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ
لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ
وَعَرِثُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذِكْرُهُمْ أَن يَبْهَلِ نَفْسٌ بِمَا
كَتَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِّلْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالْبَلَدِ
أَسْتَوٍ ۚ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ ۖ أَتُحِبُّ

يَدْعُوهُمْ

يتقون) الخوض في آيات الله (وذري) اترك (الذين اتخذوا دينهم) الذى دعوا اليه ، وكلفوا باتباعه ؛ وهو
الإسلام (لباً ولها) سخرية واستهزاء (وغرثهم الحياة الدنيا) خدعتهم بزخرفها وبهرجها ؛ فاقادوا
إليها ، وتمسكوا بها ؛ وتركوا الآخرة وما يوصل إليها وراء ظهورهم (وذكري به) عظة بالقرآن ، أو بالدين
(أن تبسل) مخافة أن تبسل . والبسل : الحبس ، والفضيحة ، والهلاك . والبسل : أيضاً الإجماع والشدة .
وأصل الإرسال : المنع (وإن تعدل كل عدل) وإن تقدم كل فداء ؛ والعدل : المثل (أولئك الذين أسبلوا)
حبسوا ، أو فضحوا ، أو أهلكوا (لهم شراب من حميم) ماء شديد الحرارة (قل أَدْعُوا) أنعد (من
دون الله) غيره (ونزل على أعقابنا) نرجع كما كنا كفاراً (بعد إذ هدانا الله) للإسلام وأنجانا من ==

عبادة الأصنام ؛ ونكون (كأنى استهوته) أصله (الشياطين في الأرض) باغوائهم وتزيينهم ؛ وصبرته (حيران) لا يدري ما هو فاعل ، وماذا تكون عاقبته ؟ (له أصحاب) رفقة خيرون ؛ يبتنون نجاته من زلته وتخليصه من سقطته ! (يدعونه إلى الهدى) قائلين له (اثننا) أى ارجع عن غيك ، وتعال في زميرتنا . فلا يجيبهم إلى ما يطلبونه ، ولا يتبعهم إلى الهدى (قل إن هدى الله) الإسلام ، والتوفيق إليه (هو الهدى) وماغداه فهو ضلال ووبال (ويوم يقول) الله

تعالى يوم القيامة لما يريد (كن فيكون) ما أَرَّاده من قضاء الدنيا ، وموت الخلائق ؛ ثم لإحيائهم ثانية ، ثم محاسبتهم على ما عملوا ، ثم إدخال أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ! كل هذا يتم من غير جهد ، ولا عناء ؛ بل بقوله تعالى « كن » كما قال للسموات والأرض : كونوا ؛ فكنّا . ولآدم : كن ؛ فكان . ولفظ « كن » هو في الواقع تقريب لأذهاننا ؛ لنعلم أنه تعالى لا يعجزه مطلب ، ولا يؤده شئ - مهما عظم - وفي الحقيقة أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان ؛ بغير انتقار للفظ « كن » فتعالى القادر المقتدر ! (يوم ينفخ في الصور) القرن الذى ينفخ فيه لإسرائيل عليه السلام . وقيل : « الصور » جمع صورة ؛ كبسر وبسرة (وكذلك نرى إبراهيم) أى مثل ما أَرَّناه كافر قومه ، وأطلعناه على فساد عبادتهم للأصنام : نرى (ملكوت) ملك ، وسلطان . قيل : الملك : السلطان الظاهر ، والملكوت : السلطان الباطن ؛ فهو الملك التام ؛ ظاهره وباطنه (السموات والأرض) وما حوتا من عجائب المخلوقات ، وغرائب المصنوعات ؛ ليستدل بذلك على وجودنا ووحدانيتنا (وليكون من الموقنين) عياناً ، كما أيقن بينافاً (فلما جن) أظلم (عليه الليل رأى كوكباً)

قيل : هو الزهرة ، أو المشتري ، أو هو أى كوكب من كواكب السماء ؛ وحى تبلغ ملايين الملايين ؛ بل لا يحيط بها عد العادين ، وإحصاء المحصين ؛ فلما رأى هذا الكوكب (قال هذا ربى) لا يخفى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يؤمن بالكوكب وغيره إيماناً يقينياً ؛ وما كان له أن يقر بالربوبية لغير الله - وقد اختاره للنسوة والرسالة والامامة - وحاشا أن يتصف إبراهيم بمثل هذا ! وإنما قال ما قال ، وفعل ما فعل : فلماً لأفطار قومه إلى فساد ما يعبدونه ، وتسفيهاً لأحلامهم (فلما أفل) غاب هذا الكوكب (فلما رأى القمر بازغاً) طالماً ، أو مبتدئاً في الطلوع (فلما رأى الشمس بازغة) طالمة

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى
وَأْمُرْنَا نُسَلِّمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَقُوا هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ الْغَيْبِ
وَالشَّهِيدِ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَأُيْبِهِ إِذْ أَرَأَيْتُمْ أَصْنَامَكُمْ إِلَهَةٌ إِنِّي أَرَأَيْتُكُمْ وَقَوْمَكُمْ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِيَوْمِي رَبِّيَ لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا

(قال هذا ربي هذا أكبر) من كل الكواكب التي ظننتها ربا (فلما أفلت) غابت وإمحي ضوءها ؛ وأثبت إبراهيم لقومه بذلك أن الله المعبود : يجب أن يكون أكبر من كل شيء ، وأنه يجب ألا يطرأ عليه النقص ، ولا يجوز له الأتول ! حينذاك انتقل إبراهيم من الاستدلال إلى التقرير ، ومن الاستقراء إلى التوثيق والتثبيت ؛ وواجه قومه بما يجب أن يواجههم به ؛ قائما بالدعوة المطلوبة منه والمرسل بها (قال يا قوم إني برىء مما تشركون) به الله تعالى في العبادة !

الجزء السابع

١٦٢

(إني وجهت وجهي) اتجهت بكليتي (لذي فطر السموات والأرض) خلقهما ؛ والفطر : الخلق من غير مثال سابق (حنيفا) مائلا إلى الدين الحق ؛ والحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام ، الثابت عليه (وحاجه) جادله (قومه) فيما قاله (قال أمحاجوني) أتجادلونني (في الله وقدهدان) إلى معرفته (ولا أخاف ما تشركون به) في عبادته (إلا أن يشاء ربي شيئا) أي إلا أن يشاء الله تعالى أن يبتليني بشيء من المكروه ؛ فلا اعتراض لي عليه ؛ إذ أنني ملوكه وضع يده ؛ يفعل بي ما يشاء ، ويحكم في بما يريد! (وكيف أخاف ما أشركتم) وهي لا تنفع ولا تضر ، ولا تسع ، ولا تنقل! (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) وهو السميع البصير ، اللطيف الخبير ، العطي المانع ، النافع الضار! (مالم ينزل به عليكم سلطانا) أي مالم يقم عليه دليل عقلي أو تقلي (فأي الفريقين أحق بالأمن) والاطمئنان للمصير : نحن الذين عبدنا الإله الحق ، القادر القاهر الرازق ، المحي المميت ؛ ولم نخف آلهتكم وأصنامكم ؛ أم أنتم وقد عبدتم ما صنعتم بأيديكم من جاد لا يقدر على حماية نفسه ؛ ولم تخشوا ربنا الذي خلقنا وهدانا ، ورزقنا وكفانا ! (فأي الفريقين) نحن أم أنتم «أحق بالأمن» والطمأنينة ؟ ! (الذين آمنوا

رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَتَ قَالَ يَنْقُرُمُ إِنِّي بِرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا أُنَاجِجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَفْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُكَ عَائِيزَتُنَّهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وَيَسْمَعِينَ

ولم يلبسوا) يخلطوا (إيمانهم بظلم) بشرك «إن الشرك لظلم عظيم» أو هو الظلم نفسه (أولئك لهم الأمن) من العذاب في الدنيا ، والأمن بالنجاة من النار في الآخرة (وتلك حجتنا) التي احتج بها إبراهيم على قومه بوجود الله تعالى ووحدانيته ؛ بأن وجهنا نظره للكائنات ، فرأى ما يحدث لها من تغيرات ؛ وعلم أن الإله لا يتبدل ، وأن الخالق لا يتغير ؛ وتوصل بطريق الاستدلال العقلي إلى معرفة الله تعالى : الموجود في سائر الوجود «فتعالى الله الملك الحق» وصلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا إبراهيم : رأس الملة الحنيفية ، وإمام أهل الحق ، وجد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ترفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة ، وسمو الروح ، وعلو الهمة ! (ومن ذريته) أي من ذرية نوح عليه السلام .

وَسَلِيمِينَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٥﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ
كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ
وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَفِرْيَتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٨﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ لَقِيتَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا
بِكَاغِبِينَ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ
اِقْتِسَادَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ
اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي

(وزكربا ويحيى) الذين قتلها اليهود عليهم
اللعنة ! (وإلياس) وهو غير «إلياس» جد
النبي عليه الصلاة والسلام - بسكون الهمز -
لأنه أول من ابتلى بالأس، وهو السل ؛ سمي
بذلك للأس من شفائه (واجتبتناهم) اخترناهم
واصطفيناهم (وهديناهم إلى صراط) طريق
(ذلك) الهدى الذى أضيئه على هؤلاء الأنبياء
(هدى الله يهدى به من يشاء من عباده)
المتقين (لحط) لبطل (أولئك) الأنبياء
المذكورون : هم (الذين آتيناهم الكتاب)
أى الكتب التى أنزلت عليهم (والحكم)
العلم النافع ، وحسن الفصل فى الحكومة (فان
يكفر بها) أى بالكتب ، أو بالكتاب والحكم
والنبوة (هؤلاء) الفسقة الظلمة الكفرة
(فقد وكلنا بها قوماً) من المؤمنين الطائعين
التيين (أولئك) الأنبياء الذين ذكرناهم : هم
(الذين هدى الله فبهديهم اقتده) أى اقتد
ياحمد بهم ، واصبر كصبرهم ، وتحمل أذى
قومك كما تحملوا أذى أقوامهم ؛ و (قل)
لقومك (لا أسألكم عليه أجراً) أى
لا أسألكم على القرآن جملاً (إن هؤلاء ذكروا

للعالمين) لساير الجن والإنس (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته ، وما عظموه حق عظمتهم ،
وما عبدوه حق عبادته (إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) كأنهم يريدون أن ينزل إليهم ربهم بنفسه ،
أو ينزل لهم بعض ملائكته ؛ كسابقهم فى الكفر : الذين قالوا لرسولهم : «أو تأتى باقه والملائكة قبلاه»
وقالوا «لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً» (قل) لهم : كيف تقولون ذلك وقد تحققتم من نزول
الكتاب على بشر من قبل ؛ وإلا فقولوا لى (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجعلونه قراطيس) أوراقا مفرقة ؛ أى كساير الأوراق ، وهوليس كسايرها

جَاءَ بِهِ مَوْعِنٌ نُّورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ
تَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا
آبَاءُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَعَالَى ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٥٥﴾
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ لِمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُونا خَوَلْتُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى

مَنْكُمْ

(تبدونها وتخفون كثيراً) تبدون منها ما يروق
لكم من الأحكام ، وتخفون كثيراً مما يشغل
عليكم ؛ وهو خطاب لليهود (قل الله)
جواب لقوله « قل من أنزل الكتاب الذي
جاء به موسى » (ثم ذرهم) دعهم واركهم
(في خوضهم) باطلهم الذي يخوضون فيه
(وهذا كتاب) القرآن (أنزلناه مبارك)
كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه)
ما تقدمه من الكتب (ولتنذر أم القرى)
مكة شرفها الله تعالى ، وزادها فضلاً ؛ وسميت
« أم القرى » لأن الناس يؤمنونها ، وهي قبلة
أهل القرى ، وأعظمها شأنًا (ومن حولها)
كل الدنيا ومن فيها من العقلاء ؛ وذلك لأن
ما حول مكة : هي الجهات الأربع التي يتكون
منها كل الأرض ومن عليها (وهم على صلاتهم
يحافظون) المحافظة على الصلاة : ملازمتها في
أوقاتها (ولو ترى إذ الظالمون) الكافرون
(في غمرات الموت) أهواله وسكراته
(والسلاكة) الموكلات بقبض أرواحهم
(باسطوا أيديهم) بالتعذيب ؛ ويقولون لهم
(أخرجوا أنفسكم) أرواحكم ؛ أي خلصوها

من عذابنا إن أمكنكم ، أو هو كناية عن صعوبة خروج أرواح الكافرين ؛ وقد ورد أن أرواح
الكافرين تنزع انزعاجاً شديداً ، وتسل من جسامهم ، كما يسيل الحرير من الشوك ؛ أما روح المؤمن فتشط
للخروج فرحاً ببقاء ربها ! أو يقال لهم هذا القول يوم القيامة : « أخرجوا أنفسكم » من النار إن استطعتم ؛
يدل عليه ما بعده (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (ولقد جئتمونا فرادى) مفتردين بلا مال ولا معين
(وتركتم ما خولناكم) ملكتناكم في الدنيا : من الأموال والنعم

مَعَكُمْ شُفَعَاءُ كُرِّ الَّذِينَ رَزَمْتُمْ أَنَّهُمْ فَيَكُرُّ شُرَكَائُكُمْ
لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٦٥﴾
* إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿١٦٦﴾
فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُهُ مِنْهُ
حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمَّنْ النَّخْلُ مِنْ ثَلَمِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَهَا وَغَيْرُ مِثْلِهَا

(وما نرى معكم شفعاءكم) آلهكم ؛ وقد كنتم تقولون عنها : « هؤلاء شفعائونا عند الله » (الذين زعمتم أنهم فيكم) أى فى استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) أى تشلت جميعكم (وضل) غاب (عنكم ما كنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها لكم (إن الله فالق الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل (يخرج الحى من الميت) أى النبات النض من الحب اليابس (ويخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات ، أو الإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون (فالق الإصباح) خالق نور النهار (وجعل الليل سكناً) تسكن فيه سائر المخلوقات ، وتهدأ بما أصابها من تعب النهار ووصبه (و) جعل (الشمس والقمر حساناً) أى جعلهما تعالى - فضلاً عن كونهما للانارة والنفع المام - فهما لمعرفة الحساب الزمنى ؛ قال تعالى « وجعلنا الشمس والقمر آيتين » فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتقوا فضلاً من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب » (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) المستقر : رحم المرأة . والمستودع : صلب الرجل . أو المستقر : من خلق من الملائق ؛ فاستقر فى الأرض ، والمستودع : من لم يخلق بعد . وزعم بعضهم أن المستقر : الرحم . والمستودع : القبر . وهو ليس بشئ ؛ لاذ أن المقام مقام لإنشاء : « إن الله فالق الحب والنوى . فالق الإصباح . وهو الذى أنشأكم . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه » ! (فأخرجنا منه خضراً) أى أخضر (نخرج منه) أى من الخضر (حباً متراكباً) متراكباً ؛ بعضه فوق بعض ؛ وهو السنبل وما يشبهه (قنوان) جمع قنو ؛ وهو العذق ؛ وهو من التمر : كالنقود من العنب (دانية) سهلة الجنى والمثال (وجنات) حدائق (من أعناب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (مشتبها) فى الشجر واللون (وغير مثبها) فى الطعم ؛ فنه الحلو والمر والحامض ، وجميع ذلك « يسقى بماء واحد » لجل الصانع البديع !

(انظروا إلى ثمرة إذا أثمر) كيف يكون جفاً ؛ لا طعم فيه ، ولا لون له ، ولا رائحة (و) انظروا بعد ذلك إلى (بنه) فضجه ؛ بعد أن تتحول مزارعة الثمرة إلى حلاوة ، ويابسها إلى طراوة ، وخضرتها إلى احمرار أو اصفرار ؛ حتى تلذ في الطعم ، وتلين في القضم ، وتسهل في الهضم ؛ وهذا كله «صنع الله الذي أتقن كل شيء» (وجعلوا لله شركاء الجن) أى وجعلوا الجن شركاء لله في العبادة ؛ وقد يراد بالجن الشياطين . وذلك باتباعهم فيما يوحون به إليهم ، ويوسوسون (وخلقهم) أى وقد خلقهم (وخرقوا له) أى اختلقوا (بين) وبنات (غير علم) منهم بحقيقة ما يقولون . واختلقهم البنين والبنات : قولهم : الملائكة بنات الله . وقول النصارى : عيسى ابن الله ، وقول اليهود : عزير ابن الله (سبحانه) تنزهه وتقدس (وتعالى عما يصفون) (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (بديع السموات والأرض) مبدعها (أنى) كيف (يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (ذلكم) الموصوف بهذه الصفات (الله ربكم) الذى خلقكم (لا تدركه الأبصار) أى لا تراه الأبصار ، ولا تحيط به (وهو يدرك الأبصار) أى يرى أصحاب الأبصار ، ويحيط بسائر المراتب (وهو اللطيف بعباده) (الخبير) بدقائق الأمور (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ؛ وهى نور القلب . أى جاءكم من الوحي والآيات ؛ ما هو للقلوب بمنزلة البصائر (فن أبصر) آمن واتق (فلنفسه) لأن نواب إيمانه وتقواه عائد إليها (ومن عمى) كفر (فعلينا) لأن إثم كفره عائد عليها أيضاً (وليقلوا درست) أى قرأت الكتب السابقة وقللت عنها ما تلوه علينا اليوم . يقولون هذا

١٦٦

الحسن: السابع

أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَنِيهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ رَبِّكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦٧﴾ يَصِفُونَ ﴿١٦٨﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْفِي شَيْءًا عَالِمٌ ﴿١٦٩﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَاعِيْدُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٧٠﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٧١﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ قُلْ أَبْصُرُوا فَلَنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّرُ الْقُرْآنَ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٣﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا أَشْرَكُوا

وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أى لا يقرأ ولا يكتب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» (ولو شاء الله ما أشركوا) أى لو أراد تعالى أن يلزمهم بالإيمان ويجبرهم على الطاعة لفعل ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعلهم أحراراً مستقلين في اختيار ما يشاءون حتى يكونوا مسئولين عن عملهم ، مؤخذين على جرمهم

مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِرَكِيلٍ ﴿١٦٦﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا
اللَّهُ عَدُوًّا يَغْيِرُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ
نُجْمٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُعِزُّكُمْ أَنْهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٨﴾ وَنَقَلِبْ أَقْلَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَا
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦٩﴾
* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْوَقْنَ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٧٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ

(ولا تسبوا الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) غيره (فيسبوا الله عدواً) اعتداءً (بغير علم) منهم
بما يجب لله تعالى! (كذلك زيننا لكل أمة) من أمة الكفار (عملهم) أى زيناه في زعمهم؛ حيث قالوا:
«والله أمرنا بها» وهو كقوله «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»
(وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهدهم في الأيمان (لئن جاءتهم آية) معجزة (ليؤمنن بها قل إنما
الآيات عند الله) لا ينزلها بارادتك أو إرادتي؛ بل ينزلها متى شاء، وحيث شاء (وما يشعركم أنها إذا
جاءت لا يؤمنون) فقد أنزل الله تعالى على الأمم

الآيات تلو الآيات، والمعجزات تلو المعجزات؛
فلم يؤمنوا بها؛ بل ازدادوا كفراً وعناداً؛
وقالوا: هذا سحر مبين! (ونقلب أفئدتهم)
قلوبهم؛ فلا يؤمنوا كما آمن الناس (وأبصارهم)
فلا يروا الحقائق التي يراها المؤمنون؛ وذلك
عقوبة لهم (كما لم يؤمنوا به أول مرة) حين
ظهرت آياته البينات، وحججه الظاهرات
(انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء)
(ونذرهم) ندعهم (في طغيانهم يعمهون)
يترددون متحيرين (ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة) كما قالوا «لولا أنزل علينا الملائكة»
(وكلهم الموتى) كما قالوا «فأتوا بآبائنا»
(وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) جمع قبيل؛
أى أفواجا. كما قالوا «أونأنى بالله والملائكة
قبلاً» أى لانا لو أجناتنا لما سألوا، وحققنا
لهم كل ما اقترحوا (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن
يشاء الله) إيمانهم؛ فليلجأوا إلى ساحته،
وليهرعوا إلى طاعته! (وكذلك) كما أن لك
أعداء من المشركين (جعلنا لكل نبي)
سبقك (عدواً شياطين الإنس والجن يوحى
بعضهم إلى بعض) يزين بعضهم إلى بعض؛
فتزين شياطين الجن شياطين الإنس، وتزين
شياطين الإنس للإنس بما يوحون به من شرور
وخبور! وقد قدم تعالى شياطين الإنس على

شياطين الجن؛ لأنهم على الشر أقدر، وعلى ما يورد الجحيم أطوع؛ وشيطان الجن - مهما علت مرتبته،
وسنت مكاته؛ في الشر والزين والتفكير - فانك بالاستعاذة منه تتحقه، وبتلاوة القرآن تهلكه!
أما شيطان الإنس فانك لو قرأت عليه ما بين دفتي الصحف؛ لما تخلصت منه، ولا ابتعدت عنه! إلا أن
أعذك منه اللطيف الخبير، وأنجاك من كيدته وشروره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم «قرناء السوء شر
من شياطين الجن» (زخرف القول) ما زينه من قولهم ووسوستهم في الشر، وإغرائهم على المعاصي
(غروراً) خداعاً وباطلاً (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى لو شاء الله لمنعهم من الإيحاء والوسوسة؛ ولكن الله
تركهم امتحاناً لعباده؛ ليعلم أصحاب الإيمان الراسخ؛ المقيمين على العهد، الحافظين للود (فذرهم) دعهم واتركهم

(ولتصفي) تميز وتبجح (إليه) إلى ما توحى به شياطين الإنس والجن (أفئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أما من آمن بها ؛ فانه لا يصفى قلبه ، ولا يلتفت إلى ما توحى به الشياطين ، ولا يرضاه ، ولا يقترف ما يغضب مولاه (وليرضوه) يرضوا بما أوحى به الشياطين (وليقتروا) ليكتسبوا . والافتراء : ارتكاب الإثم (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب) القرآن (مفضلاً) مبنياً محكماً (والذين آتيناكم الكتاب) هم من آمن من اليهود والنصارى (يعلمون أنه) أى القرآن (منزل من ربك بالحق) وذلك لما لسوه فيه من الصدق ، ولما علموه عنه من كتبهم السابقة «التوراة

والإنجيل» (فلا تكونن) أيها السامع (من المتمرين) الثاكين (وتعت كلمة ربك) القرآن (صدقاً وعدلاً) كل ما فيه من قصص وأخبار : مشتمل على الصدق ، وكل ما فيه من أوامر ونواه ، وقضاء وأحكام : مشتمل على العدل (لا تبدل لكلماته) أى لا أضدق بما جاء فيه فيتبع ، ولا أعدل من أوامره فيطاع ؛ بل كل ما فيه واجب الطاعة والاتباع عقلاً ؛ فلا يصح تركه إلى أضدق منه ، ولا يجوز تبديله بما هو أعدل منه ! «ومن أضدق من الله قليلاً . ومن أضدق من الله حديثاً» وهو جل شأنه أضدق الصادقين وأعدل العادلين ! (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بأحوالكم (وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) أى يضلوك عن الطريق المستقيم ؛ الموصل إليه تعالى . وهذه الآية دليل على ما نراه من ضلال الغالبية العظمى وإضلالها ! وقد ورد ذلك الخطاب موجهاً إلى الأمة الإسلامية ؛ في شخص إمامها ورسولها صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ وقد علم تعالى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لن يطيع أحداً من الضالين المضلين ، وأنه لا سبيل لأحد منهم عليه . وقد وفاه الله تعالى كيد الكائدين ، ووسوسة الشياطين ، وإضلال المضلين . (إن يتبعون) أى ما يتبع هؤلاء المضلون

الجزء الثامن

١٦٨

وَمَا يَقْتَرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَيَصْفَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَيَقْتَرُوا مَأْمَقَةً قَفُورًا ﴿١٦٩﴾ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَمْتِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴿١٧٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَعْزِلُونَ أَنَّهُمْ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧١﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٤﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۚ وَإِنْ كَثِيرٌ لَيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ وَيُغَيِّرُ

(ولا الظن) وهو ظنهم بأن آباءهم كانوا على حق ، وهم على آثامهم مقتدون (وإن هم الايخرون) يكذبون . والخرس : الكذب ، والتخين (وما لكم أَلَّا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل) بين (لكم ما حرم عليكم) وهو قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة» الآية (إلا ما اضطررتم إليه) من ذلك الحرم ؛ فهو حلال أيضاً عند الجماعة المتفقة ؛ بشرط عدم البغى والاعتداء (وإن كثيراً) من المضلين (ليضلون) الناس عن الحق ، وعن كل ما هو حلال مباح (بأهوائهم) و (بغير علم) منهم بصحة ما يقولون ؛ بل يضلون بسبب هوائهم وميلهم ؛ بغير استناد منهم إلى علم صحيح : كمن يحل بعض الشراب المحرم لميله إليه ، ويحل الحشيش لتعوده عليه ، أو كمن يفتي بغير علم ولا سند من كتاب أو سنة

علم

(وذروا) اتركوا (ظاهر الإيمان وباطنه) علانيته : كالقتل والسب ، وسره : كالزنا والفحشاء (سيجرون) في الآخرة (بما كانوا يقترون) يكتسبون من الإيمان (ولانه لنفس) القسق : العصيان والترك لأمر الله تعالى (ولان الشياطين ليوحون) يوسوسون (إلى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) فيما أحله الله تعالى وحرمه ؛ وذلك بقولهم - في حل الميتة - كيف تأكلون ماقتلتم ، ولأننا كلون ماقتله الله ؟ (أومن كان ميتاً فأحييناه)

أى كافراً فهديناه للإيمان؛ الذى هو حياة القلوب والنفس (وجعلناه نوراً) هو نور الإيمان واليقين ؛ يهدى به الله تعالى أوليائه الصالحين ! أو هو نور العلم والمعرفة (يعنى به) أى بهذا النور (فى الناس) يهديهم بهديه ، ويرشدكم إلى ما ينجيهم فى دنياهم وأخراهم ! (كن مثله فى الظلمات) ظلمات الكفر والجهل والخطيئة . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ليس بخارج منها) أى من هذه الظلمات . وكيف يخرج منها وهو لم يحاول الخروج ، ولم يسع إليه ، ولم يفكر فيه ؟ ! (كذلك) كازين للمؤمنين ليعلنهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) وقد زين الله تعالى للمؤمنين أعمالهم ، وللكافرين أعمالهم ؛ بعد عرض الإيمان عليهم جميعاً : فآمن المؤمنون ، وكفر الكافرون ! يؤيد هذا المعنى قوله تعالى «ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم» فترى أن الزين قد حصل بعد عدم الإيمان (وكذلك) كما جعلنا فى مكة صناديد قريش يكرمون فيها (جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) أى جعلنا أكابرها مجرمين (ليكروا فيها) بالصد عن الإيمان ، وإفشاء الفجور والفساد ، والابتعاد عن طرق السداد والرشاد (وما يكرمون إلا بأنفسهم) لأن وبال مكرمهم عائد عليهم (ولإذا جاءتهم آية) دالة على صدق الرسول صلوات الله تعالى

وسلامه عليه (قالوا لن نؤمن) لك (حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أرادوا لعنهم الله أن يكونوا مثل أنبياء الله تعالى ورسله ؛ فيمدحهم بالآيات ، ويخصمهم بالمعجزات ! ونظيره قوله تعالى «بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة» وذلك لمزيد كفرهم ، وبالنك كبرهم . وقد رد الله تعالى عليهم بقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) فيختار لها الأبرار الأطهار ، لا الكفار الفجار ؛ ويعد لهم شريعته ، صفوة خليقته ! فكلهم - عليهم الصلاة والسلام - من خيرة الأنام ! فكيف يختار معهم بعض الكفرة اللثام ؛ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وعبدوا من دونه الطواغيت ، واختاروا العصيان على الإيمان ، وعصوا الرحمن وأطاعوا الشيطان ! فهيهات هيهات لما يقولون ! (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان .

عَلَّمَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٨﴾ وَذَرُوا ظُلُومَ الْإِيمَانِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَانَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَا أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجْذِلُوهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٧٠﴾ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَّجْرِمِهَا لِيَمْسَكُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَسْعُرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا إِنَّا أَنفُوسٌ قَدْحِي تَوْفَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٧٣﴾

فَمَنْ يَرُدُّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرُدُّ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٦﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
قَدْ قَصَصْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ ﴿١٦٧﴾ * لَهُمْ دَارُ
الْأَلَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيَهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ
الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمُ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بِعَضْبِنَا
بَعْضٌ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ أَنَارُ مَثُوكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٩﴾
وَكَذَلِكَ نَقُولُ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا عَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٠﴾
يَمْعَشُرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ يَقْضُونَ
عَلَيْكَ عَائِتِي وَيُنْذِرُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكَ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا

عَلَى

الذي جعلته نهاية لحياتنا واستمتاعنا (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) أي نجعلهم أولياء بعض؛ عقوبة لهم على ظلمهم، أو نسلط بعضهم على بعض فيهلكه (عما كانوا يكسبون) يفعلون من المعاصي

(ومن يرد أن يضله) أي يزيده على ضلاله الذي اختاره لنفسه وارتضاه (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) الحرج: شدة الضيق والاقبال (كأنما يصعد في السماء) أي يتصعد فيها؛ وهو كناية عن بعد مثال الإيمان، وعن تكلفه ما لا يطيقه، أو هو كناية عن الضيق الذي يأخذ بتلابيبه من كل جانب (كذلك يجعل الله الرجس) العقاب والغضب (على الذين لا يؤمنون) بالله، ولا يصدقون برسله (وهذا) الإيمان (صراط ربك) طريقه: الذي رسمه لعباده، وارتضاه لهم؛ فمن حاد عنه: حاد بآرادته واختياره، ومن سلكه: فقد سلكه بآرادته وتوفيق ربه له (لهم دار السلام) الجنة: دار الأمن والسعادة والسلامة (يَمْعَشُرُ الْجَنِّ) المراد بهم الشياطين (قد استكبرتم من الإنس) أي أضلتم كثيراً منهم بآغوائهم (وقال أولياؤهم) الذين أطاعوهم (من الإنس ربنا اسمع بعضنا ببعض) في الدنيا: استمع الجن بطاعة الإنس واتباعهم لهم، واستمع الإنس بالشهوات التي زيتها لهم الشياطين (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) القيامة التي جعلتها موعداً لنا، أو الموت الذي جعلته نهاية لحياتنا واستمتاعنا

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ أَن لَّا يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
عَمَلٌ عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾ وَرَبُّكَ
الْقَهَّيْ ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّا بَشَاءُ بِدَعْبِكُمْ وَنَسْخَلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَانِعِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّا
مَا نُوْعِدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ
تُكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَمِنْهَا لَشُرْكَائِنَا فَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(وغربتهم) خدعتهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) منه لها ؛ تعالى الله عن الظلم ! وإنما هم ظلموا أنفسهم بإتباع الهوى والشيطان ، وانشغالهم بالحياة الدنيا وزخرفها ، عن الآخرة ونعيمها (وأهلها غافلون) بدون رسول أو نذير (ولكل) من الجن والإنس (درجات) في الجنة ، أو درجات في النار (مما عملوا) من خير أو شر (انظر آية ٣١ من سورة الأحقاف) (وربك القهّي) يعطي من يشاء إعطاه ، ويرزق من يشاء رزقه بغير حساب ؛ ورزقه تعالى ماله من فساد ! وهو جل شأنه (ذو الرحمة) الواسعة ! قال تعالى «ورحمتي وسعت كل شيء» جعلنا الله

تعالى من وسعته رحمته ، وتناولته مغفرته ، وشملته عنايته ورعايته ! (إن بشأ يذهبكم) بالإهلاك أو بالموت (ويستخلف) يخلفكم على هذه الأرض ؛ خلقاً آخر أطوع منكم (إن ما توعدون) به ؛ من العذاب والقيامة (لآت) لا محالة (وما أنتم بمعجزين) بفائتين عذابنا إذا أنزلناه (قل يا قوم اعملوا على مكاتبتكم) أى اعملوا على تمسككم من أمركم ، وأقضى استطاعتكم في الكفر (إني عامل) ما في استطاعتي من طاعة لربي ، وإيمان به ! (فصوف تعلمون) غداً يوم القيامة ؛ عند نزول تقمة الله (من تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة في الآخرة (وجعلوا لله مما ذرأ) أى مما خلق . ذراً الله الخلق : خلقهم . وذراً الشيء : كثره (من الحرث) الزرع (والأنعام) الإبل والشاء ؛ وتطلق على الإبل خاصة (نصيباً) قسماً وجزءاً (فقالوا هذا) النصيب (لله بزعمهم و) جعلوا منها أيضاً نصيباً ؛ وقالوا (هذا لشركائنا) يعنون الأصنام (فا كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) قيل : كان إذا اخلط ما جعلوه لله بما جعلوه لشركائهم : تركوه ، وإذا اخلط ما جعلوه لشركائهم بما جعلوه لله : أخذوه . وقد يكون

المعنى : أن الله تعالى لا يقبل منهم شيئاً ؛ فما جعلوه له فهو مردود عليهم ، وغير مقبول منهم ، وواصل إلى شركائهم ؛ فليتظروا ثوابه منهم لا من الله (وكذلك) كازين لهؤلاء المشركين أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوآد : زين لهم ذلك (شركائهم) من الشياطين ؛ وسماهم تعالى شركاء : لأنهم يفتخرونهم ويستمعون إليهم ؛ كطاعتهم واستماعهم لله ؛ فهم بذلك - في نظرهم - شركاء لله في العبادة ؛ أو المراد بالشركاء : أصدقاء السوء ؛ الذين يزنيون الكفر والمعاصي ؛ فمنهم من يزني الوآد خشية الفقر ، ومنهم من يزنيه خشية فضيحة الزنا وهوان السي ! زينوا ذلك لهم

(ليردوهم) ليهلكوكم بهذا الجرم والإثم (وليلبسوا) ليخطئوا (عليهم دينهم) فلا يعرفون ما أحله الله تعالى بما حرمة (ولو شاء الله ما فعلوه) ولكنه تعالى تركهم وشأنهم : خلق لهم عقولا يفكرون بها ، وبهت لهم رسلا يهدونهم إلى ما ينفعهم ، وأنزل عليهم كتباً يستضيئون بنورها ، ويسرون على هديها ، وأبان لهم فيها ما يضرهم وما ينفعهم «وهديناه النجدين» «فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (فذرهم) دعهم يا محمد واتركهم (وما يفترون) وما يمتنعون من باطلهم (و) من جملة افتراءهم وكفرهم أن (قالوا) على

الجزء الثامن

١٧٢

الأنعام والحراث التي وهبها الله تعالى لهم ، وأحلها لمن شاء من عباده (هذه أنعام وحرث حرام) (لا يطعمها) لا يأكلها (إلا من نشاء) من خدمة الأوثان ، وسدنة الأصنام (يرعهم) يباطلهم وكذبهم. والزم: القول الحق ، أو الباطل والكذب . وأكثر ما يستعمل في الباطل وفيما يشك فيه (وأنعام حرمت ظهورها) أي حرم ركوبها ؛ كالسائبة والبحيرة والحامى (سيجزئهم) ربهم (بما كانوا يفترون) عليه من أحكام لم ينزلها ، وشرائع لم يشرعها (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام من الأجنة والألبان) (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قيل: هي البحائر والسواحب ؛ كانوا يخصون الذكران وحدهم بشرب ألبانها وأكل أولادها (ولأن يكن) الجنين (ميتة فهم) نساء وأرجالا (فيه شركاء) يأكلونه جميعاً (سيجزئهم) ربهم (وصفهم) أي سيجزيهم عقوبة كذبهم وافتراءهم (وهو الذي أنشأ) خلق لكم وأبدع (جنات معرشات) حدائق ذات أفنان وظلال (والنخل والزروع مختلفاً أكله) أي ثمره الذي يؤكل ؛ يختلف في الطعم ؛ فهذا حلوه وهذا حامض ، وهذا من صنع الله الذي أتقن كل شيء» (والزيتون والرمان مثابها) في الحلقة والشكل والأغصان والأوراق (وغير مثابها) في الطعم (كلوا

قُلْ أُولَئِكَ شُرَكَاءُؤُمِّ لِرُدُّوهُم وَلَيْلِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُم وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حِجْرًا لَطَعْمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ يَرْعَاهُمْ وَأَنْعَمُ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٣﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا إِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ وَكِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ فَذُخِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧٥﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مِثْلَهَا كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُفِرُّوا

من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه) أي زكاته (يوم حصاده) بدون تأخير ؛ فقد وجب حق الفقير بالحصاد . وقيل : المراد بحقه : التصديق من الحب والثمار على الفقراء ؛ وهو حق ثابت : مأمور به ، مثاب عليه ، معاقب على تركه ! وهل يجوز لك - أيها المؤمن الكريم - أن تتمم وعيالك برزق الله ؛ دون أن تؤتي منه عيال الله ؟ ! وهل يجوز لك - أيها المؤمن الرحيم - أن تبتع مطمئن النفس ، تمتلئ البطن ؛ والفقير بجوارك طاوى الكشح ، متطلع إليك ، حاق عليك ؟ !

وقد تعالى بعض الصوفية ؛ فقال : إن لكل نعمة حقاً ، وأن مرتب الموظف يستحق حقه يوم قبضه ؛ الذي هو «يوم حصاده» .

(ولا تسرفوا) في حبس الزكاة عن أربابها ، والحقوق عن أصحابها ؛ إذ أن هذا هو منتهى الإسراف في البخل ! أو أريد بالإسراف : الخطأ في العطية ؛ بأن يعطى من لا يستحق . وزعم قوم من المفسرين - أنابهم الله تعالى - أن الإسراف : مجاوزة القدر في الإعطاء ؛ حتى يجحف صاحب المال بنفسه . وهو قول غير مستساغ ؛ إذ أنه لا سرف في الخير ! وقد فاتهم أن الله تعالى أعقب ذلك بقوله (لأنه لا يجب المسرفين) وما من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يستطيع أن يقول : إن الباذل ماله في سبيل مرضات الله ؛ مستوجب لغضب الله ، والحرمان من محبته ؛ وهو جل شأنه القائل : «ويطعمون الطعام على حبه . وآتى المال على حبه» .

يقول الله تعالى «وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أسكبه والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه» أى هو الذي أنشأ كل هذا بقدرته وعظمته ؛ لا أنتم بجزئكم الأرض ، ووضعكم البذر ؛ ولو شاء لما أنشأها ، ولجعلها فاحلة مجدة ؛ فالفضل له وحده لا لكم وهو جل شأنه مالكها ومالككم ! فالكم إذا قيل لكم : «كلوا من ثمره إذا أثمر» أكتم . وإذا قيل لكم : «وأتواحقه يوم حساده» تفاضيم وأعرضتم ! فلا تنكوا إذا انترعها منكم واستخلف عليها قوما غيركم ؛ يطيعون أمره ، ويحتذون نهيه ! ولا تقولوا عند حضور آجالكم «رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين» ولو أخركم لعدم لما نهيتهم عنه ، ولجئتم بالخيرات ، وأسرفتم في اللذات ! «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون» .

فانظر - يارعاك الله - كيف عبر تعالى بقوله : «وأتواحقه يوم حساده» وتأمل واعلم أن للسال حقاً في أعناقنا ؛ يأمرنا الله تعالى

بأدائه لأربابه ! وانظر بلوغ هذا النظام ، الذي وضعه خالق الأنام ؛ ومدى إنصافه وحسنه ، والفائدة التي تعود على المعطى قبل المعطى (١) ، وعلى المنفق قبل المنفق عليه ؛ تملك الأرض فتنبت لنا من خيراتها ، بغير حول لنا ولا قوة ؛ بل بقدرته تعالى وإرادته ! ويأمرنا الرزاق الوهاب لسائر هذه النعم أن نعطي الفقير حقه فيها - ولو شاء لجعله المالك لها ، ونحن الفقراء إلى قليل العطاء - فتأبى إلا أن نشح وبخل ؛ فنورد أنفسنا النيران ، وبحل بوادينا الحسران ! فانظر بربك أيها النصف لو أن الخلائق عملت بإرشاد الخالق =

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلًّا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَرْدُومٌ مِّنْهُ ﴿١٧﴾ ثَمَنِيَّةٌ أزْوَاجٌ مِّنَ الْأَنْثَىٰ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الذَّكَرِ اثْنَيْنِ قُلْ اللَّهُ كَرِيمٌ حَرَّمَ أُمُ الْأَثْنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ نَحْنُ نَعْلَمُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَتَيْنِ قُلْ اللَّهُ كَرِيمٌ حَرَّمَ أُمُ الْأَثْنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ أَم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ عَزْمًا عَلَىٰ طَاعِدٍ يَّطَعُمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطَرَّ غَيْرَ بَالِغٍ وَلَا عَدِرٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

= وأخرجت مافي ذمتها من الصدقات والزكاة ؛ لما بقى على ظهرها إنسان ، يشكى الفقر والحرامان ؛ ولحل الرئام مكان الحصاص ، والوفاق مكان الشقاق ؛ وإذا نظرت - بين التدبر - إلى معظم الجرائم لوجدت أن السب الأول ؛ بل السب الأوحدها هو المال والمال وحده : يتمتع الفنى بسائر ضروب التمتع ، ويكسر قلب الفقير بما يظهره من نفيس الملبس ، ولذيذ الطعام ، وفاره المركب (١) فيدفعه الفقر ، والحقد ، والجوع إلى ارتكاب السرقة ، والنهب ، والسلب ، والقتل ؛ ويعلم الله تعالى وحده أن تبعة هذه الآثام لا تقع على

الجزء الثامن

١٧٤

الجاني ؛ بل على المجنى عليه ؛ فليأدر من يتقى الله ويخشاه ، ويحذر عقاب آخرته وشقاء ديناه ؛ وليخرج مافي عنقه من زكاة ماله ، وصدقات أوجها عليه ربه ؛ عن طيب خاطر وصفاء نية ؛ ففي هذا النعم الأكبر ، والخير الأوفر ! (ومن الأنعام حمولة) أى تتخذونها لحمل الأثقال (وفرشاً) أى تتخذون من أصوافها وأوبارها ما تفرشونه . وقيل : الحمولة : الأنعام الكبيرة التى يحمل عليها . والفرش : الصغار التى لم يحمل عليها بعد . وقيل : الحمولة : ما حمل عليه من الإبل والبقر والمخيل والغال والحمار وغير ذلك . والفرش : الغنم والمز (ثمانية أزواج) هو بيان للحمولة والفرش ؛ أى ومن الأنعام أنشأ تعالى لكم ثمانية أزواج (من الضأن اثنين ومن المز اثنين) زوجين اثنين ؛ يربد الذكر والأنثى ؛ فذلك أربعة أزواج ؛ لأن كل واحد من الاثنين زوج للآخر ؛ والواحد إذا كان وحده فهو فرد ، وإذا كان معه غيره من جنسه : سمي كل واحد منهما زوجاً ، وهما معاً زوجان ؛ يدل على ذلك قوله تعالى «خلق الزوجين الذكر والأنثى» (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا - من الحرث والأنعام - اتباعاً للشيطان (آلآكرن) من الضأن والمز (حرم) ربكم (أم الأنثيين) منها (أم

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِبَغْيِكُمْ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسًا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٩﴾ قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُ لِّمَن لَّا يَشْهَدُونَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِطُ رِبْطُ مَقْدُورٍ ﴿١٨٠﴾

* قل

ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) من الضأن والمز ؛ وذلك لأنهم - لعنهم الله تعالى - كانوا يحرمون الذكران تارة ، والإناث تارة ، وما اشتملت عليه أرحامها تارة أخرى ؛ وكذلك كان شأنهم بالنسبة للإبل والبقرة (أم كنتم شهداء) حضوراً مشاهدين (إذ وصاكم الله بهذا) التحريم الذى ترعمونه (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرمات على طاعم يطمعه) أى على آكل يأكله (فانه رجس) قدر ونجس . والرجس : كل عمل يؤدى إلى العذاب والعقاب (أو فسقاً) الفسق : الفجور ، والخروج عن الطاعة (أهل لغير الله به) =

(١) الفاره من المركب : الملبح الشديد . ويطلق على الجارية الملبحة الفتية .

== شرككم وشرك آبائكم ؟ (وان أتم الاغرضون) تكذبون (قل لله الحجة البالغة) على الناس جميعاً ؛ حيث لاجحة لأحد عليه ؛ وجهته تعالى تقطع كل العاذير ، وتزيل سائر الشكوك : ألم يرسل لعباده الرسل ، وينزل عليهم الكتب ؛ ويسلكها في قلوب الكافرين لعلهم يؤمنون ؟! فأى عذر بعد ذلك للجاحد العائد ؟! ألم يبذل له خالفه كل السبل الموصلة الى معرفته فأعرض عنها واتبع هواه ؟! ألم يقم له الدليل تلو الدليل على قدرته ووحدانيته فأبى إلا ضللاً وخبلاً ؟! وهل بعد هذا تقوم له حجة بقوله «لو شاء الله

ما أشركنا ولا آبائنا» ومى كلمة حق أريد بها باطل ؟ لقد قال العظيم الكريم «ولا يرضى لعباده الكفر» فكيف يريد مالا يرضى ؟ بل كيف يعذب على ما أُرَاد ؟ فيأبى الكافر الفاجر ؛ المشرك بربه ، المحترى على خالفه : لقد هداك ربك الى معرفته فأنتكرت ، ودعاك الى رحته فأعرضت ، وسلك الإيمان في قلبك فأبيت ! وبعد ذلك تريد أن تستر وراء منطق الجهال ، وقول الضلال : «لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا» ونسيت قول الحكيم العليم «من شاء منكم أن يستقيم» (انظر آيتي ٢٠٠ من سورة الشعراء ، و ٢٨ من سورة التكوير) (قل هلم شهداءكم) أى هاتوا شهداءكم (فان شهدوا) أى فان شهد شهداءهم زوراً بأن الله تعالى حرم ما حرموه من حرهم وأنعامهم (فلا تشهد معهم) أى فلا تجالسهم ولا تخاطبهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) لأنهم تركوا الحق الذى أنزل إليك ، واتبعوا أهواءهم (وهم يبرهم يعدلون) أى يمحطون له عدلاً . والعدل : المثل (ولا تقتلوا أولادكم من إملان) من فقر (نحن نرزقكم وإياهم) وخوف الإملان : كفر بالخلق ! فقد خلق الله تعالى الخلق وتكفل بأرزاقهم - ولو كانوا فى مهمه فقر - ألا ترى أنه تعالى يرزق الحشرة داخل الصخر الأصم ؟!

المسنة الثامن

١٧٦

يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِمَبْلُوكٍ فَأَتِيَهُمْ وَأَنْقَرُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٧٧﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٧٨﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً مِّنْ أَنْظَلْنَا مِنْ قَبْلِهِ لَكُذِّبَ بِعَايِنَةِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرَى الَّذِينَ يَصْصِفُونَ عَنْ هَايَتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْصِفُونَ ﴿١٧٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا لِّعِثَابِهَا وَلَا تَنْفَعُ أَمَنَةً مِّنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِعْتَابِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِلَى مَا تُكْسِبُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَّعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

(ولا تقربوا الفواحش) الكبائر (ما ظهر منها) كالقتل ، والسب (وما بطن) كالزنا والغيبة . وقيل : أريد به سر الزنا وعلايته (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الذى يوجب قتلها ؛ كقتل القاتل ، أو القتل دفاعاً عن النفس ، وأمثال ذلك (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن) ومى أن تستمروه له ، وأن تؤدوا زكاته (حتى يبلغ أشده) بلوغ الأشد : هو قوة البدن ، وزيادة المعرفة بالتجربة ؛ وهو ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين . وهو أيضاً بلوغ الحلم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل (لا تكلف نفساً إلا وسعها) أى لا تكلفها إلا طاقتها - فى إيفاء الكيل والوزن - وقد جاء ذلك الضابط خشية التخرج والتأثم ؛ فيضطر البائع الى زيادة المكيل والموزون ، ويضطر المشتري بدوره الى أخذ ما يقل عن استحقاقه ==

== فيها ؛ وبذلك تضيق صدورهما ؛ لذلك أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان في حدود الطاقة البشرية ؛ بغير ما ظلم ولا غبن (ولوذا قلتم فاعدلوا) أى إذا حكمتم بين الناس ، أو أدبتم شهادة ؛ فاحكموا بينهم وأدوا الشهادة بالعدل (ولو كان) المحكوم عليه أو المشهود ضده (ذا قربي) وذلك عهد الله تعالى عهد به إليكم (وبعهد الله أوفوا) لتؤجروا ، وتدوقوا حلاوة الطاعة وعزها ، وتتجنبوا مرارة المعصية وذلكها (انظر آية ١٤ من سورة لقمان) (ولان هذا) الذى أمرتكم به ، وعاهدتكم عليه ؛ من عدم الإشراك بى ،

وبالإحسان إلى الوالدين ، وبالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر ، وعن قربان الفواحش «ما ظهر منها وما بطن» وعن قتل النفس «إلا بالحق» وعن قربان مال اليتيم «إلا بائى» هى أحسن . وبالوفاء بالكيل والميزان ، وبالعدل في الحكم والشهادة ؛ فجميع ذلك (صراطى) أى طريق (مستقيماً) واضحاً ، موصل إلى خيرى الدنيا والآخرة (فاتبعوه) لتؤجروا (ولاتتبعوا السبل) الطرق المختلفة ، والأهواء التباينة ، والديانات المتعددة (فتفرق) فتتفرق وتبطل (بكم عن سبيله) عن طريقه تعالى الذى وصفه بالاستقامة ، وبالتالي يكون غيره مثلاً عن الحق معوجاً ! قال تعالى «الذين يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً» (ثم آتينا موسى الكتاب) التوراة (تماماً على الذى أحسن) أى تماماً للنعمة على الذى أحسن الطاعة ، وتجنب المعصية (وتفصيلاً لكل شئ) يحتاجون إليه (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) هو القرآن : كبير النفع ، كثير الخير ، عظيم البركة ! (أن تقولوا) أى لكلا تقولوا إذا لم نزل عليكم القرآن (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) هما اليهود والنصارى ؛ وقد نزل عليهما أشهر كتابين - بعد القرآن - نزلاً من عند الله : التوراة والإنجيل (ولان كنا عن دراستهم)

أى عن دراسة هذه الأمم لكتابيهما (لغافلين) لأنها لم ينزلا بلسانتنا ، ولا بلغتنا ، ولم تؤمر باتباعها . فأنزل الله القرآن قطعاً لهذه الحجة ؛ ومنها يعلم أن الله تعالى لا يؤاخذ من لم يصلهم كتاب ، ولم ينذرهم رسول ؛ قال تعالى «وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا» (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب) الذى أنزل عليهم (لكننا أهدى منهم) أى لكننا أشد استقامة ، واتباعاً لما في الكتاب ، وأطوع لله من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ؛ قال تعالى ؛ رداً على هذه الحجة المفترضة (فقد جاء تكريمنا من ربكم) كتاب عربى بلسانكم ، مبين لما تحتاجون إليه (وهدى ورحمة) لمن عمل به واتبعه (فمن أظلم) أى لا أحد أظلم (من كذب بآيات الله) بعد إذ جاءته (وصدف) أعرض وصد (عنها) سنجزى الذين يصدفون عن ==

سورة الأنعام

١٧٧

يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِنْهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْتَسْكَيْتُ وَخَيَّيْتُ وَمَنَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ظِلْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

= آياتنا سوء العذاب أسوأه (هل ينظرون) ما ينتظرون (إلا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقيض أرواحهم (أو يأتي ربك) يوم القيامة للحساب والجزاء (أو يأتي بعض آيات ربك) علامات الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها؛ وحيث لا ينفق نفسا لإيمانها لم تكن آمنت من قبل) أى من قبل حضور الموت، وظهور علامات القيامة (أو كسبت في إيمانها خيرا) وهو الإخلاص في الإيمان (إن الذين فرقوا دينهم) وهم اليهود والنصارى (وكانوا شيعا) فرقا متباينة (لست منهم في شيء) أى لست مسئولوا عما فعلوا.

وقيل: عني بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا: أهل البدع والضلال من هذه الأمة؛ الذين اتبعوا ما تشابه من القرآن، وأولوه طبقا لأهوائهم (لئنا أمرهم) أى عاقبة أمرهم (إلى الله ثم ينتهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم عليه «أحشاء الله ونسوه» (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) المراد بالعشر: الكثرة دون العدد؛ فقد يبلغ الجزاء مالا يحصره حد، ولا يحصيه عد! واقرأ إن شئت قول المنان الوهاب، المظلي من يشاء بغير حساب: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» (انظر آية ٢٦١ من سورة البقرة) (صراط) طريق (دينا قيا) مستقيما لاعوج فيه؛ و«قيا» قيا؛ وبه قرأ سائر القراء عدا الكوفيين وابن عامر (ملة إبراهيم حنيفا) مسلما (وما كان) لإبراهيم (من المشركين) بل كان أول المهادين للشرك، المستلذين على الوحداية بالقل والمنطق والتدبر! (انظر الآيات ٧٦ وما بعدها من هذه السورة) «قل إن صلاتي ونسكي عباداتي (وبذلك أمرت) من ربي ومن على الذي وهبني وأكرمني به! (ولا تكسب كل نفس) لئنا (إلا عليها) أى لا يقع وبال لئها إلا عليها (ولا تزر وازرة وزر

(٧) سورة الاعراف مكية

١٧ من آية ١١٣ إلى غاية آية ١٧٠ قدسية وإيانا ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَص ١ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ، وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ٣ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهَكَّكُنَّا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ٥ قَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا أَنَا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٦ فَلَنَسَلْنَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم وَلَنَسَلْنَّ الْمُرْسَلِينَ ٧ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُونَ مَا كَانُوا يَعْبَثُونَ ٨ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ٩ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠

ومن

أخرى) الوزر: الإثم، والحمل الثقيل؛ أى لا تحمل نفس آئمة لثم نفس أخرى (وهو الذى جعلكم خلائف) جمع خليفة (الأرض) أى أهلكت من سبقكم، واستخلفكم مكانهم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في العلم والجاه والمال والسلطة (ليختبركم) فيما آتاكم) فيما أعطاكم من نعمه؛ وليعلم - علم ظهور - من أطاعه فيما آتاه، وأحسن فيما وهبه! (إن ربك سريع العقاب) لمن عصاه وخالفه؛ فليبادر من ابتلى بالعصيان والحمران إلى الرجوع إلى ربه، والمساب إلى خالفه! «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (ولانه لفور) لمن تاب وأناب (رحيم) به؛ فلا يؤاخذ به بما سلف من أمره؛ تفضلا منه تعالى ورحمة بخليقته!

(سورة الأعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (كتاب أنزل إليك) القرآن الكريم (فلا يكن في صدرك حرج) ضيق (منه) أى لا يكن في صدرك غم أو ضيق من عدم إيمانهم بما أبلغته إليهم من القرآن المنزل عليك ؛ وهذا كقوله تعالى : «لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين» (لتنذر به) أى «كتاب أنزل إليك ؛ لتنذر به» (وذكري)

تذكيراً (للمؤمنين) الذين يخشون ربهم ومخافون سوء الحساب (ولا تتبعوا من دونه) غيره (أولياء) تطيعونهم في معصيته تعالى والكفر به (وكم من قرية) ظلمة (أهلكناها فجاءها بأسنا) عذابنا (بياتاً) ليلاً (أورم قائلون) أى وقت القيلولة . والمعنى : فجاءها عذابنا ليلاً أو نهاراً ؛ كما تريد (فما كان دعواهم) دعاؤهم ونصرعهم (إذ جاءهم بأسنا) حين جاءهم عذابنا (فلنسالن الذين أرسلناهم) أى الأمم عما فعلوه من عصيان رسلهم ، وكفرهم بربهم (ولنسالن المرسلين) عما أجابوا به ، وما لا قوه من عنت وتكذيب (فلنقص عليهم) لنخبرنهم بما فعلوه (يعلم) منا ؛ لأننا حاضرون معهم ، مشاهدون لأعمالهم (والوزن) للأعمال الحسنة أو السيئة (يومئذ) يوم القيامة (الحق) العدل ؛ لازيادة في السيئات ، ولا نقصان للحسنات (انظر آية ٤٧ من سورة الأنبياء) (فمن تقل موازينه) أى ما يوزن له من الحسنات (فأولئك هم المفلحون) الفائزون ! (ومن خفت موازينه) أى نقصت حسناته (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) حرموها من النعم ، وأضاعوها

في الجحيم (عما كانوا بآياتنا يظلمون) أى يمحذون (ولقد مكناكم في الأرض) أى جعلناكم متسكنين منها ، قادرين عليها ؛ ذوى مكانة فيها (وجعلنا لكم فيها) أى في الأرض (معايش) أى أسبابا للعيشة ؛ من مطعم ومشرب وملبس ؛ فضلا من لدننا تعالى ! (ولقد خلقناكم) أى خلقنا أصلكم وأباكم آدم من طين (ثم صورناكم) أى صورنا آدم في صورته الإنسانية ، ونفخنا فيه الروح . أو يكون معنى «خلقناكم ثم صورناكم» : إشارة إلى حكمه تعالى وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم - منذ بدايته حتى نهايته - وتصويره لهم على حقيقتهم التي علمها قبل أن يصورهم ، ولآيات جميع ذلك في اللوح المحفوظ ؛ الذي أثبت فيه تعالى كل ما هو كائن (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كان الأمر بالسجود لما خلقه الله تعالى بيديه ؛ لا لأن آدم مستوجب =

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
عَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣﴾
قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْسَجِدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٤﴾ قَالَ فَاهْبِطْ
مِنْهَا قَآئِلًا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَشْكُرَ فِيهَا فَاتَّخِذْ مِنْهَا
لَكَ الصَّغِيرَ ﴿٥﴾ قَالَ أَظُنُّكَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٨﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ أخرجْ مِنْهَا مَذْهُورًا

للسجود مستحق له ؟ قال تعالى : « يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » وقد ابتدأ اللعين ، يحاج رب العالمين ؛ فأهلك نفسه ومن اتبعه إلى يوم الدين ! (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ظناً منه أن النار جسم شفاف نوراني ، والتراب جسم كثيف ظلماني ؛ وهو أول من قال بالقياس ؛ وفاته أن القياس لا يجوز مع صريح النص ؛ فقد أمره تعالى بالسجود وهو عالم أنه مخلوق من نار ، وأن آدم مخلوق من تراب ؛ وهو جل شأنه « يخلق ما يشاء ويختار » (قال فاهبط منها) فانزل من الجنة (فإيكون لك أن تتكبر فيها) دل ذلك على أن التفاخر بالأنساب

من أشد الكبر ! (فأخرج إناك من الصاغرين) أي من أهل الصغار ؛ وهو الذل والهوان ؛ وهكذا كاث الجزاء من جنس العمل : لما تكبر إبليس وتعالى على أمر الله : أذله الله تعالى ، وألحق به الصغار والهوان ؛ وطرده من جنته ، وحرمه من رحمة ! (قال) إبليس لربه (أنظرني) أي أمهلني (قال فيها أغويتني) أضللتني ؛ أي باغوائك لي ؛ وهذه إحدى مكائد الشيطان اللعين ؛ حيث ينسب الإضلال لرب العالمين ؛ إذ أنه تعالى لم يضل إلا بعد أن ضل بنفسه ، وانحط إلى درك المخالفة ، وجادل ربه تعالى مجادلة الند للند ، وعاب خلقه وصنعه ، وعصى أمره ! ومن عجب أن يقول قوم بما قال به إبليس ، وينسبون الإضلال لهادئ الضلال ، والاعواء لمن ينهى عن الفحى ويعاقب عليه ؛ ويقولون : إن إبليس أعلم بالله ممن ينهى عن ربه الإضلال والإغواء ! (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (لأقمن لهم) أي لبني آدم (صراطك المستقيم) أي أنمنهم عن الطريق القويم الموصل إليك (ثم لا تينهم من بين أيديهم) أي من قبل الآخرة ؛ التي هي أمامهم وبين أيديهم ؛ أشككهم فيها ، وأزين لهم عدم مجيئها وأنه لا يثبت ، ولاجنة ، ولا نار (ومن خلفهم) من قبل الدنيا ؛ لأنها وراءهم ؛ أحبهم فيها ، وأزيدهم تمسكاً بها (وعن أيمنهم) من قبل الحق ؛ لأنه يوصف باليمين ؛ أزين لهم أسكله ، وأشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) من قبل الباطل ؛ أشهى لهم المعاصي ، وأدفعهم إلى ارتكابها

لقد جاءك إبليس يا ابن آدم من كل جانب ، ومن كل وجهة ؛ لكنه لم يأتك من فوق ؛ فلم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة ورضوانه ومغفرته ؛ فهلم إلى ربك ، ادعه يستجب لك ، واطلب منه أن ينجيك من إبليس ومن ترصده لك ، ولواقعه بك ! فهو وحده القادر على حمايتك وعصمتك ! عصمتنا الله تعالى من المهالك ، وأعاذنا من جله فتنة للناس ولم يجعل له سلطاناً عليهم ، وأذل جنده ، وأضعف كيده ! « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (قال أخرج منها مذموماً) معيياً عمراً (مدحوراً) مطروداً (ويا آدم =

لَمَّا تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٠﴾
وَيَتَقَدَّمُ أَسَكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨١﴾
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٨٢﴾ وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ ﴿١٨٣﴾ فَدَلَّهُمَا يَنْزِيلُ فُلُوكَ دَاخِلَا الشَّجَرَةَ يَتَنَبَّهَاتُ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾
قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالَ أَقْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَودٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١٨٦﴾ قَالَ فِيهَا

= اسكن أنت وزوجك حواء (الجنة فكلما من حيث شئنا) فيها (ولا تقربا هذه الشجرة) أي شجرة ؛
 نهاهما ربهما عنها امتحانا لهما وابتلاء ؛ وليسجل عليهما ضعفهما ، وليجأ إليه بالاستغفار ، ويجأرا إليه بالنصرع !
 (فتكونا من الظالمين) لأنفسهم بالعصيان (انظر آية ٣٥ من سورة البقرة) (فوسوس لها الشيطان ليبدى
 لها ما ووري) استر واخفى (من سوءاتها) عوراتهما . والسوأة: كل ما يسوء الإنسان ظهوره (و) كانت
 وسوسته بأن (قال) لها (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) أي كراهة أن تكونا

ضمن الملائكة المقربين (أو تكونا من الخالدين)
 الباقيين أبدا (وقاسمهما) حلف لهما على صحة
 ما يقول (فدلاهما) أهبطهما من درجات الجنة
 الرفيعة العالية ، إلى دركات الأرض الوضيعة
 السافلة (يفرور) أي غرر بهما وخدعهما ؛
 وما كانا يتوهمان أن مخلوقا يقسم بالله تعالى
 كاذبا ! (فلما ذاقا الشجرة) التي نهاها عن
 الأكل منها (بدت لهما سوءاتها) وطفا
 (يخضفان) جعلتا يلزقان ويشدان (عليهما من
 ورق الجنة) قيل : هو ورق التين .

هذا وقد زعم بعض من لا قيت من المتكلمين
 أن قصة الأكل من الشجرة ليس على حقيقته ؛
 بل هو عن طريق المجاز : وقد أريد به الالتقاء
 الذي يتم بين الرجل وزوجه ، وأن قول إبليس
 «أو تكونا من الخالدين» هو خلود آدم
 وحواء بأبنائهما إلى يوم القيامة وقوله :
 «وملك لا يبلى» هو ملك الدنيا ، والخلافة
 فيها ؛ وأن الشجرة قد تكون على حقيقتها ،
 وأن ما تم بينها كانت تحتها وفي ظلها ؛
 واستدل على رأيه بما بدا لهما من سوءاتها
 عند الالتقاء - المشار إليه بالأكل من الشجرة -
 وهو زعم مخالف لجميع ما بأيدينا من أقوال
 المفسرين ؛ ولم يبلغ بعد حد الإقناع الذي
 يلزمنا بالقول به ، والدعوة إليه ! (قالا ربنا

ظلمنا أنفسنا) بعصيانك (ولأن لم تغفر لنا) خطيئتنا (وترحمنا لنكونن من الخاسرين) المالكين ا وقد أراد
 تعالى بإيراد تلك القصة على هذا الوجه : أن يعلمنا كيف يخسر الماعد «إبليس» نفسه ، ويوردها موارد
 الهلكة ، وكيف ينجو المعترف بذنبه ، اللاجئ إلى ربه «آدم» فقد «اجتنبه ربه فتاب عليه وهدى» (قال
 أهبطوا) انزلوا من الجنة (بعضكم لبعض عدو) المقصود : آدم وذريته ، والشيطان وقبيله ؛ أو بعض ذرية
 آدم لبعضها أعداء (ولكم) جميعا (في الأرض مستقر) موضع قرار (ومتاع) تمتع (إلى حين) وهو انقضاء
 الأجل (قال فيها) أي في الأرض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء
 (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم) يستر عوراتكم التي أراد الشيطان إظهارها (وريشا) =

تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ
 اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوَارِيْ سَوْءَ بَشَرِكَ وَرِيْثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى
 ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢﴾
 يٰٓبَنِيَّ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكَ مِنَ
 الْجَنَّةِ يَتَزَوَّجُ مِنْهَا لِیَسْهَلُ لَّیْرُبَّهَا سَوْءَ تِهْمًا اَتَمُرُّنَّكَ
 هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْتَدُّنَّهِنَّ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِیْنَ
 اَوْلِيَآءَ لِلَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ ﴿٣﴾ وَاِذَا قَعَلُوا فِتْنَةً قَالُوْا
 وَجَدْنَا عَلَیْهَا اٰبَاءَنَا وَاللّٰهُ اَمَرْنَا بِهَا قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا یَأْمُرُ
 بِالْفَحْشَآءِ اَتَقُوْلُوْنَ عَلٰی اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٤﴾ قُلْ اَمَرَ
 رَبِّیْ بِالْقِسْطِ وَاَقِمْوْا وُجُوْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوْهُ
 مُخْلِصِیْنَ لَهُ الدِّیْنَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْبُدُوْنَ ﴿٥﴾ فَرِیْقًا هَدٰی
 وَفَرِیْقًا حَقَّ عَلَیْهِمُ الضَّلٰلَةُ اِنَّهُمْ اَخْلَدُوْا الشَّیَاطِیْنَ
 اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَیَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٦﴾

== لباساً للزينة (ولباس التقوى) الذى يبق الجسم مما يؤذيه من الحر والبرد ، أو هو لباس الحرب وقيل : «لباس التقوى» الإيمان وخشية الله تعالى بدليل قوله تعالى (ذلك خير) أى لباس التقوى - الذى يبق عذاب الله تعالى وغضبه - خير من كل لباس ؛ و(ذلك) اللباس الذى أنزلناه عليكم ليوارى سوءاتكم (من آيات الله) الدالة على وحدانيته ؛ فمن المعلوم أن اللباس لا يعدو أنواعاً ثلاثة ؛ كلها تدل على قدرته تعالى ، وميزيد لطفه وإبداعه ؛ فالصوف : من أشجار الأنعام وأوبارها ، والقطن والبكتان : مما تنتجه الأرض من خيراتها ؛

والحرير : تنتجه وتنسجه حشرة من خشرات الأرض ؛ بوحى من ربها ، ولطرساد من خالقها ؛ وجميع ذلك - من حيوان ونبات - مسخر من عند الله تعالى لو أراد منه لامتنع ؛ فتعالى المنعم المتفضل ! فما أروع عظاته ، وما أبعد آياته ! (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) احذروا لئلا يضلنكم (إنه يراكم هو وقبيله) معشره وجنوده (من حيث لا ترونهم) لأنهم أجسام شفاقة لاترى (إنما جئنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى قرناء لهم وأعوانا (وإذا فعلوا) أى إذا فعل الذين لا يؤمنون (فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) فى حين أن تقليد المذنب فى ذنبه ، والآثم فى آثمه لا يقوم عذراً للعقيد (والله أمرنا بها) احتجوا بتقليد الجهال ، وافترضوا على ذى الجلال ! وظنوا أن علم الله تعالى بكفرهم أمر منه به ، ورضا عنه (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل ؛ فيجب اتباع أمره ؛ لا معاندته (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى توجهوا بكميكنكم إليه ، وأخلصوا قلوبكم عند كل سجود . أو أقيموا وجوهكم بالدعاء له فى مواطن الصلاة ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى «هناك دعا زكريا ربه» وكان ذلك عند دخوله المحراب (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) أى مخلصين له العبادة ؛ لأن العبادة بلا إخلاص كلا عبادة (انظر آية

المسرة الثامن

١٨٢

* يَبْنِيْ اٰدَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ الَّتِي اُتِيَ اَنْتُمْ لِعِبَادَةِهَا وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كَذٰلِكَ نَفْصِلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٢﴾ قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ اِنْ شِئْتُمْ كُوْنُوْا بِاللّٰهِ اٰلَمًا يَنْزِلُ بِهِ سُلْطٰنًا وَّانْ تَقُوْلُوْا عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ فَاِذَا جَآءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّوْنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ اِنَّمَا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ يَقْضُوْنَ عَلَيْكَ عَآيٰتِيْ قَبْلَ اَنْتَى وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِعَآيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا اُولٰٓئِكَ اَنْصَبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٣٦﴾ قٰنْ

اَعْلَمُ

١٧ من سورة البقرة) (كما بدأكم تعودون) أى كما بدأكم من العدم ، يعيدكم بعد العدم ! (فريقاً هدى) الله بهدياته (وفريقاً حق) وجب (عليهم الضلالة) استوجبها بانصرافهم عن نداء الحق ؛ ونبذهم كلام ربهم وراء ظهورهم ؛ ولم يوجب ربهم الضلالة عليهم ظمناً لهم ؛ وكيف لا يستحقونها وقد وصفهم الله تعالى بقوله (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء) يوالونهم ويعبدونهم (من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) غنى عنهم غضب ربهم ، ووجب انتقامه منهم ؛ بتركهم فى ضلالهم يصمبون ! (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) أى لبسوا أغفرتيابكم وأطهرها ؛ قيل : إنهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا فزلت . (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) أى «كلوا واشربوا» مما أحله الله «ولا تسرفوا» بتناول ما حرم . أو «كلوا واشربوا» ما يكتفى لحفظ =

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 أُولَئِكَ يَتْلُمُ نَصِيحُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِن مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ
 اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم
 مِنَ الْخَلْقِ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
 حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَقَتَلَهُمْ عَذَابًا ضَعِيفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
 ضَعْفٍ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ
 قَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنَّا
 لَا تَمْنَحُ لَهُمُ الْيُتُوبَ السَّمَاءُ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
 الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُعْجِرِينَ ﴿٢٠﴾

أودكم ، وبقاء حياتكم «ولا تسرفوا» بالزيادة على ذلك ؛ ولا يجوز لإنسان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يطعم
 هو وأولاده فاخر الطعام ، وجاره يتضور جوعاً ، ويفتقر إلى الخبز القفار ؛ وكفى بالمرء سرفاً أن ينيل
 بطنه كل ما تشتهى ! وقد جرت عادة أفضل القوم على أن يطعمون الفير ما يشتهونهم ، ويمرمون أنفسهم
 بما يبتغون ؛ زجرأ لها وتأديباً ! وهذا إذا جاز في شريعتهم فانه غير ملزم لغيرهم ؛ لأن الله تعالى لم يكلف الناس
 ما يشق عليهم (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وإنما هم حرموا على أنفسهم
 الطيبات ، ليحفظوا بالمحيرات ، ولم يطلقوا بإسارها
 ليأمنوا عثارها ! وليصدق عليهم قول الحليم
 الكريم (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
 خالصة يوم القيامة) أي ان زينة الله والطيبات
 من الرزق ستكون يوم القيامة خالصة للذين
 آمنوا في الحياة الدنيا . كيف لا ؟ وقد أطعموا
 الطعام على جبه ، وجعلوا هوامهم تحت أرجلهم
 ورضا ربهم نصب أعينهم ؛ وآثروا غيرهم على
 أنفسهم ! فاحرص - هديت وكيفيت - على
 الإيثار لا الأثرة ، والإتقان لا الجمع ، واحذر
 البطنة ؛ فانها تذهب الفطنة اقل صلى الله تعالى
 عليه وسلم : «مملأ ابن آدم وعاءاً شر من
 بطنه» وقد جمع القرآن الكريم في قوله تعالى
 «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» أصول الطب
 وخلاصة تجارب الأولين ، وحكمة علوم الآخرين
 ويعتبر من أعظم قواعد حفظ الصحة . وعدم
 الإسراف في الأكل والشرب : وقاية من
 كثير من الأمراض الفتاك ؛ كأعراض القلب ،
 والكبد ، والكلى ، والصفط العالي وتصاب
 الشرايين (قل إنما حرم ربي الفواحش)
 جمع فاحشة ؛ وهي القبايح (ما ظهر منها) كالقتل
 والسب (وما بطن) كالزنا والغيبة والنميمة
 (والإثم) المعصية (والبغى) الظلم والكبر
 (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً)
 حجة أودليلا (ولكل أمة) من الأمم السابقة

الكذبة (أجل) وقت لنزول العذاب الذي قدره الله تعالى عليها (فإذا جاء أجلهم) وقت نزول العذاب
 المهد لاستئصالهم (يا بني آدم إما يأتينكم) أي إن يمشكم (فمن اتقى) آمن (وأصلح) أعماله (فلاخوف عليهم)
 في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (فمن أظلم) أي لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (أولئك ينالهم
 نصيبهم من الكتاب) مما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ؛ من الرزق والأجل (حتى إذا جاءتهم رسلنا)
 ملائكة الموت (قالوا) أي قال لهم ملائكة الموت (إن ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله) غيره ؛ أي
 ابنه م ؟ هل يستطيعون كشف الضر عنكم ، أو دفع الموت ، أو تخليصكم من أديننا ؟ (قالوا ضلوا عنا) أي
 غابوا عنا (قال) لهم ربهم (ادخلوا في أمم قد خلت) مضت (حتى إذا اداركوا) أي تداركوا وتلاحقوا =

= واجتمعوا (قالت أحرام) أى الأمم المتأخرة (لأولام) لمن تقدمهم من الأمم (ربنا هؤلاء) المتقدمين (أضلونا) لأنهم ضلوا قبلنا ابتداء فاتبعناهم في ضلالهم ؛ ظنا منا أنهم مهتدون (فأتهم عذاباً مضاعفاً) (قال لكل) منكما (ضعف) من العذاب : تابعا ومتبوعا ، متقدما ومتأخرا لأن الأولين أتتهم رسلنا فكذبوا فريقا وقتلوا فريقا ، والآخرين أتتهم رسلنا فكذبوهم وآذوهم ؛ فالأولون والآخرون في الكفر سواء فكما أن الخطأ لا يبرر الخطأ ؛ كذلك كفر الأولين لا يصح أن يتخذ سببا لكفر الآخرين و « كل نفس بما كسبت

الجزء الثامن

١٨٤

رهينة » ومن ضل فاعما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى» (وقالت أولام) أى قالت الأمم المتقدمة (لأحرام) فما كان لكم علينا من فضل) إذ أنكم كفرتم كما كفرنا ؛ فلم يزد فضلكم علينا ؛ لكنكم لو كنتم اعتبرتم بما حل بنا وآمنتم ؛ كان ذلك فضلا بغيركم علينا . وبذلك انقطعت حجة المتأخرين على المتقدمين ، وتساووا في الكفر برب العالمين ! وحيث يقول رب العزة للفرقتين (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) تعملون (إن الذين كذبوا بآياتنا) القرآن (واستكبروا عنها) فلم يؤمنوا بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا يصعد لهم عمل صالح ولا يجبل منهم ، أو لا تنزل لهم رحمة من السماء ، أو لا تفتح لأرواحهم بعد الموت ؛ بل ينهب بها إلى سجين ؛ وما أدراك ما سجين ! (ولا يدخلون الجنة) أبداً (حتى يبلغ الجبل في سم الحياط) أى حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة ؛ ويطلق الجبل أيضاً على جبل السفينة الفليظ ، وعلى النخل ؛ وقد علق الله تعالى دخولهم الجنة على مستحيل ؛ فلن يدخل الجبل - سواء كان بعيراً ، أو جبلاً ، أو غصلاً - في ثقب الإبرة ؛ كما علق تعالى رؤية موسى له ؛ على استقرار الجبل فلم يستقر ؛ بل جعله ربك دكا وخر موسى صعقا ! (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغشية ؛ فكانت

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ
تَجْزِي الظَّالِمِينَ ١٨٤ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٨٥ وَرَبَّنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْمِيهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُّ أَنْ يُلَاحَظَ الْجَنَّةُ أَوْ رُشُّوهُمَا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٨٦ وَتَدْنَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ
أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ١٨٧ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ١٨٨ وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ
وَنَادُوا

النار لهم وطاء وغطاء . وقد جعل الله تعالى العذاب مكان الأمن والدعة والراحة ؛ عاقابا الله تعالى برحمته من غضبه ونقمته ! (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفساً إلا وسعها) أى إن الإيمان والأعمال الصالحة في وسع كل إنسان ؛ فلا حجة لقصر ، ولا عذر لمخلف !

وهل ترى من قصد إلى المسجد ؛ فتوضأ وصل وابتهل إلى ربه ؛ خسر من ماله ، أو من صحته ، أو من عرضه ؛ مثل من قصد إلى حاة أو ماخور ؛ غسر ماله وصحته وعرضه ؛ بل خسر أيضاً دنياه وآخرته ؛ وربما جره ذلك إلى أشد العقوبات ، وأتلك الأمراض ؛ فأى الفريقين أحق بالأمن ؛ وأى الطريقين أهدى وأرخص وأيسر ؛ ! طريق الجنة ، أم طريق النار ؛ وحقا إن النار لتشرى بالنقود ، =

والجنة قال بالجان ! وقد تمت النية ، وكملت النعمة ، وسقطت العذرة ، وقامت لله الحجة البالغة ؛ بقوله «لأنكلف نفساً إلا وسعها» (ونزعنا ما في صدورهم) أى صدور أهل الجنة (من غل) حقد وعداوة ؛ وذلك من تمام نعمته تعالى على عباده المؤمنين ! (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى هدانا لصالح العمل ؛ الذى أدخلنا بسببه الجنة (وما كنا لنهتدى) لى ذلك (لولا أن هدانا الله) قيل : إن أهل النار يرون مقاعدهم من الجنة لو كانوا مهتدين ؛ فيكون ذلك حسرة عليهم ، وتعذيراً لهم ! وإن أهل الجنة يرون مقاعدهم من النار لو لم يهتدوا ؛ فيقولون «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» (ونودوا) أى نادى الملائكة أصحاب الجنة (فأذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين أهل النار (أن لعنة الله على الظالمين) الكافرين ؛ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وتعريضها للعقاب ! (الذين يصدون) يمنعون الناس (عن سبيل الله) دينه الحق (ويغيثونها عوجاً) أى يحاولون أن يجعلوا طريقه القويم ودينه المستقيم ؛ معوجاً (وم بالآخرة) بالبعث والحساب والجزاء (كافرون) لا يصدقون بحجى القيامة (وبينهما) أى بين الجنة والنار ، أو بين أصحاب الجنة وأصحاب النار (حجاب) حاجز ؛ وهو السور الذى ذكره الله تعالى فى قوله «فصرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وهو سور الأعراف المعنى بقوله جل شأنه (وعلى الأعراف) جمع عرف ؛ وهو كل مرتفع من الأرض ، ومنه سمي عرف الديك : لارتفاعه . وقيل : سمي الأعراف : لأن أصحابه يعرفون الناس جميعاً : أهل الجنة وأهل النار (رجال) هم أناس تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ؛ فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ فجعلوا هناك حتى يقضى الكرم فيهم بما يشاء ؛ وسيدخلهم الجنة بفضلهم ومعفرتهم

وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبِّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨٦﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨٧﴾ أَهْتَوْلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُمُومًا وَعَلَهُمُ الْكَيْدُ الدَّيْنِيَّةُ قَالِيزِمٌ نَسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِدِينَ يَبْجِدُونَ ﴿١٩٠﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ

ورحمته ! وزعم بعضهم أن المقصود بأصحاب الأعراف : الملائكة ؛ وأنهم يناقشون أهل النار بأمر ربهم ؛ وهو قول يتجافى مع الصواب والمنطق ؛ فقد عرفهم الله تعالى بقوله «رجال» ولا يطلق هذا التعريف على ملائكة الرحمن ! وهؤلاء الرجال (يعرفون كلا) من أصحاب الجنة وأصحاب النار (بسيماهم) بلامتهم ؛ فأهل الجنة يعرفون ببياض الوجه ونضرتة ، وبالنور الذى يسمى بين أيديهم وبأيمانهم ، وأهل النار يعرفون بسواد وجوههم ، وبالقفرة التى ترهقهم (ونادوا) أى نادى أصحاب الأعراف (أصحاب الجنة) فائلين لهم (سلام) عليكم لم يدخلوها) أى لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة بعد (وم يطمعون) فى دخولها (وإذا صرفت أبصارهم) أى إذا انجذبت أبصار أصحاب الأعراف (تلقاء أصحاب النار) دعوا الله تعالى فائلين =

== (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) في هذه النار (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) من أصحاب النار (يعرفونهم بديارهم) بهيئاتهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا ، ويكفرهم ويكرمهم (قالوا) لهم (ما أغنى عنكم) من النار (جعلكم) كثرتم واجتماعكم في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) عن الإيمان بالله ، وتعالون على مخلوقاته . ويشيرون إلى أهل الجنة ؛ فاثلين لأهل النار (أهلؤا الذين أقسمتم) في الدنيا أنهم (لا ينالهم الله برحمة) منه ، ولا يدخلهم جنه ؛ وما هو قد قيل لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل :

الجزء الثامن

١٨٦

يقال «ادخلوا الجنة» لأهل الأعراف (فاليوم ننسأهم) تتركهم في العذاب كالنفسين (كانسوا لقاء يومهم هذا) فلم يعملوا (وما كانوا بآياتنا) كتبنا التي أنزلناها على رسلنا (يمجدون) ينكرون ويكذبون (ولقد جئناهم بكتاب) هو القرآن الكريم (فصلناه) بيناه ؛ بالقصص والأخبار ، والوعد ، والوعيد ، وفصلنا فيه بين الحق والباطل (على علم) مناجيق ما بيناه ، وصحة ما فصلناه (هدى) لمن اتبعه (ورحمة) لمن تمسك به (هل ينظرون) ما ينتظرون (إلا تأويله) أى إلا أن يأتي ما وعدوا به في القرآن من البعث والحساب ، وما يستتبعه من العذاب ! (يوم يأتي تأويله) يوم القيامة ؛ وحينئذ (يقول الذين نسوه من قبل) أى نسوا الوعد والوعيد في الدنيا (قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد تحقق الآن ما أنفرونا به (أو نرد) إلى الدنيا (فنعمل) فيها من الصالحات (غير الذي كنا نفعل) من السيئات (قد خسروا أنفسهم) بأن ألفوا بها في الجحيم والعذاب الأليم (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يفكرون) أى ما كانوا يعبدونه من الأصنام (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعال المعبود عن الحدود ! (يقضي الليل النهار) أى يقطيه بظلامه (يطلبه حينئذ) سريعاً

إِلَّا تَأْوِيلُهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَقُلْنَا مِنْ
شَفَعَةٍ فَيَقْعُولُونَ أَوْ زُرِدْ فَعَمَلٌ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝
إِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَئِثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝
وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَهُوَ
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى
إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

آلَمَاءُ

(والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) سائرته بقدرته ، منظرات للكون بارادته ؛ كل منها يعمل في الحدود التي رسمها له خالقه (ألا له الخلق) جميعاً ؛ من ملك ، وإنسان ، وحن ، وحيوان ، ونبات ، وجاد (والأمر) كله له لا يشاركه فيه أحد من خلقه ! (تبارك) تعالي وتماظم (ادعوا ربكم) اعبدوه (تضرعاً) تذللاً واستكانة لطاعته (وخفية) بخشوع قلوبكم ، وصحة يقينكم ؛ لا مجاهرين بذلك ؛ بقصد المراءاة ؛ كشأن أهل النفاق ! ولقد كان من سبقنا من علية القوم ما من عمل يقدرود على أن يعملوه في السر ؛ فيكون علانية أبداً ، وكانوا لا يعملون في الجهر إلا ما قصد به وعظاغير إلى ما اتفقوا به ، وهديتهم إلى ما هتدوا ! أو أريد بالدعاء : السؤال والطلب ؛ وقد كانوا يجهدون في الدعاء ؛ فلا يسمع لهم صوت ==

٢٢ = إن كان فلا يكون إلا معاً بينهم وبين ربهم - هذا وقد ذكر الله عبداً صالحاً من عباده فرضى فعله ؛ فقال « إذ نادى ربه نداء خفياً » (إنه لا يجب المعتدين) المتجاوزين للحد في رفع الصوت بالدعاء ، أو المتجاوزين لحد الأدب في الدعاء ؛ كمن يطلب رتبة النبيين ، أو كمن يسأل مالا يجوز عقلاً ؛ ومن المعلوم أن إرادة الله تعالى لا تتعلق بمستحيل ؛ فلا يجوز أن يدعو إنسان ربه قائلاً: يارب اجعل هذا التهرلناً سائفاً ، أو عسلاً صافياً ؛ فهذا ولو أنه غير مستحيل على قدرة الله تعالى - فانه مستحيل عقلاً وعادة ؛ ومثل هذا الداعي سائر بدينه ،

مستهزئ به ! (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) أى لا تكفروا بعد إذ أمركم بالإيمان وأقام على وحدانيته الدليل والبرهان ، ولا تظلموا بعد إذ أمركم بالعدل ، وأبان لكم مغبة الظلم ، ولا تمصوا بعد إذ عرفكم جزاء الطائعين ، وعاقبة المتقين ؛ وجامع القول أن الله تعالى أراد بما أمر به ونهى عنه : إصلاح العباد والبلاد ؛ فمن ابتغى وراء ذلك : فقد بالغ في الفساد والإفساد ! (وادعوه خوفاً وطمعا) خوفاً من عذابه ، وطمعاً في رحمته ! (وهو الذى يرسل الرياح بشاراً) مبشرات (بين يدي) أمام (رحمته) المطر ؛ وسماء رحمة لأنه سبب في الرخاء والنصب والتماء ؛ وجميعها رحمة وأى رحمة ! (حتى إذا أقلت) حملت الرياح (سحباً ثقلاً) ممتلئاً ماءً (سقناه) أى سقنا السحاب بواسطة الرياح (لبلد ميت) جذب لانبثاق فيه (فأنزلنا به) أى بواسطة الرياح ، أو بالسحاب (الماء) فأخرجنا به (أى بالماء (من كل الثمرات) التى يحتاجها الإنسان (كذلك) أى مثل إحياء الأرض بالثمار والنبات ، وإخراجها للارزاق والأقوات ؛ بعد قحطها وموتها (نخرج الموتى) أحياء من قبورهم (لعلكم تذكرون) فتؤمنون بالآخرة والحساب والجزاء (والبلد الطيب) الذى طابت تربته ، وعذبت مشاربه

(يخرج نباتاً) ثمراته وخيرات (باذن ربه) بقدرته وحكمته ؛ وفى هذا إشارة إلى أن إخراج النبات والثمرات - ولو أن سببه صنع البشر رأى العين - لا يكون إلا باذن الحكيم العليم ، الخالق القادر ! (والذى خبت) أى والبلد الذى خبت تربته ، وأسنت مشاربه (لا يخرج) نباته (إلا نكداً) رديئاً مصاباً بالأمهات والآفات ؛ وهذا مشاهد في وقتنا الحاضر : إذ أصيب الثمار والنبات بسائر ضروب المعاطب ؛ وما ذاك إلا بجنابة الخلق على أنفسهم : بنسيانهم الأعز الأكرم ، المتفضل بسائر النعم ، وانصرافهم عن إلههم ومولاهم ! ويصح أن يكون ذلك مثلاً للمؤمن والكافر ؛ ويكون معنى قوله تعالى « والبلد الطيب » أى أهله ؛ وهو كقوله جل شأنه « واسأل القرية » أى أهلها « والبلد الطيب » الذى يعمل أهله بمجد واجتهاد =

سورة الأعراف

١٨٧

الْمَاءَ فَأَخْرِجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ
الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ
بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٢﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى
قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ قَالَ يَنْقُمُوا
لَيْسَ فِي ضَلَاتِي وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٨﴾ * وَإِلَى عَادٍ

في دينهم ودينهم «يخرج نباته» أي ثواب إحسانهم وإيمانهم كثيرا غزيرا «ياذن ربه» بتفضله وإحسانه ؛ وهو الجنة ، وأنعم بها من منة ! «والذي خبت» أي الذي خبت أهله ، وساءت أعمالهم ، وكفروا بربههم ؛ وركنوا إلى الكسل والخول «لا يخرج» نباته «إلا نكدأ» أي ثواب أعمالهم النار وبئس القرار! ويجوز أن يكون المراد بالبدن : الجسد . وطيبه : أكل الحلال ، والابتعاد عن كل ما هو حرام . ونباته : أعماله ؛ تخرج كلها حسنة ، مليئة بالطاعات ، موصلة إلى الجنات! والجسد الذي خبت بأكل الحرام ، وارتكاب

الجزء الثامن

١٨٨

الآثام ؛ لا يخرج عمله إلا سيئا ؛ موصلا إلى النار ، وغضب الجبار ! فكذلك بنو آدم : خلقوا من نفس واحدة - بل من طينة واحدة - فمنهم من آمن بالله وكتبه ورسله ؛ فطاب ! ومنهم من كفر بالله وكتبه ورسله غيث ! (انظر آية ١٧٢ من سورة البقرة) (كذلك) أي مثل هذه الأمثال التي تضر بها ، والآيات التي نسوقها (نصرف الآيات) نوحها وبنينها ، ونكررها (قال الملائكة) أي السادة والأشراف (فأجابه) والذين معه في الفلك (السفينة) (أنهم كانوا قوما عيين) أي عمن عن الحق (إنا لسناك في سفاهة) أي خفة عقل (وأعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) موعظة (تذكركم) (واذكروا إذ جعلكم خلفاء) في الأرض ؛ فملكونها ، وتنتقمون بغيراتها (من بعد قوم نوح) وقد أهلكهم الله تعالى بكفرهم وذنوبهم (وزادكم في الخلق بسطة) زيادة في الجسم والعزم (فاذكروا آلاء الله) أنفسه ! (ونذر) نذر وترك (ما كان بعد آتوانا) من الأصنام (فأتينا بما تعدنا) به من العذاب (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس) عذاب (وغضب أجدلون في أسماء سميتوها) يعني بها الأصنام التي يعبدونها ؛ كاللات ، والعزى ، ومناة ؛ وما شاكلها (ما نزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان (فاتظروا)

أَحْمَرُ هُوَذَا قَالِ يَقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧٣﴾
قَالِ يَقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٥﴾ أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قَاذِرُوا أَلَاءَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٧٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَعْدُنَا اللَّهِ وَحَدِّثْ
وَنَذِرْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتَّبِعْنَا بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ قَالِ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاتَّظَرُوا إِلَى مَعَكُمْ

الذي تستعجلون به (إني معكم من المنتظرين) له ؛ فترسل بهم العذاب ، وأوقع الله تعالى عليهم العقاب !

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٧٧﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾
 وَلَئِىَ نَعْلَمَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَبْقَرُوا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَلْ يَدَّ
 نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
 تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿١٧٩﴾ وَاذْكُرُوا
 إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ
 تُخَذِّلُونَ مِنْ شِجْرَتِهَا نُصُورًا وَتُخْتَنُونَ الْجِبَالَ يُبُورًا
 فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٠﴾
 قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
 لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءٍ مُؤْمِنُونَ ﴿١٨١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 إِنَّا بِاللَّذَى ءَامَنْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ﴿١٨٢﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا

(فأنجيناه) أى أنجيناه هوداً (والذين) آمنوا
 (معه برحمة منا) بأن حففناهم بلطفنا الحق ،
 وأنجيناهم من عذاب عيسى؛ لا ينزل إلا بأمرنا ،
 ولا يدفع إلا برحمتنا ١ (وقطعنا دابر الذين
 كذبوا بآياتنا) الدابر: الأصل؛ أى استأصلناهم
 فلم يبق منهم أحداً (ولكى نعلم أخاهم صالحاً)
 عبر تعالى بالأخ - فى مثل هذه المواضع - لأن
 كل نبي بعثه الله تعالى من قومه: زيادة فى تألفهم
 (قد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة
 (هذه ناقة الله) معجزته؛ أخرجها (لكم
 آية) علامة على صدق ووخدانيتها (فذروها)
 دعوها واتركوها (واذكروا إذ جعلكم خلفاء
 من بعد عاد وبوأكم) أسكنكم (فى الأرض
 تتخذون من سهولها) السهل: الأرض المستوية
 (فاذكروا آلاء الله) نعمه (ولا تشوا فى
 الأرض مفسدين) العنى: أشد الفساد (قال
 الملأ) السادة والأشراف (الذين استكبروا)
 عن الإيمان (للذين استضعفوا) وهم الذين
 آمنوا بصالح عليه السلام (قال الذين استكبروا)
 الكافرون (إنا بالذى آمنتم به كافرون) أى
 كفروا بأن صالحاً مرسل من ربه ، وأن
 الناقة آية منه تعالى (فعقروا الناقة) قتلوها

(وعتوا عن أمر ربهم) استكبروا عن طاعته (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أى متلبدين بالأرض باركين على الركبتين (فتولى عنهم) أعرض صالح عنهم (وقال) لقومه - بعد نزول العذاب بهم وموتهم - (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) التى

الجزء الثامن

١٩٠

كلفتى بإبلاغها لكم ، وأرسلنى بها لهدايتكم (ونصحت لكم) باتباعى والإيمان بالله تعالى وطاعته ؛ خشية أن ينزل بكم ما نزل ، ويحل بكم ما حل (ولكن لا تحبون الناصحين) فعصيتونى وكفرتم بربكم ؛ فحل بكم عذابه الموعود الذى استعجلتموه ، وبومه المشهود الذى عاينتموه ! وخطاب صالح عليه السلام لقومه بعد موتهم : تسجيل لأداء ما كلفه الله تعالى بأدائه ، وتسجيل لتكذيبهم وكفرهم ؛ ولا شك أنهم سامعون لقوله ؛ بدليل مخاطبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقتلى المشركين يوم بدر : «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً قبل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» وقال لمن حوله : «ما أنتم بأسمع منهم» (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) الكبيرة ؛ وقد كانوا يأتون الذكران (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان (لهم أناس يتطهرون) أى يتزهدون عما فقله من إتيان الرجال فى الأدبار .

هذا وفعله قوم لوط من أشنع الفواحش ، وأبشع الجرائم ؛ يأبأها أحط الحيوانات ، فإياك بأكرم مخلوقات ! (فأنجيناه وأهله) جميع من آمن به (إلا إسمراة كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطراً) عجيباً ؛ ليس كسائر المطر ، الذى يأتى

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اقْنِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذْتُمُ الرِّجَّةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ۝ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنْ كُنْتُمْ لِقَاؤُنَا رِجَالًا مَوْثُورًا مِنْ ذُنُوبِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۝ لَهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا ۝ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

ولا

بالثر ؛ بل أنزل عليهم من السماء نارا تستعر ! ليس بالمطر الذى يبعث الرخاء والرحمة ، والسعة والنعمة ؛ بل أمطرهم السماء نارا وأحجاراً ، وبعثت فيهم موتاً ودماراً ! ويقال «أمطر» فى العذاب ، و«مطر» فى الرحمة (فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين) ومآلهم ؟ إذ دمرناهم وأحرقناهم وأهلكناهم ! (وللى مدين أخاهم شعيباً) وهو صهر موسى عليهما السلام ؛ الذى زوجه إحدى ابنتيه وقال له «لا تخف نجوت من القوم الظالمين» (قد جاءكم بينة) حجة (من ربكم) تدل على صدق (فأوفوا الكيل والميزان) فى معاملتكم

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾
 وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوتَهَا عَوجًا وَادًّا كَرِهْنَا أَنْ تَكُنْتُمْ قَلِيلًا
 فَكَثُرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ
 وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
 خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٧﴾ * قَالَ الْأَعْلَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
 قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كَذَّابِينَ ﴿٥٨﴾
 قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
 نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
 أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ

(ولا تبخسوا) تنقصوا (ولا تقسدوا في الأرض) بالكفر والعصيان (بعد إصلاحها) يبعث الرسل ، وإنزال الكتب (ولا تقعدوا بكل صراط) طريق (توعدون) من التوعد؛ أى تهددون من آمن بشعب . والتوعد : التهديد . ويقال في الخير : وعد . وفي الشر : أوعد . قال الشاعر :

وإني إذا أوعدته ، أو وعدته

لخلف إيسادي ، ومنجز موعدي

(وتصدون) تمنعون الناس (عن سبيل الله) دينه القويم (وتبغونها) تريدونها (عوجا) معوجة ؛ غير مستقيمة ؛ لتمنعوا الناس عن سلوكها (قال الملأ) السادة والأشراف من قوم شعب (الذين استكبروا) عن الإيمان به (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن) جميعاً (في ملتنا) التي نحن عليها (قال أولو كنا كارهين) أى أئيدوننا في ملتكم ؛ ولو كنا كارهين لهذه الملة ، ساخطين عليها (قد افترينا) اختلقنا (على الله كذباً إن) آمنوا بغيره ، و (عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) بانيته وتوفيقه ، وهدايته إلى

معرفته ! (وما يكون) ما يجوز ، وما يحق (لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) أى إلا أن يكون قد سبق في علمه تعالى شقوتنا وإخراجنا عن الحق الذي أمرنا باتباعه (وسع ربنا كل شيء) كان ، أو هو كائن (علماً) كيف لا ؛ وهو جل شأنه خالق كل شيء ، وهو السميع العليم !

اللَّهُ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لِمَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا عَنِسْتُمْ لَسَوْ
فَتَكُونُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ ﴿٨١﴾ فَأَخَذْتُمُ الرِّجَّةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ ﴿٨٢﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ ﴿٨٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفِرُوا لَعَلَّ
أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ تَصَاحَبُ هَلْ يَكْفِيكُمْ هَاسِنِي
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٨٥﴾
لَمْ يَدْنُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
مَسَّ عَابَاءُنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ

كَذَّبُوا

(على الله توكلنا) ليهدينا سبلنا ! (انظر آية ٨١
من سورة النساء) (ربنا افتح) احكم (بيننا
وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين
(فأخذتهم الرجعة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا
في ديارهم جاثمين) متلبدين بالأرض ، باركين على
الركب ميتين (كان لم يغنوا فيها) كان لم
يقيموا فيها . والمغنى : المكنن (فتولى)
أعرض (عنهم وقال) لهم (يا قوم لقد أبلغتكم
رسالات ربي) التي أرسلني بها إليكم ؛
فكذبتموني (ونصحت لكم) فلم تستمعوا
لنصحي (فكيف آسى) أحزن (على قوم
كافرين) بذلت لهم سبل الهداية ؛ فازدادوا
غفورا وكفرا ، وأسدى لهم النصح ؛ فأبوا
إلا عتوا وعتادا (أخذنا أهلها) عاقبناهم
(بالبأساء) الفقر (والضراء) المرض (لعلهم
يضرعون) يتدلون (ثم بدلنا مكان السيئة)
أبدلناهم مكان الفقر والمرض (الحسنة) الغنى
والعافية (حتى عفوا) غفوا أموالهم ، وكثرت
أولادهم ؛ يقال : غفا الشعر والنبات : إذا
كثر . وقد عرف تعالى أنه أخذهم بالقدرة فلم
تجع ، وأخذهم باللين فلم ينفع (وقالوا قد مس
آبائنا الضراء والسراء) كما مسنا ؛ أرادوا

أن ينسبوا ذلك إلى الدهر ، وأن ما حاق بهم : حاق بمن كان قبلهم ؛ وهذا ضرب من ضروب الكفر !
(فأخذناهم) بالمداب (بغثة) غداة ؛ بعد أن بدلنا في إقناعهم كل الأسباب ؛ من نعمة وعذاب ، وإغناء
وإقتناء ، وصحة وإعلال ، ونوال ونكال ؛ فاستحقوا بذلك الإهلاك والاستئصال ! (ولو أن أهل القرى)
الذين كفروا بالله تعالى ، وجدوا أنفسهم ، وكذبوا رسله ؛ لو أنهم (آمنوا) بربههم (واقتوا) بطه
وعذابه (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) بالملح والنبات

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ أَفَلَمْ يَأْخُذْ
 أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٢﴾
 وَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
 يُلْعَبُونَ ﴿٣﴾ أَفَأَمْسُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
 الْفُقَرَاءُ الْمُنْتَسِرُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ
 الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥﴾ نَزَلَ الْفُرْقَانُ نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
 كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ
 عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتَقِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
 بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَلُوا بِهَا
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

(ولكن كذبوا فأخذناهم) بالعذاب (أفمن
 أهل القرى أن يأتيهم بأسنا) عذابنا وانتقامنا
 (بيانا) ليلا (ضحى) نهارا (أفأمسوا مكر الله)
 مكره بهم : أخذه إياهم من حيث لا يشعرون
 (أولم يهد) أو لم يبين (أن لو نشاء أصبناهم
 بذنوبهم) أهلكناهم بسببها (ونطبع على قلوبهم)
 نقطى عليها (فهم لا يسمعون) النصح ؛ وذلك
 عقوبة لهم على انصرافهم عن آيات ربهم ؛ وعدم
 اعتبارهم بما امتحنهم به من تعذيب ، وامتنحه
 لهم من نعم ! (تلك القرى) التي ذكرناها ،
 وذكرنا أنباءها ، ومن أرسل إليها ؛
 والمقصود بالقرى : أصحابها وساكنيها ؛ وهم
 قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب
 (نقص عليك من أنبائها) أخبارها ما ثبت به
 فؤادك ؛ وليتعض بذلك قومك ، وليعلموا أنهم
 إن بقوا على كفرهم ؛ فيسكون حلهم مثل
 حلهم «أو لم يهد للذين يرتون الأرض من
 بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» (ولقد
 جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات
 (فما كانوا ليؤمنوا) بالرسول ولا بالمعجزات
 (بما كذبوا من قبل) أي بما كذب به
 آبائهم وأسلافهم ، أو «بما كذبوا» به

«من قبل» إتيان الرسل إليهم ؛ أي إنهم ظلوا بكفرهم متمسكين ، وعلى تكذيبهم ثابتين . وقيل : «فما كانوا
 ليؤمنوا» إذا ردوا بعد الموت «بما كذبوا من قبل» قال تعالى «ولورددوا لعادوا لسانها عنه» (كذلك)
 مثل ذلك الطبع الذي طبعه الله تعالى على قلوب الكافرين والمكذبين (يطبع الله) يحتم ويقطى (على قلوب
 الكافرين) لأنهم كفروا ابتداء ، وأصروا على الكفر انتهاء ، وأصدوا آذانهم عن الاستماع إلى النصح ،
 وأغلقوا قلوبهم بأقوال من الغفلة والناد ؛ فحق عليهم غضب ربهم ، وتخليه عن هدايتهم ! ولا يخفى أن
 كفرهم سابق على تغطية الله تعالى قلوبهم ؛ وأن طبع الحكم العدل على قلوبهم ؛ كان عقوبة على عنادهم وتمسكهم
 بكفرهم ! (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أي ليس لهم وفاء ولا أمانة (فظلموا بها) فكفروا بها .

يُنْفِرْعُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ حَقِيقٌ عَلَى
أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١١﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
هِيَ بِضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
فَإِذَا تَأَمَّرُونَ ﴿١١٦﴾ فَلَوْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
خَبِيرِينَ ﴿١١٧﴾ يَا تَوَكَّلْ عَلَى سَيِّدِ عَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا بِمُوسَى إِذَا
أَنْ تُلْقَى وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ أَلْقُوا
فَلَمَّا أَلْقَوْا حَصَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَمْتَرَهُمْ وَجَاءَ رُ

(حقيق) جدير (قد جئكم ببينة) بمعجزة
ظاهرة (قال) فرعون (إن كنت جئت بآية)
معجزة (فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين) بين
واضح ؛ لا لبس فيه ولا لبهام ، ولا تمويه
ولا خداع (ونزع يده) أخرجها من جيبه
(فإذا هي بضاء للنظرين) مشرقة كاشراق
الشمس ، ولم يكن بياضاً معتاداً ، كيباض
البرص ؛ وإلا لم تكن معجزة (قالوا أرجه
وأخاه) أى أخرهما (وأرسل في المدائن
خابرين) راجعين (وجاء السحرة) الذين
جمعهم رسل فرعون من المدائن (قالوا يا موسى
إما أن تلقى) بسحرك أولاً (قال) موسى
(ألقوا) أنتم بسحركم أولاً (فلما ألقوا)
بسحرم (سحروا أعين الناس) يؤخذ من
هذا أن السحر إن هو إلا تمويه على العقول ؛
وخدع للأبصار ؛ وليس نقلاً للأشياء عن
حقيقتها وطبيعتها ؛ كشأن المعجزة التي تسندها
قوة الخالق الأعظم تبارك وتعالى ؛ وذلك لأن
الساحر لو أحال طبيعة الأشياء ؛ لكان ما يأتي
به معجزة أو هو كالمعجزة التي يأتي بها الأنبياء
عليهم السلام ، وكان لافرق بينه وبين النبي ؛
ولفام المذنب لمن اتخذ به (واستمرههم) بمن
الرهبة ؛ أى أخافهم وأزعجهم

(وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف) تناول بسرعة ؛ والمعنى أنها تتبلع (ما يأفكون) ما يكذبون ؛ أي ما يجهلون به على أعين الناس من سحرهم ؛ والإفك : أسوأ الكذب (فوقع الحق) الذي أرادته الله تعالى ، وانتصر رسول رب العالمين ، على رسول إبليس اللعين ! ولقفت عصا موسى حبال السحرة وعصيمهم ، وظهر أمر الله تعالى ، وعلت كلمته ، وانهار صرح الكفر ودالت دولته !

(فقلبو) أي غلب فرعون وقومه (هناك) (واقلبو) رجعوا (صاغرين) ذليلين مقهورين ! ولما بان للسحرة شأن موسى ، وأحسوا بما أبداه وأظهره ، وعلموا أن ذلك ليس من جنس السحر الذي يخدعون أعين الناس به ؛ وأنه يستعين فيها بآتيه بقدرة خارقة لطائع الأشياء ، ويستمد بقوة إلهية محسوسة ؛ ولو أنها غير منظورة ! حينئذ علموا أنه يدعو إلى الحق ، وأن فرعون يدعو إلى الباطل ؛ وخروا سجداً لله ، و(قالوا آمنا) برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم) استفهام ؛ أي آمنتم (به قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إن هذا لكم مكرهم) وهو إظهار الإيمان بموسى ؛ ليؤمن به باقي الناس (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) راجعون (وما تقم منا) أي وما تعاقبنا ؛ يقال تقم منه : إذا عاقبه (إلا أن آمنا بآيات ربنا) الدالة عليه ؛ وهي ما رأينا من معجزات طاهرات (ربنا أفرغ علينا صبراً) هب لنا من ذلك صبراً واسعاً ، وأكثره علينا حتى يفيض ويغمرنا (وقال الملا من قوم فرعون آمنوا) أترك (موسى وقومه) ممن آمن به من بني إسرائيل (ليفسدوا في الأرض وينذرك) يدعوك وينذرك

(والهتك) قيل : كان امدوا الله تعالى بقرعة يعيدها ؛ وقد قرأ مجاهد وابن عباس «والاهتك» وكان القائلون لذلك خاصة فرعون وبطائه ؛ وهكذا شأن بطانة السوء في كل زمان ومكان : تدس للعالمين المصلحين ؛ عند السلوك الجاهلين المستبدين ؛ وتفهمهم أن في بقاء أمثال هؤلاء خطراً على عروشهم ؛ وهكذا أيضاً شأن الحق من الملوك والرؤساء : يحيطون ملكهم وجبروتهم بسياج من السطوة والبطش ؛ لتتوفر لهم بذلك أسباب الاستقرار والانتقاد ! ولذا كان جواب فرعون على تحريض ملئه له (قال سنقتل أبناءهم ونستحي

بِسْمِ عَظِيمٍ ﴿١﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا أَهْوَتْ تَلَفَّتْ مَا بِأَفْكَوْنَ ﴿٢﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ فقلُّبُوا هَٰنَا لِكَ وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿٤﴾ وَالَّذِي السَّحَرَةُ سَٰحِرِينَ ﴿٥﴾ قَالُوا ءَآمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٧﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَآمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَآذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَكُم مَّكْرُومَةٌ ﴿٨﴾ فِي الْمَدِينَةِ لَخُفْرُ جُؤَامِنَهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَقْلَبُونَ ﴿٩﴾ لَا قِطْمَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ ثُمَّ لَا مَلِيَّةَ لَكُمْ أَتَمَعِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١١﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّآ أَنْ ءَآمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونَ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَءَٰلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي

نساءم ولما فوقهم قاهرون) عالون بالقدرة ، والكثرة ، والغلبة ، والقهر . وهذا هو شأن المستبد الظالم العاشم المبطل ؛ الذي لا يعتمد إلا على ظلمه وقوته وقسوته ! أما الذي ينشد العدل ، ويرغب في الحق ؛ ويسعى إلى الإصلاح ؛ فهو إذا غلب على أمره : لجأ إلى مولاة يستهده ويستعينه ويسترضه ؛ لذا (قال موسى لقومه استعينوا بالله) على أعدائكم (واصبروا) على أذام ؛ فانه معكم ، وهو ناصركم ! (إن الأرض لله يورثها) يملكها (من يشاء من عباده) الأحياء (والعاقبة) النهاية الحسنة المحمودة (للمتقين) الذين يخشون ربهم ،

الجزء التاسع

١٩٦

ومخافون سوء الحساب ! (قالوا) أى قال بنو إسرائيل - أصحاب موسى - حين سمعوا عقابته : لقد (أوذينا من قبل أن تأتينا) بقتل الأبناء ، واستحياء النساء (ومن بعد ما جئتنا) بإيذاء فرعون لنا ، ووعيده وتهديده (قال) موسى لقومه (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) فرعون وملئه (ويستخلفكم في الأرض) مكانهم (فينظر كيف تعملون) اتعنون هذه الخلافة ، أم تكونون - كن سبقكم - من المفسدين ؟! وقد أهلك الله تعالى عدوهم ، واستخلفهم في الأرض كما وعدم ؛ فكانوا أضل من فرعون وأظنى ، وكانوا من أسوأ الأمم فساداً وإنساداً ؛ لنعم الله تعالى ! (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالقطط ؛ يقال : أسنت القوم ؛ بمعنى أخطوا (فاذا جاءتهم الحسنة) الحصب والغني (قالوا لنا هذه) أى نستحقها بصلتنا وعلمنا ؛ ولم يشكروا الله تعالى عليها (وان تصبهم سيئة) قطط وبلاء (يطيروا) يتشاءموا (بموسى ومن معه) زاعمين أنهم سبب الشؤم الواقع بهم (ألا إنما طأرهم عند الله) أى إنما سبب شؤمهم عند الله ؛ وهو عملهم الذي يعملونه ، والذي استوجبوا عليه ما أسوء طيرة وشؤماً ! هذا والتطير والتشاؤم من العادات التي ذمها القرآن الكريم ، ونهى عنها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه :

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٩٦﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٧﴾ قَالُوا أُرِزْنَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٩٨﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الْأَمْثَرِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْفِرُوا يَمْيُومُونَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا مَلَأَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَقَالُوا هُمَا تَأْتِيَانِيهِ مِنْ آيَةٍ لِّنَسْحَرَنَّهُمَا قَالُوا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ؕ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٢٠٢﴾ وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ قَالُوا

«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» «إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا» وقال أيضاً صلى الله تعالى عليه وسلم : «من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا لاله غيرك» لقد تشاءم الكافرون من أنبيائهم ، في حين أن الشؤم هم سببه ومصدره ؛ فقد تشاءم قوم موسى بموسى ، وتشاءم قوم صالح بصالح «قالوا اطيرنا بك وعين معك» وفي شتى المصور تشاءم الكافرون بالرسلين وبالؤمنين «قالوا إنما تطيرنا بكم» هذا وقد جرى بعض المسلمين على نهج هؤلاء الكافرين ؛ فتشاءموا من الأوقات ، ومن الأيام ، ومن الأشخاص ؛ وهي عادة مرذولة يأبأها الإسلام . وبعض على نهجها ومنعها ؛ ولا يقبلها دين سماوى ، ولا عقل راجع ؛ ومن عجب أنهم يستدلون ببعض آيات =

قَالُوا يَمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ
عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١﴾
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ لِمَا أَجَلَ لَهُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ
يَنْكُثُونَ ﴿٢﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِنَا
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٣﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا آلِي
بَرْكَاءَ فِيهَا وَثَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ
بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٤﴾ وَجَنَزْنَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَى قَوْمِهِ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى
اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ هَذَا لَوْمَنْهَرٌ مَأْمُومٌ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ قَالَ أَغْبِرْ اللَّهُ أَبْيَكُ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكَ عَلَى

الكتاب الكريم على ما يزعموه ؛ ويوردون قوله تعالى « في يوم نحس مستمر ، في أيام نحسات ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » ولا ندرى أى يوم من هذه الأيام الثمانية يختصه بالنحس دون الآخر - وقد شملت الآية الكريمة كل أيام الأسبوع ولياليه - فإن لنا من ذلك : أن النحس متعلق بذات الأشخاص الواقع عليهم النحس ؛ وذلك بسبب شؤم معاصيهم ، وبعدهم عن مرضات ربهم ! ولم يخلق الله تعالى الأيام نحساً كلها ، أو سعادة كلها ؛ فبعضها نحس على أناس ، سعد على آخرين ؛ ورب لإنسان تصور نحسه في يوم من الأيام ، فصار هذا

اليوم مصدر سعادة لا لا يترقبها ولا يتوهمها ! ونخرج من هذا البحث بنتيجة واحدة لا ثانی لها : هي أن « من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » فسييسره ربه لليسرى ؛ وأيامه كلها هناء ، ولياليه كلها سعادة ؛ غير ما أعدّه الله تعالى له من خير عظيم ، ونعيم مقيم ! أما « من يخل واستغنى ، وكذب بالحسنى » فسييسره ربه للعرسى ؛ وأيامه نحسات ، ولياليه مدلهات ؛ غير ما أعدّه له ربه من جحيم ، وعذاب أليم ! (فأرسلنا عليهم الطوفان) كل مطاف وغلب ؛ من مطر ، أو مرض ، ونحوها : فهو طوفان . ومنه قوله تعالى « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » ورد : انه الموت المتتابع الذريع ؛ ولعله الطاعون . وقيل : هو طوفان من الماء ؛ أحاط بهم ، ودخل منازلهم ، وعلا حتى وصل إلى حلوقهم سبعة أيام (والجراد) سلطه الله تعالى عليهم ؛ فلم يدع لهم طعاماً يأكلونه (والقمل) وهو السوس الذى يأكل الخنطة فلا يدع إلا قشرها ؛ أفنى الجراد ما زرع ليؤكل ، وأباد السوس ما أعد للأكل ، وقيل : « القمل » صفار الجراد ؛ الذى لا أجنحة له ، أو هو قمل الرأس المعروف (والضفادع) امتلأت الدنيا بها من حولهم ؛ حتى ان الرجل ليفتح فمه

ليتكلم ؛ فتنب واحدة منه فتدخل في فيه (والدم) قيل : صارت مياههم دماً . وقيل : هو الرعاف . وقد أرسل الله تعالى عليهم هذه الآفات (آيات) عظات (مفصلات) ظاهرات ؛ لا يخفى على عاقل أنها من عند الله . أو « مفصلات » بمعنى متفرقات (فاستكبروا) عن الإيمان ، ولم يجيبوا داعى الرحمن (ولما وقع عليهم الرجز) العذاب المذكور . وقيل : هو عذاب آخر عذبوا به بعد إذ لم يؤمنوا بما مر من الآيات ؛ وهو الطاعون (قالوا ياموسى اذع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما اختصك به من إجابة الدعاء ، وقبول الرجاء ؛ و (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بنى إسرائيل) تذهب بهم حيث تشاء (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالوه) وهو انتهاء أعمارهم بالعرى (إذا هم ينكثون) ينقضون وعدهم وتوبتهم =

== (فاتقننا منهم فأغرقتهم في اليم) في البحر الذي لا يدرك قمره (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) وم بنو إسرائيل ؛ رفعهم من حضض الدل ، إلى أوج العز ! (وما كانوا يعرشون) يبنون (فاتوا على قوم يعكفون) يقبلون مواظبين (على) عبادة (أصنام لهم قالوا) أي قال بنو إسرائيل لموسى (ياموسى اجعل لنا إلهاً) نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها (قال لأنكم قوم تجهلون) عبأً لبني إسرائيل : رأوا ما حل بفرعون وقومه جزاء كفرهم بالله وذاقوا حلاوة نصرهم على عدوهم - جزاء لإيمانهم - وحينما يرون أناساً يعبدون الأصنام يقولون : كيف يكون لهم آلهة ولا يكون لنا إلهاً نعبده كما يعبدون ؟ ونسوا أنهم الله تعالى عليهم ! (لأن هؤلاء) الذين تروهم يعبدون الأصنام (متبر مأم فيه) أي إن مأم فيه هلاك وخسران . و«متبر» مدمر مكسر (قال أغير الله) الذي خلقكم ، واصطفاكم ، وأهلك عدوكم وأنجاكم ؛ أغيره (أيضكم) أبهى لكم (إلهاً) معبوداً (وهو فضلكم على العالمين) فكيف تبتغون غيره ، وتطلبون معبوداً سواه ؟ وتقولون «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» ؟ (و) اذكروا يا بني إسرائيل (إذ أنجيناكم من آل فرعون) الخطاب موجه لليهود الوجوديين في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ أي اذكروا إذ أنجينا آبائكم وأسلافكم ؛ أو هو تذكير لنته تعالى على بني إسرائيل (يسومونكم) يذيقونكم (سوء العذاب) أشدهم وأسوأه (ويستحيون نساءكم) يستقبحونهن أحياء ، أو يفعلون بهن ما يخل بالحياء (وفي ذلكم) العذاب والقتيل (بلاء) ابتلاء وعنة ، أو «وفي ذلكم» العذاب نعمة لكم ؛ لأن سنته تعالى جرت على رفع درجات من ابتلى ، وإعلاء شأن من امتحن (وواعدنا موسى) بالناجاة (ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر) فتكون أربعين ؛ صامها موسى استعداداً لهذا اللقاء ، وتأهباً للثاني أوامر الله تعالى ! (ثم

١٩٨

الجزء التاسع

الْعَالَمِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُكَ وَمُسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ ﴿١٩٩﴾ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى فَلَتَيْنِ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَرَسٍ مِثْقَلِ رِيَّةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠١﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ارْجِعْ أُنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْتِنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَتُّنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَرَمَى مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٢﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي نَحْنُ مَا أَتَيْنَكَ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠٣﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْعِظَةً

مِيقَاتِ رَبِّهِ) ماوقعه له من الوقت (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) أي كن خليفتي فيهم ، وراعياً لهم (ولما جاء موسى لمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (قال رب أرني) فكش (انظر إليك) أي لأنظر إليك وأراك (فلما تجلَّى ربُّه للجبل) تجلَّى أمره بأن جعل الجبل لا يستقر ، وتجلت قدرته بأن (جعله دكاً) أي مذكوكاً ؛ وليس معنى التجلَّى : ظهور المولى - جل وعلا - للجبل ، أو إبداء نوره ؛ كما ذهب إليه أكثر المفسرين ؛ والذي حصل : أن الجبل تزلزل واهتز ، وانهارت أركانه ، وتصدع بنيانه ، ومادت أحجاره ، وتساقتط صخوره (وخر موسى صعقاً) مصعوقاً ؛ منشياً عليه من هول ما رأى ! (فلما أفاق) من غشيته ، أنجه بكليته و«(قال سبحانه)» ربِّي ؛ تقدست عن الرؤية ، وتعاليت عن الوصف ! ==

= (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ثبت إليك) من قولي «رب أرني أنظر إليك» (وأنا أول المؤمنين) بظلمتك ، الصديق بعلوك وتزيهك ! قبل الله تعالى توبته ؛ و (قال) له معدداً أفضاله عليه (ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) اصطفيتك : اخترتك (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (نخذ ما آتيناك) من التوراة ، وبلغنا لقومك (وكن من الشاكرين) لى على هذا الاصطفاء (وكتبنا له فى الألواح) وذلك لأن التوراة كانت تنزل على موسى مكتوبة فى الألواح ، أو كان يكتبها - بأمر

ربه - فى الألواح ؛ ولا حاجة بنا لى أن نخوض فى صفة هذه الألواح ؛ وهل كانت من ياقوت ، أو زبرجد ، أو زمرد ، أو من سدر الجنة ؛ مما خاض فيه أكثر الفسرين ، وأطنبوا فى وصفه ؛ حيث لا حاجة بنا لى ذلك (من كل شىء) من التنبيه لى وجود الله تعالى والتذكير بظلمته ! (موعظة) لهم (وتفصيلاً) تبيناً (لكل شىء) يحتاجون لىه لمعاشهم ومعادهم (نخذها بقوة) يجد وعزم واجتهاد (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) وذلك لأن فى التوراة : الحسن والأحسن ؛ كالاقتصاص والعفو ؛ فإن العفو خير من القصاص ، وكناب الأوامر واجتناب النواهى ؛ فإن اتباع الأوامر خير من اجتناب النواهى (سأريكم دار الفاسقين) أى سأريكم ما حل بفرعون وقومه من عذاب وتشريد ، وأورثكم أرضهم وديارهم ؛ والمراد بدار الفاسقين : مصر (سأصرف عن آياتى) دلائل قدرتى وعظمتى (الذين يتكبرون فى الأرض) فلا يؤمنون بى ، ولا يصدقون رسلى (وإن يروا كل آية) دالة على وحدانيتى (لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً) طريق الهدى والصلاح (لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل النى) طريق الفساد والضلال (يتخذوه سبيلاً) طريقاً لهم يتمسكون به ، ويسيرون

فيه (ذلك) الصرف عن الآيات ، والوقوع فى الضلالات (بأنهم) بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) بعد ظهورها ووضوحها ؛ فاستحقوا بذلك الصرف عما ينجى ، والوقوع فيما يردى ! (والذين كذبوا بآياتنا) فلم يؤمنوا بها ؛ واتخذوا لقدرة الله تعالى وآياته أسبأباً ؛ كقولهم : إن الطر بالنوء ، وإن الزلازل من تفاعلات أرضية ، وإن البراكين ترجع إلى أسباب طبيعية ؛ كتشرب ماء البحار وتخرجه من الحرارة ومحاولة الخروج ، وإن الأرض والكواكب تدور فى أفلاكها بقوى مغناطيسية ، ودوافع جاذبية ، وإن الأرض كانت قطعة من الشمس فزالت منها ، وافصلت عنها ؛ وهم بهذه التعلات والأسباب يحاولون أن يسندوا كل كائن إلى أسباب طبيعية ؛ يدفع بعضها بعضاً بغير حاجة إلى موجد أو إلى صانع ؛ ناسين الخالق الرازق ، القادر =

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَنَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَك
بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٤﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِنَا الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخَذُوهُ
سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٦٥﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَسِطَتْ أَعْمَلُهُمْ
مَلَّ يَجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّمْ هَمَلًا جَسَداً لَهُ خَوَارُ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ
لَا يَبْغُلُهُمْ وَلَا يَنبَغِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٦٧﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَوَأْتَا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦٨﴾
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

= القاهر ، العظيم الجبار ؛ فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! سبحانه « له الخلق والأمر » وهؤلاء المكذبن : كذبوا بآيات الله تعالى (ولقاء الآخرة) وهى القيامة ، والبث ، والحساب ، والجزاء (حطت) بطلت (أعمالهم) التى عملوها فى الدنيا ؛ فلا يقام لها وزن ؛ فكف من عالم : ملاً علمه طباق الأرض ؛ وسارت مخترعاته فى طولها والعرض ؛ وهو من أهل النار : لكفره بالله ، وإيمانه بالقوى التى أوجدها الله بقدرته ومشيئته ! وكف من جاهل : صفت نيته ، وحسنت عبادته ؛ وآمن بمولاه ؛

الجزء التاسع

٢٠٠

فكان من أهل النجاة ! (هل يجوزون) أى

هل يجوزى هؤلاء المكذبون الفاطنون ؛ يوم

القيامة من العذاب (إلا ما كانوا يعملون)

أى إلا جزء ما عملوا فى الدنيا (واتخذ قوم

موسى من بعده) أى بعد ذهابه لميقات ربه

(من حلبيهم) أى مما يتحلون به من الذهب

والفضة (عجلاً جسداً) أى عجلاً جسماً

(له خوار) له صوت ؛ والحوار : صوت

البقر ؛ وقد كان إبليس اللعين يدخل فى

جسد العجل ، ويحور كما يحور . وقيل :

صنعه بحيث إذا تعرض للهواء : خرج منه

صوت يشبه خوار العجل (اتخذوه) عبوده

(ولما سقط فى أيديهم) هو كناية عن

اشتداد الحسرة والندامة (ولما رجع موسى)

من ميقات ربه (إلى قومه) بعد أن تلقى أمر

ربه ووجه (غضباً أسفاً) مما رآهم عليه

من الانصراف عن عبادة الله تعالى ؛

- الخالق الرازق ، الضار النافع ، السميع العليم -

إلى عباد صنم أخرس ؛ لا يخلق ولا يرزق ،

ولا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع !

(أعجلم أمر ربكم) تعجلتم سخطه وغضبه

وعذابه ! (وألقي الألواح) التى فى يده ،

وفيهما التوراة ، التى تلقاها عن ربه ليلفها

لهم ؛ وذلك ليتفرغ للنضال مع أخيه هرون ؛

الذى استخلفه عليهم ؛ وقد توهم أن هرون

خَفَعْتُمُونِ مِنْ بَعْدِي ^{١٢١} أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقُوا ^{١٢٢} الْأَلْوَحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ آمَنْتُ أَنْ الْقَوْمَ
اسْتَضْعَفُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^{١٢٣} قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ^{١٢٤}
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ^{١٢٥}
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أَنْ
رَبَّهُمْ مِنْ بَعْدِهَا فَغُفِرَ لَهُمْ ^{١٢٦} وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ بِهِدْيُونَ ^{١٢٧} وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ
سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِصْرَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلِأَنِّي أَتْلُو كِتَابَكَ

السَّهَاءُ

لم يقم بما استخلفه عليه ، وأهل فى اتباع أوامره (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) فهال ذلك هرون ؛ ونغشى على نفسه من أخيه موسى ، ورأى وضوح عنبر موسى فى هذا الاعتداء - رغم أن هرون كان مضطراً ومغلوباً على أمره - (قال) هرون لموسى معتذراً (إبن أم إن القوم استضعفوني) بعد ذهابك (وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) بما تفعله الآن ممي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى لا تجعلني - بمذاتك لي - فى مصاف الكافرين ! ويؤخذ من هذه الآية أن حالة الغضب لا يصح أن تقاوم بالشدة ؛ بل باللين ، خصوصاً بين متعابين ! فانظر كيف أن هرون عليه السلام حينما قابل غضب أخيه وبأسه بليته وهدوئه : سكن موسى وطلب لنفسه ولأخيه الغفران (قال رب اغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك) =

== التي وسعت كل شيء (إن الذين اتخذوا) عبدوا (العجل) وهم اليهود (سينالهم غضب من ربهم وفلة في الحياة الدنيا) غير ما أعد لهم في الآخرة من عذاب أليم مقيم ! (ولما سكت عن موسى الغضب) أي سكن ؛ وبه قرأ معاوية بن قرة . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن موسى عليه السلام كان من أشد الناس غضباً ، وأنه من شدة غضبه صك ملك الموت فقفاً عينه . وهي فرية إسرائيلية ؛ نفوذ بالله من الوقوع فيها ! (أخذ الألواح وفي نسختها) أي فيها نسخ فيها وكتب (هدى) من الله (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون بطشه وعقابه (واختار موسى قومه) أي من قومه (ليقاتنا) أي للوقت الذي ضربناه له لئلا ياتنا بهم ليعتذروا عن عبادة العجل ، ويستغفروا مما جنت أيديهم ! (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزة الشديدة ؛ وذلك لأنهم لم يفارقوا قومهم - حين عبدوا العجل - ولم ينهروهم على عبادته ؛ وهم غير الذين سألوهم الرؤية ، وأخذتهم الصاعقة ! (إن هي إلا فتنتك) محنتك وابتلاؤك ؛ حين كلمني وسمعوا كلامك ، فطمعوا في رؤيتك . أخذها موسى عليه السلام من قوله تعالى «فانا قد فتنا قومك من بعدك» وقد فتنتهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا ، وزاغوا وأزاغوا «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» (إنا هدنا إليك) أي تبنا ورجعنا (قال عدنان أصيب به من أشياء) قرأ الحسن «من أساء» من الإساءة (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتوا الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) انظر كيف قيد الرحمة التي وسعت كل شيء بتقوى الله ، وإيتاء الزكاة ! فاعلم أيها المؤمن أن أمامك طريقين ؛ أيهما سلكت جوزيت من جنس عملك : فإما أن تشج بمالك وتفصح برحمة الرحيم الرحمن ؛ الذي يطعم في رحمة كل إنسان ، وإما أن تؤدي ما فرضه الله تعالى عليك من الزكاة ؛ فتسلك رحمة ، وتشملك مغفرته ! (انظر آية ١٤١ من سورة الأنعام) (الذين يتقون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

الْمُفْهَمَةَ مِمَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ * وَاصْنَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلَيْكُ قَالَ عَدَانِ أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْغُلَبَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٤٣﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤٤﴾ فَلْيَتَّخِذُوا النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ أَلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وتشملك مغفرته ! (انظر آية ١٤١ من سورة الأنعام) (الذين يتقون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) جاء في الإنجيل برنابا - على لسان عيسى عليه السلام - ما نصه : «إن كلامي لا يعزني ؛ لأنه يأتي ظلام حيث ترجو النور ، ولكن تعزني هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن مما يعزني أن لانهائية دينه ؛ لأن الله سيحفظه صححاً ! حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم» اصحاب ٩٧ (ويحل لهم الطيبات) وهو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم - في الجاهلية - من البجائر والسوائب والوصائل والحوامى (ويحرم عليهم الخبائث) كلهم الخنزير والميتة ==

والدم ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله تعالى (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أى يضع عنهم القيود والتشديد الذي كان على بني إسرائيل ؛ بسبب أعمال عملوها ، وذنوب ارتكبوها (فالذين آمنوا به) أى يعتمد عليه الصلاة والسلام (وعزّروه) عظموه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو القرآن العظيم ؛ وأكرم به من نور !

الجزء التاسع

وَالْأَرْضُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ وَالْحَقُّ
وِجْهَهُ يَعْبُدُونَهُ ﴿٢٦﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَابًا
أُمًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ
بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عِوًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴿٢٧﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَآتَيْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالْمُنَّى فَمَا يُلَاقُونَكَ إِلَّا بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ
وَمَا يَذْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قِيلَ
لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ مُغْتَابًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
مَنْزِلَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ السَّمَاءِ

كل سبط (مشرهم). العين الخاصة بشريهم (وأزلنا عايمهم المن) وهو كل مامن الله تعالى به على عباده؛ من غير تعب ولا نصب (والسوى) كل مايتسلى به. وقيل: طائر، ويطلق أيضا على العسل (كلوا من طيات مارزقناكم) أى من الرزق السهل، الحلال الطيب المباح. (انظر آيتى ١٧٢ من سورة البقرة. و ٥٨ من هذه السورة) (ولاذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وقولوا حطة) أى أمرنا حطة. ومى بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة (وادخلوا الباب) أى باب القرية (سجداً) مطأطين الرؤس، خاضعين لله الذى تفضل عليكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم) فلم يقولوا «حطة» بل قالوا: حطة فى شعيرة. ولم يسجدوا؛ بل زفخوا على أستاههم؛ ولم يقصدوا من وراء ذلك سوى المخالفة (فأرسلنا عليهم رجراً) عذاباً

بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٢٠١﴾ وَسَأَلْتَهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكَاَ وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كُنْذَلِكُ
نَبَلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ
لِمَ نَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهَكِّمُهُمْ أَوْ مَعْدِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٠٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠٤﴾ فَلَمَّا
صَوَّرْنَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٠٥﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يُسَوِّمُهُمُ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَلَقَدْ لَغَوْرَ رَحِيمٍ ﴿٢٠٦﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا
مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ

(واسألهم من القرية التي كانت حاضرة البحر) أى قرية منه ، رابكة لطاقته «ميناء» قيل : هى أبلة ؛ بين مدين والطور ، وقيل : هى ساحل مدين (إذ يعدون) يتعدون ويتجاوزون حدود الله تعالى (في السبت) في يوم السبت - وهو يومهم العظيم في ديانتهم - وقد أمروا بعدم العمل فيه (إذ تأتيهم حثانهم يوم سبتهم شرعاً) ظاهرة على وجه الماء ؛ فتنه لهم وابتلاء ؛ وإن الله تعالى ليلتلي المؤمنين ليزداد أجراً بصره ، ويلتلي الكافر ليزداد عذاباً بكفره (كذلك) أى إتيان الحيتان وظهورها على وجه الماء في يوم السبت ؛ الذى حرم فيه الصيد ، وعدم إتيانها في الأيام الأخرى التى أبيع فيها ؛ كذلك (نبأهم) نشد عليهم البلاء والاختبار والامتحان (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم ، وتركهم لأمر ربهم (وإذ قالت أمة) طائفة (منهم) من بنى إسرائيل ؛ لطائفة أخرى كانت تعظ الذين اعتدوا في السبت ، وتقول لهم : احذروا مخالفة ربكم ، والزموا أوامره . فقالت الطائفة الضالة لهذه الطائفة الأمرة بالمعروف (لم تعظون قوماً الله مهلكهم) في الدنيا بأعمالهم (أو معذبهم) يوم القيامة (عذاباً شديداً قالوا) إنما نهيهم (معذرة إلى ربكم) أى تعظم ليكون ذلك عذراً لنا عند ربنا ؛ إذ قننا بما يجب علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولعلمهم يتقون) بسبب وعظنا لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) وتركوه واستمروا الكفر والمخالفة (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهى الطائفة التى كانت تعظم وتنهائم (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) شديد البؤس (بما كانوا يفسقون) أى بخروجهم من طاعة الله تعالى إلى معصيته (فلما عتوا) تكبروا (عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة) أى كالقردة في المهانة أو «قردة» على الحقيقة (خاسئين) صاغرين مطرودين (وإذ تأذن ربك) أى أقسم وأعلم (ليبعثن عليهم) أى على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم) يقال : سامه خسفاً : إذا أولاه ذلاً (سوء العذاب) بالقتل ، والأسر ، وأخذ الجزية . فبعث الله تعالى عليهم سليمان ، وبعده بختنصر ؛ فأعمل فيهم القتل والسبي ، وضرب الجزية على من بقى منهم ؛ فكانوا يؤدونها إلى الجوس ؛ حتى بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فضر بها عليهم ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم بعد ذلك أمة الألمان ، فأرثهم من الذل والعذاب ألواناً لم يرها مخلوق من قبل ؛ حتى أنهم ليجمعونهم بالآلاف ويطاقون عليهم الغاز الحانق ، ويضمونهم في النيران ! أليس ذلك بما تأذن به المنتقم الجبار في سالف الأزمان ؟

وسيفل اليهود طول العمر ، وأبد الدهر ؛ تحت نير الذل والعذاب (إلى يوم القيامة) (وقطعناهم) =

فرقانهم (في الأرض أئماً) فرقا (منهم الصالحون) المؤمنون ؛ الذين آمنوا بحمد وعما أنزل إليه (ومنهم دون ذلك) أي الكافرون (ويلونهم بالحسنات والسيئات) أي امتنعهم بالنعم والنقم ، والحصب والجذب ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض (لعلهم يرجعون) إلى ربهم ، ويتوبون من ذنوبهم ، ويؤمنون بعد كفرهم . لكنهم لم يفعلوا (خلف من بعدم خلف) الخلف بالجزم : الأولاد الطالحون ، وبفتح اللام : الصالحون (ورثوا الكتاب) التوراة عن آبائهم (يأخذون عرض هذا الأدنى) العرض : المتاع . والأدنى : القريب ، أو الأخس الآخر . والمراد ما كانوا يأخذونه

الجزء التاسع

٢٠٤

من الرشا في الأحكام (ويقولون سيفرلنا) وهكذا شأن الفجار الأشرار : يعملون كل ما يؤهلهم للتار ، ويطمعون في المغفرة بلا عمل ولا استغفار ! (وإن يأتهم عرض مثله) أي مثل العرض الأدنى المذكور (يأخذوه) أيضاً ؛ وهم في ذلك كمثل المذنب الذي يطعم في المغفرة ، ولا يحاول ترك الذنوب ؛ بل يصبر عليها ، ويدأوم على فعلها . ومن المقطوع به : أنه « لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة من الإصرار » فكيف بالكبيرة مع الإصرار ؟ ! (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) وهو أخذ اليهود عليهم باقاة التوراة والعمل بما فيها ، و (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) فلا ينسوا إليه مالم يقله ، ولا يطمعوا في مغفرته بغير توبة ولا عمل (ودرسوا ما فيه) أي ما في الكتاب (والدار الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم (خير للذين يتقون) الله ويخشون عقابه (والذين يمسكون) بتمسكون (بالكتاب) ويعملون بما فيه . وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه « والذين استمسكوا بالكتاب » (وأقاموا الصلاة) التي أمرناهم بإقامتها (وإذ تقنا الجبل فوقهم) قاعناه ورفعناه فوق رؤوسهم (كأنه ظلة) الظلة : كل ما أظلك من سقف ، أو سحاب (وظنوا) تأكدوا (أنه واقع بهم)

وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الْكِتَابُ لَيَقُولُنَّ هَذَا الْإِلَهُ الْأَخْلَقَ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْدارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ لِبِرِّ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٥٨﴾ * وَإِذْ تَقُنَّا إِلَهِكُمْ قَوْمَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٩﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

بَعْدِهِمْ

لا محالة ؛ حينئذ قلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الشرائع ، والأوامر ، والنواهي (بقوة) بمجد وعزم واهتمام (وادكروا ما فيه) بالعمل (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) قائلهم (ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا) بأنك ربنا . وهذا من باب التمثيل والتخييل . والمعنى : أنه تعالى نصب لهم الأداة على ربوبيته ، والبراهين على وحدانيته ، فشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله تعالى فيهم ، وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية ! فكانه تعالى أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم « ألسنت بربكم » وكانهم « قالوا بلى شهدنا » وهذا التمثيل شائع سائر في لغة العرب وأشعارهم (أن تقولوا) أي أشهدناكم على أنفسكم ؛ لئلا تقولوا (يوم القيامة إننا كنا عن هذا) الإيمان (غافلين) فلم نعلم عنه شيئا (أو تقولوا =

== (لأنما أشرك أكابؤنا) بالله (من قبل وكنا ذرية من بعدهم) سرنا على سيرتهم ، واتبعناهم في عباداتهم (أفهلكننا بما فعل المبطلون) من أكابئنا (واتل عليهم) يا محمد (نبأ الذي آتيناها آياتنا) قيل : هو رجل من بني إسرائيل ؛ أوتى علماً غزيراً ، وقيل : هو أمة بن أبي الصلت . وأعجب الأقوال : قول بعض المفسرين : إنه نبى من أنبياء الله ؛ يقال له : بلعم ، أو بلعام ، وقد أنزل عليه كتاباً . وهو قول باطل ؛ يردده العقل والنقل ؛ فإن الله تعالى ليس كأحدنا : فيخطيء في اصطفاء عباده ، واختيار أنبيائه ؛

و «الله أعلم حيث يجعل رسالته» (فأسلخ منها) أى كفر بها (فأتبعه الشيطان) أى لمن الشيطان جعله تابعاً له (فكاث من الغاوين) المالكين ؛ من غوى الفصيل : إذا هلك (ولو شئنا لرفعناه بها) أى بهذه الآيات ؛ ووقفناه للعمل بما فيها (ولكنه أخذ) سكن (إلى الأرض) أى إلى الدنيا ، ورغب فيها ، ومال إليها (واتبع هواه) واتباع الهوى لمن أشد الموبقات المهلكات ؛ وهو إحدى موارد النار ؛ فقد خلق الله تعالى الإنسان مزيجاً بين الخير والشر ؛ وأبان له عن كليهما حق التبيين : قال تعالى «وقس وماسواها ، فآلمها فجورها وتقواها» ثم ميزه بالعقل الذى يعقله عن الفجور المؤدى إلى النار ، وعهد له سبيل التقوى المؤدى إلى الجنة ! وما من إنسان - كائن من كان - إلا ويميز في نفسه بين الخير والشر ، والطيب والحديث ؛ وقد تقل قدرته على هذا التمييز ، أو تنعدم أصلاً ؛ إذا كان مصاباً بفساد عقله ، أو بذهابه !

غير أنه لا يمكن القول بأن ثمة مخلوقاً قد عدم التمييز بين الخير والشر انعداماً تاماً ؛ وهو في تمام صحته ، وكال عقله . بل لابد أن تكون لديه فكرة كاملة عن أن بعض الأعمال شر وبعضها خير ؛ وإذا قلنا بغير ذلك فلماذا

يستغنى عن الأعين حينما يتطلب هواه منه أمراً محذوراً غير مشروع ؟

حتى الحيوان الأنجم فانه يحس في قرارة نفسه ماهو شر ، وماهو خير ، وماهو مشروع ، وما هو غير مشروع . أرايت إلى القطعة كيف استطاعت أن تميز بين ماهو مباح ، وما ليس بمباح ؛ فينبأه تأكل ماتطيه لها آمنة مطمئنة ؛ إذا بها تفر فراراً بما تسرق أو تحطف ، وتتوارى به عن الأعين ؛ وتنتظر إلبك شزراً نظراً الخائف المرتعب !

فالإنسان إذا ما اتبع هواه ، ولم يستطع أن يقاوم في نفسه قوى الشر : فقد انحط بإنسانيته إلى مرتبة هي دون مرتبة البهائم ! أما إذا قاوم هواه ، وحارب نفسه ، وألزمها الخير المحض ، وجنبها الإثم والشر : فقد ترقى =

بَعِثِهِمْ أَفْتَلِكُمْ إِنَّمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ نَقِصُّ
الْأَنْبِيَاءَ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَبَأَ الَّذِي
ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهُمَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلْمِزْهُمْ فَتُلْمِزْ كُلَّ النَّاسِ إِنْ تَعْمَلْ
عَلَيْهِ بَلَاءٌ أَوْ تَرْكُهُ يَبْلَاءُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾
سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَانْفُسَمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَأَلَانَعِمٍ بَلْ لَهُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤٣﴾

== بها إلى مراتب الأملاك ، وصار أهلاً لخلافة الله تعالى في أرضه ، وخليقاً بقوى جنته ، والقلب في نعمته ! (فتله) أى مثل من أخذ إلى الأرض واتبع هواه (كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) المعنى : أنه ضال سواء وعظته أم لم تظله ؛ كالكلب إن طردته فسعى لهث ، وإن تركته على حاله آسناً هادئاً لهث ، وهو قنيل ظاهر البلاغة ، بادى الروعة ؛ يضرب لطالب الدنيا وحدها ؛ فهو دائماً ذليل مهان ؛ تابع لشهواته ، عابد لمسلذاته (فاقصص القصص) عليهم (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها ؛ فيؤمنون

الجزء التاسع

٢٠٦

(ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى بشئ المثل مثلهم (وأنفسهم كانوا يظلمون) بالكذب ، وتعرضها للعقاب الدينى ، والعذاب الأخرى (من يهد الله) إلى دينه (فهو المهتدى) لأن الهداية جاءت تفضلاً من لدن العزيز الكريم ! (ومن يضل) يتركه بغير هداية (فأولئك هم الخاسرون) «الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة» وقد أضلهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا ! قال تعالى «ولا تنبوا أهواء قوم قدضوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (ولقد فرأنا) خلقنا (لجنهم كثيراً من الجن والإنس) خلقناهم ليؤمنوا بنا ويرسلوا ؛ فكفروا بنا وكذبوا رسلنا . ومهدنا لهم سبيل الهدى ؛ فاتبعوا الهوى ، وأبنا لهم طريق الرشد ؛ فأبوا إلا طريق التلوى (لهم قلوب) كسائر قلوب الناس ؛ خلقناها لهم ليفقهوا بها ؛ ولكنهم وضوا عليها أكنة وأقفاً فلغنها من الفهم ؛ فأضموها (لا يفقهون بها ولهم أعين) خلقناها لهم للابصار والاستبصار ، وللتفرقة بين النافع والضار ، وللنظر إلى دلائل قدرته تعالى بين الاعتبار ؛ لكنهم وضوا عليها غشاوة فعموا عن رؤية الحق ، وأصبحوها (لا يبصرون بها ولهم آذان) خلقناها لهم للاستماع إلى النصح والرشد ؛ لكنهم صموا عن سماع الهدى ؛ فأسوا (لا يسمعون بها) فحق عليهم

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٥﴾
وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٦﴾
وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ وَأَمَّا لِمِثْمٍ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٨﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جُنَّةٍ إِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُمْ شَيْءٌ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعَثَهُ يَتُومِنُونَ ﴿١٨٩﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٩٠﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ وَتُفَلَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَأْتِيَنَّكَ إِلَّا بَغْضَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ

وصف ربهم (أولئك كالأنعام بل هم أضل) سبيلاً من الأسماء ، و (أولئك هم الفالولون) عما ينجيهم (ولله الأسماء الحسنى) سميت أسمائه تعالى بالحسنى : لأنها حسنة اللفظ والمعنى ، حسنة في القلب والسمع ؛ كيف لاوى تدل على اللطف والجود ، والكريم ، والرحمة ، والرأفة ، والود ، والهداية (فادعوه بها) أى تقربوا إليه تعالى بها ؛ واطلبوا منه ما تشاءون بأسمائه الكريمة : فطلب الإنسان بكل اسم ما يليق به ؛ كأن يقول : يا رحيم ارحمني ، يا معز أعزني ، يا غفار اغفر لي ، يا رزاق ارزقني ، يا قاهر اقهر من ظلمي ، يا تواب تب علي ، يا هادي اهديني ، وهكذا .

وهذه الأسماء : صفات لذاته تعالى ؛ إذ أن اسمه العظيم الأعظم هو «الله» وعلى ذلك كبار القوم ؛

حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَرَّتْ بِهِ فَمَلَأَتْ نَفْسًا دَعَا اللَّهُ رَبَّهَا لَنْ ءَاتِيَنَنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُمُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١٠﴾ أَتَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿٢١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٢١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوا سِوَاكَ عَلَيْهِمْ دَعْوَانِمْ هُمْ أَمْ أَنْتُمْ مُصِلُونَ ﴿٢١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ

= ألا ترى إلى قوله جل شأنه «ولله» وهو المسمى «الأسماء» أى التسميات التى يتسمى بها ، أو الصفات التى يتصف بها (انظر آية ١١٠ من سورة الإسراء) (وذروا) اتركوا (الذين يلحدون فى أسمائهم) أى يميلون فيها ، ويتركون القصد ؛ كما فعل المشركون فى تسمية أوثانهم : فاشتقوا اللات من «الله» والعزى من «العز» (ومن خلقنا أمة) جماعة (يهدون بالحق وبه يعدلون) أى يحكمون بالحق عدلا (وأمل لهم) أمهاتهم (إن كيدى) الكيد : المكر . والمراد به : العذاب . أى إن عذابى (متين) قوى شديد (أولم تفكروا ما بصاحبهم) أى ليس بصاحبهم محمد صلى الله

تعالى عليه وسلم (من جنة) جنون . وكانوا يقولون : شاعر مجنون (إن هو إلا نذير مبين) بين الإنذار واصله (أولم ينظروا) نظر اعتبار واستبصار (فى ملكوت السموات والأرض) ملكه تعالى (وما خلق الله من شيء) فهما ؛ وأن كل ذلك يدل على وجود الله تعالى ووحدانيته ، ووجوب الإيمان به ، والتصديق برسله (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) فيقبضوا على ما هم عليه من تكذيب وكفر ؛ فليسارعوا فى الإيمان ، قبل فوات الأوان ! وإذا لم يؤمنوا بما سقناه لهم من الدلائل (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى فبأى تخويف وترهيب ، وتبشير وترغيب ؛ بعد الذى جاء به محمد هدايتهم يهتدون ؟ ! (من يضل الله فلا هادى له) أى من يتركه بغير هداية : فلن يستطيع أحد هدايته . وإضلاله تعالى لا يعدو أن يتركه فى طغيانه ؛ مادامت أمله سبل الهداية فلم يحاول سلوكها (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) العمه : التحير والتردد (يسألونك عن الساعة أيان) متى (مرساها) إرساؤها ؛ أى إنباتها وإقرارها ووقتها (لا يجليها) لا يظهرها (لوقتها إلهو) وحده لا يشركه أحد - من ملك أو رسول - فى ذلك (نقلت) عظمت (فى السموات والأرض) أى

على أهلها ؛ لما ينتظرانه فيها من أهوال (لا تأتكم إلا بفتنة) حجة (يسألونك كأنك حنى عنها) أى كأنك عالم بها (قل إنما علمها عند الله) وحده (قل لا أملك لنفسي نفعا) أخفه بها (ولا ضرا) أدفعه عنها (إلا ما شاء الله) أن يقوينى ويعيننى عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) أى لو كنت أعلم الغيب لتحريت مواضع التجاح ، ومواطن النجاة ؛ ولما كنت غالباً تارة ، ومغلوباً أخرى (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام) (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم عليه السلام (وجعل منها) من جنسها (زوجها) حواء (ليسكن إليها) ليستأنس بها ، ويطمئن إليها (فلما تغشاهما) أى جامعها (فلما أتتكم) نقل حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) أى نسلا صالحا (جعلنا له شركاء) المعنى : =

== انه كان من نسل آدم عليه السلام من كفر بالله تعالى ، وجعل له شركاء في العبادة ؛ والثنية بالنسبة للذكر والأنثى (أبشركون) به في العبادة (ملا يخلق شيئا وهم يخلقون) يخلق الله تعالى الحجارة - التي هم من جنسها - ويخلق الإنسان منها الأصنام التي يعبدها (ولا يستطيعون) أى لا تستطيع الأصنام (لهم) أى لعبادتهم (نصراً) على عدوهم (ولا أنفسهم ينصرون) لو أراد أحد الناس بهم سوءاً ؛ وهاهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد حطها تحطياً ، وتركها جذاذاً ؛ وقال لعبدته «فاسألوهم ان كانوا ينطقون» (وإن تدعوم) أى وإن تدعوا هذه الآلهة (إلى

الجزء التاسع ٢٠٨

٢-٨

مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكَ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥١﴾ أَلَمْ أَرْجُلْ تَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ
أُنْزِلْ بِبَيْطُونِ بِهَا أَمْ لَمْ أُعَيِّنْ يَبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ
أُفَاذَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا
فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٥٢﴾ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي تَزَلُ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ دَعَوْا مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْطِيعُونَ نَصْرَكَ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصِرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَإِنْ
دَعَوْهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ ﴿١٥٥﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٥٦﴾ وَإِنَّمَا يَرْغَبُ مِنَ الشَّاطِلِينَ
تَرْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ إِنْ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّاطِلِينَ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٥٨﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ

تدعوم) أى وإن تدعوا هذه الآلهة (إلى الهدى لا يذعنكم) لأنهم لا يسمعونكم ، ولا يرونكم (سواء عليكم أَدْعَوْعَوْمْ أم أَمْ صامتون) أى سيات عندكم دعاؤكم وصمتكم ؛ فكيف يهديكم إلى الرشاد ؛ من إذا دعى إليه : استوى عنده دعاؤكم وصمتكم ؛ لأنه لا يسمع ولا يعقل ! (إن الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) غيره (عباد أمثالكم) مملوكون له ؛ كما أنتم له بمالك (فادعوا فليستجيبوا لكم) يجيبكم لما تدعواهم إليه . وإلا فكيف تعبدون مالا يسمع ولا يعقل ؟ ! (ألم أَرِجْلَ يمشون بها) كل رجلكم (أم لهم أيدٍ يبطشون بها) كأيديكم (أم لهم أعين يسمرون بها) كأعينكم (أم لهم آذان يسمعون بها) كأذانكم ؟ فإذا كانوا لم يبلغوا بعد حد العابدین الخلقین ؛ فكيف تسوونهم بأحسن الخالقین ؟! (فلا تتظنّون) تزولون وتمهلون (خذ العفو) العفو : ضد الجهد ؛ أى تسهل في معاملة الناس من غير كلفة ، ولا تطالبهم بما يشق عليهم ، أو «خذ العفو» أى الزيادة . والمعنى : لا تأخذ للصدقات إلا مما زاد عن حاجتهم . قال تعالى «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» وقيل : لأنها نسخت بعد نزول آية الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف والجميل من الأعمال . وقد ورد عن الرسول

انظروا إلى أي سفیان ابن حرب ؛ وقد فعل بالمؤمنين ما فعل ، وآذاهم أبلغ الإيذاء ، وأنزل بهم صنوف البلاء : فهو الذي نكل بهم أشد النكيل في أحد ، وزلزلهم في الخندق ، وهاج عليهم القبائل ، وحرص عليهم الكفار والمنافقين ! وانظروا عفو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عنه ، بعد أن أمكن الله منه : فإن عفوه عليه الصلاة والسلام لم يقف عند حد فك أسره وانجائه من الموت لحسب ؛ بل قد من عليه بما أعظم شأنه ، ورفع رأسه : فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول مكة « من دخل دار أبي سفیان فهو آمن » فأى معروف هذا ، وأى فضل ، وأى عفو ؟ !

٢٠٩

سورة الأنفال

ورب فائل يقول : إن لأكرام أبي سفیان وتكريمه ، والعفو عنه : إنما كان لرفعته في قبيلته ، وكرامته على قومه . فهاهو ذا « وحشى » ذلك العبد الخبيث ، الذي لا أهل له يدفعون عنه ، ولا عشيرة تؤويه ، ولا قبيلة تحميه ؛ وهو الذي أدى قلب المسلمين ، بقتل إمام المجاهدين : عم الرسول عليه الصلاة والسلام « حمزة » سيد الشهداء ؛ وقد جرى بوحشى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وقد أسلم - أو تظاهر بالإسلام وقتذاك خفية القتل - ولا شئ حينئذ أحب إلى سائر المسلمين من أن يروا دمه ؛ كما رأوا أحشاء حمزة وقد طعنه وحشى بجرسته خيانة وغدراً ! فلم يكن شأن الرسول معه سوى أن قال له : غيب عني وجهك فلا أرتبك !

فأى مثل هذا لضبط النفس ، والعفو الجميل ! ولما لو أردنا أن نورد طرقاً مما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من كرم الخصال ، وحيد القال : لما وسعنا الأسفار الضخام ؛ فتبارك الذي خصه بمحاسن الأخلاق ! (انظر آية ٤ من سورة القلم) (ولما يترغفنك من الشيطان ترغف) ترغف الشيطان بينهم : أفسد وأغرى (أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من

الشيطان) الطائف : العسس . شبه به بدء وسوسة الشيطان ؛ لأنه عليه اللعنة يأتي متلصصاً ؛ وبعد أن يتمكن من ضيقه : يتحكم فيها بأمرها بالشكر ، ونهبها عن المعروف (وأخوانهم يمدونهم في النفي) أى يكونون مدداً لهم ، وبعضونهم (قالوا لولا اجتبتنا) أى هلا اخترتها واختلفتها (هذا بصائر) أى هذا القرآن بصائر : وهو جمع بصيرة ؛ وهى الحجة الواضحة (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) حال قراءته في الجهر (وأنصتوا) حال قراءته في السر . وهذا في غير الصلاة ؛ إذ « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » وذهب بعضهم إلى أن الاستماع والإنصات واجبان على المأموم عند قراءة الإمام (وأذكر ربك في نفسك) حين استماعك للقرآن وما فيه من عظات (تضربوا) قتلوا وتخضعوا وتواضعوا (وخيفة) من أن يعاقبك مولاك على تقصير =

لَا يَغْصِرُونَ ﴿٢٠٩﴾ وَإِذَا لَرَّتْ أَيْمَانُهُمْ بِغَايَةِ قَوْلِهِمْ لَوْلَا أَعْتَبْتُمَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ مِنْ رَبِّكَ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١١﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢١٣﴾

(٨) سورة الأنفال مكية
الآية ٢٠٩ إلى آية ٢١٣ مكية
والآيات ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَسْمَلُونَا عَنْ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

== وقع منك (ودون الجهر) أى أقل من الجهر ؛ لأن الإخفاء أدخل في الاخلاص ، وأقرب إلى حسن التفكير (بالفدو) هو ما قبل طلوع الشمس (والأصل) هو ما بعد العصر إلى المغرب . والمترادف : وأذكر ربك في كل وقت (إن الذين عند ربك) هم الملائكة .

(سورة الأنفال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المحذو السابع

٢١٠

(يسألونك عن الأنفال) الأنفال : الغنائم

التي تريد عن حصة المجاهدين - وهي الخمس من كل ما غنموه - وقيل : هو ما جاء من غير قتال ؛ كفريس ، أو عبد ، أو سلاح . وقيل : هي زيادة كان يزيدها الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض المجاهدين : تشجيعاً لهم ، وحثاً لغيرهم ؛ فسألوا عن ذلك ؛ فقبل لهم (قل الأنفال لله والرسول) يضعها الرسول بأمر الله تعالى حيث يشاء (فأهوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أى أصلحوا الأحوال التي بينكم . كقوله تعالى «بنات الصدور» أى بمضراتها (إعالم المؤمنون) الكاملو الإيمان : هم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرغت لذكره ؛ استظماماً له ، وتبشيراً من جلاله وعزه وسلطانه (وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً) على إيمانهم (وعلى ربهم يتوكلون) ويعتمدون ، ويستعينون (الذين يقيمون الصلاة) في أوقاتها (وما رزقناهم ينفقون) فلا يخافون فقراً ، ولا يخشون فاقة ؛ لأنهم «على ربهم يتوكلون» (أولئك هم المؤمنون حقا) فتدبر أيها المؤمن الكرم هذه الآية ، وسائل نفسك : هل أنت مؤمن حقا ؟ وهل إذا ذكر الله أمامك : وجل قلبك ؟ وإذا نلت عليك آياته : زادتك إيماناً ؟ وهل أنت تنفق مما رزقك الله ، كما أمرك الله ؟ فان كنت تفعل ذلك : فأنت من السعداء الناجين ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَنُفِرُونَ ۝ يَحْسِبُونَ أَنَّكَ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّكَ تَاسِقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝
وَإِذْ يَدْعُرُكُمْ اللَّهُ بِأَحَدِي الْأَطْرَافَتَيْنِ أَنهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنْ
غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ
وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

رَبَّكُمْ

فأهناً بما آتاك الله تعالى من فضل ، وما وهبك من خير ؛ وإن كنت في واد والمؤمنون في واد آخر ؛ فالجأ إلى الرحيم الودود ، واجأ إلى اللطيف الحميد ؛ ليتم إيمانك ، وثبت يقينك ، ويوفقك لإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والوفوق بما عند الله ؛ فتمم القريب ، ونعم الحبيب ؛ (لهم درجات عند ربهم) في جناته (ومغفرة) لتوبتهم (ورزق كريم) وهو ما أعده الله تعالى لهم في الجنة من لذيذ المسأكل والمشرب ، وهنىء العيش (كما أخرجك ربك من بيتك) بالمدنية إلى بدر (بالحق) الذي أمر به الله (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) ذلك الخروج . المعنى : إن إصلاح ذات الدين ، ووجل القلوب عند ذكر المحبوب ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : خير لكم عند ربكم ؛ كما أن إخراج محمد عليه الصلاة والسلام من بيته كان خيراً له =

== (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) مُجَاهِدَةُ الْعَدُوِّ (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) لِمَنْ النِّصْرُ ؛ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَبَرُوا بَيْنَ الْعَبْرِ وَالْفَجْرِ ، فَاخْتَارُوا الْعَبْرَ (كَأَنَّمَا يَسْأَلُونَ) حِينَ تَأْخُصُّهُمْ بِالْقِتَالِ (إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) وَكَانَ ذَلِكَ فِي وَقْعَةِ بَدْرَ (وَإِذْ يَبْعَثُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) وَذَلِكَ أَنَّ عِيرَ قُرَيْشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ فِي تِجَارَةِ عَظِيمَةٍ ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بِمَجْمُوعِ أَهْلِ مَكَّةَ لِتَلْقَى الْعَبْرَ ، وَالْحَافِظَةُ عَلَيْهَا ؛ وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ : إِمَّا الْعَبْرَ ، وَإِمَّا قُرَيْشًا . فَاسْتَشَارَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ؛ فَاخْتَارُوا الْعَبْرَ لِحَقِّهِ الْحَرْبَ ، وَكَثْرَةِ الْغَنِيمَةِ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (وَتُودُونَ أَنْ تُغِيرَ ذَاتَ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ) وَالشُّوْكَ : السَّلَاحُ . فَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَالْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ؛ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَقَالُوا فَأَحْسِنُوا الْقَوْلَ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو : يَا رَسُولَ اللَّهِ امْضُ إِلَى حَيْثُ أَصْرَكَ اللَّهُ فَتُحَنِّ مَعَكَ ؛ وَاللَّهُ لَا يَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى «إِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» وَلَكِنْ إِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ ! فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لئن سَرْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرُكِّ الْعَهْدِ (١) لَجَالِدًا مَعَكَ دُونَهُ حَتَّى تَبَاغَهُ ! فَجَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَدَعَا لَهُمْ بِخَيْرٍ ؛ وَقَالَ : سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى ! وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا هُوَ مَدُونٌ فِي كِتَابِ السَّيْرِ . (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْ يَمْدَحَكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ) يُقَالُ : رَدَفَهُ : إِذَا تَبِعَهُ . وَأَرَدَفْتَهُ إِيَّاهُ : إِذَا اتَّبَعْتَهُ (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أَيْ مَا جَعَلَ ذَلِكَ الْإِمْدَادَ (إِلَّا بَشَرِي) لَكُمْ (وَلِنُطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) وَمَا النَّصْرُ (بِالْكَثْرَةِ ، وَلَا بِالْمَعَاوَةِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ (إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ) يَنْصُرُ الْأَقْلَّ الْأَذْلَّ ، عَلَى الْأَكْثَرِ الْأَعْزَ - مِنْ شَاءَ - بِإِرَادَتِهِ وَقُوَّتِهِ (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ قَوِيٌّ

رَبِّكَ فَاسْتَجَابَ لَكَ أَنِّي مُدِّمٌ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بَشَرِي وَلِنُطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۝ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسِقُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْفِخُوا فِي الْأَوْدَانِ فَآمَنُوا سَائِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَزْخَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ

غَالِبٌ ، لَا يَلْبِغُ أَبَدًا - (حَكِيمٌ) فِي سَائِرِ أُمُورِهِ وَتَقْدِيرَاتِهِ ؛ فَإِذَا قَدَّرَ النَّصْرَ فَلَمَنَهُ ، وَإِذَا قَدَّرَ الْهَزِيمَةَ فَلَحَمَكَ ! (إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسِقُ) النُّومُ (أَمْنَةً) أَمْنًا لَكُمْ ؛ إِذْ أَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخَائِفَ لَا يَنَامُ ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَحَالُ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهَا ؛ فَأَمَنُوا فِي مَوْطِنِ الْخَوْفِ ، وَخَافَ الْكَافِرُونَ فِي مَوْضِعِ الْأَمْنِ ! وَالْغَاسِقُ فِي الْقِتَالِ : أَمْنٌ مِنَ اللَّهِ ، وَفِي الصَّلَاةِ : رَجْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ (وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ) قِيلَ : كَانُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، وَأَصْبَحُوا مَجْنُونِينَ ؛ فَتَرَبَّوْا وَتَطَهَّرُوا (وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ

== الشيطان) بعد أت وسوس إليهم في منامهم بما أصحهم مجنين (وليربط على قلوبكم) يقويها بالصبر؛ وأنهم قد أصبحوا متطهرين (ويثبت به الأقدام) عند لقاء العدو، قيل: كانوا ينتقلون في حربهم على كسبان من رمل تسوخ فيه الأقدام؛ فقلبه الرمل من الماء وثبت عليه أقدامهم عند اللقاء (واضربوا منهم كل بنان) البنان: أطراف الأصابع، أو ملى الأصابع كلها؛ وذلك لجعلهم عاجزين عن إمساك السيوف، ومقاتلة المسلمين مرة ثانية (ذلك بأنهم شاقوا) خالفوا وعادوا (ذلكم) القتل والأسر والذل (فدوقوه) أيها الكافرون في الدنيا (وأن للكافرين) في الآخرة (عذاب النار) وغضب الجبار (زحفا) مجتمعين مهاجرين (إلا متحرفا لقتال) أي جاعلا القتال حرفة له، متقنا لها؛ وقد فر ليكر، وتظاهر بالهزيمة، ليفوز بالغنيمة (فقد باء) رجع (بغضب من الله) وشتان بين من رجع بالفوز والغنيمة، أو الأجر والشهادة؛ وبين من «باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير!» (فلم تقتلوه) أي لم تقتلوا من قتل من الأعداء بأيديكم ورماحكم (ولكن الله قتلهم) بأيدي ملائكته (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وذلك حين رى سيد الكونين صلوات الله تعالى وسلامه عليه جيوش المشركين يقبضن من تراب، وقال: شأنت الوجوه! فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها، ولم يستطع الابصار؛ وتسبب من ذلك هزيمتهم ونصر المؤمنين!

هذا وقد استدلل كثير من الفضلاء بهذه الآية على أن سائر أفعال الخلق المكتسبة؛ هي من الله وحده؛ فقد نفى عنهم الفعل والانجاز؛ ألا ترى إلى قوله «فلم تقتلوه» ولكن الله قتلهم، ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى» نفى عنهم القتل، وعن الرسول عليه الصلاة والسلام الرمي؛ وقد حصل

دبره: إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ أَوْ مَتَحَرِّفًا إِلَى قِتَالِهِ قَدْ بَاءَ يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١١٠﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ الْكَافِرِينَ ﴿١١٢﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١٥﴾ * إِنَّ شَرَّ النَّوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمُ الْبُكَرِ الَّذِينَ لَا يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١١٧﴾

يَا أَيُّهَا

كلأهماء؛ فكذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالنسيب، ومن الخلق الاكتساب بالقوى. وقد فاتهم أنه بما لاخلاف فيه أن سائر أعمال الخير مصدرها من الله تعالى، أما أعمال الشر فهي من الإنسان وحده؛ قال تعالى «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» وقد نسب الله تعالى إلى نفسه قتل المشركين ورميهم بالحصاء؛ وهما خير وحسنة وإذا قلنا بغير ذلك: كانت أعمال الكفار أيضاً: من الله إنشاؤها وإنجازها؛ وهذا ما لم يقل به مؤمن «وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (وليل) ينم ويطلو (المؤمنين منه) من فضله (بلاء حسناً) عطاء كثيراً من الغنائم (ذلكم) النصر والغنيمة حق (وأن الله موهن) مضعف (إن تستفتحوا) أي إن تطلبوا القضاء أيها الكفار =

== (فقد جاءكم الفتح) القضاء بهلاككم (وإن تنتهوا) ترجعوا عن الكفر والحرب (فهو خير لكم) في الدنيا والآخرة (وإن تمودوا) إلى النفاق والشقاق (نعد) إلى قتلهم وتشريدكم (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أى قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (إن شر الدواب عند الله) أى إن شر المخلوقات التي تدب على وجه الأرض - ومنها الإنسان - (العم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق بكلمة التوحيد . شبه تعالى الكفار بالبهائم ، بل بشرها ! وفى ذلك كل البلاغة ، ونهاية الإعجاز : إذ أن الكافر لا يسمع الحق ، والبهائم لا تسمعه ، ولا ينطق بالحج ، والبهائم لا تنطق به ، وبأكل والبهائم تأكل ؛ قال تعالى «والذين كفروا يستمعون ويبأكلون كما تأكل الأنعام» بقى أن الإنسان يؤذى ويضر ، والبهائم لا تؤذى ولا تضر ! فكيف لا يكون بعد هذا شرأ من البهائم ؟ ! (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله) أجيوه (والرسل) محمّد صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ بأن تطيعوه (إذا دعاكم لما ينجيكم) أى إذا دعاكم للإيمان الذي به تحيا النفوس ، وبه تحيون الحياة الباقية ! أو «إذا دعاكم» للجهاد وفى الجهاد حياتكم ؛ وإلا فلولت والويل لمن يمكن أعداءه من نفسه ، ومن دينه ، ومن وطنه ! (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قد أريد بالقلب هنا : العقل . قال تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أى إن الله تعالى يحول بين المرء وعقله ؛ فيعمل بغير ما عليه عليه ؛ وقد حال الله تعالى - فى الجهاد - بين المؤمنين وعقولهم ، وكذلك حال أيضاً بين المشركين وعقولهم ؛ قال تعالى «ولمذ يريكمهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم» فلو لم يحل تعالى بين المؤمنين وقلوبهم : لانتهزموا رعباً لكثرة المشركين وقوتهم ، ولو لم يحل أيضاً بين المشركين وقلوبهم : لما استهانوا بالمؤمنين وأمكنهم من أنفسهم ؛ وذلك «ليقضى الله

٢١٣

سورة الأنفال

يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ يَغْشَوْنَ ﴿١﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنَّ يُخْطَفُكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنُكُمْ وَأَيَّدُكُمْ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ الطَّاغُوتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخَوْنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخَوْنُوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَشَأْ اللَّهُ يُجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ

أمرأ كان مفعولاً . وقد ذهب كثير من المفسرين - أثناهم الله - إلى أن معنى هذه الآية : أن الله تعالى يحول بين الكافر والإيمان ! وهو قول ظاهر البطلان ؛ لا يجوز نسبته إلى الله تعالى ! وإنما أريد بالقلب هنا العقل كما بينا (انظر آيتى ١١٠ من سورة الأنعام ، و ٢٠٠ من سورة الشعراء) (واتقوا فتنة) عذاباً لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) وذلك لأن العذاب يصيب الذين ظلموا ، والذين لم يظلموا ؛ لأن الظالم يهلك بظلمه وعصيانه ، والذي لم يظلم يهلك لعدم منعه الظالم من ظلمه ، وتركه إقامة الحد عليه ! (واعلموا) أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى عنة من الله ؛ ليختبركم كيف تحافظون فيها على حدوده ، وتتجنبون عماره (انظر آية ١١ من سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً) الفرقان : =

= النصر والبرهان ، ولعل المراد بذلك : يجعل لكم عقلاً راجحاً تفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النفع والضر (ويكثر) مع (ولا يذكر بك الدين كفروا) يكدوا لك (ليبتوك) ليحبسوك (وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لننشأ لقلنا مثل هذا) قالوا هذه القالة ؛ وجئنا نحدّثهم بقوله «قل فأتوا بسورة مثله» ركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) لقد وصف الله تعالى هؤلاء البهيم بأدق ما يوصف به أمثالهم :

الحشر: التاسع

٢١٤

حيث قال «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» وكيف لا يكون كالأنعام - بل أسوأ حالا من الأنعام - من يقول هذا القول ؟ ! وكان الأليق بمن يتصف بالآدمية والإنسانية ؛ أن يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، ووفقنا إلى اتباعه ! (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وقد جرت عادته تعالى ألا يعذب أمة إلا بعد إخراج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قيل : كان المشركون يقولون عند طوافهم بالبيت : غفرانك غفرانك. وقيل : أريد بالاستغفرين : المؤمنين المستضعفين ؛ وهو كقوله تعالى «ولو تزيوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً» وقد ذهب المفسرون إلى أنه كان فيهم أماني : نبي الله تعالى والاستغفار ؛ فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بموته ، وبق الاستغفار . وقد فاتهم أن الذي ذهب من الأماني هو الاستغفار ؛ لا الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ إذ لم يبق الآن مستغفر ؛ وإذا استغفر إنسان : فاستغفاره في حاجة إلى استغفار ! أما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بين ظهرينا - بل بين جوانحننا - إلى يوم تلقى الله ؛ متمعين باستغفاره لذنوبنا ، وشفاعته لنا إن شاء الله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض على أمحالك ؛ فإن وجدت

وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا هُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَقُولُوا لِّلْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَنْفُسَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿١٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ أَلْوَنًا مِّنْ

الطَّيِّبِ

خيراً حدث الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» (وما لهم ألا يعذبهم الله) هو تأييد لما تقدم : أي لولا وجودك فيهم ، ووجود المستغفرين بينهم : لعذبهم الله تعالى ؛ لأنهم مستحقون للعذاب فعلاً ؛ بسبب أنهم (يصدون) ينعون المؤمنين (عن المسجد الحرام) ينعونهم عن دخوله ، والطواف به (وما كانوا) أي وما كان هؤلاء المشركون الصادون (أولياءه) أي لا ولاية لهم على المسجد الحرام حتى ينعوا الناس من الطواف به (إن) ما (أولياؤه إلا المتقون) الذين يخشون ربهم ، ويحافظون سوء الحساب ! (وما كان صلاتهم) أي دعاؤهم (عند البيت الأمكأ) صفيراً (وتصدية) تصفيقاً ؛ وقد كانت قریش يطوفون بالبيت عراً ؛ يصفقون ويصفرون ؛ كما يفعل اليوم بعض من يدعون الولاية والجذب في كثير من مجالسهم =

الخاصة بذكر الله تعالى وعبادته (فسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة) لأنهم لن ينالوا ما يبتغونه؛ وسيتم الله تعالى نعمته بأكمال دينه ! (ثم يفلتون) في الدنيا؛ بالقتل وذهاب الأموال، والحزى (ليزين) يفصل (الحبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن؛ فيجعل الحبيث في نيران الجحيم والطيب في جنات النعيم ! أو هو عام في كل شيء : في العبادات ، والمعاملات ، والنفقات والصدقات ، وفي سائر الأعمال التي يجنبها الرياء ، والأذى ، والنز . ويطلبها الإخلاص في الطاعات ، وتطهير السر والعلن ! . (ويجعل الحبيث بعضه على بعض

فيركه) يجمعه ويجعله متراكما (قل للذين كفروا إن ينتهوا) يرجعوا عن الكفر (بغير لهم ما قد سلف) ما قد مضى من ذنوبهم ؛ لأن الإيمان يجب ماقبله (وإن يعودوا) إلى الكفر بعد انتهائهم عنه (فقد مضت سنة الأولين) أى طريقتنا في معاملة الكافرين ؛ ومى لإهلاكهم واستئصالهم ؛ فكذا نفعل بهم (وفاقلوهم حتى لا تكون فتنة) حتى لا يكون شرك (فانتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم عليه (وإن تولوا) أعرضوا عن الإيمان ، وبأن منهم العدوان (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصرهم ومعينكم (واعلموا أنما غنمتم من شيء) من مال الكفار في القتال (فإن لله خمسة) يأمر فيه تعالى بما يشاء ؛ وأربعة الأخماس للجارين الفاعين ؛ وقد قسم الله تعالى الخمس على خمسة (والرسول ولذي القربى) قرابته صلى الله تعالى عليه وسلم (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) الذى انقطع به الطريق في السفر (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) أى وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والمعجزات ، والملائكة الذين أنزلناهم لنصرته (يوم الفرقان) يوم النصر ، وهو يوم بدر؛ وسى «يوم الفرقان» لأنه يوم

الطَّيِّبُ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١٥﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١٦﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُوَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٧﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَوْنَا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٨﴾ وَمَا أَتَيْنَا عَلَى عِبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١٩﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِيِّ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقَصَوِيِّ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاتِّخَافَتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ

فرق الله تعالى به بين باطل المشركين ، وحق المؤمنين (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) جانب الوادى القريب وهو من الدنو (وهم بالعدوة القصوى) جانب الوادى البعيد (والركب) أى ركب المشركين (أسفل منكم) في مكان منخفض ؛ مما يلى البحر (ولو تواعدتم) أنتم والأعداء ، على هذا اللقاء (لا تلتقتم في الميعاد ولكن) تم هذا التوافق (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) وهو نصر الإسلام ، ومعنى الكفر ، وإعلاء كلمة الله تعالى

(لبيك) ليكفر (من هلك) من كفر (عن بيعة) حجة واضحة ؟ هي أخذهم - وهم الأكثرون الأقوياء واتصاف المؤمنين عليهم - وهم الأقلون الضعفاء - (ويحيا) يؤمن (من حي) من آمن (عن بيعة) حجة ظاهرة . وأي حجة أبين وأظهر من غلبة الضعيف للقوى وانتهزام الجيش اللجب ، ذى السطوة والقوة . أمام شريعة لا حول لها ولا طول الا بالله ذى العزة والمنعة ! ولم تكن البيعة في اتصاف الضعفاء على الأقوياء غيب ؟ بل لقد رأى المسلمون - وهم الأقلون - الكافرين قليلا - وهم الأكثرون - ورأى الكافرون

الجزء العاشر

٢١٦

المسلمين كثيرا ؛ فانخلعت قلوبهم ، وأمكن الله تعالى منهم ! ولم تكن بيعة الله تعالى - التي جعلها فصلا بين الكفر والإيمان - فاشعة على اتصاف الضعفاء على الأقوياء ، ورؤية الأقلين للأكثرين قليلا ، والأكثرين للأقلين كثيرا ؛ لم يكن هذا وحده ؛ بل رأى المسلمون والكافرون في هذه المعركة جنود الله تعالى من الملائكة جهارا تنكل بالكافرين تنكيلا ، وتحصد عتاة المشركين وسراهم حصدا ؛ ولقد كان المؤمن يقصد الكافر بسيفه ؛ فتطبع رأس الكافر قبل أن يصل سيف المؤمن إلى عنقه (إذ يريكم الله) أي يريك الكفار (في منامك قليلا) فسررت واطمأنت لذلك ، وأخبرت أصحابك فسروا واطمأنوا (ولو أراكم كثيرا لفشلتكم) جيتتم (ولتنازعت في الأمر) أي لزددتم بين الثبات والفرار (ولكن اقتسلم) بما أراك في منامك ؛ مما تقوى به قلوبكم ، وتشتد به عزائمكم (إنه علم بنات الصدور) بكنونات القلوب وما خفي فيها (ولأذ يريكم إذ التقيتم) في القتال (في أعينكم قليلا) كما أراكم في منامك (ويقللكم في أعينهم) فله تزيد عن قتلهم ؛ ليطمعوا فيكم ، ويقدموا على قتلكم ، ولا يحجموا عن حربكم ؛ وكان ذلك قبل الالتحام ؛ فلما التحم الفريقان أراهم ليأكم مثليهم ؛ قال تعالى « يرونها مثلهم رأى العين »

أَمَّا كَانَ مَقْعُولًا لَيْسَ لَكَ مِنْ هَلَكٍ عَنْ بَيْعَةٍ وَيَحْيَى مَنْ
حَى عَنْ بَيْعَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ١١٠ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ
فِي سَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِلْتُمْ وَلَتَنْتَزِعَنَّ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١١١
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَقْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ١١٢ بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُتَّةً
فَانْتَبِهُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١١٣ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ١١٤ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَةً لِلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١١٥ وَإِذْ زَيَّنَّ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ

الناس

(ولا تنازعوا) تنازعوا (فتفشلوا وتذهب رجلكم) أي تضعفوا وتذهب قوتكم ، وتدول دولتكم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) طغيانا (ورياء الناس) أي رياء وهم أهل مكة حين تفروا لحماية العير ؛ فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم . فأبى أبو جهل ، وقال : حتى تقدم بدراً ، وتنتحبها الجزور ، ونشرب الخمر ، وتعزف القيان ؛ ونطمع العرب - فذلك بطرهم ورياءهم الناس باطمعهم - فوافوها : فسقوا كؤوس الناي مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان ؛ فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم : بطرين ، طرين ، مرأثين (ويصدون) ينعون (عن سبيل الله) دينه (ولأذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) لهم الشيطان ؛ تقوية قلوبهم (لأغلب لكم اليوم

من الناس) وقد ظهر لهم الشيطان على صورة سيد الناحية التي تم فيها القتال (ولاني جار) أى مجير
(لكم فلما تراءت الفتان) تلاقى الجمعان (نكس) رجع الشيطان (على عقبيه) هارباً (وقال لاني برىء
منكم لاني أرى ما لا ترون) وذلك حين رأى إبليس اللعين ، الملائكة المقرين ؛ يضربون الكفار مع

المسلمين ؛ فقال «لاني أرى» بمعنى رأسى
«مالا ترون» أتم (لاني أخاف الله) كذب

اللعين في هذا القول ؛ ولكنه قاله حينما رأى
ألا حول له ولا قوة في هذا اليوم ؛ فركن إلى

الفرار ، وولى الأدبار (لذ يقول المنافقون)
وهم الذين أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفران

(والذين في قلوبهم مرض) شرك وثقاق
(غر هؤلاء دينهم) يمتنون أن المسلمين اغتروا

بدينهم ؛ فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر ،
إلى زهاء ألف ! ثم قال تعالى ردأ عليهم (ومن

يتوكل على الله) يعتمد عليه ، ويأجأ إليه
(فان الله) فاعلمه ومعينه ؛ لأنه تعالى (عزيز)

غالب لا يغلب (حكيم) في صنعه (انظر آية
٨١ من سورة النساء) (ولو ترى إذ يتوفى

الذين كفروا الملائكة) يقبضون أرواحهم
بأمر ربهم ؛ فلا يزعونها برفق ؛ بل (يضربون

وجوههم وأدبارهم) بعقاص من حديد ؛ تعذيباً
لهم (و) يقال لهم في الآخرة (ذوقوا عذاب

الحريق) جزاء كفرهم وعنادكم (كدأب)
كشان وعادة (آل فرعون) في كفرهم

وعنادهم ، وتعذيبهم بعد موتهم (فأخذهم الله
بذنوبهم) أهلكتهم في الدنيا بسببها (ذلك)

العذاب والانتقام (بأن) بسبب أن (اللهم بك
مغفراً نعمة أنعمها على قوم حتى يفرها ما بأنفسهم)

أى إنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يسلب قوما
نعمة أنعمها عليهم ؛ إلا إذا استوجبوا سلبها بما ارتكبهوه من إثم ! ونعمته تعالى التي أنعمها على قريش :

مى بعنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم ؛ فلما غيروها بالإيذاء ، والإخراج ، والتكذيب ، والمخاربة ؛
غير الله تعالى نعمته عليهم . باهلاكم يوم بدر ؛ كما فعل بالأمم الماضية قبلهم ؛ بمن عصى وطفى وبغى !

سورة الأنفال ٢١٧

النَّاسَ وَإِنِّي جَارٌ لَّكَ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِئٌ مِّنْكَ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٧
الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٨
وَكَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اللَّيْلَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ
وَأَدْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝١٩
أُتِيذُوكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٠
كَذَابٌ عَالٍ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢١
ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهِ لَرَبُّكَ مَغْفِرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢
كَذَابٌ عَالٍ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

(إن شر الدواب عند الله) الدواب : كل ما يدب على وجه الأرض ؛ وأكثر ما يطلق على العجاوات ، وقد نزل الله تعالى بالإنسان الكافر إلى مصاف الحيوان ؛ بل هو - في الحقيقة - شر من الحيوان ! (فأما تتفقه) فإن تصادقهم (في الحرب فشردهم من خلفهم) فاقبلهم شر قتلة ، واضربهم الضربة القاضية ؛ التي تجعل من وراءهم يفرون مشردين ، ويتفرقون خائفين جزعين (ولما) وإن (تخافن من قوم) بينك وبينهم عهد (حياة) للعهد ، وتقضاً للمواثيق التي بينكما (فانذ إليهم) أى اطرأ عليهم عهدهم ، وعرفهم أنك قد قابلت تقضهم للعهد ، بنقضك له أيضاً

(على سواء) لتكونوا مستوين في معرفة تقض العهد ؛ وليكون ذلك بمثابة إعلان الحرب عليهم ؛ فلا يؤخذون على غرة ، ويكون ذلك منافياً لما عرف عن الإسلام والمسلمين من الفضائل والشمائل ، وتوافر المروءة ؛ حتى في عداوتهم ! (إنا الله لا يحب الخائنين) ولو منع أعدائهم ؛ فقد نال المسلمون بأخلاقهم - من أعدائهم - أكثر مما نالوه بسيفهم ؛ فتعالى الربى الأعظم ! (ولا يحسبن الذين كفروا) أنهم (سبقوا) أى فاتوا الله تعالى ، ونجوا من عقابه (لأنهم لا يعجزون) أى لا يفوتونه ؛ بل سيدركهم عقابه في الدنيا ، وعذابه ومقته في الآخرة ! (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) من عجب أن يعد لنا العدو السيف والسنان ، ونعد له أطراف اللسان ؛ وهيئات هيات أن يكسب اللسان حقاً أكسبه السنان ؛ وهامى ذى تعالم الرحمن ، ومن هو أعلم بالإنسان من الإنسان ؛ تقول «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» فليتنبه الغافل ، وليتدبر العاقل ! (ومن رباط الخيل) ربطها وحبسها للجهاد في سبيل الله تعالى . والرباط من الخيل : الخس فسا فوقها ؛ وتجمع على «ربط» وبها قرأ الحسن وعمر بن دينار وغيرهما (ترهبون به) تخفون ورباط الخيل

الجزء السادس

٢١٨

فَأَعْلَسَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ بُغْيُهُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ ۖ ظَالِمِينَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٩﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنْهُمْ ثُمَّ يَنفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٢٢٠﴾ فَإِنَّمَا يَتَّقُوا فِي الْحَرْبِ فَيُشَرِّدُهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيفَةٌ فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَتَعْتَرُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُغْلَبُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَّهُمْ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٥﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ

حَبْكُ

(عدو الله وعدوك) وهم اليهود وكفار مكة (وآخرين من دونهم) أى وأعداء آخرين غير هؤلاء الأعداء ؛ وهم المنافقون . وقيل : هم فارس والروم . وقيل : هم الجن ؛ لقوله تعالى (لأنهم لم يعلموه الله يعلمهم) وهو ينطبق على المنافقين أيضاً ؛ لأنهم غير معلومين ؛ وقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «إن الجن لا تقرب داراً فيها فرس ، وأنها تهرب من صهيل الخيل» (ولأن جنحوا) مالوا (للسلم) للسالة وعدم الحرب (فاجنع لها) فل إليها ؛ أى إلى السلم كما مالوا إليه (وتوكل على الله) وحده (إنه هو السميع) لقولك (العليم) بحالك (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (ولأن يريدوا أن يخدعوك) يكرهوا ويغدروا بك

حَبَّكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِنَصْرِهِ وَيَا لَئِمُّومِينَ ﴿١﴾
وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَبِّبَ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِرُوا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَلَئِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَنَّا عُنَىٰ وَعَلِمَ أَنَّ فِكرَ
ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
وَلَئِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٥﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ
يُغْنِيَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ

(فان حبسك الله) كافيك (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض : المبالغة في الحث على الأمر
(إن يكن منكم عشرون صابرون) على مرزات ربههم وطاعته ، يجاهدون أعداء الله تعالى ابتغاء جنته
(يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) نتيجة العدد في الفرضين واحدة ؛ وهو أن
الواحد من المؤمنين الصابرين ؛ يغلب العشرة من الكافرين ؛ وإنما كررها تعالى ليعين لنا أن زيادة العدد
أو نقصانه لا يؤثران في الغلبة : فسواء كان المجاهد واحداً أو ألفاً ؛ فإن الواحد يغلب العشرة ، والألف
يغلب العشرة الآلاف ؛ مع اشتراط الصبر في
هذا ، والكفر في ذاك (بأنهم) أي تلك الغلبة
بسبب أن الكافرين (قوم لا يفقهون) لأنهم
يقاقلون بغير احتساب وطلب ثواب ؛ فيقل
ثباتهم ، وتضعف عزيمتهم . وقد كان ذلك
عند بدء الإسلام ، وقلة معتنقيه ، وكثرة
أعدائه ومحاربيه ؛ فلما نما الإسلام ، وزاد
المسلمون : خفف الله تعالى عنهم (الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) فإن يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم
ألف يغلبوا ألفين بإذن الله) بقوته ومعوته
(والله مع الصابرين) بالعون والنصر ،
والإمداد (ما كان لنبي) ماصح وماجاز (أن
يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض) الإخضاع
كثرة القتل ؛ وذلك حتى يذل الكفر بإشاعة
القتل في أهله ، ويعز الإسلام والمسلمين
بالاستيلاء والقهر ؛ ثم يكون بعد ذلك الأسر .
وقد روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أتى بسبعين أسيراً - فيهم العباس عمه وعقيل -
فاستشار النبي أصحابه فيهم ؛ فقال أبو بكر
رضي الله تعالى عنه : قومك وأهلك ، استبقهم
لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى
بها أصحابك . وقال عمر رضي الله تعالى عنه :
كذبوك وأخرجوك ، فقدمهم واضرب أعناقهم ؛
فان هؤلاء أئمة الكفر ، وإن الله قد أغناك

عن الفداء : مكن عليا من عقيل ، وحزمة من العباس ، ومكني من فلان - لنسب له - فلنضرب أعناقهم !
فقال عليه الصلاة والسلام : مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم ؛ حيث قال «ومن عصاني فانك غفور رحيم»
ومثلك يا عمر كمثل نوح ؛ حيث قال «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم : إن شئتم قتلهم ، وإن شئتم فاديتهم واستشهد منكم بعدتهم ؛ فقالوا : بل نأخذ الفداء
- فاستشهدوا بأحد - فلما أخذوا الفداء نزلت هذه الآية (تريدون عرض الدنيا) أي متاعها ؛ وبمعنى به
مأخذ من فدية الأسرى (والله يريد) لكم (الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم ! وفي هذه القصة من احترام
الشورى ، والنزول على رأى الأغلبية مافيه ؛ وليس من أحد أوسع حكمة ، وأسد رأياً ، وأهدى =

== رشداً ؟ من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ ولكنه استشار أصحابه ، وأمضى رأى الجماعة ؛
 تنبيهاً لأمته ، وتعليماً لهم ؛ وإقراراً لنظم الشورى ، وهذه هى الديمقراطية الحقة ؛ التى يجب السير على نهجها ؛
 (والله عزيز) فى ملكه ؛ غالب لا يظلم (حكيم) فى صنعه (لولا كتاب من الله) أى لولا حكم منه تعالى
 (سبق) بإحلال الغنائم والأسرى لكم (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء الأسرى (عذاب
 عظيم) مما أعده الله تعالى لمن يخالفون أمره (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم

خيراً) إيماناً بالله ، وإخلاصاً للمؤمنين
 (يؤتكم) فى الدنيا (خيراً مما أخذتمكم) من
 الفداء (ويغفر لكم) ما تقدم من ذنوبكم (وإن
 يريدوا) أى الأسرى (حياتك) بأن يظهروا
 الإيمان ، ويبتطخوا الكفران (فقد خانوا الله)
 بكفرهم (من قبل) أى قبل وقعة بدر (فأمكن
 منهم) أى أظفرك بهم فى بدر (والذين آووا)
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ونصروا)
 المؤمنين وهم الأنصار رضى الله تعالى عنهم (أولئك
 بعضهم أولياء بعض) فى المعونة والنصرة ؛
 ولا حجة لمن زعم أنهم أولياء فى الإرث أيضاً
 (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم
 من شئ حتى يهاجروا) ليكونوا كالسابقين
 من المهاجرين ؛ وليس معنى ذلك أن تعادوهم
 وتسووا بينهم وبين الكافرين أو المنافقين
 (وإن استنصروكم فى الدين) أى طلبوا معاوتكم
 على أعدائهم من أجل الدين (فليكم النصرة)
 أى فواجب عليكم نصرهم ومعاونتهم (إلا)
 إذا كانت استنصارهم بكم (على قوم بينكم
 وبينهم) عهد و (ميثاق) فلا يجوز نقضه من
 أجلهم ؛ إذ أن الوفاء بالمواثيق والعهود والعقود
 من أسس الإسلام ؛ بل هو الإسلام نفسه !
 فكل وعد وكل عقد ، وكل عهد ، وكل
 ميثاق ؛ إنما هو عقد بين طرفين ثالثهما الله
 تعالى ؛ فن نقضه : فقد أخل بالوفاء مع ربه

سَبَقَ لَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ فَكُلُوا مِنْ
 حَيْثُمُمْ حَلَلًا نَّظِيرًا وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ
 لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ
 خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ
 وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي
 الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كبير

وخالفه ومالك أمره ؛ قال تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » وقال أيضاً « الذين يوفون بعهد الله
 ولا ينقضون الميثاق » وقال جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال عز من قائل « وأوفوا بالعهد
 لأن العهد كان مستولاً » (انظر آية ١ من سورة المائدة) وهذه الآية تعتبر قانوناً سامياً ، ودستوراً دولياً ؛
 تكتبه الأمم فى معاهداتها ، وينص عليه المشرعون والمقننون فى كتبهم وقوانينهم ؛ ولكن الكتابة والتقنين
 والتشريع - فى عرف ساسة اليوم - شئ غير التنفيذ ؛ وأصبح الجميع يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم
 فكهم من معاهدة ، وكهم من اتفاق ، وكهم من تحالف ؛ ضرب به عرض الحائط ؛ وصار المنطق للقوة وحدها ،
 وصار من يملك أداة التخريب والدمار هو صاحب الحق ، وهو الناطق بالصواب ! فانظر - يارعاك الله ==

== وهذاك - إلى تشريع مولاك: «وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر؛ إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق»
 فتعالى الله الملك الحق؛ الهادى للرشاد والهدى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهر الآية: إثبات
 مولاة الكافرين لبعضهم؛ وحقيقتها طلب كف المؤمنين عن مولاتهم، وإيجاب مباعدتهم «(لا تفعلوه) أى
 إن لم تفعلوا ما أمرت به من نظام الحرب، والإيخان في الأرض قبل اتخاذ الأسرى، وولاية المهاجرين
 والمؤمنين، ونصرة من يستنصر من المسلمين

٢٢١

سورة التوبة

- مع المحافظة على العهود والمواثيق - وعدم
 مولاة الكافرين؛ فإن لم تفعلوا ذلك «تكن
 فتنة في الأرض وفساد كبير» لأن ذلك مؤد إلى
 انهزامكم، واستيلاء العدو على بلادكم، وعدم
 الثقة في عهودكم ومواثيقكم «وأولوا الأرحام»
 أى ذوا القربات «بعضهم أول ببعض» في
 البر، والإنفاق والإحسان. والرحم: وعاء
 الولد ومنبته. وأطلق على القربات: لأنه
 أصلها وسببها.

كَبِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَابُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَاوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَوَمِّنُونَ ۖ حَقًّا
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ
 بَعْدِ وَهَابُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا
 الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

(٩) سُبْحَانَ الْقَوِيَّةِ مَا رَبَّنَا
 إِلَّا الْإِسْلَامُ الْأَخِيرُ نَبَتْ فَكُنَات
 وَأَمَّا ١٢٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَائِدَةِ

(سورة التوبة)

(براءة) اختلف في التسمية في ابتداء
 هذه السورة - كسائر سور القرآن الكريم -
 فمن على وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: أن
 بسم الله الرحمن الرحيم: أمان، وبراءة نزلت
 لرفع الأمان. وهو قول غير جائز - ولعله قد
 دس على الراوين - فالله جل شأنه: رحيم
 ورحن؛ سواء أمر بالقتال، أو أمر بالسلم،
 أمر بالعذاب، أو أمر بالثواب! وقال بعض
 الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: إن الأفعال
 وبراءة سورة واحدة؛ نزلت في القتال. وهو قول خير من سابقه، ولا بأس به. و (براءة) أى التخلص
 وتبرؤ من المواثيق والعهود وهذا التبرؤ (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أى عقدتم معهم
 مواثيق بعدم الاعتداء؛ فنقضوها (فسيحوا) فسبوا آمنين أيها المشركون. والسيح: السير على مهل
 (أربعة أشهر) وهى مدة الهدنة التى ضربها الله تعالى لهم للتوبة من الشرك (واعلموا أنكم غير معجزى الله)
 أى غير فائتي عذابه وانتقامه بل سيدرككم بالأخذ والعقوبة (وأذان) إيدان وإعلام (من الله ورسوله إلى
 الناس) جميعاً: من عاهد منهم ومن لم يعاهد، ومن نقض عهده ومن لم ينقض (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝
 وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

(أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وَمِنْ عَهْدِهِمْ (وَرَسُولُهُ) بَرِيءٌ مِنْهُمْ أَيْضاً . وَمَنْ بَرِئَ مِنْهُ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّ رَسُولَهُ بَرِيءٌ مِنْهُ ، وَمَنْ بَرِئَ مِنْهُ الرَّسُولُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَرِيءٌ مِنْهُ (فَإِنْ تَبَيَّنَ) أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُفْرِكُمْ وَتَقْضَى لَكُمْ الْعَهْدُ (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) لِأَنَّكُمْ ضَمَنْتُمْ الْأَمَانَ فِي الدُّنْيَا ، وَالْأَمْنُ فِي الْآخِرَةِ ! (وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أَعْرَضْتُمْ عَنْ ذَلِكَ (فَاعْمَلُوا أَنْتُمْ غَيْرَ مَعْجِزِي اللَّهِ) غَيْرَ فَائِثِي عَذَابِهِ (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً) مِمَّا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ (وَلَمْ يَظَاهَرُوا) لَمْ يَعاوَنُوا (عَلَيْكُمْ أَحَدًا) مِنْ أَعْدَائِكُمْ (فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَتِهِمْ) الَّتِي ضَرَبْتُمُوهَا فِي الْعَهْدِ . يُوْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ

الجزء العاشر

٢٢٢

كَانَتْ تَعْقِدُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مَعَاهِدَاتٍ وَمَعَالِفَاتٍ ، مُؤَقَّتَةً بِمَوَاقِيتٍ ؛ كَمَا يَفْعَلُ كِبَارُ سَاسَةِ الْعَالَمِ الْيَوْمَ ؛ بَعِيرُ فَارَقِ سِوَى أَنْ هُؤُلَاءِ نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ ، صَارِمُونَ لِلْوَدِّ ؛ وَأَوْلَتْكَ لِعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَأَمَانَاتِهِمْ حَافِظُونَ ! (فَإِذَا أَنْسَلَخَ) أَيْ مَضَى (الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ) وَهِيَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ (فَاتَّقِلُوا الْمُشْرِكِينَ) نَاقِثِي الْعَهْدِ (حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فِي الْحُلِّ أَوْ الْحَرَمِ ، وَفِي الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ ، أَوْ غَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ (وَخَذُوهُمْ) الْأَخْذُ : الْإِتْقَامُ وَالْأَسْرَ (وَاحْصِرُوهُمْ) حَاصِرُوهُمْ ؛ حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى الْإِسْلَامِ ، أَوْ الْإِسْتِسْلَامِ (وَاقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) كُلَّ طَرِيقٍ ؛ تَرَصَّدُونَهُمْ بِهِ ، وَتَرْقُبُونَهُمْ فِيهِ (فَإِنْ تَابُوا) عَنِ الشِّرْكِ ، وَأَمَنُوا (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) فِي أَوْقَاتِهَا (وَأَتَوْا الزَّكَاةَ) الْمَفْرُوضَةَ (فَغُلَا سَبِيلَهُمْ) أَطْلَقُوا سَرَاحَهُمْ مِنَ الْأَسْرِ وَلَا تَمْرَضُوا لَهُمْ بِأَذَى (وَإِنْ أَحْلَمْتُمْ الْمُشْرِكِينَ) الَّذِينَ أَحْرَمْتَ بِقِتَالِهِمْ (اسْتِجَارَكَ) أَيْ اسْتِجَارَ بَكَ ، وَطَلَبَ مِنْكَ الْأَمْنَ (فَأَجْرُهُ) حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ (وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَنْتَشِرْ بِالشَّدَةِ وَالْقِسْوَةِ - كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ أَعْدَائِهِ وَشَانِئِهِ - وَإِنَّمَا انْتَشَرَ وَشَاعَ بِالْحِجَّةِ وَالْإِقْتِنَاعِ وَبِالطُّفْلِ لَا الْعَنْفِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ مَهْمَةُ الْمُسْلِمِينَ النَّيْلَ مِنَ الْكَافِرِينَ ؛ بَلْ إِقْنَاعُهُمْ وَهَدَايَتُهُمْ

أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَيَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَلَابِ أَيْمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَنْدَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ لِمِ مَنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ فَلَمَّا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَلَّوْهُمْ وَأَحْصَرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَغُلَا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مِلَّةَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۖ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَضَا

لَكُمْ

حَتَّى يَعْرِفُوا الْحَقَّ فَيَتَّبِعُوهُ ؛ وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ مَطْعَنٌ لِطَاعِنٍ ، أَوْ مَغْزٍ لِعَاقِبٍ ؛ مِمَّنْ طَسَسَ اللَّهُ تَعَالَى بِصَائِرِهِمْ ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ فَهُوَ يَدْعُوهُمْ دَائِمًا إِلَى نَارِ السَّعِيرِ ! (ثُمَّ أَبْلَغْهُ مِلَّةَهُ) مَوْضِعَ أَمْنِهِ ؛ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ . وَاللُّغِيُّ : حَافِظٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ يَجُوزُ قِتَالُهُ إِذَا بَدَتْ مِنْهُ إِذَايَةُ لِلْمُسْلِمِينَ ، أَوْ إِضْرَارٌ بِمَصَالِحِهِمْ (وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ) أَيْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَهْدٌ ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ) (عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وَلَمْ يَنْكُثُوا بِعَهْدِهِمْ (فَمَا اسْتَقْتَضَا لَكُمْ) أَيْ أَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ

لَكَرَّ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ كَيْفَ
وَلَا يَنْظُرُوا عَلَيْكَ وَلَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّتَهُمْ
يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٠١﴾
أَشْتَرُوا بِعَابِدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَفَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ
لَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلَمْ يُخَوِّنْكَ فِي الْأَيْدِي وَنُفُصِلْ
الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكَ فَقَاتِلُوا أَلَمَّةَ الْكُفْرِ
لَهُمْ لَا أَيْمَانُ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٠٥﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكَرَ أَوَّلِ
مَرَّةٍ أَخَذْتَهُمْ فَلَاحِقَ الْأَمْرُ إِنَّ مَخْشَوَةَ اللَّهِ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾
فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُلُوحِهِمْ

(فاستقيموا لهم) على الوفاء بهدم (كيف)
تكرار للتأكيد؛ أي «كيف يكون للمشركين
عهد» (و) هم (لأن يظهروا عليكم) أي لأن
يظفروا بكم (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) لا
ولا ذمة) الإل: الحلف، والقرابة، والجوار،
و «الذمة»: العهد (يرضونكم بأفواههم)
رياء وحقا (وتأبى قلوبهم) الإيمان (اشتروا)
استبدلوا (بآيات الله) القرأت (ثمنًا قليلاً)
هو اتباع الصموات (فصدوا) منعوا (عن
سبيله) دين الله القوم (فان تابوا) عن الشرك
(وأقاموا الصلاة) في أوقاتها (وآتوا الزكاة)
المفروضة (فاخوانكم في الدين) وأخوة الدين:
تفضل أخوة النسب، وترتق عنها في السبب
(ولأن نكثوا) نقضوا (أيمانهم من بعد
عهدهم) أي وإن نكثوا عهدهم الموثق بالأيمان
(وطعنوا في دينكم) القوم المستقيم؛ فهم من
أئمة الفجرة الكفرة (فقاتلوا أئمة الكفر)
رؤساءه؛ لأنه بقتل الرؤساء: ينحصر
المرءوسون ويدلوا ويستكنوا (لعلهم ينتهون)
يرجعون عما هم فيه (ألا تقاتلون قوماً
نكثوا أيمانهم) نقضوها (وهو بإخراج
الرسول) هو بإخراجه عليه الصلاة والسلام

من مكة؛ حين تشاوروا بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة) بيدرس؛ حين قالوا: لن نتصرف حتى
نستأصل جعداً وأصحابه، وتقتنينا القبان، ونحرق الجزور، ونشرب الخمر (قاتلوهم يذهبهم الله بأيديكم)
بالقتل والجراح (ويخزهم) يذلهم بالأسر والقهرة.

(ويشف صدور قوم مؤمنين) بالنصر على الكافرين ! (وينهب غيظ قلوبهم) مما نالهم من أذى المشركين (أم حسبتم) أي هل ظننتم (أن تركوا) بغير امتحان وابتلاء (ولما يعلم الله) لم يعلم حتى الآن ؛ بمعنى أنه تعالى لم يظهر ما يعلم ؛ لأنه جل شأنه عالم بكل معلوم ، محيط بكل موجود ؛ أي لم يعلم (الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله غيره) ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) من الولج ؛ وهو الدخول . والمراد بها إبطاء الرجل وخاصته ؛ أي لم يتخذوا من الكفار والمنافقين أصدقاء وخلصاء . قال تعالى «لا يتخذ المؤمنون

الحشر الماشر

٢٢٤

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ؛ إلا أن اتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير» (ما كان للمشركين) لا يحق لهم (أن يعبدوا مساجد الله) بأن يدخلوها ؛ وقد كانوا يدخلون المساجد الحرام : حاجين أو طائفين ؛ بعد ما نودى فيهم بالنع عن المسجد الحرام بقوله تعالى «لما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» وقد كانت فيهم السدانة ، والسقاية ، والرفادة (شاهدين على أنفسهم بالكفر) بعبادتهم للأصنام ، وسجودهم لها ؛ مع معرفتهم وإقرارهم بأنها مخلوقة (أولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) الحسنة التي يعملونها في الدنيا ؛ لأن الكفر يحبط لسائر الأعمال (لما يعبد مساجد الله) يدخلها (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وخشيته تعالى : إحدى دعائم الإيمان ؛ التي لا يتم إلا بها ، ولا يقوم إلا عليها ؛ إذ كيف يكون مؤمناً بالله ، من لم يخش الله ؟ أو كيف يكون مؤمناً باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب من يخشى مع الله غيره ؟ ولو تأملت بين الاستبصار والاعتبار ؛ لوجدت أن كل الأعمال الموصلة إلى الجنة توصل إلى النار - إذا صحبتها خشية المخلوقين ، دون خشية رب العالمين -

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ ۚ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٦
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَعِ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٧
أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ
أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ خَلَدُونَ ۝١٨
لَمَّا يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَقِبَ
أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝١٩
الْحَاجَّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ
اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٢٠
الَّذِينَ آمَنُوا

وَقَابَرُوا

فكم مصيب يدخل النار ؛ لحب نيته ، وسوء طويته ! وكمن مخطئ ؛ يدخل الجنة لصدق نيته ، ومزيد خشيته ! ومن هنا نعلم أن خشية الله تعالى هي الإيمان كله ، وأنها موصلة لحيرى الدارين ، وأنها طاعة من أجل الطاعات ، وأن خشية ماسوى الله تعالى مصيبة من أقبح المصائب ؛ ويندرج تحت ذلك سائر الطاعات ؛ فالجهاد : خشية لله تعالى ، والإحجام عنه : خشية من الأعداء «فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس خشية الله أو أشد خشية» والإنفاق : خشية لله تعالى ، والإمساك : خشية من الإملاق والفقير «الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً» وسائر العبادات - ما لم يشها رياء أو نفاق - فهي خشية من الله تعالى ؛ فاذا شابها شيء منها فهي خشية لسواه ! (أجملت سفاية الحاج وعمارة المسجد =

وَهَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 أَكْثَرُ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ ﴿٢٠﴾
 يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
 أَعْلَمُ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ
 وَأَخْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبَا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ
 كَانَ عِبَادُ اللَّهِ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَأَهْلُؤُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
 وَعَشِيرَتُهُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
 وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿٢٠﴾ قل: افتخر العباس بالبقية ، وشيبة بالعمارة ،
 وعلى رضى الله تعالى عنه بالإسلام والجهاد ؛ فصدق الله تعالى عليا ؛ لأن (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
 سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند
 الله) والمؤمن المهاجر: أعظم درجة من المؤمن
 الذي لم يهاجر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
 آباءكم وإخوانكم أولياء) أصدقاء وخلصاء
 (إن استحبوا الكفر على الإيمان) وذلك لأن
 الكفر نهاية العداء ، وغاية البغضاء (قل) يا محمد
 للمتخلفين عن الهجرة معك (إن كان آباؤكم
 وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
 والتمتع ب صحبتهم) (وأموال اقترفتوها)
 اكتسبتموها ؛ وتريدون المحافظة عليها (وتجارة
 تخشون) تركها ، وتخافون (كسادها ومسكن
 ترضونها) وترتاحون في الإقامة بها . إن كان
 ذلك (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد
 في سبيله فتربصوا) انتظروا (حتى يأتي الله
 بأمره) يعقوبته ؛ يوم فتح مكة ؛ و(لقد نصركم
 الله في مواطن كثيرة) بقدرته ومعونته ؛
 لا بقوتكم وكثرتكم ؛ كوقعة بدر ، وقرظة
 والنضير ، والحديبية ، وخيبر ، وفتح مكة .
 وقيل : إن المواطن التي نصر الله تعالى فيها
 الإسلام ثمانون موطنًا (ويوم حنين) وهو
 وادي بين مكة والطائف ؛ دارت فيه رحى القتال
 بين المؤمنين والمشركين ، وانتهصر المشركون
 فترة من الزمن . والمعنى: «يوم حنين» نصركم
 الله فيه أيضاً بعد أن أذاقكم مرارة الهزيمة ؛
 عقوبة على تقصيركم في الاعتماد عليه ، وإعجابكم

بكثرتكم (إذ أعجبتكم كثرتكم) وقلتم : لن تغاب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفاً ؛ والكافرون
 أربعة آلاف (فلم تغن عنكم) هذه الكثرة (شيئاً) فالنصر يأتي به الله لمن شاء أنى شاء ؛ ليس تبعاً
 لكثرة أو لقلة !

شَيْعًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ
مُذَبِّرِينَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَءُوا الْمُسَجِدَ الْحَرَامَ
بَعْدَ عَائِمِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾ قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهَوْنَ

(ثم أنزل الله سكينة) طمأنينة (على رسوله
وعلى المؤمنين) فنادى الرسول عليه الصلاة
والسلام فيهم : يا معشر الأنصار ، يا معشر
المهاجرين ، يا أصحاب سورة البقرة ! فرجع
المسلمون إليه (وأنزل) الله تعالى (جنوداً لم
تروها) من الملائكة (انظر آية ٤٢ من
سورة الأفعال) (وعذب الذين كفروا) بالقتل
والأسر (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من
يشاء) إسلامه وهدايته من المشركين ، أو
يتوب على من يشاء من المدبرين المنهزمين ؟
لأن الواجب على المجاهد ألا يولى العدو دبره .
قال تعالى «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً
لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير» (إنما المشركون
نجس) لحب باطنهم ، وقذارة ظاهرهم ؛ ولأنهم
لا يقتلون ، ولا يتطهرون ، ولا يجنبون
التجاسات ؟ فهي دائماً ملابس لهم ا (وإن
خفتم عيلة) فقرأ (حتى يعطوا الجزية) سمي
جزية : لأنها جزاء على الكفر (عن يد) أى
تقدماً مقبوضة ؛ غير نسبية (وهم صاغرون)
أى تؤخذ منهم الجزية على الصغار ؟ وهو الذل

والهوان (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ؛ وربما قال هذا القول الأوائل منهم ،
أو قالوه في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام - عناداً له - لما رأوه منه من تقديس الإله ، وتزويجه عن
الولد والوالد ، أو نزلت هذه الآية بسبب أن اليهود سمعوا مقالة النصارى بمثل ذلك ؛ فلم ينكروا عليهم ،
أو يردعهم . وخلاصة القول : إنه لا يوجد الآن بين اليهود من يقول «عزيز ابن الله» فوجب أن نتأول
ذلك بما قلناه . هذا ولو أنه من المعلوم أن اليهود يرتكبون ما هو أشد من نسبة الولد إلى الله ا

(يضاهون) يشابهون بقولهم هذا (قول الذين كفروا من قبل) وهم الذين قالوا : الملائكة بنات الله . وقول المرتين : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (قاتلهم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق ؛ مع قيام الدلائل الواضحة على صدقه ! (اتخذوا أجبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أرباباً من دون الله) أى كالأرباب ؛ حيث أطاعوهم فى كل شيء . ومنه قوله تعالى «انفخوا حتى إذا جعله نارا» أى كالنار . وقد كان الأجبار والرهبان يحلون لهم الحرام فيستحلونه ، ومحرمون عليهم الحلال فيحرمونه (والمسيح ابن مريم) عطف على «اتخذوا أجبارهم

ورهبانهم» أى اتخذوا المسيح ابن مريم رباً لهم (وما أمروا إلا ليعبدوا لهما وحداً لا إله إلا هو سبحانه) نزه وتقدس عن الولد ، وعن الشبيه والنظير (يريدون أن يطفئوا نور الله) شرعه وبرايمه ، وأطفأ توحيد (ويأتى الله إلا أن يتم) يظهر (نوره) دينه وشرعه ؛ ويعليه على سائر الأديان والشرائع ! (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) القرآن (ودين الحق) الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على سائر الأديان المخالفة (ويصدون) يمنعون الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين يكتزون الذهب والنفضة) ولا يؤدون زكاتها ، ولا يتصدقون منها (ولا ينفقونها فى سبيل الله) ذهب أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه الى أن السلم لا ينفعى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليته . والإجماع على غيب ذلك ؛ ما دام مؤدياً حق الله تعالى فيه . وقد زعم بعضهم أنها نزلت فى أهل الكتاب تحسب ؛ وهو زعم باطل (يوم يحصى عليها) أى على الذهب والنفضة (فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وقد اختيرت الجباه والجنوب والظهور بالسكى لأن البخل يرى الفقير قادماً عليه فيقطب جبهته ، فإذا جاءه أعرض ونأى بجانه ، فإذا

يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَقْوَمِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ * بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلْنَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَحْصَىٰ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ

طالبه بإحسان ولاء ظهره ؛ فوجب أن يكوى بما بخل به على جبهته وجنبه وظهره ! وقد يكون المراد بذلك كى سائر الجسم ؛ فالجهة تدل على الأمام ، والجنوب والظهور على باقى الجسم . وقد يقال : كيف يحصى على أوراق العملة المتداولة الآن إن كانت مكتنزة ؟ والجواب : إنه يحصى على ما يوازيها من الذهب والفضة ؛ فتكوى بها الجباه والجنوب والظهور ؛ وجميع ذلك على وجه التمثيل : فقد يحصى على أطنان كثيرة من الذهب والفضة ؛ فنصب على البخل صبا ؛ ويومئذ يتذكرون ما فعلوه فى دنياهم «وأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم» والمراد من الآية : أن الذهب والفضة اللذين هما موضع إعجابهم فى الدنيا واهتمامهم وحرصهم ؛ سيكونان فى الآخرة موضع ألمهم وتعذيبهم ! تعذبه تعالى من غضبه وعذابه ! (هذا ما كنتم

لأنفسكم) أى يقال لهم : انكم لم تكتفوا خيراً لأنفسكم ؛ بل كنتم لها الشر المقيم ، والعذاب الأليم !
 (فدوقوا ما كنتم تكفرون) أى جزاءه وعقوبته ! (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله)
 لوحه المحفوظ ؛ الذى كتب فيه (يوم خلق السموات والأرض) كل ماهو كائن (منها أربعة حرم) يحرم القتال
 فيها ؛ وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب (ذلك) أى تحريم هذه الشهور ؛ هو (الدين القيم)

المسنة العاشرة

٢٢٨

المستقيم (فلا تظلموا فيه أنفسكم) أى لا تظلموا
 أنفسكم فى الأشهر الحرم ؛ بارتكاب المعاصى ؛
 فانها فيها أعظم إثمًا ، وأشد وزراً ؛ وقيل :
 الضمير فى «ففيه» عائداً على الأشهر كلها :
 الإثني عشر . أما الأشهر الحرم فان الذنب فيه
 أكبر ، كما أن العمل الصالح والأجر فيه
 أعظم . وقد اصطفى الله تعالى من خلقه صفايا :
 فاصطفى من الملائكة والناس رسلاً ، واصطفى
 من الكلام القرآن ، واصطفى من الأرض
 المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان
 والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام الجمعة ،
 واصطفى من الليالى ليلة القدر ؛ فظفدوا ما عظم
 الله تعالى واصطفاه : تفوزوا بمجنته ورضاه !
 (وقاتلوا المشركين كافة) أى مجتمعين غير
 مفترقين ، مؤتلفين غير مختلفين (إنما النسيء
 زيادة فى الكفر) النسيء : التأخير ؛ وقد
 كانوا يؤخرون حرمة الأشهر الحرم لغبرها ؛
 طبقاً لأهوائهم ورغبتهم فى القتال (ليواطئوا)
 ليوافقوا (عدة ما حرم الله) وذلك بتحريم
 شهر حلال ، مكان شهر حرام استحلوه ؛
 فكانوا يحرمون صفر عاماً - مكان المحرم -
 ويحرمون المحرم عاماً ؛ وذلك معنى قوله جل
 شأنه (فيحلوا ما حرم الله) باحلالهم المحرم ؛
 الذى هو من الأشهر الحرم (يا أيها الذين
 آمنوا ما لكم إذا قيل لكم افقروا) أى

لأنفسكم فدوقوا ما كنتم تكفرون ﴿٢٢٨﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ
 عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
 فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٩﴾
 إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُحْلِلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُطِيعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 فَيُحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ
 إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَقَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
 أَرْضِينَا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٣١﴾ إِنْ تَنَفَرُوا يَعْذِبْكُمْ
 اللَّهُ بِالْأَلِيمِ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا

وَاللَّهُ

أخرجوا للقتال (فى سبيل الله اناقلتم) تناقلتم وتباطأتم عن الجهاد (إلى الأرض) أى ملتم إلى القعود (أرضينم
 بالحياة الدنيا من الآخرة) أى أرضينم بما فى الدنيا من متاع زائل ، وراحة مؤقتة ؛ عما فى الآخرة من نعيم
 مقيم ، وسعادة دائمة ! (فما متاع الحياة الدنيا فى) جنب متاع (الآخرة) ونعيمها الباقى الدائم (إلا قليل)
 حقير زائل (إلا) إن لم (تنفروا) تخرجوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للجهاد (بعضكم عذاباً أليماً) فى
 الدنيا ؛ بالجدب والقطط (ويستبدل قوماً غيركم) يطيعونه إذا أمر ، ويخرجون معه إذا استنفر (ولا تضروه
 شيئاً) أى ولا تضروا الله شيئاً بترككم النفير وعصيانكم ؛ لأنه تعالى ليس فى حاجة إليكم .

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا تَتُوبُوا فَلَا تُغْفَرُوا وَلَكُمْ الْعَذَابُ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾ أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ

(إلا تنصروه فقد نصره الله) أى إن لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه سوى رجل واحد (ثاني اثنين) هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه (إذ هما في الغار) والغار: قبة في الجبل؛ وقد كانا في غار بجبل ثور؛ وهو من جبال مكة المكرمة (إذ يقول) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (صاحبه) أبى بكر رضى الله تعالى عنه؛ حين رأى المشركين يجوبون الجبل بحثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتلوه؛ فقال للنبي: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. فقال عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (لا تحزن إن الله معنا) بنصره وعونه وكلايته (فأنزل الله سكينته) السكينة: الطمأنينة (وأيده بجنود لم تروها) ملائكة يحفظونه من أن يراه الكفار، ومن أن ينال منه أحدهم لو رآه (وجعل كلمة الذين كفروا) دعوتهم إلى الشرك (السفلى) المنحطة المغلوبة (وكلمة الله) دينه، والدعوة إلى توحيدة (هى العليا) الظاهرة الغالبة (انفروا خفافاً وثقالاً) أى اخرجوا للقتال ركباً ومشاة، أو شباباً وشيوخاً، أو أغنياء وفقراء (لو كان عرضاً قريباً) أى لو كان مادعوتهم إليه مغنا

سهل المأخذ (وسفراً قاصداً) وسطاً، غير بعيد (لاتبعوك) جرباً وراء منافقهم الدنيوية (ولكن بعدت عنهم السفلة الشاقة) (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالكذب والنفاق، وتريضها للعذاب الأليم! (عفا الله عنك) هو من ألطف العتاب! (لم أذنت لهم) فى التخلف عن الجهاد؟

من هذه الآية نعلم مكانة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه عند ربه، وعلو قدره، وسمو منزلته؛ فقد بشره موله جل شأنه بالفعل قبل أن يخبره بالذنوب؛ ولأنه لو قال له معاتباً: لم أذنت لهم؟ لحيف عليه أن ينشق قلبه حزناً وكداً!

(وارتابت قلوبهم) شكت في صحة الدين (ولكن كره الله انبعاثهم) كره نهوضهم للخروج للجهاد معك ؛ على ما هم عليه من شك وفاق ؛ لا يتوفر معها الاقدام ، وصدق الدفاع (فتبطمهم) الله عن الخروج ؛ أى كسلهم عنه (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدین) مع المرضى والنساء والشيوخ والصبيان ؛ الذين أقعدهم المرض والضعف والعجز والصغر ؛ وهؤلاء الشاكون المرتابون (لو خرجوا فيكم) للقتال (ما زادوكم الا خبالا) الخبال: النقصان ، والمهلاك ، والعناء ، والسكل ؛ والمعنى : ما زادوكم إلا فساداً وتعباً (ولأوضعوا خلاصكم) لمشوا بينكم بالفساد والنميمة ، وإفساد ذات البين (يدفونكم) يطلبون لكم (الفتنة) الإفساد والعداوة ، أو يغيثون لكم الكفر ، أو المراد بالفتنة : الدس والوقعة ؛ لقوله تعالى (وفيكم سماعون لهم) أى مصدقون لما يقولونه ، أو «سماعون لهم» أى جواسيس من المنافقين : يسمعون أسراركم ، ويبلغونها لهم (لقد ابتغوا) طلبوا وأرادوا لك (الفتنة من قبل) حين قدمت المدينة (وقلبوا لك الأمور) دبروا لك الحيل والمكائد لإطال دينك (حتى جاء الحق) النصر الذى وعدك الله تعالى به (وظهر أمر الله) فشاد دينه ، وسطع نوره (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود عن الجهاد (ولا تفتنى) أى لا توقفتنى فى الفتنة ؛ ومى الإثم . قال تعالى رداً على قولهم (ألفى الفتنة) الكفر والعذاب والإثم (سقطوا) وقعوا ؛ بسبب ما قالوا . وما فعلوا ، وبسبب تخلفهم عن الجهاد (ولأن جهنم لحيلة بالكافرين) لا ينجو منها أحد

٢٣٠

الجزء العاشر

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾
إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِنْهُمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٠٢﴾
* وَلَوْ أَرَادُوا أَنْخَرُجُوا لَأَعْلَوْا لَهُمْ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٠٣﴾
لَوْ تَخَرَّجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا تُفْعَلُونَ ۚ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ هَؤُلَاءِ لَمَذَّابِكُمْ لَأَذَلَّ الْأَعْيُنُ ۚ وَاللَّهُ عَالِمُ
الْغُظَّالِينَ ﴿١٠٤﴾ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلْبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ﴿١٠٥﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَمِنْهُمْ لَمِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ
سَأَوْهُمْ ۚ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ
قَبْلِ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

الله

منهم (إن تصيبك حسنة) نصر وغنيمة (تسؤم) لأنهم لا يبتغون لك الخير ؛ لحيث باطنهم (وإن تصيبك مصيبة) شدة وهزيمة (يقولوا قد أخذنا أمراً) من الحذر واليقظ ؛ ولم تقع فيما وقعوا فيه (قل لن يصيبنا) من خير أو شر (إلا ما كتب) قدر وقضى (الله لنا) فلا دافع له ، ولا مناس من وقوعه

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
 بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا
 أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣﴾
 وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ وَلَا يُنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤﴾ فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
 وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ
 مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٦﴾ لَوْ يَجْعَدُونَ مَلَجًا
 أَوْ مَفْزَعًا أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٧﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْعَنُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا

(هو مولانا) فاصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في سائر أمورهم (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) (قل هل تترصدون بنا) تنتظرون لنا (إلا إحدى الحسين) النصر، أو الشهادة : وكلاهما
 حسن . بل الشهادة التي تتوقعونها لنا : أحسن وألذ من النصر ! (ونحن تترصدون بكم) نتظن لكم

(أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من
 السماء ؛ كقارعة عاد وثمود (أو بأيدينا) بأن
 تقتلكم (قل أنفقوا) في طاعة الله تعالى
 (طوعاً) بارادكم (أو كرها) رغم أنوفكم
 (لن يقبل منكم) ماتفقونه (إنكم كنتم قوماً
 فاسقين) كافرين (وما منعهم أن يقبل منهم
 نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله) بتفريقهم ،
 ورغبتهم في إيصال السوء إليك (ولا يأتون
 الصلاة إلا وهم كسالى) لأنهم لا يبتغون من
 أدائها ثواباً ، ولا يخشون من تركها عقاباً
 وإنما يقومون بها ابتغاء للمؤمنين ، وصرافة
 لهم (فلا تعجبكم أموالهم) وكثرتها (ولا
 أولادهم) ولا تظن أن ذلك لأنهم منا عليهم ،
 أو رضاء عن أعمالهم (إنما يريد الله ليعذبهم
 بها في الحياة الدنيا) بما يلقونه في سبيل
 تحصيل الأموال والحرس عليها ، والكدر
 عند إلتفاتها ، وبما يلقونه من عنت الأولاد ،
 ومرضهم وقدمهم ؛ في حين أن المؤمن لا يحرص
 على الجمع ، ولا يألم للانفاق ؛ ويكتب له
 بكل أذى يلقاه حسنة ! (وتزهد أنفسهم)
 تخرج أرواحهم ؛ والزهد : الخروج بصعوبة
 (ولكنهم قوم يفرقون) جبناء ؛ يخافون
 القتل إذا هم أظهروا ما يبتغون (لو يجدون
 ملجأً) يلجأون إليه خوفاً من القتال (أو
 مفارقات) سرايب في الجبال (أو مدخلا) فقا

(وهم يجمعون) يسرعون كالفرس الجوح الذي لا يرد (ومنهم من يلزك) يبيك (في الصدقات) أي في
 توزيعها . والمراد بالصدقات الزكاة المفروضة ؛ وقد كانت تجمع ، وتوزع بمعرفة الرسول صلوات الله تعالى
 وسلامه عليه (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أي إن رضاهم وسخطهم للدنيا ؛
 لا للدين ، ولأنفسهم لا للسلدين

وَأِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٢١﴾
* إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾
وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ خَيْرٌ
لِّكُرْبَتِهِمْ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ
الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

(ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى
بما آتاهم من الأموال والنفائض وطابت به
قوسهم ، من غير تطلع إلى ما أوتي غيرهم
(وقالوا حسبنا الله) كافينا (إنما الصدقات
للفقراء) الذين يسألون الناس لأنهم لا يجدون
ما ينفقون (والمساكين) الذين لا يسألون أحداً ؛
لأن عندهم ما يكفيهم في الحال ؛ كمن علك
قوت يومه ، أو من لا يجد الكفاف
(والعاملين عليها) الجباة الذين يحصلونها
(والمؤلفة قلوبهم) قوم من أشرف العرب ؛
كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
يتألفهم ليسلوا ، أو هم كل من أسلم من اليهود
أو النصارى ، أو غيرهم من المشركين : ليثبتوا
على إيمانهم ؛ وقد كان ذلك في صدر الإسلام
(وفي الرقاب) أى المكاتبين . وهم الذين
يكاتبون موالهم بشتمهم ؛ فإذا أدوه فهم أحرار .
وقد أجاز الله تعالى عليهم الزكاة ؛ ليمانوا
على تحرير أنفسهم (والغارمين) المثقلين
بالديون ، أو الذين أصابهم اضطهاد وغرم
في سبيل الدين والوطن ؛ اللهم إلا من تدين
في سفاقة أو محرم ؛ فهو واجب المحاربة
لا الإعانة (وفي سبيل الله) أى للقائمين بالجهاد

(وإن السبيل) الذى قطع به الطريق في السفر (فريضة من الله) أى فرض الله تعالى الزكاة لهؤلاء الأصناف
فرضاً (ومنهم) أى من هؤلاء الجبناء والنافاقين (الذين يؤذون النبي) بكلامهم (ويقولون هو أذن) أى
سماع لما يقال له من الشر (قل) هو (أذن خير) أى سماع لكل خير (لكم) ولا يستمع للشر كما تزعمون
(ألم يعلموا أنه من يحاد) مجاوز الحد . والمقصود أنه يحارب ويخالف (الله ورسوله) ولا يطعها
(يحذر) يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أى على المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) أى بما في قلوب
المنافقين من تبئت العداوة والشر ، والاستهزاء بالمؤمنين

تَنْبِيهِمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ
 مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
 وَنُلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾
 لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْبُ عَنْ طَائِفَةٍ
 مِّنْكُمْ نَعْدِبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ الْمُنَافِقُونَ
 وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
 فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٤﴾
 كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَنَكْرَ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
 وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِيِّهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِيِّهِمْ كَالَّذِي
 اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِيِّهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي

﴿قل استهزؤا﴾ ماشتم أن تستهزؤا ﴿إن الله﴾
 مخرج ما تحذرون ﴿أي مظهر ما تخفونه وتحذرون﴾
 ظهوره من النفاق ﴿ولئن سألتهم﴾ عن استهزائهم
 بك ، وبعما أنزل إليك من القرآن ﴿ليقولن﴾
 معترفين عن استهزائهم ﴿إنما كنا نخوض﴾
 في الحديث ﴿ونلعب﴾ نلغو ونمزح ﴿قل أبالله﴾
 وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴿والاستهزاء﴾
 والسخرية بالله ، أو بآياته ، أو بلائكته ،
 أو برسله - ولو على سبيل المزاح - كفر
 لا يحصى اعتذار ﴿لا تعذرؤا﴾ وكيف يجدي
 الاعتذار ، و ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وكما
 ترى بعض المتطرفين الثقلاء يقذف باللكنة
 الوقعة ، وبالزحمة السمجة ؛ ينال بها من
 دينه وخالفه ! ومن عجب أن نرى أناساً
 يضعكون للكنة هذا الفاجر الكافر ؛ ولم
 يفعلوا أنهم شركاء له في جوره وكفره ، قرناء
 له في جهنم وبئس المصير ! نعوذ بالله الحليم ، من
 الاستهانة بقدره العظيم ، أو بكتابه الكريم
 أو برسله البررة ، أو بلائكته الحيرة ! ﴿إن﴾
 نف عن طائفة منكم ﴿لحسن نيتها﴾ ، وصدق
 طوبتها ؛ ورجوعها إلى حجة الصواب ﴿نمذب﴾
 طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴿مصرين على كفرهم﴾

واستهزائهم ﴿ويقضون أيديهم﴾ عن الإنفاق في الطاعات ﴿نسوا الله﴾ تركوا طاعته ، ونسوا أجره الذي
 وعده ؛ لأنه تعالى وعد المنافقين أجراً عظيماً ؛ فقبضوا أيديهم ؛ فكانوا بذلك مكذبين لوعده ، ناسين
 لأجره ﴿فنسبهم﴾ تركهم من رحمة وفضله ؛ وجعلهم كالنسين ﴿مى حسبهم﴾ تكفيم جزاء وعقابا ﴿فاستمعوا﴾
 بخلافهم ﴿بنصيبهم من الدنيا﴾ و﴿خضتم﴾ في الباطل والظن في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي
 الكتاب المنزل عليه ﴿كالذي خاضوا﴾ أي كالخوض الذي خاضوه

(أولئك حبطت أعمالهم) بطلت أعمالهم الحسنة التي عملوها (في الدنيا) لأن الكفر عبط اسائر الأعمال (والآخرة) لأنه لا جزاء لها (ألم بأنهم) أى ألم يأت هؤلاء الخائضين (نبأ الذين) خاضوا (من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وعنود) قوم صالح (وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب ؛ عليهم الصلاة والسلام (والمؤتفكات) قرى قوم لوط ؛ والمراد بها أهلها (أتتهم رسلكم بالبينات) بالآيات الواضحات ، والمعجزات الظاهرات ؛ فاستهزأوا برسلكم ؛ فعذبهم الله تعالى عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين ! (فكان

الجزء العاشر

٣٣٤

الله ليظلمهم) بالعذاب الذى أنزله بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وارتكاب المعاصي ، وتعرضها للعقاب . هذا حال الكافرين ، والمناقضين ، والخائضين ؛ أما حال المؤمنين فقد أوضحة الله تعالى بقوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أى هم لبعض أنصار وأعوان ؛ لأنهم (يأمرون بالمعروف) بالإيمان ، والاستقامة (وينهون عن المنكر) وهو كل ما ينكره العرف والشرع (ويقومون الصلاة) في أوقاتها (ويؤتون الزكاة) المفروضة (ويطيعون الله) فيما أمر به ، ونهى عنه (ورسوله) فيما سنه لأمته من كريم الفعال ، وحيد المصالح ! (أولئك سيرحمهم الله إلى الله عزيز حكيم) .

يامعشر المؤمنين : لقد جاءكم البشير النذير ، بقول الرحمن الرحيم « أولئك سيرحمهم الله » فأى شيء يتفنون فوق رحمته ؟ وأى شيء تطلبون بعد جنته ؟ ! ولم يجعل جل شأنه سبب الوصول إلى رحمته عسراً شاقاً ؛ بل هو طلبة كل لإنسان كامل ، وبغية كل شخص عاقل ! وقد وصف الله تعالى أولئك الذين اصطفاهم لجنته ، واختصهم برحمته بقوله : « يأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر » فهل ترى أيها المؤمن العاقل أن انتهى عن المعروف ، والأمر بالمنكر ؛ أولى وأجدر من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؟

خَاضُوا أَوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِسُونَ ﴿٣٣٤﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَعَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ
وَالَّذِينَ كُنْتُمْ أَنْتُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَدْ كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٣٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ
كَامِلٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٣٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهَنَّمَ الْكَافِرَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَمِنْ

الْمَصِيرِ

ووصفهم تعالى أيضاً بأقامة الصلاة : « ويقومون الصلاة » ولما تمها - كما تعلم - قيام بشكره تعالى على ما وهب من واسع الطاء ، وأنعم من مزيد النعم ؛ وابتهاج إليه تعالى لين بالهداية إلى دينه القويم ، وصراطه المستقيم !

ووصفهم جل شأنه بإيماء الزكاة : « ويؤتون الزكاة » فهل ترى أيها المتقلب في نعمة الله ، المتمتع بهباته وفيوضاته ؛ أن تأكل كما تأكل الأنعام فلا تلتفت إلى من هم دونك من الأنعام ؛ وتدرهم يموتون عرياناً ، =

== ويتضورون جوعا ؟ وهل هذا شأن بني الإنسان ؟ الذين فضلهم ربهم على كثير من خلق تفضيلا ، وميزهم بالعقل الراجح ، والقلب الرحيم !

ووصفهم تعالى أيضا بأحسن ما يوصف به العباد المقربون ؛ وهل يقرب الإنسان من ربه سوى طاعته ؟ « ويطيعون الله ورسوله » وهل تجب على العاقل طاعة الشيطان ، أم طاعة الرحمن ؟ هل تجب طاعة من يدعوك إلى الجنة ، أم من يدعوك إلى النار ؟ ! إن الله تعالى قد ألبسك ثوب محبته ، ودعاك إلى جنته ، ووعدهك بمزيد رحمته فهل - يارعاك الله وهداك - إلى رحمة الله !

رحمنا الله تعالى وإياك ، ووهبنا مزيد رضوانه ووفقنا لما يؤهلنا إلى فيض إحسانه ! (ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش والإقامة (في جنات عدن) « التي وعد الرحمن عباده » ومى من عدن في السكات : إذا أقام فيه . والمعنى : جنات الإقامة (ورضوان من الله أكبر) أى أكبر من ذلك النعيم الموصوف (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز بعده ! و« لعل هذا فليعمل العاملون » (يأيتها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة) (واغلظ عليهم) في القتال والحاجة ؛ فلا تأخذك بهم رأفة ولا رحمة (يخلفون بالله ما قالوا) قيل : نزلت في الجلاس ابن سويد بن الصامت ؛ وقد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ؛ على حير لهم . فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقا ؛ لنحن أشر من حيرنا هذه التى نحن عليها . فقال مصعب : أما والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما قلت ؛ فأنى إن لأفعل أخاف أن تصيبني فارعقوا وأخذ بحظيكتك فلما أتيا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ قال مصعب : يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا . فقال للجلاس : أقلت الذى قال مصعب ؟ فخلف ما قال ؛ فنزلت « يخلفون بالله ما قالوا » (وهما) بالفتك بالنبي

صلى الله تعالى عليه وسلم (بما لم ينالوا) لأن الله تعالى عصمه منهم ؛ قال تعالى « والله يعضك من الناس » (وما تقموا) أى وما أنكروا ، وما عابوا (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) قيل : قتل مولى الجلاس ؛ ففضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له بديته ؛ فكانت سببا في غناه (فان يتوبوا) عن النفاق ، وعن كلمة الكفر (بك خيرا لهم) في الدنيا والآخرة (ولان يتولوا) يعرضوا ويصبروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالقتل ، والأسر ، والذل (والآخرة) بالنار وبش القرار ! (ومنهم) أى من المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) رزقه وسعته . قيل : هو ثعلبة بن حاطب (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أى جعل عاقبتهم النفاق في القلب ، وهو البخل لأن البخل يغني نعمة الله تعالى عليه ==

سورة التوبة ٢٣٥

الْمَصِيرُ ﴿٢٣٥﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣٦﴾ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَيَصَّدَّقَنَّ وَلَيَكُونُوا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٣٧﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣٨﴾ فَأَعْقِبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٣٩﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٢٤٠﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

= ولا يديها . وفاق القلب : أسوأ مراتب النفاق (ونجواهم) ما يتناجون به فيما بينهم ؛ وهي المسارة (يلغزون) يميون (الطوعين) المتطوعين ، المتبرعين (والذين لا يجدون إلا جهدهم) لإطاعتهم ؛ فيقدمونه (فسخرون منهم) أى فيسخر المنافقون من المتطوعين : لأن أكثرنا زعموا أنه رياء ، وإن أفلوا قالوا : إن الله غنى عن مثله . (استغفر لهم أولا تستغفرهم) نزلت في المنافقين وقيل : في عبد الله بن أبي بن سلول حين صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جنازته (لأن تستغفر لهم سبعين مرة) المقصود من العدد

الجزء العاشر

٣٣٦

الكثير ، لا التحديد ؛ إذ لو استغفر لهم طول حياته (فلن يضر الله لهم) وهؤلاء هم أشقى الناس بلا حراء : فقد حرموا من قبول استغفار من لو استغفر لعصاة الجن والإنس : لغفر لهم (فرح المخلفون) الذين تخلفوا عن الجهاد (بمقدمهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعد ذهابه للجهاد ، أو قعدوا مخالفين له (وقالوا) لبعضهم ، أو قالوا للمسلمين (لا تنفروا في الحرب) أى لا تخرجوا للقتال في الحرائر لا يؤذيكم (قل نار جهنم أشد حرا) فإن كنتم تخشون الجهاد في الحرائر يطيقه ويتحملة كل مخلوق - والجهاد موصل إلى ظل الجنة الوارف ، ونعيمها الدائم - فكيف بنار جهنم الذى لا يطيقه الصخر ، ويذوب من حره صم الجلاميد ؟ وهل الوصول إلى الجنة بطريق مشوب بالحر المحتمل أولى ، أم الوصول إلى الجحيم بطريق متملئ بالهواء الليل ، والجو الجليل ؟ (فليضحكوا) أى فليضحك هؤلاء القاعدون في الدنيا (قليل) حتى انتهاء آجالهم - وهو قليل وإن طال - (وايكوا) في الآخرة (كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) في الدنيا من البخل ، والنفاق ، وعيب الكرماء والسخرية منهم ، وتخلفهم عن الجهاد وكرهتهم له (فان رجك الله) ردك من الجهاد (إلى طائفة منهم) أى من المنافقين (فاستأذنوك

أَلَيْمٌ ۖ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ۝ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۝ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ

بِمَا

للخروج) إلى غزوة أخرى (فاقعدوا مع الخالفين) من الشيوخ ، والصبيان والمرضى ، والنساء (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) نهى تعالى عن الصلاة على موتى الكفار ؛ وهي مفروضة على موتى المؤمنين - صالحين كانوا أو من أهل الكبائر - ما لم يكونوا من البغاة وأهل الضلالت ؛ إلا الشهيد ؛ فإنه لا يفسل ، ولا يصلى عليه ؛ وذلك لأن النسل لحو الجاسات والقاذورات ؛ والشهيد يبعث يوم القيامة بدمه - تشريفا له ، وإشادة بموقفه الحيد - والصلاة على الميت دعاء له بالأجر وغفران الذنب ؛ والشهيد مأجور مغفور !

= صلاة الجنازة: أربع تكبيرات ؛ يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب سرا ، ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم في الثانية ، ثم يخلص الدماء الميت بعد الثالثة ، ثم يكبر الرابعة ويقول : اللهم لا تحرمننا أجره ، ولا تقنأ بعده ؛ ثم يسلم . وليس في صلاة الجنازة ركوع ولا سجود . (وماتوا وهم فاسقون) كافرون (ولا تعجبك أموالهم) وكثرتها (وأولادهم) وشدها (لما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) يعذبهم بجمع الأموال والمحرص عليها ، ويعقوب الأولاد وجوهم (وترحق أنفسهم) تخرج أرواحهم وهي كارهة (استأذنتك أولوا الطول) ذوو الغنى (وقالوا ذرنا) دعنا واطركننا (نكن مع القاعدن) عن الجهاد (رضوا بأن يكونوا مع الحوالم) النساء (وطبع) غطى (على قلوبهم) بسبب كفرهم وجنهم (لكن الرسول والذين آمنوا معه) لم يتخلفوا ، (وجاهدوا بأموالهم وأ أنفسهم وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين . وقيل : المراد بالخيرات النساء الحسنات ؛ لقوله تعالى «فيهن خيرات حسان» (أعد الله لهم جنات) حدائق وبساتين (وجاء المعذرون) المعتذرون الذين احتلوا الأعذار ، ليتخلفوا عن الجهاد (ليؤذن لهم) في القعود . وقيل : المعتذرون بعذر حقيق يمنعهم من الجهاد (وقعد) عن الجهاد المشركون (الذين كذبوا الله) أى كذبوا عليه ؛ فادعوا الإيمان وناقضوا ؛ فلم يجاهدوا مع المجاهدين ، ولم يعتذروا مع المعتذرين ؛ وقرأ ابن «كذبوا الله» فلم يصدقوا وعده بأجر المجاهدين ؛ وما أعدهم لهم من خير عظيم ، ونعيم مقيم (ليس على الضعفاء) حرج في ترك الجهاد (ولاعلى المرضى) لأنهما سيكونان عبثاً ثقيلاً على المجاهدين (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) في سبيل الله : من مال ، أو سلاح ، أو مركب (حرج) إثم .

في التخلف (إذا نصحوا لله ورسوله) في حال تخلفهم ؛ فلا يتبطون هم غيرهم ، ولا يقعدهم عن الجهاد .

والنصح : إخلاص العمل من النفس (ماعلى المحسنين) لأنهم ؛ الذين نصحوا لله ورسوله ، ولم ينمهم عن الجهاد إلا العذر الشديد (من سبيل) يدعو إلى مؤاخذتهم أو لومهم

لَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِم بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْتَقِ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْزَلْنَا بِهَا اللَّهُ وَجْهَهُدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْنَا أَنْزَلْنَا الطُّولَ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٢٣٨﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٣٩﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ خَيْرَاتٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٤٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٤١﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٤٢﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُهُمْ
تُفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾
* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ يَحْتَدِرُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
قُلْ لَا تَعْتَدُوا أَنِّي تَأْخُذُ بَكُمُ الذَّمَّ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنِّي أَنِّي مُخْذَرٌ
مِّنْكُمْ وَاللَّهُ عَمَلَكُمْ وَأَرْسُلُكُمْ ثُمَّ تَرْدُونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنَعْرُضَنَّ عَنْهُمْ فَاغْرَضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرَضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ رَضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾

الْأَعْرَابُ

(ولا على الذين) رغبوا في الجهاد رغبة صادقة، ولم ينعم عنه سوى أنهم (إذا ما أتوك لتحملهم) أي لتحملهم ما يركبون عليه للجهاد (قلت) لقله ما عندك من المراكب؛ وكثرة المجاهدين الذين استنفدوا كل ما عندك من خيل وأبيرة أعدتها وجمعها للجهاد؛ قلت لهم (لا أجد ما أحملكم عليه) وعند ذلك يظهر الأسى على وجوههم، والحسرة في قلوبهم - لزيد إيمانهم وإخلاصهم - و (تولوا) انصرفوا (وأعينهم) تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون في سبيل الله؛ فيشترون ما يركبونه - لهم ولأمثالهم من ممنهم عن الجهاد قلة المراكب - (إنما السبيل) الطريق للمواخذه والعقوبة (على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم أغنياء) أقوياء يستطيعون الجهاد في سبيله تعالى بأنفسهم والأموال؛ لكنهم (رضوا) بأن يكونوا مع الخوالم النساء؛ لأنهم خلف الرجال في البيوت (وطبع) غطى (الله على قلوبهم) بسبب نفاقهم (فهم لا يعلمون) ما ينفعهم فيوصلهم إلى الجنة، وما يضرهم فيلقى بهم في الجحيم! هذا وقد طبع الله تعالى على قلوبهم؛ بعد أن أنزل عليهم آياته البينات، وأرأى معجزاته الظاهرات؛

فأبوا طريق الهدى والفلاح؛ واتبعوا طريق الشيطان؛ فكان لزاماً أن يطبع الله تعالى على قلوبهم، ويغتم على أبصارهم (فهم لا يعلمون) (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم) أي رجعت من الجهاد (لنعرضوا عنهم) فلا تقاتبهم على تخلفهم وقودهم (فأعرضوا عنهم) فلا تشيروا إلى قصيرهم، ولا تقاتبهم؛ وذلك لأن المعاتبة: تصفية للقلوب، وإبقاء للمودة؛ ألا ترى إلى وصفه تعالى لأهل النار: «فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون» (إنهم رجس) قدر لحبت باطنهم؛ فلا يطهرون بالعتاب والتوبيخ. والرجس: القذر المؤدى إلى العذاب والمقاب.

الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكَرِّ
الدُّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ
قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ
سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾
وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ حَزَلَ مِنَ الْأَعْرَابِ
مَنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
ثُمَّ تَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

(الأعراب) أهل البدو (أشد كفراً ونفاقاً) لجفائهم وقسوتهم ، وغلظ طباعهم ، وبعدهم عن العلم والعلماء (وأجدر) أحق وأول (ألا يعلموا حدود ما أنزل الله) من شرائعه وفرائضه وأدلة توحيده ؛ لقصر نظرهم ، وقلة تبصرهم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق) في سبيل الله (مغرمًا) غرامة وخسراناً ؛ لأنه ينفقه رياء وخوفاً (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمات : ومي أنكاده ، وتقلباته ، ومصائبه ، وهزأته (عليهم دائرة السوء) دعاء بتزول العذاب - الذي ينتظرونه لكم - بهم ، وحلول الهلاك بساحتهم (ومن الأعراب من يؤمن بالله) لإيماناً يقينياً (واليوم الآخر) وما فيه من ثواب وعقاب (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) تقربهم منه ، وتدينهم من رحمته (وصلوات الرسول) دعواته (ألا إنما) أى ثقتهم ، أو دعوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستغفاره لهم (قربة) تقربهم من الله تعالى (سيدخلهم الله) بسبب ذلك (في رحمته) نعيمه ورضوانه وجنته (والسابقون الأولون) هم من شهد بدراً ، أو بيعة الرضوان (رضى الله عنهم

ورضوا عنه) (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) (ومن حولكم) يا أهل المدينة (من الأعراب منافقون) كقبائل أشجع وأسلم وغفار ومزينة وجهينة (ومن أهل المدينة) منافقون أيضاً (مردوا على النفاق) أى لجوا واستمروا عليه (لا تعلمهم) لنستترهم ونفاقهم ، وتظاهرهم بالإيمان (سنعلمهم مكرهم) في الدنيا : بالقتل والأسر والحزى والهوان ، أو بالأمراس والفضيحة (ثم يردون) يوم القيامة

(وآخرون) من المنافقين (اعترفوا بذنوبهم) بأن تابوا منها ، وأقلعوا عنها (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بها من دنس الشح ، والبخل ، والإثم (وتركهم) تنى أعمالهم وحسناتهم (ومل عليهم) ادع لهم (إن صلاتك سكن لهم) رحمة وسلام

وطمأنينة (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) يفرهم ذنوبهم (وبأخذ الصدقات) يقبلها ، ويجزى عليها (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) لأنه تعالى مطلع على السرائر (ورسوله) بإطلاع الله تعالى له على أعمالكم؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم « تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيراً حدث الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم » (والمؤمنون) سيرون بفراسطهم ما تطوى عليه أقدانكم ، وما تنطق به ألسنتكم وتخفيه قلوبكم ؟ فإن المؤمن يرى الله تعالى بوضوئه مالا يراه المنافق بصره ! وقد جرت عادة الله تعالى على فضح المنافق وانكشاف أمره ؟ قال الشاعر :

ومها تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(وستردون) ترجعون يوم القيامة (إلى عالم الغيب والشهادة) ما خفى وما ظهر (فينبئكم بما كنتم تعملون) يجازيكم عليه (وآخرون) غير من ذكر من المتخلفين (مرجون لأمر الله) مؤخرون إلى أن يظهر أمر الله تعالى فيهم (إما يعذبهم) فلا يتوب عليهم ، ويعتون بلا توبة ؟ ويعرضهم للعذاب الأكبر يوم القيامة ! (وإما يتوب عليهم)

فيتوبون إلى ربهم ، ويحسنون أعمالهم ؟ قال تعالى : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » (والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه ؟ فيعلم من يستحق منهم العفو ، ممن لا يستحق (والذين اتخذوا مسجداً ضراباً) مضارة . أى بقصد الإضرار بالمؤمنين . وهم أناس من المنافقين . قيل : كانوا اثني عشر رجلاً ، وقصدوا بينائهم الإضرار بالذين بنوا مسجد قباء (وإرساداً) إغداداً وترقباً (لمن حارب الله ورسوله) من الكفار والمنافقين (وليجلفن إن أردنا) ما أردناه ببناء هذا المسجد (إلا الحسنى) والتوسعة على المصلين .

عَظِيمٌ ۝ وَاتَّخَذُوا أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا مَسِيئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ اتَّوَابٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرْدُونَ إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَاتَّخَذُوا مَرْجُوتَ لَأَمْرِ اللَّهِ ۖ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْهَدُ

لَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسِّسَ
 عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
 يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٨﴾
 أَقْسَى أُسْسٍ بُنِيَتْهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
 أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنِيَتْهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَتْ رِيءَهُ
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
 لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ
 قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾ * إِنْ اللَّهُ أَشْتَرَى مِنْ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
 اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ
 الْقُرْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾ اتَّخَذُوا الْعَلِيدُونَ الْخَالِدُونَ

(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم)
 وهو مسجد قباء (أفن أسس بنيانه على تقوى
 من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على
 شفا جرف هار) وهو حافة الوادي المتصدع،
 المشرف على السقوط (لا يزال بنيانهم الذي
 بنوا ريبة) شكا (في قلوبهم إلا أن تقطع)
 تقطع (قلوبهم) بالموت؛ أو إلا أن يتوبوا
 (لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
 بأن لهم الجنة) مثل تعالى إنا تبهم بالجنة على
 بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله؛ بالشراء .
 عن الحسن رضى الله تعالى عنه : أنفساً هو
 خلقها ، وأموالاً هو رزقها !

وصرأعراى بالرسول عليه الصلاة
 والسلام وهو يقرؤها فقال: بيع والله صريح؛
 لا قبيله ولا نستقبله؛ وخرج إلى الغزو
 فاستشهد (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون)
 أى يقتل بعضهم بعض الكفار (ويقتلون)
 يقتل بعض الكفار بعضهم (وعداً عليه حقاً)
 أى إن جزاء المؤمن على جهاده بالجنة: وعد
 من الله حق (في التوراة والإنجيل والقرآن)
 ومن هنا يعلم أن فريضة الجهاد، ومقاومة
 الأعداء، وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء

كلمة الله تعالى: كان من أقدم العصور التي نزل فيها تشريع لإلهي، ودين سماوي؛ وأنه قد نص على أجر
 المجاهدين وثوابهم «في التوراة والإنجيل» قبل أن ينزل به القرآن الكريم؛ الذي جاء مصدقاً لما تقدمه من
 الرسل والكتب (ومن أوفى بعهد من الله) أى لا أحد أوفى منه تعالى! (فاستبشروا) أيها المجاهدون
 (ببيعكم الذي بايعتم به) الله (وذلك هو القور العظيم) وأى فوز أعظم من التمتع بالجنة، والقور برضا الله
 تعالى ١؟ «أصحاب الجنة هم الفائزون» (التائبون) عن المعاصي (الهادون) لله تعالى في كل حالة .

﴿السَّاعُونَ﴾ المجاهدون ، أو الصَّاعُونَ . وذلك لأن الصائم تصفوره روحه ، وتضعف شهوته ، وتجلى قريحته ، ويبتدل نظره ، وبقل هواه ؛ فيكون أقرب شهباً باللائكة ؛ فيسيح في ملكوت الله تعالى ، ويتفكر في خلق السموات والأرض ؛ وقيل :

الجزء الحادى عشر ٢٤٢

٢٤٢

الْمُسِيحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَبْرُرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
أَنَّهُمْ مُّصْحَبُ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿١٦٧﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ الْبَرِّ لَأَيِّهِ
إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَلَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
تَبَيَّنَ لَهُ إِنَّ الْبَرِّ لَأَوْهٍ حَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴿١٦٩﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿١٧٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ سُبْحَىٰ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧١﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْسُمُ

وتشكر في خلق السموات والأرض؛ وقيل : هم طلبة العلم؛ لأنهم يسعون في الأرض ابتغاء طلبة وتحصيله؛ أو هم الجائلون بأفكارهم في ملك ربهم وتوحيده (والحافظون لحدود الله) أحكامه، والعمل بما فيها، والحض عليها (وبشر المؤمنين) الذين هذا حالهم بالخنة (ما كان للبي والذين آمنوا) أى ما يجوز لهم ولا يحق (أن يستغفروا) يطلبوا من الله المغفرة (للمشركين) الذين يتخذون مع الله إلها آخر (ولو كانوا أولى قربي) أى ولو كان المشركون ذوى قرابة للبي والذين آمنوا . قيل : نزلت حين استغفر صلى الله تعالى عليه وسلم لعمه أبى طالب ، واستغفر بعض المؤمنين لأبائهم المشركين (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لأنهم ماتوا على الكفر؛ وليس بعد الكفر ذنب . قال تعالى : «إن الله لا يفر أن يشرك به» (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه حين استغفر له (إلا عن موعدة وعدها إياه) وحى قوله لأبيه حال حياته «استغفر لكبرى» والمعنى : أنه لا يجوز لك أبها المؤمنون المستغفرون للمشركين ؛ أن تحتجوا باستغفار إبراهيم لأبيه ؛ لأنه استغفر له عن موعدة وعدها إياه ، ولأنه لم يبتين له بعد أنه من أعداء الله ، وأنه من أصحاب الجحيم ! فلما تبين له أنه عدو لله) بالله الإيمان ،

رَهْوَفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ
 إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
 أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
 لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ يَتَّيِبُا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٣﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
 الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ
 رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 لَا يَصْبِرُهُمْ ظُلْمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا تَخَصُّصٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ
 نَبَأًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلَاحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ وَلَا يَنْقُوتُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
 وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى وتاب أيضاً على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ؛ فلم يقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توبتهم ! وهم كعب بن مالك ، ومراة بن الربيع ، وهلال بن أمية . وقيل «الذين خلفوا» أى تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) فلم يبق فيها أنس ولا سرور ، وذلك بسبب أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا لقاطعتهم ؛ فكان أحدهم يفشى السلام لأقرب أقربائه فلا يرد عليه ، وهجرتهم نسأؤهم وأهلوم (وظنوا) يفتنوا (أن) لاملجأ من الله إلا إليه) فأكثروا من الابتهال والاستغفار ، لى أن تاب عليهم العزيز الغفار (ثم تاب عليهم ليتوبوا) لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم بما وسعت : لجأوا إلى اللطيف المنان ، الرحيم الرحمن ؛ فتاب عليهم ليتوبوا ! فانظر - يارعاك الله وهداك - إلى رحمة مولاك ! يتوب عليك لتتوب «تاب عليهم ليتوبوا» ويحيك لتتجه «محبهم ومحبة» ويرضى عنك لترضى عنه «رضى الله عنهم ورضوا عنه» فأسأله أن يتوب عليك ، وأن يحييك ، وأن يرضى عنك ! تاب الله علينا فيمن تاب ، وأحبنا فيمن أحب ، ورضى عنا فيمن رضى ! (ما كانت لأهل المدينة) مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) أى ماصح وما جاز لهم أن يقعدوا عن طاعته ، ويتخلفوا عن الجهاد معه (ولا يرغبوا) لا يفضوا (بأنفسهم عن نفسه) أى عما يصيب نفسه من أذى وغم ؛ بل يجب عليهم أن يقدوا بأنفسهم وأموالهم وأهلهم ، وأن يكونوا معه فى الضراء قبل السراء ، وفى الشدة قبل الرخاء (وذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا تخصصة) جوع (ولا يطلون موطئاً) أى لا يحتلون بلدا ، ولا يدسون موضعاً (يغيب الكفار) وطؤهم له (ولا ينالون من عدو نبأ) أى لا يقتلون منهم قتلا ، أو يأسرون أسيراً ، أو يجرحون جرحاً (إلا كتب لهم به عمل صالح) ينالون أجره ، ويكسبون ثوابه (ولا يقطعون وادياً) أرضاً (إلا كتب لهم) أجرهم وجزاؤهم (وما كان المؤمنون) ماصح ، وما جاز لهم (لينفروا) للحرب ، أو لطلب العلم (كافة) عامة ؛ ويتركوا أهلهم بلا عائل ، وأوطانهم بلا حافظ ؛ بل ينفر بعضهم للجهاد ، وبعضهم للتعفة فى الدين ، ويبقى باقىهم لحماية الدمار ، وحفظ الديار

(قلولا) فهلا (فر من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) يتعلموا ويتصروا (ولينذروا قومهم) بما تعلموه وتفقهوا فيه (لعلهم يحذرون) الجهل فيتجنبونه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أي القريين منكم ؛ لأنك لو قاتلت الأبعدين ؛ لم تأمن غدر الأقربين . وذلك النظام من أدق فنون القتال ؛ لتحصى ظهورك بمن يلونك من الأعداء (وليجدوا فيكم غلظة) قسوة وشدة ؛ ليكونوا عبرة لمن بعدهم عنكم من الكفار ؛ وليتم أمر الله تعالى وإعلاء دينه (ولإذا ما أنزلت سورة) من القرآن

الجزء الحادي عشر

٢٤٤

(فمنهم) أي من المنافقين (من يقول) لأصحابه تعجباً (أيكم زادته هذه) السورة (إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) بالله ؛ وبقيناً بوحدايته، وتصديقاً برسوله (وهم يستبشرون) بما أعد الله تعالى لهم من ثواب وأجر (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك وفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) الرجس : القنر . وهو كل عمل يؤدي إلى العذاب ؛ أي زادتهم كفرأ على كفرهم (أولاً يرون) أي أولاً يرى هؤلاء المنافقون (أنهم يفتنون) يبتلون بالقطط والشدّة ، والأمراض والأوجاع ؛ وهي كلها من الله تعالى ؛ امتحاناً لحفقه ، وتأديباً لهم (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم وكفرهم ؛ رغم هذه الفتنة التي نتيلهم بها كل حين ؛ لتعرفهم قدرتنا ، ونشعرهم بقوتنا وقهرنا ؛ لكنهم لا يعظون ، ولا يرجعون (ولام يذكرون) يتذكرون (ولإذا ما أنزلت) على الرسول عليه الصلاة والسلام (سورة) من القرآن (نظر بعضهم إلى بض) قائلين (هل يراكم من أحد) من المؤمنين (ثم انصرفوا) من مجلس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ معرضين عن سماع القرآن (صرف الله قلوبهم) بعد أن مهد لهم تعالى سبل الإيمان فأنكروها ، وأبان لهم دواعي الحق فتكروا لها ، وأنزل عليهم آياته فانصرفوا

قلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين
ولإذا ما أنزلت سورة فبينهم من يقول أيحكم زادته
هزيمة إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم
يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرين أو لا يرون
أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم
إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

ركوف

عنها ؛ بعد كل ذلك «صرف الله قلوبهم» جزاء لهم على انصرافهم ؛ وهو كقوله تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» وقد يكون معنى قوله تعالى «صرف الله قلوبهم» دعاء عليهم ؛ كقوله «فانلهم الله» هذا شأن الزائغين المنصرفين ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ فأولئك «يهديهم ربهم بإيمانهم» (لقد جاءكم) أيها الناس (رسول من أنفسكم) أي من جنسكم ، وقرىء «من أنفسكم» بفتح الفاء ؛ من النفاسة . أي من أشرفكم وأفضلكم ، أو أكثركم طاعة وتقرباً إلى الله تعالى (عزيز عليه ما عنتم) شاق على نفسه ارتكابكم الإثم ، وتعرضكم للهلاك والتلف والخسران ؛ وهو من الفتنة ؛ أي المشقة والحرج (حريص عليكم) أي حريص على إيمانكم وهدايتكم ونجاتكم

رَبُّكَ وَرَحِيمٌ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾

(١٠) يُؤْتِي الْيُونُسَ مَكِّيَّتَهُ

إِلَّا الْآيَاتِ ٤٠ وَ ١٤ وَ ١٥ وَ ١٦ فَدَنِيَّةً
وَأَيَّاهَا ١٩ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الْأَمْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

(فات تولوا) أعرضوا عن الإيمان (قل حسي) كافي (الله) وحده .

(سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (تلك آيات الكتاب الحكيم) الحكم ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (أكان للناس عجباً) استفهام للتقرير والتوبيخ ؛ أى هل يجوز أن يعجب الناس (أن أوحينا إلى رجل منهم) وإنما العجب كل العجب: إذا لم نوح أصلاً ، أو إذا أوحينا إلى رجل ليس منهم ، أو إلى مخلوق ليس من جنسهم ؛ فلا يسكنون إليه ، أو يرتاحون لمخاطبته : كمالك ، أو جن ، أو غيرهما (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) أى سابقة فضل ؛ تستتبع الأجر الحسن ، أو مى شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الكافرون إن هذا لاسحر) أى ما هذا

النبي إلا ساحر (مبين) بين السحر واضح (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان ، يتقدس عن المكان ، وتعالى العبود عن الحدود (يدبر الأمر) بين المخلوق (ذلكم) الموصوف بهذه الصفات ، القسم بهذه السمات (الله ربكم فاعبدوه) وحده ، ولا تقمركوا به شيئاً

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا
 أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
 سَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِى
 جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
 يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ إِنِّى فِى اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٤﴾ إِنِّى الَّذِى لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِتِنَا
 غَافِلُونَ ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦﴾
 إِنِّى الَّذِى ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِى جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ دَعَوْنَهُمْ

فِيهَا

(إليه مرجعكم جميعاً) فيجازى كل واحد
 بما عمل (وعد الله حقاً) إنه لا يخلف الميعاد
 (إنه يبدأ الخلق) بالإنشاء (ثم يعيده)
 بالإحياء يوم القيامة (بالقسط) بالعدل
 (والذين كفروا لهم شراب من سم) السميم :
 الماء الغلي الشديد الحرارة (هو الذى جعل
 الشمس ضياءً) تضيء للكائنات (والقمر
 نوراً) ينير للموجودات (وقدره) أى قدر
 القمر من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين
 منزلاً ، ثمان وعشرين ليلة ؛ ويستمر ليلة
 - إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوماً - أو
 ليلتين - إذا كان ثلاثين يوماً (لتعلموا)
 بواسطة الشمس والقمر ، واختلاف الليل
 والنهار ؛ أو بواسطة تلك المنازل (عدد
 السنين والحساب) حساب الشهور والأيام
 والأعوام (ما خلق الله ذلك) الكون ، وما
 فيه من آيات بينات (إلا بالحق) إلا بالحكمة
 والصواب ، وإظهار بدائع الصنع ، ودلائل
 القدرة والعلم (يفصل الآيات) بينها ويوضحها
 (لقوم يعلمون) يتدبرون ، ويتوصلون بعلمهم
 إلى مافى الكون من أسرار (إن فى اختلاف
 الليل والنهار) بالذهاب والحجى ، والاضلام

والإنارة ، والتقصان والزيادة (وما خلق الله فى السموات والأرض) من بدائع صنعه ، وعجائب مخلوقاته ؛ إن فى
 كل ذلك (آيات لقوم يتقون) الله ؛ فيؤمنون به ، ويتدبرون فى مصنوعاته ؛ (إن الذين لا يرجون لقاءنا)
 أى لا يؤمنون بالبعث (انظر مبحث «التعطيل» بآخر الكتاب) (ورضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها) سكنوا
 إليها ، ولم يعملوا للآخرة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) أى يهديهم مولايم بسبب
 إيمانهم . لأنهم ليسوا كالذين انصرفوا فصرف قلوبهم ، أو زاغوا فأزاهوا ! (دعواهم فيها) دعاؤهم فى الجنة

(سبحانك) تقدست وتعاليت . (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (وآخر دعوانهم) نهاية مطلبهم ، أو خاتمة دعائهم ، أو آخر قولهم ؛ حينما تتحقق سعادتهم (أن الحمد لله رب العالمين) «الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» (ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أى لو يجعل الله للناس الشر - الذى استحقوه بارتكاب المعاصي والآثام - بقدر استعجالهم للخير - الذى يظنون أنهم استوجبوه بأعمالهم - لأهلكهم جميعاً (فندرك) تترك (الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤمنون بالبعث ؛ ولا يرجون ثواباً ولا عقاباً ! وإنكار الآخرة وما فيها من بعث وحساب ، وتوابع وعقاب : يكون بلسان الحال ، كما يكون بلسان المقال : فرب مؤمن بالآخرة بلسانه ، وأعماله تباليغ في تكذيبه ! إذ أن الذى لا يقوم بمافرضه الله تعالى عليه من عبادات : غير مؤمن بالآخرة ؛ ولو أقسم على إيمانها بها ؛ فإن يمينه غموس (١) ، والذى يرتكب الموبقات ، ولا يخشى رب الأرض والسماوات : غير مؤمن بالآخرة ؛ ولما فكيف يكون مؤمناً بالآخرة من يخشى المخلوقين ، ولا يخشى أحسن الخالقين ؟ ! كيف يكون مؤمناً بلقاء الله : من يخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية !

٢٤٧

سورة يونس

فِيهَا سَبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَجَّيْتَهُمْ فِيهَا سَلَمٌ وَنَجَّيْتَهُمْ
أَنْ أَتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ
فَنَذَرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ
مَسًّا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نُنَادِيكَ عَلَيْهِمْ
بِآيَاتِنَا يَبْسُتِلُ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِفِرْعَوْنَ
غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَبْدِلُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَائِي

إن من شرائط الإيمان بالآخرة أيها المؤمن : أن تخشى عقابها وتطع في نواهيها ، وأن تعلم أن ربك قد أحصى عليك عملك ، وأنه محاسبك ؛ فجازيك عليه : إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر ! (في طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين (وإذا مس الإنسان الضُّرُّ) المرض ، أو الفاقة (دعانا لجنبه) مريضاً : لا يمكنه الحركة (أو قاعداً) متعباً : لا يمكنه القيام (أو قائماً) دائماً في طلب الرزق فلا يجده ما يسد الرق . أو المراد أنه يدعو ربه على كل حالة هو عليها . ومن العلوم أن

حالة الإنسان وهياته لا يمدوان ثلاث حالات : نائماً ، أو قاعداً ، أو قائماً (فلما كشفنا عنه ضره) الذى دعانا من أجله : شفيقنا مرضه ، ومحونا بؤسه ، وأزلفنا فقره (مر) انصرف عنا ، أو استمر على كفره (كأن لم) يحتاج إلينا ، ويفترق إلى معوتتنا ، ولم (يدعنا إلى ضره) فكشفناه عنه (كذلك زين للمُسرِفِينَ) الكافرين (ولقد أهلكنا القرون) الأمم (لما ظلموا) كفروا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) الآيات الدالات على صدق رسالتهم (وما كانوا ليؤمنوا) لأن الله تعالى طبع على قلوبهم ؛ جزاء على كفرهم (ثم جعلناك م

== خلافت خلفاء ؛ تخلفونهم في سكنى الأرض وعمارتها (لننظر كيف تعملون) أنكفرون ككفرهم ،
وتتصرفون عن الإيمان كأنصرافهم أم تؤمنون بشأن سائر العقلاء (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى قال الذين
لا يؤمنون بالبعث ، ولا بالجزاء

٢٤٨

الجزء الحادى عشر

نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَوَلَّوْهُم طَيْبُكُمْ وَلَا أَدْرَأُكُمْ بِهِ ؕ قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَيَّ
أُنْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَفُتِّي بَيْنَهُمْ فَيَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ؕ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَدْعَا النَّاسُ رَحْمَةً مِّنْ

(قل لو شاء الله ماتلوته) أى لو شاء الله تعالى
ما أرسلنى به اليكم ، و«ماتلوته عليكم» (ولا
أدراك به) أى ولا أعلمكم به الله تعالى على
لسانى (قد لبثت فيكم عمرا) أى مكثت بينكم
سنين طولا ؛ فلم أحدثكم بشىء من ذلك ،
حتى أوحى الله تعالى إلى به ، وكلفنى بإبلاغه
(فن أظلم ممن اتقى على الله كذبا) اختلق
قرآنا ؛ كما ننسبون إلى (أو كذب بآياته) التى
أنزلها ؛ كما تفعلون أتم الآن (ويعبدون من
دون الله) غيره (ما لا يضرهم) أى لا يستطيع
إيصال الضرر إليهم (ولا ينفعهم) لا يجلب لهم
النفع ؛ وذلك لأنه جاد لا يعقل (ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله) تقرب بهم إليه
(سبحانه) تزهو وتقصد عن أن يكون له
شريك ، أو أن يشفع عنده أحد إلا بأذنه .
(انظر آية ١ من سورة الإسراء) (وما كان
الناس إلا أمة واحدة) على دين واحد ؛ هو
الإسلام من لدن آدم إلى نوح عليهما السلام ،
أو المراد بالناس : نوح ومن نجا معه في
سفينته (فاختلفوا) فأرسل الله تعالى إليهم
رسله وأنبياءه . وقيل : كانوا أمة واحدة

على الكفر ، فبعث الله النبيين لمهديهم . أو المراد أنه يولد من يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهودانه ،
أو ينصرانه ، أو يمجسانه «فاختلفوا» عند بلوغهم (ولولا كلمة سبقت) هي تأخير الجزاء إلى يوم القيامة
(لفتني بينهم) لعجل عقابهم في الدنيا (ويقولون لولا) هلا (أنزل عليه) أى على محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم (آية) معجزة (من ربه) كمصا موسى ، وناقصة صالح ، وأمثالهما (قل إنما الغيب لله) لا يعلمه سواه
«ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير» (فانتظروا) ما يفعله
الله بى وبكم (إنى معكم من المنتظرين) لذلك (وإذا أذقنا الناس رحمة) رزقا وخيرا

بعد

بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ
 مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي
 يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَمَدٌ بِرِيمٍ رِيحٌ طَيِّبَةٍ وَفَرَحَانًا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْتَوَجُّعُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُخِيتَ مِنْ هَذِهِ
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنتَنَبِّهُكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
 أُنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
 يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَنْهَارًا

(من بعد ضراء مستهم) يؤس وجذب (إذا لهم مكر
 في آياتنا) بأن دفعوها وأنكروها بالاستهزاء
 والتكذيب (قل) لهم (الله أسرع) منكم
 (مكرا) أي أسرع عقوبة لكم على مكركم
 (إن رسلنا) أي الحفظة (يكتبون ما تمكرون)
 أي يحصون في صحف أعمالكم ما تقومون به
 من سوء وشر؛ فتجزيك به، وتواخذكم
 عليه (حتى إذا كنتم في الفلك) السفن (جاءتها
 ريح عاصف) شديدة الهبوب (وظنوا)
 تأكدوا (أنهم أحيط بهم) أي أهلكوا.
 وهو من إحاطة العدو المؤدية إلى الهلاك
 (دعوا الله مخلصين له الدين) أي مخلصين في
 دعوته، صادقين في محبته (فلما أنجاهم إذا هم
 يبتغون في الأرض) يفسدون فيها (بأيها الناس
 إنما ينبهكم على أنفسكم) أي إنما لم ينبهكم واقع
 على أنفسكم (متاع الحياة الدنيا) أي تمتعوا بمتاع
 الحياة الدنيا؛ وليس لكم في الآخرة من نصيب
 (ثم إلينا مرجعكم) يوم القيامة (فتنبئكم بما
 كنتم تعملون) فتجازيكم عليه (إنما مثل الحياة
 الدنيا) صفحتها في زوالها وفنائها (كماء أنزلناه
 من السماء فاختلط به) أي اختلط بالماء
 (نبات الأرض) جمعاً؛ فأنبت (بما يأكل

الناس) من الحبوب والثمار وغيرها (والأنعام) أي وما تأكل الأنعام؛ من الكلال والتبن والشعير وغيره
 (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيدت) استكملت زينتها وبهجتها؛ بالثمار والأزهار، والنبات والأقوات
 (وطن) يقين (أهلها أنهم قادرون عليها) أي متمكنون منها، ما يكون لها

(أناها أمرنا ليلا أو نهاراً) وذلك لأن الأمر - إذا أتى - يكون نهاراً في بقعة من الأرض ، وليلا في بقعة أخرى . والقصود بأمر الله الذي يأتي ليلا أو نهاراً : الأمر بزوال الأرض والسموات ، وانقضاء الدنيا

الجزء الحادى عشر

٢٥٠

(فجعلناها حصيداً) خراباً يباباً ؛ كالأرض المحصودة (كأن لم تغن) كأن لم تسكن إطلاقاً (والله يدعو) إلى الإيمان به ، والعمل الصالح ؛ وكلاهما موصل (إلى دار السلام) إلى الجنة ؛ لأنها ممتلئة أمناً وخيراً ، وسعادة وسلاماً ؛ ولأنها هي «دار السلام» وتحتهم فيها سلام . ويقال لهم «ادخلوها بسلام» والنعم بها تعالى اسمه «السلام» (للذين أحسنوا) في هذه الدنيا (الحسن) الجنة ؛ جزاء لاحتسابهم (وزيادة) هي مضاعفة حسناتهم إلى ما لا نهاية له ! وقد ورد في الحديث الشريف : أن الزيادة ؛ هي النظر إلى وجه الله تعالى ! (ولا يرهق) لا يفتى (وجوههم قتر) غيرة وسواد ؛ كثأت أهل النار (ولا ذلة) هوان وخزي ؛ كالذلة والهانة التي تعتري أهل الجحيم (والذين كسبوا السيئات) عملوها (جزاء سيئة بمثلها) أى بعقوبة تماثلها في الجرم (وترهقهم) تشامهم (ذلة) خزي وهوان وفضيحة (ما لهم من الله من عاصم) مانع ، وواق ؛ يمنع عنهم عذابه ، ويقيم ناره ! (كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أى صارت وجوههم سوداء كقطع الليل المظلم (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لا تفرحوه ؛ حتى تروا ما يحل بكم (أنتم وشركاؤكم) الذين كنتم تعبدونهم (فزيّلنا) فرقنا وميزنا (بينهم) وبين المؤمنين . وهو كقوله تعالى «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» (هنالك) أى في ذلك اليوم (تبلو) من الابتلاء ، وقرئ «تتلو» من التلاوة (كل نفس ما أسلفت) ما قدمت من عمل

أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن
بالأمس كذلك تفصل الآيت لقوم يتفكرون
والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
* للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أحب إلى الجنة
ثم فيها خلدون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم
كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك
أحب إلى النار ثم فيها خلدون
ويوم نحشرهم جميعاً
ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلنا
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون
فكفى بالله شديداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين
هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وروا

ل

ما أسلفت) ما قدمت من عمل

شَيْفًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَلَغَ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاظْكُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ بِمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي

الْعَمَى

(وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى لا يجوز عقلا ، ولا يصح دراية أن يكون هذا القرآن مفترى . لأنه فوق طاقة البشر (ولكن) أنزل (تصديق الذى بين يديه) ما تقدمه من الكتب كالطورا والإنجيل وغيرهما (وتفصيل الكتاب) تبين ما كتبه الله تعالى ، وأنزله على رسوله (لأرب) لاشك (فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله) (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) (وادعوا من استطعتم) استعينوا بمن شئتم (من دون الله) غيره : هل يمكنكم أن تأتوا بسورة من مثله «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وهو القرآن الكريم ؛ والناس دائما أعداء لما جهلوا (ولما يأتهم تأويله) لم يأتهم حتى الآن عاقبة ما فى القرآن من الوعد والوعيد (ومنها) أى من أهل مكة (من يؤمن به) أى من سيؤمن بهذا القرآن . علم الله تعالى ذلك عنهم (ومنها من لا يؤمن به) أبد الدهر (وربك أعلم بالمفسدين) وسيقتض منهم فى الدنيا والآخرة ! (وإن كذبوك قل لى عملى)

نواب عملى (ولكم عملكم) إفعه وعقابه (ومنها من يستمعون إليك) إذا قرأت القرآن ، وإذا نصحت لهم بالإيمان ؛ لكنهم لا يستمعون لك سماع تدبر أو تبصر (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بالعمى : لتعالمهم عن الحق «فأفأنت تهدى العمى لا يبصرون» ولكن تعلى القلوب التى فى الصدور

الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْعًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَمَا نَزَلُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَلَئِمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّسَعَتْ عَذَابُهُ بَيْنَكُمْ أَوْ تَنَارًا مَادًّا يَسْتَجِيلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٤﴾ أَتُمْ إِذَا مَاتُمْ قَالْتُمْ بِهِ ءَالْفَنِّ وَقَدْ

(إن الله لا يظلم الناس شيئاً) عندما يعاقبهم (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بارتكابهم المعاصي ، وتعريض أنفسهم للعقاب (ويوم يحشرهم) يجمعهم يوم القيامة (كان لم يلبثوا) كان لم يمكثوا في الدنيا ، أو في القبور (إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً عند البعث : تعارف بعض واقتضاح ؛ يقول هذا لذلك : أنت أضللتني ، أنت أغويتني ، أنت حملتني على الكفر ، وتبرأ بعضهم من بعض ، ويسب بعضهم بعضاً ؛ وليس التعارف تعارف حب ومودة ، وتراحم وشفقة ؛ كتعارف المحبين في الدنيا (قد خسر) يومئذ (الذين كذبوا بقاء الله) وأنكروا البعث ، والحساب ، والحزاء (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) (ولما تريتكم بعض الذي نعدكم) من العذاب في الدنيا (أو تتوفيتكم) قبل تعذيبهم (فألينا مرجعهم) فننتقم منهم (ثم الله شهيد) مشاهد ومطلع (ولكل أمة) من الأمم (رسول) يهديهم إلى طريق السداد والرشاد (فإذا جاء رسوله) إليهم فكذبوه (قضى بينهم بالقسط) بالعدل فأهلكنا الكاذبين ، وأنجينا المؤمنين (ويقولون

متى هذا الوعد) أي متى هذا العذاب الذي تهددنا به (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) وبالتالي لا أعلم ما يريد الله تعالى بي ولا بكم (إلا ما شاء الله) أن يطعني عليه الحكمة خاصة (لكل أمة أجل) موعد لتعذيبهم (قل أرايتم إن أتاكم عذاباً بيناتاً) ليلاً (أتم إذا ما وقع) العذاب (أمنتم به) أي بالعذاب الواقع وقيل لكم (آلآن) تؤمنون (يوم يأتي بعض آيات ربك) لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً

(وقد كنتم به) أى بهذا العذاب (تستعجلون) لتشكككم فى وقوعه ، وتكذيبكم لمن أنذر به (ثم قيل للذين ظلموا) كفروا (ذوقوا عذاب الخلد) العذاب الدائم ؛ فمؤذ بالله تعالى من غضبه وعذابه ! (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ويستنبئونك) يستخبرونك (أحق هو) أى ما وعدتنا به من البعث والحساب والجزاء (قل لى وربى) نعم والله «إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» (وما أنتم بمعجزين) بغالين ، أو فائزين العذاب الذى أعده الله تعالى لكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) نفسها بالكفر والمعاصى ، أو «ظلمت» غيرها بالبغي والمسدوان ..

الجزء الحادى عشر

٢٥٤

لو أن لها (ما فى الأرض) جيعاً من مال ومتاع (لافتدت به) نفسها من عذاب يومئذ (وأسروا الندامة) أظهروها (لما رأوا العذاب) وبدت الندامة على أسارى وجوههم؛ ومنه قولهم : أسر لىه المودة وبها . أى أظهرها له (وقضى بينهم بالقسط) بالعدل (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) القرآن الكريم (وشفاء لما فى الصدور) وأمراض الصدور : أخطر من أمراض الجسم ؛ لأن أمراض الصدور تؤدى إلى الجحيم ، وأمراض الجسم تؤدى إلى النعيم ! ولا شفاء للصدر إلا بالقرآن ، ولا نجاة من التيران إلا به ! وشفاء الصدور : هو تخليصها من القصور ، وإرشادها لى ما فيه الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ! (قل بفضل الله عليهم وبرحمته) لهم (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا) لا بل مال والنسب ، والجاه والحسب . وقد ورد أن المراد بفضل الله فى هذه الآية : الإسلام . والمراد برحمته: القرآن . هذا وكل خير يصيب الإنسان: فرده لى فضل الله تعالى وحده ، وكل بر وسعادة ونجاة : فرده لى رحمته جل شأنه ! ففضله

كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُعْجِزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ لى وَرَبِّى أَنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَافِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لى مَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ لى عَذَابَ حَقٍّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَحْيى وَيُمِيتُ وَلِىهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ هَذَا لِكَلِّفِرْحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآلَهُ أَذْنُ لَكُمْ

تعالى ورحمته هما الموصولان لى خبرى الدنيا والآخرة ! منحنا الله تعالى فضله ، ووهبنا رحمته ؛ بفضلله ورحمته ! (هو) أى فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) فى الدنيا من الأموال (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق طيب حلال فجعلتم منه حراماً وحلالاً) كالبحيرة والسالبة (انظر آية ١٠٣ من سورة المائدة) (قل آله أذن لكم) فى تحريم ما حرمت ، وتحليل ما أحلتم

أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَتَلَوْنَاهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
 عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ
 مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ أَلَا إِنَّ
 أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(أَمْ عَلَى اللَّهِ تفترون) تكذبون عليه بنسبة
 ذلك إليه (وما تكون في شأن) من الشئون،
 أو أمر من الأمور (وما تتلوه منه) أي
 «ماتلوه» من أجل ذلك الشأن (من قرآن
 ولا تعملون من عمل) قل أو جل (إلا كنا
 عليكم شهداء) مشاهدين ومراقبين لأعمالكم؛
 نعلم ظواهركم وبواطنكم (إذ تفيضون فيه)
 تأخذون في عمله (وما يعزب) وما يبعد،
 ولا يغيب (عن ربك) عن بصره وإرادته
 ومشيته (من مثقال) وزن (ذرة) غلة
 صغيرة؛ تذروها الريح إذا هبت (ولا أصغر
 من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) هو
 اللوح المحفوظ؛ كتب فيه ما كان وما سيكون
 إلى يوم القيامة (ألا إن أولياء الله) خاصته
 وأحبابه (لا خوف عليهم) في الدنيا (ولاهم
 يحزنون) في الآخرة (الذين آمنوا) بالله تعالى
 وأحسنوا أعمالهم (وكانوا يتقون) الله،
 ويخشون غضبه وعذابه؛ فصدرت أعمالهم في
 حدود ما رسمه الله تعالى لعباده وأراد له
 فأولئك (لهم البشرى في الحياة الدنيا)
 يعيشون وقت التزع؛ بأن يرى المحضر مكانه
 من الجنة رأى العين؛ فيتهلل ويستبشر.

وهذا مشاهد متواتر في كل مؤمن معهود فيه التقوى، مشهود له بالصلاح (وفي الآخرة) «يستبشرون
 بنعمة من الله وفضل» (لا تبدل لكلمات الله) فأمره نافذ، ووعد محقق؛ جعلنا الله تعالى من المستبشرين
 في الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وفضله! (ولا يحزنك قولهم) أي قول المشركين لك: «لست مرسلًا»
 «إنما يعلمه بشر» وأمثال ذلك (إن العزة) القوة والقلبة (لله) جميعاً هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم؛
 وسيجازيهم عليها؛ بعد أن ينصرك نصراً عزيزاً مؤزراً (وما يتبع الذين يدعون) يعبدون

(من ذوت الله) غيره (شركاء) لله في ملكه كما يزعمون (إن يتبعون) ما يتبعون (إلا الظن) الوهم والتخمين (وإن هم إلا يخوضون) يختلقون ويفترون (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا) لتسترخوا (فيه والنهار مبصراً) مضيئاً ؛ تبصرون فيه (قالوا اتخذ الله ولداً) وهو أحد صمد ؛ لم يلد ولم يولد ؛ ومن عجب أن هؤلاء الحق الجاهل ، ينسبون للعلی المتعال ؛ ما يزعمون عنه رهاتهم ؛ إذ أنهم لا يتزوجون ولا يلدون (سبحانه) تنزهه وتقدس أن يكون له ولد ؛ وكيف يكون له ولد ؛ و(هو الغنى) عن الولد ، والوالد ، والصاحبة ؛ لأن الإنسان يحتاج للصاحبة ؛ لننسه وتحميه . والوالد ؛ ليكلأه ويرعاه . وللولد ؛ ليعينه ويستكر به . والله تعالى ليس في حاجة إلى مؤنس ، أو كالي ، أو مدبر ، أو راع ، أو معين . إذ هو وحده مؤنس الكائنات ، وكالوهم ، ومدبر مصالحهم ، وراعهم ، ومعينهم ؛ (له مافى السموات ومافى الأرض) ملكاً وخلقاً وعبداً (إن عندكم) ما عندكم (من سلطان) حجة (بهذا) الذى تقولونه (قل إن الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب) بنسبة الولد إليه (متاع فى الدنيا) أى ليس لهم إلا تمتع قليل فى الدنيا (ثم إنا مرجعهم) فنحاسبهم حساباً عسيراً على ما عملوا فى دنياهم (يا قوم إن كانت كبر) عظم وتقل (عليكم مقامى) لإقامتى بينكم (و) شق عليكم (تذكيرى) وعظى لكم (بآيات الله فعل الله) وحده (توكلت) أى اعتمدت عليه ، واستغنت به . وليس أهل على صدق الإيمان ، ومزيد الإيقان ؛ من التوكل على الله تعالى . وقد قال نوح لقومه مافى نفسه ليشعروا أنه - وقد استعان بالله تعالى - لا يعبأ بكيدهم ولا بمجمعهم ، ولا يخشى من قوتهم وكثرة عددهم ؛ لذلك جابههم بقوله (فأجمعوا

٢٥٦

الجزء الحادى عشر

مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٥٦﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٥٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلٰطٰتٍ بِشَءٍ ۖ أَنْتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْفَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٢٥٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ يُنْفِقُهُمُ الْعَذَابَ ۚ الشَّدِيدِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٦٠﴾ * وَأَنزَلَ عَلَيْنَا نُوحَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَوْمِ ۖ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مِنِّى فَاذْكُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ قُلِّى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجِئُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَّيْ وَلَا تَنْتَظِرُونَ ﴿٢٦١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلَنَّكُمْ مِنْ

أَجْرٍ

أمركم) اغرموا على أمر تفعلونه بى ، وكيد تكيدونه لى (وشركاءكم) أى وادعوا شركاءكم لتصرفكم (ثم لا يكن أمركم) الذى تعزمون عليه (عليكم غمة) أى لا يكن مستوراً عليكم ، بل واضحاً ؛ تتمكنون منه ، وتقدرتون عليه ؛ من غم الملل ؛ إذا استر واحجب . أو «لا يكن أمركم عليكم غمة» أى لا تكن نتيجة أمركم غما عليكم (ثم اقضوا لى) امضوا فيما أردتموه من التللى ملى ؛ (ولا تنتظرون) لا تعملون فافظر - يا هذاك الله - لى هذه القوة التى وهبها الله تعالى لنبى نوح ، والشجاعة التى نبها فى روحه وما كان ذلك إلا وليد اعتماده على ربه سبحانه وتعالى وتوكله عليه ؛ (افظر آية ٨١ من سورة النساء) (فان توليتهم) أعرضتم عن الإيمان الذى دعوتكم إليه ، والتذكير الذى وعظتكم به (فا سألتكم من أجر) على ذلك

أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَاسْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبِعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ
وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
إِلَى قَوْمِهِمْ بِجَاءِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعِدِينَ ﴿٦٩﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِبْنَيْ فِرْعَوْنَ
وَمَلَأْنَاهُ بِبَاطِلَاتٍ فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٧١﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا
وَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِسِحْرِ

(فنجيناه ومن معه في الفلك) في السفينة ؛
ويطلق على الواحد والجمع (وجعلناهم خلائف)
خلفاء ؛ جمع خليفة

(ثم بعثنا من بعده) أى بعد نوح عليه السلام
(رسلا إلى قومهم) أى هوداً ، وصالحاً ،
وإبراهيم ، ولوطاً ، وإسماعيل (بجاءهم)
بالبينات) الحجج الواضحة الدالة على صدق
رسالتهم (فما كانوا) أى فما كان هؤلاء
الأقوام (ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)
أى بما كذب به آبائهم (كذلك نطبع)
ننم (على قلوب المتدين) الذين اعتدوا على
رسولهم وأنبيائهم ، وكذبوا بما أرسلوا به ؛
ولم تنفعهم العظات ، ولم يؤمنوا بالآيات البينات
(فلما جاءهم الحق من عندنا) التوراة (قالوا إن
هذا لسحر مبين) واضح ظاهر (قال موسى
أتقولون) هذا القول (للحق) الواضح (لما
جاءكم أسحر هذا) أى أيعقل أن يكون هذا
سحراً ، وهو واضح مبين ؟ (قالوا أجئتنا
لنلفتنا) لنصرفنا (وتكون لكم الكبرياء)
أى الملك ؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر
والتعجب (وقال فرعون) لقومه (أتأتوني بكل
ساحر عليم) فائق في فن السحر ؛ لتحارب موسى بسحر مثله

سَجِرَ عَلَيْهِ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى
 اَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ
 بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِئُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
 الْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ۝ قَالُوا أَأَمِنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ
 عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ
 لَمَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كُنَّا لِكَلَمِهِ كَاذِبِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَى
 يُنْقِظُونَ إِنَّ كُنْتُمْ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ فَطَلِبِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ
 مُسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
 فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَوَحِّينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبُونَ
 لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَجْعَلُوا لِيُؤْتِكُمْ قِبْلَةً وَأَقِمْوا الصَّلَاةَ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

فِرْعَوْنَ

«فتنة» بمعنى عذابا . أى لا تجعلنا موضع عذابهم وانتقامهم (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ) أى
 اتخذوا . يقال : تبوأ المنزل : إذا نزله واتخذ سكنا (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد تصلون فيها سرا ؛
 خوفا من أذى فرعون وملئه (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة) فرشا وثبرا ، ومابسا حسنا ،
 ومسكنا نفعا ، ومركبا فارها ، وحليا نفيسة (وأموالا) وفيرة

(فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم
 ملقون) وذلك بعد أن قالوا له : «إما أن تلقى
 ولما أن نكون نحن الملقين» (فلبأ ألقوا)
 حبا لهم وعصبيهم (قال موسى ما جئتم به السحر)
 أى إن الذى جئتم به الآث هو السحر ؛
 لا ما تهتمون به ؛ و (إن الله سيطله)
 لأن سنته تعالى فى خلقه : أنه (لا يصلح عمل
 المفسدين . ويحق الله الحق) يظهره ويطله
 (بكلماته) بأمره وقدرته (فأ آمن لموسى
 إلا ذرية من قومه) أى طائفة من أبناء قومه ؛
 أما كبارهم فاستكبروا وعتوا ! وهذه الطائفة
 التى آمنت ؛ إنما آمنت (على خوف من
 فرعون وملئه) أى رغم خوفهم من فرعون ،
 وخوفهم من ملئه ؛ الذين هم أهلهم وآباؤهم .
 أو على خوف من فرعون وشيعته (أن يفتنهم)
 أن يعذبهم (وإن فرعون لمال) متكبر جبار
 (ولأنه لمن المفسرين) المتجاوزين للحد : بكفره
 وادعائه الربوبية (فقالوا على الله توكلتنا) وهو
 لاشك معينا وناصرنا (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) (ربنا لا تجعلنا فتنة) أى موضع
 فتنة (للقوم الظالمين) بحيث يفتنونا عن ديننا ،
 ويضلونا . والفتن : المضل عن الحق . أو

(ليضلوا) الناس (عن سبيلك) عن دينك الحق القويم (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها وأذهب آثارها (واشدد على قلوبهم) اطبع عليها ؛ جزاء تمسكهم بكفرهم ، واستهزائهم بنبيهم ، وإيذائهم للمؤمنين (فلا يؤمنوا) لك (حتى يروا العذاب الأليم) الذى تنزله بالمستهزئين ، وتلقه بالكافرين (قال) الله تعالى (قد أجيبت دعوتكما) فلم يؤمن فرعون وقومه حتى أدركهم الفرق ؛ فلم ينفعهم إيمانهم (فاستقميا) اثبتا على ما أنتما عليه من نشر الدعوة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) صدق الإجابة ، وحكمة الإمهال (وجاوزنا بني إسرائيل البحر) جعلناهم يسلكونه ويتجاوزونه ؛ بأن فرق الله تعالى الماء :

٢٥٩

سورة يونس

فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ١٠٠
قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ١٠١ * وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتينهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرقى قال ءأمنت أنى الله إلا الذى ءأمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ١٠٢ ءالفتن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ١٠٣ فاليوم نتجك يدينك لتكون لمن خلقه آية وإن كثيرا من الناس عن ءابتننا لغفلون ١٠٤ ولقد بوأنا نبى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما

فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ١٠٠
قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ١٠١ * وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتينهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرقى قال ءأمنت أنى الله إلا الذى ءأمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ١٠٢ ءالفتن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ١٠٣ فاليوم نتجك يدينك لتكون لمن خلقه آية وإن كثيرا من الناس عن ءابتننا لغفلون ١٠٤ ولقد بوأنا نبى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما

وقومه ! (انظر آية ١٨ من سورة النساء) (فاليوم نتجك يدينك) يجسمك ؛ بعد إزهاق روحك (لتكون لمن خافك) أى لمن بعدك من الأمم (آية) عبرة لهم ؛ وهامى ذى جته الآن تعرض فى دار الآثار المصرية . (ولان كثيرا من الناس) الكافرين (عن آياتنا لغافلون) لا يتعظون بها . (ولان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) «ولقد بوأنا نبى إسرائيل مبوأ صدق» أى أنزلناهم منزل تكريم : فى مصر والشام ، أو الشام وبيت المقدس (ورزقناهم من الطيبات) الثمار وغيرها (فما اختلفوا) فى أمر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ الذى بشر به كتابهم (حتى جاءهم العلم) القرآن

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٥﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٣٩﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا لَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ نَقُولَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفَخِ

الْأَبْنَاءِ

أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسَ قَسْرًا وَجِبْرًا (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ، وَمَا عَلَيْكَ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بِأَمْرِهِ وَإِزَادَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ) الْعَذَابَ
(عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) لَا يَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهَا (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ) مِنَ الدَّلَالَاتِ الْقَاطِعَةِ بِوُجُودِ صَانِعِهَا وَبَارِئِهَا وَمُدَبِّرِهَا (وَمَا تُنْفَخِ) مَا تَنْفَعُ .

(فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) مَنْ
أَنْتَ ذَكَرَكَ قَدْ وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
(فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ)
الْمَقْصُودُ بِالْكِتَابِ : التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ . قَالَ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَلَتْ :
« لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ » (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ)
الْقُرْآنَ (مَنْ رَبُّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)
الْمُتَأَكِّينَ (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ) وَجِبَتْ (عَلَيْهِمْ)
كَلِمَةُ رَبِّكَ (بِالْعَذَابِ) (فَلَوْلَا) فَهَلَا ؛ وَقَرَأَ بِهَا
أَبِي وَابْنُ مَسْعُودٍ (كَانَتْ قَرْيَةٌ) وَاحِدَةٌ ؛ مِنْ
الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا (آمَنَتْ) أَيْ تَابَ
أَهْلُهَا عَنِ الْكُفْرِ ، وَآمَنُوا بِمَحْضِ إِرَادَتِهِمْ ؛
قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِوَادِيهِمُ الْعَذَابُ وَيَحِلَّ بِسَاحَتِهِمْ ؛
كَأَنَّ حُلَّ بِسَاحَةِ فِرْعَوْنَ وَمَلَكِهِ (فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا)
لَأَنَّهَا آمَنَتْ قَبْلَ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ (إِلَّا قَوْمَ
يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) بَعْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ
(كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ) الَّذِي كَانَ سَبِيحًا
بِهِمْ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا لَهُمْ إِلَى حِينٍ) وَهُوَ
إِقْتِضَاءُ أَجَالِهِمْ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي
الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) وَلَكِنَّهُ تَعَالَى تَرَكَهُمْ
لِحُضْرِ إِرَادَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ ؛ لِتُبَيِّنَ الطَّائِعَ ،
وَيُعَاقِبَ الْعَاصِيَ ! فَإِذَا كَانَ رَبُّكَ بِأَمْرِهِ لَمْ يَشَأْ

الْأَيْتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قُلْ
يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَنِ اهْتَدُوا

(الآيات) المينة الواضحة (والنذر) الرسل
(عن قوم لا يؤمنون) لا يفتحون أعينهم
للآيات، ولا أسماعهم للخطب (فهل ينتظرون)
بتكذيبك ومخالفتك (إلا مثل أيام الذين خلوا)
أى الذين مضوا من الأمم الذين كذبوا؛ فنزل
بهم العذاب (فلا أعبد الذين تعبدون من دون
الله) غيره (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم)
يعينكم باستيفاء أجالكم فى الدنيا (وأن أقم
وجهك) أى استقم وأنجح بكليتك (لدين)
الذى أمرت باتباعه؛ ولا تلتفت إلى ما عداه
(حنيفاً) مائلاً إلى الإسلام (ولا تدع) لا تعبد
(من دون الله) غيره (ملا ينفك) إن
دعوته وعبادته (ولا يضرك) أن كفرته
وتركته (فان فعلت فانك إذا من الظالمين)
الخطاب للرسول الكريم صلوات الله تعالى
وسلامه عليه؛ والمراد به أمة؛ لأنه صلى الله
تعالى عليه وسلم: هو صاحب الدين الحنيف،
الداعى إليه، الهادى له، وهو الأمر بالتوحيد،
الحاث عليه، الزاهى عن الشرك، المحطم له؛
وقفنا الله تعالى إلى حسن اتباعه، وحسننا
فى زمرته؛ بفضل ورحمة! (وإن يمسك
الله بضراً) مرض، وشدة (فلا كاشف له)

أى لا كاشف لهذا الضر (إلا هو) وحده (وإن يردك بخير) عافية ويسر (فلا راد لفضله يصيب به) أى
بالخير، أو بكل ما أراد من خير وشر (من يشاء من عبادته) جزاء، أو ابتلاء (قل يأيها الناس قد جاءكم
الحق) القرآن - الذى هو حق كله - (من ربكم فمن اهتدى) به

فَأَنعَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا نَضِلْ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ١٢ وَ ١٧ وَ ١١٤ فَدُرُوسَةٌ
وَأَيَّاتُهَا ١٢٣ نَزَلَتْ بِعَلَمِ سُوْرَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبْتُ أَحْكَمْتُ ءَابَتُهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝ أَلَا تَعْبُدُونَا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
يُمِيتَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ۝

(عَمَّكُمْ) فِي الدُّنْيَا (مَتَاعًا حَسَنًا) بِسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَرَغَدِ الْعَيْشِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَرْزُقْهَا التَّائِبُ الْمُسْتَغْفِرُ رِزْقَ مَا هُوَ
خَيْرٌ مِنْهَا : رِزْقُهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا . قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

غَنَى بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

وَرِزْقُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا السَّرُورَ وَالْحَيُورَ ؛ فَتَعَالَى الْغَنَى الْغَنَى ، اللَّطِيفُ الْخَيْرُ ! وَهَذَا الْمَتَاعُ الْحَسَنُ (إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى) هُوَ انْقِضَاءُ الْأَجَلِ ، وَتَحْقِيقُ الْأَمَلِ ؛ وَكُلُّ السَّعَادَةِ ، وَتَمَامِ السِّيَادَةِ ، وَتَوْفِيقِ الْأَجْرِ الَّذِي
وَعَدَ بِهِ الْكَرِيمُ ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ ! (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أَيْ جِزَاءَ فَضْلِهِ
(وَإِنْ تَوَلَّوْا) تَوَلَّوْا وَتَعَرَّضُوا

(فَأَنعَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لِأَنَّ ثَوَابَ هِدَايَتِهِ عَائِدٌ
إِلَيْهَا (وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا نَضِلْ عَلَيْهَا) لِأَنَّ لَمْ
ضَلَّاهُ وَاقَعَ عَلَيْهَا (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)
فَالزَّمَكُمْ بِالْإِيمَانِ ، وَأَجْبَرَكُمْ عَلَى الْهُدَى .

(سورة هود)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(كتاب) قرآن (أحكمت آياته) بما احتوته من
عجيب التظم ، وبلغ اللفظ ، وبديع المعاني ؛
لا خلل فيها ولا خطئ (ثم فصلت) بينت
بالأحكام ، والمواعظ ، والوعد ، والوعيد ،
والتواب ، والعقاب ، والقصاص (من لدن)
من عند (حكيم) محكم للأمور (خير) بكل
ما كان وما يكون (إني لكم منه نذير) بالعقاب
(وبشير) بالثواب (وأن استغفروا ربكم) من
الشرك والكثائر (ثم توبوا إليه) من ذنوبكم .
وقدم تعالى الأمر بالاستغفار : لأن المغفرة هي
الغرض ، والتوبة هي السبب المؤدى إلى المغفرة

(عَمَّكُمْ) فِي الدُّنْيَا (مَتَاعًا حَسَنًا) بِسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَرَغَدِ الْعَيْشِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَرْزُقْهَا التَّائِبُ الْمُسْتَغْفِرُ رِزْقَ مَا هُوَ
خَيْرٌ مِنْهَا : رِزْقُهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا . قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

غَنَى بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

وَرِزْقُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا السَّرُورَ وَالْحَيُورَ ؛ فَتَعَالَى الْغَنَى الْغَنَى ، اللَّطِيفُ الْخَيْرُ ! وَهَذَا الْمَتَاعُ الْحَسَنُ (إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى) هُوَ انْقِضَاءُ الْأَجَلِ ، وَتَحْقِيقُ الْأَمَلِ ؛ وَكُلُّ السَّعَادَةِ ، وَتَمَامِ السِّيَادَةِ ، وَتَوْفِيقِ الْأَجْرِ الَّذِي
وَعَدَ بِهِ الْكَرِيمُ ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ ! (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أَيْ جِزَاءَ فَضْلِهِ
(وَإِنْ تَوَلَّوْا) تَوَلَّوْا وَتَعَرَّضُوا

(ألا إنهم) وصف المنافقين (ينثون صدورهم) أى يطوون قلوبهم على عداوة المؤمنين وبغضهم . أو المراد : ينصرفون ويعرضون عن سماع الحق (ليستغفوا منه) أى من الله ؛ ظنا منهم أنه تعالى لا يرى سرائرهم ، أو « ليستغفوا » من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ألا حين يستغفون ثيابهم) يتغطون بها ؛ كراهة استماع كلام الله تعالى . وهذا كقول نوح عليه الصلاة والسلام « جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم » والله تعالى (يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) بما حوته القلوب (وما من دابة في الأرض)

الدابة: كل مايدب على وجه الأرض ؛ من إنسان وحيوان وطارئ (إلا على الله رزقها) تكفل به تعالى لكل ذى روح ؛ فانظر - يارعاك الله - كيف يرزق مولاك الطير في الهواء ، والسماك في الماء ، والدودة في الصخرة الصماء ! وانظر إلى رزقه للإنسان ، رغم أنه دائب العصيان ، دائم الكفران ! فان الأسماك في البحار لتكاد تلتق بنفسها بين يديه ؛ ليلأ بها شديقه ! والطير يهجر أوطانه ، ويترك أخذانه ، وينقل من بلد فيه نفأ ، وفي أرضه درج ؛ فيسبح في الهواء آلاف الأميال ؛ ليلقى عصا الترحال ، على مائدة بنى الإنسان ؛ وبعد ذلك فان هذا الإنسان - بعد موته - يكون طعاما لغيره مما خلق الله تعالى من الدواب التى تكفل برزقها ، وضمن حياتها حتى تنتهى آجالها . فأى نظام هذا الذى وضعه العلى القدير ، ونظمه الحكيم الخبير !؟ (و) هو بعد ذلك (يعلم مستقرها) أى مستقر كل دابة خلقها (ومستودعها) والمستقر : موضع القرار ؛ من مكان ، أو مسكن في الأرض . والمستودع : مكانهاى الصلب والرحم ، أو مكانها في الأرض حين تدفن بعد موتها (كل) من الدواب ، والرزق ، والمستقر ، والمستودع (في كتاب مبین) بين وهو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والأرض) وما فيها (ليلوكم) ليختبركم (أبكم

قَدِيرٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْثُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا عَرَفٌ ۝ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْرَءِيلُ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مُعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَئِنْ أَدْخَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ زَعَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُمْ لَيَكْفُرُونَ ۚ وَلَئِنْ أَدْخَأْنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ

أحسن عملا) فيجزى عليه الجزاء الأولي ! (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) ويجزون على أعمالكم (ليقولن الذى كفروا إن هذا) أى ما هذا القرآن المحتوى على ذكر البعث (إلا سحر مبین) بين السحر واضح . وقرأ حزة وعلى « ساحر » ويكون المراد به الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والساحر : الكاذب المبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة) مدة من الزمن (ليقولن ما يحبسه) أى ما يمنع العذاب من النزول ؛ (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يمنعه مانع ، ولا يدفعه دافع (وحاق) نزل بهم ما كانوا به يستهزئون) من العذاب ويقولون : « ما يحبسه » (ولئن أَدْخَأْنَا الإنسان منا رحمة) نعمة وفضلا (ثم زعزعناها منه) امتحاناً له (إنه ليكفور) قنوط من رحمة الله تعالى (كفور) به (ولئن أَدْخَأْنَاهُ =

(= نعماء) غنى وسعة (بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات عني) أى انقطع الفقر والضييق (إنه) عنده (لفرح) فرح بطر وكبر؛ لا فرح نعمة وشكر (غفور) على الناس، متكبر عليهم، مستهين بهم (إلا الذين صبروا) على الضراء، وشكروا ربهم في سائر حالاتهم. (وعملوا الصالحات) في النعماء، ولم ينكروا أنعم الله تعالى عليهم، وفضله الواصل إليهم! ولا يخفى أن أولى الأعمال الصالحة وأولاهها: البذل والصدقة (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)

578

والصدقة (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) وذلك لأنهم كانوا يتلقون الوحي - عند نزوله - بالظن والاستهزاء ؛ فقرئت هذه الآية لفتاً لأقاربهم ؛ وليعلموا أنهم مهما سفروا ، ومهما استهزأوا ؛ فإن الله بالغ أمره ، وإن رسوله مبلغ رسالته (وضائق به صدرك) كراهة استهزائهم ، وكراهة (أن يقولوا لولا) حلا (أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يؤيده في رسالته ؛ قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم «ليس عليك هداهم» «إني لا تهدي من أحببت» «لست عليهم بمسيطر» (لأننا أنت ندير) منذر لهم بما أعددت للكافرين ، من عذاب اليم (أم يقولون افتراه) اخلق القرآن (قل فأتوا بغير سور مثله) انظر آية ٢٣ من سورة البقرة (مفتريات) مخترعات (وادعوا من استطعتم) لحاوتكم (من دون الله) غيره (فإن لم يستجيبوا لكم) أي لم يحكم من استعنت بهم للإتيان بمثل هذا القرآن ؛ وبأن لكم عجزكم جميعاً عن الإتيان بمثله (فاعلموا أنما أنزل) هذا القرآن (بعلم الله) وإرادته ؛ لا باختلاق مخلق ، ولا باقتراء مفتر (وأنت لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) بعد ظهور هذه الدلالات والحجج القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) ورغب في الحصول على المزيد من ملذاتها ؛ ضارباً صفحاً عن

الآخرة وما يوصل إليها من الإيمان وصالح الأعمال ؛ فأولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها) أى نجزم في الدنيا على ما عملوه فيها من عمل صالح : كبر الزالدين ، وحسن المعاملة ، وأمثال ذلك (وهم فيها لا يخشون) لا ينقصون شيئاً مما عملوه ؛ فيجزون بمزيد من المال والصحة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط) بطل (ما صنعوا فيها) أى في الدنيا ؛ لأن أعمالهم لم يقصد بها وجه الله تعالى ؛ بل قصد بها التفاخر والاستكثار (أفمن كان على بينة من ربه) على برهان من الله ، وحجة بينة عقلية : أن دين الإسلام حق ! (ويتلوه) يتبعه (شاهد منه) أى من الله تعالى ؛ يشهد بصدقه ؛ وهو القرآن الكريم

قِيلَ لَهُ كُتِبَ عَلَيْكَ إِيمَانًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالُوا مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ
فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَلْعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَا يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(ومن قبله كتاب موسى) التوراة (إماماً)
الإمام: الجامع للخير، المقيم على الحق (أولئك)
أى الذين هم على بينة من ربهم (يؤمنون به)
أى بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب)
من الكفار؟ وسوا أحزاباً: لأنهم تحزبوا
على معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
(فلا تك في مرية) شك (ومن أظلم) أى
لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (ويقول
الأشهاد) أى الشهود؛ الذين شاهدوا كفرهم:
من الملائكة والنبين (هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم) بنسبة الولد والشريك إليه (الذين
يصدون عن سبيل الله) يمنعون الناس عن
دينه (ويبغونها عوجاً) يصفونها بالاعوجاج،
أو يتشنون أن تكون معوجة (أولئك لم
يكونوا معجزين في الأرض) فائتين أو غالبين
(وما كان لهم من دون الله) غيره (من أولياء)
يمنعونهم من عذاب الله تعالى وينصرونهم؛
ولكنه تعالى أراد إظهارهم، وتأخير عقابهم
إلى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) فيه
(ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)
لما كانوا - لانصرافهم عن استماع الحق،
وتعاميهم عنه - كن لا يسمع ولا يرى: عبر

عنهم بعدم استطاعة السمع والابصار (أولئك الذين خسروا أنفسهم) لأنهم أوقعوها في العذاب الدائم،
والنار المؤبدة (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يفترون) يختلفون على الله تعالى من دعوى الشريك (لا جرم)
لابد ولا محالة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لأن الإيمان بغير عمل صالح: لا يعتد به.

(وَأَخْتُوا) اطمانوا (إلى ربهم) وانقطعوا إلى عبادته ، ووثقوا بأجره وجزائه ورحمته (مثل الفريقين) المؤمنين والكافرين : فمثل الكافر (كالأعمى والأصم) لأنه لا يستفيد بما يرى ، ولا بما يسمع (والبصير والسميع) وهو مثل المؤمن ؛ لأنه رأى بديع صنع الله تعالى وملكوته ؛ فأقر بوحدايته . وسمع آياته ؛ فأمن به (هل يستويان مثلاً) وكيف

الجزء الثاني عشر

٢٦٦

يستوى الضدان ؟ وقد اهتدى المؤمن بهدى الله ، وأمن برسله وكتبه ، وعمل بأمره ، وانتهى بنهيه كيف يستوى هذا ومن تعاضى عن الحق ، وركب رأسه ، واتبع هواه ، وأكب على دنياه ! «هل يستويان مثلاً» (أفلا تدكرون) أفلا تدكرون بهذه الأمثلة ما يجب اتباعه وما لا يجب ؟ وتعلمون الحق فتبعونه ! (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) في الدنيا ؛ أو أريد به يوم القيامة ؛ أو هما معاً (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرادنا) أى أسافلنا ؛ وغاب عنهم أنهم هم الأسافل ولكن لا يعلمون . وقد يقصد بالأرادل : الفقراء - رغم أنهم أحباء الله تعالى وأسباب جنته - فباكرامهم تستمطر الرحمت ، وبالإحسان إليهم تجلب البركات ! وبارضائهم يرضى الغنى على عباده ؛ فيهمم رحته ، ويدخلهم جنته !

هذا والغنى من أهم أسباب البعد عن الله : إذا لم يكن مقروناً بالشكر والإتقاف ؛ والفقر من أسباب القرب إلى الله : إذا كان مقروناً بالرضا والصبر ؛ فإذا انعدما : كان الفقير مبعداً من الله تعالى ؛ وبذلك يكون خاسراً لديناه وآخرته ! و«ذلك هو الخسران اليبين» جعلنا

الله تعالى من الشاكرين في النعماء ، الصابرين في الضراء ! (بادى الرأى) أى اتبعوك ابتداء من غير روية ولا تفكر (وما ترى لكم علينا من فضل) فتستحقون به أن نبعثكم (قال) نوح (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة) حجة واضحة (من ربى وآتاني رحمة) هداية ونبوة (فصيت) خفيت (عليكم أنلزمكموها) أى أنجبكم على قبولها واتباعها قسراً (ويا قوم لا أسألكم عليه) أى على التبليغ (وما أنا بطارد الذين آمنوا) لفقرم (لأنهم ملأوا ربهم) فأخذ لهم من ظلمهم وطردهم .

وَأَخْتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ لِكُلِّ فَئِجَةٍ حَسَبٌ مِّمَّنْ خَلَدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكَ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦٧﴾ إِنَّكَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمِ الْبَاسِ ﴿٢٦٨﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْتَدَّ إِلَّا بَشْرًا مَّثَلْنَا وَمَا تَزَكَّ أَتَيْتَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكَ كَذَّابِينَ ﴿٢٦٩﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَصِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ كَمَا هُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٧٠﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِن أَنْجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَحْمِلُونَ ﴿٢٧١﴾ وَيَقَوْمِ

من

مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
 أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ
 يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ
 جِدْلَنَا فَاثْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾
 قَالَ إِنَّكُمْ يَأْتِيَكُمُ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾
 وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
 اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٤﴾
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَائِي وَأَنَا
 بَرِيءٌ مِمَّا تُعْجَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَوْحِي إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ
 قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾
 وَأَصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ

(من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون) أفلا تذكرون وتعطلون بذلك !
 (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) فأعطيكم
 وأعنيكم (ولا أعلم الغيب) فأخبركم به قبل
 وقوعه (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام)
 (ولا أقول إنني ملك) بل أنا بشر مثلكم
 (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) تحقروا (أعينكم)
 لضغفهم وفقرهم (لن يؤتيهم الله خيراً) لأنهم
 ضعفاء ، أو لأنهم فقراء (الله أعلم بما في
 أنفسهم) من إيمان وخير ؛ فيضيههم عليه خيراً
 وبراً ! (إني إذا لمن الظالمين) إذا قلت ذلك
 (قالوا يأنوح) قد جادلنا فأكثر جدلنا فأتنا
 بما تعدنا به من العذاب . وبألها من حاقة
 وجهل (انظر آية ٣٢ من سورة الأنفال)
 (وما أنتم بمعجزين) بفائتين الله ، وناجين
 من عذابه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت
 أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)
 يهلككم ؛ من غوى الفصيل : إذا بشم وهلك .
 أو المعنى : إن كان الله يريد أن يضلكم (أم
 يقولون افتراه) أي اختلف جد هذا القرآن
 (قل إن افتريته فعلى إجرائي) عقوبة إثمى
 وجرى (وأنا بريء مما تجرمون) في حق ؛

وتنسبونه إلى من الكذب والاختلاق (فلا تبتئس) فلا تحزن ولا تتأسف (واصنع الفلك بأعيننا) بحفظنا ورعايتنا
 (ووحينا) بأمرنا ومعونتنا ؛ ومانوحه إليك من حياتها وصفاتها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) لا تراجعي ،
 ولا تطلب مني العفو عنهم والمغفرة لهم ؛ فانهم قد استوجبوا العذاب بكفرهم ؛ ولن تنفعهم شفاعة الشافعين !

ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا
 مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ بَخْرًا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا
 فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾
 حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ هَامَنَ
 وَمَا هَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ جَمْعُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
 وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
 فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
 قَالَ سَعْلَى لِيَ جَبَلٍ يَعْصِيْ مِنِّي الْمَاءَ قَالَ لَا عِصْمَ
 الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
 فَكَانَ مِنَ الْمُقَرْقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

وَرَسْمَاءَ

(قال إن تسخروا منا) الآن (فانا نسخر) أى
 سنسخر (منكم) حين تنجو في السفينة بأمر
 الله تعالى ؛ وليرككم الفرق (فسوف تعلمون)
 في القيامة (من يأتيه عذاب يخزيه) يفضحه
 (ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) أى دائم
 (حتى إذا جاء أمرنا) بالعذاب ؛ قلبنا الأوضاع
 وعمونا طبائع الأشياء : فجعلنا الماء يخرج
 من مصدر النار ، والأرض تمتنع عن شربه
 (وفار التنور) نبع الماء من التنور بفزارة ؛
 و«التنور» هو ما يصنع فيه الخبز - وقد صار
 مصدراً للماء ، بعد أن كان مصدراً للنار -
 من باب خرق العوائد (قلنا) لنوح (احمل
 فيها) أى في السفينة (من كل) أى من كل
 نوع من الأنواع ، وجنس من أجناس المخلوقات
 (زوجين) ذكر وأُنثى ؛ لحفظ النوع بعد
 الطوفان (وأهلك) أى واحمل أيضاً في السفينة
 أهلك (إلا من سبق عليه القول) بالإهلاك ؛
 وهم زوجته وولده كنعان ؛ الذي ناداه أبوه
 لينجيه من الهلاك المحقق (ونادى نوح ابنه)
 وفي قراءة «ابنها» والضمير لامرأته ، وأنه

كان ربيبه لا ابنه (إلا من رحم) أى إلا من رحمه الله تعالى بالإيمان ، والحمل في السفينة .

فلما سم ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ؛ من فساد أمره ، وهلاك أعدائه : أعاد طبائع الأشياء إلى ما كانت عليه ،
 وتولى حفظها (وقيل يا أرض) أرجى سيرتك الأولى ، و (ابلعي ماءك) كطبيعتك التي أودعتها فيك

وَيَسْمَاءُ أَقْلَمِي) أَسْكَى عَنِ الْمَطَرِ (وَغِيضَ الْمَاءِ) تَقَسَّ وَنَضَبَ (وَقَضَى الْأَمْرَ) الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى (وَاسْتَوَتْ) اسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ (عَلَى الْجُودَى) جَبَلٍ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ؛ قَرَبِ الْمَوْصِلِ . وَلَيْسَ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاتٍ؛ كَمَا يَزْعَمُ الْآنَ بَعْضُ الْمَكْتَشِفِينَ - مِنْ أَنَّهُمْ رَأَوْا هُنَاكَ أَجْزَاءَ مِنْ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَكُلَّ خَشَبَةِ سَفِينَةٍ، وَلَا كُلَّ سَفِينَةٍ بِسَفِينَةِ نُوحٍ (وَقِيلَ بَعْدًا) أَيُّ هَلَاكَ وَاسْحَقًا (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ !
 (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ) مُبْتَهِلًا إِلَيْهِ (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي ابْنِي) الَّذِي حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْجُ (مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) وَقَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تَنْجِيَّ أَهْلِي؛ فَكَيْفَ بَوْلَدِي؟ (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) لِإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْكَفَرَ يَبْعَدُ الْقُرْبَاءَ، وَالْإِيمَانَ يَقْرُبُ الْبَعْدَاءَ ! أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: «لَئِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» (لَئِنْ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ ابْنُ زَنَّا؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى «لَئِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ لَئِنْ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ» أَيْ «لَئِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ . وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَنْ زَوْجَتِي نُوحٍ وَلَوْ طَعَنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ «كَانَتَا تَحْتَ عِيدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ثَغَاتِنَاهَا» وَقَدْ أوردَ هَذَا الْعَلَمِيُّ ابْنَ جَرِيرٍ الطَّبْرِيَّ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ طُرُقٍ رَوَايَةً؛ وَقَدْ حَلَفَ بَعْضُ التَّابِعِينَ أَنَّهُ لَيْسَ بَابْنَهُ .

واحتج على من قال ذلك بقوله تعالى :

«وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ» وَبِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحَدِّثَ زَنَّا فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْتِ النَّبُوَّةِ؛ وَلَوْ أَنَّ الْكَفَرَ حَدَّثَ فِي بَيْتِهِمْ، وَمِنْ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ الزَّنَّا

مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي يَقْلَعُ عَنْهَا، وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا؛ وَهُوَ دُونَ الْكَفْرِ (وَلَا تُفَرِّ لِي) وَإِنْ لَمْ تُفَرِّ لِي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا) أَنْزَلَهُ مِنَ السَّفِينَةِ . فَقَدْ زَالَ الْخَوْفُ، وَحُلَّ الْأَمْنُ، وَطَهَّرَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْقِسَادِ؛ (وَبَرَكَاتٍ) خَيْرَاتٍ وَنِعَمٍ (عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ) فِي السَّفِينَةِ . أَيْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ؛ وَمِمَّنْ الْمُؤْمِنُونَ (وَأُمُّهُمْ) مِنْهُمْ سَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ فَأُولَئِكَ (سَنَنْتَعِمُهُمْ) فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا (ثُمَّ يَكْفُرُونَ) فِي الْآخِرَةِ (مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ) مَوْلَمٌ دَائِمٌ (تِلْكَ) الْقِصَّةُ (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) الَّتِي غَابَ عَنْكَ فِيهِ وَعِلْمُهُ (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا) أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا (فَاصْبِرْ) إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (وَلِأَنَّ عَادَ أَهْلَهُمْ مُؤْمِنًا) قَالَ يَقُومُ عِبَادُوا نُوحٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي يَقْلَعُ عَنْهَا، وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا؛ وَهُوَ دُونَ الْكَفْرِ (وَلَا تُفَرِّ لِي) وَإِنْ لَمْ تُفَرِّ لِي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا) أَنْزَلَهُ مِنَ السَّفِينَةِ . فَقَدْ زَالَ الْخَوْفُ، وَحُلَّ الْأَمْنُ، وَطَهَّرَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْقِسَادِ؛ (وَبَرَكَاتٍ) خَيْرَاتٍ وَنِعَمٍ (عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ) فِي السَّفِينَةِ . أَيْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ؛ وَمِمَّنْ الْمُؤْمِنُونَ (وَأُمُّهُمْ) مِنْهُمْ سَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ فَأُولَئِكَ (سَنَنْتَعِمُهُمْ) فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا (ثُمَّ يَكْفُرُونَ) فِي الْآخِرَةِ (مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ) مَوْلَمٌ دَائِمٌ (تِلْكَ) الْقِصَّةُ (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) الَّتِي غَابَ عَنْكَ فِيهِ وَعِلْمُهُ (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا) أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا (فَاصْبِرْ) يَأْمُرُ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ؛ كَمَا صَبَرَ نُوحٌ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ .

(يا قوم لا أسألكم عليه) أى على التبليغ والإنذار (أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرني) خلقني (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) يؤخذ من هذه الآية : أن كثرة الاستغفار : تزيد في الرزق ، وتعين على الباء ؛ بدليل قوله تعالى في هذه الآية « ويزدكم قوة إلى قوتكم » وقوله جل شأنه : « ويمدكم بأموال وبنين » هذا غير الأجر الأخرى المستدل عليه بقوله تعالى « ويجعل لكم

الجزء الثاني عشر

٢٧٠

جنت ويجعل لكم أنهاراً » وأقسم أنه ما اعتزاني هم أو ضيق ؛ ولجأت إلى الاستغفار : إلا وجدت من شدتي فرجاً ، ومن ضيقي مخرجاً (قالوا ياهود ما جئنا بنبية) برهان ومعجزة تدل على صدقك (إن قول لا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أى أسابك بمكروه ؛ فاختلط عقلك . فتحداهم هود عليه السلام ، وتحدى آلهتهم (قال إن أشهد الله) الإله الحق (واشهدوا) أنتم أيضاً (أنى برىء مما تنسرون) مع الله في العبادة ؛ من آلهة لا تضر ولا تنفع (فكيدوني جميعاً) أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها مستنى بسوء (ثم لا تنتظرون) لا تمهلوني .

انظر بربك كيف جابه هود بمفرده جميعهم ، وكيف استهان بكثرة عددهم وعدتهم وكيف سفه آلهتهم ؛ وما ذاك إلا لشدة إيمانه بربه ، وبقينه بنصرته ، وعظم ثقته بمرسله تعالى ! ومى وحدها - لوتأملوها بعين الاعتبار - من أعظم البراهين الدالة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام ! ولو كان مبطلاً : لما أقم داهنهم ، وخطب ودم ؛ كما يفعل الدجالون المشعوذون (إنى توكلت على الله ربي وربكم) فهو وحده المقادر على حفظي وكلاءتي (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما من دابة)

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٢٧٠﴾
يَنْقُومُ لَا تُسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرٌ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَنْقُومُ ﴿٢٧١﴾
فَطَرَقَ أَقْلًا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ وَيَنْقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٢٧٣﴾
قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٤﴾
إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآلِهَتُهُمَا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٧٥﴾
مِنْ دُونِهِ ۖ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٢٧٦﴾
إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧٧﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ ۚ إِلَيْكُمْ وَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْعًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٧٨﴾

فقوله

ومى كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطير (إلا هو آخذ بناصيتها) أى مالك أمرها ، وقاهرها ؛ فلا تتحرك إلا بإرادته ، ولا تقع ولا ضريق منها أو عليها إلا بمشيئته ! وخس الناصية بالذكر : لأن من آخذ بناصيته : يكون في غاية القوة ، ونهاية الاستكاثرة ؛ ولذا كانوا يجزون ناصية الذئب لإمعاناً في إذلاله وتحقيقه ! والناصية : شعر مقدم الرأس (إن ربي على صراط مستقيم) يقضى بين عباده بالحق ؛ فينبى الحسن على إحسانه ، ويجازى العاصى على عصيانه (فان تولوا) تعرضوا عن الإيمان

ثُمَّ وَحَفِظَ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١١﴾
وَتِلْكَ آيَاتُ جِبَارٍ بَآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٢﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادِ
قَوْمِ هُودٍ ﴿١٣﴾ * وَلَئِنْ تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُومُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَ لَكُمْ مِّنْ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يُنَصِّرُنِي
مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ قُلُوبُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ تَوْبَتِي غَيْرِ تَحْسِيرٍ ﴿١٦﴾

(إن ربى على كل شىء حفيظ) رقيب (ولما
جاء أمرنا) بالعذاب (نجينا هوداً والذين آمنوا
معه برحمة منا) هداية وتوفيق : هديناهم
للإيمان ، ووقفناهم للطاعة (ونجيناهم من عذاب
غليظ) شديد (وتلك عاد) قوم هوم (جحدوا
بآيات ربهم) كذبوا بالمعجزات وأنكروها
(واتبعوا أمر كل جبار عنيد) كل عات متكبر ،
معاند للحق (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) من
الناس . واللعة : الإبعاد والطرده ؛ المقترن
بالسخط والغضب (ويوم القيامة) تتركهم اللعة
أيضاً (ألا بعداً لعاد قوم هود) يقال : أبعد الله
بعداً : نجاه عن الخير ولعنه (واستعمركم فيها)
جعلكم عماراً لها : تسكنون فيها ، وتتمتعون
بمخبراتها (إن ربى قريب مجيب) أى قريب
الرحمة ، مجيب الدعاء (قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجواً) نرجو خيرك وعطفك وبرك ؛
فا بالك تنهانا عما نعبد وبعيد أبائنا ؟ أو المراد
«مرجوا» ذا عقل راجح ، وذهن ثاقب
(قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى
وآتاني منه رحمة) نبوة وحكمة وهداية (فا
تريدوني غير تحسير) أى ضلال ؛ لأن
الضلال يعقبه الحسران . أو «فا تريدوني»
بتكذيبكم ، والتمسك بآله آبائكم ؛ غير زيادة
ضلالكم وخسرانكم

(ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) معجزة دالة على صدق (فذروها) أتركوها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) سريع حال (فمفروها) ذبحوها ، أو قتلوها ، وقيل : قطعوا قوائمها ؛ عقرها واحد منهم ؛ ورضوا جميعاً عن عمله ؛ لذا عبر تعالى بجمعهم . ومن هنا يعلم أن الراضى عن المصيبة : شريك في العصيان ، وأن العذاب كما يصيب العاصي بعصيانه ؛ فإنه يصيب الطائع بتركه النهى عن العصيان ، قال تعالى «واقتوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الذين ظلموا ، والذين لم يضرخوا على أيديهم ليكفوا عن ظلمهم (فقال) لهم صالح ؛ بعد عقرهم للناقة ، واستهانتهم بأمر ربهم (تمتعوا في داركم) بالأمن والسلامة (ثلاثة أيام) يحل بعدها عذاب الله تعالى بساحتكم (ذلك وعد غير مكذوب) واقع لا محالة ! (فلما جاء أمرنا) بالعذاب (نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا) وهى توفيقهم للإيمان ؛ الذى كان سبباً في نجاتهم (ومن خزي يومئذ) وهو الخزي الذى لحق بالكافرين العذيين ؛ وأى خزي أخزى من غضب الله تعالى وعذابه ! (إن ربك هو القوى) القادر على قاذ أمره (العزيز) القاهر ، الذى لا يظلم (وأخذ الذين ظلموا) كفروا (الصيحة) صاح بهم جبريل عليه السلام ؛ فأهلكهم الله تعالى بصيحته ؛ والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هى مقدمة لكل عذاب (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كان لم يظنوا) كأن لم يقيموا (ألا بعداً ثمود) أبعد الله بعداً : نجا عن الخير وامنه (ولقد جاءت رسلنا) ملائكتنا (إبراهيم بالبشرى) بشروه بأسحق ويعقوب (قالوا سلاماً) أى سلموا عليه سلاماً ؛ أو قالوا قولاً طيباً يبعث على الأمن والراحة والسلام . قال تعالى «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» (قال سلام) أى أمرى سلام ، ولا أريد غير السلام

٢٧٢

الجزء الثانى عشر

وَيَقُومُ هُنَيْئَةً نَّاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ فَمَقَرُّوهَا فَقَالَ مَتَمَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدُ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنَ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٢٠﴾ كَانُوا لَا يَفْقَهُوا فِيهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ رَسُولٌ رَبِّهِمْ إِلَّا بُعْدًا لِمُؤَدٍّ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَالَتْ لَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيزٍ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَتْ أَيْدِيَهُمْ لَاقِصِلَ إِلَيْهِ نِكَرُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٢٣﴾ وَأَمْرًا لَهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَفَشَرْنَهَا بِإِصْبَعٍ وَمِنْ وَرَاءِهَا إِصْبَعٌ يَعْقُوبُ ﴿٢٤﴾ قَالَتْ

يُنَوِّلَتْنِي

(فأبنت) أى فامكت (أن جاء) حتى جاء (بعجل حنيز) مشوى ؛ فوضعه أمامهم ليأكلوا منه ؛ فلم يتقدم أحد منهم للأكل (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) أى لا تمتد إلى العجل المشوى الذى قدمه لإكرامهم ؛ وقد كانوا جاءوه فى صورة بنى الإنسان (نكرهم) أنكرهم ، وتوهمهم أعداء لا أحياء (وأوجس منهم خيفة) أضر فى نفسه الخوف منهم ؛ وذلك لأنه كان من عادة العرب أنهم إذا عادوا إنساناً ، وأرادوه بسوء ؛ لم يمسوا طعامه ؛ ولا يزال ذلك فيهم حتى الآن (قالوا لا تخف) إنا أرسلنا إلى قوم لوط (وأمراهم) أى امرأة إبراهيم عليه السلام (قائمة) بخدمة الأضياف ، أو «قائمة» وراء السر ؛ تستمع لما يدور بينهم وبين زوجها . والأول أولى : لكلام الملائكة لها ، وتبشيرهم لماها =

= (فضحكت) خاضت ؛ تمهيداً لمسابقتي عليها من البشارة (فيشرناها باسمي ومن وراء إسحق يعقوب) وقيل : «فضحكت» استبشاراً بما سمعته من إهلاك قوم لوط ، أو سروراً بزوال الخوف عن زوجها (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز) ونسيت حيزها ؛ الذي هو من علامات الاستعداد للحمل (وهذا بعلي شيخاً) أي عجوزاً ؛ لا ينبغي مثله الأبناء (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته ؛ وهو إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ! (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أهل بيت إبراهيم ، بيت النبوة (لأنه حميد) محمود في كل ما يعمل (مجيد) كثير الخير والاحسان

(فلما ذهب عن إبراهيم الروح) الخوف من الأضياف وعدم تناولهم طعامه ، وعلم أنهم رسل ربه جل شأنه ! (بجادلنا في قوم لوط) وذلك إنه لما علم من ملائكة الرحمن أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط : مسه الفزع والازعاج ؛ وقال لهم : رأيتم لو كان في قرية لوط خسون مؤمناً أهلكونها ؟ قالوا : لا . قال : فأريهم ؟ قالوا : لا . قال : فتلاون ؟ قالوا : لا . حتى بلغ العشرة ؛ قالوا : لا . قال : رأيتم إن كان فيها مسلم واحد أهلكونها ؟ قالوا : لا . قال : إن فيها لوطاً . قالوا : نحن أعلم بمن فيها ؛ لننجيه وأهله (لأن إبراهيم لحليم أواه) كثير التأوه والخوف من الله تعالى (منيب) راجع إليه تعالى (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدال (إنه قد جاء أمر ربك) بإهلاك قوم لوط (وإنه آتيهم عذاب غير مردود) بمجادك عنهم ، أو بشفاعتك لهم (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم) أي ساءه بجهنم (وضاق بهم ذرعاً) يقال : ضاق ذرعه بالأمر ؛ إذا لم يطقه ولم يتحمله (وقال هذا يوم عصيب) شديد الشر والمكاره ! وذلك لأنه ظن رسل ربه أضيافاً ؛ وخاف لإذية قومه لهم (وجاءه قومه يهرعون) يسرعون (إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) وهي إتيان الذكران في

يَتَوَلَّيْنِي ۖ أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢٧﴾ قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشِيرُ ابْنُ يَحْيَىٰ لَمَّا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٣٠﴾ يٰإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأَبْهِيمٌ ۖ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِّنْ بَيْنِهِمْ ۖ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٣٢﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۖ قَالَ يَتَقَرَّبُ هَؤُلَاءُ مِنِّي ۖ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَلَا تَحْزُنْ فِي ضَيْغِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَّجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٣٣﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٣٤﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ

الأدبار ؛ ولقد أقرد بهذا الجرم من بني الإنسان : من انحط عن مرتبة الحيوان ! وحده هذا الجرم : الإلقاء من حلق ، أو جبل شاهق ؛ ليكون عبرة لغيره ، ونكالا لثله ! (قال) لوط لقومه (يا قوم هؤلاء بناتي) أي بنات أمتي - لأن كل نبي أب لأمتي - لأنه لا يصح أن يتزوج الأشرار الأخيار ؛ فما بالك ببنات الأنبياء ! (من أظهر لكم) بالزواج (فاتقوا الله ولا تحزنون) لا تفضحوني (أليس منكم رجل رشيد) عاقل ؛ يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر (قال لو أن لي بكم قوة) أستطيع أن أدفع أذاكم بها

(أو آوى إلى ركن شديد) عشيرة تنصرتني عليكم ، وتقبني شرورك ! وحين سمع ملائكة الله تعالى تحسر لوط على ضعفه واقطاعه (قالوا) له (الوط) لا تخش بأساً ؛ وإن ركنك لشديد (لما رسل ربك لن

الجزء الثاني عشر

٢٧٤

بصلوا إليك) أى لن يستطيعوا الوصول إليك ؛
لأننا أرسلنا لإهلاكهم ، وقطع أديارهم
(فأسر) الإسرائ : السير ليلاً (يقطع) طائفة
(من الليل ولا يلتفت منكم أحد) وراءه ؛
خشية أن يرى ماحل بالقوم فيذهله ذلك ويؤله
ويأخذ بلبه ! فاقطر - يارعاك الله - إلى عذاب
رؤيته عذاب ! وقانا الله تعالى عذابه ، وباعد
بيننا وبين غضبه ! (فلما جاء أمرنا) بالإهلاك
(جعلنا عليها سافلها) رفع جبريل عليه الصلاة
والسلام قري قوم لوط ، حتى عنان السماء ،
ثم قلبها بمن فيها (وأمطرنا عليها حجارة من
سجيل) من نار (منضود) متتابع (مسومة)
معلمة . قيل : مكتوب على كل حجر منها اسم
من يرجم به (ولا تنقصوا المكيال والميزان
إني أراكم بخير) أى فى سعة فتبينكم عن نقص
الكيل والميزان (ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا) لا تنقصوا
(ولا تعثوا) العثى : أشد الفساد (بقية الله
خير لكم) أى ما أبقاء الله تعالى لكم من الحلال :
خير مما تجمعونه من الحرام ، والمحسنات التى
يبقى ثوابها عند الله : خير لكم من البقية التى
تبقونها من الكيل والميزان ! وهذا دستور
من أعجب الدساتير : فكم قد رأينا من يطفف
الميزان والمكيال : سعده فى زوال ، وحاله
من أسوأ الأحوال ! ورأينا من يوفى الكيل

أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٢٧٤﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَأَهُمُ اللَّيْلُ بِقَطْعِهِمْ
مِنْ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَرَأَاهُ
يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ لَهُ مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ
لَئِنْ مَوْعَدُهُمُ الصُّبْحُ الْبَاسُ الصُّبْحُ قَرِيبٌ ﴿٢٧٥﴾ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ سَافِلِهَا وَأَمَّطْنَا عَلَيْهِا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٧٦﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ
أَعْيُنِنَا فَبِئْسَ الْفِتْنَىٰ بَعِيدٍ ﴿٢٧٧﴾ * وَإِلَّا مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ
قَالَ يَتْلُمُونَ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَدِّرُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٢٧٨﴾ وَيَتَقَوْمُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا
فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٢٧٩﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٢٨٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ

أَصْلُكَ

الميزان : حاله دائماً فى رجحان ، ويحوطه رضا الناس والرب فى كل مكان ! (وما أنا عليكم بحفيظ) بربق
أراقبك ؛ ولكنه تعالى هو المراقب لكم ، المنزل العقاب بكم !

أَصْلَوْتُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ
 فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَنْقُومُ آدَمُ يَتِمُّ إِنَّ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي
 مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكَ إِلَى مَا أَنْتَ بِكَرِهٍ عَنْهُ
 إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٣٨﴾ وَيَنْقُومُ لَا يَحْزَنُكَ
 شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
 هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٣٩﴾
 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ﴿٤٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا تَفْقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٤١﴾ قَالَ يَقُومُ أَرْهَطِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
 وَاتَّخِذُوا مَنَازِلَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَاتَّخِذُوا مَنَازِلَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ

(إنك لأنت الحليم الرشيد) قولهم هذا إما أن يكون على سبيل التهكم والاستهزاء؛ وإما أن يكون بمعنى: كيف تقول ذلك وأنت المشتهر بالحلم والرشد (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة) برهان وجبة (من ربِّي ورزقني منه رزقاً حسناً) النبوة والرسالة، أو «رزقاً حسناً» حلالاً، لا قص فيه ولا بخس (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أي لا أريد بهيكم هذا أن أسبقكم إلى شهواتكم وضلالتكم التي أنهاكم عنها (إن أريد) ما أريد (إلا الإصلاح) لكم (ما استطعت) أي مدة استطاعتي وقدرتي على ذلك (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت) في سائر أموري. (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإليه أُنِيب) أرجع (ويا قوم لا يحزنكم) لا يكسبكم (شِقَاقِي) مخالفتي (أن يصيبكم) المذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) وقد أهلكوا بالفرق (أو قوم هود) وقد أهلكوا بالريخ العقيم (أو قوم صالح) وقد أهلكوا بالرجفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) لقرب زمينهم من زمينكم، أو ديارهم من دياركم؛ وقد أهلكوا بالاستئصال، فجعل عالي قراهم سافلها، وأمطروا

جبارة من سجبل! (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربِّي رحيم) بمن يؤمن به (ودود) كثير الود لمن والاه (ولولا رهطك) عشيرتك (قال يا قوم أرحطلي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراةكم ظهرياً) أي اتخذتم الله وراة ظهوركم؛ فلم تتبعوا دينه، ولم تعبوا بأوامره ونواهيه

(إن ربى بما تعملون محيط) علماً فجازيكم عليه (ويقوم أعمالوا على مكانكم) حالكم وقدرتكم في الإيذاء (إني عامل) على مكافئ وقدرتي في الإنذار والإصلاح ؛ حسب ما يؤتيه الله تعالى من النصرة

الجزء الثاني عشر

٢٧٦

والتأييد ؛ و (سوف تعملون من يأتيه عذاب يجزيه) يفضحه (ومن هو كاذب وارقبوا) انتظروا العذاب الموعود (إني معكم رقيب) منتظر ومرقب (ولما جاء أمرنا) بالعذاب (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام ؛ فهلخوا والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هي مقدمة لكل عذاب (فأصبخوا في ديارهم جاثين) باركين على الركب ميتين (كان لم يفتوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم (ألا بعداً لمدن) يقال : أبعد الله تعالى ؛ أي نجاه عن الخير ، ولمنه وطرده ؛ (كما بعدت ثمود) كما لعنت وطردت وأهلك ثمود من قبل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بالمعجزات الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (وسلطان مبین) معجزة بينة قاهرة ؛ ولعله أريد بها العصا ؛ لأنها أظهر معجزات موسى عليه السلام (وما أمر فرعون برشيد) بنى رشد ؛ أعما هو غي ، ومحض ضلال (يقدم قومه يوم القيامة) بتقديمهم (فأوردن النار وبئس الورد المورود) الورد : مكان القرب ، أو هو الموضع المقصود (وأتبعوا في هذه الدنيا) لعنة ويوم القيامة (أى يلعنون في الدنيا ، ويلعنون في الآخرة أيضاً (بئس الرد المرفود) الرد : العطاء . أى بئس العطاء الملقى لهم ! (ذلك) القصص

مَحِيطٌ ۝ وَيَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۝ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ۝ كَانُوا يَقْتُلُونَ فِيهَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ

آلتي

(من أنباء القرى) التي كفرت بخالقها وبالمُرسل إليها (نقصه عليك) ياجحد ؛ تسلياً لك (منها) أى من هذه القرى (قائم) باق حتى الآن (وحصيد) فان قد اندرس واعي (وما ظلمناهم) بتعذيبهم وإهلاكهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر ، وتعريضها للعذاب والهلاك في الدنيا ، والعذاب المقيم الدائم في الآخرة (فاغنت) فا دفعت ، ولا منعت (عنهم) العذاب والهلاك (آلهتهم التي يدعون) يعبدونها

(لما جاء أمر ربك) بالعذاب (وما زادوهم غير تنبيب) هلاك وتخسير (وكذلك أخذ ربك) عذابه (إذا أخذ القرى) بالعذاب (إن في ذلك) القصص الذى قصصناه عليك من أخبار الأمم الهالكة (آية) لعبرة وعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) وما أعدده الله تعالى فيها (ذلك يوم) يوم القيامة (مجموع له الناس) جميعا: مؤمنهم وكافرهم (وذلك يوم مشهود) أى يشهده كل المخلوقات، لا يغيب عنه أحد (وما تؤخره

إلا لأجل) وقت (معدود) معلوم عند ربك (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) لا تتكلم (نفس إلا بأذنه) لا يشفع أحد إلا بأذنه تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه» (فمنهم) أى من أهل الموقف (شقي) معذب فى النار (وسعيد) ومنهم سعيد: منعم فى الجنة! (فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير: خروج النفس بشدة . والشهيق: رد النفس بشدة أيضا . وقيل: رده بضعف شديد كالخسرجة . وهو إشارة إلى أنهم يكونون فى شدة الكرب والضيق (خالدين فيها) أى فى النار (مادامت السموات والأرض) أى مدة بقائهما ؛ وهو على عادة العرب عند إخبارهم عن دوام الشيء وتأنيده ؛ كقولهم : لا آتيك ما غاب ليل وطلع نهار . فأخبر تعالى أنهم باقون فى النار والعذاب أبدا أبدين ، ودهر الدهرين ! (إلا ما شاء ربك) أت ينجيه من الخلود فى النار ، أو بالانتقال من النار إلى الزمهرير (وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها) أبدا (إلا ما شاء ربك) من إقامة بعض عصاة المؤمنين فى النار قبل دخولهم الجنة (عطاء غير مجدود) غير مقطوع (فلاتك فى مرة) شك (بما يعبد هؤلاء) أى

قل يا محمد لكل من شك فى عبادة هؤلاء المشركين : «لا تك فى مرة مما يعبد هؤلاء» فلم يأمرهم الله تعالى بها ، ولم ينزل عليهم سلطانا بشأنها (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى أنهم لما عبدوها كما كان آباؤهم يعبدونها . وقيل : هو نهى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ والمقصود به أمته : تنبيها لهم ، وتقوية لإيمانهم (وإنما لمؤوفهم نصيبهم) من العذاب ، أو من الرزق ؛ فلا تستعجل إهلاكهم

الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْهِ ۚ وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَمِمْ ظَلِيْمَةٍ إِنَّا أَخَذُهُ بِالسَّيْدِ ۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۚ وَمَا تُوْخَّرُوْهُ إِلَّا
لِأَجْلِ مَّعْدُوْدَةٍ ۚ يَوْمَ يَكُنْ لَا تَكْلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
فَتُحَسِّمُ شَقِيٍّ وَسَعِيْدٍ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِي النَّارِ فَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۚ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۚ
۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءٌ غَيْرُ
مَجْدُوْدٍ ۚ فَلَا تَكُ فِي مَرَّةٍ عَمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا صُكْمًا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمَوِّفُهُمْ

(ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) تصديقاً وتكذيباً ؛ كما اختلف في القرآن المنزل عليك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لغضى بينهم) في الدنيا ؛ ولزل العذاب بكل مكذب وقت تكذيبه (ولأنهم) أى المكذبن بالقرآن (لن يشك منه) أى من القرآن ، أو من العذاب (وإن كلا) من المصدقين والمكذبين ؛ من سائر الأمم السابقة واللاحقة (لما) إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاءها يوم القيامة (إنه بما يعملون خبير) بظواهرها وبواطنها (فاستقم كما أمرت) أى داوم على العمل بأمر ربك ، والدعوة إليه (ولا تطغوا) تجاوزوا حدود الله (إنه بما تعملون) من خير أو شر (بصير) فيبيحك على الخير ، ويؤاخذكم على الشر (ولا تركنوا إلى الدين ظلموا) لا تميلوا إليهم بصحة ، أو ود ، أو مداينة ، أو تأييد ، أو بإبداء أى مظهر من مظاهر الرضا عن أعمالهم ؛ فكل ذلك لئلا تمنى عنه ، معاقب عليه (تتمسك) تصيبكم ؛ كقوله تعالى (وان يمسك الله بضرفه لا كاشف له إلا هو) (وما لكم من دون الله) غيره (من أولياء) أحياء ونصراء (وأقم الصلاة) طرق النهار (غفوة وعشية ؛ والمراد جميع النهار : الصبح ، والظهر ، والمصر) (وزلفاً من الليل) أى ساعات منه ؛ قرية من النهار ؛ ومن المغرب والمساء .

٢٧٨

الجزء الثاني عشر

فَصَبِّهِمْ غَيْرَ مُنْقَرِصٍ ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَشْكَمْ مِنْهُ مُرِيبٌ ۚ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِقُ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۚ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۚ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُعْتَبِرُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِّرِينَ ۚ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ۚ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ

ولما كان الإنسان في هذه الحياة - مهما ارتقى واتفق - معرضاً لارتكاب صفائر الآثام والذنوب ؛ خاصة في وقتنا هذا الذي اختلط فيه الحرام والحلال ، وسار فيه النساء متبرجات ، كاسيات عاريات ، مائلات ميلات . فقد يفرط منه ما ينافي الدين القويم ، والخلق المستقيم ؛ فإذا ما تكررت هذه الصفائر : انقلبت إلى كباتر - بالتكرار والإصرار - وفي هذه الحال يكون في ميسر الحاجة إلى ما يخفف عنه

آتاس

عبء الذنوب ، ويرفع عن كاهله أثمان المعاصي ؛ وهنا يتدخل القرآن الكريم بمبضعه الكافي الشاق ؛ فيجث آثار المصيان ، ويجعل مكانها الغفران ! يقول الحكيم العليم ، الغفور القدير (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فهل من متذكر ، وهل من معتبر ؟ ! (انظر آية ١٧ من سورة التغابن) (فلولا) فهلا (كان من القرون) الأمم (من قبلكم أولوا بقية) أى أصحاب دين وفضل ؛ قال تعالى : «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين» (إلا قليلاً من أنجيناهم) هم الذين نهوا عن الفساد في الأرض ؛ فنجوا من الهلاك (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يقال : أترفه النعمة : إذا أطعته (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (وأهلها مصلحون) بل يهلكها بذنوب أهلها وغورهم وغطيانهم (ولو شاء ربك لجعل

الناس أمة واحدة) على دين واحد ؛ لكنه تعالى لم يرد إيمانهم قسراً وجبراً ؛ بل اختياراً (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والإيمان (إلا من رحم ربك) بتوفيقه إلى الإيمان (ولذلك) الامتحان والاختبار (خلقهم) فيؤمن من يؤمن ، ويكفر من يكفر (وتمت كلمة ربك) بقوله للملائكة «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» لعله تعالى بكثرة العصاة والكافرين (وكلا) أى وكل الذى يحتاج إليه «من أنباء الرسل» (نقص عليك) ما نظمتهك به ، و (ما ثبت به فؤادك) تقويه بذكر ما نال الرسل الذين بعثوا قبلك من أذى قومهم ، وتكذيبهم لهم ، وصبرهم على ذلك الأذى والتكذيب (وجاءك في هذه) الأنبياء ، أوفى هذه الآيات ، أوفى هذه الدنيا (الحق) الذى لا حربة فيه (وموعظة) يتعظ بها أولوا الأبواب (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم ، ووسع طاقتكم . وهو تهديد ووعد للكافرين (وانظروا) عاقبة أمركم ، وما سيجل بكم (ولله غيب السموات والأرض) لا تخفى عليه خافية فيهما (ولإليه يرجع الأمر كله) أمرك وأمرهم ؛ فيأخذك منهم ، ويشيك ويعاقبهم (فاعبدوه وتوكل عليه) جعل الله تعالى التوكل عليه قرين عبادته والإيمان به (انظر آية ٨١ من سورة النساء) .

٢٧٩

سورة يوسف

الْأَنسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١٢٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٢٩ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣٠ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِهِمْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝١٣١ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝١٣٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٣٣

(١٢) سورة يوسف مكية

إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و

(نحن نقص عليك أحسن القصص) أوثقه وأصدق (وإن كنت من قبله) أى قبل نزول القرآن عليك (لن العاقلين) عن هذا القصص وعن هذا الهدى ! وقد شرع تعالى في ذكر بعض هذا القصص ؛ قال تعالى (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (يا أبت إني رأيت) في المنام (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) فلم يعقوب أن لابنه يوسف شأنًا كبيراً (قال) له (يا بني لا تقصص رؤياك) هذه (على إخوانك)

فتدركهم الفترة منك ، والمقد عليك ،
والمسد لك (فيكيدوا لك) بالدس والوقعة
والإذابة (كيداً) كبيراً (لن الشيطان
للإنسان عدو مبين) بين العداوة لساير بني
الإنسان ؛ فلا يفتأ يوقع العداوة بين الحلان ،
والبغضاء بين الإخوان (وكذلك) كما أكرمك
ربك وأعزك بهذه الرؤيا المحققة (يحبتيك)
يخافك ويصطفيك (ويهلك من تأويل
الأحاديث) ألهث الأمم الفائرة ، والكتب
السابقة ، واستنباط الحقيقة ، وتحري أدلة
التوحيد ؛ وهذا جميعه من إرغاصات النبوة
ومقدماتها . وقيل : « تأويل الأحاديث » تعبير
الرؤيا (وتم نعمته عليك) بالنبوة ؛ وجميع ذلك
من تأويل رؤيته التي رآها (وعلى آل يعقوب)
أولاده (كما أمها على أبيك) جدك ؛ لأن
إبراهيم : أبو إسحاق ، وإسحاق : أبو يعقوب
والد يوسف عليهم الصلاة والسلام . وإعظام
التممة للتصود في هذه الآية : هو النبوة (لقد
كان في يوسف وإخوته آيات عظيمة) (للسائلين)
الذين يتعرون ما في القصص من عبر ، وما في
السير من عظات .

هذا وفي قصص القرآن الكريم ما فيه
من بليغ الحكم ، وروائع السبر ، ولفت الأنظار
إلى ما فيه الاعتبار والاستبصار . وفي قصة
يوسف عليه السلام - وما كان من شأنه

وشأن إخوته - آيات للتوسمين ! (إذ قالوا) أى قال بعض إخوة يوسف لبعض الآخر (ليوسف وأخوه)
الشقيق بنيامين (أحب إلى أبنائنا منا ونحن عصبة) جماعة قوية (إن أبانا لفي ضلال) خطأ (اقتلوا يوسف
أو اطرحوه أرضاً) بعيدة . قالوا ذلك القول حين رأوا استئثار أخويهما بحب أيهما ، وتفضيله لهما عليهم
جميعاً ؛ في حين أنهم يرون أنفسهم أجدر بذلك الحب ، وأولى بهذا التفضيل ؛ لأنهم الرجال الأشداء الأقوياء
وجه العلة : أنه يجب على الآباء عدم إظهار بعض الأبناء على بعض في الحب والقرب ؛ ففي ذلك إضرار
الصدور ، وإشاعة البغضاء ؛ وداعية لوقوع بني الإنسان ، بين برائ الشيطان

قُرْءَا نَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْقَفْلِينَ ﴿٢﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ يَبْنِي لَأَتَقُصَّصَ
رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِيقُ تَعَمُّدَ عَيْنِكَ وَعَلَى هَالِكٍ
يَعْقُوبُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٦﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

لَكَ

لَكَرْ وَجْهَ أَبِيكَ وَتَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٥١﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ
 الْحَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٥٢﴾
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنصَحُونَ ﴿٥٣﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَحْفَظُونَهُ ﴿٥٤﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
 الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَنُخْسِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
 لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
 عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِذْهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
 يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
 وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَبْرِهِ بِدَرَكْدَبٍ

(يخل لكم وجه أبيكم) بأن يقبل عليكم ،
 ولا يلتفت إلى غيركم (قال قائل منهم لا تقتلوا
 يوسف والقوه في غيابة الحب) قهر البئر
 الحرب ؛ الذي خفر ولم يبن بعد (يلقظه بعض
 السيارة) السائرين (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا
 على يوسف) ذهب بعض القراء إلى أن لفظ
 «تأمنا» يجب فيه الإشمام . والإشمام هذا
 - كما يزعمون - هو أن يشير الإنسان بشفتيه
 كأنه ينطق بضمة بحيث لا يظهر أثر ذلك في
 النطق . وهو قول هراء لا يجب التعويل عليه
 بحال ؛ انظر - إن شئت المزيد - كتابنا
 «الفرقان» (وإننا له لنصحون) أي فاعون
 بمصلحه (قال إني ليحزني أن تذهبوا به)
 لأنني لا أطيق فراقه . وقد زاد ذلك من
 حنقه على يوسف ، وأسروها في أنفسهم
 (وأخاف أن يأكله الذئب) وقد لفهم بذلك
 الحجة التي يحتجون بها من حيث لا يشعرون (قالوا
 لئن أكله الذئب ونحن عصبة) جماعة قوية (إننا
 إذا لخسرون) لأن الذئب إذا قدر على أكل
 أحدنا من بيننا ؛ فهو على أكل مواشينا
 وأغنامنا أقدر . فأذن لهم بأخذ يوسف (فلما
 ذهبوا به واجمعوا) عزموا أمرهم على ما اتفقوا

عليه ؛ وهو (أن يجعلوه في غيابة الحب وأوحينا إليه) أي أوحينا إلى يوسف - بعد أن ألقوه في الحب -
 وحي إلهام . وقيل : نزل إليه جبريل عليه السلام قائلا له (لتنبئهم) لخبيرهم في مستقبل الأيام (بأمرهم
 هذا) الذي صنعوه معك (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) يباكون (قالوا يا أبانا إننا ذهبنا نستبق) نتسابق
 في الجري أو الرمي (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا و طعامنا (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا)
 بمصدق لمقالتنا (وجاءوا على قبره بدم كذب) أي مكذوب ؛ ليس بدم يوسف كما زعموا

(قال بل سولت) زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمراً) شيئاً اقترتموه (فصبر جميل) على فراق يوسف .
والصبر الجميل : مالا شكوى فيه إلى الخالق (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ما تصفون) ما تدكرون
من أمر يوسف (وجاءت سيارة) رفقة سائرون (فأرسلوا واردهم) الذي يبحث لهم عن الماء ، ويرده
ليستقي لهم ويدهم عليه . فوجد الجب (فأدلى دلوه) فيه ؟ فتعلق يوسف في الدلو (قال) الوارد لمارأى يوسف

الجزء الثاني عشر

٢٨٢

في الدلو (بابشري هذا غلام) وذهب به إلى
صبيه؛ ففرحوا به (وأسروه بضاعة) أى أخفوه
في متاعهم ليتاجروا فيه كال بضاعة (وشروه)
أى باعوه . يقال: شراه يشره : إذا ملكه ،
أو باعه ؛ كاشترأه (بشن نجس) قليل حقير
(وقال الذي اشتراه من مصر لأمراه أكرى
منواه) أى أكرى مقامه عندنا (وكذلك)
إشارة إلى إنجاء يوسف ، وعطف قلب الذي
اشترأه عليه (مكننا ليوسف في الأرض) جعلنا
له مكانة فيها ، وسططاناً عليها (ولعلمه من
تأويل الأحاديث) تصديقاً لقول أبيه يعقوب :
« ويملك من تأويل الأحاديث » (والله غالب
على أمره) أى على أمر نفسه ؛ لا يعجزه شيء
أراده ؛ وإنما يقول له : كن ؛ فيكون ! ويحتمل
أن يعود الضمير إلى يوسف عليه السلام ؛ أى
والله غالب على أمر يوسف ؛ يعجوله بعنايته
وكلاءته وحفظه ! (ولكن أكثر الناس
لا يطعنون) ذلك (ولما بلغ) يوسف (أشدّه)
كال قوته وشده ؛ وهو من ثمانى عشرة إلى
ثلاثين ، وهو أيضاً بلوغ الحلم . أو هو إلى
الأربعين : حيث تكون النبوة ؛ بدليل قوله
تعالى (آتيناه حكماً) حكمة (وعلماً) فقهاً في
الدين (وكذلك) مثل ما آتيناه يوسف من
الحكمة والعلم (نجزي المحسنين) الذين يحسنون
أعمالهم كما أحسن يوسف ، ويعفون أنفسهم كما

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٧٥﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
قَارِئُوا رَافِعَهُمْ فَاذْكُرُوا لَهُمْ قَالُوكُمْ قَالَ يَبْشُرُوكُمْ هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بِضَاعَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَقْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِلِينَ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
أَشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَتَوَدِّعَةً
عَنْ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذِمَهُ وَلَئِنْ كُنَّا لَمَكَّاءٌ لِيُؤْسَفَ
فِي الْأَرْضِ وَلِنُعْلِمَنَّ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ بِئْتَهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَعَقَلَتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٨٠﴾

ولقد

أعف ! (ورأوته التي هو في بيتها) امرأة العزيز . والمرادة : الإرادة برفق ولين (وعقلت الأبواب)
عليه معها (وقالت هيت لك) أى هلم ؛ فلما رأى منها مارأى (قال معاذ الله) أن أخون من أكرمني وآواني
(إنه ربى) أى سيدى ومالكى ، والمقصود به عزيز مصر ، أو أراد به الله تعالى (أحسن مثواى) أحسن
إقامتى ؛ فلا أخونه في أهله ، وإذا كان المراد به الله تعالى : كان معنى «أحسن مثواى» أى أحسن إقامتى في
هذه الدنيا ؛ إذ أنجاني من الهلاك المحقق ، وأكرمنى بحب مخلوقاته لى وعطفهم على ؛ فلا أعصيه بأفجع ما يعصى به !

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ
 كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّمٰرُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخَلَّصِيْنَ ﴿١٩﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُہٗ مِنْ دُبُرٍ
 وَالْقَبَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ
 سُوٓءًا اِلَّا اَنْ يَسْجَنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٢٠﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي
 عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِّنْ اَهْلِهَا اِنْ كَانَ قَيْصُہٗ قَدْ
 مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهِيَ مِنَ الْكَٰذِبِيْنَ ﴿٢١﴾ اِمَّا اِنْ كَانَ
 قَيْصُہٗ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهِيَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢٢﴾
 قَالَتْ رَآءَا قَيْصُہٗ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ اِنَّمٰرُ مِنْ كَيْدِكُنَّ
 اِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيْمٌ ﴿٢٣﴾ يُوْسُفُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا
 وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ اِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخٰطِئِيْنَ ﴿٢٤﴾
 * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِيْنَةِ اَمْرَاۗتُ الْعَزِيْزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ
 نَفْسِہٖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا اِنَّا لَنَرٰنِہَا فِى ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٢٥﴾

(ولقد همت به) همت بامساكه وضمه (وهم بها) المراد بهمه عليه السلام : ميل الطبع البشرى ، ومنازعة الشهوة الفطرية ؛ لا القصد الاختيارى . وهذا الهم مما يصح أن يكتب له به حسنة ، لا أن تحسب عليه سيئة . وقد جاء في الحديث القدسي عن رب العزة : «إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة» وقد تجبعت كثير من الفسرين في تأويل هذا بما يتنافى وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (لولا أن رأى برهان ربه) وبرهان ربه : عصمته من الوقوع فيما يقع فيه عامة البشر . ولما كان البرهان : هو الدليل ؛ كان برهان الله تعالى :

دليل وجوده وقدرته ؛ فأثبت الله تعالى قدرته بمنعه ، وأثبت وجوده بالحيلولة بينه وبين الوقوع في الخطيئة ! أرانا الله تعالى برهانه ، وعصمنا بقدرته ، وحال بيننا وبين معصيته ، وهذا برحمته ! (كذلك) أى أريانه برهان وجودنا (لنصرف عنه السوء والفحشاء) الحياة والزنا (واستبقا الباب) جرى يوسف منها ، وجرت وراءه لئلا تمسكه ؛ فأدركت ثيابه (وقدت) شقت (قيصه من دبر) من خلف (والقبا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) عند الباب ؛ حينما أراد أن يفتحه هربا منها . فلما رأت زوجها أسقط في يدها ، وحاولت الدفاع عن نفسها أمامه (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) إلا أن يسجن أو عذاب أليم (ما) نافية ؛ أى ليس له إلا أن يسجن . فلما رأى يوسف ما حاطته به الآثمة من لثم ؛ شرع في الدفاع المشروع عن نفسه (قال) إني لم أراودها ؛ بل (هى) التى راودتني عن نفسى وشهد شاهد من أهلها (قيل : تكلم صبي من أهلها ، وكان في المهد ، وقيل : هو ابن عم لها ؛ كان وزيراً للملك ، ومستشاراً له ؛ قال (إن كان قيصه قد شق (من قبل) من أمام (فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر) من خلف (فلما رأى قيصه قد من دبر) وهو مما يؤكدها كذبها وصدقه : التفت إليها (قال)

لها (إنه) أى الذى حصل من المراودة ، واتهام البرىء (من كيدكن) أيها النساء (إن كيدكن عظيم) ثم التفت إلى يوسف ، وقال له (يوسف أعرض عن هذا) الأمر الذى حدث فلا تذكره لأحد . ثم التفت إلى امرأته قائلاً (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) وبذلك وضع أنه استقر في ذهن العزيز - بعد أن رأى نفسه مارأى ، وسمع ماسمع - براءة يوسف وخطيئة امرأته . وكان أقل ما يجب عليه وقتذاك : أن يحول بين لقاها به ، ورؤيتها له ؛ لكنه لم يفعل ؛ ليم الله تعالى ما أراد به يوسف ، وما أراد له ؛ فسارت بذلك قصته مع امرأة العزيز الركباني ، وتناقلا حديثهما في كل مكان (وقال نسوة في المدينة) بالذل والمار (امرأة العزيز تراود فتاها) خادمها وملوكها (عن نفسه) لتلألأ غرضها منه (قد شغفها =

(حبا) أى مس حبه شفاف قلبا . وشفاف القلب : غلافه ، أو حجابها ، أو حجبته ، أو سويداؤه (فلما سمعت بمكرهن) بقولهن ؛ وسمى حديثهن مكرأ : لأنه تم في خفية ؛ كما يخفى الماكر مكره (أرسلت لآلهن) تدعوهن لمجلسها (وأعدت) أعدت (لمن متكأ) مجلساً للطعام ؛ أعدت فيه ما يتكأ عليه من الوسائد والتمارق ، أو أعدت لمن فاكهة يتكأ عليها عند قطعها ؛ كالأترج مثلاً (وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) فخرج (فلما رأيته أكبرته) أعظمته . وقيل : أكبرن : أى حضن ، والهاء السكت ؛ وهو تأويل ليس بشيء (وقطعن أيديهن) من شدة ذهولهن عما رأيته من جلال يوسف عليه السلام وصباحة وجهه ؛ لم يشعرن بالسكاكين وقد جرحت أيديهن (وقلن حاش لله) تنزيهاً لله ؛ وهو لفظ خاص به تعالى : فلا يقال : حاش لك . بل حاشاك ، وحاشاك (ما هذا بشراً) كسائر البشر (إن هذا) ما هذا (إلا ملك كريم) وصفته بالملكية ؛ لأنه من العلوم ألا شيء أجل من الملك ، ولا شيء أقبح من الشيطان (قالت فذلكن) أى فهذا هو (الذى لمتني فيه ولقد راودته) من الإرادة ؛ أى طلبته بنفسى لنفسى (فاستعصم) امتنع ، وتحصن بالصصة ، ومنع نفسه من أن أناله (وليكونن من الصاغرين) الدليلين . ووجه الظة مما مضى من هذه القصة : أنه لا يجوز لعاقل أن يضم في بيته شايأ مماثلأ قوة وقوة وجلا ؛ ويدعه مع امرأته تبتاحها عواصف الشهوة ، وتبتاحها أعاصير الخطيئة ، ويدع للشيطان بينهما مجالاً وأى مجالاً بل الواجب أن يلتزم حدود الدين الحنيف ، وأوامر الخالق جل شأنه «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن» (انظر مبحث التبرج والسفور بآخر الكتاب) (ولا تصرف) وإن لم تصرف

٢٨٤

الجزء الثاني عشر

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَيِّفًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَّفْسِهِ فَاِسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا نَأْمُرُهُ لَيَكُونَنَّ وَلِيكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَآرَأَ الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٣﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أُرْسِلُ بِخَيْرٍ

فوق

(عنى كيدهن أصب) أمل (لآلهن وأكن من الماهلين) المذنبين (فاستجاب له ربه) أجاب دعوته ، وصرف عنه كيدهن (إنه هو السميع) لمن يدعو (العليم) بحال خلقه (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءته مما نسب إليه ، وألصق به (ليسجنه حتى حين) أى لى أن ينقطع كلام الناس ، ويسنون ما حصل بينه وبين امرأة العزيز ؛ وأدخل يوسف السجن ، مع من أدخل من العصاة والمجرمين (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما) بعد فترة من الزمن قضوها في السجن (إنى أرانى) أى أرى نفسى في المنام (أعصر خراً) أى أعصر عنباً ، فيصير خراً

فَوْقَ رَأْيِي خَيْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
 إِنَّا نَرْفَعُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ
 تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
 ذَلِكَ جَاءَ عَلَيْنِي رَيٌّْ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 لِيُضِلُّهُمْ وَلَمْ تَحْشَ وَتَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ
 مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 بِهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
 يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ زَمْزَرًا

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما كالغيب
 والخبر الذي رأيته (ألا نبأتكما) أخبرتكما (بتأويله)
 بما يؤول إليه رؤية ذلك. (قبل أن يأتيكما) تأويله. وقد يكون المعنى :
 « ترزقانه » أى طعامه « إلا نبأتكما بتأويله »
 أى بما يؤول إليه ذلك الطعام من عناصر
 وأخلاق . وأن يكون يوسف عليه السلام قد
 منحه الله تعالى - من جملة ما منحه - علم خواص
 الأغذية (ذلكما) العلم الذى ذكرته (عما
 علمنى ربى) وأفاضه على (إنى تركت ملة قوم
 لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) لا يؤمنون
 بالبعث . قال تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله »
 قيل : إن يوسف عليه السلام علم مكروه
 الإجابة على أحدهما؛ فحاول أن يتكلم في موضوع
 آخر ليصرفهما عما طلباه من تأويل رؤيائهما !
 فلم يدعاه بل ألحأ عليه ؛ فعدل أيضاً عن
 إجابتهما قائلاً (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون
 خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه
 إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها
 من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا
 إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا
 يعلمون) فلم يدعاه حتى يعبر لهما ما رآه ؛ فلم

يستطع مخالفتها . وقد تدرج عليه السلام في دعوتهم وإلزامهم الحق ؛ بأث بين لهم أولاً رجحان التوحيد
 على اتخاذ الآلهة المتعددة ، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها : لا تستحق الألوهية والعبادة ،
 ثم نص على ما هو الحق القوم ، والدين المستقيم ؛ الذى لا يقبل العقل غيره ، ولا يرضى العلم سواه ؛ ثم شرع
 في إجابتهما ؛ فقال (يا صاحبي السجن) أى يا صاحبي في السجن (أما أحدكما) الذى رأى في منامه أنه يعصر
 خمرأ (فيسقى ربه) أى سيده (خمرأ) في القطة ؛ أى سيكون من خاصته الذين أعدهم لسقيه

(وأما الآخر) الذى رأى فى منامه أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه (فصلب) فى القطة (فتأكل الطير من رأسه) وكأنه عليه السلام قد تألم من ذكر ما يؤلم ؛ فقال أسفاً (فضى الأمر الذى فيه تستفتيان) والذى حاولت جاهداً أن أستقبل من الإجابة عليه ، فلم تمكنائى (وقال الذى ظن) تأكد (أنه ناج منهما) وهو الساقى ؛ قال له (اذكرنى عند ربك)

الجزء الثانى عشر

٢٨٦

أى اذكرنى عند سيدك الملك حين تلقاه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى أنسى الشيطان يوسف من أن يطلب من ربه الخلاص من السجن ؛ ولجأ - ناسياً - إلى العبد العاجز الفانى ؛ فكان جزاءه أن لبث (فى السجن بضع سنين) البضع : بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك) جلساته (إنى أرى) أى رأيت فى المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) أى مهازيل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخليط فى الرؤيا ؛ وهو مالا تأويل له ؛ لصدوره عن فساد المعدة وأبغرة الطعام (وقال الذى نجا منها) وهو الساقى : تذكر يوسف وتأويله للرؤيا (وادكر بعد أمة) أى تذكر بعد مدة طويلة قول يوسف له : «اذكرنى عند ربك» وقرأ ابن عباس «وادكر بعد أمة» والأمة : النسيان (أنا أنبئكم بتأويله) أى أدلكم على من يؤول هذا المنام لكم (فأرسلون) أى أرسلونى إلى السجن لأخضره لكم . فأرسلوه فقال ليوسف (يوسف أيها الصديق) الكثير الصدق ، الدائم عليه (لعلى أرجع إلى الناس) فأخبرهم بما تدكره من تأويل هذه الرؤيا (لعلهم يعلمون) ما ينفعهم من تأويلها ، أو لعلهم يعلمون فضلك وعلمك ؛ فخرجونك مما أنت فيه من الضيق (قال)

وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۖ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۖ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۖ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ۖ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۖ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلَّنَا لَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۖ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

يَا
تأويل ذلك : أنكم (تزرعون سبع سنين داباً) أى دائبين متوالين (فاحصدتم) قطعتم من الأرض (فذروه) اتركوه (فى سنبله) بغير دراس ؛ ليحفظ ولا يتطرق إليه التلف . وبذلك يعلمنا الله تعالى فى هذه القصة : الطريقة المثلى لتخزين الحبوب والمحاصيل لحفظها ؛ إذ أن تركها بغير نزع سنابلها : أحفظ لها من التلف والفساد ؛ وذلك بعكس متروعة السنابل التى قد يدب فيها الفساد فى عام واحد أو عامين

تَمَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا مَحْصُونٍ ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴿١٩﴾
وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ قُلْتُ جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَسَعَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَةِ الَّتِي قَطَعَتْ أَيْدِيَّ
إِنَّ رَبِّي يَبْعِثُ فِي عِلْمٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رُودَتْ
يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رُودَتْهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ لِمَنِ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَآرِحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُؤْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَمَتْهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

(إلا قليلا مما تأكلون) أى إلا ما تحتاجون لأكله فادرسوه وأنزعوه من سنابله (سبع شداد) أى سبع سنين تقطعون فيها ؛ فلا تخرج الأرض نباتاً (يأكلن ما قدتمن لهن) أى ما خزنتموه في السنين السبع التي زرعتوها دأباً (تخصنون) تدخرونه لتزرعوا ؛ لأن في استبقاء البذر : تحصين للأقوات ؛ وإلا إذا أكلنا الجميع فإذا نزرع ؛ (فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) أى ينزل لهم القيث ، وبرزقون ما يعصر من الثمار ؛ كالغلب ، والزيتون ، وغيرهما . وقيل : «يعصرون» ينجون ؛ من العصرة : وهي المنجاة . ومنه

العصر : وهو الملجأ (قال ما خطبكُن) أى أرسل إليهن الملك ، وقال لهن : ما شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدت من ميله إليك ؛ كالليل الذي بدا منكن إليه ؟ (قلن حاش لله) تعجباً من خلق لإنسان كامل عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) قط (قالت امرأة العزيز) التي كان يوسف في بيتها ، وراودته عن نفسه ، وأتهمته بإرادة السوء بها ؛ لما رأت قول النسوة : «حاش لله ما علمنا عليه من سوء» جاشت في صدرها عوامل الحب الدفين ، مع الأكابر ، ورغبت في الصديق الصراح ؛ بعد أن ناءت بحمل الكذب المبين ، طوال هذه السنين : قالت (الآن حصص الحق) وضح وظهر (أنا راودته عن نفسه وإياه لمن الصادقين) في دفاعه عن نفسه (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) أى لم أخن يوسف في غيبته ، بعد أن خنته في حضوره ؛ حين جابهته بقول لزوجي «ما جزاء من أراد أباهك سوءاً» (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدد عملهم (وما أبرئ نفسي) فأقول : إني لم أراوده (إن النفس لأمارَةٌ بالسوء) إلا مارحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ الذي أراه : أن جميع ذلك تنمة لكلام امرأة العزيز ؛ لأن يوسف لم يأت بعد من السجن ؛ ولقول الملك بعد ذلك «أتؤنوني به أستخلصه لنفسي» وقد

ذهب أكثر المفسرين إلى أنه من كلام يوسف عليه السلام ؛ وزينوا ذلك بأقوال تتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم السلام ؛ منها : أنه حين قال «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» هس جبريل في أذنه قائلاً : ولا حين حلت نكته سراويلك وهمت بها ؛ فقال «وما أبرئ نفسي» وهو قول ظاهر القبح ، بإدى البطلان ؛ ومن عجب أن أمهات كتب التفسير تذكر هذا القول وأمثاله ، وتنسبه إلى فضلاء الصحابة ، وجملة التابعين ؛ وهم براء من هذا الهراء ! وذهب بعضهم إلى أنه من كلام العزيز : أى لم أحامل عليه وأخنه في غيبته ؛ بل جازيته على أمانته ، وملكته رقاب الناس وأموالهم (وقال الملك) حين وضع له علم يوسف ، ورسوخ قدمه وفضله ، وبراهته مما نسب إليه (أتؤنوني به أستخلصه لنفسي) أى أجعله من خلصائي وأصفياي (فلما) =

= جاءوا يوسف من السجن ، و (كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة تؤمن على كل شيء .
 (قال) يوسف (اجعلي على خزان الأرض) أى وزيراً للمالية ، أو وزيراً للتون (إنى حفظ) ذو محافظة
 على الأموال (علم) بإدارتها وتتميتها . وقيل : «حفظ علم» أى كاتب حسب (وكذلك) كما أمننا عليه
 بالعلم ، والصدق ، والنبوة ، والنجاة من السجن ، والخلص من كيد الشيطان ، والقرب إلى قلب الملك ؛
 مثل هذا الإنعام والتفضل (مكنا ليوسف فى الأرض) جعلناه مكانة فيها ، وقدره عليها . قيل : استخلفه
 الملك على مصر ؛ فسار موكباً فى طرفاتها ؛
 فرأته امرأة العزيز ؛ فبكت وقالت : الحمد
 لله الذى صبر الملك عبيداً بالمصيبة ، والمبيد
 ملوكاً بالطاعة ؛ وقال بعضهم : إنه تزوجها
 بعد ذلك . والقول الراجح : إنه لم يتزوجها ،
 بل تزوج راعيل زوجة اطفح ، وولدت له
 غلامان (بنوا) ينزل ويسكن (منها حيث
 يشاء) فقد ملك أموالها وأقواتها ؛
 واحتاج كل من فيها إليه ، وليست به حاجة إلى
 أحد (نصيب برحمتنا) بطائنا وأمننا فى الدنيا
 (من نساء) من عبادنا (ولا نصيب أجر
 المحسنين) فيها ؛ بل ترزقهم منها جزاء إحسانهم
 (ولأجر الآخرة خير) من أجر الدنيا وجزائها
 (لذين آمنوا) برهم (وكانوا يتقون) الله
 فى أعمالهم (وجاء إخوة يوسف) عدا بنيامين
 أخاه الشقيق ؛ وهم الذين تأمروا على يوسف ،
 وألقوه فى غيابة الحب ؛ جاءوا - كما جاء غيرهم -
 ليأخذوا حاجتهم من القوت الذى حفظه يوسف
 فى خزانته ، لسنى القحط - تأويلاً لرؤيا الملك -
 (نفرهم وهم له منكرون) أى لم يعرفوه (ولما
 جهزهم بجهازهم) أعطاهم حاجتهم من الأقوات
 التى جاءوا من أجلها ؛ قيل : أعطى كل واحد
 منهم حل بغير . وقد كان حاجه الشوق إلى
 أخيه ؛ وأراد أن يمتلأ على جيبه (قال اتنوني
 بأخ لكم من أبيكم) لأعطيه مثل ما أعطيتكم
 (الأترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين) المضيفين ، المكرمين (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي)
 أى فلا أعطيك طعاماً بعد ذلك (قالوا سترأود عنه أباه) ستتحال عليه فى الإتيات به إليك (وقال لفتياته)
 لفتائه (اجعلوا بضاعتهم) التى جاءوا بها ثمناً للطعام ؛ فسوموا (فى رحلهم) خفية من حيث لا يشعرون
 (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا رجوا) إلى أهلهم لعلهم يرجعون) إليها وبأخيهم ؛ قيل : كان عمرماً فى
 شريعتهم أخذ شيء من غير إذن له ، أو «لعلهم يرجعون» لأخذ حل بغير لأخيهم كما أخذوا (فلما رجعوا
 إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) لمن لم يحضر معنا (فأرسل معنا أخانا) بنيامين (نكتل) له ؛ كما
 اكتلنا لأنفسنا ، وقرىء «يكتل»

٢٨٨

الجزء الثالث عشر

لَيْسَ مَكِينٌ أَمِينٌ ۖ قَالَ اجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
 إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۖ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
 يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
 وَلَا نُنْصِيبُ أَهْلَ الْمُحْسِنِينَ ۖ وَلَا يُجِيرُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
 لِلَّذِينَ هُمْ عَنْهَا كَانُوا يَتَّقُونَ ۖ وَجَاءَ إِخْوَتَ يُوسُفَ
 فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۖ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
 بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِ بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْمَنِ الْأَئْرُونَ أَلَيْسَ
 أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۖ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ
 فَلَا يَكِلُ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون ۖ قَالُوا سَرَّيْدُ عَنْهُ
 أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۖ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ
 فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ ۖ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
 الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِلُونَ ۖ

قَالَ

(الأترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين) المضيفين ، المكرمين (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي)
 أى فلا أعطيك طعاماً بعد ذلك (قالوا سترأود عنه أباه) ستتحال عليه فى الإتيات به إليك (وقال لفتياته)
 لفتائه (اجعلوا بضاعتهم) التى جاءوا بها ثمناً للطعام ؛ فسوموا (فى رحلهم) خفية من حيث لا يشعرون
 (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا رجوا) إلى أهلهم لعلهم يرجعون) إليها وبأخيهم ؛ قيل : كان عمرماً فى
 شريعتهم أخذ شيء من غير إذن له ، أو «لعلهم يرجعون» لأخذ حل بغير لأخيهم كما أخذوا (فلما رجعوا
 إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) لمن لم يحضر معنا (فأرسل معنا أخانا) بنيامين (نكتل) له ؛ كما
 اكتلنا لأنفسنا ، وقرىء «يكتل»

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
 قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتْنَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتِهِمْ رُءُوسَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ
 هُنَالِكَ بِضَلْعَتِنَا رُءُوسَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ
 وَزَادَ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
 مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
 بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾
 وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَدْخُلَنَّ مِنَ بَابٍ وَاخْرُجُوا مِنْ أَبْوَابٍ
 مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٨﴾
 وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أُولَئِكَ مَا كُنْ يَنْفَعُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
 وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْتُه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه) يوسف (من قبل) ففجعتموني فيه (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي وذلي، وحسرتي على مهجتي؟ فيحفظ لي ولدي، وورده لي (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضلعهم) التي أمر يوسف بدسها في رحلهم (ردت إليهم) فنجبوا من ذلك، و (قالوا يا أبانا ما نبغى) أى أى شيء نطلب بسد ذلك؟ (هذه بضاعتنا ردت إلينا) تفضلاً وكرماً. أو «ما» نافية؟ أى لا نبغى شيئاً منك؟ بل تكفيننا بضاعتنا هذه التي ردت إلينا (ونغير أهلها) من الميرة؟ أى نجلب لهم الطعام (ونحفظ أخانا) في رحلتنا هذه (ونزداد كيل بغير) أى حل بغير لأخيها بنيامين (ذلك كيل يسير) على الملك؛ لا يغل به علينا؛ وقد رأينا من كرمه وسخائه ما رأينا! (قال لن أرسله معكم حتى تؤتونا ميثاقاً من الله) عهداً وقسماً (لأن تأتي به إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن يحيط بكم العدو، ويصير ليس في إمكانكم النجاة به (فلما آتوه ميثاقهم) حلفوا له على ذلك (قال الله على ما نقول وكيل) رقيب مطلع (وقال) موصياً لهم (يابني لا تدخلوا) المدينة (من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) قيل: كانت وصية يعقوب: خشية من العين. والذي أراه أنه خشي أن يصيبهم مكروه مجتمعين؛ فيفعل بهم جميعاً. وقيل: خشية أن يراهم الملك مجتمعين ويرى عددهم، واستواء أجسامهم، وقوتهم، فيبطش بهم: حسداً لهم، أو خوفاً منهم (وما أغنى عنكم من الله من شيء) لا أدفع عنكم شيئاً أرادته الله تعالى بكم.

(ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) ضمه إليه ، وأجلسه بجواره ، و (قال) له (إني أنا أخوك فلا تبتس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى بما عمل إخوتك معنا (فلما جهزهم بمهازم جعل السقاية) هى ما يسقى به ؛ وكانت من ذهب (فى رحل أخيه) بنيامين (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيتها العير) العير:

الجزء الثالث عشر

٣٩٠

الإبل . أى يا أهل هذه القافلة ، يا أصحاب هذه الإبل (إنكم لسارقون) فدهش إخوة يوسف من توجيه هذه التهمة لهم على رؤس الأشهاد ؛ وهم منها براء (قالوا و) قد (أقبلوا عليهم) أى على المنادين بالسرقه ؛ متسائلين (ماذا تفقدون) وما الذى سرق منكم ؟ (قالوا تفقد صواع) صاع (الملك) والصاع : مكيال يكال به . والمراد بالصواع هنا: الكأس الذى يشرب فيه ؛ لأنه سمي فى الآية المتقدمة بالسقاية « جعل السقاية فى رحل أخيه » (ولن جاء به) أى بالصواع المسروق (حمل بغير) مكافأة له على ضبط السارق (وأنا به زعيم) كفيل بأداء حل البعير (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمت ماجئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) وما جاء بنا إلا لطلب القوت (قالوا) فما جزاؤه أى فاجزاء السارق (إن كنتم كاذبين) فى قولكم ، وكان السارق من بينكم (قالوا جزاؤه من وجد) المسروق (فى رحله) فهو جزاؤه أى فهو عبدورق جزاء سرقته . وكان فى شريعتهم استرقاق السارق (فبدأ) يوسف (بأوعيتهم) أى بتفتيشها (قبل وعاء أخيه) وذلك تمويهاً لهم ، وتغطية عليهم ؛ ليشعرهم بحقيقة ما يسفر عنه وعاء أخيه (ثم استخرجها) أى استخرج السقاية (كذلك كدنا ليوسف) أى علمناه ذلك الكيد ؛

الذى استطاع به أن يأخذ أخاه ، وليكون هذا سبباً فى اجتماعه بأبويه .

ومن هذا يؤخذ جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة بالحيل ؛ ولو أدى ذلك إلى الكذب ؛ ما توافرت المنفعة ، بغير أن يترتب عليها إضرار بأحد ، و (ما كان) يوسف (ليأخذ أخاه) رقيقاً بسبب سرقة لم يرتكبها (فى دين الملك) سلطانته وعادته وحكمه (قالوا إن يسرق) أخانا هذا

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩٠﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴿٣٩١﴾ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩٢﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴿٣٩٣﴾ ثُمَّ أَذْنٌ مِّنْ ذُرٍّ أَنَّهَا آيَةٌ لِّسُرِّقَتِهِمْ ﴿٣٩٤﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَا فَا تَفْقِدُونَ ﴿٣٩٥﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٣٩٦﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُم بِالنَّفْسِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٣٩٧﴾ قَالُوا أَفَأَجْزَاؤُهُ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٩٨﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩٩﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٤٠٠﴾ * قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ

أَخَاهُ

أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَمْرَها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْلِغْها
لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٣٧﴾
قَالُوا يَبْنَائِيَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَنَّاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا
قُلُوبًا أَسْتَعْصِمُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا
أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ
فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٣٩﴾ ارْجِعُوا إِلَى
أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَبْنَائِيَا إِنَّ ابْنَكُمْ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٤٠﴾ وَسِعِلِّي الْقَرْيَةَ الَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤١﴾
قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ فُصِّرَ بِهِ لَبِئْسَ مَا

(فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف عليه السلام ؛ وكان قد سرق في صغره صنما من ذهب لجده أبي أمه ؛ فكسره (فأسرها) أخني هذه القالة (يوسف في نفسه) ولم يظهر التضجر والتألم . ويجوز أن يكون المعنى : فأسر يوسف في نفسه قوله (أنتم شر مكانا) لسرقتكم لباي من أبيكم ، وظلمكم الذي ظلمتموه لي وله (والله أعلم بما تصفون) بما تقولون ، أو بما تكذبون (فلما استأسأوا) يشسوا من قبول مطلبهم (خلصوا نجيا) انفردوا متناجين فيما بينهم (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي ألم تعلموا تفريطكم في يوسف من قبله ؛ فكيف تفريطون في أخيه أيضا (فلن أبرح) لن أفارق (الأرض) أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الرجوع ؛ راضيا عني ، غير غاضب علي ! (أو يحكم الله لي) بجلال أخى بنيامين ، وعودته معنا (ارجعوا) إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) وأخذ بجريته (وما شهدنا إلا بما علمنا) أي بما تيقنا ؛ لأننا رأينا بأعيننا صلاح الملك وم يستخرجونه من رحله (وما كنا للغيب) لما غاب عن أعيننا وأذهانتنا (حافظين) أي لأن ما ذكره هو الظاهر لنا ؛ المشاهد لأعيننا ؛ ولا نعلم ما في الغيب : هل هو السارق للصواع حقيقة ، أم أنه دس عليه ؟ (واسأل القرية) أي أهل القرية (والعير) الإبل ؛ والمقصود : واسأل أهل القافلة (التي أقبلنا فيها) فقد رأوا بأعينهم ما رأينا بأعيننا . فذهبوا إلى أبيهم فقالوا له مارسه لهم أخوهم (قال بل سولت زينب وسهلت) (لكم أنفسكم أمرا) فعلتموه بنيامين ، كما فعلتم يوسف أخيه من قبل

(فصر جبل عسى الله أن يأتيهم جميعاً) يوسف وأخوه : بنيامين ، والذي قال «لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي» (لأنه هو العظيم) بحال (الحكيم) في صنه ١ (وتولى عنهم) انصرف وأعرض (وقال بأسفا) الأسف : شدة الحزن (وايضا عينا من الحزن) وكثرة البكاء (فهو كظيم) ممتلئ غيظاً

الجزء الثالث عشر

٢٩٢

وكرها وغما ، ويحكم جميع ذلك في نفسه (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (فتناً) أى لا فتناً ، ولا تزال (تذكر يوسف) دائماً وتذكر فقدته (حتى تكون حرضاً) الحرض : الذى أذابه الهم والمرض ، وأشرف على الهلاك وقد قلت في وصف الدنيا :

فكم لفرقتها أشنى على تلف

سب بها مولع في جها حرض

(قال إنما أشكو بثي) حال المؤلم (وحزني إلى الله) وحده ؛ فهو القادر على الذهاب به ، أو بأسبابه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من صحة رؤيا يوسف وتحقيقها ، وإطمئناني بأن الله تعالى سيجمعني به ؛ عاجلاً أو آجلاً (يا بني اذهبوا فتعسسوا) تجسسوا . والتجسس : في الخير ، والتجسس : في الشر . وقيل : إذا تجسس لنفسه ؛ يقال له : تجسس ، وإذا تجسس لغيره يقال له : تجسس (ولا تياسوا من روح الله) من رحمة وفرجه ؛ فذهبوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الشدة والجوع (وجشنا بيضاة مزجاة) رديئة ، أو قليلة (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا) بالزيادة ، أو برد أختنا . فأراد يوسف أن يكشف لهم عن حقيقة ، وأن ياتهم على ما فعلوه عتاباً رقيقاً (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) إذ

الله أن يأتيهم جميعاً لأنه هو العظيم الحكيم
وتولى عنهم وقال يتأسف على يوسف وايضت عيناه
من الحزن فهو كظيم
قالوا تالله فتناً تذكر يوسف
حتى تكون حرضاً أو تكون من الفلئكين
لأنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون
يأني اذهبوا فتعسسوا من يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله لأنه لا يابس من روح الله إلا القوم الكافرون
فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجشنا بيضاة مزجاة فآوؤف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جنهون
قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا لأنه من

بثني

تأسرتم عليه ، وبألفيتومة في غيبة الجب ، وزعمتم أن الذهب قد أسكاه (وأخيه) وما فعلتم باخيه بنيامين ؛ إذ صدقتم أنه سرق ، وأشعتم ذلك ؛ وقتلتم «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» فلما رأوا فعله ، وسمعوا كلامه : علموا أنه أخوهم ؛ فقالوا (أنتك لأنت يوسف قال) نعم (أنا يوسف وهذا أخى) بنيامين (قد من الله علينا) بانجائى من الهلاك المحقق ، وتلكى صماء الناس وأموالهم ، وببركة أخى من السرقة ، واجتماعه بى

يَتَنَبَّأُ وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠﴾
 قَالُوا تَأَلَّهْ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٥١﴾
 قَالَ لَا تَتَرَبَّصْ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى
 وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾
 وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
 لَوْلَا أَنْ تَفْتَنُونِي ﴿٥٤﴾ قَالُوا تَأَلَّهْ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
 الْقَدِيمِ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ
 فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا
 كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى
 إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ ءَامِنِينَ ﴿٥٩﴾

(إنه من يتق الله ، ويعمل لآخرته (ويصبر) على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى المكارِه (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) بل يجزيهم على صبرهم وإحسانهم خير الجزاء ! (قَالُوا تَأَلَّهْ) قسم فيه معنى التعجب (لقد آتاك الله) أى فضلك (علينا وإن كنا لخطائين . قال لا تترتب عليكم) لا لوم ، ولا تقريع ، ولا عتب (اليوم يغفر الله لكم) لإيمانكم ، وندمكم على ما قدمتم ، واعترافكم بخطئكم ؛ وقال لهم (اذهبوا بقيصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً) ألهمه الله تعالى أن قيصة إذا أُلقي على وجه أبيه ؛ يترد بصره إليه بقدرته تعالى ! وقد أبى أخوهم يهوذا إلا أن يحمل القميص بنفسه ؛ وقال : أنا حملت إليه قميص يوسف بدم كذب فأخزته وأمرضته وأعجمته ، وأنا الذى أحمل إليه القميص الآن لأسره وأشفيه ! وقيل : لأن هذا القميص : كان قميص إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ الذى نجا به من النار ، وأنه قد نسج من حرير الجنة ، وأن ريح الجنة لا يقع على مريض أو مبتلى إلا عوف . وهذا الكلام فيه نظر ؛ فلو صدقنا أنه كان قميصاً لإبراهيم ، وآمننا أن ريح الجنة لا يقع على مريض أو مبتلى إلا عوف ؛ فأين لنا بجزير الجنة الذى نسج منه القميص ؟ وأين لنا بريح الجنة الذى يشفي كل مبتلى أو مريض ؛ وهو كلام لا يعدو أن يكون من تخريف القصص المولعين بكل غريب ، الناشئين لكل عجيب ! فكمن كلام لاستسيغته الأفهام ، وكمن من منقول لا يوافق العقول ؛ وكتب التفسير ملأى بكل غريب وسقيم ؛ فليحذره العاقل الحكيم ! (وأتوني بأهلكم أجمعين) لأستمتع برؤيتهم ، وأهناً بقرهم (ولما فصلت العير) أى خرجت من مصر ، وافصلت عن عمراتها (قال أبوهم) يعقوب جلسائه (لأنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تنسبون لى التخريف . وهو من الفند ، أى الحرف (قَالُوا تَأَلَّهْ) قسم فيه معنى التعجب (إنك لفي ضلالك القديم) خطئك القديم ؛ من حب يوسف ، وأملك في حياته ولقائه ؛ وقد أجمعوا على هلاكه وموته (فلما أن جاء البشير) يهوذا بقيص يوسف (ألقاه على وجهه) أى ألقى قميص يوسف على وجه أبيه (فارتد عاد بصيراً) كما كان (قال) يعقوب (ألم أقل لكم لئن أعلم من الله) ومن كرمه وفضله (ملا تعلمون) وحينئذ أدرك إخوة يوسف مبلغ ما ارتكبوه في حق أبيهم ، ومدى الإيذاء الذى ألحقوه به ، وخافوا غضب الله تعالى عليهم ، ويطشه بهم ! (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) فيها فلتناه (قال سوف استغفر لكم ربى) أطلب لكم الغفران منه (إنه هو الغفور) لكل مذنب (الرحيم) بكل تائب ! ولما أبلغوا أباهم رغبة يوسف في إلحاق به : توجهوا جميعاً نحو مصر ولما استشعر يوسف بقدمهم : استقبلهم في خارج =

= العمران ودخلوا على يوسف (فلما دخلوا) عليه (آوى) ضم (إليه أبوه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) روى أن يعقوب حين لقي يوسف : قال له : السلام عليك يا مذهب الأحران . فرد يوسف على أبيه السلام ؛ وقال : يا أبت تبكى على حتى يذهب بصرك ، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا ؟ ! قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك ؛ فيحال بيني وبينك ! (ورفع أبوه على العرش) أجلسهما بجواره على السرير (وخرخوا له سجداً) أى خروا لأجله سجداً لله ، أو الضمير لله تعالى ، أو السجود كان ليوسف عليه السلام ؛ وكان تحية عندهم ، أو كان على هيئة الانحناء

الجزء الثالث عشر

٢٩٤

(من بعد أن نزع الشيطان) أفسد وحرش (إن ربى لطيف لما يشاء) أى رفيق بمبادءه ؛ يسبب لهم . صالحهم من حيث لا يعلمون ، ويرفعهم من ناحية المكارة التى تلحقهم ! إذ لولا تأمر إخوة يوسف عليه : لما ألقى فى الحب ، ولولا اللقاء فى الحب : ما أخذ السيرة ، ولولا أخذ السيرة له وزهدهم فيه : لما باعوه لحاكم مصر ، ولولا بيعه كالعبيد : لما راودته سيدة القصر عن نفسه ، ولولا هذه المراودة : لما دخل السجن ، ولولا دخوله السجن : لما اختلط بصاحي السجن ، ولولا تأويله لها ما رآياه فى منامهما : لما اتصل أمره بالملك ، ولولا اتصال أمره بالملك : لما خرج من السجن ، ولما ولى على خزائن الأرض !

وهكذا أراد ربك أن يرفع من طريق الضعة ، ويغنيه من طريق الفقر ، ويسعده من طريق الشقاء ! فقد كان الأقرب أن يموت عطشاً مهتماً عند إلقاءه فى الحب ، أو أن يموت جوعاً وعطشاً لو ترك ، أو تتخذ السيرة خادماً ؛ فيعيش طوال حياته ذليلاً مهاناً ! ولكنه تعالى «لطيف لما يشاء» (إنه هو العليم) بخلقه (الحكيم) فى صنعه ! وهنا يحس يوسف بمبلغ فضل الله تعالى عليه ، ومدى لطفه به ؛ فيقول مناجياً ربه ، شاكراً نعاءه (رب

وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ مُجْتَدِعًا وَقَالَ بِتَابَتِ
هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أُحْسِنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ
الْبُتُونِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَجَّ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَسَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩٤﴾
* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢٩٥﴾ ذَلِكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢٩٦﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩٧﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٩٨﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٩٩﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

بِآيَاتِهِ

قد آتيتنى من الملك) ما آتيتنى (وعلمتنى من تأويل الأحاديث) ما علمتنى (فاطر) خالق (أنت ولى) ناصرى ، ومتولى أمورى فى الدنيا والآخرة (ذلك) الذى ذكرناه لك ، وقصصناه عليك يا محمد (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك ، ولم يصل إلى علمك (نوحيه إليك) ليكون دليلاً على صدقك ، وبرهاناً على نبوتك (وما كنت لديهم) أى لم تكن لدى إخوة يوسف (لإدأجعوا أمرهم) عزموا عزمًا أكيداً على الكيد ليوسف (وهم يَمْكُرُونَ) أى لم تحضروهم وقتذاك ؛ فتعلم ما دار بينهم ؛ فيكون ذلك مثاراً للشبهة فىك ، والتهمة لك ؛ وإنما علمت ذلك عن طريق الوحى ! (وما أكثَرَ الناس ولو حرصت) على لميمانهم (بمؤمنين) إلا أن يشاء الله ! (وما تسألهم عليه) أى على القرآن (من أجر إن هو) ماهو (لأذكر) =

عظة (العالمين) الناس جميعاً (وكان) (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته (يعرون عليها) يشاهدونها بأعينهم وألبابهم (وم عنها معرضون) أى معرضون عن دلائلها على خالقها ! إذ أن كل شيء في هذا الكون يشهد للولى تعالى بالوجود والقدرة والحكمة والظلمة ! وليس الجبل بعظمته وضخامته بأكثر دلالة على وجوده تعالى من الحصة المفاة في الفلاة ، وليس الغزال المستحسن بأدل على قدرته تعالى ووجوده من الخنزير المستهجن ؛ بل إن النار والثلج - مع تفاوتهما واختلافهما في الطبايع - فإنهما لم يختلفا في جهة البرهان على وجود مبدعهما

ومودع خواصهما ! (وما يؤمن أكثرهم بالله) ما يقرون بوجوده (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (إلا وهم مشركون) به غيره : يعبدون الأصنام ؛ ويقولون : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تشام وتشملمهم (بفتنة) فجأة (قل هذه سبيلي) طريقى (أدعو إلى الله على بصيرة) حجة واضحة (وسبحان الله) تنزيها له تعالى عما يقولون ، وعما يبدون (وما أرسلنا من قبلك) من الرسل (إلا رجالاً) ليس من بينهم امرأة ، ولا جن ، ولا ملك ؛ وهو رد على القائلين « لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً » وهؤلاء الرجال (نوحى إليهم من أمر الله) أى من أهل المدائن ؛ ولم يرسل الله تعالى رسولا من أهل البادية ؛ لجهلهم وغلبة القسوة على طابعهم (حتى إذا استأيس الرسل) يشؤا من إيمان قومهم ؛ أو يشؤا من النصر على أقوامهم (وظنوا) أى استيقن قومهم (أنهم قد كذبوا) أى أن الرسل قد أخفوا ما وعدوا به من النصر ، أو ما وعدوا به من نزول العذاب بالكافرين ؛ وقرئ « كذبوا » بالثقل ؛ أى وتأكد الرسل أنهم قد كذبوا

من قومهم تكذيباً لا إيمان بعده . وقال بعضهم : إن المعنى : وطن الرسل أن الله أخلفهم ما وعدهم به ؛ وهو كفر لا يجوز نسبته إلى عامة المؤمنين فما بالك بمخاصمتهم ، وما بالك بالرسول ؛ الذين هم صفوة عباد الله وخيرته من خلقه ! ومن عجب أنهم ينسبون هذا التأويل إلى جبر الأمة وترجمان القرآن : ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ! والأعجب من ذلك أنهم يزعمون أن السامع ناقش ابن عباس في ذلك القول ؛ فقال له : ألم يكونوا بشرأ ؟ وتلا قوله تعالى « حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » فاحذر - هداك الله وعافاك - من هذه الدسائس فى كثير ! (جاءهم نصرنا) أى جاء الرسل نصرنا (فتنجى من نساء) وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المحرمين) الكافرين (لقد كان فى

بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ قُلْ هَلْ مِنْكُمْ سَبِيلٌ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَعْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نِشَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(قصصهم) أى قصص الرسل ، الذين قصصناهم عليك (عبرة) عظة ؛ وهكذا سائر قصص القرآن (ما كان) القرآن (حديثاً يفتى) يخلق ؛ كما زعموا أنك اختلقته (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى مصداق لما تقدمه من الكتب (وتفصيل كل شئ) يحتاجون إليه فى معاشهم ومعادهم

الجزء الثالث عشر

٢٩٦

(١٣) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَكِّيَّةٌ

وَأَمَّا هَذِهِ ٤٣ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكَ الْكِتَابَ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِّغَاءُ ﴿٢﴾
رَبُّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِثِي النَّارُ الْيَوْمَ بِذَلِكَ لَا بُدَّ لَكُمْ قَعْقَرٍ ﴿٤﴾
يَنْفَكُونَ ﴿٥﴾ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَعَبِدٌ وَجَنَّتْ

مِنْ

(سورة الرعد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الدين يتقدس عن السكان ، وتعالى المعبود عن الحدود (لأجل مسمى) يوم القيامة (يدبر الأمر) وبالله من مدبر حكيم ، وخالق عليم ا ترى الشئ فهو لك مظهره ، ويسوؤك مخبره ، ولو نظرت إليه نظر العاقل البصير ، والناقد الحبير ؛ لو وجدت الخير كل الخير فيما وقع ؛ فعم المدبر العظيم ، والخالق الكريم (فصل الآيات) يبين لكم دلائل قدرته ، ومظاهر ربوبيته (وهو الذى مد الأرض) بسطها رأى العين ، وجعلها سهلة ذلولاً (وجعل فيها رواسي) جبالاً نوابت (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى صنفين : حلو وحامض ، ورطب ويابس ، وأبيض وأسود ، وأحمر وأصفر ، وكبير وصغير ، وغير ذلك (يغشى) يغطى (الليل النهار) بظلمته (إن فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) يريد سبحانه وتعالى أن فى الأرض قطعاً متجاورة ومتماثلة : تنقى بقاء واحد ؛ فتنتج هذه الحامض ، وهذه الحلو ، وتلك الرطب ، والأخرى اليابس ؛ لى غير ذلك مما لا يحصره بيان ، ولا يعوزه برهان (وجنات) بساتين

(من أعناب وزرع ونخيل) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (صنوان) جمع صنو؛ وهو المثل : وهي الثغلات ، والنخلتان ؛ يجمعمن أصل واحد ، وقد يراد به: الشجر التامثل ، وغير التامثل (يسق بماء واحد) ولكنه ينتج ثمراً مختلفاً ، وطموماً متباينة (وتفضل بعضها على بعض في الأكل) في الثمر ؛ إذ ليس التمر كالعنب ، أو الخوخ كالنفاخ ، أو البوت كالرمان أو الكثرى كالشمش (وإن تعجب) يا محمد من شيء (فجب قولهم أنمذا كنا تراباً) في قبورنا (أنما لني خلق جديد) أى أنبعث بعد ذلك في خلق جديد كما

سورة الرعد

٢٩٧

كنا قبل موتنا ؟ (ويستعملونك بالسيئة قبل الحسنه) ذلك بأنهم سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أى مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين ؛ أفلا يتعظون بها ؟ (وإن ربك لدو مغفرة للناس) متى تابوا من ذنوبهم ، ورجعوا إلى ربهم (على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب . قيل : لأنها أرجى آية في كتاب الله تعالى ! (وإن ربك لشديد العقاب) لمن ظلم نفسه بالذنوب ، ولم يقلع عنه ، أو يتب منه . أو شديد العقاب للكافرين (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) ذكرأ كان أو أنثى ، شقيقاً أو سميداً ، بليداً أو رشيداً ، مليحاً أو فيحياً ، طويلاً أو قصيراً (وما تفيض الأرحام) أى وما تنقص ؛ وذلك بالقاء الجنين قبل تمامه (وما تزداد) بزيادة عدد الولد ؛ فقد تله الأنثى واحداً ، أو اثنين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً (وكل شيء عنده بمقدار) بقدر وحكمة ؛ حيث تتوفر المصلحة ، وتعم النفعه ؛ فترى الكون لا يضيق بساكنيه ، ولا ينقطع رزقه تعالى عن خلقه ! «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وتتجلى حكمة الحكيم العليم في حفظ التوازن بين تعداد السكان وحاجاتهم ؛ فترى دائماً عقب الحروب ، والجوائح ، والكوارث

والطواعين : تزداد نسبة المواليد عنها أيام السلام ، والأمن ، والدعة . وترى أيضاً نسبة الذكورة والأنوثة لانتكاد تفاوت إلا بالقدر الذى أبيض من أجله تعدد الزوجات .

وترى الطفل حين يولد : يدر له الثدي لبناً خائراً ؛ يسمى اللبن . وهو خلو من المواد الغذائية ؛ مع احتوائه على مواد مليئة ؛ تساعد على تنظيف أمعاء الطفل ، وإعداده للتغذى ؛ وبعد ذلك يتطور اللبن : كما وكيفا ؛ وتزداد قيمته الغذائية بازدياد الطفل ونموه ؛ فكلما كبر سنه : ازدادت المواد الغذائية تبعاً لحاجته إليها : فتطفي المواد الدهنية والسكرية ، على المواد الزلالية والملاحية ؛ كل هذا والمرضع هى لم تتغير ، وغذاءها هو هو لم يتطور ؛ ولكنه «صنع الله الذى أتقن كل شيء» .

مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ يَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٦٦﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَفَمَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ لَنُنْخَلَقُ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّيهِمْ وَأَوَلَيْكَ الْأَعْدَلُ فِي أَعْنَافِهِمْ وَأَوَلَيْكَ أَتَّخَذَ الْأَنْبَارُ لَهُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿٢٦٧﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَمْثَلُ ﴿٢٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوْ مُغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَمَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٢٧٠﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٢٧١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٢٧٢﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ

== وترى شجر البوادي في فصل الشتاء ، وتوفر الرطوبة والأمطار : مجدداً فاحلاً ؛ وفي فصل الصيف مع وجود الحرارة المحرقة ، وقلة المياه ، وانعدام الأمطار ؛ تراه مزدهراً يانعاً مكسواً بالورق ، فائضاً بالخضرة ؛ وما ذاك إلا ليستظل به من حرارة الشمس من ألحنته أشعتها وأحرقت نيرانها ؛ مع أن الطبيعة تقتضي وجود الخضرة حيث يتوفر الماء والرطوبة ، ووجود القلح حيث توجد الحرارة وتقل الأمطار ؛ فسبحان من « كل شيء عنده بمقدار » . وترى فاكهة الشتاء لاتصلح للصيف ، وفاكهة الصيف لاتصلح للشتاء ! (عالم الغيب والشفادة) ماغاب ، وماشوهده (سواء منكم من أسر القول) أخضاه عن الأسماع (ومن جهر به) لأنه تعالى عالم السر والتجوى ، و « يعلم السر وأخفى » (ومن هو مستخف بالليل) متوار عن الأنظار في ظلمة الليل ؛ بمصية الله تعالى (و) من هو (سارب بالنهار) ذاهب في سربه ؛ أى في طريقه ؛ يعصى ربه جهراً في ضوء النهار . لا يخفى على الله تعالى منهم شيء (له معقبات) ملائكة تعقب في الملاحظة عليه ؛ وكتابة سيئاته وحسناته (من بين يديه) أملمه (محفظونه من أمر الله) أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظ حسناته وسيئاته (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعات (وما لهم من دونه من وال) بلى أمرهم ، ويدفع عنهم عذاب الله تعالى الذى أراده بهم (هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً) خوفاً من عذابه ، وطمعاً في رحمته : خوفاً من نزول الصواعق ، وطمعاً في نزول المطر (وم يجدلون في الله) في وجوده وقدرته ، وينكرون إرساله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ، وينكرون قدرته على بعث الملائكة وإعادتهم (وهو شديد المحال) أى شديد الكيد والقوة (له دعوة الحق) أى إن دعوته تعالى إلى معرفته ، وإلى اتباع دينه ؛ ملازمة للحق ، مجانبة للباطل (والذين يدعون) يعبدونهم (من دونه) غيره (لا يستجيون لهم بشيء) لا يجيبونهم إلى شيء يطلبونه منهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء) أى إلا كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه له (يلبغ فاه وما هو ببالغه) لأن الماء لا يعقل ولا يسمع ، ولا يحس . أو كمن يبسط كفيه ليحمل بهما الماء ليشرب ؛ فلا يستجيب له الماء ، ولا تحمله كفاه إليه بسبب بسطها (وما دعاء الكافرين) عبادتهم (إلا في ضلال) ضياع لا منفعة فيه (وقه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وبالدليل والحجة والبرهان) (وكرها) بالسيف والقتال (وظلالهم) أى ويسجد له تعالى ظلال كل من في السموات والأرض (بالغدو والأصال) قيل : يسجد له تعالى ظل كل شيء قبل طلوع الشمس ، وفي العشي كذلك

٢٩٨

الجزء الثالث عشر

جَهْرَهُ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠٠﴾
لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٠١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنْثِي السَّحَابَ الْقَثِيفَ ﴿١٠٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِجَالِ ﴿١٠٣﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَفِيَ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبِغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِلَاطِفٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٠٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظُلْمًا لَهُمُ الْغُفُورُ وَالْأَصْلَاحُ ﴿١٠٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ

(والذين يدعون) يعبدونهم (من دونه) غيره (لا يستجيون لهم بشيء) لا يجيبونهم إلى شيء يطلبونه منهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء) أى إلا كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه له (يلبغ فاه وما هو ببالغه) لأن الماء لا يعقل ولا يسمع ، ولا يحس . أو كمن يبسط كفيه ليحمل بهما الماء ليشرب ؛ فلا يستجيب له الماء ، ولا تحمله كفاه إليه بسبب بسطها (وما دعاء الكافرين) عبادتهم (إلا في ضلال) ضياع لا منفعة فيه (وقه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وبالدليل والحجة والبرهان) (وكرها) بالسيف والقتال (وظلالهم) أى ويسجد له تعالى ظلال كل من في السموات والأرض (بالغدو والأصال) قيل : يسجد له تعالى ظل كل شيء قبل طلوع الشمس ، وفي العشي كذلك

(قل أناخذكم من دونه) غره (أولياء) أصناماً تعبدونها وتخلصون لها (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن ، أو الصنم الذي لا يرى ولا يسمع ، والله السميع البصير ! (أم هل تستوى الظلمات والكفر والجهل (والنور) الإيمان والعلم . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (فتشابه الخلق عليهم) خلق

اللہ تعالیٰ ، وخلق شرکائہ الذین أشركوہم معہ

إِنَّمَا فِي الْعِبَادَةِ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسَالَتِ

أودة بقدرها ﴿ بمقدارها ﴾ الذي علم الله تعالى

أنه صالح لها ، وغير ضار بها (فاحتمل السيل

زبداء) وهو ماعلا على وجه الماء من الرغوة

والأقذار (رايياً) منتفخاً مرتفعاً على وجه

السييل (ومما يوقدون عليه في النار) كالذهب

والفضة (ابتغاء) مبتغين صنع (حلية أو متاع)

من الحديد والنحاس والرصاص وأمثالها ؛ مما

يتخذ منه الأواني، ويتمتع به في السفر والحضر

(زبد مثله) اُمی خبیث لا ینتقم به ؛ کالزبد

الذي فوق الماء (كذلك) أى مثل هذه

الأمثال (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب

أَمْثَلًا لَهَا (فَأَمَّا الزبد) الذي هو مثل للباطل

(فیذهب حفاء) باطلا ، ملقوبہ (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ

(الناس) من الماء النقي، والجواهر، والمعادن

الخالصة الصافية ؛ وهي مثل الحق (فيمكث في

(الأرض) عكث الماء الصافي: فتسقى منه الأناسي

والأنعام ، وتسقى منه الأرض ؛ فتجود بالبركات

والخبرات . وعكث المعدن النقي : فتصنم منه .

الحلى ، والأوعية ، والآنية ، والآلات النافعة

(لَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) وَأَمَنُوا بِهِ، وَصَدَقُوا

رسالة ، و عملوا بما في كتبه ؛ فأولئك لهم

(الحسنى) الجنة (والذين) كفروا به تعالى ،

و (لم يستجيبوا له) وعصوا رسله : فأولئك

شعافاً مضاعفة (لافتدوا به) أنفسهم يوم القيامة

يَا ! (أولئك لهم سوء الحساب) يأخذهم تعالى

U

2025 RELEASE UNDER E.O. 14176

299

مسورة الرعد

وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتَحَدُّونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَتْلُونَ كِتَابَكَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ تَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تُسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ خَلْقُوا فَخَلَقَهُ فَنَسِبَ النَّاسُ عَيْنَاهُمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٥﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَقْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُثًّا وَأَمَّا الْمَائِنَةُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَقْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٦﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّيهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْلَانَا لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهٗ مَعَهُ لَا قُنُودَ بِهِ ؕ أُولَئِكَ سَمِعُوا الْأَرْصَادَ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْصَارٌ مُشْتَكِلَةٌ فِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ سَبْعُ ثَغْوَاتٍ يَخْرُجْنَ مِنْهَا جَمْعٌ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يُرْسِلُ فِيهِمُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُهُمْ إِلَىٰ تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي بَدَّلْنَا خِلَافَهَا بِطَرَفٍ أُخَرَ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنْ الْأُولَىٰ وَلَسْتَ بِذِي الْعِلْمِ إِلَّا عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(لو أن لهم مافي الأرض جميعاً) من مال وعقار (ومثله معه) أضاعوا من عذاب الجحيم ! ويومئذ لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً يفدونهم جميعها فلا يغفر منها شيئاً (وبئس المهاد) ببئس الفراش

(أَمَّنْ يَلْمُ أَتَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) القرآن ويستفد أنه (الحق كمن هو أعمى) عن الحق ؛ وهو الكافر (لَمَّا يَذْكُرْ أُولَ الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) الذي واثقوا به الناس (انظر آيتي ١ من سورة المائدة و ٧٢ من سورة الأفعال) (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام ، والقربات ، وغيرها (ويخشون ربهم) يخافون غضبه وعقابه ؛ فلا تصدر أعمالهم إلا بما رضى وأمره به ، ولا تتعقد نياتهم إلا بما يحب (والذين صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصي (ابتغاء وجه ربهم) طلباً لمرضاته تعالى (وأقاموا الصلاة) أدوها في أوقاتها (وأنفقوا) في وجوه الخير والبر (مما رزقناهم سراً وعلانية) هذا وفضل الصدقة دائماً يكون في السر ؛ حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه ؛ بعداً عن التظاهر ، وبراءة من الرياء ؛ ويستحب فيها العن : إذا قصد به اقتداء الغير ؛ وترويضه على الإحسان . وقيل : يستحب السر في الصدقة ؛ والجهر في الفريضة (ويدعون) يدفعون (بالحسنة السيئة) بأن يقابلوا الجهل بالعلم ، والحق بالحلم ، والأذى بالصبر ، والظلم بالعرف ، والقطع بالوصل ؛ (أولئك لهم عقي الدار) العاقبة المحمودة للدنيا في الدار الآخرة ؛ وهي (جنات عدن) أي جنات الإقامة ؛ من عدن بالمكان : إذا أقام فيه (والذين ينقضون عهد الله) يتركون أوامره ويفعلون فرائضه ، وينتهكون محارمه (من بعد ميثاقه) التي واثقهم به ؛ وهو العقل الذي وجهه لهم . والوفاء به : عدم الخروج عن جادة الحكمة والصواب ؛ أو هو قوله تعالى «ألمست بربكم قالوا بلى» (انظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من صلة الرحم ، والإحسان للفقراء ، وما شاكل ذلك من الأمور التي تميز بها

٣٠٠

الجزء الثالث عشر

* أَمَّنْ يَلْمُ أَتَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى لَمَّا يَذْكُرْ أُولَ الْأَلْبَابِ ١١ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ١٢ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْلُفُونَ سَوَاءَ الْحِسَابِ ١٣ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقِبَى الدَّارِ ١٤ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ١٥ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ عِمْمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ١٦ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ١٧ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

وَقَرَحُوا

الإنسان عن الحيوان ؛ فإذا ما قطعها : كان الحيوان أفضل منه وأعز وأكرم ؛ (وفسدون في الأرض) بالكفر والمصيان (أولئك لهم اللعنة) البعد والطرده من رحمة الله تعالى (ولهم سوء الدار) سوء العاقبة في الآخرة : جهنم يصلونها وبئس المصير ؛ (الله يسطر الرزق) يوسع (لمن يشاء ويقدر) ويضيق على من يشاء . يعطى بغير حساب ، ويمنع بغير أسباب ؛ فقد يوسع على من يكره ، ويضيق على من يحب ؛ ويتولى بالشر والخير ؛ ليعلم الصابرين منهم والشاكرين

(وفرحوا) أى فرح الذين بسط الله تعالى لهم الرزق : فرح بطر ؛ لافرح غبطة وشكر. أو وفرح الكفار (بالحياة الدنيا) وما نالوه فيها ، وما اكتسبوه منها (وما الحياة الدنيا فى الآخرة) أى بجانب ما فى الآخرة من نعيم مقيم ، وهناء دائم (إلا متاع) شىء يتمتع به فترة من الزمن ؛ وما له إلى الفناء (ويقول الذين كفروا لولا (أنزل عليه) أى على محمد (آية) معجزة (من ربه) كما أنزل على من سبقه من الأنبياء ؛ كصا موسى ، ونافعة صالح ، وأشباههما ؛ وتناسوا آية الرسول العظمى ، ومعجزته الكبرى : القرآن الكريم الموحى إليه به بأمر ربه ، والمحفوظ أبد الدهر بعنائه وقدرته !

دامت لدينا فقاقت كل معجزة

من التبيين إذ جاءت ولم تدم

(قل إن الله يضل من يشاء) لإضلاله ؛

لتمسكه بالكفر ، وإصراره على الظلم «يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (ويهدى إليه من أناب) من رجع إليه بقلبه . فالإنايه سابقة للهداية ؛ فكانت الهداية أجراً لها . كما أن الظلم سابق للإضلال ؛ فكان الإضلال عقوبة عليه (ألا يذكر الله) بطاعته ومرضاه (تطمئن القلوب) تهدأ وترتاح إلى نوابه (طوبى لهم) الطوبى : الخير ، والحسن وقيل : لأنه اسم للجنة بالهندية (وحسن مأب) حسن مرجع (قد دخلت) قد مضت (وهم يكفرون بالرحمن قل) إن ما تكفرون به (هورى لاله لا هو عليه توكلت) فى أمورى كلها (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى أى لو صرح أن قرأنا سير الجبال ويصدع الأرض ، وتسمعه الموتى : لكان هو هذا القرآن ؛ لكونه غاية فى الإنذار ، ونهاية فى التذكير (بل الله الأمر جميعاً) يدخل من يشاء فى

رحته ، وينعم على من يشاء بحجته ، ويصطفى من يشاء لرسائله ! (أفلم يأس) يعلم ؛ وهى أمة قوم من النضج (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) بطريق الإلهام أو الإلزام ، والفسر والجبر ؛ ولكنه تعالى تركهم لاختيارهم واختبارهم «فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) أى سبب كفرهم (قارعة) داهية تفجؤهم ، وسميت «قارعة» لأنها تقرع القلب بأهوالها ؛ ولذا سميت القيامة بالقارعة (أو تحل) الداهية (قريباً من دارهم) فيفزعون منها ، ويتطأير عليهم شررها ، ويأجقههم شرورها ؛ فلا يتعظون بها

وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ أُنَابَ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَّكَابٍ ۝ كَذَلِكَ
أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ أُمَمٌ لَّتَتَّبِعُوا عَلَيْهِم
أَلَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُورَى
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ۝ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُرَّتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ
الْمَوْتُ بَلِّغِ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا
أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ

(حتى يأتي وعد الله) موتهم ، أو القيامة ؛ فتحل حينئذ بالكافرين قارعة القوارع ، وداھية الدوامي !
(فأملت) أهملت . والإملاء : طول العمر ، مع رغد العيش (ثم أخذتهم) بالقبوة (أفن هو قائم)
رقيب (على كل نفس بما كسبت) بما عملت فيجزئها عليه ؛ إن خيراً غير ، وإن شراً ففسر ! (وجعلوا لله

الجزء الثالث عشر

٣٠٢

شركاء) في العبادة (قل سمعتم) أي عرفوهم
لنا (أم يظاھر من القول) أي يباطل منه ،
أو هو الكلام يلقي على عوامته (بل زين
للذين كفروا مكرهم) كيدهم للإسلام «زين
لهم الشيطان أعمالهم» فكادوا للمؤمنين
(وصدوا عن السبيل) منوا عن دينه تعالى
(ومن يضلل الله فإله من هاد) قال تعالى
«فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» (انظر آية ٢٠٠
من سورة الشعراء) (لهم عذاب في الحياة
الدنيا) بالقتل ، والأسر ، وأنواع المحن !
(ولعذاب الآخرة أشق) وأقسى من عذاب
الدنيا (وما لهم من الله من واق) يقيم غضبه
ويمنع عنهم عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون)
أي صفتها : أنها (تجري من تحتها الأنهار
أكلها دائم) أي ثمرها مستديم ؛ لا ينقطع
يابان (١) ، ولا يمتنع بأوان (وظلها) باق ؛
لا يفسخ بالشمس كظل الدنيا (تلك) الجنة ؛
وحالها كما وصفنا (عقي الدين اتقوا وعقي
الكافرين النار) والنار عذابها دائم ، كدوام
نعيم الجنة (والذين آتيناكم الكتاب) من
مؤمني اليهود والنصارى (فرحون بما أنزل
إليك) من القرآن ؛ لأن تصديقه نزل في
كتبهم (ومن الأحزاب) المشركين ؛ الذين
تحزبوا على النبي والمؤمنين بالمعاداة والمناھضة
(من ينكر بعضه) أي بعض القرآن . قال

حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠١﴾
وَلَقَدْ أَسْتَشِرْتُ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢٠٢﴾ أَقْنِ هُوَ قَائِمٌ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمِعَ
أَمْرُ رَبِّي أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مَنْ يُظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ
بَلْ يُزَيِّنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٠٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿٢٠٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ آبٍ زَاطِهَا نَبْكَ عَقْبِي الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَعَقْبِي الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٠٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَكْتَسَبَ بِفِرْعَوْنَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ

إِلَيْهِ

تعالى «أَتَقُومُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» (قل) لهؤلاء المنكرين (إنما أمرت) في هذا القرآن
الذي أنكرتوه (أن أعبد الله) وحده (ولا أشرك به) أحداً غيره ؛ فانكروا القرآن : إنكار للتوحيد

(١) إبان الشيء - بكسر الهمزة ، وتشديد الباء - وقته . وإبان الفاكهة : أوانها .

(إليه أَدْعُو) الناس لمعرفة وعبادته (وإليه مَأْب) مرجعي (وكذلك أُنزلناه حكماً عريباً) لتقرأوه وتفهّموه (ولئن اتبعت أهواءهم) دينهم الذي يدنون به وفق هوائهم (بعد ما جاءك من العلم) والبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة (مالك من الله من ولي) ينصرك «من الله» (ولا وائي) يقيك غضبه وعذابه .

هذا وكل ما جاء خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بلسان التهديد والوعيد ؛ إنما أريد به أمته ؛ إذ أنه من المعلوم أن الله تعالى أرسل رسوله لهداية الخلق ، وإبعادهم عن أهوائهم ؛ لا أن يتبعوا ضلال المضلين ،

٢٠٢

سورة الرعد

وأهواء الكافرين ! (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) كما أرسلناك (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً ؛ كما جعلنا لك (وما كان لرسول منهم) (أن يأتي بآية) معجزة (إلا بأذن الله) بأمره وإرادته ؛ لا بإرادة الرسول ، ولا برغبة قومه واقتراحهم (لكل أجل كتاب) أى لكل شيء موقت بوقت : أجل مكتوب محدد ، أو لكل أجل من الأجل : وقت مكتوب لا يتعداه (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت ما يشاء) ما يشاء لإثباته ؛ مكان الذي نسخ ، أو «يمحو» ذنب المذنبين إذا تابوا ، وكفر الكافرين إذا آمنوا «ويثبت» لهم الحسنات ، مكان السيئات .

والحو والإثبات : عام في الرزق ، والأجل والسعادة ، والشقاوة . فقد أخرج ابن سعد وغيره ؛ عن الكلبي . أنه قال : يمحو الله تعالى من الرزق ويزيد فيه . ويمحو من الأجل ويزيد فيه . وقد ذهب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري إلى صحة ذلك .

وقد ورد : أن الصدقة ، ور الوالدين وصلة الرحم : تنسأ في الأجل (١) .

وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه يقول وهو يطوف بالبيت : اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فاحمه ؛ واجعله سعادة لمغفرة ؛ فانك تحمو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب . حتى القضاء الأزلى : يمكن محوه وتغييره ؛ أليس هو الفعال لما يريد ؟

وليس أدل على الحو والإثبات : مما جاء عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه في القنوت ؛ فان فيه : «وقتي شر ما قضيت» ولا ينقلب الشر خيراً ؛ إلا بمحوه وتغييره ، وإثبات الخير مكانه .

ولولا جواز الحو والتبديل ، وإمكانه : لأصبح الدماء لغواً ، لا طائل وراءه ؛ وقد قال تعالى =

(١) تنسأ في الأجل : أى تؤخره . والمعنى : أنها تطيل العمر .

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ ۝ وَكَذَلِكَ أُنزَلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ ۝ إِنَّهُ لَكَيْتِبٌ ۝ وَإِنْ مَا نُرِيدَنَّ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّ مِنْكَ فَمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۝ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۝ وَهُوَ مَرِيعٌ الْحِسَابِ ۝ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۝ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَأَنْتَ مُرْسَلٌ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

= «ادعوني أستجب لكم» وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله تعالى يحو بالدعاء ما يشاء من القدر (وعنده أم الكتاب) أصله الذى لا يتغير ؛ وهو علم الله تعالى الأولى الدنى ؛ الذى لا يدركه نحو ، ولا تبديل ، ولا تغيير (انظر آية ٢٢ من سورة البروج) (ولما نريك) وإن نريك (بعض الذى نعدم) من العذاب (أو توفيك) قيل تمذهبهم (فأما عليك البلاغ) أى ليس عليك إلا إبلاغهم بما أرسلت به (وعلى الحساب) مجازاتهم بما فعلوا حينما يصيرون لنا (أولم يروا أنا أتى الأرض ننقصها من أطرافها) أى

أرض الكفار ؛ ننقصها بامتلاك المسلمين لها ونفجها ، أو المراد بالنقص : خرابها ، وهلاك علمائها وفقهاءها ، وخيارها وساداتها . والأطراف لغة : الكرماء والأخيار (والله يحكم) بما يشاء (لامقب لحكمه) لا راد لحكمه (وقد مكر الذين من قبلهم) المكر : الكيد أى مكر الأمن المتقدمة ؛ فكفروا برسلمهم ، وكادوا لهم ؛ كما كفر بك قومك ، وكادوا لك (فله المكر جيماً) فيجازى الماكرين على مكرهم ، ورد كيد الكاذبين فى نحوهم (يعلم ما تكسب كل نفس) من خير أو شر ؛ فيجزىها عليه (وسيعلم الكفار لمن عقى الدار) أى العاقبة المحمودة فى الآخرة (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) بما أظهره من الأدلة والبراهين والآيات ، على صفى رسالتى (ومن عنده علم الكتاب) أى علماء أهل الكتاب الذين أسلموا ؛ لأن صفة الرسول عليه الصلاة والسلام ونفته جاء فى كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) وقيل : المراد بمن عنده علم الكتاب : الله تعالى . وقيل : هو جبريل عليه السلام .

(سورة إبراهيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا آتَى ٢٨ وَ ٢٩ مَدَنِيَّانِ
وَأَمَّا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبْتُ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِيَبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

وَقَدْ

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (كتاب أنزلناه إليك) هو القرآن الكريم (لتخرج) به (الناس من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (بإذن ربهم) بأمره وإرادته وتوفيقه (إلى صراط) طريق (وويل للكافرين من عذاب شديد) الويل : حلول الشر ؛ وقيل : إنه واد فى جهنم (الذين يستحبون الحياة الدنيا) يختارونها ويفضلونها (على الآخرة) فيتسكون بزخرف الدنيا ومتاعها الفانى الزائل ، ولا يؤمنون بما فى الآخرة من ثواب وعقاب (ويصدون عن سبيل الله) يمنعون الناس عن الإسلام (ويبغونها عوجاً) معوجة (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) أى إنه لا يجوز إرسال رسول أعجمى لأمة عربية ، كما لا يجوز إرسال رسول عربى لأمة =

عجبية ؛ لذا وجبت ترجمة القرآن لسائر اللغات (انظر توفية هذا البحث بكتابتنا «الفرقات») (فضل الله) من يشاء إضلاله ؛ بعد أن يزجى له الآيات البينات ، ويضرب له الأمثال والعظات ، ويسوق له المعجزات والدلالات ؛ حتى إذا ما استمرأ عصيانه ، ولج في طغيانه : وكله إلى شيطانه ؛ فأضله وزاد في إضلاله ! قال تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (وذكرهم بأيام الله) أى أنذرهم بوفائهم

٣٠٥

سورة إبراهيم

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْفُسِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۝

التي وقعت للأهم الكافرة قبلهم ، أو ذكرهم بأيام نعمه عليهم ؛ من تظليل الغمام ، ولانزال المن والسلوى ، وغير ذلك من النعم التي لا تحصى (إن في ذلك) التذكير (لآيات) دلالات (لكل صابر) كثير الصبر على الطاعة وعن العصية (شكور) كثير الشكر لربه على ما أولاه ! (يسومونكم) من سامه خسفا : إذا أولاه ظلما وذلا (سوء العذاب) أسوأه وأقبحه وأشدّه (يستحيون نساءكم) يستقونهن وقيل : يفعلون بهن ما يخل بالحياء (وفي ذلكم بلاء) حنة (وإذ تأذن) أعلم . وهي أيضا بمعنى «قال» وبها قرأ ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لئن شكرتم لأزيدنكم) برا وخيرا (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) عبر تعالى عن عدم الشكر بالكفر ؛ لما فيها من أوجه الشبه : فالكافر منكرا للإله ، وهذا منكرا لنعم الإله ؛ فكلاهما في الكفر سواء ! وحقا لمن من يعرف الإله وينكر نعمه ؛ لأشد كفرا ممن لا يعرفه أصلا ! جللنا الله تعالى من عباده الشاكرين ! (فإن الله لغني) عن سائر خلقه (حميد) محمود في صنعه بهم (وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالآيات الظاهرات ، والمجج الواضحات (فردوا أيديهم في أقفوسهم) أى عضوا أناملهم من شدة الغيظ . وقيل : ردوا أيديهم في أفواه الرسل ؛ لينعموم من الكلام

* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
 مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
 عَلَى مَا نَادَّبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٢﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مَلِكِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَنَسَكِّنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ
 لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿٣٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ

(قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات
 والأرض) خالقهما ومبدعهما (ويؤخركم) بلا
 حساب ولا عقاب (إلى أجل مسمى) وهو
 انتهاء آجالكم ، أو إلى قيام الساعة (تريدون
 أن تصدونا) تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا)
 من الأصنام (فأتونا بسطان مبين) بحجة
 واضحة ؛ تسلط على عقولنا ؛ فنلزمنا بتصدقكم
 (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده)
 بالإيمان والنبوة (وعلى الله) وحده (فليتوكل
 المؤمنون) في سائر أمورهم (انظر آية ٨١
 من سورة النساء) (وما لنا ألا نتوكل على
 الله) وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه ؟ ومن
 التوكل : الشكر عند الطاء ، والصبر عند
 البلاء (وقد هدانا سبلنا) هدى كل منا طريقه
 المستقيم ؛ الذي ارتضاه لنفسه ، واختاره الله
 تعالى له (فأوحى إليهم ربهم) أي أوحى إلى
 الرسل (لنهلكن الظالمين) الكافرين الطاغين
 (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي أرض
 الظالمين وديارهم . وقد ورد «من أتى جاره ،
 ورثه الله داره» (ذلك) النصر على الأعداء ،
 وإبراث الأرض (لمن خاف مقامي) أي خاف
 قيامه بين يدي للحساب يوم القيامة ، أو «خاف»

قياي عليه ، ومراقبتي له ؛ قال تعالى «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» (وخاف وعيد) أي خاف
 عذابي الذي أوعدت به في القرآن (واستفتحوا) أي طلب المؤمنون النصر من الله تعالى (وخاب) ذل وخسر

(كل جبار عنيد) متكبر ، بجانب الحق (من ورائه) أى بعد انقضاء حياته (جهنم) يصلها (ويسقى) فيها (من ماء صديد) هو ما يسيل من جوف أهل النار من القيح والدم ! (تجرعه) يبتلعه (ولا يكاد يسفه) يزدرده لردائه وقبحه (وبأبيه الموت من كل مكان وما هو ميت) أى يأتيه أنواع العذاب المقتضية للهلاك ، المقتضية للموت ؟ ولكن الله تعالى يعد في حياته ؟ ليزيد في تأله وتحسره (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم)

٣٠٧

سورة ابراهيم

أى صفة الأعمال الصالحة ؟ التى يعملها الذين كفروا بربهم ؟ كالصدقة ، وحسن الجوار ، وصلة الرحم ؟ فهذه الأعمال صفتها (كرماد) اشتدت به الريح في يوم عاصف) أى يوم شديد هبوب الريح ، وكل مائل عن غرضه ؟ فهو «عاصف» قال تعالى «وقدنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» وذلك بالنسبة لأجر الآخرة ، أما في الدنيا فيجزون على أعمالهم هذه فيها «ولا يظلم ربك أحداً» (لا يقدرُونَ مما كسبوا) عملوا في الدنيا (على شيء) أى لا يقدرُونَ على نيل ثوابه في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) العذاب والهلاك الكبير (وبرزوا لله) أى ظهرت الخلائق (جميعاً) وبرزت لله تعالى من قبورها (فقال الضعفاء) الأتباع (للذين استكبروا) السادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شيء قالوا) أى الرؤساء المتبوعون (لو هدانا الله) إلى الإيمان (لهديناكم) إليه ، أو «لو هدانا» لما ندفع به عذابه «لهديناكم» إليه . وفاتهم أنه تعالى هداهم للإيمان فأبوا ، وأرشدهم سواء السبيل فصوا ! قال تعالى «وهديناه النجدين» وقال جل شأنه «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» (سواء علينا) الآن (أجزعنا) الجزع : ضد

كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَّرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَجْرَعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يَسْفِهُهُ ۝ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۝ وَمِن وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝ مِّثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا بِنَافِثِكُمْ وَبِئَاتٍ بِخَلْقِكُمْ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَاتُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْهُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَّحْجَصٍ ۝ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ۖ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ

الصبر (أم صبرنا) على ما نحن فيه من العذاب (ما لنا من محيص) منجى ومهرب (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أى فرغ من الحساب ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار (إن الله وعدهم وعدهم الحق) بأن قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى دخل النار ؟ فوفى بما وعد ؛ وما قد دخن النار بمصيانكم ، ودخل أهل الجنة الجنة بطاعتهم (ووعدهم) بأن لا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء (فأخلفتم) كذبتم (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط وقوة ؛ حتى ألزكم بالصيان ، وأكرهكم على الكفر

(إلا أن دعوتكم) للكفر والعصيان (فاستجبتم لي) أجبتم ندائي ؛ بغير تعقل أو روية (فلا تلووموني) الآن (ولوموا أنفسكم) على تفلكم وعدم حرصكم (ما أنا بمصرخكم) بمعنىكم . أي بحسب صراخكم (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي بأشراككم إياي مع الله في الطاعة والعبادة (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) هي كلمة التوحيد ، أو هي كل كلمة طيبة يقولها الإنسان لأخيه الإنسان ؛ فتهدى من روعه ، وتريد في حبه ! قال تعالى : «وقولوا للناس حسناً» فهذه الكلمة الطيبة ينمى بها الله تعالى ويصلى أجراها وجزاءها (كشجرة طيبة) أي طيبة الظل والثمر . قيل : هي النخلة . والمقصود بها : كل شجرة وارفة الظلال ، مفعة الثمار (تؤتي أكلها كل حين) أي تجود بشرها لأكله في كل وقت . وهو مثل للكلمة الطيبة وما تنتج من طيب الأثر ، وياغ الثمر (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر ، أو كل كلمة رديئة بذينة ؛ ترك أئراً سيئاً في النفوس ، وضناً كامناً في القلوب (كشجرة خبيثة) منظرها كره ، وطعمها ردى . قيل : هي المخطل . وقصد بها كل شجرة سيئة المنظر والخبير (اجثت) استوصلت (مالها من قرار) ثبات (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) كلمة التوحيد (في الحياة الدنيا) بأن ينطقه الله تعالى بها عند موته ، وعند سؤاله في القبر (وفي الآخرة) بأن يشهد بها وقت الحساب ، فينجو من العقاب (ويضل الله الظالمين) الكافرين ؛ فالكفر سابق على الإضلال «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذهابهم» وإنما يضلهم بعد إصرارهم على الكفران

٣٠٨

الجزء الثالث عشر

مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي لِي أَكْفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٣٠٩ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا مِنْ أَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ مَحْجَمٍ فِيهَا سَلَامٌ ٣١٠ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٣١١ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْتِيهِمْ فِيهَا وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٣١٢ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٣١٣ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ٣١٤ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ

قُلُوبَهُمْ

وتمرغهم في أحوال العصيان ، ورفضهم الحجج والدلائل ، والآيات البينات ؛ قال تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) أي كفروا بالنعمة ولم يشكروا عليها ؛ فقد خلقهم تعالى ليؤمنوا به ؛ فأنكروا وجوده ، وأصحبهم ليطيعوه ؛ فبدلوا غيره ، وأفاض عليهم من نعمائه ليشكروه ؛ فكفروا به ؛ وبذلك بدلوا نعمة تعالى عليهم كفراً به ؛ وقيل : المراد بالنعمة في هذه الآية : الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وأكرم به من نعمة ما أعظمها وأجلها ؛ يؤيد ذلك قوله تعالى (وأحلوا قومهم

دار البوار) لأن قومهم لما رأوا كفرهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبهم له : اتبعوهم على ذلك . و « دار البوار » دار الهلاك (جهنم يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المقر (وجعلوا لله أندادا) أمثالا (ليضلوا) الناس (عن سبيله) دينه (قل تمتعوا) في الدنيا مدة حياتكم (فان مصيركم إلى النار) يوم القيامة (قل) أمر صادر من بيده مقاليد السموات والأرض ، ومن بيده الموت والحياة والنشور ؛ لرسوله وصفه ، وخبرته من خلقته ؛ يقول له « قل » يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) بوحدانيتي ورسالتك (يقموا الصلاة) يؤدوها في أوقاتها (وينفقوا) على الفقراء (مما

٣٠٩

سورة إبراهيم

فَارِ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا وَبُئْسَ الْقَرَارُ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۝ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ ۝ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلَىٰ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَخَرَجُ بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَّكُمْ وَخَسَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِيَجْزِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ ۝ وَخَسَّرَ لَكُمُ الْآبَهِارَ ۝ وَخَسَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ ۝ وَخَسَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَقَفُورٌ ۝ كَفَّارٌ ۝ وَلَئِذَا قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قُلْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي

رزقناهم) بفضلائنا ؛ لا بكدكم وجهنم ؛ فكم من ساع - يتصب عرقه ، وينهال دمه ودمه - في سبيل العيش ؛ فلا يحصل على قوته يومه . وكم من قاعد أثقلته النعمة ؛ والأرزاق عليه تترى من حيث لا يحتسب . وكم من مناد على سلعته ؛ حتى جف لسانه ، ونضب ريقه ؛ فاستزداد سلعته بندائه لإلا بواراً ، ولا يزداد بتعبه إلا خساراً ! وكم من جالس على أركبته ، لا يعلن عن بضاعته ، ولا يدعو إليها ، ولا يطب في مدحها : والمشترون من حوله كالذباب : يحومون حول بضاعته المزجاة ، ويتساقبون في شرائها ، ويتزاحون على اقتنائها . ومن هنا يصدق قول الحكيم العليم : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » فكيف لا تنفق مما رزقك مولاك أيها المسكين ؟ (سراً) إذا كان في ذلك كبحاً لجاح غرورك وطرذاً لشيطان رباك ، وسترًا للفقير ، وحفظاً لماء وجهه ! (وعلانية) إذا كان في ذلك تعليماً للمنفقين ، وحثاً للمسكين ! وحذار - رحمك الله - من الرياء والإيذاء ؛ ف « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا يبع فيه) كمال الدنيا : بيع وشراء ، وأخذ وعطاء . فليراع الله تعالى في بيعه وشرائه : لينفعه ذلك

في يوم جزائه «ولا خلال» ولا صداقة . فليراع في الدنيا من يصادق ؛ فلا يجال فيهما إلا في الله والله ! أو المراد «لا يبع فيه» لا عدل ولا فدية ؛ فلا يستطيع المذنب أن يستبدل ذنبه ، أو يقتدى نفسه بجله الأرض ذهباً «ولا خلال» أي ولا صديق ينفع في ذلك اليوم ، أو يدفع عذاب الله تعالى ! (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين لا يفتران ، ولا يقف أحدهما عن الدوران (وأتاكم من كل ما سألتموه) أي وأعطاكم من كل ما رغبتم فيه . وقد جرت عادة تعالى أن يعطي عباده ما سألون ، وفوق ما يسألون (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكيف نحصى أنعمه التي لا تنتهي ! أنحصى نعمة السمع والابصار ؟ أم نعمة الشم والذوق ؟ أم نعمة الرزق والطعام ؟ أم نعمة الماء والهواء ؟ أم نعمة الإيمان والإسلام ؛ التي لا تعادلها نعمة ؟ =

== حقا إن الإنسان لو حاول الإحصاء والمحصر : لضاق ذرعا ؛ ولما وسعه إلا أن يقول : « وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها » (إن الانسان لظالم) كثير الظلم لنفسه ؛ لعدم شكر ربه على أنعمه ! (كفار) كثير الكفر ، قليل الشكر ! جاء في الحديث القدسي « أخلق فيبعد غيري ، وأرزق فيشكر غيري » (ولاذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) البلد : مكة ؛ زادها الله تعالى شرفا وأمنا ! (واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام) وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعوته : فلم يبعد أحد من ولده صفا قط ! (رب إنهن) أى الأصنام

الجزء الثالث عشر

٣١٠

(أضلن كثيرا من الناس فمن تبعني) منهم (فانه مني) أى شأنه كشأنى . وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس منا من لطم الحدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوة الجاهلية » (ومن عصاني) فلم يؤمن بك ، ولم يستجب لدعوتك . (فانك غفور) لذنوب الذين ؛ بفضلك ! (رحيم) بعبادك تقفر لمن تشاء منهم ، وتغفو عمن تشاء ! قال نبى الله عيسى ابن مريم صلوات الله تعالى وسلامه عليهما : « إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (رب لى أسكنت من ذريتي) زوجة هاجر وولدها اسماعيل (بواد غير ذى زرع) مكة شرفها الله تعالى (فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم) لو قال عليه الصلاة والسلام : فاجعل أئمة الناس تهوى إليهم ؛ بغير « من » لما بقى على ظهر الأرض لسان إلا وذهب إليهم بقلبه وله ! (انظر آية ٦٠ من سورة غافر) (وارزقهم من الثرات) وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعاءه ؛ فجلبت لهم الثمار من سائر الأقطار ؛ وقد لا يتذوقها جانبها قبل أن يتذوقوها ؛ فانظر يا أخى حكمة الحكيم العليم ! وبعد أن دعا ابراهيم ربه بما شاء : ختم دعاءه بمجده على نعمائه (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) بعد أن بثت من القوة والولده « وهب لى » (اسمعيل) جد نبينا

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُنْفِئُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٣﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٤﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٣٥﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَحْزَنْ أَلَلَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِئَیْمَرَهُمْ فِیهِمْ تَشْخِصٌ فِیهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْغَتْهُمْ أَعْیُنُهُمْ ﴿٣٨﴾ وَأَنْزَلَ النَّاسَ یَوْمَ یَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِیْئُولُ

الَّذِينَ

عليهم الصلاة والسلام (واسحق) بعد اسماعيل (إن ربى لسميع الدعاء) لمن دعاه مؤمنا به ، موقنا باجابته ! (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي) أيضا اجعلهم مقيمي الصلاة . وهى خير دعوة يدعوها المؤمن ؛ فلا أحب له ، ولا أفع ، ولا أصلح من أن يكون مقبلا للصلاة هو وذريته (ربنا وتقبل دعاء) من آداب الدعاء : أن يدعو الانسان ربه بقبول دعائه ، وأن يكون متيقنا بالإجابة ؛ وللا فهو شاك في قبيرة ربه القادر على كل شيء ! (ولا تحزن) يا محمد أن (الله غافلا عما يعمل الظالمون) لسكوته عليهم ، وإغفاله لهم (لأما يؤخرهم) في التعذيب والانتقام (ليوم تشخص فيه الأبصار) شخص بصره : إذا فتح عينيه من غير أن يطرف ؛ وهذا لشدة ذهولهم ورعبهم (مهطعين) مادي أعناقهم ، أو مسرعين (مقني رؤسهم) رافعها ==

= (لا يرد إليهم طرفهم) لا يفضون أعينهم : لشدة ما يرون من الهول ! (وأفندتهم) قلوبهم (هواء) خالية من التفكير لكثرة فزعهم (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا أخرنا) أى ردنا إلى الدنيا وأمهلنا (إلى أجل قريب نجب دعوتك) التى دعوتنا إليها ، فلم نستجب لها (وتتبع الرسل) الذين أرسلتهم لنا فكذبناهم ؛ فنقول لهم ملائكة الرحمن (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى حلقتم أنكم إذا متم : لا تزالون عن تلك الحالة ، ولا تنتقلون إلى

دار أخرى ، وحياة أخرى . وذلك كقوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت» (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) (وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم) أى هو عالم بما يخفونه من الشر ، وما يضمرونه من سوء والأذى للمؤمنين ؛ فيجازيهم عليه (ولأن كان مكرمهم لتزول منه الجبال) أى ولأن كان مكرمهم شديدا عظيما ؛ تبلغ قوته أن تزول منه الجبال ؛ فان الله تعالى قادر على إبطاله ومحوه ، ومقابلته بمكر هو أشد وأقوى منه «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» وقيل : «ولأن» بمعنى ما ؛ أى وما كان مكرمهم لضعفه وهوانه «لتزول منه الجبال» وقرأ أبو وابن مسعود وغيرهما «ولأن كاد» ومعنى هذه القراءة : لقد عظم مكرمهم حتى كادت الجبال أن تزول منه «فلا تحسن الله مخلف وعده رساله» ما وعدهم به من النصر ، ونزول العذاب بالمكذبين (إن الله عزيز) قوى ، غالب «ذو انتقام» بمن عاداه «وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد» أى مسلسلين فى الأغلال ؛ وقد قرنت أيديهم إلى أرجلهم ، أو قرن كل مجرم مع نظيره وشبيهه فى الكفر والإجرام ؛ كما يفعل بمجرى أهل الدنيا

(سرايلهم) ملابسهم (وتفتى وجوههم النار) تملوها وتغطيها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) ما عملت فى الدنيا (إن الله سريع الحساب) يحاسب الخلائق جميعا فى أسرع من لمح البصر (هذا) القرآن (بلاغ للناس ولينذروا به) أى أنزل لتبليغهم أوامر ربهم وموجدهم ، ولإنذارهم بفضبه على من يخالفه ، وعقابه لمن يكفر به ! (وليذكر) لينذكر به (أولوا الألباب) ذووا العقول .

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۚ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآثَانَ ۚ وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۚ فَلَا تَحْسَبِ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ ۚ رُسُلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۚ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۚ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ سَرَابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانَ وَتَفْتَنَىٰ وَجُوهَهُمْ ۖ أَنَارٌ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۚ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۚ

(سورة الحجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
 (ربما) بتخفيف الباء وتشديدها ؛ وقرئ
 بها (يود) بمعنى (الذين كفروا) حين
 يروا العذاب يوم القيامة (لو كانوا مسلمين)
 أى لو كانوا أسلموا في الدنيا ، ونجوا من هول
 هذا العذاب (فزم) ذمهم وتركهم (ياكلوا)
 كما تأكل الأنعام (ويستمتعوا) بدينام الفانية
 (ويلهمهم) يشغلهم عن الإيمان بربهم ، وعن
 الاهتمام بآخرتهم (الأمل) في طول الحياة ،
 وجمع المال (فسوف يعلمون) تهديد ووعد ؛
 أى سوف يعلمون ما يحل بهم في الآخرة ؛ من
 عذاب أليم مقيم ! (وما أهلكنا من قرية)
 من القرى الظالمة (إلا ولها كتاب معلوم)
 أجل محدود لإهلاكها (ما نسبق من أمة أجلها)
 الذى حدد لها (وما يستأخرون) عنه ؛

بل ينزل بها الدمار في الوقت الذى حدده الله

إِنَّكَ تَكْتُمُ الْكُتُبَ وَتُفَرِّقُ الْبَيْنَ ۚ رُبَّمَا
 يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۚ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
 وَيَسْتَمْتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ۚ وَمَا
 أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۚ مَا نَسِجُ
 مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ۚ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
 نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۚ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَكِ
 إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَ إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۚ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
 وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ

الْأَوَّلِينَ

لها (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر) القرآن (إنك لمجنون) يعنون بذلك سيد العقلاء محمداً صلى الله
 تعالى عليه وسلم (لوما) هلا (تأيتنا باللائكة) فزاعم عياناً ؛ يشهدون بصدقك ، وأن القرآن قد نزل
 عليك من عند الله . أو هلا تأيتنا باللائكة بالعذاب على تكذيبنا لك ؟ قال تعالى ردأ عليهم (مانزل اللائكة
 إلا بالحق) أى إلا بالعذاب الحق ؛ الذى يستحقونه (وما كانوا إذا منظرين) أى وما كانوا عند نزول
 اللائكة - إذا أنزلناهم بالعذاب - مؤخرين ؛ بل يحل بهم بقية (إننا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وإننا له لحافظون)
 طول العمر ، وأبد الدهر ؛ لا يعتره تقيير أو تبديل ، ولا يشوبه تصحيف أو تحريف ، ولا تدركه زيادة
 أو نقصان (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) أى في فرق المتقدمين

(كذلك نسلكه) ندخله ؛ أى القرآن ، لا الكفران كما ذهب إليه أكثر المفسرين (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (في قلوب الجرمين) الكافرين (لا يؤمنون به وقد خلت) مضت (سنة الأولين) أى سنة الله تعالى فيهم ، وعادته معهم ؛ من تعذيبهم بتكذيبهم ، واستئصالهم بطغيانهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) يروته بأعينهم (فظلوا فيه) أى في هذا الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا إنما سكرت) حيرت ، أو حبست (أبصارنا) عن الإبصار (ولقد جعلنا في السماء بروجا) مى منازل الكواكب السيارة ؛

٣١٣

سورة الحجر

وهى اثنا عشر: الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت . والكواكب السيارة سبعة : المريخ : وله من البروج الحمل والعقرب . والزهرة : ولها الثور والميزان . وعطارد : وله الجوزاء والسنبلة . والقمرة : وله السرطان . والشمس : ولها الأسد . والمشتري : وله القوس والحوت . وزحل : وله الجدي والدلو (وحفظناها) أى حفظنا السموات (من كل شيطان رجيم) مرجوم ، أو ملعون (إلا من استرق السمع) من هؤلاء الشياطين (فاتبعه شهاب مبين) شعلة من نار ؛ تحرق كل ما تمسه كالصاعقة (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وأثبتنا فيها من كل شئ موزون) بميزان الحكمة : كتناسب العناصر في الخصر والفلكة وغيرها ؛ مما يحير العقول ، ويدمى الأفكار ! أو «موزون» بميزان التقدير ؛ فلا يزيد على حاجة الخلق ولا ينقص (وما ننزله إلا بقدر معلوم) أو «وأثبتنا فيها» أى في الجبال «من كل شئ» موزون» مما يوزن من المعادن : كالذهب ، والفضة ، والنحاس ، والرصاص ، وما شاكل ذلك (وجعلنا لكم فيها معاش) أى أسباب العيش : من المطومات والمشروبات (ومن

الْأُولِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ لَكُمْ لَّهُ بِرِزْقَيْنَ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ فَاتْرِكُنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ

لستم له برازقين) أى جعلنا لكم من العيال ، والماليك ، والأنعام ؛ من لستم له برازقين ؛ لأننا نخلق طعامهم وشرابهم لا أنتم (ولان من شئ) وما من شئ : قل أو جل ، دق أو رق (إلا عندنا خزائنه) التى تنفق منها (وما ننزله) للخلق (إلا بقدر معلوم) حسب حاجتهم إليه ، وحسب مشيئتنا وإرادتنا بالتوسعة على البعض ، والتضييق على الآخرين . وقد يوسع الله تعالى على العاصين ، ويضيق على المتقين ؛ لحكمة يعلمها ، وغرض يريد لمضاءه : ابتلاء بعض خلقه ، وإملاء لآخرين «وكل شئ» عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (وأرسلنا الرياح لواقح) أى حوامل بالسحاب ؛ لأنها تحمله في جوفها ، ولأن الرياح تلقح النبات والأشجار ؛ فننقل من ذكرها لأننا «فتبارك الله أحسن الخالقين» !

(ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) أى قد أحطنا بالخلق علماً من لدن آدم إلى قيام الساعة (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) طين يابس ؟ تسمع له صلصلة إذا ضرب عليه (من حمأ) طين أسود (مسنون) متغير منتن (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) هى نار لادخان لها ؟ تنفذ من المسام ، وتسرى مع الريح (فاذا سويته) أعمت خلقته (فقعوا له ساجدين) ذهب الأكثرون إلى أنه سجود تحية بالانحناء خصب ؟ وبأبى ذلك قوله تعالى «فقعوا» لأنه أمر بالوقوع متلبسين بالسجود ، وذهب بعضهم إلى أنه امتحان للملائكة ، واختبار لطاعتهم ؛ لأنهم - بلا شك - نوع أرق من النوع الإنسانى ؛ وليثبت تعالى للملأ حسن طاعتهم ، ومزيد انقيادهم ؛ وأنهم «لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (انظر آية ٢٢ من سورة الشكور) (قال) الله تعالى مخاطباً لإبليس اللعين ؛ ليقطع الشك باليقين أمام سائر المخلوقين ؛ قال (يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين) الذين سجدوا لإطاعة لأمرى ، وتقييذا لقضائى ! فابتدأ اللعين ، فى مجادلة رب العالمين ، وأحكم الحاكمين ! (قال

نحىء ونميت ونحن الوردون) ١١١ (ولقد علمنا المستقدمين منك ولقد علمنا المستأخرين) ١١٢ (وإن ربك هو بخشهم) ١١٣ (إنه حكيم عليم) ١١٤ (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) ١١٥ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) ١١٦ (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون) ١١٧ (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ١١٨ (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) ١١٩ (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) ١٢٠ (قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين) ١٢١ (قال له أكن لا عبد ليسر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) ١٢٢ (قال فأنزج منها فأنك رجيم) ١٢٣ (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) ١٢٤ (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) ١٢٥ (قال فأنك من

المنظرين

لم أكن لأسجد لبشر) أقل مرتبة منى ؛ إذ (خلقته من صلصال) طين يابس ؟ تسمع له صلصلة إذا ضرب عليه (من حمأ مسنون) طين أسود متغير ؛ وقد خلقتني من نار ؛ والنار أفضل من الطين ! (قال) تعالى (فأخرج منها) أى من الجنة ؛ فلست أهلاً للبقاء فى النعيم (فأنك رجيم) مطرود (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) يوم الجزاء : يوم القيامة (قال رب فأنظرني) أخرنى وأمهلى (قال فأنك من المنظرين) المؤخرين

(إلى يوم الوقت المعلوم) يوم القيامة . من هنا نعلم أن الله تعالى قد يستجيب للظالم - لحكمة قدرها وعلمها - امتحاناً به لغيره ، وابتلاءً لبعض مخلوقاته (قال رب بما أغويتني) لقن اللعين حجة لأوليائه الملاحين ؛ وهي أن الإغواء جاءه من أحكم الحاكمين ؛ فقال لربه :

٣١٥

سورة الحجر

بحق لغوائك لي ؛ في حين أن ربه لم يغوه ؛ وإنما غوى هو بنفسه ، وأغوى غيره ! وقد جرت سنة الله تعالى في خلقته أن يضل الضالين ، ويهدي المهتدين « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً » « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم » (قال) الله تعالى « هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من العاوين » « وإن جهنم لموعدهم أجمعين » « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » « إن المتقين في جنّات وعيون » « ولأن جهنم لموعدهم أجمعين » أي إن جهنم لموعده لمن اتبعك (لها سبعة أبواب لكل باب) من الأبواب السبعة (منهم) أي من الكافرين الفاون (جزء مقسوم) نصيب مقسم على هذه الأبواب . قيل : إن هذه الأبواب لدركات جهنم ، وهي مرتبة فوق بعضها ؛ وفي أعلاها عصاة هذه الأمة ، وفي أسفلها المنافقين « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » (إن المتقين في جنات) بساتين (وعيون) ماء جار يرى بالعين ؛ ويقال لهم (ادخلوها بسلام آمنين) من كل سوء وعناء « لا يمسهم فيها نصب » (وما هم منها بمخرجين) أبد

الْمُظْهِرِينَ ﴿٧٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٨١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٨٥﴾ أَذْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ؕ أَمِينٍ ﴿٨٦﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْرٍ ؕ اخْتَوْنَا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٨٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٨٨﴾ * نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٩٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٩٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا

الآبِدِينَ ، ودمر الداهرين (نبي عبادي أني أنا الغفور) للتائبين المستغفرين (الرحيم) بالمؤمنين الطاهرين ! (وأن عذابي) للكافرين والعاوين (هو العذاب الأليم) المؤلم (ونبئهم) أخبر قومك يا محمد (عن ضيف إبراهيم) من الملائكة (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال) بعد أن رد عليهم السلام (لأننا منكم وجلون) خائفون وذلك لأنه رآهم لا يأكلون من طعامه الذي قدمه إليهم (قالوا لا توجل) لا تخف

(إنا نبشرك بغلام علي) ذى علم كثير ؛ وهو اسحق عليه السلام (قال أبشر عوني) بالغلام (على أن مسني الكبر) أى بعد أن كبرت ، ولم أعد صالحاً لإحجاب الولد (فيم تبشرون) بعد ذلك (قالوا بشركناك بالحق) أى بما سيقع حتماً ، ويكون حقاً (فلا تكن من الفاطنين) الآيسين (قال) معاذ الله أن أقطع من وعده وورثته (ومن يقطع من رحمة ربه إلا الضالون) ولست منهم (قال فاططكم) ما شأنكم (أيها المرسلون) ولأى شئ جئتم (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) قوم لوط ؛ لنزل عليهم العذاب بأمر رب العالمين (إلا آل لوط) أهله من المؤمنين ، ومن آمن به من قومه (إنا لنجوزهم أجمعين) من العذاب (إلا امرأته قدرنا إنها لمن الفاجرين) الباقين في العذاب (فلما جاء آل لوط المرسلون) من الملائكة الذين بشروا إبراهيم بغلام علي (قال) لوط (إنكم قوم منكرون) أى لا أعرفكم ؛ وقد أنكرهم لوط : لأنه رآهم في زى ظليل لا يتفق وحال المسافر ؛ وليسوا ممن يعرف من أهل قريته (قالوا بل جئتكم بما كاتوا فيه يفترون) أى بالعذاب الذى كان قومك يشكون في مجيئه (فأسر) أى سر ليلاً (يقطع من الليل) بطائفة من الليل ، أو ببقية منه ، أو بمنح الليل (واتبع أديارهم) أى امش خلف المؤمنين من أهلك وقومك (ولا يلتفت منكم أحد) خلفه ؛ لتلا يرى ما ينزل بقومك من العذاب ؛ الذى يغلق القلب ، ويطلع باللب (وقضينا إليه) أوجنا إليه (ذلك الأمر) الذى ذكرناه ؛ وهو (أن دابر هؤلاء مقطوع

٣١٦

الجزء الرابع عشر

نبشرك بغلام علي ﴿٣٦﴾ قَالَ أَبَشِّرْ عُنِي عَلَى أَنْ مَسْنَى الْكِبَرِ فَمِمَّ تَبَشِّرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا بَشِّرْ نَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاطِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَاطْطُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَنَجْزِيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْفَاجِرِينَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٤٥﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآ كُنَّا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَاتَّبَعْنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٤٩﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ

ضيق

مصححين) أى مستأصلون عن آخرهم صباحاً ؛ لأن الدابر : آخر كل شئ وأصله (وجاء أهل المدينة يستبشرون) بمجيء الملائكة عند لوط ؛ طمعاً في ارتكاب الفاحشة معهم ؛ ظناً منهم أنهم من عامة الناس أمثالهم ؛ وقد دخلوا على لوط بأكل شكل ، وأجل صورة (قال) لوط لقومه - لما رأى إقبالهم إليه - وعلم نواياهم السيئة (إن هؤلاء ضيق) ضيق

(فلا تفضحون) معهم (واتقوا الله) خافوه ، واخشوا عقابه (ولا تخزون) الخزي : الذل والهوان (قالوا لم تنهك عن المألين) أى عن الاختلاط بالناس ، وتسمي أفعالهم بما تزعمه من الرسالة ، وما تدعو إليه من الإيمان بالله ؟ (قال هؤلاء بناتى) أى بنات أمته ؛ لأن كل نبى يعتبر أباً لقومه ؛ ولألا فليس بجائز أن تزوج بنات أصحاب الصالحين ، لأنفس الفاسقين (لعمرك) أى وحقك (لأنهم لن يسكرتهم يعمهون) أى فى ضلالهم يتخبطون . لقد تجلى الإله على مصطفاه ، وأقسم بالليل بالليل ، وشرف الكريم عبده العظيم ، وأفاض النعم على نبيه الأكرم ؛ فأظهر للملائكة قدره ، وأعلى الآفاق شأنه ؛ وحلف بحياته

٣١٧

سورة الحجر

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما خلق الله ، وما ذرأ ، وما برأ ؛ نفساً أكرم عليه تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت أن الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره : قال الله تعالى ذكره «لعمرك لأنهم لن يسكرتهم يعمهون» (فأخذتهم الصيحة) الصيحة : العذاب . وقيل : صاح بهم جبريل عليه السلام حين بدأ بتعذيبهم . والصيحة : مقدمة لكل عذاب (مشرقين) وقت شروق الشمس (نجعلنا عليها سافلها) قيل : حمل جبريل عليه السلام قريتهم إلى أن قاربوا الأفلاك ، وسمعوا تسبيح الملائكة ؛ وجعل عليها سافلها ؛ بأمر ربه المنتقم الجبار ! أعادنا الله تعالى من غضبه بمنه ، وعافانا من عذابه بكرمه ! (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) السجيل ، والسجين : المكتوب فى السجل ؛ أى وأمطرنا عليهم حجارة مكتوب عليهم أن يعذبوا بها ؛ قال تعالى «وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم» أى مكتوب . وقيل : سجيل وسجين : اسم واد فى جهنم ؛ أى وأمطرنا عليهم حجارة من جهنم : إذا لم يصبهم جرمها ؛ أحرقتهم حرارتها (إن فى ذلك) العذاب الذى أنزلناه بقوم لوط ، وبغيرهم من المكذبين (آيات) لعبر وعظات (للمؤمنين) للمتأملين ، والمتفكرين (ولأنها) أى قرى قوم لوط ، وما فيها من آثار تعذيبهم واستئصالهم (لبيسيل) طريق (مقيم) باق لم يندرس ؛ وهى مدينة سدوم ، أو سدوم . وقيل : عاموزاء ؛ وهما قريتان من قرى قوم لوط (إن فى ذلك) الإبقاء على هذه القرى إلى الآن ، على حالها البادى للعيان (آية) عبرة وعظة (للمؤمنين) الصادقين فى الإيمان (وإن كان أصحاب الأيكة) النبعة ؛ وهى مجتمع الشجر . قيل : لأنهم قوم شعيب عليه السلام (لظالمين) لكافرين (فأقمنا منهم) أهلكناهم ؛ لما كذبوا شعياً (ولأنها) أى قرى قوم لوط ، والآيكة (لياماميين) طريق واضح ؛ لمن يريد أن يراها ويتعظ بما حل بأهلها (ولقد كذب أصحاب الحجر) ثمود : قوم صالح عليه السلام ؛ و «الحجر» واد بين المدينة والشام ؛ عند وادى القرى ، =

ضُنِّيَ فَلَا تَفْضَحُون ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون ۝
قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالِيْنَ ۝ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ۝ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ ۝ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّا لَإِسْبِيلُ مُقِيمٌ ۝ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْآيِكَةِ لَظَّالِمِينَ ۝
فَأَقْصَيْتُمْ عَنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِلَالٍ مُّخْبِتِينَ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ۝ وَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَحْمِلُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَصُوتًا ءَامِينَ ۝ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْهِجِينَ ۝
فَأَعْنَتُوا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

= أو بين مكة وتبوك (فأخذتهم الصيحة مصحين) الصيحة : العذاب ؛ أو هي مقدمة لكل عذاب .
وقيل : صرخ فيهم الملك المأمور بأهلاكم صباحا (فاغنى عنهم) فادفع عنهم العذاب (ما كانوا يكسبون)
ما كانوا يعملونه : من جمع للأموال ، وبناء للقصور والحصون (فاصفح) يا محمد عن قومك (الصفح الجيل)
أى الصفح الذى لا يبق أثرأ فى القلوب ! لقد أقام الله تعالى عليهم الحجة التى لا تدحض ، والبرهات التى
لا يدفع : فأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بملايبتهم وملاطفتهم ، والصفح عنهم صفحا جميلا ؛ يلين من

الحزب الرابع عشر

٣١٨

شكيمتهم ، ويسلس من قيادهم . وبعد ذلك
أمرهم بهجرهم هجراً رقيقاً رقيقاً وهاجرهم هجراً
جيلاً ، فأفاد ذلك بعض من هدى الله تعالى ،
وكتب له السعادة والسيادة ، ولم يقد مع
الآخرين ؛ فكانوا كالفضو الفاسد المريض ؛
الذى لا يسلم الجسم إلا بغيره ، ولا يبرأ إلا
بقطعه ! فأنزل تعالى على رسول «غذوم»
وأقلوم حيث تفتنوم» (ولقد آتيناك سبعاً
من المثاني) وهى - على القول الراجح -
الفاتحة ؛ لأنها سبع آيات ، ولأنها تنهى فى كل
ركعة من الصلاة . وقيل : هى السبع الطوال :
البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ،
والأنعام ، والأعراف ، والأنفال والتوبة معاً ؛
وذلك لأنه قد تنهى فيها الأمثال ، والخبر ،
والعبر ، والفرائض ، والحدود ، والقضاء ،
والقصص (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به
أزواجنا منهم) أى لا تطمح بعينيك إلى ما آتينا
أسناناً من الكفار ؛ من متاع الدنيا ، ونعيمها
الزائل ، وراثتها الفانى ! (ولا تحزن عليهم)
أى لا تحزن لعدم إيمانهم (واخفض جناحك)
تواضع ، وألن جانبك (للمؤمنين) أمراً الله
تعالى رسوله الكريم - وهو سيد الخلق
وخيرهم - بأن يتواضع ويلين جانبه للمؤمنين ؛
وأى مؤمن - وإن سما وعلا - فهو دون
الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه رتبة ؛

السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٣١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ
مُؤْتَلِحٌ الْعَلِيمَ ﴿٣١٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعِينَ
الْمِثْقَالَ الثَّقَلَيْنِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٣٢٠﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَافِضٌ
جَنَاحُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢١﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٣٢٢﴾
كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٣٢٣﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ ﴿٣٢٤﴾ قَرَرِكَ لَنَسْفَعْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٢٥﴾ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٣٢٦﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢٧﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٣٢٨﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَعَلِمَ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٣٣٠﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣١﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَنَّكَ الْيَقِينُ ﴿٣٣٢﴾

سورة

فكيف بنا معشر المؤمنين ونحن نتعالى على من هم أعلا منا ديناً ، وأرق منا مرتبة ، وأسمى منا تقي وورعاً !
وقد فسدت المقاييس ، وانخرمت المعايير وأصبحت الأقدار ، تقاس بالدرهم والدينار ! فأى درك هذا الذى
هو بنا إليه ؟ ! وأى إثم هذا الذى وقعنا فيه ؟ ! قال تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ولم يقل تعالى : إن
أكرمكم عندى أغناكم ، أو أجلكم ، أو أقواكم ! فاعلم - هداك الله - أن أقدار الناس لا تقاس إلا بمقاييس
الدين والورع ، لا المحرس والطمع ! (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) (كما أنزلنا على المقسمين) أى كما
أنزلنا من البلاء والعذاب على المقسمين . قيل : هم جماعة من المشركين . وقيل : هم أهل الكتاب ؛ لأنهم
قسموا القرآن ، وقالوا بصحة ما يوافق كتبهم ، وكذبوا بآقيه ! (الذين جعلوا القرآن قرآناً عظيمين) =

= أى أعضاء وأجزاء ، وأقوال متفرقة : شعر ، سحر ، كهانة ، اختلاق (فاصدح بما تومرون) أى فامض
 فى تنفيذ ما أمرتك به ؛ واجهر بما أنزلته عليك من القرآن ، وأعلن كلمة التوحيد ، وشق باطلهم بحقك !
 (إنا كفيناك المستهزئين) أى منعنا عنك شرم وأذاهم ؛ بأن أهلكناهم ، وقطعنا دابرهم ! (ولقد نعلم أنك
 بضيق صدرك بما يقولون) فيك ، وفى الله (فسبح بحمد ربك) قدسه واحده على ما أفاء عليك من نعم
 (واعبد ربك) داوم على عبادته (حتى يأتيك اليقين) الموت : المتيقن وقوعه .

٣١٩

سورة النحل

(سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أنى أمر الله) بمعنى سيأتى ؛ وعبر تعالى
 بالمضى : لتيقن وقوعه ؛ وهو البعث والنشور
 والحساب (فلا تستعجلوه) وتقولوا : متى ؟
 وأين ؟ وأيان ؟ (سبحانه) قدس وتنزه (انظر
 آية ١ من سورة الإسراء) (ينزل الملائكة
 بالروح) بالوحي (من أمره) بإرادته (على
 من يشاء من عباده) الذين اصطفاهم لنبوته ،
 واختارهم لرسالته (خلق الإنسان من نطفة)
 منى (انظر آية ٢١ من الذاريات) (فاذا هو
 خصيم مبين) خصم شديد المصومة لمن خلقه
 ورزقه ! (والأنعام) الإبل والبقر والغنم
 (خلقها لكم فيها دفء) من أصوافها
 وأوبارها وأشعارها ؛ تصنعون كساء ،
 ورداء ، وغطاء (و) لكم فيها (منافع)
 تنتفعون بركوبها ، وتسيرون من ألبانها
 (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون)

من الإراحة ؛ أى حين تردونها فى العشى من مسارحها ومراعيها ؛ إلى مرايحها ومنازلها التى تأوى إليها
 (وحين تسرحون) بها ، وتخرجونها من مرايحها إلى مرعائها فى الصباح (وتحمل أثقالكم إلى بلد) بعيد
 (لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس) بجهدا ومشقتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنى أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ۝ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاتَّقُونِ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
 خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
 وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ
 وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا
 بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝

وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ يُخْرِجُ نَبَاتٍ يُبْنِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَخَرَجْنَاكَ أَهْلَ الْأَنْبَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْبَحْرَ لِنَارٍ لَكُمْ مِنْهُ مَاءٌ طَهُرًا وَمِنْ خِلَافِهِ جُلَيْدٌ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجٍ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوْنَى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَوَسُّلُونَ

لَعَلَّكُمْ

(ويخلق ما لا تعلمون) من وسائل النقل والركوب : كالقاطرات ، والسيارات ، والطائرات ، وغيرها (وعلى الله قصد السبيل) أي وعليه تعالى هداية الطريق المستقيم (ومنها جائر) أي ومن هذه السبل ما هو مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسراً وجبراً ؛ ولكنه تعالى أراد أن تهتدوا بالحجة والبرهان ! (فيه تسمون) أي من الشجر تأكلون ؛ وهو من سامت الماشية : إذا رعت (ينبت لكم به) أي بالماء النازل من السماء (الزروع والزيتون والخيل والأعناب ومن كل الثمرات) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (إت في ذلك) الإنزال ، والإنبات (آية) دالة على قدرة الخالق ووحدانيته وعظمته ! (لقوم يتفكرون) أي لهم عقول يفكرون بها في الأسباب ومسبباتها ، والخالق تعالى ومخلوقاته ! (وما ذرأ لكم) ما خلق لكم (في الأرض) من الحيوان ، والنبات ، وغيره (مختلفاً ألوانه) كالأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأسود ، والأبيض . ويجوز أن يكون معنى «مختلفاً ألوانه» أي متعدداً أصنافه وأشكاله (وتستخرجوا منه) أي من

البحر (حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر) أي جوارى في البحر ؛ تخمر الماء : أي تشقه (ولتبتغوا) لتطلبوا بواسطة هذه الفلك (من فضله) من رزقه تعالى ؛ بالانتقال للاتجار من بلد إلى بلد (والتي في الأرض رواسي) جبالاً ثوابت (أن تميد بكم) أي لتلاطم الأرض بكم وتضطرب (وسبلاً) طرقاً تسيرون فيها .

(وعلامات) تستدلون بها - في سيركم - على الطرقات ؛ كالجبال ، والوديان ، والأنهار (وبالنجم هم يهتدون) إلى الطرق ، وإلى الجهات ، وإلى القبلة (أفمن يخلق) جميع ذلك ، ويديره ، ويدبره ، ويحفظه ، ويكفؤه ؛ وهو الله الكبير المتعال ! (كمن لا يخلق) شيئاً أصلاً ؛ بل يفتقر إلى خالق مخلقه ، وموجد بوجوده ؛ وهو الصنم الذي تعبدونه ! (أفلا تذكرون) أفلا تتذكرون ذلك ؛ فتؤمنوا بالله الخالق البارئ المصور ! (وإن تعدوا نعمة الله) عليكم (لا تحصوها) وكيف تحصى أنعمه تعالى ؛ وهي لا يحدها حد ، ولا يحصها عد ؛ ويكفيها من أنعمه تعالى :

٣٢١

سورة النحل

واسع رحته ؛ ومزيد مغفرته ! (إن الله لغفور) لكم (رحيم) بك ! قال الحسن رضي الله تعالى عنه : إن الله في كل عضو نعمة ؛ فيستعين بها الإنسان على المعصية . اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك ؛ وهب لنا لساناً ذا كراً ، وقلبا خاشعاً ، وجوارح لا تعمل إلا في طاعتك ؛ وجنبنا معصيتك ، وأدخلنا جنتك ؛ بمنك ورحمتك ! (انظر آية ٣٤ من سورة إبراهيم) (والذين يدعون) يعبدون (من دون الله) غيره (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) أرأيت إلى الصنم : هل يستطيع أن يوجد بنفسه ؛ من غير موجد له ؟ ! (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يعشرون) أى لا يعلمون في أى وقت يبعث عبدتهم (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وما فيها من بئ وحساب ، ونعيم وعذاب (قلوبهم منكرو) جاحدة : لا تقبل الوعد ، ولا ينفع معها النصح ؛ لأنهم أصروا على عدم الاستماع ، ولأن الذي لا يؤمن بالآخرة : لا يرجو ثواباً ، ولا يخشى عقاباً (ومستكبرون) عن الاستماع والانتفاع (لاجرم) أى لا بد ولا محالة أن يؤول حالهم إلى ما آله عليه ، وأن تنكر قلوبهم الوعد ، وتأنى الرشد ، وأن يستكبروا عن الإيمان ؛ و (أن الله يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بالستهم وجوارحهم (ولذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) على عهد (قالوا أساطير) أباطيل وأكاذيب (الأولين) الأمم الماضية (ليحملوا أوزارهم) ذنوبهم (ومن أوزار الذين يصلونهم) أى وليحملوا أوزاراً أخرى مع أوزارهم ؛ وهى أوزار الناس الذين تسبوا في إضلالهم (بغير علم) ممن ضلوا بسببهم بأنهم ضلال (الأساء مايزرون) أى بشىء ما يحملونه من ذنوبهم وآثامهم ، وذنوب وآثام غيرهم (قد مكر الذين من قبلهم) كفروا مثل كفرهم ، وأضلوا مثل إضلالهم (فأتى الله بنيانهم) قوضه وخربه (من القواعد) من الأساس ؛ حتى لا تقوم له قائمة بعد (غفر عليهم السقف من فوقهم) أى وهم تحته فهل كوا . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الكلام على حقيقته ؛ وأن المراد به عمرو بن كنان - الذى حاج إبراهيم في ربه - أو جباراً آخر من جابرة =

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَّمْنَا وِبَالنَّجْمِ ۝ ثُمَّ يَهْتَدُونَ ۝
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعْدُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُبْشِرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءَ وَمَا يُبْشِرُونَ أَيْانَ يَعْشُرُونَ ۝ لِلَّهِ كَلِمَةُ
الْوَعْدِ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ۝ لَاجِرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
ۚ إِنَّهُمْ لَأَجِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ
رَبُّكُمْ قَالُوا أَتَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَلِمَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۚ الْأَسَاءَ مَا يَزُرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَغَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ

== النبط (١) أو مختصر ، أو هامان . والذي أراه أن الله تعالى شبه هلاك الأمم المتقدمة واستئصالهم : بمن أقاموا في بيت انهارت أسسه ؛ فخر عليهم سقفه (وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) ولا يتوقعون ؛ وبصبح أن يكون الكلام على حقيقته ؛ إذا أطلق على الأمم المتقدمة : كقري قوم لوط . قال تعالى في وصف تعذيبهم «فجعلنا عاليها سافلها» وذلك بأن أتى قواعدها ؛ بأن زلزل أرضها زلزالا عنيفاً ، ورفعها بما فيها ومن فيها ؛ وجعل عاليها سافلها : فصارت سماؤها أرضاً ، وأرضها سقفاً «فخر عليهم السقف من فوقهم» (ثم يوم القيامة يخزيهم) بذلهم (ويقول أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة ، و (الذين كنتم تتفانون فيهم) أي تعادون وتخاصمون المؤمنين (قال الذين أوتوا العلم) هم الملائكة ، أو الأنبياء ، أو المؤمنون (إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تنوفاهم الملائكة) المولكون بقبض الأرواح ؛ حال كونهم (ظالمى أنفسهم) بالكفر والعصيان ، وتعريضها للعقاب (فألقوا السلم) استسلموا ؛ على خلاف عادتهم في الدنيا من العناد والمكابرة ؛ وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) أنكروا السوء يوم القيامة ؛ وقد انغمسوا فيه طوال حياتهم ؛ فتقول لهم الملائكة (بلى) قد كنتم تعملون السوء وتنشرونه (إن الله عليم بما كنتم تعملون) فجازيكم عليه (فلبئس مثوى المتكبرين) بئس المقام مقامهم (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا) أنزل (خيراً) وصداً ؛ وسوا ما أنزله الله تعالى «خيراً» لأنه قد تسبب لهم في خيري الدنيا والآخرة ؛ فبعت فيهم الطمأنينة في الدنيا ، وهدوء النفس ، وسعادة الروح ؛ وذلك بما أمدهم به من إمخوة إنسانية ، ومن مكارم أخلاق ، ومن تضحية بمصالح الفرد في سبيل المجتمع ، ومن حب للخير ، وحث على الإحسان والبذل ؛ كما أن القرآن الكريم قد تسبب أيضاً في دخول

٣٢٢

الجزء الرابع عشر

فَوْقَهُمْ وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَعْتُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَأِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَأِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ هَلْ

يَنْظُرُونَ

الجنان ، ورضا الرحمن ؛ وهما الأجر الذي أعدّه الله تعالى لمن اتبع قرآنه ، وأطاع نبيه ؛ (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير) مما يناله الإنسان في الدنيا (ولنعيم دار المتقين) الذين يخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ؛ (جنات عدن) جنات الإقامة ؛ من عدن في المكان ؛ إذا أقام فيه (الذين تنوفاهم الملائكة) بقبض أرواحهم (طيبين) مؤمنين ، طاهرين من الكفر (يقولون) أي يقول الملائكة لهم عند الموت (سلام عليكم) وقد ورد أنهم يقولون للمؤمن قبل قبض روحه : ربك يقرئك السلام ؛ فتفرج ==

(١) النبط ؛ بفتح الباء : جيل من الناس يتزلون بالبطائح بين المراقيف «الكوفة والبصرة» .

== أسارىره ، ويضىء وجهه بالابتسام ؛ ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة) أو تقول لهم الملائكة ذلك عند الموت ؛ لأن المؤمن وقتذاك يرى مقعده من الجنة (بما كنتم تعملون . هل ينظرون) أى ما ينتظر الكفار (الا أن تأتيهم الملائكة) ليقبض أرواحهم بالعرف والشدة (أو يأتي أمر ربك) بالعذاب (وما ظلمهم الله) بتعذيبهم (ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون) بكفرهم ، وتعريضها للعقاب (فأصابهم) أى فالتى أصابهم هو (سيئات ماعملوا) أى جزاؤها (وحاق بهم) نزل وأحاط

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) عبت يقولونه ، وباطل يزعمونه: فقد أرسل الله تعالى رسله ، وأمرهم بتبليغ دينه الذى ارتضاه لعباده ، وخلق لهم العقل الذى به يفهمون ما ينفعهم فيقبعونه ، ويدركون ما يضرم فيجتنبونه «وهديناه النجدين» وبعد ذلك قال تعالى «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فهل بعد ذلك عذر لمعتذر ؟ وهل بعد هذا قول لقائل «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء» (ولا حرمانا) البجيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى . وقولهم هذا يحل بين طياته الاستهزاء ، والتحدى ، والسخرية ؛ ولما فهو إيمان مشوب بخصيان ؛ لأنه اعتراف بالله تعالى وقد عبدوا غيره ، وإقرار بمشيئته وقد أنكروا وجوده (كذلك فعل الذين من قبلهم) مثل فعلهم ، واحتجوا بمثل احتجاجهم ، وتناسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم ، وأن جميع ذلك قد كان بحض اختيارهم ؛ بعد أن أنذرتهم رسلهم مغبة أعمالهم ، وحذرتهم غضب ربهم وعقابه ! (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) لإقامة الحججة عليهم (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الشيطان ؛ أو هو كل رأس فى الكفر والضلال ، أو هو كل ما يؤدى إلى الطغيان

(فمنهم من هدى الله) إلى الإيمان (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) باصراره على الكفر ، واستكباره عن الإيمان (وأقسموا بالله جهنم أيمانهم) أى نهاية طاقتهم فى الإيمان (لا يبعث الله من يموت) أى لا يحىيه ثانية للحساب والجزاء (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب)

يَنْظُرُونَ ۖ وَلَا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٢٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَنَحْنُ
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٢٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ ۚ فَهُمْ مِنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٢٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢٧﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَاءٍ وَعَدًا

(لأنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) هو تقرب للأذهان ؛ والحقيقة أنه تعالى لو أراد شيئاً لكان ؛ بغير حاجة للفظ « كن » (لنبوتهم)

٣٢٤

الجزء الرابع عشر

لنسكنهم (في الدنيا حسنة) أى لنبوتهم نبوة حسنة ؛ وهم سكنى المدينة المنورة ؛ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ؛ وأى نبوتهم حسنة أفضل من أن ينزل الإنسان بين من يحب ، وأن يعيش بين الأتهار الأخيار ! (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والإنجيل ؛ عن أرسلنا من قبل محمد (إن كنتم لاتعلمون) عن أرسلنا من قبل : من رسل ؛ ليسوا بالملائكة ، بل رجالا من البشر نوحى إليهم ؛ كما أوحينا إلى رسولكم محمد (بالبينات) الحجج الواضحات (والزبر) الكتب (وأنزلنا إليك) يا محمد (الذكر) القرآن ؛ كما أنزلنا على من قبلك من الرسل (لتبين للناس ما نزل إليهم) فيه : من الحلال والحرام ، والأوامر والنواهي ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى مكروا بالسيئات . والمكر : الاحتيال والمديعة ؛ وقد يقصد بهم الذين يعلنون بالإيمان ؛ وليسوا بمؤمنين ، ويتباهون بالطاعة ؛ وليسوا بطائعين ، ويتظاهرون بالعبادة ؛ وليسوا بعبادين ! أفأمن هؤلاء (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسفها بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من حيث لا يتوقعون ؛ كما فعل بأصحاب الظلة . وقد أمطرهم السحابة نارا ؛ عند توقعهم الماء

عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَابُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبَيِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسُئِلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا زَلَّ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَاهُمْ عَمَجِّزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّنَا

لَرَّءَوْفٌ

والرءاء ! (أو يأخذهم في تقلبهم) في ذهابهم ومحيثهم ، وسفرهم للتجارة (فما هم بمعجزين) الله ، أو فائتين العذاب الذى يريد إنزاله بهم (أو يأخذهم على تخوف) أى حال كونهم خائفين مترقبين متوقعين العذاب

كَرُّهُوفٍ رَحِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَن مَآخِلَقَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَاخِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٩﴾
يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤٠﴾
* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتْلُوا إِلَٰهِيْنَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَإِنِّي فَآرَهُبِينَ ﴿٤١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ
نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٤٣﴾
تُمْ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَجْعَلُونَ

(فان ربكم له وف) بالناس (رحيم) بهم ؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ؛ بل ويعفو عن كثير من ذنوبهم ؛ وعلى
لهم عليهم يرجعوا عن غيهم وبغيهم (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) قائم : بجبل وشجرة ، ونحوهما ؛

بما له ظل متحرك (يتفأ ظلاله) يرجع من موضع
إلى موضع ؛ تبعاً لسير الشمس ؛ فهو في أول
النهار - عند طلوع الشمس - على حال ، وفي
وسطه - عند الزوال - على حال ، وفي آخر
النهار - عند الغروب - على حال أخرى
مغايرة (عن اليمين والشمال) أى عن جانبيهما ؛
بالقدو والآصال (سجداً لله) تسجد له صباحاً
ومساءً ؛ عند شروق الشمس وعند غروبها .
وقيل : ظل كل شيء : سجوده ؛ يسجد
ظل المؤمن طوعاً ، ويسجد ظل الكافر كرهاً
(وهم ذاخرون) صاغرون ، مطيعون (ولله)
يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة
وهي كل ما يدب ديباً (والملائكة) وهم أهل
الملأ الأعلى ، وأعيان المخلوقات ؛ يسجدون
أيضاً (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم ؛
كما يستكبر بعض خثالة البشر عن عبادته تعالى
(وله الدين واسبأ) أى واجباً ثابتاً دائماً (وما
بكم من نعمة) أى نعمة : صغرت أو كبرت ،
قلت أو جلت (فمن الله) هو وحده مصدرها
وهو وحده - جل شأنه - مبدعها ومنشئها ،
والمفضل بها ! أليس هو التفضل بحسن الخلق
وسعة الرزق ؟ وصحة الجسم ، وبرء السقم ؟ !
(ثم إذا مسكم الضر) المرض ، أو الفقر (فأليه)
وحده لا إلى غيره (تجارون) تتضرعون .
والجوار : رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة

(ويجعلون لما لا يعلمون) من الأصنام ؛ أى لا يعلمون أنها آلهة (نصيباً مما رزقناهم) من الأنعام والحراث
« فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » (تالله) قسم فيه معنى التعجب (لتسألن) يوم القيامة (عما كنتم
تفترون) على الله ؛ بنسبة الشريك إليه

(ويجملون لله البنات) كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! (سبحانه) تقدس وتزه (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ولهم ما يشتهون) أى «يجملون لله البنات» ويشنون لأنفسهم الذكران الذين يشتهونهم ؛ (و) ذلك لأنهم (إذا بشر أحدهم بالأنثى) ولدت له (ظل) صار وبقى (وجهه مسوداً) من الحزن والغم الذى اعتراه (وهو كظيم) مملوء حنفاً وغيظاً (يتوارى من القوم) خجلاً (من سوء ما بشر به) مما لا يريده ولا يرغب فيه . ومن عجب أن هذا شأن بعض الجهال والسفهاء

الجزء الرابع عشر

٣٣٦

في هذه الأيام ؛ وقد تكون الأنثى خيراً من الذكر عاقبة ؛ وأتق وأتجب ؛ وما يرسل ربك الإنث إلا بقدر ، ولا يرسل الذكران إلا بسبب « ذلك تقدير العزيز العليم » الذى « كل شئ عنده بمقدار » (أعسك على هون) أى أعسك ذلك المولود الأنثى على ذل وهوان (أم يدسه فى التراب) وهو الرأد . وقد كانوا يدفنونهن أحياء ؛ خشية ما يتوهمنه من عار وفقر غير محققين (انظر آية ٨ من سورة التكاوير) (ألا ساء ما يحكمون) أى ساء هذا الحكم الذى يحكمونه ، على شئ لا يطمونه ! وهم بفعلهم هذا لا يؤمنون بالآخرة ؛ ولو آمنوا بها : ما فعلوا فعلتهم هذه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أى صفة السوء : وهو الجهل ، والكفر ! (انظر مبحث التطليل بآخر الكتاب) (وهه المثل الأعلى) الصفة العليا ، والمثل الكاملة ؛ التى لا يتصف بها المخلوقون : فانصافه تعالى بالعلم والكرم ؛ ليس كاتصاف سائر البشر بها ؛ إذ أن علم البشر وكرمهم محدودان . وعلمه تعالى وكرمه لا يحد . وانصافه جل شأنه بالكبرياء والجبروت ؛ ليس ككبرياء البشر وجبروتهم ؛ إذ أن تكبرهم وتجبهم منموم مؤاخذ عليه ، وكبرياؤه تعالى وجبروته : لازمة من لوازم ربوبيته ووحدانيته ، فاذا

لِلَّهِ الْبَلَلَتْ سُبْحَتَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٣٣٦﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٣٣٧﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِيهِ سَاهِينَ ﴿٣٣٨﴾ هَؤُلَاءِ أَمْ يَسْتُرُونَ عَلَى التُّرَابِ ۚ أَلَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٣٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٤٠﴾ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآئَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً ۚ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٣٤٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ اتَّخَذُوا عُشَاجًا لَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ هُمْ أَتَقَرَّبُونَ ۚ وَمَا أُنزِلَتْ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى

وَرَحْمَةً

ما استطاع إنسان أن يفهم السكالم الإلهى حق الفهم : لإزداد بالله معرفة ، ومنه قربا ! والتعرف إليه تعالى يحتاج إلى استعداد مخصوص : فكلمة ازداد تمسك المارف بالله بأهداب الفضائل الإنسانية ؛ التى أمر بها الجمع ، وحث عليها الدين : فما حبه لله ، وأحبه الله !

ولانه مما لا شك فيه أن الإنسان الكريم : أحسن فهما ، وأصدق عبادة ، وأرق قلباً من البخيل . وكذلك الإنسان الرحيم : أشد خوفاً لله من القاسى . والصبور : أكثر إيماناً من الأحق النافذ الصبر . والعالم : أشد معرفة من الجاهل .

وهكذا كلما ازداد الإنسان تعلقاً بالفضائل والمثل العليا : كان أكثر محبة لله ، وأكبر معرفة به ، =

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢﴾ وَإِن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكَّرَ فِيهَا فَمَا يَخْلُقُ اللَّهُ فَمَا يَبْقَىٰ ﴿٣﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

وأشد قرباً منه ! وأمكنه بواسطة هذه الطاقات والإمكانات أن يتذوق الحب الإلهي ! ويستشعر ما أعده الله تعالى له من نعيم مقيم ؛ فيظل طوال حياته سعيداً بأبعانه ، سعيداً بقربه ، سعيداً بحبه ! لأنه علم علم اليقين : أن « الله المثل الأعلى » وأنه جل شأنه : الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القادر المقدر ، الجبار المتكبر ، الخالق الرازق ، المعطي المسارع ، الحافض الرافع ؛ الذي لا إله إلا هو « وهو العزيز » في ملكه ، الغالب الذي لا يغب « الحكيم » في خلقه ؛ المدبر لأمرهم « ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم » بكفرهم ، ونفسهم ، وعدوانهم « ماترك عليها من دابة » وهي كل ما يدب على الأرض : من إنسان ، وحيوان ، وغيرهما « ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » وهو انتهاء أجلهم « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة » المراد بالساعة هنا : أى زمن ؛ طال أو قصر « ولا يستقدمون » ساعة « ويجعلون لله ما يكبرون » بزعمهم أن اللاتكة بنات الله « وتصف ألسنتهم الكذب » بقوله وتشيعه ؛ يزعمون « أن لهم الحسنى » الجنة . ومن ذلك قولهم « ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى » « لا جرم » لا بد ولا محالة « أن لهم النار » لا الجنة كما يزعمون « وأنهم مفطرون » مهملون يوم القيامة ؛ لا بعبادهم ، مزدكون من رحمة الله تعالى ومغفرة ! قال تعالى « اليوم ننسأكم كما ننسى لقاء يومكم هذا » « نالقه » قسم فيه معنى التعجب « لقد أرسلنا » رسلنا « إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم » كفرهم ؛ فلم يؤمنوا برسالهم ، كما لم يؤمن قومك بك « فهو وليهم اليوم » أى متولى أمورهم في الدنيا ؛ يسوق لهم فيها ما يشتهرون . أو المراد باليوم : يوم القيامة ؛ أى هو متولى أمورهم فيه ؛ ولما كان الشيطان عاجزاً عن إغواء نفسه فيه ؛ فهو عن إغواء غيره أجهز « فأخبا به الأرض » بالإنبات « بعد موتها » بالجدب « وإن لكم في الأنعام » الإبل والبقر

والغنم « لعبرة » لظة واعتبار « نسقيكم مما في بطونه من بين فرث » وهو ما يحتويه الكرش « ودم » وهو ما يجري في المروق « لبناً خالصاً » من الشوائب ؛ لم يخلط بالفرث ، ولم يؤثر فيه الدم « سائفاً للشاريين » سهل المرور في حلقهم ؛ لا يفسد به شاربهُ أبداً « ومن ثمرات النخيل والأعناب » انظر آية ١٦٦ من سورة البقرة « يتخذون منه سكرًا » خراً ؛ نزلت قبل تحريمها . وقيل : السكر : الخل . « وورزقا حسناً » كالبخ الجف ، والزبيب ، وما شاكلهما . والمعنى : لقد أنعم الله تعالى عليكم بثمرات النخيل والأعناب ؛ فاتخذتم منه ما حرم الله عليكم - اعتداءً منكم - وطعمتم منه جلالاً طيباً ؛ فكيف تقولون أنعم الله تعالى عليكم بها ، وتستبدلون شكره كفرًا ١٩ « وأوحى ربك إلى النحل » وحى إلهام ؛ أى ألهمه « ومما يعرشون »

= أى ومما تبنيه الناس من الخلايا ؛ لأن العرش : يطلق على عرش الطائر (فاسلكى تسبل) طرق (ربك) التى رسمها لك ، وأهلك باتباعها (ذلال) سهلة مذلة (يفرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف ألوانه) اختلافاً كثيراً ؛ يرجع إلى عوامل عدة ؛ منها : نوع النحل ، وما يطعمه من رحيق الأزهار والفاكهة ، وزمن الإنتاج ، وغير ذلك (فيه شفاء للناس) فقد ثبت بالتجربة أنه دواء نافع ، وعلاج ناجح لكثير من الأدوية الفتاكه ؛ ويفسده شرب الماء عقبه . وقد أثبت الطب الحديث : أن العسل يحوى مقداراً كبيراً من الجلوكوز . والجلوكوز هذا قد أصبح سلاحاً للطبيب فى كثير من الحالات ؛ والعسل : شفاء فعال للضعف العام ، والتسمم ، وأحماض الكبد ، والاضطرابات المعوية ، والالتهاب الرئوى ، والذئبة الصدرية ، وسائر أنواع الحميات ، واحتقان المخ ، وضعف القلب ، والحصى ؛ وغير ذلك من الأمراض المستعصية ؛ فسبحان من أودع فيه كل هذه الخواص ، ونهبها للاستفاد بها (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) (ومنكم من يردلى أردل العسر) أردته ؛ وهو الكبر ، المؤدى إلى الهرم والخرف (لكى لا يعلم بعد علم شيئاً) أى لينسى ما علمه ، أو لعدم استطاعته الفهم : لنحوه . قال عكرمة : من قرأ القرآن : لم يصر بهذه الحالة (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فجعل منكم الأغنياء والفقراء ، والسادة والعبيد (فا الذين فضلوا) وهم السادة (برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم) أى ليسوا برازق عبيدهم ومواليهم (فهم فيه سواء) أى فالسادة ومواليهم فى الرزق سواء ؛ لأن الله تعالى هو الرزاق للجميع : يرزق السيد برزق عبيده ! وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطعم خادمه مما يطعم ، ويلبسه مما يلبس ، ويقول : «فا الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء» (أنعمت

٣٣٨

الجزء الرابع عشر

عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ قَبْلَ الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبَلِغَ اللَّهُ يَجْعَلُونَ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِنْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۖ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۖ فَلَا تَقْرُبُوا اللَّهَ أَتَأْتُمُوهُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رِزْقِ اللَّهِ مَنًّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ أَحْمَدُ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْسَرُ يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وهو

الله) وفضله عليهم (يجحدون) ينكرونها ، فيتهمون أنهم رازقوا عبيدهم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة : أبناء الأبناء . وقيل : هم الأصهار ، وقيل : هم بنو الزوجة . من رجل آخر (أفبالباطل يؤمنون) أى بالأصنام ، وبأنها تشفع لهم (وبنعمت الله) الإسلام (هم يكفرون) أو بأنعمه التوالية عليهم فى كل وقت وحين (ضرب الله مثلا) له وللأصنام ، أو للمؤمن والكافر (عبدا مملوكا) حقيرا (لا يقدر على شئ) لا يملك شيئاً ، ولا يستطيع التصرف فى شئ (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) حالاً طيباً (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أو هو مثل البخل - عبد المال وأسيره ومملوكه - والكريم المنفق (وضرب الله مثلا) آخر ؛ للمؤمن والكافر ، أوله تعالى وللأصنام (رجلين أحدهما أبكم) أخرس : لا ينطق =

= (لا يقدر على شيء) فلا ينطق بكلمة التوحيد ، أو لا بأمر معروف ولا ينهى عن منكر (وهو كل) حالة (على مولاه) على سيده (أي بأمره) سيده لقضاء مصلحة ، أو لدفع ضرر عن نفسه (لا يأت بخير) يعود عليه (هل يستوى) هذا الأبكم العاجز المالة (هو ومن) يرى ويسمع وينطق ، و (بأمر) الناس (بالعدل) وينهاهم عن المنكر (وهو على صراط مستقيم) طريق سوى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) كطرفة العين (أو هو أقرب) من ذلك ؛

لأن أمر الساعة يكون بلفظ «كن» (والله) أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) فاعلمكم كل ما تحتاجون إليه «علم الإنسان مالم يعلم» (وجعل لكم السمع) التي تسمعون به ؛ ولا تعلمون كنهه (والأبصار) التي تبصرون بها ؛ ولا تدرون ماهيتها (والأفئدة) القلوب التي تفقهون بها (لعلكم تشكرون) الله تعالى على أنعمه التي لا تعد ، ولا تحصى (ما يسكنهن) في الهواء أن يقعن على الأرض (إلا الله) فهو تعالى مسخر الهواء الذي يسبح فيه الطير ، وهو الذي ألهمه وعلمه كيف يقبض أجنته ويبسطها (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) موضع سكون وراحة (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) هي الخيام والقباب والمظلات (تستخفونها) تحملونها بسهولة لحقتها (يوم ظفئكم) سفيركم (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثناً) هو متاع البيت (ومناجاً) كل ما يتمتع به ؛ كاللبسط ، والأكسية ، وشبههما (إلى حين) تبلى ، أو إلى حين تموتون (والله جعل لكم ما خلق ظلالاً) من البيوت والشجر (وجعل لكم من الجبال أكناناً) الكن : ما يستر ؛ من كهف وغار ونحوهما (وجعل لكم سرايل) ثياباً ؛ واحدها سرايل : كسراويل وسروال (تفكم الحر) فيه تعالى إلى أن اللباس ؛ كما أنه يمنع أذى البرد : فانه يمنع أذى الحر أيضاً (وسرايل تفكم بأسمكم) ومي الدروع والزرذ من الحديد ؛ ترد عنكم سلاح عدوكم (فان تولوا) أعرضوا عن الإيمان

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةَ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَاللَّهُ أَتْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَفَأْتُمْ بِهَا وَبِئْسَ لِلْفَاقِمْ قَوَامًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
وَأَشْعَارَهَا أَثْنًا وَمَنْعًا إِلَى حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ
يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

(فإنما عليك البلاغ) إبلاغ ما أنزلته عليك
إليهم (المبين) الواضح؛ المنصب لكل شك،
الدافع لكل ريب! (يعرفون نعمة الله) محمداً
عليه الصلاة والسلام؛ لأنه وارد في كتبهم،
بشرت به أنبياءهم (ثم ينكرونها) بكذبيه،
وعدم الإيمان به. أو «يعرفون نعمة الله»
التي عددها وبينها في هذه السورة وغيرها
من السور «ثم ينكرونها» بترك الشكر عليها،
أو يعرفونها في الشدة، وينكرونها في الرخاء،
أو يعرفونها بقلوبهم، ويحقدونها بألسنتهم؛
ونظيره قوله تعالى «وجدوا بها واستيقنتها
أنفسهم» (ويوم نبئ في كل أمة شهيداً)
يوم القيامة: وهو نبيها؛ يشهد لها أو عليها
(ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الكلام أو
الاعتذار (ولام يستعيبون) أي ولا يمايئون؛
لأن العتاب لا يكون إلا بين الأحباء؛ وهو
نعمة حرم الله تعالى على الكافرين نيلها!
(ولام ينظرون) لا يمهلون (وإذا رأى الذين
أشركوا شركاءهم) الذين كانوا يعبدونهم:
من الشياطين والأصنام وغيرها (فألقوا إليهم
القول) أي قال المعبودون للمعبدين (إنكم
لكاذبون) بنطقهم الله تعالى «الذي أنطق

عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٣٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبِّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤١﴾ وَأَلْقُوا إِلَى
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٢﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا
عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٤٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَمَلِ

كل شيء» زيادة في خزي المشركين وفضيحتهم وهوانهم (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي استسلموا لحكمه:
المعبد والمعبود (وضل عنهم) غاب عنهم (ما كانوا يفترون) من الأرباب التي كانوا لها عابدين (الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله) منوا الناس عن دينه (ويوم نبئ في كل أمة شهيداً عليهم) هو نبيهم
(وجئنا بك) يا محمد (شهيذاً على هؤلاء) على قومك، أو على جميع الخلق (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً
لكل شيء) بياناً لكل ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم. ونظيره قوله تعالى «ما فرطنا في الكتاب من شيء»

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) والعدل : يتناول القول ، والفعل ، والإشارة ؛ بل يتناول كل المعاملات في شتى صورها ، والعدل : جامع الفضائل كلها ؛ فن جعل العدل ديدنه : أحاطه الحب من كل جانب ، وصار في عداد الأبرار ، الأخيار ، الأطهار ! قال تعالى «اعدلوا هو أقرب للتقوى» .

ولما كان العدل قرين الإحسان ، والإحسان : هو صلب العدل وأساسه ؛ أمر الله تعالى به أيضاً فقال «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» والإحسان : يشمل كل خير يصل إلى الإنسان والحيوان ، وهو أيضاً يشمل الأقوال والأفعال .

٣٣١

سورة النحل

ولما كان العدل والإحسان لا يتان إلا بصلة ذى القرنى قال تعالى ﴿وليتاء ذى القرنى﴾ وهو صلة الرحم ، أو هو كل قريب منك : في النسب ، أو الجوار ؛ ووصلهم : بأن ير فقيرهم ، ويزور غنيهم ، ويعود مريضهم ، ويشيع موتاهم ، متحجباً إليهم لذاتهم وقربهم ؛ لا لمالهم وجاههم !

لما أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وبر الأقرباء ؛ نهى عن أشداد هذه الصفات ؛ فقال جل شأنه ﴿ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ والفحشاء : كل قبيح من قول أو فعل ، أو هو الزنا «والمنكر» كل ما ينكره الشرع والعرف والذوق السليم ؛ وهو شامل لجميع المعاصي ، والرذائل ، والدناءات ؛ «والبغى» الظلم ، والكبر ، والاعتداء ؛ وهو لإجالات تجاوز الحد ﴿وأوفوا بعهدي﴾ إذا عاهدتم الناس ؛ سمي الله تعالى العهود ، والعقود ، والمواثيق : عهداً معه جل شأنه . (انظر آيتي ١ من سورة المائدة ، و٧٢ من سورة الأفعال) (ولا تنقضوا الأيمان) أى لا تحتثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها (بعد توكيدها) بعد إبرامها مع الغير ، وبعد أن ترتبت لذلك الغير حقوق والتزامات في أعناقكم

(وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى شاهداً ورقياً ، أو متكفلاً بالوفاء ؛ حيث حلقتم به ﴿ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة﴾ أى كالمرأة التي أفسدت غزلها من بعد أن نعت فيه وأحكمتها (أنكافاً) أنقاضاً . وهو ما ينكت فتلته : أى يحمل نسجه (تخونون أيمانكم دخلاً بينكم) أى خديعة وفساداً ، وتفرياً بالخلاف له ؛ ليطعنن إليكم ؛ وأنتم مضربون له الغدر وترك الوفاء . والدخل : ما يدخل في الشيء فيفسده ؛ لأنه ليس منه (أن تكون أمة هي أربى) أتمى وأكثر وأقوى (من أمة) فتتقضون العهود ، وتحتثون في الأيمان : مرضاة للأمة الأقوى (إنما يلوكم الله به) يختبركم بالوفاء بالعهود والأيمان (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) بطريق القسر والجبر (ولكن يضل) الله تعالى (من يشاء) لإضلاله ؛ بعد أن يمرض =

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْنَيْنِ وَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُظَكِّرْكَ لْعَهْدِكَ تَذَكُّرُونَ ﴿٣٣١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٣٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَسَتْ فَوَلَّجُوا آيْمَانَهُمْ دَخَلًا يَنسَكُرُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْهَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ ﴿٣٣٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مِنْ بَشَرَةٍ وَيَهْدِي مِنْ رَبِّكَ وَلَتَسْلُطَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْضِكُمْ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٣٣٥﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ

== عليه الإيمان فيأباه ، ويسلكه في قلبه فيرفضه ، ويسوق له الدليل تلو الدليل على ألوهيته ووحديته ؛ فيزداد تمسكا بما كان عليه أباه وأجداده (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرهه تعالى للتأکید . أى لا تجعلوها للنفس والخذاع (فترل قدم) أى ترل أقدام الخالفين عن حجة الصواب . وعن طريق الإسلام ، الذى رسمه الله تعالى للأنام (بعد نبوتها) استقامتها وهدايتها (وتتوقوا سوءه) هو فى الدنيا ما يلقاه الكاذب من ازدراء الناس له ، وكراهتهم لقياءه ومعاملته ، وانصرافهم عن صحبتة (بما صددتم عن سبيل

الحق)

٣٣٢

الله) أى بصدمكم عن الوفاء بالعهد والعقد ، أو بصدمكم الناس عن الوفاء لاقتدائهم بكم ، واتباعهم سننكم (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم) شديد أليم (ولا تشتروا) لاستبدلوا (بمهد الله) أو امره ونواهيته ، أو ما عاقدتم الناس عليه (عنا قليلا) بأن تقضوه من أجل قليل المال ؛ الذى تأكلونه سحتاً وحراماً ؛ وهو قليل - وإن كثر - لانعدام بركتته ، وكثرة إثمته (إن ما عند الله) من الثواب والأجر (هو خير لكم) من الدنيا وما فيها (ما عندكم) من مال - حلال أو حرام - كثير أو قليل (ينفذ) ينفذ ؛ لأن ما له لى الزوال ؛ ولو من أيديكم لأبدى غيركم (وما عند الله باق) دائم ، لا يزول ولا ينقطع (ولنجزي الذين صبروا) على الطاعات ، وعن المصاعب ، وعلى الوفاء بالعهود والعقود ، وصبروا على ما أصابهم من المحن . لنجزيهم (أجرهم) نوابهم على ذلك فى الدنيا بالحب والود والذكر الحسن ، وفى الآخرة بالنعيم القيم (بأحسن ما كانوا يعملون) أى لأن جزاءهم سيكون خيراً من عملهم وأحسن منه ؛ ولا بدع فهو جزاء الملك الكريم الرحيم ! (فلنجينه حياة طيبة) فى الدنيا . والمراد بطيب الحياة : هدوء البال ، وانتسراح الصدر ! (انظر آية ١٢٤ من سورة طه) (ولنجزيهم) فى الآخرة (بأحسن ما كانوا

الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٣٣٢﴾ مَا عِنْدَ كُرْ يَنْفَذُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣٤﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٣٥﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٣٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُكُمْ
عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٣٧﴾ وَإِذَا
بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣٨﴾ قُلْ تَزَلَّهُمُ
رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣٩﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُدْعِيَ الَّذِينَ يَلْبُدُونَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ

وَهَذَا

يعملون) أى جزاء خيراً مما عملوا ! (فإذا قرأت القرآن) أى أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشياطين الرجيم) وهو دليل على وجوب الاستعاذة قبل القراءة ؛ وذهب الأكثرون إلى أنها غير واجبة ، بل مندوبة . ودليل الوجوب أقوى : فقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : أن جبريل عليه الصلاة والسلام أقرأه له «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعيز قبل القراءة فى الصلاة ؛ وعلى ذلك كثير من الصحابة والتابعين (إنه ليس له سلطان) قدرة وتسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فى سائر أمورهم (لأنما سلطانهم) تسلطه وإغواؤه (على الذين يتولونه) يعطيونه فيما يوسوس لإيهم به ؛ مما يخالف ما جاء به الرسل . يقال : توليته ؛ إذا أطعته ، وتوليت عنه ؛ =

وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَقْتَرِي
 الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْكَافِرُونَ ۝ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا
 مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ
 بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝
 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتَسْمِعُهُمْ
 وَأَبْصَرُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ثُمَّ جَاءَهُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
 بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

= إذا أعرضت (والذين هم به مشركون) أى بربههم (ولإذا بدلنا آية مكان آية) أى شريعة مكان أخرى ؛
 أو حكماً مكان آخر ، أو نسخنا آية ، وأنزلنا غيرها مكانها ؛ لمصلحة العباد (قالوا إنما أنت مفرط) مختلق ؛
 بدليل إتيانك بشريعة أو حكم ؛ غير ما عرفنا من الشرائع والأحكام ، أو آية غير ما جئت به من الآيات
 (قل نزله) أى نزل هذا القرآن الذى تنكرونه ، وتنسبون إلى افتراءه (روح القدس) جبريل عليه الصلاة
 والسلام (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من الحجج الظاهرات ، والآيات البينات (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
 يعلمه) أى إنما يعلمه محمد القرآن (بشر) زعموا
 - لعنهم الله تعالى - أن غلام الفاكه بن المغيرة
 - وكان نصرانياً وأسلم - كان يعلم محمد
 ما يقوله للناس زاعماً أنه قرآن منزل من عند
 الله ! فرد الله تعالى عليهم بقوله (لسان الذى
 يلحدون إليه) أى يملون بالقول إليه ويقصدونه
 بزعمهم (أعجمي) لا يكاد بين (وهذا)
 القرآن (لسان عربى مبين) ؛ واضح فصيح ؛
 فكيف يعلمه أعجمي ؟ ! (إن الذين لا يؤمنون
 بآيات الله) حججه وبراهينه ، أو المراد :
 قرآنه (لا يهديهم الله) سبيل الرشاد في
 الدنيا ؛ بل يضلهم ولا يوفقهم لإصابة الحق
 عقوبة لهم (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء)
 (إنما يفترى الكذب) أى ليس محمد بمفتر
 ولا كاذب ؛ وإنما المقترون هم (الذين
 لا يؤمنون بآيات الله) ويقولون «إنما يعلمه
 بشر» (وأولئك هم الكاذبون) بقالتهم
 هذه ، واقترائهم هذا ! (إلا من أكره) على
 الكفر : بالسيف والبنى ؛ فله أن يتظاهره :
 اتقاء الموت والعذاب (وقلبه مطمئن بالإيمان)
 لا يعتريه أدنى شك أو ارتياب (ولكن
 من شرح بالكفر صدراً) وطابت به نفسه ،
 واتسع له صدره (فعليهم غضب من الله ولهم
 عذاب عظيم) بالغ الإيلام (ذلك) العذاب
 (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروها
 وفضلوها (على الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم ! (أولئك الذين طبع الله) غطى وحم (على قلوبهم) فلا
 يفهمون الحق (وسمعه) فلا يسمعون النصح (وأبصارهم) فلا يبصرون الهدى (لا جرم) لا بد ولا محالة
 (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) لأنهم لم يعملوا لها (ثم إن ربك للذين هاجروا) مع الرسول عليه الصلاة
 والسلام إلى المدينة (من بعد ما فتنوا) أودوا وعذبوا (ثم جاهدوا) المشركين (وَصَبَرُوا) على الطاعة ،
 وعن المعصية (إن ربك من بعدها) أى بعد هذه الأعمال الصالحات ، أو بعد الفتنة (لغفور) لهم (رحيم)
 بهم (يوم تأتي كل نفس)

يوم القيامة

(تجادل) تحتاج (عن نفسها) لايهما غيرها ؛ يوم «لا يجرى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً» (وتوفى كل نفس ما عملت) أى تعطى جزاء أعمالها (وضرب الله مثلاً قرية) فى مكة المكرمة ؛ والمراد أهلها (كانت آمنة مطمئنة) من أن يغير عليها أحد ، أو يعلن العداء لأهلها (يأتونها رزقها رغداً)

البقرة الرابع عشر

٣٣٤

واسعاً . قال تعالى «يجبى إليه ثمرات كل شئ» (فكفرت بأنعم الله) أى لم تشكره على ما آتاهها من خير ، وما وهبها الله من رزق (انظر آية ٧ من سورة إبراهيم) (فأذاقها الله) أى أذاق أهلها (لباس الجوع) دعا عليهم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسفي يوسف» فابتلاه الله تعالى بالقطع سبع سنين ؛ حتى أكلوا الظام والجيف (و) أذاقها الله تعالى أيضاً لباس (الخوف) فكانت سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تطيف بهم ليلاً ونهاراً . ووصف الله تعالى الجوع والخوف باللباس : لأنهما خاطبا أجسامهم مخالطة اللباس (عما كانوا يصنعون) أى بسبب ما صنعوا من المعاصى . وقيل : هذا المثل مضروب لكل قرية هذه صفتها ، وتلك حالها ؛ وذهب بعضهم لى أن المراد بالقرية : المدينة المنورة ؛ وليس بشئ (واقعد جاءهم رسول منهم) هو خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام (إنما حرم) الله (عليكم الميتة والدم) المسفوح (وما أهل لغير الله به) أى ما ذبح على النصب ، وما ذكر اسم غير الله تعالى عليه (فن اضطر) لى تناول شئ من هذه الحرمات ؛ خشية هلاك محقق (غير باغ) على المسلمين (ولا عاد) معتد عليهم . أو «غير

مُجَدِّلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٣٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣٣٦﴾ فَكَلَّأْنَا رِزْقَهُمْ لَخَلَالِ طَبْعٍ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٣٧﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣٨﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٣٣٩﴾ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٤٠﴾

وَعَلَى

باغ» فى أكلها ؛ بأن يأكلها مستطيئاً لها ، مثلهذا تناولها «ولا عاد» باستيفاء الأكل لى حد الشبع ؛ بل يتناول منها ما يسد رمقه ، ويعتق تلقه (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أى لما تصف من الكذب (هذا حلال) وهو ليس بحلال (وهذا حرام) لما ليس بحرام (متاع قليل) فى الدنيا لهؤلاء الكاذبين المقتربين (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم .

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٥﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٨﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَأَنزَلْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ
اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢١﴾
أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِّهِمْ بِالْبَاطِلِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

(وعلى الذين هادوا) اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في قوله تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر» (انظر آية ١٤٦ من سورة الأنعام) (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بجهل (ثم تابوا من بعد ذلك) (وأسلحوا) أعمالهم ؛ فلم يقموا فيها وقعوا فيه من قبل (إن ربك من بعدها) أى من بعد توبتهم (لغفور) لذنوبهم (رحيم) بهم (إن إبراهيم كان أمة) إماماً ؛ والأمة: الرجل الجامع للخير والفضائل (قانتاً) مطيعاً عابداً (حنيفاً) ماثلاً للإسلام (شاكراً لأنعمه) أى مقدراً لأنعم الله تعالى عليه . وأولى هذه الأنعم : الإسلام (اجتياه) اختاره مولاه واصطفاه (وهده إلى صراط مستقيم) طريق قوم ؛ وهو الإسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) النبوة ، والثناء الحسن ، والذرية المباركة - ونأهيك بمن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نسله - وآناه الله تعالى أيضاً تخليد اسمه والصلاة عليه في كل صلاة ؛ مقروناً اسمه باسم سيد الخلق عليهما الصلاة والسلام (ثم أوحينا إليك) يا محمد (أن اتبع ملة إبراهيم) وذلك لأنها أصل الملة الحنيفية (إنما جعل السبت) أى فرض تعظيم يوم السبت (على الذين اختلفوا فيه) روى أن موسى عليه السلام طلب من بنى إسرائيل أن يفرّدوا يوماً للعبادة ، وأن يكون ذلك اليوم يوم الجمعة ؛ فأبى أكثرهم إلا يوم السبت ، وارتضى الأقلون يوم الجمعة (ادع إلى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) القرآن (والموعظة الحسنة) القول الرفيق الرقيق ، الذى ينفذ في القلوب ، ويحب إلى النفوس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أى بالرفق واللين ؛ وإذا كان الكفار يجادلون بالرفق واللين ؛ فما بالك بالمومنين الموحدين ؟!

(وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) ليس
أبي جازي أن أقتل أباه ، ومن سمع أبي جازي
لي أن أسمع إبله ؛ بل المراد: معاقبة الآثم نفسه
بمثل إثمه ؛ فإن قتل : قتل . وإن ألحق بالغير
غرمًا : غرم بغرم مماثل لما ألحقه بالآخرين
(ولئن صبرتم) عن الإثقام والمعاقبة (لهو خير
للسابرين) في الدنيا بترك الخزازات ، ومنع
التأثر والبغضاء الكامنة في النفوس ؛ وفي
الآخرة بما أعد الله تعالى للصابرين من
جزيل الأجر ، وواسع المغفرة ! (واصبر)
يا محمد على أذى قومك (وما صبرك إلا بالله)
بعموته وتوفيقه .

(سورة الإسراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) تنزيه له تعالى من كل نقص ؛
ولا يجوز أن ينزه به غيره من المخلوقين ؛
وهي كلمة تدل على نهاية التنزيه ، وغاية التقديس ؛
وهي من السبح : بمعنى التعظيم والإعلاء .
أى أنزه الله تعالى عن النقائص ، وأبعد
صفات المخلوقين ، وأجله عما وصفه الكافرون ،
وافترأه عليه المكذبون الضالون ! (الذي
أسرى) الإسراء : السير ليلًا (بعبد) قال
تعالى «بعبد» ولم يقل بنبيه ، أو برسوله ؛

لأن صفة العبودية : هي غاية الغايات ، وأشرف النعوت والصفات ؛ يبتغيها العارفون ، ويتمناها المخلصون !
(إلى المسجد الأقصى) بيت المقدس ؛ وقد كان التوجه إليه في الصلاة قبل تحويل القبلة (الذي باركنا حوله)
يريد بركات الدين والدنيا ؛ لأنه كان مهبط الوحي ، ومتعبد الأنبياء عليهم السلام (إنه) أى النبي صلوات
الله تعالى وسلامه عليه (هو السميع) لأوامرهم ، المبلغ لها ، العامل بها (البصير) المتبصر في ملكوتي ،
المعتبر بآياتي ، التدبر في عظمتي وجبروتي ! أو الضمير عائذ الله تعالى ؛ فهو جل شأنه سميع لكل المسوعات ،
بصير بكل البصرات ! ويأخذ بالرأى الأول المتصوفة ؛ أما أرباب الكلام فلا يرون إلا القول الثاني

الجزء الخامس عشر

٣٣٦

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۖ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُرِفْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ۖ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۚ

(١٧) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ مَكْنِيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٦ وَ ٢٢ وَ ٢٣ وَ ٢٧ وَ ٢٨ وَ ٢٩ إِلَى غَايَةِ
آيَةِ ٨٠ فَدُنِيَّةٌ وَأَيَّامُهَا ١١ نَزَلَتْ بِمَدَنِيَّةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي

وَصِيْلًا

(وقضينا إلى بني إسرائيل) إليهم وحياً مقضياً أوجياً (في الكتاب) التوراة (لتفسدن في الأرض) بالمعاصي (مرتين) أولاهما: قتل زكرياء . وحبس أرمياء عليهما السلام ، والأخرى : قتل يحيى ، وقصد قتل عيسى عليهما السلام . (ولعلن علواً كبيراً) تبفون بئياً عظيماً ؛ وأى بغي أشد من قتل خيرة خلق الله تعالى ، والداعين إلى دينه الحق ؟ (فإذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتي الفساد ؛ المشار إليهما بقوله تعالى «لتفسدن في الأرض مرتين» (بعثنا عليكم عبداً لنا) هم أهل بابل (١) ؛ وكان عليهم مختصر (٢) . وقيل : جالوت (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش .

٢٣٧

سورة الإسراء

وَكَيْلًا ۝ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَلَنَّا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ لِّجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَلَكْرَّةً عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ ۝ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِن عُذْتُمْ مِنَّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝ ۝ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ ۝ وَأَنَّ

قيل : في المرة الأولى جاءت جند من فارس متكرون ؛ يتجسسون أخبارهم ، ويعلمون مواطن ضعفهم ؛ لذا قال تعالى (فجاسوا) أى تجسسوا ، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء ، والتردد خلال الدور والبيوت في الفارة (ثم ردنا لكم الكرة عليهم) أعدنا لكم القوة والغلبة ؛ حين تبهم وأنبهم . قيل : كان ذلك بقتل داود جالوت (وجعلناكم أكثر نفيراً) عشرة وعدداً (إن أحسنتم) أعمالكم (أحسنتم لأنفسكم) لأث ثواب احسانكم عائد إليهما (ولم أسأتم فلها) أى فلا أنفسكم عقوبة لئساءتكم (فإذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة في الفساد الذى تقومون به في الأرض ؛ وكان ذلك بقتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام (ليسوا وجوهكم) أى بعثناهم «ليسوا وجوهكم» وإساءة الوجه : ظهور الخزن والأسى عليه . والمراد : ليخزنكم بالقتل والأسر والسي . وقد يراد بـ«وجوهكم» : أشرافكم وساداتكم ؛ وهو أبلغ في الهوان والإذلال (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس : دخلوه فاتحين غزوه (كما دخلوه) وخرابه (أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهوا) أى يهلكوا كل شيء استولوا عليه (وإن عدتم) إلى الكفران والعصيان (عدنا) إلى العقوبة

والإذلال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) من التضيق والمصر . أى محبساً وسجنأ ، أو فراشاً يتقلبون عليه (إن هذا القرآن يهدي للذي هي أقوم) أى للطريقة التى هي أصوب وأعدل

(١) يابل : موضع بالعراق ؛ إليه ينسب السحر والسحرة .

(٢) مختصر : ملك البابليين «عام ٦٠٧ قبل الميلاد» نزع بلاد الموصل ، وهاجم الإسرائيليين ، وأخذ منهم أقاليم سوريا ، وأخذ من فلسطين الجزية ، وبعد ذلك أسر من اليهود خلقاً كثيراً منهم جماعة من رؤسائهم وأخبارهم ، ونهب بيت المقدس .

(أَعْتَدْنَا) أَعَدَدْنَا وَهَيَأْنَا (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) أَيْ يَطْلُبُ النِّفْعَ الْعَاجِلَ وَإِنْ قُلَّ ؛ بِالضَّرَرِ الْأَجَلَ وَإِنْ جَلَّ ! أَوْ يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ إِذَا حُلَّ بِهِ ضَرَرٌ ؛ كَمَا يَدْعُو بِالْخَيْرِ (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) دَالَتَيْنِ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا (فَنُحَوِّنَا آيَةَ اللَّيْلِ) طَمَسْنَا نُورَهَا بِالظُّلَامِ ؛ وَفِي هَذَا الطَّمَسِ آيَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً) أَيْ يَبْصُرُ بِهَا وَفِيهَا (لَتَبْتَغُوا) تَطْلُبُوا (فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) رِزْقاً بِالسَّمِيِّ فِيهِ وَالْعَمَلِ وَالْإِتِّجَارِ (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ) لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَيْلٌ وَنَهَارٌ ؛ لَمَا عَرَفْتِ الْأَيَّامَ ، وَأُحْصِيَتْ الْأَعْوَامُ (وَكُلُّ شَيْءٍ) تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِكُمْ (فَصَلَاتُهُ تَفْصِيلاً) بَيْنَهُمَا تَبْيِيناً (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقِبِهِ) طَائِرُ الْإِنْسَانِ : عَمَلُهُ الَّذِي عَمَلُهُ فِي دِينِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ؛ أَيْ أَنْ جَزَاءُ عَمَلِهِ مَلَاظِمٌ لَهُ مَلَاظِمَةُ الْقَلَادَةِ لِلْعِقْلِ (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً) قَدْ كُتِبَ فِيهِ سَائِرُ مَا عَمِلَ فِي دِينِهِ «أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُصِّوهُ» (يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) مَبْسُوطاً مَقْرُوعاً مُدَاغاً ؛ يَقَالُ : نَشَرُ الْخَبْرَ ؛ إِذَا أَذَاعَهُ (مَنْ اهْتَدَى) فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ (لَأَنَّ ثَوَابَ هِدَايَتِهِ مَائِدَةٌ إِلَيْهَا) (وَمَنْ ضَلَّ) فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا (لَأَنَّ لَمْ يَضَلَّ لَهُ وَاقِعٌ عَلَيْهَا) (وَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى) أَيْ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ لَمْ تَحْسُ أُخْرَى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ) حَتَّى نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ (رَسُولاً) بَيْنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بِلِسَانِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ؛ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» . وَعَلَى هَذَا فَوَاجِبُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَبْلِيغُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِسَائِرِ الْأُمَمِ ، وَتَرْجُمَتُهُ لِمَنْ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَلِهَذَا الْبَحْثُ حَزِيدٌ بَيَانٌ فَافْظَرْهُ إِنْ شِئْتَ فِي كِتَابِنَا «الْفِرْقَانِ» (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) أَيْ أَهْلَ قَرْيَةٍ ؛ بِسَبَبِ انْفِرَافِهِمْ عَنِ الطَّاعَاتِ ، وَانْفَاسِهِمْ فِي الشَّهَوَاتِ (أَمَرْنَا مَتَرَفِيهَا) مِنَ الْأَمْرِ ؛ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النَّهْيِ .

٣٣٨

الجزء الخامس عشر

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۖ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ۚ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۖ لِيَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلَتْهُ تَفْصِيلاً ۚ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقِبِهِ ۚ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ۚ اقْرَأْ كِتَابَكَ ۖ كَتَبْنَاكَ كَتَبْتَ عَلَيْكَ حَسِيباً ۚ مَنْ أَهْتَدَى فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ۚ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتَرَفِّعِيهَا ۚ فَفَقَسُوا فِيهَا لَهَوَّاءَ ۚ فَمِنْهُمْ مَن يَخْتَصِمُونَ ۚ وَكُنَّا بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ

عَبَادِهِ

أَيْ أَمَرْنَا أَغْنِيَاءَهَا وَكِبَرَاءَهَا بِالطَّاعَةِ ؛ فَلَمْ يَتَّبِعُوا أَمْرَنَا ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِأَرَادَتِنَا (فَفَقَسُوا فِيهَا) فُجِرُوا عَنْ أَمْرِنَا ، وَعَصَوْا رُسُلَنَا ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ؛ أَوْ الْمُرَادُ بِالْفَقَسِ : الزُّنَا . وَقَرِءْ «أَمْرَنَا» مِنَ التَّأْمِيرِ . أَيْ جَعَلْنَا مَتَرَفِيهَا أَمْهَاءَ فِيهَا (لَخَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) وَجِبَ الْعَذَابُ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ جَمِيعِهِمْ . وَجِبَ عَلَى مَنْ عَصَى وَفَسَقَ ؛ لِعَصِيَانَتِهِ وَفُسْكَهُ ، وَوَجِبَ عَلَى الْبَاقِينَ ؛ لِعَدَمِ مَعْنَمِهِ الْعَامِي عَنْ عَصِيَانَتِهِ ، وَعَدَمِ ضَرْبِهِمْ عَلَى أَبْدِي الْفُسْكَ ! قَالَ تَعَالَى «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالتَّهْيُّ عَنْ الْمُنْكَرِ : مِنْ أَوَّلَى وَاجِبَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ! (فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيراً) أَيْ دَمَرْنَا الْقَرْيَةَ الَّتِي فَتَسَا فِيهَا الْفُسَادُ وَالْفَسَادُ ، وَعَمَّ فِيهَا الْعَصِيَانُ وَالطُّغْيَانُ ! وَتَدْمِيرُهَا يَكُونُ بِتَدْمِيرِ أَهْلِهَا ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْلُطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْأَدْوَاءَ وَالْآفَاتَ ، =

== ويشفى فيهم الأمراض والامهات ! ولا يخفى أن الزنا مصدر من مصادر الأمراض الفتاكة الملفة ، وقد اقتضت حكمة الحكيم العليم بأن تكون عاقبة الزنا : فقراً مدقماً ، وهلاكاً محققاً ؛ فهو السبب الأوحد لمرض الزهري ؟ الذى يصيب الأجسام ، وينخر في العظام ، ويجعل القوى هزيلة ، والعزير ذليلاً ! ولا يقتصر هذا المرض العين على الفاسق لحسب ؛ بل يصاحب بنه وذرايه ، وخطائيه وجلسائه ، وخطاءه خلطائه ، وجلساء جلسائه ؛ إلى ما لا نهاية له ؛ فتتخط بذلك قوى الأمة ، ويضعف إنتاجها وتاجها ؛ حتى يعصف بزهرة الشباب ؛ فيشوه خلقهم ، كما شوه خلقهم : فتهلك القرية بسبب انحلال قوى بينها وضعفهم واستكاثهم ؛ وعدم استطاعتهم مجارة الحياة في تجارة ، أو صناعة ، أو زراعة فيحل بواديهم الدمار والبورار ؛ وهذا - ولا شك - لإحدى العقوبات التى يزلها الله تعالى في الدنيا بمن غضب عليه ! أعادنا الله تعالى من غضبه وعقابه ؛ بحنه وفضله !

٣٣٩

سورة الإسراء

عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَوْلِيكَ كَانَتْ سَعْيُهُ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هُنَا وَهُنَا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ * وَفَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَآلَؤُا لَدَيْنِ إِحْسِنًا ؕ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ هُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ هُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ

هنا ولا يجوز بحال فهم الآية بظاهر سياقها : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفين فساقوا فيها » فحاش لله أن يريد الهلاك لأناس قبل ارتكابهم الإثم ، واستحقاقهم الهلاك ! وكيف يستطيع عبد أن يمتنع عن إرادة مولاه ، وإرادته مشيئة كائنه ؟ ! « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وحاش أن يأمر تعالى بالفسق وهو الناهى عنه ، المتوعد عليه ! وإلا لو قلنا : إنه تعالى أراد الفسق ، وأمر الفاسق به ؛ فلماذا يتوعد ؟ وعلام يعاقبه ويؤاخذه ؟ ! وهل من العدل - يا ذوى العقول - أن يأمر عبيده بالعصيان ، ويهلكهم على تنفيذ أمره ؟ ! فتعالى الله عن إرادة الفسق ، أو الأمر به ، وجل عن الظلم ؛ وهو القائل : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ولا يعذب الله تعالى أحداً من خلقه قبل أن ينذره ويحذره « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » ينهى عن الفسق ، ويتوعد عليه ؛ لا أن يأمر به ، ويرغب فيه ! هذا وقد عجز بعضهم عن فهم هذه الآية وأمثالها ؛ فأطاح ذلك بألبابهم ومعتقداتهم ؛ فساروا على غير هدى ، وسقطوا في مهاوى الردى ! فتفهم ما قلناه وتدبره ؛ هديت وكفيت ! (وكم أهلكتنا من القرون) أى وكثيراً ما أهلكتنا من الأمم (من كان يريد المعاجلة الدنيا) (جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) أى آتينا من نشاء ممن يرغبون في الدنيا ما نشاء إعطاء له ؛ لا ما يريده هو لنفسه ؛ فكم قد رأينا منصرفاً عن الآخرة ، مقبلاً على الدنيا ، وقد خسر كليهما : لا مال في يديه ، ولا صحة في جسمه ، ولا ولد يسنده في كبره وعوزه ؛ ورأينا آخر حياته في كفره ، ويشاكله في عقيدته ؛ وقد آتاه الله تعالى من دنياه ==

= ما أراد ، بل وزاد ؛ وذلك كله بتصرف الحكيم العليم يعطى من يشاء ما شاء ، ويمنع من يشاء عما يشاء ؛ وقد يعطى من يفيض ، ويمنع من يجب ؛ لحكمة علمها ، ومشيئة قدرها ! (ثم جعلنا له) أى جعلنا فى الآخرة لمن أراد العاجلة (جهنم يصلها) يدخلها (منموماً مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى عمل الأعمال الصالحة الموصلة لها (وهو مؤمن) شرط الله تعالى لإعانه ؛ فقد يعمل الكافر أعمالاً صالحة ؛ لا يفتنى بها دنياه ؛ ولكنها مهدودة عليه لكفره ، معجل له ثوابها فى دنياه عدلاً من ربه ! (كلا عند هؤلاء

الجزء الخامس عشر

٣٤٠

وهؤلاء) أى يعطى كلا من المطيع والعاصي تفضلاً منا وإحساناً (وما كان عطاء ربك محظوراً) ممنوعاً من أحد من خلقه (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والجاه ، والصحة والقوة ؛ وقد يكون الفاضل أدنى رتبة من المفضول ؛ ولكن لا عبرة فى التفضيل فى الدنيا ، وإنما الاعتداد والعبرة بالتفضيل فى الآخرة (وللآخرة أكبر درجات) أعظم من درجات الدنيا (وأكبر) وأعظم (تفضيلاً) فينبغى الاعتناء والتمسك بالأعمال الموصلة إليها (وقضى ربك) أمر وألزم وأوجب (الأتعبوا لآلاياه وبالوالدين إحساناً) أردف تعالى عبادته بالإحسان إلى الوالدين ؛ لأنه سبحانه هو المؤثر فى وجود الإنسان على الحقيقة ، والوالدان هما المؤثران فى وجوده - بحسب العرف الظاهر - وأيضاً فإن الله تعالى لا يمل من الإنعام على عبده ؛ ولو أنى بأعظم الجرائم ، وأكبر الآثام ، وكذا الوالدان لا يعلن الإنعام على ولدهما ولا كرامه ؛ ولو كان مسيئاً لها غاية الإساءة ! فليتأمل ذلك العاق لأبويه ، وليبادر بالإحسان إليهما ؛ ليحظى بالغفران ! وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أن الوالدين لم ينجبا ولدهما رغبة فى إيمانه ، وإنما هو ثمرة لشهوة اشتياها وأرادها ببعض

إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣٥﴾
وَوَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ رِبِّهُ كَفُورًا ﴿٣٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ وَتَتَغَايَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهُمْ فَمَلَّ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ لِّدِينِكَ مَقُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا جُلًّا لِّلْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ رِزْقُهُمْ وَإِمَّا كَرَمًا إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ قَنْحَةً وَهَاءَ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٤٣﴾

ولا

اختيارهما ؛ فلا فضل لهما عليه ، ولا منة أسديها إليه . وقد فات هؤلاء الفجار أن الله تعالى جعل مصدر الولد الاشتباه واللذة ؛ لحكمة حفظ الأنواع وبقائها ؛ وناهيك بما يتحمله الولدان بعد ذلك فى سبيل تربية بنيهما وتنشئتهم وما يبذلونه من متاعب فى سبيل راحتهم : فطالما سهر ليناوما ، وشقيا ليمعدوا ! وطالما أفنقا من مالهما فى سبيل اطعامهم ، وطالما بذلوا النفس والنفس فى سبيل تمريضهم والحفاظة عليهم ! أليس كل ذلك موجب لإكرامهما وإعزازهما ، وطلب الرحمة لهما ؟ فليتأمل ذلك كل عاق لوالديه ، وليبادر إلى إدراك ما فاته من الإحسان إليهما ؛ قبل أن ينقطع حبل حياتها فيخسر الدنيا والآخرة ! وقد ورد أن الله تعالى لا ينظر يوم القيامة لمن عصى والديه ! (لما يلفن عندك الكبير) خص تعالى =

== الكبر ؛ لأنه مبعت الضعف والحاجة ، ومظنة الملل والاستئثار (فلا تقل لهما أف) وهي أدنى كلمة تقال في التضرع . وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « لو علم ربك دون أف لنهى عنه » (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى ألن جانبك ، وكن ذليلاً في معاملتهما - مهما كنت عزيزاً - حياً فيهما ، ورحمة بهما ؛ فقد أثبتتهما في صفرك وأتعبتهما وأشقيتهما ؛ وقد أحباك كل الحب ورحمك كل الرحمة ! فكن لهما محباً ، وبهما رحيماً ؛ ليجك الرحمن ، ورحمك الرحيم ! (اللاواين) الراجعين إلى الله تعالى (وآت ذا القربى حقه) بعد أن أمر الله تعالى

٣٤١

سورة الإسراء

عباده بعبادته ، وبالإحسان إلى الوالدين والتذلل لهما : أردف بذوى القربى ، ووجوب لمفائهم حقوقهم التي جعلها في أعناقنا ؛ فأمرنا بابتائهما لهم . ومن هذه الآية يعلم أى للأقرباء حقوقاً أقلها : معاونة فقرائهم ، وزيارة أغنيائهم ، ومواساة ضعفائهم . وبعد أن أمرنا تعالى ببر الوالدين والأقرباء ؛ ولبعضهم من الحقوق ما يستأهل البر والعطف والمساعدة ؛ بعد ذلك عرفنا تعالى أن لكل محتاج - قريب كان أو بعيد - حقاً واجب الأداء والوفاء ؛ قال تعالى (والمسكين وابن السبيل) وهو المسافر الذي انقطع به الطريق ! واعلم - هديت وكفيت - أن هذا الحق الذي أمر به الله تعالى غير فريضة الزكاة ؛ فاحرص على ذلك حرصك على دينك ! (ولا تبذر تبذيراً) بالإففاق في غير طاعة الله تعالى ؛ فلو أنفق سائر ماله في الخير والصدقة: ما كان من التبذير ! إذ أنه لا خير في السرف ، ولا سرف في الخير ! ولا يعقل أن يكون البار بالمساكين ، من لإخوان الشياطين ! (إن المبشرين كانوا لإخوان الشياطين) وقد خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه من سائر ماله في سبيل الله تعالى ؛ فكان ذلك إحدى حامده ! (وإما تعرض عنهم) أى عمن ذكر ؛ لضيق ذات يدك ، وفقر به الله امتحنك

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُومًا ۝ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا تَارَةً فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ۝ أَفَأَصْحَابُكُمْ بِالْبَنِينَ وَالْأَمْهَلِكَةِ إِنَّا لَنَكُرُّ لَكُمْ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا

(ابتغاء رحمة من ربك) أى طلباً لرزق يأتيك ؛ فتوفى به ما عليك ؛ مما أمرك الله تعالى به ، وألزمك بأدائه . ومن عجب أن نرى في زماننا بعض من أفاء الله تعالى عليهم بالمال الكثير ، والرزق الوفير ؛ وقد بدلوا نعمة الله كفراً ؛ وجزوا والديهم عقوقاً وخذلاناً ، وأقربائهم ذلاً وحرماناً ، ومساكينهم قهراً ونهراً ؛ في حين أنهم في سعة من العيش ؛ يسرفون في ملذاتهم وشهواتهم بغير حساب ! بينما نجد فقيراً مدقفاً ؛ يتعثر في أسماله ، ولا يكاد يفي بحاجة عياله ؛ إذا به يقطع من قوته فيعطى الأيوين والأقرباء ، ولا ينسى المساكين والفقراء ! وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء ! والله يميز العاملين ، ويتولى الصالحين ! (فقل لهم قولاً ميسوراً) سمحاً سهلاً : بأن تعدم بالإعطاء ، عند حلول العطاء ، وبأن توسع عليهم عندما يفتق المولى =

= عليك ! وبذلك يكون رفقك سبباً في رزقك ، وسخاؤك سبباً في رخائك ! (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لا تكن بخيلاً (ولا تبسطها كل البسط) فتن من السرفين ! (تفقد ملوماً) مستوجباً للوم : من نفسك ، ومن بئى جنسك (محسوراً) متحسراً (إن ربك يبسط الرزق) يوسعُه (ويقدر) يضيق (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) فقر (خطأ) إثمًا وخطأ (ولا تقربوا الزنا) اعلم - هداك الله تعالى - أن قربان الزنا غير إثماته ، وقرع الباب غير ولوجه . وقد أريد بقربانه : غشيان مواضعه ، وتعريض النفس له ؛

الجزء الخامس عشر

٣٤٢

من إطالة النظر ، وإشغال الفكر ، وإشباع الترائر : قال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فإذا ما صان الإنسان نفسه ، وكف بصره : تجنب مواضع الزلل ! ولا يغنى ما في الزنا من فساد لأنساب ، وقطع للأرحام ؛ وما يترتب عليه من فتك الأهراس الحبيثة بالنفوس ؛ وهو من الذنوب التي جاء ذمها وتبييها والزجر عليها في سائر الأديان ؛ والدليل على غش هذا الجرم وشناعته : قسوة عقابه ، وشدة جزائه ؛ فقد جعل الشارع الحكيم عقوبة الزنا : الرجم بالحجارة المحصن « المتزوج » وجلد مائة لغير المحصن « الأعزب » (انظر آيتي ١٦ من هذه السورة ، و ٢ من سورة النور) (وساء سبيلاً) أى يئس هذا الطريق طريقاً (ومن قتل مظلوماً) بغير ذنب يستحق عليه القتل (فقد جعلنا لوليهِ) لوارثه المطالب بدمه (سلطاناً) ساطعاً على القاتل وحده (فلا يهرق في القتل) بأن يقتل غير القاتل ، أو يقتل بعد أخذه الدية (إنه كان منصوراً) بكلمة الله تعالى وأمره (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) كان ينميه ويستثمره ، ولا يأخذ الوصى منه شيئاً إلا بمقدار ما يأكل - إذا كان فقيراً - بشرط عدم الإخلال برأس المال (حتى يبلغ أشده) أى قوته : وهو ما بين ثمانى عشرة

لَا يَتَّبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۚ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَسْمِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُنْصُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ وَقَالُوا أَوْزَاكَ عِظْمًا مَوْفَقًا أَوْنَا لَمَجُوعُونَ خَلَقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ۝

أَوْ خَلَقًا

إلى ثلاثين سنة (وأوفوا بالعهد) الذى تعاهدون الناس عليه ، والميثاق الذى تواتقونهم به (إن العهد كان مسئولاً) عنه . وقيل : يسأل العهد نفسه ؛ تكيئاً لنافسه ، وتقريباً له ! (انظر آيتي ١ من سورة المائدة ، و ٧٢ من سورة الأفعال) (وزنوا بالقسطاس) الميزان (ذلك خير) في الدنيا : بحسب الناس لسك ، وإقبالهم عليكم . وفي الآخرة : برضا الرب عنكم ، وإحسانه إليكم (وأحسن تأويلاً) أى أحسن مآلاً وعاقبة (ولا تقف) ولا تتنصب (مالميس لك به علم) كأن تقول : سمعت ؛ وأنت لم تسمع ، ورأيت ؛ وأنت لم تر ؛ وعلمت ؛ وأنت لم تعلم (إن السمع والبصر والفؤاد) القلب ؛ وأريد به العقل (كل أولئك كان عنه) الإنسان (مسئولاً) فيجب على العاقل الحكيم ألا يسمع إلا خيراً ، وألا يرى محرماً ، وألا يفكر =

أَوْ خَلَقْنَا مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَبِّحُوا مِن مَّحَمَدًا
قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿١٠﴾
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١١﴾ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿١٢﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَسَاءَ رَحْمَتُكَ أَوْ إِنْ يَسَاءُ
يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ
عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٤﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ

== شرأ ، ولا يعتقد نكراً ! (ولا تمش في الأرض مرحاً) أى لا تمش متكبراً ، مختالاً . وقد أخذ بعضهم من هذه الآية : تحريم الرقص ؛ لأنه أشد من المرح ، وأشر من الاختيال (إنك لن تحرق الأرض) بكبرك وتحريك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتعاطلك وتفاخرك ! (كل ذلك) المذكور ؛ من أمر ونهى (كان سيئه) أى سيء ماعدنا عليك (عند ربك مكروهاً) مبغوضاً مذموماً ! ومن واجب المؤمن الذكى التقي : أن يتبع ما أحب الله تعالى ؛ لا ما أبغض وكره ! (مدحوراً) مطروداً (أفأصفاكم ربكم) اصطفى لكم وخصكم (بالبين) واتخذ لنفسه (من الملائكة إناثاً) بنات ؛

كما تزعمون (ولقد صرفنا) فصلنا وبيننا (في هذا القرآن) من القصص ، والأمثال ، والوعد والوعيد (وما يزيدكم) ذلك القرآن اللين للفصل (لا نفوراً) عن الحق ، وتمسكاً بالباطل (قل لو كان معي) أى مع الله تعالى (آلهة) أخرى (كما يقولون إذا لا بقوا) أى طلبت الآلهة مع الله (لى ذى العرش سبيلاً) طريقاً إلى محاربه ومتاواته ، ومنازعة في ملكه ؛ كما تفعل ملوك الدنيا ، ورؤساؤها (سبحانه) تقدس وتنزه (وتعالى عما يقولون) ويزعمون (انظر آية ١ من هذه السورة) (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) التسبيح والثناء : كما يجريان على لسان المصالح ؛ فإنه ينطق بهما لسان الحال : فتسبح السموات ، والأرض ، والجبال ، والكواكب ، والمياه ، والأشجار ، والأزهار : دلالتها على أنه تعالى حى قادر ، جبار قاهر ، له القوة والملكوت ، والعزة والجبروت ! فقد خلقها - جلت قدرته ، وتمالت عظمتها - فى أسرع مدة ؛ بلا روية ، ولا حركة ، ولا تجربة « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وترى السموات مرفوعة بلا عمد ، والكواكب معلقة فى الفضاء بلا سبب : تسبح فى أفلاكها ، وتجرى إلى منازلها التى قدرت لها ! كذلك يسبح بحمده ،

ويثنى عليه كل شيء نستمد منه سروراً وجبوراً ، ورزقاً وخيراً ! كالسموات فى زرقتها وصفائها ، والأرض فى استدارتها وانسائها ، والشمس فى إشراقها ، والنجوم فى بريقها ، والسحب فى إمطارها ، والحقول فى خضرتها ، والبساتين فى نضرتها ، والأشجار فى حفيها ، والمياه فى تدفقها وخبرها ، والطيور فى تقريدها ، والوحوش فى زثيرها ، والبهيم فى خوارها ورغائها ! تلك بعض الطرق التى تسلكها مخلوقاته تعالى ، فى تسبيحها بحمده ! ولأنها لقل من كثر ، وغض من فيض « فبارك الله أحسن الخالقين » (ولسكن لافقهون تسبيحهم) لانصرافهم عن النظر إليها ، والتأمل فى بديع صنعها ! وقد يخلق الله تعالى لها ألسناً للتسبيح ، فتسبح بحمده باللتقى الفصيح ! (حجاباً مستوراً) يستترهم عن الفهم والإيمان ؛ عقوبة لهم على كفرهم وإصرارهم ، وعدم =

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْهُمْ يَصُونَكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعْدُهُمْ
الْمُبِطِّلُونَ إِلَّا عُرُورًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٣٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي
لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ لِنَبْتِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنََّّهُ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٣٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا خَجَلْتُمْ إِلَيْ النَّارِ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا ﴿٣٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَيِّفَ بِكُمْ حَاجِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٣٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ
يُعِيدَ كَرَّ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ تَبَعًا ﴿٣٩﴾
* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ

= (كان ذلك في الكتاب) اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل) الرسل (بالآيات) المعجزات التي
يقترحونها (إلا أن كذب بها الأولون) أى كذب بها آبائهم ، بعد أن أرسلناها لهم (وأتينا ثمود الناقة
مبصرة) أى آية واضحة جلية (فظلموا بها) أى كفروا بها ، وظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب والعذاب
الآليم ؛ وأهلكناهم بسبب هذا الكفر وذلك التكذيب (وما نرسل بالآيات) أى القرآن ؛ وما فيه من
نسر ، وقصص وعبر أو أريد « بالآيات » المعجزات (لا تخوفاً) للكاذبين ؛ فلا يستمرئون تكذيبهم ،

والكافرين ؛ فلا ييقنون على كفرهم (وإذ قلنا
لك) يا محمد (إن ربك أخطأ بالناس) علماً
وقدرة (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس) وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى
في منامه - عام الحديبية - أنه يدخل مكة - غير
أنه ورد عنها في هذا العام ؛ فافتن المسلمون لذلك ،
فنزلت هذه الآية ؛ فلما كان العام القابل : دخل
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مكة فاتحاً
- كما رأى في منامه - وأنزل الله تعالى « لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » وقيل : رأى
في منامه مصارع الكفار في وقعة بدر ، وكان
يقول حين ورد ماء بدر : والله لكانن أنظر
إلى مصارع القوم ؛ ويومئ إلى الأرض ويقول :
هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ؛ وقد
كان ما قال وما رأى ؛ صلوات الله تعالى وسلامه
عليه ! (والشجرة للمعونة) أى الملعون آكلها
وحى شجرة الزقوم (قال) إبليس اللعين ؛ عماجا
ربه (أرايتك) أى أرايت ؛ والكاف :
توكيد للمخاطبة ؛ والمعنى : أخبرني عن (هذا
الذي كرمت على) فضله ، وجعلته فوق في
المرتبة : لم فضله على ؛ وقد خلقتني من نار ،
وخلقتني من طين ؛ والنار خير من الطين ؟ !
(لأحتكن ذريته) لأستأصلهم جميعاً بالإغواء ؛
يقال : احتنك الجراد الزرع : إذا ذهب به كله
(قال) تعالى لإبليس (أذهب) مذموراً مدحوراً

(فن تبعك منهم) أى من أطاعك واستجاب لإغوائك من ذرية آدم (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً)
كاملاً وافراً (واستغفر) استغف واستزل (وأجلب) اجمع وصح بهم ؛ وهو من الجلبة (بخيلك ورجلك)
أى بركبائك ومشاتك (وشاركهم في الأموال) بأن تزين لهم الربا ، والسرقه ، والنصب ؛ أو أن ينفقوها
في معصية الله (والأولاد) بأن يكونوا أبناء لهم وسفاح ؛ لا أبناء طاعة ونكاح (وعدمهم) أى منهم بالأماني
الكاذبة ، والآمال الباطلة ؛ بأن لا قيامه ، ولا حساب ، ولا جزاء ؛ وأنه إن كان تمت قيامه وحساب ،
وجنة ونار ؛ فإنهم أصحاب الجنة ، وهم أولى بها ممن سواهم . قال تعالى « يعدمهم ويميتهم وما يعدهم الشيطان
إلا غروراً » (إن عبادي) الذين آمنوا بي ، وصدقوا برسلي ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ؛ فهؤلاء (ليس =

= لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (ربكم الذي يزجي) يسوق ويسير (لكم الفلك) السفن (لتبتغوا من فضله) لتطلبوا الرزق بطريق التجارة ، والتنقل في البلاد (ضل من تدعون إلا إياه) أى غاب من تستغيثون به فيفتكم ، إلا الله تعالى فهو وحده حاضر لا يغيب «وهو معكم أينما كنتم» فادعوه مخلصين له الدين : بنجيتكم مما تخافون ، ومخلصكم مما تحذرون ! (فلما نجاكم) من الضر الذي لحقكم ، والموت الذي أحاط بكم (أعرضتم) عن عبادته ، ونسيتم ما أسبغ عليكم من نعمته (أفأمنتم) وقد نجوت من البحر إلى اليابسة (أن يحسف بكم جانب البر) بأن يزلزل الأرض ويدكها ويحسفها

الجزء الخامس عشر

٣٤٦

بكم ؟ كما فعل بمن سبقكم من المكذبين : كفارون (أو يرسل عليكم حاصباً) الحاصب : الريح الشديدة التي ترمي بالحصاء ؛ وهي الحصى (أم أئتم أن يمدكم فيه) أى في البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم) فيه (قاصفاً من الريح) وهي الريح التي تكسر الفلك والشجر (تبيحاً) مطالباً (يوم تدعو كل أناس بإمامهم) برئيسهم وهونبيهم ؛ فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، يا أمة محمد ولا يظلمون فتيلاً) الفتيل : مثل للحقارة والصغر . وهو قشرة النواة ، أو كل ما يقتل بالأصابع ؛ مما يندق عن الحس (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى) عن الحق : أريد به عمى القلوب لا العيون «فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي الصدور» (فهو في الآخرة أعمى) عن النجاة ؛ كالأعمى حينما يتعثر فيها يلقاه (وإن كادوا) قاربوا (ليفتنوك) يزيلونك (عن الذي أوحينا إليك) من القرآن . قيل عن هذه الفتنة : إن قريباً منعت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من الطواف بالبيت ، واستلام الحجر الأسود: حتى يلم بأهلهم ؛ فغدت الرسول نفسه في ذلك : فزلت عقابا له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما هجست به نفسه ! ونزل قوله تعالى (ولولا أن ثبتناك) على

خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّينَا كِتَابَهُ بِرَبِّهِمْ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قِتْلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَحْذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَقْنَتَكَ ضَعْفَ الْحَمِيَّةِ وَضَعْفَ الْمَمَكِ ثُمَّ لَا تَعِجْدُكَ عَلَيْهِمْ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِنُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَعِجْدُ لِنُؤْتِيَنَا حُجُولًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى عَسَى الْبَلِي وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ آيَاتِ

فنهج

ما أنت عليه من الحق (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) لأنه قال في نفسه : وما على أن ألم بأهلهم بعد أن يدعوني أستسلم الحجر ؛ والله يعلم أني لها كاره مبغض ! وقيل : لأنهم طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام الكف عن ذم أهلهم (إذا) لو فعلت ما طلبوه (لأذنتك ضف الحياة وضف المات) أى لعذبتك عذاباً مضاعفاً في الحياة ، وبعد المات ! وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يركن إليهم ؛ وإنما ورد هذا على سبيل التهديد للكفار ، ولن تحدته نفسه بالركون إلى الكافرين - كما يفعل مسلمو اليوم (وإن كادوا لiestفزونك) ليزعجونك ويفزعونك (وإذا) إذا أخرجوك من أرضك (لا يلبثون خلافاً) خلفك وبعك (إلا قليلاً) ثم يهلكهم الله (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا) أى هذه سنتنا وطريقتنا : أن نهلك من =

يُعادون رسلهم ويخرجونهم (أقم الصلاة لادلوك الشمس) لزوالها (إلى غسق الليل) ظلمته ؛ وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهد الملائكة ؛ أي تحضره ، وتدعو لمقيمه (وقل جاء الحق) الإسلام (وزهق الباطل) انمحق الكفر وبطل (إن الباطل كان زهوقا) مضطجلا زائلا (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) شفاء لقلوبهم ، ورحمة لأنفسهم (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالسعة والرزق والعافية (أعرض) عن العبادة (ونأى بجانبه) تكبر على الناس ، وتباعد عنهم (وإذا مسه الضر كان يؤوسا) أي وإذا أصابته مصيبة ، أو حلت به بلية : قط من النجاة ، ويئس من روح الله !

٣٤٧

سورة الإسراء

فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
تَمُودًا ﴿٣٤٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٣٤٨﴾
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٣٤٩﴾ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى
الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يَافُوسًا ﴿٣٥١﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرِيضَةُ أَعْمُرَ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٣٥٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥٣﴾
وَلَكِنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَ بِالَّذِي أُوحِيَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِ عَلِيمًا وَكِيلًا ﴿٣٥٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٣٥٥﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

يعارض الإنسان ربه في حكمته ، ويعترض على قدرته : فيكلمه إلى نفسه ؛ فينتهي به ذلك إلى العجز ، وينتهي به العجز إلى السخط ، وينتهي به السخط إلى الكفر ؛ فتنى كانت الإنسان عاجزا ، ساخطا ، موكولا إلى نفسه ، معتبدا على قدرته ؛ مستندا إلى قوته : كان كالأسد الجامع في المهية الفقر ؛ إذا توم أن قوته وبطشه يستطيع أن يخلق الفريسة له ؛ فيظل هائجا هادرا مزجرا ؛ يطيح بكل ما حوله ؛ فيجلب ذلك إلى نفس الإنسان اليأس ، والانزعاج ، والكآبة ، وغير ذلك من المهلكات التي تبعث في قلبه الشك بربه ، وتدفع إلى نفسه القنوط ، وتجيئ بخاطره حماقات العقل ، ونزغات الشيطان ! وقد ينتهي به ذلك إلى الاتعاز . ولو أنه آمن بالله مكان إيمانه بنفسه لسلطه الله تعالى عليها ، ولم يسلطها عليه ، ولأرضاه بما عنده وأقعته بما لديه ؛ ولأبدي عنه هواجه ، ومتاعبه ، ولأبذل خوفه أمنا ؛ قال تعالى «وليبذلهم من بعد خوفهم أمنا : يعبدونني لا يشركون بي شيئا» ولكن الإنسان يؤس كفور ؛ يسوق يئأسه نفسه البلاء ، ويحبط بكفره على قلبه الرزايا ! وإن شئت

فاقرأ قول الحكيم العليم «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» (قل كل) منا ومنكم (يعمل على شاكلته) طريقته ، وطبيعته ، ومذهبه ، واعتقاده (ويسألونك عن الروح) التي يحيا بها البدن : ماضيتها ؟ وما هيأتها ؟ وما طبيعتها ؟ وذهب قوم من المفسرين إلى أن الروح المشئول عنه : هو جبريل . وقيل : ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف لسان ، في كل لسان سبعون ألف لغة ؛ يسبح الله تعالى بكل هاتيك اللغات . وقيل : هو عيسى عليه السلام . وقيل : القرآن . والرأي الأول : أولى بالصواب ، وأجدر بالاعتبار ! (قل الروح من أمر ربي) توهب بقدرته ، وتسلب بأمره ؛ ولا يعلم حقيقتها إلا هو ، ولا سيطرة لأحد عليها - وجودا وعدما - وهي باقية بعد فناء =

= الأجساد ، حتى يوم المعاد ؛ فيعيد الله تعالى لكل جسد روحه ؛ ليحاسبها على ما اكتسبت في دنياها ؛ فيعذب الكافر العاصي ، ويثيب المؤمن الطائع ! وقيل : إن اليهود أوغزوا لقريش أن تسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ثلاثة أشياء : عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وعن الروح ؛ وقالوا لهم : إن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة : فهو نبي . فلما سألوه أخبرهم عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وقال عن الروح « قل الروح من أمر ربي » وقوله تعالى « قل الروح من أمر ربي » دليل على عجز الإنسان عجزاً تاماً عن معرفة حقيقتها وكنهها ؛ فليس

الجزء الخامس عشر

٣٤٨

لإنسان أن يزعم أن الروح - ولو كانت روح حيوان - هي تحت أمره ، وأنه يستطيع - بإذاعة شيء من الموسيقى - أن يحضر من الأرواح ما شاء وأن يستخدمها فيما شاء ، ويسألها عما يشاء ! وقد دأب ناس - عاقم الله - على اللعب بقول البسطاء وألبهم ؛ باشاعة هذه الحرافات ، وبث هذه الترهات والمزعجيات ؛ وقد حضرت كثيراً من مجالسهم ؛ فما ازددت إلا تكديباً لهم ، وتسفيهاً لأعمالهم ! وأمر هؤلاء لا يعدو أن يكون من عبث الشيطان بهم ؛ إذ أنه - لعنه الله تعالى - يستطيع أن يتشكل بمن شاء من مخلوقاته تعالى ؛ عدا أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ؛ فيظهر الشيطان أو أحد أعوانه على صورة الإنسان المراد تخضير روحه ويخاطبهم بما يحلو لهم أن يسموه . أما الروح - ولو أنها موجودة ، وباقية أبد الأبدن - فإنه لا سلطان لأحد عليها من المخلوقين ، ولا تدن إلا لرب العالمين ! (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) من القرآن ؛ بأن نزع من الصدور ، ونجوه من الصحف ؛ وسيكون ذلك قبيل القيامة ؛ وهو من أشرط الساعة (إلا رحمة من ربك) أي إن إبقائه وعدم إذهابه «رحمة من ربك» (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) (انظر آية ٢٣ من

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا أَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَخْرُجَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِنُبُوءَةٍ أَوْ نَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَجِيلٍ وَنَحِبُ فَتَقْدِرَ الْأُنْثَرُ خِلَافَهُ تَقْدِيراً ﴿٣٦﴾ أَوْ نَسْفِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْفَا أَوْ تَأْتِي بِنَا إِلَهُ وَالْمَلَكِ قَبِيلاً ﴿٣٧﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣٨﴾ وَمَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣٩﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٤٠﴾ قُلْ كُنِّي بِاللَّهِ قَبِيلاً

يُتْبَنِي

سورة البقرة) (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) معيناً (ولقد صرّفنا) بينا وأوضحنا (من كل مثل) يصح به الاعتبار والاستبصار ؛ كالأوامر ، والنواهي ، والترغيب ، والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب ، وأقاصيص التلقين وأخبارهم (كيفاً) قطعاً (قبيلة) جماعة ؛ مقابلة وعياناً (من زخرف) ذهب (قل سبحان ربي) تنزهه وتقديسه عن أن يأتي بأمرى ، أو بأمرهم (انظر آية ١ من هذه السورة) (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون) مثلهم (مطمئنين) قارين : يطمئنون لمن في الأرض ، ويطمئن من في الأرض إليهم

بَنِي وَيَسْكُرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٠٠﴾
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ
 عُرْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ
 سَعِيرًا ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا وَقَالُوا
 أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًّا أَوْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٢﴾
 * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْثَلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَابٍ فِيهِ
 نَأْتِي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٠٣﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى نَسْعًا يَلْتَبِ
 يَبْنَسُ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَا أَظُنُّكَ بِمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠٥﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ

(ومن يضل فلن تجد لهم أولياء) نصراء
 يهدونهم (من دونه) من غيره (ونحشرهم
 يوم القيامة على وجوههم) تجرم الزبانية من
 أرجلهم (على وجوههم) (عمياً وبكماً وصمّاً)
 عموا حين دخلوا النار لشدة سوادها، واقطع
 كلامهم حين قيل لهم «اخسأوا فيها
 ولا تكلمون» ذهب الزفير والشهيق والصراخ
 بسمعهم فلم يسمعوا شيئاً (كلما خبت) انطفأ
 لهيبها (ورفاناً) حطاماً (وجعل لهم أجلاً)
 لموتهم وبعضهم : هم مواقفه (قل لو أنتم
 تعلمون خزائن رحمة ربي) من الرزق ،
 والمطر ، وسائر النعم (إذا) لأنسكتم خشية
 الإنفاق (خافة الفقر والعلم) (وكان الإنسان
 قنوراً) بجيلاً مقرأ (ولقد آتينا موسى تسع
 آيات بينات) واضحات : وهي اليد ، والعصا ،
 والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ،
 والدم ، والسنين أو البحر ، وقص الثمرات .
 وقد ورد في الحديث الشريف أنها «لا تفسركوا
 بالله شيئاً ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي
 حرم الله إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسحرُوا ،

ولا تمشوا بيريء إلى سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تفدوا محصنة ، ولا تفروا من الزحف» (فقال له
 فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً) مجنوناً ؛ مغلوباً على عقلك

(بصائر) أى عبراً بينات واضحات (مثيراً) مصروفاً عن الخير ، أو هالكا ، أو مطروداً (فأراد) فرعون (أن يستفهم) أى أن يخرج موسى وقومه من الأرض . يقال : استفهمه ؛ إذا أخرجه من داره وأزعمه (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقياً) أى جميعاً ؛ ملتفين ، ومختلطين ؛ فنجزى من أحسن بالمسنى ، ومن أساء بالسوأى (وقرأنا فرقناه) أى فصلناه ، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل ، أو نزلناه مفزعة ؛ فى عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين (على مكث) على تؤدة وبينان ونعمل ؛ ليتفهموه (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) تهديد شديد

الجزء الخامس عشر

٣٥٠

شديد ١ (إنا الذين أتونا العلم من قبله) أى قبل نزول القرآن ؛ وهم مؤمنو أهل الكتاب (إذا يتلى عليهم يخرون) ساجدين (للأذنان) أى على وجوههم (ويقولون) حال سجودهم (سبحان ربنا) تزه ربنا وتعالى ونقدس ! وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول فى سجوده ، وركوعه «سبحانك اللهم ومحمدك ، اللهم اغفرلى» (انظر آية ١ من هذه السورة) (إن كان وعد ربنا) بارسال محمد ، وياتزال القرآن عليه (لنقولا) لحاصلا لا محالة (وزيدهم) الاستماع إلى القرآن (خشوعاً) خضوعاً وتواضعاً لله تعالى (فله) جل شأنه (الأسماء الحسنى) التى تقتضى أفضل الأوصاف ، وأشرف المعاني ، وأسمى الصفات وأسماؤه تعالى لا يحصى عد ، ولا يحدها حد ، وقد ورد فى الحديث الشريف «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً ؛ كلهم فى القرآن ، من أحصاهن دخل الجنة» وليس المراد بأحصائها حفظها لحجب ؛ بل الإيمان بها كلها ، والوثوق بمملولاتها ؛ وهى : «الله لا اله إلا هو . الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارى . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز .

مَا أَنزَلْنَا مَثَلًا إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُقْبِرًا ﴿٣٥١﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٣٥٢﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٣٥٣﴾ وَإِلَٰهِي أَرْسَلْنَاكَ رَءُلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٣٥٤﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿٣٥٥﴾ قُلْ عَلَيْكُمْ آيَةُ الْوَعْدِ الْوَعْدُ الَّذِينَ أَتَوْا آلِهَةً مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ مُغْدًا ﴿٣٥٦﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٣٥٧﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٣٥٨﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْادِعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٣٥٩﴾

وَقُلْ

الذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المحيى . الواسع . الحكيم . الودود . المحيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحمى . المبدئ . المعيد . المحيى . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الصمد . القادر . المقدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوال . الثمال . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع . الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور ! (انظر آية ١٨٠ من سورة الأعراف) (ولا تجهر بصلواتك) =

== أى بقراءتك فيها ؛ لئلا يسمعك المشركون فيسبوك ، ويسبوا القرآن ، ومن أنزله (ولا تخافت بها) أى لا تسر بها ؛ فلا يسمعك من يقتدى بك . قيل : إن أبابكر رضى الله تعالى عنه كان يسر قراءته كلها ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يجهر بها كلها ؛ فقبل لها في ذلك ؛ فقال أبو بكر : إنما أنا جسر ربي ، وهو يعلم حاجتي إليه ؛ وقال عمر : أنا أطرد الشيطان ، وأوقف الوسنان ! فلما نزلت هذه الآية ؛ قيل لأبي بكر : ارفع قليلا . وقيل لعمر : اخفض قليلا . وقد يقول قائل : مادامت علة الجهر والإسرار : هو الخوف من أذى

٣٥١

سورة الكهف

الكافرين والمشركين ؛ وقد كف الله تعالى أذاهم ، وأذهب قوتهم - والعلة تدور مع الملول وجوداً وعدمًا - فإننا لا نجهر في صلاتنا كلها ؛ والجواب على ذلك : إن الأعمال التعبدية ؛ لا يجوز فيها الاجتهاد ، بل يتبع فيها آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ القائل «صلوا كما رأيتموني أصلي» وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : أت المراد بالصلاة في هذه الآية : الدعاء (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) كما يزعم الكافرون (ولم يكن له شريك في الملك) كما يزعم المشركون (ولم يكن له ولي من الدل) أى لم يذل ؛ فيحتاج إلى ناصر بسبب ضعفه ؛ بل هو ولي الصالحين ، وناصر المؤمنين !

(سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) مستوجب الحمد (الذى أنزل على عبده) محمد (الكتاب) القرآن (ولم يجعل له عوجاً) اختلافاً ، أو تناقضاً (فما) مستقبلاً (لينذر بأساً شديداً) ليحذر عذاباً أليماً (من لدنه) من عنده تعالى (كبرت) عظمت في الافتراء والكفر (فلعلك باخع نفسك) فاتها غماً وحزناً (على آثامهم) بعد توليهم عنك ، وامتناعهم عن الإيمان بك (لأن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ۝

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةُ ٢٨ وَمِنْ آيَةِ ٨٣ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ قُدْرِيَّةٌ
وَأَمَّا ١١٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ فَيَمَّا لَيُنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَنكِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بِخَعِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ نَذَا

(أسفا) حزناً وكدأً (إنا جعلنا ما على الأرض) من أشجار وحيف ورقها ، وأزهار وأريج نشرها ،
ونهار ولذيت طعمها ، وأنهار وساسيل مائها ، وبحار وعظيم موجها ، وجبال وشامخ بنيانها ، ورمال وبديع
ألوانها ؛ وغير ذلك مما يدهش العقول ، ويجر الألباب ! كل ذلك خلقه المبدع الحكيم (زينة لها) أى للدنيا ؛

الجزء الخامس عشر

٣٥٢

ليستمتع به أهلها (لنبلوهم) نختبرهم (أيهم
أحسن عملاً) بالزهد في الدنيا ، وعدم الإقبال
عليها ، والرغبة في الآخرة ، والحرس على كل
ما يوصل إليها (وإنا لجاعلون ما عليها) أى
ما على الأرض من زينة (صعيداً جزأً) يابساً
لا ينبت . والأرض الجزء : التي لا نبات عليها ،
ولا بنيان ؛ كانت ما عليها قد اجثت (أم
حسبت) يا محمد (أن أصحاب الكهف) وهو
الفار الواسع في الجبل (والرقيم) لوح مكتوب
عليه أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم ، ولعله
كتاب مرقوم ؛ أنزل لهم لتعليمهم الشرائع .
وقيل : إنه اسم كليهم . وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما : ما أدرى ما الرقيم ؛
أكتاب هو أم بنيان ؟ (كانوا من آياتنا
عجبا) أى لا تحسب أن العجب في قصة أصحاب
الكهف ؛ وإنما العجب كل العجب فيما خلقناه
من سموات وأرضين ، وما جعناه على الأرض
زينة لها ولهن فيها ! (وهي لنا من أمرنا
رشداً) توفيقاً للرشد والساد (فضربنا على
آذانهم) أى أعمأهم لإفامة ثقيلة ؛ لا تنبهم
الأصوات (سنين عدداً) كناية عن التكثير ؛
أى سنين كثيرة معدودة ؛ وذلك لأن القليل
يعلم من غير عد (ثم بعثناهم) أبقظناهم من
نومهم ؛ كما نبث أهل القبور من موتهم
(لنعلم أى الحزين) المختفين في مدة لبثهم
(أحصى) أضبط (لما لبثوا أمداً) مدة وغاية (وربطنا على قلوبهم) قويناها على تحمل المكروه في نصرة
الدين (إذ قاموا) بين قومهم ، وأمام ملكهم ؛ وقد عكفوا جميعاً على عبادة الأصنام (فقالوا) مجاهدون (ربنا
رب السموات والأرض) لن نؤمن بغيره ، و(لن ندعو من دونه إلهاً) آخر (لقد قلنا إذاً) إذا دعونا من
دونه (شططاً) قولاً ذا شطط ؛ أى بعيداً عن الحق (لولا) هلا (بسلطان بين) بحجة ظاهرة على صحة عبادتهم لها

الْحَدِيثُ أَسْفَا ١ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٢ وإنا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ٣ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ٤ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ٥ فَضَرْبَتَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ٦ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى
لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ٧ مَن نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَوَدُّوا لَهُمْ هُدًى ٨ وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ٩
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلَٰهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٠

ولاذ

وَلَا إِعْرَاضَ لَهُم مِّنْ عِبَادَتِهِ ۚ وَاللَّهُ فَاوٍزٌ إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيَهْدِي لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُم
مَّرْفَقًا ۝ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُوءُ عَنْ
كُهُفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن
يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدَّ الْمَهْدَ ۚ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مَّرْشَدًا ۝ وَحَسْبُكُمْ أَيقَاطُ وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَّلْنَاهُم
ذَاتَ الْيَمِينِ ۚ وَذَاتَ الشَّمَالِ ۚ وَلَكَبَّيْهُم بِسُطُورِ الْعَصِيدِ
لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعبًا ۝ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ
مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ۚ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَيْبُكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ ۚ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

(وإذا اعترضتم) خطاب لأهل الكهف ؛ أي ولذا جانبهم هؤلاء الكفار (وما يعبدون) أي واعتزائم
الذي يعبدونه من الآلهة (إلا الله) سوى الله . وقرأ ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله» وعلى ذلك
مصحفه ؛ وذهب قتادة إلى أنه تفسيرها

(فأووا) الجأوا (ينشر لكم ربكم من رحمته)
يسطرها لكم (ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً)
وهو ما ينتفع به ؛ من بناء ، وغذاء ، وكساء
(ترأرو) تميل (تقرضهم) تقطعهم ؛ أي
تتركهم وتعزل عنهم (وهم في فجوة منه) متسع
من الكهف . والفجوة : الفرجة (ذلك) أي
ميل الشمس وتركها لمكانهم ؛ مع مخالفة ذلك
للنظام الكوني (من آيات الله) الدالة على
وجوده وقدرته (فلن تجد له ولياً) بلى أمره ،
ويقوم بموته (مرشداً) له إلى الهدى وطريق
الصواب (وتحسبهم) إذا رأيتمهم (أيقاطاً)
منتبين ؛ لأن أعينهم مفتحة (وهم رقاد)
نيام (ونقلهم) أثناء نومهم (ذات اليمين
وذا الشمال) ثلثاً تأكل الأرض لحومهم ؛
وقد يكون الانقلاب بواسطة ملك يأمره الله تعالى
به ، أو بفعلهم هم - بتوفيق من الله تعالى -
كما يفعل النائم حال نومه ؛ ولذا يحسبهم الرائي
أيقاطاً ؛ لتقلبهم وانفتاح أعينهم (بالوصيد)
عنة الكهف . والباب الوصيد : الغلق
(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت
منهم رعباً) لما حفرهم الله تعالى به من الهية ،
وأحاطهم به من العظمة ؛ وقد منعمهم الله تعالى
من الناس بالرعب : ثلثاً يقربوا منهم ، وبعثوا
بهم ؛ فصاروا بحيث لا يستطيع أحد قربهم

أو الدنو منهم . أما من قال : إن الفرار منهم والرعب بسبب طول شعورهم وأظفارهم ؛ فليس بشيء :
لأنهم حين استيقظوا قال بعضهم لبعض «لبئنا يوماً أو بعض يوم» (وكذلك بشئنا) أيقظناهم من نومهم
(ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضاً (فاعثوا أحدكم بورقكم) الورق : الفضة . والمراد بها : النقود التي
كانت متداولة بينهم (فليظنر أيها أزكى) أحل وأطيب (وليتلطف) في دخول المدينة ، وشراء الطعام

(لأنهم إن يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم ، ويطعوا مكانكم (وكذلك أعثرنا عليهم) أطلعنا عليهم (ليعلموا) أن وعد الله حق) أى ليعلم الناس أن وعد الله تعالى بالبعث حق : لأن القادر على بعث أهل الكهف - بعد نومهم ثلاثمائة عام - قادر على بعث الخلق بعد مماتهم. وبعث الناس يوم القيامة سيكون بأجسادهم ؛ وقد أظم الله تعالى الدليل على ذلك بإحياء حار عزيز : قال تعالى له «وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً»

الجزء الخامس عشر

٣٥٤

(انظر آية ٢٥٩ من سورة البقرة) (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى يتنازع المؤمنون والكفار في شأنهم ؛ فقال الكفار : نبي فوقهم يبعث ، وقال المسلمون ؛ وكانوا كثيرة غالبية (لنتخذن عليهم مسجداً) واتخذوه فعلاً فوق كهفهم ؛ وفي هذا الدليل القاطع على جواز اتخاذ المساجد فوق القبور - خلافاً لما يقول به بعض الفلاة - ولا يدفع ذلك مارواه أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ؛ قال : «لن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زوارات القبور ، والتخذين عليها المساجد والسرج» فهو حديث - وإن صح - يجب تأويله بالتهى عن السجود إلى القبور ، أو الصلاة عليها ؛ يدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» وذلك لأن الحديث لا يدفع صحيح القرآن : «لنتخذن عليهم مسجداً» وعلة التهى في الحديث : أن اتخاذ القبور مساجد قد يؤدى إلى عبادة من فيها ؛ كما اتخذت الأصنام من قبل (سيقولون) أى يقول المختلفون في شأن أهل الكهف وعدتهم ؛ وذلك في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجأ بالغيث) الرجح بالغيث : القول بالظن ؛ وهو دليل على بطلان السابق ، وصحة اللاحق ؛ وهو قوله تعالى (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم)

وَلَا يُسْعِرَنَّ بَكَرَ أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ
يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعْدُوْكَ فِى مَلِيَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ۖ
وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ فِيْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجِئْنَا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّىْ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تَحْزَنْ فِيْهِمْ إِلَّا مِرًّا
ظَهَرَ ۚ وَلَا تَسْتَفِىْ فِيْهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَيْءٍ إِنِّىْ فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّىْ
لَأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۖ وَلَيْتُوا فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ

مِائَةٍ

ولم يقدح فيه بشيء (فلا تعلم) فلا تجادل (فيهم إلا مرأه ظاهراً) إلا جدالاً في حدود ما ظهر لك مما أترلناه عليك (ولا تستفت فيهم) أى في شأن أهل الكهف (منهم) أى من اليهود وغيرهم من المشركين (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك) الشيء (غداً) أى فيما يستقبل من الزمان (إلا أن يشاء الله) أن فعله ؛ فوجب إذا الاستثناء ؛ لأنك إن قلت : إني فاعل كذا . ولم تفعل ؛ كنت كاذباً . أما إن استثنيت وقلت : لأفعلن كذا إن شاء الله ؛ ولم يقدرك الله تعالى على فعله : كنت صادقاً (واذكر ربك إذا نسيت) أى اذكره إذا نسيت قصيته ، واستغفروه وتب إليه ! والعصيان لا يكون إلا عند نسيان الله تعالى (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً) أى أحسن عملاً ، وأقرب منفعة وهداية (وليتوا) مكتوا

(في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) قال بعضهم : لأن مدة لبثهم في الكهف «ثلاثمائة سنين» شمسية «وازدادوا تسعا» وهي السنين القمرية ؛ لأنها تزيد ثلاث سنين في كل مائة عام . وهو قول فيه الكثير من التكلف ، ويتناقى مع لغة العرب - التي جاء بها القرآن - قال الشاعر :

كانوا ثمانين وازدادوا ثمانية

يعنى أنهم ثمانية وثمانون ؛ ولا يقل أن يكون مقصد الشاعر : أنهم ثمانون بالحساب الشمسي ،

وثمانية وثمانون بالحساب القمري ! والذي أراه - من صريح لفظ القرآن الكريم - أن أصحاب الكهف مكتوا في كهفهم «ثلاثمائة سنين» ثم بعثهم الله تعالى «وكذلك بعثناهم» وكان ما كان من أمرهم - الذي قصه الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام - ثم أنامهم الله تسع سنين ؛ بدل عليه قوله تعالى «وازدادوا تسعا» ثم أماتهم بعد ذلك ، وتم بناء المسجد فوقهم . وقيل : لأنهم أحياء في نومهم حتى ينفخ في الصور ؛ والله تعالى أعلم . (أبصره وأسمع) وهي صيغة تعجب ؛ أي ما أبصره تعالى بكل موجود ، وما أسمع له لكل مسموع ! (لا تبدل كلماته) التي ذكرها في كتابه الكريم : فقد وعد تعالى بحفظه من التبديل والتغيير ، وبالتالي فإن ما فيه من قصص ، وعبر ، وترغيب ، وترهيب ، كله حق ، وكله واقع لا محالة ! (ولن تجد من دونه) غيره (ملتجدا) ملجأ (واصبر نفسك) أحسبها (بالفداء) صباحا (والعنى) مساء (يريدون) بعبادتهم (وجهه) أى لا يريدون بطاعتهم الدنيا - مع حاجتهم إليها - بل يريدون عبادته تعالى ورضاءه ! (ولا تعد عينك) لا تجاوز ، ولا تصرف (عنهم) عن هؤلاء الطائعين ؛ ولو كانوا من المدمين (تريد زينة الحياة الدنيا) أى لا تصرف وجهك عن الفقراء

٣٥٥

سورة الكهف

مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْفُوا ۖ لَمْ نَحِيبُ الْكَافِرِينَ ۖ وَالْأَرْضُ أَبْصَرُ بِهِ ۖ وَاتَّبِعْ مَا هُمْ مِنْ دُونِهِ ۖ مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتَيْهِ ۖ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۖ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُورَةِ ۖ وَالْعَنَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ۖ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۖ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۖ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا ۖ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۖ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۖ بِئْسَ الشَّرَابُ ۖ وَسَاءَتْ مَرْتَفَعًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَلْحَمْدًا ۖ

- الذين لا يجدون ما يأكلون ، أو يلبسون ، أو يركبون - إلى الأغنياء الذين طعموا أحسن الطعام ، ولبسوا فاخر الثياب ، وركبوا فاخر المركب ؛ وجميع ذلك من زينة الحياة الدنيا . أما في الآخرة فقد يعرى الكاسي ، ويكسى العاري ، ويركب المشاي ، ويحى الراكب ! (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) عقوبة له ، وانتقاما منه ؛ لاتباعه هواه ، وعصيانه مولاة ! (اتبع هواه) (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق ، ومسرفا في المصيان والكفر (وقل الحق) الإسلام والقرآن (من ربكم فمن شاء) منكم (فليؤمن) باختياره (ومن شاء فليكفر) بإرادته ؛ فقد خبر الله تعالى الإنسان ، بين الكفر والإيمان ؛ بعد أن بين له عاقبة الإيمان ، ومغبة الكفران ! (إنا أعتدنا) هيأنا =

= وأعدنا (لظالمين) الكافرين (ناراً أحاط بهم سرادقها) أى تحيط بهم يوم القيامة لإحاطة السرادق
 بمن فيه من الجوع ويقال للدخان ، إذا ارتفع وأحاط بالسكان: سرادق (ولن يستغيثوا) من العطش (يفأثوا
 بماء كالمهل) وهو المعدن المذاب ، أو القطران ، أو عكر الزيت (وساءت مرثقاً) المرثق: المشكأ ،
 وهو ما يستند إليه يعرف اليد : كالخدة ، ونحوها . والمعنى : انعدام الراحة فيها . أو هو كل ما ينتفع به ،
 وليس في جهنم ما ينتفع به إطلاقاً ؛ وإنما سيقف للمقابلة مع قوله تعالى عن الجنة «وحسنت مرثقاً» كما سيأتى

(جنات عدن) جنات الإقامة ؛ من عدت
 بالسكان : إذا أقام فيه (سندس) مارق من
 الديباج (واستبرق) ما غلظ منه (الأرائك)
 السرر (واضرب لهم) يا محمد (مثلاً) للكافر
 والمؤمن ، أو لمن يعتز بالدنيا ويترك الآخرة وراء
 ظهره ، ومن يرغب في الآخرة ولا يحرص على
 الدنيا ؛ فثقلها كمثل (رجلين جعلنا لأحدهما)
 وهو المقبل على الدنيا ، المنصرف عن الآخرة
 (جنتين) بستاتين (من أعناب وحفناهما
 بنخل) والبستان إذا أحيط بالنخل : ضم إلى
 حسن الخمر ؛ جمال المنظر (انظر آية ٢٦٦ من
 سورة البقرة) (كلنا الجنة أنت أكلها)
 أعطت ثمرها كاملاً (ولم نعلم منه شيئاً) أى
 لم تنقص من ثمارها شيئاً : أينعت كأحسن
 ما يكون النبع ، وأثمرت كأحسن ما يكون
 الثمار! (ونجرتنا خللاً منيراً) إيماناً في حسنهما
 وزيادة في خصوصيتهما (وكان له) أى لصاحب
 الجنة (ثمر) مال وافر مشر ؛ مما حازه من
 جنته في سابق أيامه (فقال لصاحبه) المقبل
 على الآخرة ، المنصرف عن الدنيا (أنا أكثر
 منك مالا وأعز نفراً) أى وأعظم عشيرة .
 والنفر : الرهط ؛ وهو ما دون العشيرة .
 وترك صاحبه (ودخل جنته) دخل أحد
 بستانيه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر ، وعدم
 الشكر وبالغرور والكبر ؛ وحين رأى كثرة

الجزء الخامس عشر

٣٥٦

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخْلَوْنَ
 فِيهَا مِنْ أَسْوَدَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبْغُمُ
 الثُّرُوبَ وَحَسَنَتْ مَرْثَقُهُمْ * وَأَضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا
 رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
 بِبَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۖ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ هَتَّتَا أَكْطَاهَا
 وَلَمْ تَقْلُمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَّاهُمَا نَهْرًا ۖ وَكَانَ لَهُ
 ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
 وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ
 مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
 وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ
 قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

رَبِّي

ثماره ، وجريان أنهاره ، وأوحى إليه الشيطان أنت توافر المال والماء: موجب لتوافر المحصول والثراء !
 و (قال) في نفسه (ما أظن أن تبید هذه) الجنة (أبدًا وما أظن الساعة قائمة) كما يزعمون (ولئن) كانت
 قائمة ، و (رددت إلى ربى لأجدن) عنده (خيراً منها) أى خيراً من جنتى هذه (منقلباً) مرجعاً وعاقبة ؛
 وذلك كقول نظائره من الكافرين «وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى»
 (قال له صاحبه) المؤمن ؛ رداً على ما قاله : كيف تقول ما قلت ؟ وكيف تشكر البعث والقيامة ؟ (أكفرت
 بالذى خلقك) أى خلق آدم - وهو أصل البشرية - خلقه الله تعالى (من تراب ثم) خلق أبنائه جميعاً (من
 نطفة) منى (ثم سواك رجلاً) سميماً ، بصيراً ، عاقلاً (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (لكنا) أصلها =

= «لكن أنا» (هو الله ربى) أى أناشأت أن أقول: «الله ربى» (ولا أشرك ربى أحداً) ولا أكفر بنعمته تعالى؛ كما كفرت أنت! (ولولا) وهلا (إذ دخلت جنتك قلت) عند إيجابك بها، وسرورك من منظرها (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولم تقل «ما أظن أن تبدي هذه أبداً» إنك (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً) فى هذه الدنيا الفانية (ففسى ربى أن يؤتىنى) فى الآخرة الباقية (خيراً من جنتك) التى تعجب بها وتفخر (ويرسل عليها حساباً) صواعق (من السماء) والحسابات أيضاً: المذاب؛ وهو يشمل كل آفة تنزل من السماء؛ فهلك الزرع (فتصبح) جنتك الزاهية الزاهرة، المثمرة الناضرة (صعيداً زلقاً) أرضاً جرداء ملساء؛ لا تثبت عليها قدم (أو يصبح ماؤها) الذى يتوقف عليه إثمارها وازدهارها (غوراً) غائراً؛ أى ذاهباً فى الأرض (فلن تستطيع له طلباً) وكيف يطلب مالا وجود له أصلاً؟ وقد حقق الله تعالى ما قاله المؤمن فى جنة الكافر: فأنزله الله من السماء ما أنلقها وأخاها! (وأحيط بنهره) هو كناية عن إهلاك الثمار عن آخرها (فأصبح) الكافر (بقلب كفيه) يضرب لإحداها على الأخرى؛ ندماً وتحسراً (على ما أشق فيها) أى فى الجنة: من جهد، ووقت، ومال (ويقول ياليتنى لم أشرك ربى أحداً) بعد أن علم أن كفره كان سبباً لماحل به من المصائب (ولم تكن له فئة ينصرونه من دوت الله) فيمنعون عنه ما نزل به، ويحولون دون ما أراده الله تعالى به من خزي وخسران! (وما كان منتصراً. هنالك) عند حلول انتقام العزيز الجبار (الولاية) السلطان، والملك، والقدرة والنصرة (لله الحق) لا لغيره! أو «هنالك» يوم القيامة؛ عند معاقبة العاصين، وإثابة الطائعين (هو خير ثواباً) أى خير من يثيب على الإيمان والطاعة (وخير عقاباً) أى عاقبة للدومنين (واضرب لهم) ياحمد (مثل الحياة الدنيا) وحسنها وبهجتها؛ مع سرعة زوالها وانقضائها (كما أنزلناه من السماء) يسر وسهولة (فاختلط به نبات الأرض) أى شرب منه، ونما وازدهر بسببه؛ غير أنه ذبل بعد ذلك (فأصبح هشياً) يابساً متكرساً (تدروه الرياح) تنسفه وتطيره (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فهما الفنى والسعة، واليسر والعون - فى هذه الدنيا المحترقة - فلا تجعلوا المال مأربكم، والبنين مطلبكم: تجمعون المال وتنسون المال، وتحصون بئكم بالخير، وتغفلون الفير؛ مع أن الله تعالى قد وعد منفقاً خلقاً، وأوعد ممسكاً تلقاً!

٣٥٧

سورة الكهف

رَبِّى وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَفَسَىٰ رَبَّىٰ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ ۚ فَأَصْبَحَ بِقَلْبٍ غَنِيٍّ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِرَبِّ شَرِكٍ ۚ رَبِّى أَحَدًا ۝ وَلَا تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ قَرَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا ۝ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْخَمِيرِ الذَّنْبَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ

الدنيا) وحسنها وبهجتها؛ مع سرعة زوالها وانقضائها (كما أنزلناه من السماء) يسر وسهولة (فاختلط به نبات الأرض) أى شرب منه، ونما وازدهر بسببه؛ غير أنه ذبل بعد ذلك (فأصبح هشياً) يابساً متكرساً (تدروه الرياح) تنسفه وتطيره (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فهما الفنى والسعة، واليسر والعون - فى هذه الدنيا المحترقة - فلا تجعلوا المال مأربكم، والبنين مطلبكم: تجمعون المال وتنسون المال، وتحصون بئكم بالخير، وتغفلون الفير؛ مع أن الله تعالى قد وعد منفقاً خلقاً، وأوعد ممسكاً تلقاً!

(والباقيات الصالحات) أعمال الخير والبر (خير عند ربك ثواباً) وأجرأ؛ من الدنيا وما فيها ، ومن فيها (وخير أملاً) أى أفضل أملاً من ذى المال والبنين ، بغير عمل صالح (ويوم نسير الجبال) فى الجو ، أو تنهب بها ؛ بأن نجعلها هباءً منثوراً (وترى الأرض بارزة) ظاهرة ؛ لا يسترها شيء مما كان عليها ؛ من

الجزء الخامس عشر

٣٥٨

الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق فى المحشر للحساب (فلم نفادر) لم نترك (وعرضوا على ربك صفاً) أى مصطفين؛ بحيث لا يخفى أحد منهم ، أو يستر بغيره ؛ ويقال لهم وقت عرضهم (لقد) بشناكم بعد موتكم ، وأعدناكم بعد بلاء أجسادكم ؛ وما أنتم أولاء (جثموناً) بأجسادكم وأرواحكم (كما خلقناكم أول مرة) وقد ذكرنا لكم ذلك - على لسان رسلنا - فكذبتم وعصيتم و (زعمتم أن نجعل لكم موعداً) نحاسبكم فيه (ووضع الكتاب) الذى فيه أعمال الخلائق ؛ منذ ولادتهم حتى موتهم (فترى المجرمين) الكافرين (مشفقين) خائفين (مما فيه) من أعمال سيئة عملوها ، وجرائم بغيضة ارتكبوها (لا يفادر) لا يترك (ووجدوا ما عملوا) فى الدنيا (حاضراً) مثبتاً فى الصحف ، واضحاً . أو وجدوا جزاء ما عملوا معداً لهم (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) خرج عن طاعته (أفتخذونه وذريته أولياء) ومن ذرية إبليس اللعين : من يوسوس فى الصلاة ، ومن يحض على الزنا ، ومن يأكل مع من لم يسم الله ، ومن يزعم عند المصيبة ويحض على عدم الصبر ! إلى ما لا نهاية له من الإضلال والإفساد (وهم لكم عدو) ألا ترون أنهم ينصبون لكم الأحياء ، وزينون لكم الأباطيل ! (بئس

الصلححت خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نفادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جثمتونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن نجعل لكم موعداً ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يؤملتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ويوم يقول

لظالمين) الكافرين (بدلاً) أن يستبدلوا طاعة الله تعالى ورسله ؛ بطاعة إبليس وذريته ! (ما أشهدتهم) أى ما أشهدت لإبليس وذريته (خلق السموات والأرض) وما استعنت بهم (ولا) أشهدتهم (خلق أنفسهم) أى ولم أشهد بعضهم خلق بعض؛ بل خلقت الجميع بإرادتى وقدرتى؛ ولم أستعن بأحد منهم: فكيف تطيعونهم وتطيعونهم (وما كنت متخذ المضلين عضداً) أى أعواناً أعتضد بهم وأستعين (ويوم يقول) الله تعالى

(نادوا شركائهم) الذين أشركتموهم معي في العبادة (فدعوهم) فنادوهم ، أو استفتأوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) وكيف يجيب من لا يوجد له مستجيب ؟ أو كيف يفت من ليس له مغيث ؟ (وجعلنا بينهم) أى بين العابدين والمعبودين (موبقاً) مهلكاً ؛ وهو جهنم : يهلكون فيها جميعاً . وقيل «موبقاً» حاجزاً بينهم وبين من عبدوا ؛ من الملائكة ، وعزير ، وعيسى ؛ إذ أنهم في أعالي الجنات ، وما يدبرهم في أحط الدرجات ! (ورأى المجرمون النار فظنوا) تيقنوا وتأكدوا ؛ والظن يأتي في القرآن الكريم دائماً بمعنى اليقين ؛ ما لم تدل قرينة السياق على خلافه ؛ كقوله تعالى «لأن

٣٥٩

سورة الكهف

نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» (مواقعها) مخالطوها وواقعوا فيها (ولقد صرفنا) بيننا (من كل مثل) ضربناه للناس : تقريباً لأفهامهم ، وكل عظة تسلك في قلوبهم ، وكل حجة تدخل في عقولهم : ليتذكروا ، ويشعظوا ، وينزعجروا ، وينبوا (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) أى أكثر مهارة ، وخصومة : لا يرجع عن باطله ، ولا يثوب إلى رشده ! ولعل المراد بالإنسان : الكافر غصب ؛ فقد وصفه الله تعالى بالجدال في غير موضع من كتابه الكريم : «وجادلوا بالباطل» «ومجادل الذين كفروا بالباطل» «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم» (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أى أى مانع يمنع الناس عن الإيمان ؛ بعد نزول القرآن ؛ ! ولا حجة لمن ألحد بزعمه أن الله تعالى منعهم عن الإيمان ، وصرفهم عن الإيقان ؛ بل وسلك في قلوبهم الكفران ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (لأن تأتيتهم سنة الأولين) أى لأن المانع لهم من الإيمان : بالغ جهلهم ، ومزيد حقهم ؛ وطلبهم معاناة الهلاك الذي حل بأمتثالهم من الأمم السابقة ؛ كقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٣٥٩﴾ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٣٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَفِتًى وَجَدَلًا ﴿٣٦١﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٣٦٢﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ الْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٣٦٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٣٦٤﴾ وَرَبِّكَ أَغْفُورٌ ذُو الرَّحْمَةِ

أو اثنتا بعذاب أليم» (أو يأتيتهم العذاب قبلاً) مقابلة وعبارة (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (ليدحضوا) يبطلوا (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أُنذروا) به من الحساب والعذاب (هزواً) سخريه (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من ذكر آيات ربّه) المنفرة له بسوء القلب (ونسى ما قدمت يده) من كفر وعصيان ؛ فلم يرجع عن كفره ، ولم يتب من عصيانه (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية (أن يفقهوه) أن يفهموا هذا القرآن : عقوبة لهم . قال تعالى «ونقلب أئنتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» (و) جعلنا (في آذانهم وقراً) صمماً أن يسموه (و) ذلك لأنهم (إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً) كفراً منهم وعناداً

(لو يؤاخذهم) الله (بما كسبوا) عملوا من سيئات (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) يعذبون فيه : وهو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موثلاً) ملجأ (وتلك القرى) أى أهلها : كقرى عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) لما كفروا ؛ كما كفر هؤلاء (وجعلنا لمهلكهم) لإهلاكهم (موعداً) وهو إقامة الحجة عليهم ، واليأس من إيمانهم (ولاذ قال موسى) ابن عمران (لفتاه) يوشع بن نون ؛ وكان تابعاً له يخدمه ، ويتلقى منه العلم (لا أبرح) أى لا أزال سائراً (حتى أبلغ بجمع البحرين) ملتقى بحر فارس والروم ؛ مما يلي المشرق (أو أمضى حباً) زماناً طويلاً (فلما بلغا مجمع بينهما) أى بين البحرين (نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً) يعنى دخل في الماء واستتر به ؛ والمراد أن الحوت اتخذ سرباً في البحر لطريقه . والسرب : الشق الطويل (فلما جاوزا) أى جاوز موسى وقتاه ذلك المكان - الذى تسرب فيه الحوت من حيث لا يدرى - وسارا في طريقهما المرسوم ، وبلغ منهما الجوع مبلغه ؛ وحل وقت الغداء من اليوم الثانى لتسرب الحوت (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا) والغداء : ما يؤكل في القدوة ؛ وهى أول التهار ؛ وليس كما يتوهمه الأكثرون من أنه وقت الظهيرة (لقد لقينا من سفرنا هنا نصبا) تعباً ، ومشقة ، وجوعاً (قال) له فتاه (أرأيت) أى أتذكر (إذ أوتينا إلى الصخرة) لتسترخ عليها ؛ عند مجمع البحرين (فإني) عند ذاك (نسيت الحوت) أى نسيت أن أفتقده (أن أذكره) أن أتذكره وأحفظ به (قال) له موسى (ذلك) الذى حدث (ما كنا نبع) هو الذى كنا نطلبه (فارتدا) رجعا (على آثارهما) من حيث جاءا (قصصاً) يتبعان طريقهما الذى أتيا منه (فوجدنا) عند الصخرة :

٣٦٠

الجزء الخامس عشر

لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرِيبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَاصِيَةٌ غَدَاةٌ آتِيَةٌ لَّيْقِنَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ لَمَّا كُنَّا فِي الْحَوْتَ وَمَا أَفْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُّهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ الدُّنْيَا حَيْثُ ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّا عَلِيمًا ۝ قَالَ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّا عَلِيمًا ۝ قَالَ

إِنَّكَ

التي استراحا عليها ، ونسبا الحوت عندهما (عبداً من عبادنا) هو الحضرة عليه السلام (آتيناه رحمة) الرحمة : الوحي ، والنبوة ؛ يدل عليه قوله تعالى «ألم يهضمون رحمة ربك» وقوله تعالى في نهاية هذه القصة ؛ على لسان الحضرة عليه السلام «وما فاعته عن أمرى» أى إنما فعلت ما فعلت بوحى من الله تعالى . وأكثر المفسرين على أنها - في هذه الآية التى نحن بصددھا - الولاية ، وكشف الحجب ؛ والذى أراه ويقضيه السياق : أنها النبوة قولاً واحداً : إذ لا يعقل أن يوجد في زمن أى نبي من هو أعلم وأحكم منه : لأن النبي - في كل زمان - خيرة الله تعالى من أهل ذلك الزمان (رشداً) أى صواباً أسترشد به

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَقْبَلَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٢٣﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي فَكَيْفَ يُغَيْرُ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٢٤﴾ * قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَٰذَا فَلَا تُصْبِحْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّذِي عُدْرًا ﴿٢٦﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابْوَا

(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) أى على ما لم تعلم حقيقة خبره

(لقد جئت شيئاً إمرأ) عطياً منكراً

(ولا ترهقني) تكلفني (من أمرى عسراً)

مشقة ؛ بل عاملني بالعسر والبسر

(قال أقتلت نفساً زكية) طاهرة ، بريئة من

الذنب (لقد جئت شيئاً نكراً) عطياً منكراً

(قد بلغت من لذي عذراً) أى قد قام عذرك

في مطالبي بعدم مصاحبتك ؛ كما قطعت على

نفسى (استطعا أهلها) طلبا منهم أن يطعما

على سبيل الضيافة

(فأبوا أن يضيفوهما) لبخل فاش فيهم . والبخل من أخط الصفات المذمومة ؛ خاصة إذا كان بالطعام لقوم جباة قد طلبوه بأنفسهم ! والبخل : يحو سائر الحسنات ، كما أن السخاء يحو السيئات (فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) أى جداراً آيلاً للسقوط فيه . من هنا يعلم أن الإحسان يجب على المحسن ؛ لمن أحسن أو أساء ، وأنه يذل من غير مقابل ! ومن عجب أنا ترى النفوس الشريرة تقابل الإحسان بالإساءة ، وتجزى الخير بالشر ! (قال) موسى للخضر عليهما السلام (لو شئت لأخذت عليه) أى على بناء

الجزء السادس عشر

٣٦٢

الجدار (أجراً) نطعم به ؛ لأنهم أبوا مجاملتنا بقليل الطعام ؛ فكيف نجاملهم بهذا العمل الكبير الخطير ؟ (أما السفينة فكانت لمساكين) والمساكين : أحسن حالا من الفقير ؛ لأن الفقير : هو الذى لا يجد القوت ، والمساكين : الذى يجد الكفاف ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى «أما السفينة فكانت لمساكين» فوصفهم تعالى بالمسكنة ؛ مع أنهم يملكون سفينة تؤجر للركوب والحمل ؟ وقال قوم بأن المسكين أشد بؤساً من الفقير . والقول الذى قلناه أولى ؛ يظهره المعقول والمنقول ؛ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من الفقر ، وكان يقول «اللهم أحبنى مسكيناً وأمنى مسكيناً» ويستحيل عقلاً أن يتعوذ عليه الصلاة والسلام من الفقر ؛ ثم يسأل ما هو أسوأ حالا منه . وقد قيده تعالى بقوله «أو مسكيناً ذا متربة» أى ذا فقر (وكان وراءهم) أى فى طلبهم . وقيل : «وراءهم» أى أمامهم فى سيرهم (نخشنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) إذا عاش وبلغ مبلغ الرجال ؛ لأن الله تعالى علم عته ذلك ، وأمرنى بما هنالك (فأردنا أن يبدلها ربهما) من الأبناء الصالحاء (خبراً منه زكاة) أى إيماناً وصلاحاً وتقى (وأقرب رحماً) أى رجة بالديه ، وبراً بهما ؛ فانظر يارعاك الله ، إلى حكمة الله : لقد فرح الأبوان بأبهما حين

أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ
زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ۖ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَفَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ وَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ إِنَّا مَكَلُّهُ فِي الْآرْضِ

وَأَتَيْنَهُ

ولد ، وحزنا عليه حين قتل ؛ ولو بقى لحسرا بسببه الدنيا والآخرة ! فإرض هداك الله ، بقضاء الله ؛ فإن قضاءه للمؤمن فيما يكره ؛ خير له من قضائه فيما يحب ! (وكان أبوهما صالحاً) يؤخذ من هذا : أن صلاح الآباء ، ينفع الأبناء ؛ حتى قيام الساعة (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى رشدهما . وبلوغ الأشد : اكتمال القوة ؛ وهو ما بين ثماني عشرة ؛ إلى ثلاثين سنة (وما فعلته عن أمرى) وإنما فعلته بوحي من ربى ؛ وهذا أيضاً دليل على نبوة الخضر عليه السلام ؛ كما قدمنا (ويسألونك عن ذى القرنين) قيل : إنه الاسكندر الأكبر الروى المقدوني . وقيل : لأنه غيره . وذهب قوم إلى أنه نبى ، أو رجل صالح ؛ أرسله الله تعالى لإحداث أحداث كونية ، روحية ؛ وقد مدحه الله تعالى فى القرآن . وسبب تسميته بذى القرنين : =

= أنه بلغ قطرى الأرض ؛ من مشرقها إلى مغربها . وقيل : سمي بذلك لأن له صغيرتان كالقرنين . وقيل : لأنه عاش قرنين من الزمان ؛ والله تعالى أعلم وأحكم ! (إنا مكنا له فى الأرض) أى جعلنا له مكانة فيها ، وملكناهها له ، وسهلنا سيره فيها (وآتيناه من كل شيء) أراداه (سبباً) أى وسيلة توصله إلى ذلك الشيء الذى أراداه وقدرنا وقوعه (فأتبع سبباً) فسلك طريقاً نحو المغرب (وجدها تغرب فى عين حثة) أى ذات حاة . والحاة : الطين الأسود المتين . وقرئ « عين حامية » بمعنى حارة ؛ والمراد عين سوداء لا ضوء فيها ،

وذلك رأى العين . أما الشمس فالثابت أنها أعظم وأكبر من الأرض ؛ وقد قدروا أنها أكبر من حجم الأرض بأكثر من مليون وأربعمائة وأربعة آلاف مرة (ووجد عندها قوماً) كافرين ، جبارين ، معتدين (قلنا ياذا القرنين) يؤخذ من هذه الآية أنه كان نبيا يوحى إليه ؛ وإن لم يكن فهو عبد صالح أوحى الله تعالى إليه وحى الهام (إما أن تعذب هؤلاء القوم ؛ على كفرهم وبغيهم وطغيانهم (وإما أن تتخذ فيهم حسناً) بإسداء النصح والإرشاد . وقيل : « إما أن تعذب » بالقتل والفتك « وإما أن تتخذ فيهم حسناً » بالأسر حتى الشاب (ثم يرد إلى ربه) يوم القيامة (فيعذبه عذاباً نكراً) شديداً : تنكره الطاقة ، ولا تحتمله القوة (وأما من آمن بالله تعالى (وعمل) عملاً (صالحاً) فله جزاء الحسن) أى الجنة (وستقول له من أمرنا يسراً) أى لا تأمره إلا بما يسهل عليه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » أو سنعلمه ما يقربه إلينا ، ويسر له كل صعب (ثم أتبع سبباً) سلك طريقاً آخر - غير الطريق الأول - نحو المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) أى أبينة تسترهم ؛ لأن أرضهم لا تحتل البناء ، أو أنهم عرايا ؛ لا يلبسون ثياباً تسترهم .

قيل : لانهم الزنج (كذلك) أى الأمر كما ذكرنا (وقد أحطنا بما لديه) أى بما عند ذى القرنين من الجند والآلة ، والميرة والخبرة ، وغير ذلك (ثم أتبع سبباً) سلك طريقاً آخر غير الذى سلكه نحو المغرب والمشرق (حتى إذا بلغ بين السدين) الجبلين ؛ من قبل أرمينية وأذربيجان (وجد من دونهما) أى أمام السدين . وقيل : من ورائهما (قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) أى لا يفهمون ما يقال لهم ، ولا يستطيعون أن يفهموا غيرهم ؛ يؤيده قراءة من قرأ : « يفقهون » (قالوا) أى قال له الناس الصالحون ، القاطنون فى هذه الجهات (إن يأجوج ومأجوج) قبيلتان اشتهرتا بالفساد والإفساد (مفسدون فى الأرض) قيل : لانهم كانوا من أكلة لحوم البشر . وقيل : لانهم كانوا يفسدون بالقتل ، والظلم ، والبغى ، والفساد (فهل =

وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٣٦﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عَنْهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْفَرَقَيْنِ ﴿٣٨﴾ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ
وَإِمَّا أَنْ تُتَّخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٣٩﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٤٠﴾ وَأَمَّا
مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ
لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٤٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ
لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٤٣﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٤٦﴾ قَالُوا يَبْنَؤُا الْفَرَقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ نَجْرًا عَلَيْهِ أَنْ تَجْعَلَ

== نجعل لك خراباً) جملاً ، وفي قراءة « خراباً » (قال ما مكنتي فيه ربي) أي ما جعلني متمكناً فيه : من القوة ، والحيلة ، والمال والعتاد (خير) مما تعرضونه على من الحراج (فأعينوني بقوة) أي بقوتكم البدنية ، ومعاونتكم الجسدية (أجعل بينكم وبينهم رحماً) جداراً ، وحاجزاً حصيناً (أتوني زبر الحديد) وهي القطع

الكبيرة من الحديد (حتى إذا ساوى) بذلك الحديد (بين الصدين) جاني الجبلين ؛ وسد الفرجة التي بين السدين ، والتي يقسرب منها يأجوج ومأجوج إلى الذين لجأوا إلى الإسكندر ، واستصرخوا به ؛ وقد سدها بقطع كبيرة متفرقة من الحديد ، ووضع حول القطع ناراً ؛ ثم (قال انفضوا) على النار (حتى إذا جملة ناراً) أي صهر الحديد وجملة كالنار (قال أتوني أفرغ عليه قطراً) نحاساً مذاباً بين ثنايا قطع الحديد (فما استطاعوا) أي فاستطاع يأجوج ومأجوج (أن يظهره) أن يملوا السد ؛ لمزيد ارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) لظلمه وصلابته ؛ فلما أتم السد (قال هذا) أي القدرة على بناء هذا السد وإتمامه (رحمة من ربي) بالعباد والبلاد ؛ إذ كف بالسد أذى يأجوج ومأجوج عنهم (فإذا جاء وعد ربي) بالقيامة ، وخروجهم قبيلها (جملة ذكاء) أي هدمه وحطمه وأزاله وجملة مستويا بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ) أي يوم خروجهم (يموج في بعض) يختلطون ويضطربون لكثرتهم (ونفخ في الصور) القرن : ينفخ فيه لإسرائيل عليه السلام ، بأمر ربه تعالى (نجفثهم) أي الملائكة أجمعين ، في مكان واحد (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) أي عن القرآن ؛ فهم عمى لا يهتدون

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِدًّا ﴿٣٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٣٧﴾ أَتُؤْنَسُونَ زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُضُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٣٨﴾ قَالُوا لَنْ نَسْتَطِعَ أَنْ نَبْهَرَهُ وَمَا سَأَطَعُوا لَهُ نُفْعًا ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لَنُحْشَرَنَّهُمْ أَجْمَعًا ﴿٤١﴾ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاوَةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٤٣﴾ الْغَيْبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَخَذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿٤٤﴾ قُلْ هَلْ تُنَبِّئُنَا بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٤٥﴾

الَّذِينَ

به ! (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) «صم بكم عمى فهم لا يرجعون» (أغضب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي) من الملائكة ، وعيسى ، وعزير (من دُوني أولياء) يوالونهم بالعبادة ؛ مع مساواتهم لهم في الحاجة والعجز (إنا أعتدنا) هنا وأعدنا (جهنم للكافرين نزلاً) النزل : المكان المعد لنزول الضيف وإكرامه ، أي ان نهاية إكرامهم : أن تكون جهنم نزلاً لهم !

الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِحُجُوبٍ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ
وَلَقَاءِهِمْ لَخَطِئَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وِزْنًَا ﴿٢﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَعَدُّوا
ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُرُّوا ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْغَارِ دُونَ زُلَّٰلٍ ﴿٤﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿٥﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ
الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ قَن
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۖ أَحَدًا ﴿٧﴾

(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) كتبه
(ولقائه) أى وكفروا أيضاً بالبعث
والحساب ، والثواب والعقاب (خطبت)
بطلت (أعمالهم) الصالحة ، التى عملوها فى
الدنيا (فلا تقيم لهم) ولا لأعمالهم (يوم القيامة
وزناً) بل تتركهم فى نهاية الذلة ، وغاية المهانة ؛
غير ما أعدناه لهم من عذاب أليم ، وشر
مقيم ! (حولا) تحولا (قل لو كان البحر)
بمائه الكثير الوفير (مداداً) المداد : الذى
يكتب به (لكلمات ربى) الدالة على عظمتها
وربوبيته ، وعلمه وحكمته (لنفد البحر) فرغ
ماؤه فى الكتابة (قبل أن تنفد) تنتهى
(كلمات ربى ولو جئنا بمثلها) بمثل البحر
(مداداً) لنفد أيضاً ذلك المدد ، قبل أن تنفد
كلمات الله تعالى ! وهو تصوير لقدرته تعالى ،
ومزيد سلطانه ! وليس المراد حقيقة الكلام ؛
من مداد وأقلام ؛ إذ أن كلماته تعالى - فى
تكوينها - لا هجائية ؛ بل إرادية ، فالخلوقات
الربانية ؛ والمبدعات الإلهية : إن مى إلا كلمات
بليغة ؛ ينطق بها لسان الحال ، بما هو أفصح

من لسان المقال . وإن لله تعالى كتابين دالين على وجوده وشهوده ؛ يقوم كلاهما بالهداية إليه ، والتعريف به :
أحدهما : كتابا مخلوقا ؛ وهو الكون وما فيه من عجائب تجل عن الحصر ، وغرائب تعز عن الوصف .
وثانيهما : كتابا قديماً عتداً منزلاً : وهو القرآن ؛ وفيه ما فيه من لآلى المغانى ، وينابيع الحكم ، وبلغ
الكلم ! (انظر آية ٢٧ من سورة لقمان)

(١٩١) سُورَةُ مَرْيَمَ

١٩ آتِي ٥٨ وَ ٧١ فَدُنِيَانِ
وَأَيَّاهَا ٩٨ نَزَلَتْ بَعْدَ فَاطِمَةَ

(سورة مريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ②
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَآسَفَعْتُ الرَّأْسَ سَبَبًا وَلَ أُمْنٌ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَفِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَبًّا ⑤ يَرِنُنِّي وَيُرِثُ
مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ نَزَكْرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑦
قَالَ رَبِّ إِنِّي بَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑧ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ

(كهيمص) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي لما
في هذه السورة : ذكر رحمة ربك لعبده زكريا
(إذ نادى ربه نداءً خفياً) سرّاً : لم يسمعه
سوى مولاه ! (قال رب إني وهن العظم
منّي) ضعف لشيخوختي وكبر سني (ولم أكن
بدعائك رب شقياً) أي كنت سعيداً بإجابة
دعائي فيما مضى ؟ فلا تخيب رجائي فيما يأتي
(وإني خفت الموالى) الذين يلون في النسب
(من ورأى) من بعدى . وخوفه منهم :
إهمالهم للدين ، وعدم تمسكهم به ، وتضييعهم له ؛
كما ضيعته بنو إسرائيل في غيبة موسى ، وبعد
وفاته (وكانت امرأتى عاقراً) عقيماً لا تلد ؛
لكبر سنّها (فهب لي من لدنك) من عندك
(ولياً) يل أمري من بعدى ، ويدعو الناس
لمعرفتك وعبادتك (يرثني ويرث من آل

يعقوب) أي يرث ما أوتيناه من علم ، ودين ، وحكمة (واجعله رب راضياً) أي مرضياً عندك في دينه ،
ومرضياً عند الناس في خلقه ! (لم نجعل له من قبل سمياً) أي لم نجعل له نظيراً . وقيل : لم نجعل مسمى
يحيى قبله (قال رب أنى) كيف (وكانت امرأتى عاقراً) عقيماً لا تلد (وقد بلغت من الكبر عتياً) من عتاً :
إذا ييس . أي بلغت نهاية السن . قيل : كان عمره وقتذاك مائة وعشرين سنة

(قال رب اجعل لي آية) علامة على ذلك (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا) أى بأياها . وقد كانوا يتقربون إلى الله تعالى بالصوم عن الطعام والكلام ، والتفرغ للعبادة ؛ ولا يزال - ولن يزال -

الصيام والتفرغ للعبادة من موجبات لإجابة الدعاء ، وتحقق الرضاء ! (فخرج على قومه من المحراب) وهو موضع الصلاة (فأوحى) أشار وأومأ (إليهم أن سبحوا) اقطعوا لعبادة الله تعالى وذكره (بكرة وعشيًا) أوائل النهار وأواخره (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) بمجد واجتهاد (وآتيناه الحكم ميسيًا) أى آتيناه الرشاد والسداد ؛ الذين يؤهلونه لأن يحكم بين الناس . قيل : كان وهو ابن ثلاث سنين يدعوهم الصبيان للعب معهم ؛ فيقول : ما للعب خلقت (وحنانًا) أى وآتيناه (من لدنا) حنانًا ؛ وهو الرأفة ، والشفقة ، والحجة (وزكاة) طهارة ، وبركة (واذكر في الكتاب مريم) ابنة عمران (إذ انبذت) اعتركت وانفردت (من أهلها مكانًا شرقيًا) قيل : حاض ؛ فاعتركت المحراب ، وذهبت قبل المشرق (فاتخذت من دونهم ناحبًا) سترًا يسترها عن الناس . قيل : لتغسل من حيضتها (فأرسلنا إليها روحنا) هو جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرًا) أى كالإنسان . والملائكة : أجسام نورانية ؛ تتشكل - بأمر الله تعالى - كيف شاءت (سويًا) أى مستوى الخلقة ؛ فلا هو بالكسيف ، ولا الأعمى ؛ بل حسن الوجه ، مستوى الجسم (قالت) مريم ؛ لما رآته معترضاً طريقها

هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝
الْكِتَابُ بِقُوَّةٍ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا ۝
وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۚ وَكَانَ تَقِيًّا ۝
وَرَأَىٰ يُوْلَدِيهِ وَلَمْ يُكُنْ جَبَرًا عَصِيًّا ۝
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْزَىٰ ۝
وَأَذْكُرْفِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ۝
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ

(أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أى إن كنت ممن يتق الله ويخافه ، ويخشى غضبه وعذابه : فلا تتعرض لي بسوء ! (قال) جبريل : لا تخافى يا مريم ، ولا تخشى سوءاً (إنما أنا رسول ربك) إليك (لأهب لك) بأمره وقدرته (غلاما زكيا) طاهرا مباركا ! وقرئ «ليهب لك» أى ربك (قالت أنى) كيف (يكون) لي غلام و) أنا عذراء (لم يمسسني بشر) يتزوج

(ولم أك نبياً) زانية (قال كذلك قال ربك هو على هين) وقوله قضاء وأمر . قيل : لما رأى يوسف النجار مظاهر الحمل على مريم - وقد كان لا يشك في طهرها وصلاحها - سألها قائلاً : هل ينبت زرع بغير بندر ؟ قالت مريم : نعم . قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم . قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ؛ ألم تعلم بأن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع - يوم خلقه ابتداء - من غير بندر ؟ والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بندر ! ألم تعلم أن الله تعالى بقدرته أنبت الشجر بغير

الجزء السادس عشر

٣٦٨

غيث ، وأنه جعل تلك القشرة التي حياة للشجر ؛ بعد ما خلق كل واحد منهما وحده ١٩ أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ؛ ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ١٩ أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وزوجه من غير أنثى ولا ذكر ؟ قال يوسف : بلى ! ووقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى ! (ولنجهل آية) علامة للناس ؛ دالة على قدرتنا ، وتصديقاً لرسالته (ورحمة منا) بهم ؛ لأنه أرسل لهدايتهم ولارشادهم (فحملته) حملت عيسى عليه السلام ؛ بعد أن فجع جبريل في جيب درعها (فانقذت) اعتزلت (به) بحملها (مكناً قصياً) بعيداً . قيل : كانت مدة الحمل ساعة واحدة (فأجاءها) ألباهها (الخاص) وجع الولادة (إلى جذع النخلة) أصلها . قيل : كانت يابسة غير مثمرة (قالت) حين رأت ما يجر عليها ذلك من الفضيحة (يألفني) مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً لا يذكرني أحد بخبر أو بشر ! وهنا ظهرت آية الله تعالى ، ونزل عيسى عليه الصلاة والسلام للوجود ؛ ليكون شاهداً على قدرته تعالى ، هادياً إلى دينه ، مبشراً بختام رسله ! (فناداها) عيسى (من تحتها ألا تحزني) ففرغت مريم وأجابته : وكيف لا أحزن وأنت ممي ؟ لا ذات زوج فأقول : من زوجي ؛

بَنِيًّا ١٥ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً ١٦ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ١٧ فَحَمَلَتْهُ فَانْقَبَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ١٨ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَنِي مَتَى قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ١٩ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٠ وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢١ فَكَلِمَاتٍ وَأُتْرِفِي وَفَرَى عَيْنَا فَلَمَّا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٢ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٣ يُتْلَخَتِ هَذُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَنِيًّا ٢٤ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٥ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ

وَجَعَلَنِي

ولا مملوكة فأقول : من سيدى ! فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام . وقيل المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام (قد جعل ربك تحتك سرياً) سيداً كريماً . وقيل : نهر ماء ؛ كان منقطعاً وأجراه الله تعالى لإرهاصاً لولادة عيسى عليه السلام (وهزيت إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) ولو شاء ربك لآتزل الرطب من غير هز الجذع ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً . والرطب من أفضل الأغذية والأدوية للوالدات (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (فإذا ترين من البشر أحداً) أى فإن رأيت آدمياً (فقل) لمن ترينه ، ويسألك عن هذا الغلام (إنى نذرت للرحمن صوماً) صمتاً (فلن أكلم اليوم إنسياً) بعد ذلك وكان صومهم عن الطعام والكلام (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) عجيباً عظيماً ؛ وقد أرادوا بذلك الزنا ؛ =

وَجَعَلْنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا إِنَّ مَا كُنْتُ وَأَوْصَيْتِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبِرَأْيِ يَوْمِي وَلَدْتُ
يَوْمِي جَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ
سُبْحَانَهُ ۖ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا
لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ وَأَنْذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا أَخْنَزْنَا نَبْتَهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَالْيَسَاءُ يَرْجِعُونَ ۖ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ لِمَرْيَمَ

== لأن الولد من الزنا : كالنبي المفقري ؛ قال تعالى « ولا يأتين بيوتان يفتريه » أريد به الولد ؛ يقصد إلحاقه
بالزوج وليس منه (يا أخت هرون) في العفة ، والصلاح ، والتقى . وكان رجلا مشهورا بالدين ، مشهودا له
بالطهر ، منقطعا إلى عبادة الله تعالى . وقيل : قصد به هرون أخو موسى عليهما السلام (ما كان أبوك امرأة
سوء) أي ما كان زانيا ؛ فقتلن مثله (وما كانت أمك نبيا) زانية (فأشارت إليه) أي إلى عيسى : أن
كلوه هو ولا تكلموني (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) المهد : فراش الطفل . وبيننا هم في جدالهم
مع مريم ؛ إذا بعيسى يرد عليهم (قال إني عبد
الله أتاني الكتاب) الإنجيل ، وقال : « آتاني
الكتاب » وهو لم يؤته بعد ؛ بمعنى سيؤتيني :
وذلك لتحقيق الإتياء ؛ ولأن الله تعالى قضى
أزلا بتزول الكتاب عنه ، واختياره للنسوة
(وجعلني نبيا) أي سيجعلني . وقال بعضهم :
لأن الله تعالى آتاه الكتاب ، وجعله نبيا
في هذه السن ؛ كما علم آدم الأسماء كلها
وهو لم يعد طور التكوين بعد (ذلك عيسى
ابن مريم قول الحق) أي القول الحق : لأنه
عيسى ابن مريم ؛ لا ابن الله كما زعم الكافرون ؛
(الذي فيه يمترون) يختلفون (ما كان لله أن
يتخذ من ولد) كما يزعمون (سبحانه) تزه
وتقدس عما يقولون ١ (انظر آية ١ من سورة
الإسراء) (إذا قضى أمرا) أراده (فإنما
يقول له كن فيكون) من غير تعب ، ولا نصب ،
ولا مثال سبق ٢ (هذا صراط مستقيم) طريق
قوم ؛ مؤد إلى الجنة ٣ (أسمع بهم وأبصر)
أي ما أسمعهم ، وما أبصرهم في الآخرة ؛ رغم
تصامهم في الدنيا عن سماع آيات الله تعالى ،
وتعامهم عن رؤية الحق ، والنظر إلى حجج
الله تعالى الدالة على وحدانيته وقدرته ؛ ويقولون
في الآخرة «ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل
صالحا إنا موقنون» (وأنذرهم يوم الحسرة)
يوم القيامة : يتحسر فيه الكافر على كفره ،
والظالم على ظلمه ، والسيء على إساءته (إذ قضى الأمر) بدخولهم النار (وهم في غفلة) عن ذلك في الدنيا
(واذكر في الكتاب) القرآن (إبراهيم) جد رسولنا عليهما الصلاة والسلام ، ورأس الملة الحنيفية

(إنه كان صديقاً) مبالغا في الصدق (إذ قال لأبيه) آزر (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) من الأصنام ؛ وتدع الخالق الرازق ، السميع البصير ! (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) طريقاً مستويّاً مستقيماً ؛ موصلاً للسعادة الأبدية

(قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أى أتركها ومنصرف عنها ؟ يقال : رغب في الشيء : إذا أراد به . ورغب عنه : إذا لم يردّه (واهجرني ملياً) أى دهنراً طويلاً

(إنه كان بي حفيّاً) مكرماً (وأعتزلكم وما تدعون) أى وما تعبدون من الأصنام (من دون الله) غيره (وأدعو ربّي) أعبدّه (عسى ألا أكون بدعاء ربّي شقيّاً) أى عسى ألا أشقى بعبادة ربّي ، كما شققتهم بعبادة الأصنام (فلما اعتزلهم) فارقهم ، وترك معاشرتهم (وهبنا لهم من رحمتنا) النبوة ، والمال ، والولد (وجعلناهم لسان صدق عليّاً) وهو الثناء الطيب ، والذكر الحسن من جميع أهل الأديان

إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَا أَبَتِ لِمَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۚ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۚ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ مَا سَتَغْفِرُكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۚ وَأَعْتَزَلَكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۚ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ مَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۚ وَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۚ وَادَّكُرْنَا فِي الْأَكْثَنِ

مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَيْنَهُ
 مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
 رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ بِأَمْرٍ
 أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ
 وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ مَهْلِكِ نُوحٍ
 وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِنْ هَاجِرٍ وَآجُتَيْبٍ
 إِذَا نَسِيتُ عَلَيْهِمْ ءَابَتِ الرَّحْمَنُ تَحَرُّوا تَحْمِيدًا وَبُكْيًا ۖ
 * تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
 الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا قَوْلُكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً)
 خلصه الله تعالى من دنس الشرك (وناديناه
 من جانب الطور الأيمن) أى من جانب الجبل
 الذى يلى يمين موسى؛ فأتين له «ياموسى ائنى
 أنا الله رب العالمين» (وقربناه نجيباً) مناجياً
 لنا؛ أى ملكياً؛ والمناجاة: المسارة (وكان
 يأمر أهله بالصلاة والزكاة) يحثهم عليها .
 أئنى الله تعالى عليه بأنه كان يأمر أهله بالصلاة
 والزكاة؛ فيجب على كل مؤمن أن يأمر بهما
 أهله وأقرباءه، وخلانه، وجيرانه، وأصدقائه
 وأحبابه؛ ليفوز بالقرب، من حضرة الرب ا
 (إنه كان صديقاً) مبالغة فى الصدق (ورفعناه
 مكاناً علياً) فى الدنيا؛ بتعريفه بالنبوة،
 ولإعزازه بالصدق؛ وقيل: رفع بعد موته
 إلى السماء، أو إلى الجنة (وإسرائيل) هو
 يعقوب عليه السلام (واجتنبنا) اخترنا (خلف
 من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
 الشهوات) هذه الآية من الغيبات التى انفرد بها
 القرآن الكريم: فيها هو ذا الخلف الذى
 أضاع الصلاة، واتبع الشهوات: تقوم إلى
 الصلاة فلا ترى سوى مستهزئ بك، ضاحك
 عليك، ساخر من فعلك! وهو يرتكب فى

نفس الوقت من الناكير والشهوات؛ ما يتعفف عن إتيانه أخط المخلوقات، وأحقر الكائنات؛ فلا حول
 ولا قوة إلا بالله! (فسوف يلقون غياً) عذاباً شديداً، أو يلقون شراً وخيبة؛ وعاقبتهم العذاب الشديد ا
 (إلا من تاب) عن إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات (وآمن) إيماناً صحيحاً (وعمل صالحاً فأولئك
 يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) من ثواب أعمالهم

(جنات عدن) أى جنات الإقامة ؛ من عدن فى المكان : إذا أقام فيه (لا يسمعون فيها لغوا) كما يسمعون فى الدنيا . واللغو : غش القول ، والباطل من الكلام الذى لا فائدة فيه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى صباحا ومساء . والمعنى : أن رزقهم فى الجنة دائم أبداً لا ينقطع ؛ والجنة ليس فيها نهار وليل ؛ بل هى ضوء ونور دائم (وما تنزل) أى ما ينزل (إلا بأمر ربك) لنا بالنزول ، وليس النزول وفقاً لإرادتنا ومشيئتنا . أو لا تنزل إلا حاملين أمر ربك لك . وهذا من قول جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين استوحش له ، وطلب منه الإكثار من زيارته ، أو هو من قول المتقين عند دخولهم الجنة . أى ما تنزل الجنة بملنا ؛ بل بأمر ربنا وفصله ا (فاعبده واصطبر لعبادته) داوم عليها (هل تعلم له سميا) شبيها فى القدرة ، والقوة ، والرحمة ا (ويقول الإنسان) الكافر ، المنكر للبعث (أنها ماتت) وصار جسمي عظاما نخرة ، ورفاتا معترة (لسوف أخرج) من قبري (حيا) كما كنت فى الدنيا (فوربك لنحضرنهم والشياطين) أى

شيعا ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُم بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ وَعْدُهُم مُّاتِيًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ۚ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ۚ وَمَا تَنْزِيلُ الْإِنشَانِ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۚ يَقُولُ الْإِنشَانُ أَذَا مِلْتَّ لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا ۚ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنشَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَرَبِّكَ شَيْعًا ۚ فُورَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۚ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ سَمًّا شَدِيدًا عَلَى الرَّحْمَنِ عَنِيًّا ۚ ثُمَّ لَنَنْحَرِغُنَّهُمْ أَغْلَمُ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ أَذْنُكَ بِهَا ضَلِيلًا ۚ وَإِنْ مِنْكُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۚ

على

نجمهم يوم القيامة مع الشياطين الذين أطاعوهم ، واتبعوا إضلالهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) جاثين باركين على الركب ؛ وهو نهاية الإذلال ا (ثم لننزعن) لنخرجن (من كل شيعة) أمة وجماعة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى أشد جرأة على الله تعالى ، وانتهى كالحرماته (أولى بها) أحق بجهنم (صلبا) دخولا (وإن منكم إلا وارفعا) المراد بالورود : الدخول ؛ فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ؛ كما كانت على إبراهيم ا

(ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) نتركهم في النار ياركبن على ركبه . وقيل : المراد بالورود : دخول الكافر فيها ؛ ومروور المؤمن عليها ؛ ليؤمن بالعذاب الأليم : من آمن بالنعيم المقيم ! (قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاماً) إمامة في الدنيا (وأحسن ندياً) بمعنى النادى ؛ وهو مجتمع القوم : يتحدثون فيه ويشامرون . أى نحن كنا أحسن حالا منكم ! قال تعالى رداً عليهم وعلى أمثالهم (وكم أهلكنا قبلكم من قرن) أمة من الأمم الماضية (ثم احسن) من هؤلاء المكذبين المتعالمين (أنانا) مالا ومتاعاً (ورثنا) منظرأً وهياً (قل) لهم يا محمد (من كان في الضلالة) منفساً فيها ، مستترأً لها . و«الضلالة» الكفر (فليمدد له الرحمن) في كفره ، وفي عمره ، وفي رزقه ، وفي ولده ، وفي ماله (مداداً) طويلاً في الدنيا ؛ يستدرجه به (انظر آية ٢٤ من سورة ص) (حتى إذا رأوا ما يوعدون) ما أوعدهم به رسولهم (لما العذاب) في الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والقطط (ولما الساعة) القيامة ؛ المشتملة على جهنم المعدة لهم (فيسلمون) حيثئذ (من هو شر مكاناً) أحم أم المؤمنين ؟ (وأضعف جنداً) وجندهم الشياطين ، وجند المؤمنين الملائكة المكرمون (والبقيات الصالحات) الطاعات ؛ يبقى ثوابها لصاحبها (وخير مردداً) خير مرجحاً وعاقبة (وقال لأوتين مالا وولداً) ممتدداً على فته وقوته ؛ ولم يعتمد على ربه ومشيشه (أطلع الغيب) أى هل اطلع على الغيب ؛ فلم أنه سيؤتى المال والولد (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) بأن يؤتیه كل ما يريد (كلاً) أى لن يؤتى المال والولد كما زعم : معانداً ربه . و«كلاً» لم تنجي في النصف الأول من القرآن الكريم ، وجاءت في ثلاثة وثلاثين موضعاً في النصف الأخير منه ؛ وهذه أولها . ومضى تنجي

بمعنيين : أحدهما : حقاً ؛ ويكون متعلقاً بما بعده . وثانيهما : بمعنى : لا ؛ ويكون متعلقاً بما قبله . وقد تحتل المعنيين معاً في بعض المواضع : كهذا الموضع الذي نحن بصدهه ؛ فيجوز أن يكون المعنى : لا ، لم يطلع على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً . ويجوز أن يكون المعنى : حقاً (سنكتب ما يقول) لنماقيه عليه . والمعنى الأول أوضح ، وأجدر بالاتباع . وقال الفراء : «كلاً» حرف رد ؛ فكأنها نعم ، ولا ؛ في الاكتفاء ، وإن جعلتها صلة لما بعدها : لم تقف عليها ؛ كقوله تعالى «كلا والقمر» وقال الأكثرون : لا يوقف على «كلاً» في جميع القرآن ؛ لأنها جواب ؛ والفائدة تقع فيها بعدها (ونعد له من العذاب مدداً) نزيده عذاباً فوق العذاب (ورثه ما يقول) أى نورته جزاء ما قاله من الكبر والكفر ، أو نسلبه يوم القيامة ما آتيناها في الدنيا من مال وولد (وآتيناهما

بعده . وثانيهما : بمعنى : لا ؛ ويكون متعلقاً بما قبله . وقد تحتل المعنيين معاً في بعض المواضع : كهذا الموضع الذي نحن بصدهه ؛ فيجوز أن يكون المعنى : لا ، لم يطلع على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً . ويجوز أن يكون المعنى : حقاً (سنكتب ما يقول) لنماقيه عليه . والمعنى الأول أوضح ، وأجدر بالاتباع . وقال الفراء : «كلاً» حرف رد ؛ فكأنها نعم ، ولا ؛ في الاكتفاء ، وإن جعلتها صلة لما بعدها : لم تقف عليها ؛ كقوله تعالى «كلا والقمر» وقال الأكثرون : لا يوقف على «كلاً» في جميع القرآن ؛ لأنها جواب ؛ والفائدة تقع فيها بعدها (ونعد له من العذاب مدداً) نزيده عذاباً فوق العذاب (ورثه ما يقول) أى نورته جزاء ما قاله من الكبر والكفر ، أو نسلبه يوم القيامة ما آتيناها في الدنيا من مال وولد (وآتيناهما

سورة ص ٣٧٣

عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٣٧٣﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جَثِيًّا ﴿٣٧٤﴾ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٣٧٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَدًّا ﴿٣٧٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا الْعَذَابُ
وَأَمَّا السَّاعَةُ فَنَسِيحُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ
جُنْدًا ﴿٣٧٧﴾ وَزَيْدٌ اللَّهُ الَّذِينَ آهْتُوا هُدًىٰ وَاتَّبَعْتُمْ
الضَّلِيلَةَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٣٧٨﴾
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٧٩﴾
أَطْلَعَ الْغَيْبِ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٣٨٠﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدَدًا ﴿٣٨١﴾
وَنُزِّلُهُ بِمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٣٨٢﴾ وَآتَاهُمُ اللَّهُ

= فرداً) مفرداً ، بغير مال ، ولا ولد ، ولا معين (واخذوا من دون الله) غيره

الجزء السادس عشر

٣٧٤

هَلْهَلَةٌ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ
عَلَى الْكَافِرِينَ نَكُوزُهُمْ أَرْأَى ۚ فَلَا تَعْمَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَّا
نَعُدُّ لِمَنْ عَدَا ۚ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
وَقُلُودًا ۚ وَنَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ۚ
لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۚ
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ۚ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا هِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أُخْضِعُوا
وَعَلَّمَهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ هَائِبَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۚ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

(آلهة ليكونوا لهم عزاً) يعتزون بهم ،
ويشفعون لهم عند ربهم (كلا) لن تتحقق
أمانهم ؛ بل (سيكفرون بعبادتهم) أى
ستكفر هذه الآلهة عن عبدا (ويكونون
عليهم ضداً) يوم القيامة ؛ إذ يبرأون منهم
ومن عبادتهم (نكوزهم أراً) تفرهم لغراء ،
وتهيجهم تهيجاً ؛ لأن الأبرز : شدة الغليان
(إنما نعد لهم عدداً) أى نعد لهم ذنوبهم ؛
لما قبلهم عليها (وفداً) جاعة: ركبناً (ورداً)
جمع وارد ؛ وهو الماشى الطشان ، الباحث
عن الماء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً)
بطاعته وإيمانه ؛ فاستوجب رحمته ونعمته ؛
(لقد جئتم شيئاً إدداً) أى عظيماً منكراً
(ينفطرن) يتشققن

(فرداً) مفرداً ؛ لا أهل معه ، ولا مال ،
ولا ولد

(سيعمل لهم الرحمن وداً) مودة في قلوب
العباد : يحبهم الله تعالى ، ويحبهم إلى الناس

وداً ۚ

وَدَا ۝ فَاِذَا بَرَأْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۝ وَكَرَّاهِلَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ
مِنْهُمْ مِنْ اَحَدٍ اَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ۝

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
الآيَاتُ ١٣٠ وَ ١٣١ فَدُخِلَتَانِ
وَأَيَّاهُمَا ١٣٥ نَزَلَتْ بَعْدَ مَرِئَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ۝ مَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ اِلَّا
تَذِكْرًا لِّمَنْ يَحْكُمُ ۝ تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْاَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى ۝
لَهُۥ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْثَرَى ۝ وَاِنْ يُجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَلَنْ يَعْلَمَ السِّرَ وَاَخْفٰ ۝
اللّٰهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى ۝ وَهَلْ اَنْتَ

(فإِذَا يَسْرِنَاهُ) أى القرآن (بلسانك)
العربى : لتستطيع تبليغه وتفهمه (وتنذر)
تخوف (قوماً لداً) شديدى الحصومة ؛ من
الدد : وهو الخصام ، والجدال بالباطل (وَمَ)
أهلكنا قبلهم من قرن) أمة (هل تحس)
تجد (أو تسمع لهم ركرًا) صوتاً ؛ ولو خفياً .

(سورة طه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) هو اسم من أسمائه صلى الله تعالى
عليه وسلم . وقيل : بمعنى : يارجل . وقيل :
ياحبيبي ؛ بلفظة عك . وقيل : هو بمعنى :
طأها ؛ أى طأ الأرض يا محمد . وقد كان صلى
الله تعالى عليه وسلم - لكثرته قيامه بالليل -
يرفع رجلا ويحط أخرى (ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى) أى لتتعب نفسك فى العبادة ،
ولتذهبها حسرات إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفًا (الرحمن على العرش استوى) استواء
يليق به ؛ لا كاستواء المخلوقين : لأن الديان ،
يتقدس عن المكان ؛ وتعالى المعبود ، عن
الحدود ! (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أى يعلم السر ، وما هو أخفى منه ؛ وهو الذى يخطر
بالبال (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) لفظاً ومعنى (انظر آيتى ١٨٠ من سورة الأعراف ، و ١١٠ من
سورة الإسراء)

حَدَّثَ مُوسَى ١ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
 هُنَا نَارٌ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ
 هُدًى ٢ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ٣ إِنِّي أَنَا
 رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ٤
 وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ٥ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ٦
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
 تَسْعَى ٧ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ فَفَرَدْنِي ٨ وَمَا تَلَكَ بِمَعِينِكَ بِمُوسَى ٩ قَالَ هِيَ
 عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
 مَآرِبُ أُخْرَىٰ ١٠ قَالَ أَلَيْسَ فِيهَا بِمُوسَى ١١ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
 هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ١٢ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَمِعَهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ١٣ وَأَضْمَمَ يَدَهُ إِلَىٰ جَنَاحِكَ وَخَرَجَ

سُفْهَاءُ

(فقال لأهله) أى لامرأته ؛ وهى ابنة شعيب
 عليهما السلام (إنى آئتست) أى أبصرت
 (ناراً لعل آتيكم منها بقبس) القبس : قطعة
 من النار (أو أجِد على النار هدى) أى
 أناساً يهدونى الطريق (فلما أتاهها) أى آتى
 موسى النار (نودى باموسى إنى أنا ربك فاخلع
 نعليك إنك بالواد المقدس) المطهر (طوى)
 اسم الوادى ؛ وهو بالشام (وأنا اخترتك)
 من بين سائر خلقى ؛ لحمل رسالتى (فاستمع
 لما يوحى) أى لما أوحى به إليك (لئن أنا الله)
 فاعلم أنه (لا إله إلا أنا فاعبدنى) وحدى
 (وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى فيها ،
 أو لأذكرك فى عِلين إذا أقمها ، أو إذا نسيتها
 وتذكرت فصل ؛ قال سيد الخلق عليه الصلاة
 والسلام : «من نام عن صلاة أو نسيها ؛
 فليصلها إذا ذكرها ؛ فان الله عز وجل يقول :
 وأقم الصلاة لذكرى» (إن الساعة) القيامة
 (آتية) لا رب فيها (أكاد أخفيها) من
 نفسى ؛ وقد أخفاها الله تعالى عن رسله ،
 وأنبيائه ؛ بل عن ملائكته المقربين ؛ وفيهم
 من يقوم بالنفخ فى الصور ، وطى السماء ،
 وتسير الجبال ، وتسير البحار ، وتسعى

الجحيم ، ولزلافت الجنة (فلا يصدنك عنها) أى لا يصدفك عن الإيمان بها (من لا يؤمن بها) من الكفرة
 الفجرة (واتبع هواه) أطاع نفسه وشيطانه (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (فتردى) قهلك (واضم
 يدك لى جناحك) ضغ كفك اليمنى تحت إبطك الأيسر ؛ مكان الجناح

(مخرج بيضاء من غير سوء) أى بياضاً نورانياً ، لا بياضاً مرضياً ؛ كبرس ونحوه (آية أخرى) أى معجزة أخرى لك ، وآية دالة على نبوتك ؛ والآية الأولى : العصا وانقلابها حية (لترك من آياتنا الكبرى) الدالة على

قدرتنا ووحداً فبتنا ؛ لتجابه بها فرعون إمام أهل البنى والكفر (قال رب اشرح لي صدري) أى وسعه ، ونوره بالإيمان والنبوة (ويسر لي) سهل لي (أمرى) الذى كلفتنى بالقيام به (واحلل عقدة من لساني) أى قو حجتى ، وأبدي بالأدلة والبراهين . وقيل : كانت به لثقة من جرة وضمتها في فيه وهو صغير (واجعل لي وزيراً من أهلي) الوزير : المؤازر . وسمى الوزير وزيراً : لأنه يؤازر السلطات ، ويعمل عنه وزره (اشدد به أزرى) الأزر : القوة والضعف ؛ أى قو به ضعف . والأزر أيضاً : الظهر (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) أى أجيب طلبك الذى سألتنا إياه (ولقد مننا عليك مرة أخرى) قبل هذه : بإيجائك من فك فرعون بك (إذ أوحينا إلى أمك) مناماً أو الهاماً (أن اقذفه في التابوت) وهو الصندوق (فاقذفه في اليم) اقلع الصندوق في نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) هو أمر منه تعالى للنيل بأن يلقي التابوت بموسى على الشاطئ (بأخذه عدو لي) هو مدعى الألوهية فرعون (وعدوله) عدو لموسى أيضاً ؛ لأن من عادى الله تعالى ؛ فقد عادى أوليائه ؛ ولأن موسى أظهر كفره وكذبه على ملا من قومه : الذين يؤمنون به ويؤلهونه (والقيت عليك حبة منى) وقد أحبه

كل من رآه ؛ حتى فرعون - الذى أمر بقتله وقتل أمثاله - أحبه أيضاً (ولتصنع على عيني) أى لترى على رعايتى وحفظى لك (فرجعناك إلى أمك) كما وعدناها «إنا رادوه إليك»

بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ۝ لِنُرِيكَ مِنْ
آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۝ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ ۝
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝
وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِنْ أَهْلِي ۝ هَمَزُونَ آمَنِي ۝ أَشَدُّ
بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ۝ كَيْ تَسْبِكَ ۝
كَثِيرًا ۝ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَايِبِيرًا ۝
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَى ۝ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ۝
أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ ۝ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ ۝ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۝ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةَ
مَنَى ۝ وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ۝ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ ۚ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ

— لساعته ؛ فن يربط للوحوش في القلوات ؟! إن الهادى يهديها ، والرشيد يرشدها : فتقطع سره مولودها بأسنانها ؛ بعد أن تترك جزءاً كافياً لحفظ حياته . وهكذا الكلاب والهررة وأشباهها . وترى النحلة وقد اهتمت إلى طعامها وشرابها فالتهمت من الزهرة رحيقها ، دون أن تلتفها ، ومن الثمرة صفوتها دون أن تنقصها ، وبعد ذلك توجه إلى خليتها - من غير أن تفضل عنها - فتفرغ فيها العسل ؛ بعد أن تعد له أوعيته من الشمع بشكل أنيق ، ونظام دقيق ! وكل ذلك بهداية الهادى القدير جل شأنه ، وعز سطاته !

سورة طه ٣٧٩

وفوق كل هذا فإن النوع الإنسانى يعتبر واحداً بين ملايين الأنواع التى ترخر بها هذه الأرض التى تعتبر من أصفر الكواكب المخلوقة لله تعالى . وبعض هذه الأنواع يعيش معنا فنراه ويرانا ، وبعضها ينتشر بيننا فلا نراه ؛ لتناهيه فى الصغر والدقة ، وأنواع أخرى لا يحصىها سوى خالقها : بعضها فى أعماق الماء ، وبعضها فى عنان السماء ، وبعضها تحت الترى ، وبعضها فوق الترى ؛ وبعضها فى بطون الصخور ؛ كل أولئك يسيرها الخالق القدير ، وينظمها « الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ولا شك أن هناك أنواعاً أخرى - تعد بالملايين - لم ندر من أمرها شيئاً ، ولم يصل إلى علمنا بصيص من معرفتها ؛ ولا ندرى كيف تحيا ، وكيف تعيش .

والنوع الإنسانى يعيش بين هذه الملايين كفرد فى هذه المجموعة الضخمة من الأحياء ! وهذه المخلوقات - التى لا عداد لها - يتنازعها حب البقاء ، والتشبث بالحياة ؛ شأن بنى الإنسان تماماً ؛ ولو ترك أحدها على سجيته وتعالى طبيعته : لضاقت به الأرض بما رحبت ، ولما وسعه هذا الكوكب الكبير الصغير .

وكل واحد من هذه المخلوقات - صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيقها - له رسالة قائم بأدائها ؛ رسمها له النافع الضار ، اللطيف الخبير ! وقد لا يدرك الإنسان أهمية هذه الرسالة ؛ ولكن الخالق الأعظم يراها لازمة لزوم الماء والهواء ؛ ليسير بنا وبغيرنا ركب الحياة .

وهناك نظام دقيق للتوازن الحيوى بين سائر المخلوقات ؛ وضعه المبدع الحكيم ! فلو ترك ذكر واحد وأنثى واحدة من الذباب ؛ وعاش نسلهما ، وتناسل هذا النسل - لمدة ستة شهور غصب - لغطى الذباب سطح الكرة الأرضية بمقم سبعة وأربعين قدماً .

وما يقال عن الذباب ؛ يقال أيضاً عن الجراد والنمل وغيرهما . فلم نرجعائل الجراد الضخمة ، وأسراب =

عَلَيْهَا عِنْد رَبِّى فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٣٧٩﴾
الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَرَجَعَهَا إِلَى أَزْوَاجٍ مِن
سُبُلٍ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٣٨٠﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ ﴿٣٨١﴾ * مِنهَا خَلَقْنَاهُ وَفِىهَا
نُعِيدُهُ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٣٨٢﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ
آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٣٨٣﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِّنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤُوسٍ ﴿٣٨٤﴾ فَلَنَأَمُرَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُ وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سَوًى ﴿٣٨٥﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَّرَ
الْإِنْسَانُ حُجًى ﴿٣٨٦﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِمْ إِذْ قَالَ
لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٣٨٧﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم

== النمل العظيمة، أوجيوش الذباب الحرارة؛ غطت مساحة الكرة الأرضية وزاحت بنى الإنسان في مكانه منها !
 وذلك لأن الله تعالى قد أعد لكل شيء عدته؛ حتى تتوازن سائر الأحياء بعضها مع البعض؛ دون
 أن يطنى نوع على الآخر؛ فتفسد بذلك أسباب العمران !

ويأتى دور الإنسان - الذى يعتبر نفسه بحق سيداً على المخلوقات الأرضية - فيحاول بشتى الوسائل لإبادة
 كل ما يضره من هذه الكائنات؛ فلا يكاد يبذل نوعاً من الأنواع؛ إلا وفاجأ بأنواع أخرى من سلالاته؛

الجزء السادس عشر

٣٨٠

يضيفها الإنسان إلى قائمة ما يصارع؛ حتى
 تكاثرت عليه الأعداء، وعز الداء. فن
 بكتريا وفيرسات، إلى طحالب وفطريات،
 إلى هوام وحشرات، إلى كواسر وحيوانات،
 إلى ما لا حده من المخلوقات؛ التى أخرجها
 مبدع الأرض والسموات !

ولكل نوع من هذه الأنواع أعداء
 - غير بنى الإنسان - خاصة به، أوجدها الله
 تعالى لتعطف نوازحه، وتحد من تكاثره؛
 فالجراثيم أعداء، وللنمل والذباب والبعوض
 أعداء، وللجذرات والحيات والمقارب
 أعداء؛ ولذا لم توجد هذه الأعداء، أو قل
 شرها: لكان النوع نفسه عدواً لنفسه؛ فإذا
 تكاثرت الجراثيم مثلاً وزادت عن الحد المرسوم:
 قتل الغذاء؛ فليصارع النوع فيما بينه، ويقتل
 بعضه بعضاً؛ بل ويأكل بعضه بعضاً. وما يقال
 عن الجراد يقال عن الهوام والحشرات،
 والبكتريا والفيروسات.

حتى النباتات: يسرى عليها قانون
 التوازن الذى يسرى على سائر المخلوقات:
 فإذا ناءت بعض الأشجار بحملها: تخلفت
 من بعض أزهارها وثمارها، وتخلفت من
 ثقلها؛ خفية أن يثاق بعضها البعض، أو تهلك
 الشجرة نفسها.

وهذا القانون السماوى: ملموس مشاهد فى كل الأوقات، وسائر الحالات؛ فتجد مثلاً دودة القطن؛
 وقد عانت به فساداً حتى أهلكته وأتلفته؛ فلم نسمع يوماً ما أن هذا العيث، أو ذلك الفساد؛ كان سبباً
 فى عرى الإنسان، ونقصان ما اختصه الله به من نعمة السر واللباس؛ بل هو فى ظاهره فساد وفساد، وفى
 باطنه وحقيقته: نظام عجيب، وتوازن دقيق !

وهكذا الإنسان: تحمل به الرزايا، وتحيط به البلايا؛ وتجتاحه الأوبئة والطواعين، وتنبخ عليه الحروب
 بكاملها؛ وهو بين كل ذلك متضرع متبائل؛ لا يدري أن جمع ذلك يسير بحكمة الحكيم العليم؛ الذى قدر
 كل شيء، وأعطى كل شيء حقه وخلقه؛ فتعالى المبدع الحكيم ! (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) ==

بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْرَى ﴿٣٨٠﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ
 يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
 بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَنَلِّي ﴿٣٨١﴾ فَأَجْعَلُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا
 وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٣٨٢﴾ قَالُوا يَهُودِيَّةُ إِنَّا
 نُكَلِّفُ لِمَآ أَن تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٣٨٣﴾ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا
 فَلَمَّا جَاءَلَسُوا عَصَيْبُهُمْ يَخْلُ لَبِيهِ مِنْ سِحْرِ هِمِّ أُنْثَى
 تَسْمَى ﴿٣٨٤﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿٣٨٥﴾
 قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٣٨٦﴾ وَأَلْقَى مَافِي يَمِينِكَ
 تَلَقَّى مَصْصَعًا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ
 السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٣٨٧﴾ قَالَتِ السَّحْرَةُ عَجْدًا قَالُوا آمَنَّا
 بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٣٨٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَيْقِظَنَّ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا مَلْبِسَكُمْ فِي جُدُوعٍ

== (مهذا) فراشاً (وسلك لكم فيها سبلاً) طرقاً (أزواجاً) أصنافاً (من نبات شتى) مختلفة ومتنوعة (إن في ذلك) أى إن في جبل الأرض مهاداً ، وشق الطرق فيها والعلامات ، وإنزال الماء من السماء ، وإخراج النبات من الأرض ؛ لأكلكم ورعى أنعامكم ؛ إن في جميع ذلك (آيات) دالات على وجود الخالق الحكيم المبدع (لأول التهى) ذوى العقول (منها) أى من الأرض (خلقناكم) خلقنا أصلكم آدم عليه السلام من تراب (وفيها نعيذك) بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (ثارة) مرة (ولقد أريناه) أى أرينا فرعون (آياتنا كلها) الدالة على صدق موسى ، وصحة رسالته (فكذب) بها (وأبى) أن يؤمن (قال) فرعون لموسى (أجئتنا لتخرجننا من أرضنا بسحرك) سعى عدو الله المعجزة سحراً ؛

وشتان بين المعجزة والسحر ! (مكانا سوى) مستويا ؛ ليرانا سائر من يحضرنا ؛ ويشهدوا دلائل صدقنا وكذبك ! وقد توهم عدو الله أنه متصبر على حق موسى بباطله ، وعلى آياته بسحره (قال) موسى ؛ وهو مطمئن إلى حجته ، واثق بعموده ربه (موعدهم يوم الزينة) هو يوم العيد ؛ لأنهم يتزينون فيه (وأن يحشر) يجتمع (الناس نحى) أول النهار ؛ وقد اختار موسى هذا اليوم : لتكون فضيحة فرعون أكبر ، وخزيه أعظم ؛ أمام ملائكة كبير من شيعته وعبدته (فتولى فرعون) انصرف وأعرض عن موسى : ليعبد عدته ، ويأخذ أهنته (نجع كيدك) أى جمع سحرته الذين ظن أنهم يستطيعون كيد موسى (قال لهم موسى ويلكم) أى جعل الله تعالى الويل والعذاب لكم (فيسحكن) يهلككم (فتنازعا أمرهم بينهم) قال بعض السحرة للبعض الآخر : إن كان موسى ساحراً : غلبناه . وإن كان أمره من السماء : غلبنا ! (وأسروا النجوى) أى تشاوروا في السر متناجين . قال بعضهم : ما هذا بقول ساحر

(قالوا) أى قال فرعون وشيعته للسحرة الذين جمعهم ، أو قال السحرة لبعضهم (إن هذان) يقصدون موسى وهرون (لساحران) أى ما هذان إلا ساحران (وينها بطريقكم المثل) أى بعبادتكم الهسته (فأجمعوا كيدكم) أى أحكموا أمرهم واستعدوا للعدوك (ثم اتنوا صفاً) مجتمعين متساندين : ليحصل لموسى وهرون الرعب ، ويدب في قسيمي الخوف (وقد أطلع اليوم من استعلى) غلب وفاز . فجاءوا صفاً كما أمرهم فرعون ، و(قالوا يا موسى إما أن تلقى سحرك ، أو عصاك ؛ وذلك لأنهم كانوا قد سمعوا بها (قال بل ألقوا) أنهم أولا . فآلقوا ما معهم من الحبال والعصى (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها) حيات (نسى) تمشى وتحرك (فأوجس) أحس (في نفسه خيفة موسى) أى لم يبد عليه الخوف ؛ بل كان =

النَّخْلَ وَلِتَلْعَلْنَ أَيْتَ أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ إِنَاءَ مَنْ لَدُنَّا بِرَبِّنَا لَيُغَيِّرُنَا خُلُقَيْنَا وَمَا أَكْرَمُنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّهُ مِنْ بَيَاتِ رَبِّهِ يُجَرِّمُ مَا فَلَانُ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَهُ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَمْرِ عِبَادِي قَاضٍ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَىٰ ۖ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ فَنَبَّشَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ يَلْبِثِي لِأَسْرِ ذِيلٌ

= إحساساً كامناً في نفسه (قلنا) لموسى عن طريق الوحي (لا تخف) مما تراه (إنك أنت الأعلى) الغالب الفاتح (وألق ما في يمينك) عصاك (تلقف) تبتلع (ولا يفلح الساحر حيث أتى) بسحره ؛ فألقى موسى عصاه فابتلعت حبالهم وعصيمهم ! وحين رأى السحرة ما حل بسحرهم ؛ علموا أن ما صنعه موسى ليس من نوع السحر الذى يمارسونه ؛ بل هو من المعجزات الظاهرات ؛ التى لا يستطيع مخلوق إلا أن يها ، بغير معونة من الخالق (فألقى السحرة سجداً) بدافع من إيمانهم واتقاعهم ؛ وبدافع خنى من مولاهم وهاديهم وخالقهم ؛ ليرى فرعون

الجزء السادس عشر

٣٨٢

فساد عمله ، وضعف عماله ؛ ورفع جل شأنه السحرة من مصاف الكفار النجار ، إلى مصاف المؤمنين الأبرار ! (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وكفرنا بفرعون (قال) فرعون للسحرة ؛ حين رأى هزيمته المتكررة ، وأحس بتصدع أركانه ، وانهار بنيانه ! قال لهم (أنتم له) استفهام ؛ أى أأنتم لموسى (قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إنه لكبيركم) أى إن موسى رئيسكم فى السحر ، وهو (الذى علمكم السحر) من قبل (فلا تظعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى اليد اليمنى ، والرجل اليسرى ، أو العكس (ولتعلمن أينا) أنا وموسى ، أو أنا ورب موسى (أشد عذاباً) أى أشد تعذيباً لكم (وأبني) وأدوم (قالوا لن نؤثر) لن نخنارك ، أو نفصلك (على ما جاءنا من البينات) بعد الذى شاهدناه من الحجج الظاهرات ؛ الدالات على صدق موسى وكذبك ، وقدرة إلهه ومعجزك (والذى فطرنا) خلقنا . أى و«لن نؤثر» أيها الفاسق الكافر على «الذى فطرنا» أو هو قسم : أى «لن نؤثر» على ما جاءنا من البينات ، وحق الذى فطرنا (فأقضى ما أنت قاض) فأفعل ما أنت فاعل (إنما تقضى) قضاءك الظالم فى (هذه الحياة الدنيا) الفانية ؛ أما الآخرة الباقية فلا سبيل لك عليها ؛ وسيقضى لنا الله تعالى فيها بنعيمه الأوفر ،

قَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَّ وَالسَّلَوى ۖ كَلَّا مِنْ طَبِيعَتِ
مَارَزَقْنَاكَ وَلَا تَفْطِنُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكَ غَضَبِي وَمَنْ
يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۖ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
وَعَامِنٌ وَمَنْ يَصْلِحْهُمْ أَهْتَدَى ۖ * وَمَا أَجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَمْوَسَى ۖ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ۖ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
غَضِبِينَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا
أَفَقَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَاخْلُقْتُمْ مَّرْعَدَى ۖ قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَرْعَدَكَ
يَمْكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً

لَهُ

ورضوانه الأكبر ؛ حيث يقضى عليك بالجحيم والعذاب الأليم ! (لنا آمنا بربنا ليفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه السحر) أى ليفر لنا ذنوبنا التى ارتكبتها حال جهلنا وكفرنا ، والسحر الذى أكرهتنا على إتيانه (لا يموت فيها) فترات (ولا يحيا) حياة تنفعه وتفيده (جنات عدن) جنات الإقامة (وذلك جزاء من ترك) تظهر من الشرك والذنوب (أسر بعبادى) أى سر بهم ليلا (فاضرب لهم) بعصاك (فى البحر) يجعل الله تعالى مكان ضربك بالعصا (طريقاً يابساً) يابساً فى وسط الماء ؛ تستقر عليه الرجل عند المشى (لا تخاف دركا) لا تخشى إدراكاً من عدوك (فأتبعهم فرعون) سار فى إثرهم ؛ فى هذا الطريق اليابس ؛ الذى جعله الله تعالى آية لموسى ، وعذاباً لفرعون (نفسيهم) أصابهم وغطاهم (من اليم) البحر (ماغشيمهم) أى =

= غشيم الأمر العظيم ، والمخطر الدائم الذي غشيمهم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) هما الترنجيم والسماى .
أو هو كل ما يمن به من أطايب الرزق ، وما يتسلى به من المأكول والفاكهة ؛ وقلنا لهم (كلوا من
طيبات ما رزقناكم) أى من الرزق الحلال الطيب الذى رزقناكموه (انظر آيتى ١٧٢ من البقرة ، و ٥٨ من
الأعراف) (ولا تظفوا فيه) لا تكفروا بالنعمة ، ولا تدخلوا فيما طعمتم الشبهات (ومن يحلل عليه غضبى
قد هوى) سقط فى العذاب (ولأنى لفغار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) أى لأن من شرائط
الفقران : التوبة ، والإيمان ، والعمل الصالح ،
والإهداء ! (وما أعجلك عن قومك ياموسى)

٣٨٣

مسورة طه

أى أى شىء حلك على أن تسبهم ، وتدعهم
عرضة للأهواء ! وقد كان موسى عليه الصلاة
والسلام أقام هرون على بنى إسرائيل ؛ على
أن يسير بهم فى أثره (قال هم أولاء على
أثرى) أى هام سائرون خلفى ، أو هم
منتظرون عودى إليهم بأوامرك (وعجلت إليك
رب لترضى) طالباً لمرضاتك ، مشتاقاً للافاتك
(قال) تعالى (فإننا قد فتنا قومك) اختبرناهم
وامتحانهم (من بعدك) بعد فراقك لهم (وأضلهم
السامرى) هو موسى بن ظفر : كان منافقاً ؛
وقد أضلهم بدعوتهم إلى عبادة العجل (فرجع
موسى إلى قومه غضبان أسفاً) أى حزينا ؛
والأسف : الحزن ، والغضب . قال تعالى « فلما
أسفونا » أى أغضبونا (قالوا ما أخلفنا موعدك
علكنا) بقدرتنا ، أو بأمرنا (ولكننا حملنا
أوزاراً من زينة القوم) أى أثقالاً من الذهب
والفضة (فقدفناها) طرحناها فى النار
(فكذلك أتى السامرى) الحلى التى معه ؛
كما ألقينا (فأخرج لهم بجلا) أى صنع لهم
السامرى بجلا من ذهب (له خوار) صوت
كصوت البقر . قيل : صنع به ثقباً وفتحات ؛
إذا دخلها الهواء : صار له صوت كالخوار .
وقيل : دبت فى العجل الحياة ؛ بسبب قبضة

لَمْ يَخُورَ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسَى ۖ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا تَبْلُغُ لَهُمْ صَرَ
وَلَا نَقْعًا ۚ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوَّم
إِنَّمَا قُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى ۚ قَالَ يَهْتَرُونَ بِمَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ قَالَ يَبْتَغُونَ لَنَا خُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ قَالَ فَا خُطِّبُكَ
يَسْمِعِي ۚ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ۚ قَالَ قَاذِئِبٌ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ
لَا مِسَاسَ ۚ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ

التراب التى أخذها السامرى من أثر جبريل عليه الصلاة والسلام وألقاها على العجل الذهبى (فقالوا) أى
السامرى وأصحابه لقوم موسى (فنسى) أى نسى السامرى ما كان عليه من إظهار الإيمان . أو المراد : هذا
العجل هو إلهكم وله موسى ؛ فنسيه موسى هنا ، وذهب يطلبه عند الطور ، أو نسى أن يخبركم به (أفلا
يرون) عبدة هذا العجل (ألا يرجع) أنه لا يرجع (إليهم قولا) لا يرد عليهم جواباً (ولقد قال لهم هرون
من قبل يا قوم إنما قُتِنْتُمْ بِهِ) أى ابتليتم وأضلتم بالعجل (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه عاكفين)
مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) فلما رجع موسى ، ورأى ما حل بهم : اتجه إلى أخيه هرون ؛ الذى استغفله
عليهم حال غيبته ؛ و(قال) له (يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) عن سبيل الله ، وعبدوا ما لا يعبد =

== (ألا تتبعن) أى أن تتبعي ، و «لا» زائدة ؛ مثل قوله تعالى «ما منعك ألا تسجد» والمراد بالاتباع : اتباع سنته وطريقته ؛ في عاربتهم والإنكار عليهم ، أو المراد : تركه لهم في ضلالمه واتباع موسى (قال يابن أم) لما رأى هروث ثورة موسى ، وشدة غضبه ، ومزيد تأسفه على ما حدث : ذكره بمرکز الحنان ، ومنبع الشفقة ، وأساس الحب ؛ قائلا «يابن أم» لا تقضب على ، و (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) فاني لم أخطئ ، ولم أقصد بما فعلت سوى الخير والصواب (إني خشيت) لأن ابتعتك بمن أقام على الإيمان ولم

يعبد العجل ، أو حاربت المشركين بال مؤمنين (أن

٢٨٤

تقول فرقت بين بني إسرائيل) وجعلتهم أعداء وشيما (ولم ترقب قولي) لم تحفظ وصيتي ، ولم تنتظر أمرى . وقد قال له عند ذهابه لموعده ربه «اخلفني في قومي وأصلح» وعندئذ «سكت عن موسى الغضب» والتفت إلى موسى السامري (قال فما خطبك ياسامري) أى ماشأئك ؟ وما حقيقة أمرك ؟ (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت ما لم يروه . قيل : رأى جبريل عليه الصلاة والسلام على فرسه ؛ فزينت له نفسه أن يأخذ من أثره ؛ وهو معنى قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) قيل : أخذ قبضة من التراب الذي تحت حافر فرسه (فتبنتها) ألقيتها على العجل المصاغ من ذهب (وكذلك سولت) زينت (لنفسى) فتحول غضب موسى عن هرون البرىء ؛ إلى المجرم موسى السامري (قال فاذهب) من أمى ، ولا تربني وجهك (فان لك في الحياة أن تقول لا مساس) أى لأنه أصيب - بدعاء موسى عليه : عقوبة له - بأمراض خبيثة فتاكة معدية ؛ جعلت الناس تهرب من مسه ؛ فإذا مسه إنسان : حم ، وأصيب بالأمراض التي ابتلى بها . وقيل : إنه جن وجعل ينادى ويقول : لا مساس ، لا مساس . وقيل : أمر موسى بنى إسرائيل بمقاطعته : فلا يكلمه منهم

الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي آلِهِمْ نَسْفًا ﴿٢٨٤﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٢٨٥﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٢٨٦﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٢٨٧﴾ خَلْدَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٢٨٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٨٩﴾ يَخْفَتُونَ بِهِمْ لِأَتَيْنَهُمُ الْآعْشَاءَ ﴿٢٩٠﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّيْسَ لَنَا يَوْمَئِذٍ أَعْلَمُ ﴿٢٩١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِسْبَالِ فَقُلْ نَبَسَفْهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٢٩٢﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٢٩٣﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿٢٩٤﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٢٩٥﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

النَّفْسَةُ

إنسان ، ولا يعامله ، ولا يقربه (وإن لك موعدا) للعذاب الأليم (لن تحلفه) يوم القيامة (وانظر إلى لهلك) العجل (الذي ظلت) ظللت وداومت (عليه عاكفا) على عبادته مقبلا (لنحرقته) لنذيبته بالنار (ثم لننسفته في اليم) البحر (إنما لهلكم) الحق : هو (إله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) أى وسع علمه كل شيء «يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم» (كذلك) أى كما قصصنا عليك يا محمد من نيا موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من الأمم (وقد آتيناك) أعطيناك (وأترلنا عليك) (من لدنا) من عندنا (ذكرأ) قرأنا (من أعرض عنه) عن هذا القرآن ؛ فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) إنما عظيم ، وحمل ثقيل (يوم ينفخ في الصور) =

== القرن ؛ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر ربه (ونحشر المحرمين) الكافرين (يومئذ زرقاً) أى سوداً . وقيل : محباً . وليس بمستبعد أن يكون ذلك كما فعله العامة والسوقة من تلطيخ وجوههم بالصبغ الأزرق عند حلول المصائب ، وتوالى الكوارث ؛ وأى كارثة أعم من ورودهم النار ؛ وأى مصيبة أعم من غضب الملك الجبار ؟ أما ما ورد من أن الزرقة تكون في عيونهم ؛ فأباه وصف ما هم فيه من خزي وعار وذلة وعذاب وقبح ؛ فقد تكون زرقة العيون مدحاً لا قدحاً ؛ فكيف يوصف بها أقيح الناس حالا ومآلاً ؟ ! (يتخافتون) يتهامون (بينهم)

٣٨٥

سورة طه

قائلين لبعضهم (إن لبتم) ما لبتم في الدنيا ، أو ما لبتم في القبور (إلا عسراً) من الليالي بأيامها . وذلك أنهم لهول ما يرون في القيامة : يظنون أنهم ما لبثوا في الدنيا سوى عشرأ وقولهم «إن لبتم إلا عسراً» لم يكن صادراً عن جنون منهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعظمهم وأذكاهم ، وأذكركم وأفهمهم ؛ يقول - لشدة ما يرى ، وهول ما يكابد ويماني - (إن لبتم) في الدنيا (إلا يوماً) واحداً ؛ يستقلون أيام الدنيا - على ما قالوا فيها من شهوات وملذات - وقد فعلوا فيها ما فعلوا ، وارتكبوا فيها ما ارتكبوا ؛ مما أوردتهم هذا المورد ، وأوقفهم هذا الموقف (قاماً) منبسطة (صففاً) مستويا (ولا أمتاً) أى ولا ارتفاعاً (يومئذ يتبعون الداعي) الملك الذى يدعوهم إلى المحشر : هلموا إلى عرض الرحمن ! فهم اليوم يتبعون مكرهين داعي الرحمن للعذاب ، وبالأمر لم يستجيبوا لداعي النجاة والثواب (لا عوج له) أى لا مناس من لإجابة الداعي واتباعه ، أو «لا عوج» لدعائه (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) أن يشفع : من النبيين ، والملائكة ، والصالحين . وقيل : «إلا من أذن له الرحمن» أنت يشفع فيه .

(انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) (يعلم)

ما بين أيديهم) ما يؤول إليه حالهم وأمرهم في الآخرة (وما خلفهم) وما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا (وعنت) خضعت وذلك (الوجوه للحى القيوم) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إنه الاسم الأعظم (وقد خاب من حمل ظلماً) من ارتكب لإمتاً (ولا هضم) ولا جوراً (أو يحدث لهم) القرآن (ذكراً) تذكيراً بما حدث للسابقين من المكذبين (ولا تعجل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من إبلاغه إليك (ولقد عهدنا إلى آدم) أو حينئذ إليه ، وأوصيائه ألا يأكل من الشجرة (ففسى) وأكل منها (ولم نجد له عزماً) صبراً وحزماً ، وثباتاً على التزام الأمر (فلا يخرجنكم) أى لا تستمعا إليه ؛ فيخرجنكم من الجنة بسبب وسوسته

الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بهاء علم * وعن الوجوه للحى القيوم
وقد خاب من حمل ظلماً ومن يعمل من
الصلح والحق وهو مؤمن فلا يخاف ظمناً ولا هضمًا
وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًا وصرفنا فيه من الروع
لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا فتعلى
الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يقضى إليك وحيه وقول رب زدني علمًا
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فبسى ولم نجد له
عزماً وإذ قلنا للملكة أنجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس أبى قلنا يتأدم إن هذا عدوك
ولزورك فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى إن

(ولا تضحى) أى ولا تتعرض فيها لحر الشمس «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً» (شجرة الخلد) التى من أكل منها : يخلد ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فأكل منها) أى من الشجرة التى نهاها الله تعالى عن قربها (فبدت لها سوءاتهما) عوراتهما . والسوءة : كل ما يسوء الإنسان كشفه (وطفقا) وجعلا (يخصفان) يلزقان (عليهما من ورق الجنة) قيل : هو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) أى ضل عن الرأى وجبل . وقيل : أخطأ . وليس المراد المصيان والتمنى بمعناها المتعارف ؛ بدليل قوله تعالى فى آية سابقة

الجزء السادس عشر

٣٨٦

«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً» وبالجملة فإن الله تعالى يصح أن يوجه لأوليائه ، وأنبيائه وأصفياه ؛ ما لا يصح أن يوجهه نحن لهم ؛ كما أن الملك يخاطب وزراءه بلهجة الأمر ، والزاجر ؛ وهو ما لا يجوز أن يخاطبهم به سائر أفراد الرعية ؛ وليس لكائن من كان أن يقول : إن آدم عاص ، أو غاو ؛ فقل هذا القول كفر ، أو هو بالكفر أشبه ! (ثم اجتبه ربه) اختاره (فتاب عليه) غفر له (وهدى) هداه إلى الطريق الموصل إليه ! (انظر آية ٢٣ من سورة الأعراف) (قال اهبطا منها) أى من الجنة (جيماً) أنت وحواء ، وما اشتملتا عليه من الثمرة ، أو «اهبطا» أنت وإبليس (بعضكم لبعض عدو) أى بعض ذريتكم ، للبعض الآخر عدو ، أو «بعضكم» لإبليس وذريته «لبعض» أنت وذريتك (فإيايأتينكم) فإن يأتكم (مضى هدى) كتاب ، وشريعة (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يثقى) فى الآخرة ؛ وهو جزاء من الله ، لمن اتبع هداه ! (ومن أعرض عن ذكرى) كتنى المزلّة (فإن له معيشة ضنكا) شديدة ، ولو كان فى بسر ، ضيقة ولو كان فى وسع ! وذلك لأن الله تعالى جعل مع الإيمان : القناعة ، والتسليم ، والاطمئنان ، والرضا ، والتوكل ؛

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۖ قَوَسُوسَ إِلَهِهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ مِنْهَا قَبَذَةً لَهَا سَوْءَاتُهَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۖ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۖ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا بَايَنَّاكُمْ مَتَى هَدَى قَوْمٍ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۖ قَالَ رَبِّ ارْحَنِي أَنْتَ وَفَدَ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَيْنَا فَتَسَيَّرْنَا وَكَذَلِكَ أَلْيَوْمَ تُنْشَى ۖ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ مِنَ أَسْرَفٍ وَلَرَّ يُؤْمِنُ بِعَآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ

أَقْلَمَ

فالؤمن مسرور دائماً فى سائر حالاته ، راض عن مولاه ، مطمئن لعاقبته : عيشه رغيد ؛ ولو لم ينل سوى الجز ققاراً ، وقلبه سعيد ؛ ولو انسابت عليه الهوم أنهاراً ! ويصدق عليه دائماً قول ربه تعالى : «فلنحيينه حياة طيبة» كما جعل تعالى مع الكفر والإعراض عن الله : الحرص ، والشح ، وعدم الرضا ، وانشغال البال ، والطمع ، والجشع ؛ فالكافر دائماً طالب الزيادة ؛ ولو أوتى مال قارون ، قابض اليد ؛ ولو انصب عليه المال انصباباً ، بكاره لمن حوله ؛ ولو بفلوا النفوس فى طاعته ؛ فعيشه ضنك شديد ، وحياته كرب دائم ، وحزن قائم ؛ وحق عليه قول ربه جل شأنه : «فإن له معيشة ضنكا» وقيل المعيشة الضنك : عذاب القبر . وقيل : مى جهنم ؛ ويدفع هذا المعنى قوله تعالى «ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» مما يدل على أن ما تقدم يكون =

في الدنيا أو في القبر ؟ أعاذنا الله تعالى من غضبه بمنه ورحته ! (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة ، أو أعمى البصر : تتقاذفه الأرجل في المحشر (وكذلك اليوم تنسى) أى تنسى من النعيم والرحمة ؛ كما نسيت آياتنا ، وتركت العمل بها (وكذلك نجزى من أسرف) أشرك ، أو جاوز الحد في العُصيان (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) الأمم (يعشون في مساكنهم) أى أفلم يبين لهم ، أو أفلم يرشدهم ويهدم ويدلهم إهلاك من مضى قبلهم من القرون ؛ وقد رأوا مساكنهم ومشوا فيها : فيهتدوا إلى طريق الحق والصدق ؛ بأن يؤمنوا بالله ورسوله . وقيل : «أفلم يهد لهم» أى الله تعالى ؛ يدل عليه قراءة بعضهم «أفلم نهد لهم» (إن في ذلك) المذكور ، أو ذلك الشئ في مساكن الأمم السابقة الكذبة ؛ ورؤية ما حل بها من هلاك وتدمير ! إن في جميع ذلك (آيات) لعبراً وتذكيراً (لأولي النهى) لدوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عن المكذبين من أمثك إلى يوم القيامة (لكان لزاماً) أى لكان العذاب لازماً ، ولزاماً عليهم ؛ وقت ارتكابهم الآثام في الدنيا (وسبح بحمد ربك) لإشارة إلى الصلوات الخمس : (قبل طلوع الشمس) صلاة الفجر (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آتاء الليل) ساعاته (نسبح) فصل . والمراد بها صلاتا المغرب والعشاء (وأطراف النهار) صلاة الظهر ؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس والزوال : طرف النصف الأول ، وطرف النصف الثاني من النهار . وقيل : المراد بالآية : صلاة الطلوع . والذي أراه : أنه ذكر الله تعالى ، وتسبيحه ، وتمجيدته ؛ في كل وقت وحين : قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، وآتاء الليل ، وأطراف النهار ؛ فقد اشتملت هذه الأوقات سائر النهار والليل (لعلك) بمواظبتك على العبادة ، وتمسكك بمَرْضَاة الله تعالى (ترضى) أى يثيبك الله تعالى حتى ترضى .

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكَينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِأُولِي النُّهَى ﴿٢٨٧﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿٢٨٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿٢٨٩﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى ﴿٢٩٠﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْفِكَ زَقَاةً مِمَّنْ رَزَقَكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿٢٩١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَلَى الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٢٩٢﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ

وقرى «لعلك ترضى» بضم التاء ؛ أولئك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) أصناف من الكفار (زهرة الحياة الدنيا) زيتها بالنبات والأقوات ، والنمار والأشجار (لنفتنهم فيه) أى لا تطل النظر والتفكر إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار بأنهم لا يستحقونه ؛ فإنه فتنة لهم ؛ ليحرق عليهم العذاب (ورزق ربك) نعيمه في الآخرة (خير) مما تراه في الدنيا (وأبقى) لأنه دائم لا يفنى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أى داوم على أداؤها ، والأمر بها (وقالوا) أى قال المشركون (لولا) هلا (يأتينا بآية من ربك) معجزة مما يقترحونه . قال تعالى ؛ ردأ على قولهم (أولم يأتهم) في هذا القرآن (بينة) بيان (ما في الصحف الأولى) كالإنجيل ، والتوراة ، والزبور ، وغيرها ؛ مما أنزله الله تعالى . وبيان ما في هذه =

==الصحف: أبناء الرسل وأبناء الأمم المتقدمة ، وماحل بالمكذبين منها . أى ألم يكفهم هذا معجزة لحمد ؟ وهو النبي الأُمى ، الذى لم يخط حرفاً ، ولم يقرأ كتاباً (ولو أنا أهلكنهم) أى أهلكننا هؤلاء السائلين ، المقترحين للآيات (بعذاب من قبله) أى من قبل أن نرسل إليهم رسولنا محمداً (لقالوا) عتجين على هذا الإهلاك (ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا) يهدينا إليك ، ويمرقتنا بك ، ويوصلنا إلى طريقك (فتنبه آياتك) التى تنزلها علينا (من قبل أن نفل) فى القيامة (ونخزي) فى جهنم (قل كل) منا ومنكم (مترص) منتظر ما يؤول إليه الأمر (الصراط السوى) الطريق المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة ؟ نحن أم أنتم !؟

الجزء السابع عشر

٣٨٨

وَنَحْزَى ۝ قُلْ كُلُّ مَرِيضٍ قَرِيبٌ ۖ فَاسْتَعِظُوا ۖ فَسْتَعْلَمُونَ ۖ

أَحْبَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۝

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ١١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَانْتُمْ تَبْصُرُونَ ۝ قُلْ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْحَقِّ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝

مَا أَهَمَّتْ

(سورة الأنبياء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرب للناس حسابهم) أى اقربت القيامة (وهم فى غفلة) عن هذا : سائرون فى غيهم ، سادرون فى بغيهم (معرضون) عن ربهم (ما يأتيهم من ذكر) قرآن (من ربهم محدث) جديد فى سماعه ، وفى لطفه ، وفى كتابه ، وفى حفظه . أما القرآن - بصفته كلام الرحمن - فهو صفة قائمة بذات منزله وقائله تعالى ! قال البوصيرى رحمه الله تعالى فى برده : آيات حق من الرحمن عدته

قديمة صفة الموصوف بالقدم

(لاهية قلوبهم) غافلة عن معناه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أى تكلم الكفار فيما بينهم محتاجين سراً ؟ فأتين (هل هذا) يعنون

محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (أفتأتون السحر) أى أتبعون السحر الذى يأتى به ؟ (بل قالوا) على الوحي الذى أوحينا به لحمد (أضغاث) أخلاط (أحلام) أى رؤيا مختلطة لاتبر : لكونها تجت من فساد المعدة ، وأبخرة الطعام . وقالوا أيضاً (بل افتراه) أى اختلق القرآن واخترعه . وقالوا أيضاً (بل هوشاعر) يقول القرائت من بديته ؟ كما تقول الشعراء الشعر من بدياتهم (فليأتنا بآية) معجزة (كما أرسل) الرسل (الأولون) كوسى وعيسى وغيرهما ؟ فرد الله تعالى عليهم بقوله

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَظَلُّوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَسَاءِ وَأَهْلِكَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾
وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا
قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكُضُونَ ﴿٧﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩﴾ قُلْ زَالَتْ إِلَٰهَاتُكُمْ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَالِدِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبَةٍ ﴿١١﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَخَذَهُنَّ لَوْ لَا نَخَذْنَهُنَّ

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) كقوم
صالح ، وقوم موسى ؛ فإنهم لم يؤمنوا رغم
المعجزات والآيات ؛ فعاقبناهم بالإهلاك (أفهم
يؤمنون) أى أفيؤمن قومك ؟ (وما أرسلنا
من قبلك إلا رجالا) مثلك (نوحى إليهم) مثل
ما أوحينا إليك ؛ وهذا رد على قولهم «هل هذا
إلا بشر مثلكم» (فأسألو أهل الذكر) أهل
التوراة والإنجيل الذين آمنوا (وما جعلناهم)
أى وما جعلنا الأنبياء (جسدا لا يأكلون
الطعام) بل لهم بشر أمثالكم : يأكلون
الطعام ، ويعشون فى الأسواق (وما كانوا
خالدين) فى الدنيا ؛ بل يموتون كسائر البشر
(ثم صدقناهم الوعد) الذى وعدناهم بأنجائهم ،
وأهلك المكذبين (فأنجيناهم ومن نساء) من
عبادنا المؤمنين (وأهلكنا المسرفين)
المتجاوزين الحد بالكفر والتكذيب ، وارتكاب
المعاصى (لقد أنزلنا إليكم كتابا) هو القرآن
الكريم (فيه ذكركم) أى شرفكم وعلوكم ؛
وذلك كقوله جل شأنه «ولأنه لذكر لك
وقومك» (وكم قصصنا) أهلكنا . والقسم :
الكسر (فلما أحسوا بأسنا) شعروا بنزول
عذابنا (إذا هم منها) أى من القرية النازل بها

العذاب (يركضون) يهربون مسرعين (وارجعوا إلى ما أترفتم) أى «لا تركضوا» وارجعوا إلى نعيمكم
الذى كنتم فيه (لعلكم تسألون) أى لعله أن يطلب منكم الإيمان ثانية . وهو توبيخ وتقريع لهم (حتى جعلناهم
حصيدا) أى كالزروع المحصود (خالدين) ميتين ؛ وهو من غود النار : أى انطفائها

مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِيلِينَ ﴿١٥﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَلْمُفُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لِمَا تَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٧﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿١٩﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَقُولُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَمْرًا لَإِنَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٤﴾

لَا يَسْأَلُونَ

(من لدنا) من عندنا (فيلمفه) فيذهب (فإذا هو زاهق) مضطحل ذاهب (ولكن الويل) العذاب (كما تصفون) به الله تعالى؛ من الزوجة، أو الولد، أو الشريك (ومن عنده) من الملائكة (ولا يستحسرون) لا يمتعون، ولا يميون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي إن تسبيحهم متصل دائم؛ لا تتخلله فترة، ولا يشوبه ملل. والفتور: السكون بعد الجدة، واللين بعد الشدة (ينشرون) يحيون الموتي (فسبحان الله) تقدس وتزه من أن يكون له شريك! (لا يسأل عما يفعل) لأنه تعالى صاحب الملك، وغافقه، ومدبره! وقد جرت العادة أن يسأل الكبير الصغير؛ ولا أكبر من الله! والجليل الذليل؛ ولا أجل منه تعالى! (وهم يسألون) لأنهم محط الأخطاء، ومناط التكاليف! فلاحاجة لأحد على الله، وله تعالى الحجة القائمة على كل أحد «قل لله الحجة البالغة» (انظر آية ١٤٩ من سورة الأنعام) (هذا) القرآن (ذكر من معي) أي إن القرآن ذكر أمي، وسبيلها إلى التوحيد (وذكر من قبلي) من الأمم السابقة؛ وفي هذا أن القرآن الكريم فيه ما في التوراة

والإنجيل وسائر الكتب السابقة؛ مما يحتاجه المرسل إليهم لهدايتهم، والتعرف إلى ربهم؛ وليس في القرآن، ولا في أحد هذه الكتب تعدد الآلهة؛ بل كلها يجمع على أنه لا إله إلا الله وحده، لا إله غيره، وأنه فرد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد! فمن أين جاءهم ما يقولونه، وما يزعمونه! (وقالوا اتخذ الرحمن من الملائكة ولداً) بقولهم: الملائكة بنات الله (سبحانه) تزيهاً له، وتقديساً عن اتخاذ الولد (بل) الملائكة (عباد مكرمون) مطيعون له عابدون

(لا يسبقونه بالقول) الذي يريدونه ؛ بل هم (بأمره) الذي يريد (يعملون) لا يعملون سواه (يعلم ما بين أيديهم) ما سيحدث منهم ولهم (وما خلفهم) ماضى من أمرهم وأعمالهم (وهم من خشية مشفقون) خائفون (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا) سداً ملتصقين (فشققناهما) شققنا السماء بالمطر ،

والأرض بالنبات ؛ نظيره قوله تعالى «والسما ذات الرحى ، والأرض ذات الصدع» أو شق السماء والأرض فجعل كلا منهما سبغاً ، وزعم بعض الفلاسفة : أن قطعة انفصلت من الشمس - بعوامل طبيعية - فكانت أرضنا هذه ؛ وهو قول لا دليل عليه غير ما زعموا ؛ ومن عجب أن شابعهم بعض المحدثين في هذه القالة ؛ التي ما أريد بها غير نفي وجود الله تعالى وقدرته على صنع هذه الأرض ؛ وأنها لم تكن إلا بمحض الصدفة ؛ كما أن الإنسان أيضاً كان بمحض الصدفة والتطور . وهو قول خبيث ، له خبيء ؛ ما أريد به وجه العلم ؛ بل أريد به نشر الكفر ، وفشو الإلحاد ؛ فاحذر - هديت وكفيت - دس الملحدين ووسوسة الشياطين ! (وجعلنا من الماء) أى بواسطة وسببه (كل شئ حي) جاداً كان أو نباتاً ، حيواناً أو إنساناً (وجعلنا في الأرض رواسي) جبلاً ثوابت (أن تמיד بهم) أى خشية أن تميل الأرض وتتحرك بمن عليها (وجعلنا فيها أنهاراً مسالك) (سبلاً) طرقاً (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) من الوقوع ، ومن عبث الشياطين (وهم عن آياتها) أى آيات السماء وما فيها من شمس ومجرات ، وكواكب وأنجم ، وبروج ومنازل (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتعملوا فيه ، وتبتغوا من فضله (و) خلق (الشمس)

سراجاً وهاجاً ، لمنفعة الإنسان والحيوان ، والثمار والنبات (و) خلق (القمر) نوراً وضياء ؛ ليتهدى به الناس إلى حساب الأشهر والسنين (كل) منها (في فلك يسبحون) يسبحون في الهواء ؛ كالسباع في الماء (ونزلوكم) نخبركم (بالشر) الفقر ، والمرض ، والبؤس (والخير) الغنى ، والصحة ، والسعادة . وهذا الابتلاء بالشر والخير (فتنة) لكم ؛ لتنتظر أنصبروا على الشر ، وتشكروا على الخير ؛ أم تكفرون في أحدهما أو كليهما

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٩١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْغُفُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٩٢﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ لِمَنِ اللَّهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩٤﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يُمَيِّدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٩٥﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٩٧﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ اخْتِلَافًا أَفْئِنِّ مِتَّ فَهُمْ يَنْتَحِلُونِ ﴿٣٩٨﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

عَلِيمٌ

(فنبهتهم) ندهشهم وتحيرهم (ولام ينظرون) يهلون (خاف) فزل (ما كانوا به يستهزئون) أى جزاءه وعقابه (قل من يكأؤكم) يحفظكم (من الرحمن) من عذابه ويطشه إن أراد تعذيبكم والبطش بكم (ولام منا يصحون) يجارون ؛ كما يجير الصاحب صاحبه (بل متعنا هؤلاء) المكذبين لك (و) متعنا (آباءهم) يا أسفناهم عليهم من سعة ورزق وفير

(حتى طال عليهم العمر) في النعمة ؛ ووطنوا أنهم جديرون بها ، وأنها لا تزول عنهم ؛ فاغثروا بذلك ، وانصرفوا عن الإيمان ، وأعرضوا عن تدبر الحجج والآيات (أفلا يرون أننا نأتي الأرض) أي أرض الكفار (تنقصها من أطرافها) بتملك المسلمين لها (أفهم الغالبون) أم أنت ؛ وقد أظهرك الله تعالى عليهم ، وأعزك وأذلهم ؛ (قل إنما أنذركم بالوحي) الذي هو

من قبل الله تعالى ؛ لا من قبل نفسي (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) شبههم في عدم استماعهم للنصح : بالصم الذين لا يسمعون أصلاً ، ولا يستجيبون للنذر «سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (ولئن مستهم نفحة من عذاب) النفحة : النفحة : القدر الضئيل ؛ كنفحة العطر ، أو كما ينفخ لسان إنساناً ما يقدر من ماله (ونضع الموازين القسط) أي الموازين العدل . وقد ذهب الأكثرون إلى أن لكل عبد ميزاناً توزن به أعماله ، أو هو ميزان واحد لسائر الخلائق . والذي يبدو أنه ليس ثمة ميزان ؛ وإنما أريد بالميزان : العدل . يؤيده لفظ الآية ، وقوله تعالى «والوزن يومئذ الحق» (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين) أي إن كان العمل وزن حبة من خردل أتينا بها وحاسبتنا عليها . وحبة الخردل : مثل يضرب للقليلة : لصغر هذه الحبة وخفة وزنها (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) الفرقان : التوراة ؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ؛ وسمى القرآن فرقاناً لذلك . وقد يكون «الفرقان» بمعنى النصر على الأعداء ؛ بدليل قوله تعالى «وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» يعني يوم بدر ؛ فيكون المعنى : ولقد آتينا موسى وهرون النصر على الأعداء ،

وتكون التوراة هي المعنية بقوله تعالى (وضياء وذكر آل المتقين) وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ «ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء» بغير واو ؛ وهي قراءة مخالفة للمصحف الإمام (الذين يخشون ربهم بالغيب) فيما بينهم وبين أنفسهم ؛ لأنهم يعلمون تمام العلم بأنه تعالى مطلع على خوافيهم ؛ كاطلاعه على ظواهرهم (مشفقون) خائفون (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن الكريم (ولقد آتينا إبراهيم رشده) هداية وتوفيقه (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) على عبادتها مواظبون

عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣٩٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٣٩٤﴾ وَلَكِنْ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنَ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْزِلُنَا إِنَّمَا تَغُلَّيْلِينَ ﴿٣٩٥﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٣٩٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٩٧﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٩٨﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٣٩٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٤٠٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٤٠١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٤٠٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

(فطرهم) خلقهم (وناثه) قسم (لأكيدين أصنامكم) أحطلها ؛ قال ذلك في نفسه - بعد مجادلة قومه -
 وقد حطلها فعلا (فجعلهم جذادا) مكسرين فثانا

٣٩٤

المسرة السابع عشر

(إلا كبيراً لهم) أى صنأ كبيراً (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى على مرأى منهم (قال بل فعله كبيرهم هذا) وأشار إلى الصنم الكبير الذى تركه من غير تحطيم . وقيل : إنه كنى بأصبعه (فأسألهم إن كانوا ينطقون) أراد عليه الصلاة والسلام أن يريهم مبلغ حقهم وجهلهم ، وأنهم يعبدون ما لا ينطقون : يعبدون من هو أقل من عابديه درجات ؛ فتبارك القائل «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» (فرجعوا إلى أنفسهم) أى فكروا تفكير الراجع عن رأيه ، التبصر في حجة خصمه ، المؤيد لها (فقالوا) لأنفسهم (إنكم أنتم الظالمون) بعبادتك الأصنام ؛ لا إبراهيم الذى حطلها ! (ثم نكسوا على رؤسهم) أى انقلبوا وعادوا إلى كفرهم ؛ بعد ومضة الإيمان التى أظهرها الله تعالى لهم ، وسلكها في قلوبهم : فبعد أن رجعوا إلى أنفسهم «فقالوا إنكم أنتم الظالمون» قلبت أنفسهم الشريرة عليهم ، وسيطر عليهم إبليس بتزيينه ؛ وقالوا لإبراهيم (لقد علمت ماهؤلاء) الأصنام (ينطقون) ونسوا أنهم بوصفهم هذا لأهلهم : نزلوا بها إلى مرتبة أدنى من مراتبهم ؛ بل أدنى من مرتبة العجاوات ؛ وذلك لأن البهائم تنطق ؛ وهؤلاء لا ينطقون . والبهائم تنفع وتضر ؛ وهؤلاء لا ينفعون ولا يضررون (قال أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم) بل لا يستطيع نفع نفسه ، ولا دفع الضرر عنها : فقد استطاع إبراهيم بيده أن يوصل الضرر لسايرهم . وجعلهم جذادا !

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
 اللَّعِينِينَ ﴿٣٩٦﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣٩٧﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٣٩٨﴾
 فَجَعَلَهُمْ جَذَآءًا ۖ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩٩﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا ۖ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠٠﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ ۖ إِبْرَاهِيمُ ﴿٤٠١﴾ قَالُوا فَأَتُوا
 بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٤٠٢﴾ قَالُوا ۖ أَنْتَ
 فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٤٠٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٤٠٤﴾
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٠٥﴾ ثُمَّ
 نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٤٠٦﴾
 قَالَ أَتَقْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٤٠٧﴾

وهؤلاء لا ينفعون ولا يضررون (قال أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم) بل لا يستطيع نفع نفسه ، ولا دفع الضرر عنها : فقد استطاع إبراهيم بيده أن يوصل الضرر لسايرهم . وجعلهم جذادا !

يُضْرَكُمْ ۖ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ يَا أَمْرُنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْأَعْيَادِ ۖ وَآمَرْنَا الصَّلَاةَ وَآتَيْنَاهُمُ الرِّزْقَ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ۝ وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ

(أف لكم) أى قبحاً لكم ؛ وهى كلمة تضجر وتكره (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) بعد أن أقام عليهم الدليل القاطع ، والبرهان الساطع ؛ على فساد عباداتهم ، وسخف معتقداتهم ؛ يقولون هذا القول ! ولا بدع

فالنار مثوى لهم ! وقد أوقدوا ناراً عظيمة ؛ بلغ من عنفها وشدها : أن أحرقت الطير فى جو السماء ؛ ووضعوا إبراهيم فى منضيق ، وقذفوا به وسط هذه النار ؛ التى تذيب صلد الأحجار ؛ وهنا تتجلى قدرة الجبار ، وشيت أنه وحده النافع الضار ! هنا يقيم القهار الدليل على وجوده لأعدائه ، وعلى حفظه وكلاءه لأوليائه : فيقلب طبائع الأشياء ، ويخص ما شاء بما شاء ؛ كيف لا وهو ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ! (قلنا يانار) يامن طبعتك على الإحراق (كوني برداً وسلاماً على) عبدى ورسولى (إبراهيم) وأبدى القوى التين : سره المكنون ؛ وأن أمره بين الكاف والنون : فصارت النار المحرقة ، كالرياض الموقدة ! (وأرادوا به كيداً) لإنهاء باحراقه بالنار (فجعلناهم الأخسرين) فى الدنيا والآخرة . قيل : سلط الله تعالى عليهم البعوض فأهلكهم ، وشرب دماءهم ، ودخلت واحدة منه فى منخر رئيسهم النمرود : فصار يضرب رأسه بالمخاط ، وأمر رعيته بضرب رأسه ؛ حتى ينزف دماً ؛ فلا يستريح ، ولا يقر له قرار ؛ حتى هلك بعد أن أذاقه الله تعالى الهوان والعذاب الأليم ! (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) وهى الشام ؛ وقد باركها الله تعالى بنزول أكثر الأنبياء بها ، وبكثرة الأنهار ،

والأشجار ، والثمار (وههنا له) أى لإبراهيم (إسحق ويعقوب نافلة) أى زيادة على ما سأل : لأنه سأل ولداً ، فأعطى اثنين (ونجينا من القرية التى كانت تعمل الخبائث) هو لئيات الذكران (ونوحاً إذ نادى من قبل) دعا بقوله «رب لا تفر على الأرض من الكافرين دياراً» وقوله «أنى مغلوب فانتصر» (فاستجبنا له) دعاءه ، وانتصرنا له باستئصال الكافرين من قومه (فنجينا وأهله) الذين آمنوا معه

(وداود وسليمان إذ يحكمان في) مسألة (الحرث) الزرع (إذ نفشت فيه غم القوم) أي رعت ؛ فجاء صاحب الحرث يحثكم إلى داود : لحكم لصاحب الحرث بالغم ، ولصاحب الغم بالحرت . وذلك لأنه رأى أن قيمة الحرث - قبل رعى الغم - تساوى سائر الغم ؛ والقاعدة أن الجاني يعرض المضرور بقدر ضرره . فلما سمع سليمان حكم أبيه داود ؛ راجعه قائلاً : الرأي أن يخدم صاحب الغم الحرث حتى ينمو الزرع كما كان ، ويأخذ صاحب الحرث الغم ؛ فيستفيد من أصوافها وألبانها حتى يتسلم حرثه مزروعاً كما كان ؛ فيرد لصاحب الغم غنمه . فوافقته داود على هذا الحكم ؛ ودعا له (ففهمناها سليمان) أي فهمناه حقيقة القضية ، وحسن الحكومة . وذلك لأن حكم سليمان طابت به نفس الحصين ، وعاد لكلهما ماله كاملاً غير منقوص . ومن هنا نعلم أنه لم يوفق موفق إلا بهدى من الله تعالى ، ولا يحكم حاكم بعدل إلا بإرشاد منه تعالى ووحى . فكم وأينا ذكياً أخطأ ، وغيباً أصاب ! (وكلاً) من داود وسليمان (أتينا حكماً) نبوة (وعلماً) تبصرة بأمور الدين والدنيا . وقد أراد الله تعالى أن يرينا قدر داود عليه السلام ، وأن حكمه - ولو أنه خالف الأولى - لم يفض من شأنه ، أو ينقص من قدره . فقد حكم في حدود العدل الذي ارتآه ؛ فلما وجد حكماً أقرب إلى العدل ، وأدنى من المصلحة : أقره وأفضاه ؛ لذلك كان أهلاً لما اختصه الله تعالى به ، واختاره له ؛ فقد سبحت الجبال معه والطير ؛ بتوفيق من الله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) يسبحن معه أيضاً ؛ لكرامته ، ولعزازه ! قال تعالى : «وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» (وعلمناه صنعة لبوس لكم) كان يصنع الدروع ، وقد ألان الله تعالى له الحديد (لتحصنكم من بأسكم) أي لتمنعكم من الحرب من عدوكم (وسليمان الریح عاصفة)

٣٩٦

المجزء السابع عشر

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ
فَأَعْرِضْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعَلَّمْنَا سَخِرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يَسُبِّحْنَ وَالطَّيْرُ
وَكَانَ لِعِلْيَانَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيَحْصِنَكُمْ
مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلِّمْنَا الريحَ
عَاصِفَةً تَجْزِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ فِتْنَةٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَفْضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الْفُضْرُ وَانْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضِرَإٍ إِنَّتَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا

عِنْدَنَا

عاصفة) أي شديدة الهبوب ؛ قال تعالى «تجزي بأمره رعاء حيث أصاب» أي تسير الريح معه كما يشاء : عاصفة شديدة ، أو هادئة لينة (تجزي بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) هي الشام ؛ وكانت لإقامته بها (ومن الشياطين) أي سخرنا له من الشياطين ؛ وهي طائفة من الجن . والشيطان : كل عات متبرد ؛ من جن أو لئس ، أو دابة ؛ وأطلق على إبليس : لأنه رأس العتاة والمتمردين ! (من يفوس له) في البحر ؛ فيستخرجون له من لآئها ، وجواهرها ، وغرائبها (ويعملون عملاً) أعمالاً (دون ذلك) أي غير ذلك : من بناء القصور والحصون ، والتمائيل والمحاريب ، وغير ذلك (وكنا لهم) أي للجن (حافظين) لأعمالهم ؛ من أن يفسدوها بعد إتمامها كشأنهم ؛ والمراد أنه تعالى سلطانه قائم عليهم ، وإرادته نافذة فيهم ! =

=(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) الضر الذى مسه : هو ذهاب ماله ، وموت أبنائه ، ومرض أصابه . أما ما يرويه بعض المفسرين من أن الضر : هو مرض أثلج لحمه ، وأذاب جسمه ، وجعل الدود يتناثر منه : فهو من أقاصيص اليهود ، باطل مردود : لأن الأنبياء عليهم السلام لا يصح أن يصابوا بأمراض تشمئز منها النفوس ، وتوجب النفرة منهم ! وقد يكون الضر هو المرض ؛ ولكن ليس كما حكموا ووصفوا (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) أى وهبنا له ضعف ما فقد من الأولاد (وإدريس) وهو من الأنبياء عليهم السلام ؛

وهو اسم أعجمي ، وليس مشتقاً من الدراسة كما توهم بعضهم . قيل : اسمه أخنوخ (وذا الكفل) زعم بعضهم أنه بوذا : رئيس الملة البوذية ؛ وقد تطرف أتباع بوذا من طاعته إلى عبادته ؛ وعملوا له أضناماً لا تعد ؛ دانوا بعبادتها ، والخضوع لها ؛ وما أشبههم بأصحاب عيسى : دعاهم إلى الله ؛ فزعموا أنه هو الله ! ونفى عنه الولد ؛ فقالوا : أنت المولود والولد ! وقيل : سمي بذى الكفل : لأنه كان متكفلاً بطاعة الله تعالى وعبادته ، أو لأنه تكفل للملك زمانه بالجنة إن أسلم . وقيل : إنه زكريا ؛ لأنه تكفل بحرم عليهما السلام . وهذا الرأى بعيد : لذكر زكريا عليه السلام بعد ذلك .

والله تعالى أعلم بحلقه وأحكم ! (كل) ممن ذكرنا من الأنبياء (من الصابرين) على طاعة الله تعالى وعن معاصيه ، وعلى ما يصيبهم في الحياة الدنيا من أحداث ، وآلام ، ومتاعب ! (وذا النون) النون : الحوت . أى وصاحب الحوت : وهو يونس بن متى عليه السلام (إذ ذهب مغاضباً) قومه ، منصرفاً عنهم ؛ بغير إذن من مرسله تعالى (فظن أن لن نقدر عليه) أى تأكد أنا لن نضيق عليه ؛ لقربه منا ، واصطفائنا له . ولكننا أمرنا الحوت بالتناقم (فنادى) نادانا (في الظلمات) جمع

ظلمة : وهي ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت) بعيد ويقصد (سبحانك) تعاليت وتنزهت (إني كنت من الظالمين) مادعا داع بدعاء يونس عليه السلام : لا فرج الله هم ، ودفع كرب ، وأتجاه من كل بلية ! كيف لا ؟ وإله تعالى يقول (فاستجبنا له) أجبتنا دعاءه ونداءه (ونجيناه من الغم) الذى كان فيه ؛ ولم يكن غمه قاصراً على التناقم الحوت خصب ؛ بل كان جل هم وغمه : مظنة غضب الله تعالى عليه ! وقد ألهمه الله تعالى هذه الكلمات ، لينجيه مما نزل به من الكرب والضيق ! (وكذلك ننجي المؤمنين) نلهمهم ما يوصلهم إلينا ، ونوفقهم إلى ما يقرهم منا (رب لا تذرني فرداً) أى لا تتركني وحيداً بغير ولد يرثني (وأصلحنا له زوجة) جعلناها صالحة للحمل بعد عقمها ، أو صالحة للخلق بعد سوتها =

عِنْدَنَا وَذَكَرْنا لِلْعَبِيدِ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَةً إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خاشِعِينَ ۝ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَةً آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

= (وبعدوننا رغبا) رغبة في رحمتنا (ورهبيا) رهبة من عذابنا (والتي أحصت فرجها) حفظته من الزنا : وهي مريم عليها السلام (ففنضنا فيها من روحنا) أمر تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب درعها ، غفلت بعيسى عليه الصلاة والسلام (وجعلناها وابنها آية) دلالة واضحة على قدرتنا (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي فرقوا أمر دينهم ، واختلفوا فيما بينهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) لأن الصالحات بغير إيمان : لا اعتبار لها ، ولا اعتداد بها (فلا كفران لسعيه) أي فلا جعود لعمله ؛ بل ثبته عليه (وحرام على قرية

أهلكتها) أي تمتنع على أهل قرية أهلكتهم (أنهم لا يرجعون) أي لا يعادون إلينا يوم القيامة ؛ للحساب والجزاء ؛ لأن عذابهم في الدنيا لا يفيهم من عذاب الآخرة الموعود !

بين تعالى أن من يعمل من الصالحات وهو مؤمن : فلا كفران لسعيه ؛ وأن له المظ الأوفر ، والعيم الأكبر ! وأعقب ذلك بأن الكفار الذين عذبهم في الدنيا ، وأهلكهم بذنوبهم : لا بد من إرجاعهم وإعادتهم في الآخرة لحسابتهم على ما أتوه ، ومعاقبتهم على ما جنوه أو أنهم «لا يرجعون» إلى الدنيا كما طلبوا في قولهم «رب ارجعونا» «فارجعنا فعمل صالحا» (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يفتح السد الذي أقامه ذو القرنين بيننا وبينهم ؛ وذلك قبل يوم القيامة (وهم من كل حذب) مرثع من الأرض . وقرئ «جدت» وهو القبر (ينسلون) يسرعون (واقرب الوعد الحق) يوم القيامة (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) مرثعة الأنفاس ؛ لا تكاد تطرف من هول ما فيهم (إنكم) أيها الكافرون (وماتبعون من دون الله) غيره من الأصنام (حصب) حطب (أنتم لها واردون) فيها داخلون . لما نزلت هذه الآية : فرح للمشركون ، وضجوا بالضحك ؛ وقالوا : لقد عبد التصاري عيسى ، وعبد اليهود عزيرا ،

٣٩٨

الجزء السابع عشر

كُلِّ الْيَنَّا رَجَعُونَ ﴿١٠﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ بِأُجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٣﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَلَمَّا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصُرَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يُغَيِّرُوا قَوْلَهُ بَلْ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا نَكْرَهُ أَن تَقْبَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿١٥﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا تَأْتَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَجْزِيهِمُ الْعَذَابُ الْآلِ الْكَبِيرُ وَلَنُثَقِّبَهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ تُظْهِرُ

السماء

وعبد بعض العرب الملائكة : فيسبي وعزير والملائكة في النار . فنزل قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» ولو فطن هؤلاء المعاندون إلى دقة التعبير في قوله تعالى «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ» ولم يقل : «ومن تعبدون ؟ ومن المعلوم لئلا أن «ما» لما لا يعقل ، وأن «من» لا تطلق إلا على العقلاء (لو كان هؤلاء) الأصنام (آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) ما دخلوا جهنم (لهم فيها زفير) أي نين وبكاء وعويل (لأن الذين سبقت لهم منا الحسنى) وهم الذين وعدوا بالغفر والغفرة ؛ لما قدموه من إيمان صادق ، وعمل صالح (لا يسمعون حسيسا) صوتها (لا يجزئهم العذاب) الذي يعم سائر العصاة والمشركين ؛ مما يرونه من مظاهرها الشدة والبطش والقسوة (ولنثقبهم الملائكة) مرحجين بهم ، فائلين لهم (هذا يومكم =

== الذى كنتم توعدون) به فى الدنيا (يوم تطوى السماء كطى السجل) الكاتب . وقيل : «السجل» اسم ملك يطوى كتب الأعمال (ولقد كتبنا فى الزبور) الكتاب الذى أنزل على داود عليه السلام (من بعد الذكر) التذكير بالله تعالى (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) المراد بالأرض : الجنة ؛ وذلك كقوله تعالى «وقالوا الحمد لله الذى أورثنا الأرض نقبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين» (إن فى هذا لبلاغاً) لتبليغاً كافياً مفهوماً (وما أرسلناك) يا محمد

٣٩٩

سورة الأنبياء

(لأراحة للعالمين) أى رحمة للجن والإنس ، والوحش والطير ؛ رحمة للمؤمنين : بإنجائهم يوم الدين ، ورحمة للكافرين : بإنجائهم فى الدنيا من نزول العذاب ؛ الذى كان يلحق بمكذبي الأمم السابقة (فإن تولوا) أعرضوا (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم (على سواء) أى مستون كلكم فى هذا الإعلام ، أو أعلمتكم أنى على سواء . أى على عدل واستقامة . رأى ، أو «آذنتكم» بالحرب ؛ لاسلم بيننا : إما الإيمان ولما القتل ! (ولأن أدرى) وما أدرى (أقرب ما توعدون) به من العذاب ، أو «ما توعدون» به من القيامة (له فتنة) أى لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا اختبار لكم (ومتاع) تمتع (إلى حين) اقتضاء آجالكم (وربنا الرحمن المستعان) المطلوب منه المعونة والنصر (على ما تصفون) به أنفسكم ؛ من القوة والشجاعة ، والانتصار على المؤمنين ؛ أو «المستعان» الذى نستعين به «على ما تصفون» به الله تعالى ؛ من الولد والشريك ؛ فنقض على هذه الفرية ؛ بالقضاء على مروجيتها ومعتقداتها

أَلَسْمَاءَ كَتَبَ الْبِجْدَ لِلْكَتِبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعْبُدُ
وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٣٩٩﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ
بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٤٠٠﴾
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٤٠١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٠٢﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكَ إِلَهٌ
وَاحِدٌ قَهْلَ أَتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٤٠٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ مَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿٤٠٤﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٤٠٥﴾ وَإِنْ
أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لِّكَ وَمَتَعَ لَكَ حِينٌ ﴿٤٠٦﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٤٠٧﴾

(سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خافوه ، واحذروا غضبه وبأسه ، واخشوا يوماً ترجعون فيه إليه (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الزلزلة : الإزعاج ، والإفزع . أى اتقوا ربكم لأن زلزلة الساعة شيء مهول ! (تدهل كل مرضعة عما أرضعت) أى تفعل عنه ؟

الحجزة السابع عشر

٤٠٠

مع أن الطبيعة البشرية : تقتضى تمام الحرص من جانب الأم على وليدها ، وتقتضى كامل الشفقة به ، والحذب عليه ؛ فيذهب جميع ذلك لشدة ما تلقاه في هذا اليوم من الهول ، وما تجده من الرعب ! (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تطرح كل حبل ما في بطنها ؛ لشدة ما ترى من الفزع (وترى الناس سكارى) أى كالسكارى ؛ في عدم الوعي ، وفي الخلط ، وفي التغر ، وفي الدهول (وما هم بسكارى) حقيقة ؛ ولكنه هول القيامة ! (ويتبع كل شيطان مرئداً) عات متبرد ؛ مستمر في الشر ؛ مسترئ له (كتب عليه) أى قضى على هذا الشيطان (أنه من تولاه) أى اتبعه ، واتخذ إماماً له ومعيناً (فإنه) أى الشيطان (يضل) عن طريق الحق ، ويرديه في الباطل (ويهديه) بوجهه (إلى عذاب السعير) إلى ما يوصله إلى جهنم وبئس المصير ! وهذا كقوله تعالى «فاهدوهم إلى صراط الجحيم» (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) شك (من البعث) يوم القيامة (فإننا خلقناكم) أى خلقنا أصلكم آدم (من تراب) أى لأن كنتم شاكين في البعث ، وكيف أننا نعيدكم بعد فناءكم ؛ فانظروا في بدء خلقكم : إذ خلقناكم من تراب ، ولم تكونوا شيئاً ؛

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَاتُ ٢٢ وَ ٢٣ وَ ٢٤ وَ ٢٥ وَ ٢٦ وَ ٢٧ وَ ٢٨
وَأَمَّا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١
يَوْمَ تَوَدُّ أَنْ تَدْهَلَ كُلُّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ٢
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٣
يَجْعَلُ فِي اللَّهِ مَغْفِرَةً لِّعِبَادِهِ وَيُنَزِّلُ فِي السَّمَاءِ مَاءً ٤
فَيَنْزِلُ فِيهِ نَافِلَةٌ ٥
فِيهَا نَافِلَةٌ ٦
فِيهَا نَافِلَةٌ ٧
فِيهَا نَافِلَةٌ ٨
فِيهَا نَافِلَةٌ ٩
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٠
فِيهَا نَافِلَةٌ ١١
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٢
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٣
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٤
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٥
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٦
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٧
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٨
فِيهَا نَافِلَةٌ ١٩
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٠
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢١
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٢
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٣
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٤
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٥
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٦
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٧
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٨
فِيهَا نَافِلَةٌ ٢٩
فِيهَا نَافِلَةٌ ٣٠

ما نشاء

فكيف لا نستطيع إعادتهم كما أنتم الآن ؟ (ثم من نطفة) منى (ثم من علقه) ذهب المفسرون إلى أن المراد بها : قطعة دم جامدة ! والذى أراه أن المراد بالعلقة : واحد الحيوانات النوية ، التى يتخلق منها الجنين بأمر الله تعالى ؛ وتجميع على «علق» قال تعالى «خلق الإنسان من علق» (ثم من مضغة) قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يعض في الفم (مخلقة وغير مخلقة) أى تامة الخلقة ، وغير تامة (وتقر في الأرحام ما نشاء) أى تثبت في الأرحام ما نشاء ثبوته ؛ ولم نشأ إبقائه : أسقطته الأرحام . فليس كل من حملت أنتجت

مَا نَشَاءُ إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٤﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا بَهِيجٌ وَتُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَلْقَبَ

(إلى أجل مسمى) هو وقت استيفاء الجنين مدته في الرحم (ثم لتبلغوا أشدكم) كمال قوتكم ؛ وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين (انظر آية ٢١ من سورة الداريات) (ومنكم من يرد إلى أردل العمر) أردته ؛ وهو الكبير

الوَدَى إلى الهرم والحرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) أى لينسى ما عرفه ، وبجهل ما علمه ؛ لنهاب عقله ، ومزبد كبره «ومن نعمه تنكسه في الخلق» قال عكرمة : من قرأ القرآن : لم يصر إلى هذه الحالة نفعا الله تعالى بكتابه ، وكتبنا من أجابه ، وشفعه فينا ، وجعله حجة لنا لا علينا ! (وترى الأرض هامدة) ساكنة يابسة (فإذا أنزلنا عليها الماء) بالمطر ، أو بالسقي من ماء المطر نفسه - المناسب في الأنهار والآبار - وذلك بعد وضع البذر (اهتزت) تحركت لطلوع النبات (وربت) انتفخت وارتفعت (وأنبتت من كل زوج بهيج) من كل صنف حسن ، سار للناظرين ! (ذلك) المذكورة من قدرة الله تعالى على إنشاء الإنسان أصلاً من تراب ، ثم من نقطة ؛ ثم تطور النطفة إلى علقه ، ثم مضغة ؛ ثم لإخراجه طفلاً ، ثم لإنهاء أجله على الصورة التي يريدّها الله تعالى له - صغيراً ، أو كبيراً ، أو بالفاً أَرَدَلِ العمر - ثم قدرته جل شأنه ، وعلا سلطانه ؛ على إنزال الماء من السماء على الأرض اليابسة ، واهتزازها ، وانشقاقها عن أصناف النبات : البهيج المنظر والمخبر ؛ كل «ذلك» يدل دلالة قاطعة على أنه تعالى (هو الحق وأنه) كما أنشأ الخلق ابتداءً ، وأماتهم (يحيي الموتى) ويعينها يوم القيامة للحساب

والجزاء ؛ فتعالى الله الخالق ما يريد ، الفاعل ما يشاء ! (ثاني عطفه) أى لاوياً عنقه : كبراً وخيلاء ، أو معرضاً عن ذكر الله تعالى (وأن الله) في إحيائه وإماتته ، ومحاسبته ومعاقبته (ليس بظلام للعبيد) ولكن العبيد «كانوا أنفسهم يظلمون» (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف ؛ أى يعبد الله شاكاً في وجوده ، أو شاكاً في إحيائه ، أو شاكاً في جزائه (فإن أصابه خير) غنى وصحة (اطمأن به) وسكن إليه (وإن أصابته فتنة) شر وبلاء وفقر

(انقلب على وجهه) رجع إلى كفره : يائساً من رحمة الله تعالى ؛ وبذلك يكون قد (خسر الدنيا) بفوات ما أمله فيها ، وأرادها منها (و) خسر (الآخرة) لأن الله تعالى لم يعدها إلا للفقين ؛ و (ذلك) الخسران (هو الخسران المبين) الواضح ؛ الذي لا خسران بعده (يدعو) أى يعبد (من دوت الله) غيره (ذلك هو الضلال البعيد) الكبير (يدعو لمن ضره) أى يدعو من ضره ؛ واللام زائدة (أقرب من نفعه) أى يعبد من دون الله من يحتمل وصول الضرر منه ، ولا يستطيع إيصال النفع . أو يطلب رفع ما نزل به ؛ ممن لا قدرة له على دفعه عن نفسه (ليس المولى) أى يشرب الرب ، ويشرب السيد ؛ ذلك الذى لا يضر ولا ينفع ! (ويشرب العشير) أى يشرب القريب والصاحب ؛ و «العشير» من العاشرة (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله عليه الصلاة والسلام . أو المراد : من كان قد يشرب من روح الله ، وقنط من رحمته ، وظن أنه تعالى لن ينصره : فليخفق ! وجاء على لسان العرب «ينصره» بمعنى يرزقه (فليمدد بسبب) مجمل (إلى السماء) أى إلى السقف ؛ لأن كل ما علاك : فهو سماء (ليقطع) أى ثم ليخفق ! (فليظن هل ينهين كيدك ما يفيض) أى «هل ينهين كيدك» لنفسه بالاختناق ؛ الأمر الذى يفيضه : وهو ظنه بأن الله تعالى لن يرزقه ، أو بأن الله تعالى لن ينصر رسوله ؛ وقد نصره فى الدنيا : بنصره ، ورفعة شأنه ، وإعلاء دينه ؛ وفى الآخرة : بالمقام المشهود ، والمحوسب المورود ، والشفاعة العظمى ! (وكنك أنزلناه) أى القرائت (آيات

٤٠٢

الجزء السابع عشر

عَلَى وَجْهِهِ ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٠٠﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٠١﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٠٢﴾ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٠٣﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُبْعَثَ كَيْدُهُمْ مَا يَغْفُلُ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَشَّهِيدٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

وَالشَّمْسُ

بينات) واضحات (وأن الله يهدي من يريد) هدايته ، أو من يريد أن يهتدى (والذين هادوا) اليهود (والصابغين) قوم زعموا أنهم على دين نوح عليه السلام ، أو هم كل من صبأ ؛ أى خرج من دين إلى دين آخر (والمجوس) عبدة النار (ألم تر أن الله يسجد له) كل (من فى السموات) من أملاك (ومن فى الأرض) من انس وجن

(والشمس والقمر والنجوم والجلال والشجر والدواب) كل هؤلاء يسجد لله تعالى . أى بطيعه ، ونخضع لأوامره . أو هو سجد على الحقيقة : يتثل في ظل هذه الأشياء « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن تفهون سيعهم » (وكثير من الناس) أى ويسجد له كثير من الناس ؛ وهم المؤمنون (وكثير من الناس) (حق عليه العذاب) أى وجب عليه ؛ لكفره ، وفسوقه عن أمر ربه (ومن بين الله) يشقه بالكفر (فأله من مكرم) أى ليس له من مسدد يرتفع به إلى مصاف المؤمنين ، ويدفع عنه ما كتبه عليه أحكم الحاكمين !

سورة الحج

٤٠٣

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَبِينُ
اللَّهُ قَالَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١﴾
* هَٰذَانِ خَصِمَانِ ائْتَصَمَا فِي رَيْبٍ فَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
الْحَمِيمُ ﴿٢﴾ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ
وَهُمْ مَقْتُوعُونَ مِنْ حَرِّهِ ﴿٣﴾ كَلَّا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾
إِنَّ اللَّهَ بِذُلِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٥﴾ وَهُمْ فِيهَا عَلَى الطَّيِّبِ مِنْ
الْقَوْلِ وَهُمْ فِيهَا عَلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

ولما بين الله تعالى من استوجب الشقاء والمهانة ، وارضى لنفسه خسة الكفر ، وذلة الجهل ؛ وأبى رفعة الإيمان ، وعزة العلم !

هذا ولا يقل أصلاً أن المولى الكريم يهين من لا ذنب له ، ولا إثم عليه ؛ بعد أن رفعه وكرمه « ولقد كرمتنا بنى آدم » وقد اعتاد أكثر المفسرين - ساعهم الله تعالى - على أن ينهبوا في مثل هذه المعاني مذاهب شتى ؛ بأباها العدل السماوى ، وتنبؤ عنها الحكمة الإلهية ؛ ويستترون وراء معات غفمة ضخمة ؛ هى في الواقع عين الحقيقة ، ولب الشريعة . وإلا فمن ذا الذى ينكر أنه تعالى يفعل ما يريد ؟ (إن الله يفعل ما يشاء) أو أن الأمر أمره ، والخلق خلقه ؟ وأن الجميع ملك له وعبيد ؟ إن من ينكر هذا أو بعضه ؛ فإنه واقع في الكفر لاعالة : لأنه قد أنكر مالا يصح الإيمان إلا به ! إنما الذى ننكره ، ونحارب من أجله ، ونلقى الله تعالى عليه : أنه تعالى « ليس بظلام للعبيد » وأنه جل شأنه لا يظلم الناس ، ولكن الناس « كانوا أنفسهم يظلمون » فإذا أهان الله تعالى عبداً ؛ فإنما يعاقبه بهذه الإهانة على ظلم نفسه ؛ بالرضا بالكفر ، والركوت إليه ! قال تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

لذا أتبع الله تعالى ذلك بذكر خصومة المؤمنين والكافرين ، وما يؤول إليه حال كل منهم . قال تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) المؤمنون خصم ، والكافرون خصم (فلا الذين كفروا) بمحض اختيارهم ؛ وليس بدافع خفي من الله تعالى ؛ تنهار أمامه قوتهم ، وتغشى حياله إرادتهم ! وهل يستطيع مخلوق أن يدفع لإرادة الخالق تعالى ؟ أو أن يخرج عما أكرمه عليه ، واضطره إليه ؟ (قطعت) أى سويت وأعدت (لهم نيب من نار) وهو تشبيه لإحاطة النار بهم من كل جانب : إحاطة الثوب بلباسه (يصب من فوق رؤسهم الحميم) وهو الماء البالغ نهاية الحرارة . عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لو سقطت نقطة واحدة منه على جبال الدنيا لأذابتها ! (يصهر به) أى يذاب بالحميم (بما بطونهم) من أحشاء ، وأعضاء وقلوب ، وكلى ، وأكباد ! وخص ما في بطونهم : =

= يظهر مبلغ ما يحق بهم من آلام لا توصف : فإن الإنسان لا يحتمل أذى ألم - مهما قل - يلجأ في بطنه ؛ فإياك - عافاك الله تعالى وإياك - بالحجم في الجحيم ؛ يصب فوق الرأس ؛ فيصهر ما في البطن ! (ولهم مقام من حديد) تضرب بها رؤسهم ! والمقام : جمع مقمعة ؛ وهي عمود من حديد ؛ يضرب به رأس القيل ليستكين ويحد من هيجانه . وهي مشتقة من القمع (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى من النار (من غم) حزن شديد ، وهم بالغ نالهم (أعيدوا فيها) بالضرب بالمقامع (و) يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) بما قدمتم (إن الله يدخل) بفضلته (الذين آمنوا) به وبكتبه ورساله (وعملوا الصالحات جنات) بساين : لا آخر لظلمها ، ولا حد لبهجتها (وهدوا إلى الطيب من القول) أى هدوا في الدنيا إلى القول الطيب ؛ الذي وصلهم إلى هذه الدرجة من النعيم : وهو لا إله إلا الله ! (وهدوا إلى صراط الحميد) أى إلى طريق الله ، الموصل إليه ؛ وهو الإيمان ! (إن الذين كفروا يصدون) يمتنعون (عن سبيل الله) دينه (سواء العاكف فيه) المقيم (والباد) غير المقيم (ومن يرد فيه بالمعاد بظلم) أى ومن يهجم فيه بمصيبة (تذقه من عذاب أليم) جاء في اللغة : ألد في الحرم : إذا احتكر الطعام . وقيل ؛ الإلحاد : الحلف الكاذب ، أو هو منع الناس عن عمارة المسجد الحرام . وقرئ «ومن يرد» بفتح الياء : من الورود

هذا ولم يؤخذ الله تعالى أحداً من خلقه على الهم بالمصيبة ما لم يرتكبها ، ولا بالشروع فيها ما لم يأتها ؛ إلا في المسجد الحرام : فإن من يهجم فيه بالذنوب : كمن يقرئه ؛ وذلك لأن الإنسان يجب عليه أن يكون في الحرم طاهر الجسم ، نقي القلب ، صافي السريرة ، خالصا بكنيته لله ، طامعاً في مغفرته ، مشفقاً من غضبه ! وإن من ينتهك حرمة الملك بمصيبته في سواه ، ودخل بيته : أجزأ على

المصيبة من يرتكبها بعيداً عنه ! وحقاً إن من تهجم نفسه بالسوء ؛ وهو في داخل الحرم الآمن : لجدير بالجحيم ، والمذابح الأليم ! (وإذ بوأنا) هيأنا (وطهر بيتي) من الأصنام والأوثان والرجس (وأذن) ناد (في الناس بالحج يأتوك رجالاً) أى مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) أى ركباناً . والضامر : البعير ، أو الفرس المهزول (يأتين من كل فج عميق) من كل طريق بعيد (ليشهدوا) يحضروا (منافع لهم) بالتجارة ، والتعرف بالناس من شتى الأقطار . وفي هذا من المنافع الاجتماعية ما فيه ؛ وقد أهتم الشارع الحكيم باجتماع الناس وتألفهم ، وتبادلهم الأخوة الدينية ، والمحبة الخالصة ؛ فشرع صلاة الجماعة : ليجتطأ أهل الحى الواحد ، وشرع الجمعة : ليجتمع أهل البلدة ، وشرع الحج : ليجتمع أهل الأقطار والأصفار ؛ =

لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ فِيهِ وَالْبَدُّ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ
يُظْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ الْبَاسِ ۝ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لَيَقْبِضُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكَ الْأَنْعَامُ
إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

ليتنارفوا ، ويتجاوبوا ، ويتبادلوا الآراء العامة ؛ التي تعود بالنفع على الأمة الإسلامية في سائر أقطار المعمورة ! (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس وشدة (ثم ليقتضوا تفهمهم) التفث في المناسك : قص الأظفار والشارب ، وحلق الرأس والعانة ، وري الجمار ، ونحر البدن ، وأشياء ذلك . والتفث في اللغة : الوسخ . أى وليزيلوا وسخهم (وليوفوا بنورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) يطوفوا طواف الإفاضة ؛ الذي هو من واجبات الحج (بالبيت العتيق) القديم ؛ وهو البيت الحرام . وسمى بالعتيق : لأنه أول بيت وضع للناس . قال تعالى «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا» (ومن يعظم حرمات الله)

٤٥٥

سورة الحج

يجتنب مالا يحل انتهاكه (إلا ما يتلى عليكم) تحريمه في قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقودة والمزبدية والنطيحة وما أكل السبع - إلا ما ذكيت - وما ذبح على النصب» (فاجنبوا الرجس) الفسار . وهو كل ما يستوجب العقاب والعذاب (من الأوثان) الأصنام (واجتنبوا قول الزور) شهادة الزور . وقول الزور : من أكبر الكبائر ، وهو من الموبقات المهلكات ! وما فشا الزور في قوم : إلا وحل بهم الخراب والدمار ! (حنفاء لله) مسلمين (ومن يفرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير) أى فكأنما سقط من السماء فتخطفه الطير ، ومزقته كل ممزق (أو تهوى به الريح) تسقطه وتلقه (في مكان سحيق) بعيد . أى لأنه لا ترجى له نجاة في الحالتين (ذلك ومن يعظم شعائر الله) الشعائر : جمع شعيرة ؛ وهى أعمال الحج ، وكل شيء فعل تقربا إلى الله تعالى أو تعظيها : اختيار البدن حسنة سميحة (فإنها) أى تعظيم الشعائر ، والقيام بها على أكل وجه ، وأجل صفة (من تقوى القلوب) وهى أرق مراتب التقوى ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «التقوى

أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٤٥﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شُعَيْرَ اللَّهِ فَلَهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٤٦﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ لِمَا أَجَلِ مَسَى ثُمَّ مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهْمَةٍ الْأَنْعَامِ فَلَهُمْ عَذَابٌ وَحِيدٌ فَلَهُمْ أَسْلِمُوا وَيُشِيرَ الْمُخَنِّينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شُعَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِجَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ تَحَرَّيْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٠﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ تَتَقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ نَحَرَّهَا لَكُمْ لِيَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَيُشِيرَ

هنا» وأشار إلى صدره الشريف (ثم محله) أى مكان وجوب نحرها . والضمير للأتعام (ولكل أمة جعلنا منسكا) أى موضع قربان ؛ وهو مكان الذبح (المخبتين) المطمئنين بذكر الله تعالى ، المطيعين له ، المتواضعين (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت (والصابرين على ما أصابهم) من البأساء والضراء (والبدن) جمع بدنة ؛ وهى من الإبل والبقرة : كالأنضية من الغنم (صواف) أى قاثمات قد صفت أيديهن وأرجلهن (فإذا وجبت جنوبها) أى سقطت على الأرض بعد نحرها (فكلوا منها وأطعموا القانع) وهو الراضى بما عنده ، وبما يعطى ؛ من غير مسألة . أو هو السائل (والمعتر) وهو الذى يريك نفسه ولا يسأل (لن ينال الله) أى لن يصل إليه (لحومها ولا دماؤها) فقد استمتعتم بها أكلًا وبذلا (ولكن يناله) يصل إليه =

= (التقوى منكم) أى إنه تعالى لن يصل إليه ، ولن يقبل من ذلك إلا ما أريد به وجهه جل شأنه ؛
فذلك وحده هو المقبول الجزى عليه ؛ أما ما أريد به التظاهر والتفاخر والرياء والاستعلاء : فهو مردود على
فاعله موزور عليه غير مأجور ؛ (إن الله لا يحب كل خوان كفور) شديد الحياة والكفر (أذن للذين

الذين آمنوا

٤٠٦

يقاتلون) أى أذن للمؤمنين الذين يقاتلون :
أن يقاتلوا من يقاتلونهم ؛ وذلك (بأنهم ظلموا)
وقوتلوا ابتداء واعتداء ؛ وهم (الذين أخرجوا
من ديارهم) مكة ؛ ظلماً وعدواناً (بغير حق
إلا أن يقولوا) أى أخرجوا بغير ماسب ؛
سوى قولهم (ربنا الله) وحده ، لا إله غيره ،
ولا نعبد سواه ؛

بعد أن بين تعالى مساوى القتال الظالم ،
الغير المتكافئ ، والقائم على الإثم والضلal :
أعرفنا أن الحروب والقتال : ليست شرأ كلها ؛
بل منها ما يقوم بسبب مشروع : يؤجر المرء
وناب عليه . قال تعالى (ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض) أى لولا ما شرعه تعالى لأنبيائه
والمؤمنين من عباده ؛ من قتال أعدائه : أعداء
الدين ؛ لشاعت الفوضى ، وعمت الإباحية ؛
(ولمعت صوامع) جمع صومعة ؛ وهي مكان
العبادة . وهي للتصاري كالخلوة عند متعبدى
المسلمين (و) لمعت (بيع) وهي كنائس
النصارى (وصلوات) كنائس اليهود
(ومساجد) المسلمين . وكلها معابد : واجب
العناية بها ، والاحترام لها ؛ وذلك لأنها جميعاً
(يذكر فيها اسم الله كثيراً) بالعبادة
(ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر
دينه ، ويدفع عن أوليائه ؛ لأنه تعالى لا يحتاج
إلى نصره أحد ، والكل مفتقر إلى نصرته ؛

الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠٦﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٠٧﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ
يَا نَهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٤٠٨﴾ الَّذِينَ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُمُوعُ
وَبِيعَ وَصُلُوتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠٩﴾
الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَظِيمُ
الْأُمُورِ ﴿٤١٠﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ ﴿٤١١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤١٢﴾
وَأُحْطِيقَ إِلَىٰ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤١٣﴾ فَكَأَيِّنْ مِن قَرْيَةٍ

قَرْيَةٍ

وهذه الآية الكرعة خاصة بالحروب ، وحاجة الكون إليها ، وأنها ضرورة من ضرورات الحياة ، ولازمة
من لوازم العمران . (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) (الذين إن مكناهم في الأرض) أى جعلنا لهم مكانة
فيها وسلطاناً (وعاد) قوم هود (ونمود) قوم صالح (وأصحاب مدین) قوم شعيب (فأملت للكافرين)
أملتهم (ثم أخذتهم) بالعذاب والاستئصال (فكيف كان نكير) إنكارى عليهم ما فعلوه ، وتفسيرى ؛
حيث أبدلتهم مكان الأمن خوفاً ، ومكان الراحة تعباً ، ومكان النعم نقماً (فكأين من قرية) فكم من قرية

(أهلكتنا وهي ظالمة) أى أهلكتنا بسبب كفرها (وبئر معطلة) أى وكمن بئر متروكة لا ينفع بها ؛ بسبب هلاك أهلها وإفنائهم (و) كم من (قصر) عظيم (مشيد) رفيع طويل متين (وكان من قرية) وكمن قرية (ألميت لها) أهلها (وهي ظالمة) كافرة . والمراد بالقرية فيما تقدم : أهلها (ثم أخنتها) بالعذاب والاستئصال (ولم المصير) المرجح ؛ فأعاقب الكفار أشد العقاب (والذين سعوا في آياتنا) في القرآن : بالظن فيه ، وفيمن نزل عليه ؛ بقولهم : سحر وساحر ، وشعر وشاعر (معجزين) أى طالين

٤٠٧

سورة الحج

عجزنا ، ومناوئين لنا ، أو ينسبون العجز للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) تمنى : قرأ . أى إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته : ليشوش أذهات السامعين ، ويبعث في نفوسهم الشكوك والريب . قيل : كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ سورة «النجم» فلما بلغ قوله تعالى «ومنا الثالثة الأخرى» تكلم الشيطان بقوله : تلك الفرائق الملا ، وإث شفاعتهن لترجي . فوقع عند بعضهم أن ذلك من قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد كان الشيطان في ذلك الحين يتكلم ويسمع كلامه بالأذان ، وقد قال يوم أحد «لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم» والذي أراه في معنى هذه الآية : أن يكون التمني على ظاهره . أى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى» لأتمته الإيمان «ألقى الشيطان في» سبيل «أمنيته» العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) يحوه وينهيه من قلوب أوليائه (ثم يحكم الله آياته) بأن يجعلها مقبولة لدى من سبقت لهم الحسنى ، وحازوا المقام الأسنى ؛ أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين فباطل مردود ؛ لا يستسيغه عقل مؤمن ، ولا يقبله قلب سليم ؛ وهو زعمهم بأن الرسول الكريم - الذى

قَرِئَةُ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مَعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿١٠٠﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَأَنبَأَ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمي الْقُلُوبُ إِنِّي
فِي الْصُّدُورِ ﴿١٠١﴾ وَتَسْمِعُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَجْلِفَ اللَّهُ
وَعَدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿١٠٢﴾
وَصَّابِينَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتَ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا
وَالِىَ الصِّبْرِ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٠٤﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ

لا ينطق عن الهوى - نطق بلسانه ؛ حين بلغ «ومنا الثالثة الأخرى» قائلا : تلك الفرائق الملا ، وإث شفاعتهن لترجي . هذه القالة التى لا ينطق بها مؤمن فضلا عن سيد المؤمنين ؛ الذى هداانا لتوحيد رب العالمين ! وقد استدلوا على قولهم الباطل بأحاديث واضحة البطلان ، بادية الخسران ! وقد نبه إلى ذلك بعض فضلاء الأمة : قال ابن اسحق في حديث الفرائق : هو من وضع الزنادقة . وقال أبو بكر بن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له . وقال القاضي عياض : إن هذا حديث لم يخرج به أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل سليم ؛ وإنما أولع به وبغته المفسرون والمؤرخون ؛ المولعون بكل غريب ، المتلفعون من الصحف كل صحيح وسقيم !

(ليجعل) الله (ما يليق الشيطان) في صدور بني الإنسان (فتنة) حنة وإبتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك وفاق (والفاسية قلوبهم) أى ويجعله أيضاً فتنة للفاسية قلوبهم ؛ التي لا تلتين لذكر الله تعالى (وإن الظالمين) الكافرين (لنى شقاق بعيد) خلاف كبير ! ألا ترى إلى الأمم الغريبة - وقد يكونوا أبناء دين

الجزء السابع عشر

٤٠٨

واحد - وقد ساد بينهم الشقاق ، وفشت بينهم الشخاء والبغضاء ، وشمر كل ساعدهم للزوال والقتال ، وأعدوا لبعضهم ما أعدوا : من ضروب الأسلحة المهلكة المدمرة ؛ فصدق عليهم قوله تعالى « وإن الظالمين لنى شقاق بعيد » فهم طول العمر ، وأبد الدهر ؛ فى شقاق وأى شقاق ! (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله تعالى ، ودينه وآياته (أنه) أى القرأت الكريم (فتخبت) فتطمئن (ولا يزال الذين كفروا فى صرية منه) فى شك من القرآن (حتى تأتيتهم الساعة) القيامة (بفتنة) فجأة (أو يأتيتهم عذاب يوم عقيم) وسى عقيماً : لأنه لا يوم بعده . وقيل : هو يوم بمر ؛ وهو عقيم : لأنه لا مثل له فى عظمه : لأن الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلت فيه ، أو لأن الكفار لم ينظروا فيه إلى الليل ؛ بل قتلوا قبل المساء ؛ فصار يوماً لا ليلة له ؛ فكان عقيماً ! وأول الأقوال أولى : لقوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) فيما كانوا فيه يختلفون (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (أو ماتوا) ميتة طبيعية (ليرزقهم الله رزقاً حسناً) فى الجنة (ومن عاقب يمثل ما عوقب به) أى اقتص لنفسه . وليس المراد بذلك المجانسة فى العقوبة على إطلاقها ؛ فن قتل ولدى : لم يجوز لى أن أقتل ولده ؛ لأن ولده لم يرتك ما يؤثم عليه ،

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٧﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَآفَاسِيَةً قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٣٨﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْةً أَوْ يُأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُ بِبَنِيهِمْ فَأَلْذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٣﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ

لِيُنْصَرَفَهُ

ومن سم ماشيتى : لم يجوز لى أن أسم ماشيته ؛ لأنها عجاء لم تذنب . ولا يصح الاقتصاص منها - لو أذنبت - قيل : نزلت فى جماعة من المشركين مثلوا بقتل المسلمين يوم أحد ؛ فعاقبهم المسلمون بالتمثيل بقتلهم . ومعنى الآية : من جازى الظالم بمثل ظلمه (ثم بغى عليه) أى بغى على المعاقب ، الآخذ بمحقه

لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
يُورِثُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَيِّحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٤﴾ لَقَدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِقُ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ ﴿٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَسَكَةً هُمْ نَاسِكُوهَا
فَلَا يَنْتَرِعُوكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى

(لينصره الله) على من يهي عليه (ذلك)
النصر المستمد من الله تعالى ؛ لأنه وحده
القادر القاهر ، العفو الغفور ؛ ومن قدرته
تعالى أنه (يورث الليل في النهار ويورث النهار
في الليل) أى يدخل كلاهما في الآخر ؛ بأن
ينقص هذا ويزيد ذاك ؛ وهذا مشاهد ملموس
في الصيف والشتاء ؛ وهما آيتان دالتان على
قدرته تعالى ووحدانيته (ما يدعون)
ما يعبدون (من دونه) غيره (ألم تر أن الله
سخر لكم ما في الأرض) من أشجار وأنهار ،
ودواب وأطيار ، وغير ذلك مما ينتفع به
(والفلك) السفن (تجري في البحر بأمره)
يأذنه ومعونته وقدرته (ويمسك السماء أن تقع
على الأرض إلا بإذنه) بأمره ومشئته ؛ يوم
القيامة «يوم نظوى السماء كطى السجل
للكتب» «يوم تمور السماء موراً» (وهو
الذى أحياكم) بالإنشاء من العدم (ثم يميتكم)
عند انتهاء آجالكم التي قدرها لكم (ثم يحييكم)
يوم القيامة للحساب والجزاء (لأن الإنسان
لكفور) بالله ، أو كفور بأنعمه ! (لكل
أمة جعلنا ناسكة) شريعة ودينا (هم ناسكوه)

عاملون به

(وإن جادلوك) فيا أنزل إليك (فقل الله أعلم بما تعملون) من سوء ؟ فيجازيكم عليه (إن ذلك) المذكور ؛ من أنزال الماء من السماء ، وازدهار الأرض بالنباء ، وتسخيره تعالى للأفلاك تجري بكم على الماء ، وإمساكه جل شأنه للسماء ، وإنشائه لمن يشاء ، وإماتته بعد الإحياء ، وإحيائه بعد الفناء ، وإحاطة علمه تعالى بما في الأرض وما في السماء . كل ذلك (في كتاب) مكتوب في اللوح المحفوظ ، ومعلوم له تعالى قبل حدوثه (ويعبدون من دون الله) غيره (ما لم ينزل به سلطاناً) حجة أو برهاناً (ولذا تنلى عليهم آياتنا)

الجزء السابع عشر

٤١٠

من القرائن (بينات) ظاهرات واضحات ؛ لا لبس فيها ولا إيهام (تعرف في وجوه الذين كفروا النكر) الإنكار لها ، والكفر بها ؛ وذلك بما يبدو عليهم من الاقتباس والمبوس والكراهة (يكادون يسطون) يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى بالمؤمنين الذين يتلون عليهم القرآن (قل أفأنبئكم) أيها الكافرون المكذبون (بشر من ذلكم) التكذيب ، وإيذاء المؤمنين (النار وعدما الله) أمثالكم من (الذين كفروا وبش المصير) أو يكون المعنى : (قل أفأنبئكم) أيها المؤمنون (بشر من ذلكم) أى هل أخبركم بما هو شر من بطش هؤلاء الكفار ، وإنكارهم لما جثم به من الحق (النار وعدما الله) أمثالهم من (الذين كفروا) (إن الذين تدعون) تصدون (من دون الله) غيره من الآلهة . والمقصود بها الأصنام (لن يخلقوا ذباباً) اختار الله تعالى الذباب في التمثيل - ولو أنه أكبر من البعوض - لأن الذباب أحقر المخلوقات وأخسها ، وأبغضها وأقذرها ؛ والمعنى : يأبى الكافرون ، يأحقر المخلوقين : كيف تعبدون من دون الله ما لا يستطيع أن يخلق ذباباً (ولو اجتمعوا له) أى ولو اجتمع هؤلاء الآلهة ، وصار بعضهم لبعض ظهيراً ؛ ولم يقف بحجهم عند عدم استطاعة خلقه الذباب فحسب ؛ بل (ولأن)

هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ۚ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ اللَّهُ يَجْزِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ هَآئِنَّا بِبَنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ تَكُنْ بِكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ هَآئِنَّا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعْدَمَا اللَّهُ الدَّارِ كَفَرُوا وَبَشِ الْمَصِيرِ ۝ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝

ماتقروا

يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أى لو سلب الذباب ألقمهم - التى يعبدونها - شيئاً من الطيب الذى كانوا يضمخونها به ؛ لم تستطع تلك الآلهة استرجاعه منه - رغم ضعفه وحقارته - هذا وقد يتوهم أن الذباب من الأشياء المخلوقة عبثاً - بل التى يفضل عدمها على وجودها - لما تنقله من مكروبات ، وما تحمله من جرائم . لكنك لو علمت أنه يستوى في نظر الحاكم : الجلاد الذى يطيح بالرقاب ، والنواص المد للإققاد ؛ إذ كل منهما يفعل ما أمر به : لهان الأمر . وأيضاً فإن الذباب - فضلاً عن حله للكروبات - فإنه خلق لإذلال المتكبرين والجبابرة : وذلك لأن الجبابرة كما تقف على القامة والفاذورات : فإنها تقف على أكتاف أعني الجبابرة ، وأعظم الأكاسرة ؛ حيث لا يملك دفعها ، ولا يستطيع منمها ؛ وأن التمرد - على تكبره =

وغيروته - سبط الله تعالى عليه بموضة أهلكنه ؛ إذلاله ، واستخفافاً بأمره ، وتحقيراً لثأته ؛ فتعالى الله الملك الحق ، الجبار المتكبر (صنف الطالب) الذباب (والمطلوب) الأصنام التي يعبدونها . أو الطالب « العابد الكافر : لعجزه عن حماية آلهته من الذباب « والمطلوب » الصنم المعبود : لعجزه عن حماية نفسه

سورة الحج

٤١١

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝
يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ۖ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مَلَأَ آبَاءَكُمْ مِنْكُمْ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ ۖ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

(ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته ؛ حيث جعلوا الأصنام شركاء له (الله يصطفي) يختار (من الملائكة رسلاً) لرساله (و) يصطفي (من الناس) رسلاً لحقيقته (إن الله سميع) لأقوال عباده (بصير) بأعمالهم . كيف لا وهو تعالى (يعلم ما بين أيديهم) ما سيعملونه لاحقاً (وما خلفهم) ما عملوه سابقاً (وإلى الله) وحده (ترجع الأمور) فيقضى فيها بما شاء ، ويحكم بما أراد ! (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) في حياتكم الدنيا ، وتفوزون بنعيم الآخرة (واجهدوا في الله) في سبيل إقامة دينه ، ونشر تعاليمه ؛ الموصلة لخيري الدارين (حق جهاده) باستفراغ جهدكم وطاقتكم . ويدخل في ذلك : جهاد النفس ، وحرابة الشيطان :

وجاهد النفس والشيطان واعصها

وإن ما عضاك النصح فاتهم

(هو اجتباكم) اختاركم (حرج) ضيق (واعتصموا بالله) الجأوا إليه واحتسبوا بفضلهم وعنايته ، وتقوا به !

(سورة المؤمنون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) الفلاح : هو الظفر بالمطلوب ، والنجاة من المهروب ! (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو : كل كلام ساقط ؛ حقه أن يلقى : كالكذب ، والسب ، والهزل (والذين هم لفروجهم حافظون) يحفظونها من الزنا ، ومن كل ما يشين (أو ما ملكت أيمانهم) من الإماء ؛ اللاتي تخلفن نتيجة جهاد الكافرين ؛ في سبيل إعلاء الدين ! وليس كما يفعل بعض من لا خلاق لهم ولا دين : من الاتجار فيهن ؛ تحت ستار إحلال الله تعالى له ؛ وليس الأمر كما يقولون ويفعلون ؛ بل هو من أكبر الكبائر : فلم يحل الله تعالى استعباد النفوس ؛ إلا إذا طغت وتعبرت - بعد كفرها - وجاهرت المؤمنين بالعداء ؛ فلا يصلحها حينذاك لإلحاق الرأس ، وهلاك النفوس ، وسلب الأموال ، وسي العيال ، واستعباد النساء والرجال ! وهذا هو ملك المبين ، الذي شرعه رب العالمين ؛ وأحله ونظمه ؛ وأمر تعالى - فيما أمر - بإعزازه بعد الذل ، ولما كرامه بعد المهوان ، وإطلاقه بعد التملك ! ونهى جل شأنه - فيما نهى - عن إذلاله وامتهانه ، وجعل تخليصه ولما عاقبه إحدى القربات إليه !

٤١٢

الجزء الثامن عشر

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّانَهَا ١١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ۝ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآفِرَادُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ

ابتغى وراء ذلك) أى طلب غير ما أحله الله تعالى من زواج مشروع ، وتملك مشروع (فأولئك هم العادون) المعتدون ؛ المستوجبون للحد (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فلا ينقضون عهداً ، ولا يمتطون وداً ! (انظر آية ١ من سورة المائدة) (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يؤدونها في أوقاتها (الذين يرتئون الفردوس) وهو أعلى الجنان (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) خلاصة . والسلالة : ما أنسل من الشيء . والسليل ، والسليلة : الولد والبلت

مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ۖ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ۖ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ۖ فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ۖ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ۖ وَاتَّخَذَ قَبَارِكُ اللَّهِ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ ۖ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَالِقِ غَافِلِينَ ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَنسَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْجَكُمُ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَنَجْرَةً تُخْرَجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ۖ وَصَنِيعٌ لِلْآكِلِينَ ۝ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْفِكُكُمْ مَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ

(من طين) وهو آدم عليه السلام ؛ أصل البشر (ثم جعلناه) أى جعلنا سائر الإنسان من ولد آدم (نطفة) منياً (في قرار مكين) مستقر حصين في صلب الرجل ؛ أو هو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة)

هى واحدة الحيوانات الصغيرة التى توجد بالمنى (خلقنا العلقة مضغة) قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يبيض (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أى إنساناً كاملاً ، ناطقاً ، سمياً ، بصيراً ، عاقلاً (قبارك الله أحسن الخالقين) (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (ثم إنكم بعد ذلك) الخلق والإنشاء (لميتون) وعائدون إلى التراب الذى خلقتم منه (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) فتحاسبكم على ما قدمتم لأنفسكم ؛ فمن عمل خيراً أنيب عليه ، ومن عمل سوءاً عوقب به ؛ (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات ؛ جمع طريقة ؛ لأنها طرق الملائكة . وسميت أيضاً «طرائق» لأن بعضها فوق بعض ؛ والعرب تسمى كل شيء فوق شيء : طريقة (وأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ) بتقدير حسب طلبكم له ، وحاجتكم إليه ؛ فلا هو بالحرق ، ولا هو بالفرق ؛ اللهم لا إذا كان عذاباً وعقاباً ؛ (ولما على ذهاب به لقادرون) فيحل الجذب مكان الحصب (فأنشأناه جنات) بساتين (من نجيل وأعنا ب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (لكم فيها) أى في هذه الجنات (فواكه كثيرة) متنوعة ؛ لا يعلم مداها سوى خالقها ؛ (وشجرة) هى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) جبل فلسطين (تنبت بالدهن) أى بالزيتون المحتوى على الدهن ؛

وهو الزيت (وصنع للآكلين) لإدام يأتمدون به (وإن لكم في الأنعام) وهى الإبل والبقر والغنم (لعبرة) لعظة وتذكيراً بقدر الله تعالى ، ومزيد أنعمه (نسفيكم مما في بطونها) من الألبان (ولكم فيها منافع كثيرة) بأصوافها وأوبارها ؛ للفرش ، واللبس ، وما شا كل ذلك (وعليها وعلى الفلك) السفن

(تحميلوت) في حلكم وترحالكم (يريد أن يتفضل عليكم) أي يترأس ويملك (ولو شاء الله لأزل ملائكة) برسائله إلينا (مامعنا بهذا) الذي يدعوننا إليه نوح : من التوحيد ، وترك آلهتنا التي نعبدها (إن هو إلا رجل به جنّة) جنوت (فدبروا) انتظروا (حق حين) أي إلى أن يموت (قال) نوح (رب انصرني) عليهم (بما كذبون) أي بسبب تكذيبهم لياي (فاوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي اصنع السفينة بمعونتنا ونعت حفظنا ورعايتنا . و «الفلك» يطلق على الواحد والجمع (ووحينا) أي وبارشادنا (فإذا جاء أمرنا) بإهلاك الكافرين (وفار التنور) أي وفار الماء في التنور - الذي يجف فيه - فكان الفرق، من موضع الحرق أو قيل : المعنى : أن سفينة نوح عليه السلام سارت بالبخر ، كما تسير سفن اليوم في البحار . وهذا معنى قوله تعالى «وفار التنور» وهو قول غريب حريب : تعلق به وبأمثاله بعض التأخرين ؟ رغم مخالفته للأقوال الصريحة ، والأحاديث الصحيحة ! وما اخترعت مثل هذه المعاني إلا لتقيد قدرة الله تعالى على إيجاد الماء من النار ، وبالتالي تقيد وجوده تعالى وقدرته على خلق الحواريق ، وقلب الحقائق ! (فاسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل) من أنواع المخلوقات وأجناسها (زوجين اثنين) ذكر وأنثى ؛ لحفظ الأنواع وبقائها . قيل : لم يعمل نوح في سفينته إلا كل ما يلد ويبض ؛ أما أمثال البق والذباب والدود ؛ فقد أخرجها الله تعالى - بعد ذلك - من الطين (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي ولا تسألني النفرة للكافرين (فإذا استويت) أي علوت وتمكنت وجلس (أنت ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) السفينة التي صنعتها بأمرى (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) أي أنزلني منزلا مباركا أو أنزلني موضعا مباركا (إن في ذلك) المذكور من أمر السفينة ، وإنجاء نوح . والمؤمنين ، وإهلاك الكافرين

٤١٤

المسرة الثامن عشر

تَحْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٧﴾
 فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 عَلَيْكُم مَّا مَعْنَاهُ هَٰذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّا يَصْصُورُ بِهِ ۖ هَٰذَا جِبْنٌ مِّنْ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ فَاَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ
 بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ النَّوْرُ فَلَا تُفْلِكُ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنهُمْ ۖ وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٤٠﴾
 فَلَمَّا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي
 مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَا يَنْتِ

الذين ظلموا) أي ولا تسألني النفرة للكافرين (فإذا استويت) أي علوت وتمكنت وجلس (أنت ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) السفينة التي صنعتها بأمرى (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) أي أنزلني منزلا مباركا أو أنزلني موضعا مباركا (إن في ذلك) المذكور من أمر السفينة ، وإنجاء نوح . والمؤمنين ، وإهلاك الكافرين

لَا يَنْتِ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
 قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
 مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْخَيْرَةُ
 فِي الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكُلِ مَا
 نَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤﴾ وَلَكِنْ أَطَعُمُ
 بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا تُخْرِصُونَ ﴿٥﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ
 إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٦﴾
 * هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيعُنَّ
 نَارُيْنِ ﴿١١﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُلَامًا

(آيات) دلالات على كمال قدرته تعالى ، ومزيد فضله ؛ وأنه جل شأنه ينصر دائماً أنبياءه ، ويهلك أعداءهم وأعداءه (وإن كنا لمبتلين) مصيبين بعض الأنبياء والمؤمنين ، أو مصيبين بعض الأقوام المكذبة ؛ فقد أصبنا قوم نوح بلاء عظيم ، وعذاب شديد أو «لمبتلين» المختبرين الأمم السابقة بإرسال الرسل ؛ لتعلم - علم ظهور - الطبع من العاصي وقد يكون المعنى «إن في ذلك» القصص ؛ الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر نوح وغيره من الأنبياء «آيات» دالة على صدق رسالتك «وإن كنا لمبتلين» أى المختبرين بذلك أمتك : لتعلم من يصدق بنبوتك ، ومن يكفر بما جئت به (قرناً) قوماً (فأرسلنا فيهم رسولاً منهم) هو هود . وقيل : صالح . وقيل : شعيب . عليهم السلام ؛ وذلك لأن أمهم هم من أخذوا بالصيحة ، وهؤلاء أهلكوا بها ؛ قال تعالى في آخر قصتهم «فأخذتهم الصيحة بالحق» (وأثرناهم) نعمناهم (إنكم إذا) أى إذا أطعتم هذا النبي ، الذى هو بشر مثلكم «إنكم إذا» (لخاسرون) أى ليست لكم عقول (أيعدم أنكم إذا متم) ودفنتم ، ولبت أجسامكم (وكنتم) وصرتم (تراباً وعظاماً) في قبوركم (أنكم مخرجون) منها ، ومبعوثون أحياء للحساب والعقاب (هيئات هيئات لما توعدون) أى بعد بعداً كبيراً ما يعدم به ؛ من أنكم تحيون بعد ماتموتون ، وتبعثون بعد ماتدفنون ، وتحاسبون على أعمالكم فتعذبون ؛ فهيات هيئات لما يتوهمون ! (إنمى إلا حياتنا الدنيا) وحدها ، ولا حياة بعدها (نموت ونحيا) قد يتوهم أن إقرارهم بالحياة بعد الموت : لإقرارهم بالبعث بعد أن كذبوا به ؛ ولكنهم إنما أرادوا «ونحيا» بحياة أنبائنا ؛ أو لعلهم كانوا ممن يقول بتناسخ الأرواح ، وبعثها في أجساد أخرى ، أو يكون في الكلام تقديم وتأخير - كمادة العرب في كلامهم - أى نحيا ونموت (انظر مبحث التعطيل بآخ الكتاب) (فأخذتهم الصيحة) صاح عليهم جبريل عليه السلام فأهلكهم . . والصيحة : العذاب ؛ أو هى مقدمة لكل عذاب (فجعلناهم غُلَامًا) ماحله السيل من بقايا العيادات وورق الشجر اليابس

(فبعداً) فهلاكاً (ثم أنفأنا) خلقنا (فروناً) أماً (آخرين ماتسبِق من أمة أجلها) أى ماتسبِق أمة الوقت المؤقت لإهلاكها . وهو كقوله تعالى «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (ثم أرسلنا

الجزء الثامن عشر

٤١٦

رسلنا تترى) أى تتتابع : واحداً بعد واحد ؛ فترة بينهما (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً) فى الإهلاك ؛ ماداموا تابعين بعضاً فى الكفر والتكذيب (وجعلناهم أحاديث) أى عبراً يتحدث الناس بها؛ ولا يقال «أحاديث» إلا فى الشر ؛ قال تعالى «جعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» (وسلطان مبین) وحجة ظاهرة (فاستكبروا) عن الإيمان (وكانوا قوماً عالين) مستكبرين ، ظالمين ، فاهرين لغیرهم (وقومهما لنا عابدون) مطيعون خاضعون (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) معجزة دالة على قدرتنا : إذ ولدتها - عليه السلام - بغير زوج ، وولد بغير أب (وأويناها إلى ربوة) مكان مرتفع ؛ وهو بيت المقدس (ذات قرار) أى أرض مستوية يستقر فيها ساكنها (ومعین) ماء جار ؛ وسمى معيناً : لرؤيته بالعين (يا أيها الرسل) هو خطاب وجه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وأريد به أهمهم (كلوا من الطيبات) الحلال (واعملوا صالحاً) وهم عليهم الصلاة والسلام لا يأكلون إلا أطيب الطيب ، وأحل الحلال ؛ ولا يعملون إلا أصلح الأعمال ؛ وذلك بفطرتهم واكتسابهم ! (إني بما تعملون عليم) فجازيكم عليه (وإن هذه أمّتكم) خطاب لسائر الرسل (أمة واحدة) وهذا يدل على

فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١٦﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمُ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٤١٧﴾ مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٤١٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَّجَاءةً أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١٩﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢٠﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٢١﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٢٢﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٢٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٢٤﴾ وَجَعَلْنَا آيَن مَّرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٢٥﴾ بَيْنَاهُمَا الرُّسُلُ كُلًّا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٢٦﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٤٢٧﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ

زيراً

أن الأمم الإسلامية - فى شتى أنحاء المعمورة - يجب أن تكون قلباً واحداً ، وبدأً واحدة ، وأمة واحدة : فى تشريعها ، ومقاصدها ، وأغراضها ، وتوحيدها ؛ فلكل يؤمن بإله واحد : يدينون له بالطاعة والعبودية ، والكل مصدق بعلامته ، وكتبه ، ورساله ، والكل معترف بالبعث والإحياء ، والحساب والجزاء ! (فتقطعوا أمرهم بينهم) أى تفرقوا فى أمر دينهم ، وفى أمور دنيائهم

زُرَّا كُلَّ حَزْبٍ بِمَا لَنِيهِمْ فِرْحُونٌ ﴿٤١﴾ فَذَرْنَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٢﴾ اِيْحْسُونْ اَنَّمَا يُعِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ
 وَبَنِينَ ﴿٤٣﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٤﴾
 اِنَّ الَّذِيْنَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقِفُونَ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِيْنَ
 هُمْ بِطَاعَتِ رَبِّهِمْ يُوَفِّقُونَ ﴿٤٦﴾ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِيْنَ يُؤْتُونَ مَّا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
 اَنَّهُمْ اِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٤٨﴾ اُولَٰئِكَ يَسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَمْ يَحْشِفُوا ﴿٤٩﴾ وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا وَّجَلًا
 وَسَعْيًا وَلَدُنَّا نَكْتِبُ لِيَعْمَلُنَّ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَمْ يَأْمَلْ مِنْ دُونِ
 ذَٰلِكَ هُمْ لَمَّا عَلِمُوا ﴿٥١﴾ حَتَّىٰ اِذَا اخَذْنَا مِنْهُم مَّتَرَفِيْهِمْ
 بِالْعَذَابِ اِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٥٢﴾ لَا تَجْعَرُوا اَلْيَوْمَ اِنَّكُمْ
 مِنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٣﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِيْ تُنَادِيْ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ

(زبراً) كتباً ألغوها ، وضلالات وضعوها ،
 وخرافات ابتدعوها ! أو أريد بالزبر : الكتب
 المنزلة إليهم ؛ كالتوراة والإنجيل والزيور : تمسك
 كل فريق بكتابه ؛ بعد أن شوهه ، ومسح
 ما فيه . أو «زبراً» بمعنى قطعاً ؛ أى تفرقوا في
 أمر دينهم ؛ فصاروا يؤمنون ببعض الكتاب ،
 ويكفرون ببعض (فذرهم في غمرتهم) فذرهم
 في غفلتهم وضلاتهم (حتى حين) أى إلى حين
 انتهاء آجالهم (ايحسون أنما وعدهم به من مال
 وبني) أى أظن هؤلاء الكفار أن إمدادنا
 لهم ، وتوسعتنا عليهم بالأموال والبنين (نسارع
 لهم في الخيرات) التي يبتغونها ويطلبونها ؛ جا
 لهم ، ورغبة في إرضائهم ؛ لا (بل لا يشعرون)
 أن ذلك استدراج لهم في الدنيا ؛ لتعاقبهم على
 ما فعلوا عقوبة كاملة يوم القيامة ! (مشفقون)
 خائفون (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)
 أى الذين يعطون الصدقات وقلوبهم خائفة
 ألا تقبل منهم . قرأت عائشة وكثير من
 الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «والذين
 يأتون ما آتوا» أى يرتكبون ما ارتكبوا
 من الذنوب وقلوبهم وجلة» خائفة من عاقبة
 ما ارتكبوا (أنهم إلى ربهم راجعون) أى

لأنهم إلى ربهم راجعون فيعاقبهم على ما آتوه ، أو يعاقبهم على المنع ، أو على الرياء (أولئك) المذكورون : هم
 الذين (يسارعون في الخيرات) وأى مسارعة في الخير أكثر من وجل القلب ؛ عند اقرار الذنب ؛ ! أو عند
 استقلال العطاء ، رغبة في الجزاء ! (ولدينا كتاب ينطق بالحق) وهو اللوح المحفوظ : سطرته فيه أعمال
 العباد (بل قلوبهم في غمرة) في جهالة (مترفيهم) متعهم (بجأرون) بصرخون مستغيثين

(على أعقابكم تكصون) أى ترجعون القهقرى . والمعنى : تعرضون عن الحق (مستكبرين) أى متكبرين على المسلمين (به) أى بالحرم : زاعمين أنكم أهله وسادته وحجته . أو «مستكبرين به» أى بالقرآن : تستكبرون عن سماعه والتصديق به ، وتطفنون على المؤمنين (سامراً) أى جماعة تتسامرون (تهجرون) أى تقولون فى سمركم الهجر ؛ وهو القول الفاحش من الطعن فى القرآن ، وسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أم جاءهم من الشريعة والأحكام) (مالم يأت آباءهم الأولين) أو المراد «أم جاءهم» أمان من العذاب ؛ وهو «مالم يأت آباءهم الأولين» أو «أم» بمعنى : بل (أم يقولون به جنة) جنون (ولوائع الحق) القرآن (أهواءهم) بأن ينزل بماتهموى أنفسهم ؛ من حل المهرمات ، وعبادة الأصنام ، وتعدد الآلهة ، والقول ببذوة عيسى لله . تعالى الله عما يقولون ويريدون علواً كبيراً ؛ ولو نزل القرآن بما أرادوا (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) قال تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (بل آتيناهم بذكرهم) أى بالقرآن الذى فيه شرفهم وغفرم قال تعالى «ولانه لذكر لك ولقومك» والذكر : الشرف ، والعز ، والسؤدد . أو «آتيناهم» بالقرآن ؛ الذى فيه ذكرهم ، وذكر أعمالهم ؛ وما يترتب عليها من ثواب ، أو عقاب (أم تسألهم تسألهم خرباً) أجراً ؛ من الخراج ؛ وهو الإناوة (نخراج ربك) رزقه الذى يجرى عليك من غير منع ولا قطع ؛ فذلك (خير) منهم ومما يملكون (لنا كبون) لمدلولون ومائلون (ولو رجحناهم) كسأنا دائماً مع عبادنا (وكشفنا ما بهم من ضر) جوع وفقر . وقد

عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْصُونَ ۖ ۝۱۸ مَسْتَكْبِرِينَ بِهِ ۖ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ۚ ۝۱۹ أَقَلُّمٌ يَدَّبِرُوا الْقَوْلَ ۚ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۚ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۚ ۝۲۰ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ ۖ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ۚ وَآثَرَهُمُ الْخَطِىُّ كَذِبُونَ ۚ ۝۲۱ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۚ ۝۲۲ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ۚ وَخَرَجُكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الْأَرْزَاقِ ۚ ۝۲۳ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسِيكَوۡتُ ۚ ۝۲۴ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِّلْجَوَّافِ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ ۝۲۵ وَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ۚ فَمَا اسْتَكَاوُۡا الرَّيۡمَ وَمَا يَضُرُّعُونَ ۚ ۝۲۶ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

مِيلُونَ ۚ ۝۲۷

كانوا فحطوا بمكة سبع سنين ؛ حتى أكلوا الحيف ! (للجوا) تمادوا واستمروا (فى طغيانهم) ضلالهم (يعمهُون) يترددون متحيرين (ولقد أخذناهم بالعذاب) بالجوع ، والقيط الشديد (فما استكانوا) فما خضعوا (وما يضرعون) يتذللون بالدعاء إلى ربهم ؛ ليكشف ما بهم (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد) بالقتل ، والأسر ، والسبي ، والنل ؛ وكان ذلك يوم بدر . وقيل : يوم فتح مكة (إذا هم فيه) أى فى ذلك العذاب

(مبلسون) آيسون من كل خير (وهو) جل شأنه (الذي أنشأ لكم السمع) الذي به تسمعون (والأبصار) التي بها تبصرون (والأفئدة) التي بها تعقلون ؛ فالكم لا تسمعون النصيح ، ولا تبصرون الحق ، ولا تعقلون الهدى ! و (قليلا ما تشكرون) أى لا تشكرون البتة ! (وهو الذي ذرأكم) خلقكم (ولإيه تحمضون) يوم القيامة ؛ فيؤاخذكم بما كنتم تعملون في الدنيا (وله اختلاف الليل والنهار) بالزيادة

والنقصان ؛ وذلك بفعله سبحانه وتعالى ؛ ليقم بنفسه الدليل على وجوده ! (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى أنكروا البتة مثل إنكارهم ؛ وذلك لأن الأولين (قالوا أننا متنا وكنا) صرنا في قبورنا (تراباً وعظاماً) نخرة (أننا لمبعوثون) لمعادون إلى الحياة ؛ لا نظن حدوث ذلك (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) البتة (من قبل إن هذا) الوعد (إلا أساطير) أكاذيب وأباطيل (الأولين) المتقدمين (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين ، وأسألمهم (لئن الأرض) من خلقها ، ومن يملكها (ومن فيها) من المخلوقات ؟ (إن كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله قل) ما دام الله هو مالكها ؛ فما بالكم لا تؤمنون به ؟ وما دام الله هو خالقها «ومن فيها» فكيف لا يستطيع إعادتها بمن فيها ؟! (أفلاتدكرون) أفلا تتذكرون ذلك فتؤمنون (قل) لهم أيضاً مبالغة في إقامة الحجة عليهم (من رب السموات السبع) وما فيها من أفلاك ، ومن بين من أملاك (ورب العرش) الملك (الظيم) الذي لا يحد ، ولا يوصف ؟ (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو «سيقولون الله» وهى القراءة المثل ؛ للماءتها للسياق (قل أفلا تتقون) من

هذا شأنه ، وهذا سلطانه ؟! (قل من يديه) وتحت أمره وتصرفه (ملك) كل شيء وهو يجير) من استجار به ؛ فيجنيه مما يؤذيه ، ويدفع عنه ما يفسده (ولا يجار عليه) أى ولا يستطيع أحد أن يمنع السوء عن أراد الله تعالى لإنزاله به (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو أيضاً «سيقولون الله» وهو أنسب للمقام ؛ كما قدمنا (قل فأتى تسعون) أى فكيف تخدعون ، وتصرفون عن الحق الواضح الظاهر ؟!

مُبْلِسُونَ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ قَالُوا أَأُودِعْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا أَلَمْ نَكُنْ لَكُم مَّعْبُودُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ قُلْ لَّيْسَ
بِالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٩﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١﴾
قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
تُسْحَرُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾

(ما اتخذ الله من ولد) كما تقول النصارى بينوة عيسى ! (وما كان معه من إله) يشركه في ملكه ؛ كما يقول المشركون (إذا) أى لو كان معه إله (لذهب كل إله) من الآلهة (بما خلق) واغترد بإدارته ، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولملا) تعالى وتكبر (بعضهم على بعض) كفعل ملوك الدنيا ؛ وشأنهم دائماً التنازع

المسرة الثامن عشر

٢٢٠

والغالبية والتعاطف (سبحان الله) تعالى وتقدس (عما يصفون) من الكفر (عالم الغيب والشهادة) السر والملاينة (قل رب إني ما يوعدون) أى إن كان ولا بد أن تربى ما تقدم من العذاب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) الكافرين ؛ لئلا ينالني ما ينالهم من العذاب (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أى ادفع أذى الكفار وإساءتهم بطريقة حسنة لينة ؛ لا عنف فيها . قيل : نسخ ذلك بالأمر بالقتال : فيجب موادعة الكافرين ، ما دمتنا على محاربتهم غير قادرين . وقد ورد هذا بلفظه ومعناه في مكان آخر من الذكر الحكيم ؛ وهو خاص بدفع المؤمنين . (انظر آية ٣٤ من سورة فصلت) (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) نزغتهم ووساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أى أن يحضروني في أموري وعبادتي : فيفسدون ديني ودنياي ، أو أن يحضروني عند الموت : فيفسدون آخرتي ! (حتى إذا جاء أحدكم الموت) أى جاء أحد الكافرين (قال رب ارجعون) أى أرجعني إلى الدنيا ، وأعدني إلى الحياة (لعل أعمل عملاً صالحاً فيما تركت) فيما خلقت ورأى من مال ، أو فيما عملته من عمل سيئ ! قيل : يقول ذلك الكفار ، والبخلاء عند موتهم ؛ وقد أجابهم الله تعالى على طلبهم الرجوع بقوله (كلا) لا رجوع (لها) أى لا أثر لها ، ولا فائدة فيها (ومن ورائهم) أمامهم إلى يوم القيامة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ؛ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» ! (فمن ثقلت موازينه) بالחסنات (فأولئك هم

مَّا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّعَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُتْرَكُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّمَا عَلَى أُنْثَرِكَ مَا يَعِدُهُمْ لِقَائِدِرُونَ ﴿١٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَيَوْمَئِذٍ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾

ومن

طلبهم الرجوع بقوله (كلا) لا رجوع (لها) أى لا أثر لها ، ولا فائدة فيها (ومن ورائهم) أمامهم إلى يوم القيامة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ؛ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» ! (فمن ثقلت موازينه) بالחסنات (فأولئك هم

الفالحون) الفائزون بالنعيم . الناجون من الجحيم !

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ
 فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا
 كَالِحُونَ ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلُو عَلَيَّكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا
 تُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
 ضَالِّينَ ﴿٢٣﴾ رَبَّنَا أَنْتَرِجْنَاهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢٤﴾
 قَالِ أَخَصِّصُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿٢٥﴾ إِنْهُمْ كَانَ فَرْقٌ بَيْنَ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿٢٦﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوعِمَ يَتَّبَعُونَ الْأَوْثَانَ ذُرَىٰ وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٧﴾ إِنْ يَرَوْهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
 هُمُ الْفَاقِرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ كَرِهْتُ لِي فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالُوا لَبَّنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَافِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ
 لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ الْحَسْبُ أَعْمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَاءً وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ

(تلفح وجوههم) تحرقها (كالحون) عابسون
 منقبضون (ألم تكن آتاني تلى عليك) أى يقال
 لهم ذلك (قالوا غلبت علينا شقوتنا) أى تغلبت
 علينا أهواؤنا وشهواتنا . وسببت شقوة :
 لأنها مؤدية إليها . وذهب قوم - غفر الله تعالى
 لهم - إلى أن المعنى : غلب علينا ما كتب علينا
 من الشقاء ؛ في حين أنه لم يكتب عليهم سوى
 ما علم أنهم يفعلونه بحض اختيارهم ؛ فليسوا
 مغلوبين ولا مضطرين (قال اخسأوا فيها) أى
 ابعدوا في النار أذلاء ! يقال : خسأ الكلب :
 طرده (فاتخذتموهم سخريا) أى سخرتم منهم ،
 واستهزأتم بهم (حتى أنسوكم ذكرى) (وكنتم
 لانفصالكم بالاستهزاء بهم عن تذكري) (وكنتم
 منهم تضحكون) إذا ذكروني وعبدوني (إلى
 جزيتهم اليوم بما صبروا) أى بصبرهم على
 لإذابتكم (أنهم هم الفاترون) بنعيمى (قال)
 الملك المكلف بسؤالهم (كم لبئتم في الأرض
 عدد سنين) قيل : السائل لهم مالك عليه
 السلام : خازن النار (قالوا لبئنا يوما أو بعض
 يوم) استقصروا مدة لبئهم في الدنيا ؛ لما
 نالهم في الآخرة من العذاب الأليم ، ولما
 استمتعولوه في الدنيا من لذات (الحسبتم أعمما

خلقناكم) في الدنيا (عباء) وأنكم تمشون في الأرض فساداً ولا تصلحون ، وتعبدون من الأصنام والأوثان
 ما تشاءون ، وتذرون ربكم أحسن المالكين (وأنكم إلينا لا ترجعون) فنحاسكم على ما جئتم ، ونؤاخذكم
 على ما كسبتم ! قال تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (فتعالى الله) تزهة وتقديس

(الملك الحق) الذي (لا إله إلا هو) ولا معبود سواه (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان) لاجحة (له به) تقوم على صحة ألوهيته ، وصدق ربوبيته (فإنما حسابه) أى عقوبة كفره ، ومحاسبته عليه (عند ربه) في جهنم وبئس المصير !

(سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثامن عشر

٤٢٢

(وفرضناها) أى فرضنا أحكامها (وأنزلنا) فيها آيات بينات (ظاهرات واخبات) (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) قدم تعالى ذكر الزانية على الزاني : لأنها منشأ الجنائية ، ومبدأ الفجائية ! فلو لم تقطع الزاني بلين كلامها ، وفتح له المجال بإشراق ابتسامها ؛ وتخرجه عن طوره بإظهار محاسنها ، ولإبداء مفاتها ؛ وتمكنه - مع كل ذلك - بالاختلاء بها من غير محرم ؛ لاثالث لها سوى الشيطان ! لولا ذلك لما اعتدى أحد على حرمتها ، وأهدر كرامتها ، وسلبها عزمها وغرمها ؛ وأخرجها من عداد العفاف المحارم ، إلى مصاف الزانيات الفواجر ! وجلد المائة : حكم غير المحسن «الأعزب» أما المحسن «المتزوج» فحده الرجم بالمجاعة حتى الموت ! ومنهم من قال : يجلد المحسن والمحسنة مائة جلدة ؛ ثم يرحم ؛ على خلاف في ذلك . والاتفاق والإجماع على جلد غير المحسن ، ورجم المحسن فحسب ؛ وهل بعد الموت والتنكيل عبرة لمعتبر ؟ (انظر آية ١٠٦ من سورة البقرة) .

وبالها من عدالة ظاهرة ، وحكمة باهرة : يتنهك المسلم حرمة أخيه المسلم ؛ فلا يجد قانوناً يردعه ، ولا تشريعاً يمنعه ؛ وذلك لأن القوانين الوضعية - في شتى بلدان العالم - قد

أَمَّا الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿٣﴾

(٢٤) سورة النور مكية

وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَأَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

وَالزَّانِيَةُ

أجمعت على ترك الزاني بلا رادع ، ولا وازع ؛ حتى تفتت بسبب ذلك الأمراض الخبيثة ، وتفتت بالأجسام ، وأطالت الأسقام ؛ وماذا لا لهدم تمسكتنا بديننا الخفيف ، وانصرافنا عن قانوننا السماوي ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! (انظر آية ٣٢ من سورة الإسراء) (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى لا تأخذكم بهما شفقة حين ترون تألمهما من الجلد ؛ فتجلدوهما جلداً هيناً ليناً - فما هكذا أراد الله ؛ في تأديب عباده العصاة - بل الواجب شرعاً أن يجلدنا بمنتهى الحزم والغلظة ؛ ليكونا عبرة لغيرهما ، ونكالا لأنفسهما ! وكيف تأخذ الإنسان المسلم رأفة بمن لم تأخذه رأفة بأخيه المسلم ؛ فانتهك حرمة ، واستباح عرضه ١٩ بل انتهك حرمت الله تعالى ، وطرح أوامره ، ولم يعأ بما أوعده من عقاب ! وكيف تأخذ الإنسان المسلم =

= رافة (في دين الله) وقد أمره بالجلد ؛ وهو تعالى أحكم الحكماء ، وأرحم الرءاء ؛ ولأن الرحمة بالجاني: تحمل معنى عدم الرحمة بالجاني عليه ؛ سواء كان زوجاً ، أو أباً ، أو أخاً ! (والمشهد عذابهما طائفة) جماعة (من المؤمنين) زيادة في فضيلتهما ، والاعتبار بهما ؛ هذا ويجب أن يتقوا في الجلد الوجه والمقاتل ؛ والأصوب أن يكون الجسد على الظهر ؛ بلا حائل من اللبس يحول دون العذاب المفروض (الزاني لا ينكح) لا يتزوج (إلا زانية أو مشركة) أي إن الواجب ألا تزوج المسلمات العفيفات للزاني الفاجر ، بل له أن يتزوج زانية مثله ، أو مشركة تليق بشاكلته .

(والزانية لا ينكحها) لا يتزوجها (إلا زان أو مشرك) أي يجب ألا يتزوج الحر العفيف زانية فاجرة ؛ وقد قال بعض الفقهاء : يجوز التفريق بين العففة إذا تروجت بزنا ؛ لأنه غير كفء لها (والذين يرمون المحصنات) أي يقذفون العفاف المسلمات : بأن يرموهن بالزنا كيداً وظلماً ؛ (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) بعد أن ثبت فسقهم وزورهم ؛ هذا ولا تقبل شهادتهم - ولو بعد توبتهم - للتأييد الوارد في الآية «أبداً» أما قوله تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) فهو استثناء من قوله تعالى «وأولئك هم الفاسقون» ولا يعمل الاستثناء فيما قبل ذلك ؛ ولما تناول الجلد أيضاً ؛ وهو حد من حدود الله تعالى ؛ لا يسقط بالتوبة (فمهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) وذلك بأني يقول أربع مرات : أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميت به زوجي (والخامسة) أي يقول في الخامسة : على لعنة الله تعالى إن كنت من الكاذبين (ويدرو) يدفع (عنها العذاب) الرجم الذي استحق عليها بشهادة زوجها (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) بأن تقول أربع مرات : أشهد بالله أن زوجي لمن الكاذبين . وتقول في الخامسة : وعلى غضب الله تعالى إن كان من

وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١١ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ١٣ وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ١٤ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ١٥ وَالْخَامِسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٦ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٧

الصادقين ؛ وبالعان هذا تحصل الفرقة الأبدية بين الزوجين : فلا يجلى أحدهما للآخر أبد الدهر ؛ فلا يجتمعان . ولا يتوارثان . وكيف يسكنها وهي بني ؟ أو كيف ترضى به وقد رماها بأقبح ما ترى به امرأة ، وأسوأ ما ينسب إلى خلية ؟ ! (إن الذين جاءوا بالإفك) الإفك : أسوأ الكذب ؛ وقد كذبوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، ورموها بما هي منه براء ؛

(والذي تولى كبره) أى تحمل معظم الإثم ، وخاص أكثر الخوض . والكبر: الإثم الكبير ومعظم الشيء .
 وقرئ «كبره» بضم الكاف . والقصود به عبد الله ابن أبى بن سلول ، وقيل : حسان بن
 ثابت . ولكنه رضى الله تعالى عنه كذب ما أشيع عنه بقصيدة عصماء نفي بها ما أشيع وأذيع ، وأثنى
 على عائشة رضى الله تعالى عنها بما مى أهل له ! قال فيها :

الجزء الثامن عشر

٤٢٤

(١) حصان رزان ما تزن بريبة

(٢) وتصبح غرثى من لحوم الفوافل
 حليلة خير الناس ديناً ومنصباً

نبي الهدى والكرامات الفوافل
 مهذبة قد طيب الله خيمها

(٥) وظهرها من كل شيف وباطل

(لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى إذ سمعتم الإفاك
 (ظن المؤمنون والمؤمنات) الذين سمعوا الإفاك
 (بأنفسهم) أى بالقرنى عليها ؛ لأن جميع
 المؤمنين : كالنفس الواحدة (وقالوا هذا) الذى
 سمعناه (إفاك مين) كذب واضح ؛ والإفاك :
 أسوأ الكذب (لولا جاءوا عليه) أى هلا
 جاء العصبه على هذا الإفاك ؛ وهو قدف
 صريح (بأربعة شهداء) يشهدون على صدق
 ما زعموا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
 لكم (في الدنيا) بتأخير العقوبة (و) في
 (الآخرة) بالقرآن لمن تاب (لستم) أيها
 العصبه (فيا أنضم) فيا خضتم (إذ تلقونه
 بالستكم) أى تلقونه ؛ يؤيده قراءة من قرأ
 «تلقونه» والمعنى : «تلقونه» بأسماعكم ؛
 فتتدبصونه «بالستكم» فور سماعه ؛ فكأنما
 تلقيتهم بالستكم ؛ لا بأسماعكم ؛ لسرعة
 لإذاعته . وقرئ «تلقونه» بكسر اللام ؛ من

لَا تَحْسِبُوهُ مُرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
 مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ١١ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ١٢ لَوْلَا جَاءُوا
 عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشَادَةِ قُلُوبُكُمْ
 عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَافِرُونَ ١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى
 يَقُولُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ
 اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
 نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعْظُمُكُمْ
 اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧ وَيَسِّرُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ الَّذِينَ

يَحْسِبُونَ

الولق : وهو الاستمرار في الكذب (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) وفي هذا دليل قاطع على النهي
 عن التكلم في الجنايات بالسامع ؛ بل يجب أن يكون التكلم عن بينة واضحة ، وعن رؤية مثبتة ؛ فليست دماء
 الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ؛ بمثل هذا القدر من الهوان ! (وتحسبون) أى تحسبون هذا الرى =

(١) امرأة حصان : عفيفة ، أو متزوجة . (٢) رجل رزين : وقور . وامرأة رزان : وقورة .

(٣) لا تزن : يقال : أزننته بكذا : إذا تهمت به . والمعنى : لا تهتم بريبة .

(٤) غرثى : جائعة . وغرثى الوشاح : خيصة البطن ، دقيقة الخصر . (٥) الحيم : السجى والطبيعة .

=والغذب (هنا) سهلاً (وهو عند الله عظيم) مستوجب للحد والمقت! (ولولا) وهلا (إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح ولا يجوز لنا (أن نتكلم بهذا) أن تهم أحداً ظلماً؛ بغير دليل ولا بينة (سبحانك) يا الله؛ تنزهت وتعالىت عن كل قبيح (هذا بهتان) زور وباطل (عظيم) كبير (يعظمكم الله) فيها كم (أن تعودوا لمثله) أن تقعوا فيها وقعتم فيه (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أن تدبغ ظلاماً وزوراً وبهتاناً (في الذين آمنوا) وليس معنى ذلك أن ينسب الإنسان على ما ظهر من الفواحش وبدا للعيان؛ فذلك واجب المنع بكل لسان، والمحاربة بكل سنان؛ وهو يدخل

سورة النور ٤٢٥

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ * بَنَاءُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْلَمُوا وَبْصَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

في باب تفسير النكر؛ الذي هو إحدى مراتب الإيمان؛ وهذا بعيد كل البعد عن يتسقط النبأ، فيذمه على الملائكة؛ فأولئك (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالجلد، والحزى، وسقوط العدالة، وعدم قبول الشهادة؛ (والآخرة) يفض الربحيم، وبالغضب الأليم؛ (ومن يتبع خطوات الشيطان) اللعين (فإنه يأمر بالفضيحة والنكر) وكل صديق سوء أمر بمنكر، وزين مصيبة؛ فهو في حكم الشيطان؛ بل هو شر منه؛ ويجب اجتنابه والابتعاد عنه؛ (مازكى) ما طهر (ولكن الله يزكى من يشاء) يظهر من أراد من دنس الفحش، وذل العصيان؛ (ولا يأتل) ولا يقصر. وقرأ أبو جعفر «ولا يأتل» أى ولا يحلف (أولوا الفضل منكم والسعة) الغني (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين) أى لا يقصر، ولا يحلف هؤلاء ألا يؤتوا الفقراء من أموالهم؛ الذنب جنوه، أو لم ارتكبهوه. قيل: نزلت هذه الآية حينما أقسم كثير من الصحابة - ومنهم أبو بكر - رضى الله تعالى عنهم؛ ألا يعطوا بعض من خاض في الإفك من الفقراء الذين كانوا يعطونهم. فلما نزل قوله تعالى «وليصفوا وليصفوا» ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر: بلى؛ أنا أحب أن يغفر الله لي!

وأعاد ما كان يجريه على الفقراء الذين جاءوا بالإفك. وقد أراد الله تعالى أن يحفز السامع إلى ملازمة الصفح والمغفرة بقوله «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» أى حيث إنكم تحبون الغفران، وتطلبونه من الديان؛ فلم لا تقفرون للاخوان، وتصفعون عما كان؟! وفي قصة الإفك، وما أعقبها: دليل على وجوب إعطاء الفقير ولو عصى، والمساكين ولو أمم! إذ أن مقياس العطاء: الحاجة؛ فإذا ما استوى فيها التقي والشيقي: وجب تقديم الأول على الثاني

(يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) أى يوفيههم جزاءهم الذى يستحقونه على أفعالهم (الحيثيات للحيثين) أى إن الحيثيات لا يرغب فيهن إلا الحيثيون . والآية مبنية على قوله تعالى «الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة» لأن الحيثيات والحيثين: هم الزوانى (والطيبات للطيبين) وهم العفافات ؛ فلا يجوز أن يتزوج عفيف إلا عفيفة مثله ، ولا أن تزوج عفيفة إلا عفيفاً مثلاً .

٤٢٦

الجزء الثامن عشر

و هذه هي سنة النفوس الفاضلة ، والخلق الكامل ! هذا ولم تخرج أوامره تعالى ، وإرشاداته لحلقه عن أسمي الأخلاق التي تصبو إليها الإنسانية ، وتنظم بها الأسر : فلا يختلط الحيث بالطيب ، ولا يندس العفيف نفسه بمخالطة البغي ، ولا تنزل العفيفة إلى درك الزانى الفاجر ! (أولئك) الطيبون والطيبات (مبرأون مما يقولون) أى مما يقوله فيهم الحيثيون والحيثيات ، والواجنون في الأعراض ، الطاعنون في الكرامات ! (يا أيها الذين آمنوا) لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأمنوا) يعلمنا ربنا سبحاته وتعالى آداب الزيارة ، وكيف أننا لانلج بيتاً قبل أن نستأذن أهله في دخوله ، ونأمن بهم ، ويأمنوا بنا . وانظر - يامن توهم أن الحضارة والرفقة نأخذها عن الغربيين - إلى أى حد يعلمنا مربيها تعالى ، وإلى أى مدى يؤدبنا قرآنه الكريم ، وكتابه الحكيم ؛ فيحسن تأديبنا وتربيتنا ! (فإن لم تجدوا فيها أحداً) من أهلها تستأذنونهم وتستأمنون به (فلا تدخلوها) وسواء كانت البيوت مفتوحة الأبواب ، أو مغلقها ؛ فقد أغلقها الله تعالى بتحريم دخولها ؛ وجعل مفتاحها الإذن من فاطمها ، أو مالكها ؛ و (ليس عليكم جناح) لأم ؛ في (أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة) أى

خبر

غير معدة للسكن الخامس (فيها متاع لكم) وهو كل ما يتمتع به: من لبواء ، واثقاء حر أو برد أو هي البيوت الستملة لحزن البضائع وماشاكلها ويجوز أن يدخل في عموم ذلك الفنادق (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) أى لا يطلعوها بأبصارهم إلى النساء ؛ لأن البصر رائد القلب ؛ بل هو بريد الزنا ؛ بل هو جلبة لاطلاس القلب وغضب الرب ! فانظر - كفاك الله كيد نفسك وشيطانك - أين تضع بصرك ! قال الشاعر :

وطرفك إن أرسلته لك رائداً
قلبك يوماً : أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر !

خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ
مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ
أَخِيهِمْ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ
الَّذِينَ فِي بَيْتِهِنَّ مِنَ الذَّكَرِ أَوِ الْوَلَدِ وَلَا يُضَرِّبْنَ
أَرْجُلَهُنَّ لِيَعْلَمَ بِزِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يَغْنِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(ولا يبدن زينتهن) المراد بالزينة : مواضعها كالجيد ، والمعصم ، والساق ، وما شاكلها ، أو المراد نفس
الزينة : كالأكحال ، وتخصيب الكفين ، ووضع المساحيق على الوجه ، وتلون الشفتين ، وما أشبه ذلك
(لما ظهر منها) أي إلا المقدار الذي لا يمكن إخفاؤه : كالوجه والكفين ؛ بغير زينة ، ولا خضاب (وليضربن
بخمرهن على جيوبهن) أي وليضعن ما يتلفعن به
على صدورهن ؛ والجيب : فتحة الثوب مما
على العنق ؛ ومنه قوله تعالى لنبيه موسى عليه
الصلاة والسلام «وأدخل يدك في جيبك»
(ولا يبدن زينتهن) الخفية ؛ وهي ما عدا
الوجه والكفين ، أو هو كل ما يستجب
رؤيته من المرأة ، وما يجذب أبصار الرجال
إليها ؛ فكل ذلك حرام لإبداؤه (للبعولتهن)
أزواجهن ؛ الذين تملكونهن بكلمة الله !
ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن
تبدى زينتها إلا لבעلها الذي أحلها الله تعالى له ،
أو لحرم من ذكرهم الله جل شأنه في هذه
الآية . وقد ذهب كثير من العلماء إلى حرمة
كشف الوجه - إذا خيفت الفتنة - وذلك
لأن الزينة منها ما هو خلق : كالوجه ، وما هو
كسبي : كالثياب ، والحلي ، والكحل ،
والمساحيق ، والأصباغ (أو ما ملكت
أيمانهن) من الإماء دون العبيد ؛ ولو كانوا
خصياناً (أو التابعين) كالخدم ، أو الفقراء ؛
الذين يتبعونكم لأجل إطعامهم والتصدق
عليهم ؛ بشرط أن يكونوا من (غير أولى
الإربة) وهم الذين ليس لهم مأرب في النساء :
كالشيوخ الصلحاء ، والمجبوبين ؛ ومن شابههما
(ولا يضررن بأرجلهن ليعلم بأرجلهن ما يخفين
من زينتهن) أي ليسمع صوت الخلخال
(وأنكحوا) زوجوا (الأيامى) جمع أيم ؛ وهي من ليست بذات زوج : بكراً كانت ، أو ثيباً ؛ ويطاق
الأم على الذكر والأثى (والصالحين من عبادكم وإمائكم) أي المسلمين من العبيد والإماء (وليستعفف الذين
لا يجدون نكاحاً) أي لا يستطيعون الزواج لفقرهم ؛ والاستعفاف : الابتعاد عن الزنا ، ومواطنه ، وأسبابه ،
ومقدماته ؛ ومداقة الرغبة بالصوم ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من استطاع الباءة فليتزوج ، ومن لم
يستطع فعليه بالصوم ؛ فإن الصوم له وجاء»

(والذين يبتغون الكتاب) يطلبون المكاتبه : وهم المبيد يكاتبون مواليم على أداء شيء معلوم ؛ يتحررون بعد أدائه (ولا تكمروا قنيتكم) بتاكم ، أو إيمانكم ، أو من تقومون بأمرهم مقام الولي والكفيل (على البقاء) الزنا ؛ بتركهم بدون تزويج (إن أردن محصناً) تفتقاً ؛ بالزواج الحلال الطيب ؛ هذا وقد دأب أكثر الناس اليوم على التباطي في تزويج بناتهم بتأولاً أدى إلى الوقوع في الموبقات ؛ بحجة عدم صلاحية طالب الزواج ثارة ، وبالتغالي في المهور ثارة أخرى ؛ مما يؤدي إلى الانصراف عن الفتيات ، والرغبة عنهن ، مكان الرغبة فيهن ! وفي هذا ما فيه من الانحراف ، عن الاستغفار ؛ فليادر من يتق الله تعالى إلى تزويج بناته ؛ متى وجد الكفء لهن ، الراغب فيهن ، المحافظ لأعراضهن !

الجزء الثامن عشر

٤٢٨

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَيَكْتَبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا قِتَابَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ
مَحْصَنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ
فَمَاِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَتَلْنَا
إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمَشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ يَّصْبِاحُ فِي زُجَاجَةٍ
ٱلْزُجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَّا
شَمْسٌ نَّارُ نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ يَتَّبِعِي اللَّهُ لِنُورِهِ ۚ مَنْ بَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ ٱلْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾
فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسَبِّحُ

وقيل : لانهم كانوا يكرهونهم على البغاء ، لاجتلاب الرخاء ؛ كما يفعل بعض من أعمى الله تعالى بصائرهم ، وطمس على قلوبهم ؛ وساقهم الشيطان إلى مهاوى الضلال ، ومهامه الرذيلة ! (ومن يكرههم فإن الله من بعد إكراههم غفور) لمن (رحيم) بهم (من الذين خلوا) مضوا (الله نور السموات والأرض) أي منورهما ، والمهادي فيهما إلى الطريق القويم ، والصرراط المستقيم !

ولما كان النور : هو الذي يرشد الإنسان إلى مواطن الضرر والخطر ، ويهديه إلى طرق الأمن والسلامة ؛ ولولاه لتردى الإنسان في مهاوى اليبداء ، ومهامه الصحراء !

ولما كان الله تعالى هو المهادي إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ؛ كان وصفه جل شأنه بالنور : هو الجامع لصفاته العلية ، الموضح لحاجة الكل إليه ، واعتقادهم عليه ؛ وإلا فليس بعد النور الإلهي سوى دياجير الظلمات ، المبعدة عن الرخاء والجنات اتمسك - يارعاك الله -

بنور الله : يهيك سبل الرشاد والسداد «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» (مثل نوره كشكاة) وهي الكوة غير النافذة في الجدار (الزجاجة كأنها) في صفاتها وبريقها (كوكب دري) مضيء ؛ نسبة إلى الدر الذي يضيء لشدة لماعته (يوقد) ذلك الكوكب الدر (من شجرة مباركة) أي ليست كسائر الشجر ؛ بل «من شجرة» بورك فيها وعليها (لا شرقية ولا غربية) أي بينهما ؛ فلا يتمكن منها حر ولا برد يضمرانها (يكاد زيتها) لشدة صفائه (يضيء) بنفسه (نور على نور) ضوء الزيت ، وضوء النار . أو هو نور الله تعالى - وهو هدايته للمؤمن - على نور المؤمن - وهو امتداده بنفسه إلى خالقه ، واختياره للإيمان . وانصرافه عن داعي الشيطان - وهو النور الذي يبدؤه المؤمن باختياره ؛ فيذكيه مولاه تفضلاً وتكريماً منه تعالى لمن أكرم =

نفسه ، وسما بروحه ؛ فينشق النور من القلب ؛ فتشتعل جذوة الإيمان ، وتبعث الأعضاء على الاتقياد والعبادة ؛ فيصير الإنسان الترابي نورانياً ؛ يأمر الأقدار فتطيعه ، ويقسم فيبر الله قسمه ، ويرغب فيبتدأ إليه كل شيء طوعاً وكرهاً باذن الحنان المنان ، الرحيم الرحمن ! (يهدى الله لنوره) أى للإيمان به (في بيوت) من المساجد ، أو هو كل بيت يقيم أهله الصلاة فيه ، ويذكرون اسمه تعالى ويسبحونه ويقدمونه ! وهذه البيوت : هي محط نور الله تعالى ، ومبعث هدايته ورحمته ، والطريق إلى رضائه وحنانه ؛ وفيها المشكاة ، ومنها ينبعث نور الصباح ! (بالغدو والأصال) أى في الصباح والمساء (مخافون يوماً) هو يوم القيامة (تقلب) تضطرب (فيه القلوب) من شدة الخوف والرعب ، والتردد بين الملاك والنجاة (و) تقلب فيه أيضاً (الأبصار) حيرى بين الجنة والنار (والله يرزق من يشاء) من فضله في الدنيا ، ومن نعيمه في الآخرة (بغير حساب) بلا حد ، وبلا مقابل ؛ فقد يرزق بالقطاير ، جزاء للنذر اليسير ، وقد يدخل الجنات ، جزاء لصدق الطويات ؛ فتعالى العظمى المانع ، الضار النافع ! (والذين كفروا أعمالهم) الصالحة ؛ التي عملوها في الدنيا - كصلة الرحم ، وحسن المعاملة ، والصدقة ، وأشباه ذلك - فإنها تصير يوم القيامة (كسراب بقية) وهو شعاع يرى في الغلاة في وسط النهار (يحسبه الظمان ماء) فيهرع إليه لشدة ظمئه (حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً) مما أراد : لا ماء ، ولا رى (ووجد الله عنده) أى عند عمله ؛ الذى هو كالسراب ، والذى هو في مسيس الحاجة إلى أقل الجزاء عليه ؛ وفاته أنه قد جوزى على إحسانه في دنياه ؛ تفضلاً وعدلاً من الله ! فإذا ما طمع في الجزاء عليه يوم القيامة «وجد الله عنده» (فوفاه حسابه) من العذاب ؛ جزاء فسقه وكفره (أو كظلمات)

سورة النور ٤٢٩

لَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَرْقِيقًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِزَانٌ ۖ يُزَوَّلُونَ ۚ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ۖ وَزِيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلُهُمْ كَسْرَابٍ يَافِقُ يُحْسِبُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يَجِدُهُ شَيْفًا ۖ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ قُوَّةَهُمْ حِسَابَهُ ۖ وَاللَّهُ مَرِيعٌ ۚ الْحِسَابُ ۚ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ ۖ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ ۖ حَبَابٌ ظَلَّتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۖ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۚ وَمَنْ لَّمْ يَعْمَلْ لِّلَّهِ لَمْ نُورِ ۖ قُلْ لَّهُمْ مِنْ نُورٍ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُم مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالظُّلُمِ صُنِفَتْ كُلُّ قَدِّعَةٍ صَلَاتُهُمْ وَسَبِّحُهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ

أى إن أعمال الكفار «كسراب بقية ، أو كظلمات» (في بحر لجي) عميق ، بعيد النور ، كثير الماء (يشاه) أى يظلى هذا البحر العميق (موج من فوقه) أى من فوق هذا الموج (موج) آخر (من فوقه) أى من فوق هذا الموج ؛ الذى هو فوق الموج الأول (سحاب) غيم ؛ فتجتمع من هذه الظلمات ، والبحر ، والأمواج التراكبة التكاثرية ، والنيوم التكاثرية (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج) الناظر ، أو الواقع في هذا البحر (يده لم يكدها) لما أحاط به من الظلمات !

وهو مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار ؛ فكل أعمالهم بالظلمات ؛ لأنها كلها مبنية على الخطيئة والزيغ والفساد ، ومثل اضطراب قلوبهم ، وعدم استقرارها ، وتشتيتها بالخيرة والضلالة ؛ بالبحر اللجى =

== التلاطم بالأمواج ؛ إلى غير مقصد ، وعلى غير هداية ، ومثل جهلهم الذي غطى على عقولهم ، وran على قلوبهم : بالسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا) يسترشد به في الملمات ، ويهتدى به في الظلمات (فاله من نور) يوصله إلى الأمن والنجاة والسلامة ! (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض) من ملك وإنس وجن (والطير صافات) باسطات أجنحتهن بين السموات والأرض ؛ فصار التسبيح شاملا لما في السموات والأرض وما بينهما (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي

الحسنة الثامن عشر

٢٣٥

قد علم الله تعالى صلاتهم وتسبيحهم ، أو قد كل قد علم ؛ كيف يصلي ، وكيف يسبح . (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) (ألم تر أن الله يزجي) يسوق (سحابا ثم يؤلف بينه) يضم بعضه إلى بعض ؛ بعد أن كان متفرقا (ثم يجعله ركاما) متراكما ؛ بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر . وقيل : البرق (يخرج من خلاله) أي من ثنايا السحاب (فيصيب به) أي بالبرد النازل من السماء (من يشاء) معاقبته : فيتلف به زرع ، ويهلك ضرعه (يكاد سنا برقه) أي لمعان برق ذلك السحاب المزجي المتراكم (فذهب بالأبصار) يحميها فلا ترى شيئا (يقلب الله الليل والنهار) يأتي بأحدهما مكان الآخر ، أو ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر (والله خلق كل دابة من ماء) أي من طرفة ؛ وذلك لأنها سائلة ، وأغلبها ماء . والدابة : كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان ، أو حيوان أو طير ، ونحوه . والدابة لإجلا : كل مخلوق تدب فيه الحياة . حتى الطير فإنه يخلق من البيضه ؛ والبيضة محتوية على ماء الذكر حتما ؛ وإلا فهي غير معدة للإنتاج . وبذلك اقتضت حكمة الحكيم ! (فمنهم) أي من الدواب (من معشى على بطنه) كالثعالب (ومنهم من معشى على رجلين) كالإنسان ، والطيائر

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ١١
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ النَّاسَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٢
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآءُ بَرِّقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ١٣
اللَّهُ أَتَّيْلُ وَأَتَّهْلُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ١٤
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٥
لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦
وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِأَرْسُولِهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ١٧
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ

(ومنهم من معشى على أربع) كالأنعام والحيوان (يخلق الله ما يشاء) كما شاء (إن الله على كل شيء) أراد (قدير) على إيجاده ؛ وإنما هي أسباب سببها ، وأمور رتبها ؛ وقد خلق تعالى كل شيء ابتداء من غير ماء ولا طرفة ، وسعيده انتهاء من غير سبب ؛ فتعالى الخالق ، وجل المبدع المصور ! (لقد أنزلنا آيات مبينات) حجج واضحة : هي آيات القرآن الكريم (والله يهدي من يشاء إلى صراط) طريق (مستقيم) هو طريق الإسلام ؛ الموصل إلى الجنة ! (ويقولون) أي يقول المنافقون (ثم يتولى) يعرض (ليحكم بينهم) فيما عرض لهم من خلاف

يَتَنَبَّهْ إِذَا فَرَّقَ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ
الْحَقُّ بِأَتَوْا إِلَيْهِ مُلَجِّعِينَ ﴿٣٦﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ
أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ إِنِ زُمْرٌ مِنْكُمْ لَا تُقِيمُوا
طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ يَخْصِي بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٤٠﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

(إذا فريق منهم معرضون) عن هذه الحكومة
يأبونها لأن الحق قد جانبهم ، والصواب قد
باعدهم ؛ ولأن الرسول لا يقول إلا حقاً ،
ولا ينطق إلا صدقاً (ولأن يكن لهم الحق) أى فى
جانبيه (يأتوا إليه) أى إلى الرسول عليه الصلاة
والسلام ؛ لعلمهم أنه سيحكم لهم ؛ مادام الحق
معهم (مذعنين) طائعين مسرعين (أفى قلوبهم
مرض) المراد بالمرض : الرغبة فى اغتيال
الحقوق ؛ أو المراد به الكفر (أم ارتابوا)
شكوا فى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم
ونبوته (أم يخافون أن يحيف) يمجور ويظلم
(بل أولئك هم الظالمون) الكافرون
(إنما كان قول المؤمنين) أى الواجب على
من يتصف بالإيمان (وأقسموا بالله) أى أقسم
المنافقون (جهد أيمانهم) غايتها ونهايتها (لئن
أمرتهم) بالمخرج للجهاد (ليخرجن) معك
(قل لهم) حينما يقسمون لك ، ويجهدون
أنفسهم فى خداعك (لا تقسموا طاعة معروفة)
أى إن مبلغ طاعتكم واطياعكم معروف لنا أيها
المنافقون ، وقد أطلعنا الله تعالى على ما فى
قلوبكم (إن الله خير بما تعملون) من طاعة
باللسان ، ومخالفة بالجنان (فإن تولوا) تولوا ؛

أى فإن تعرضوا (فإنما عليه ما حل) من التبليغ إليكم ؛ وقد بلغ (وعليكم ما حلت) من وجوب الإيمان
والطاعة ؛ وقد كفرتم وعصيتم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) وهو
أمر ظاهر : فقد تم للمؤمنين فتح فارس والروم ، ودانت لهم البلاد والعباد (كما استخلف الذين من قبلهم)
يعنى بنى إسرائيل : أهلك الله تعالى الجبارة بمصر والشام ؛ وأورثهم أرضهم وديارهم

(ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وأى تمكن أكثر من أن شاع الإسلام وذاع ، وملا الأراضى والبقاع ، ولم تبق بقعة على وجه الأرض تخلو من الإسلام والمسلمين ؛ رغم عارية الكافرين ، ومعاودة المضلين ؛ (وليدلتهم من بعد خوفهم أمناً) فقد كان السائر في الجاهلية لا يستطيع أن يمشى بضع خطوات ؛ مطمئناً على نفسه ، أو ماله ؛ فجاء الإسلام فأحل الوثام مكان الحصام ، والوفاق مكان الشقاق ، والحب مكان الكراهية ، والطف والحنان مكان البغض والحقد ؛ (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) الخارجون على ربهم (لا تحسن الذين كفروا معجزين) أى لا تقدر على مؤاخذتهم والنيل منهم (بأبيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء) أى لا يجوز أن يدخل عليكم خدمكم ، ولا أطفالكم ؛ بدون استئذان في هذه الأوقات الثلاثة : وهى قبل صلاة الفجر ؛ لأنه وقت طرح ثياب النوم واستبدالها بغيرها ، وحين تخلعون ثيابكم لتناموا ظهراً ؛ لأنه وقت القائلة وتخفيف الثياب ، ومن بعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من الثياب (ثلاث عورات لكم) أى هذه الأوقات المذكورة «ثلاث عورات لكم» لأنكم تحتاجون فيها إلى خلع الثياب ؛ وبذلك يبدو منكم ما تحرمون على ستره ، وتكرهون أن يراه أحد من الناس وقيل : أصل العورة من العار ؛ وذلك لما يلحق في ظهورها من العار واللغمة (انظر آية ٨ من سورة النساء) (ليس عليكم جناح في ترك دخول خدمكم

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِعُوا الرُّسُلَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَاحْتَسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيَسَّ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِسُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ

عليكم بغير استئذان ؛ في غير هذه الأوقات الثلاثة (ولا) حرج (عليهم) في دخولهم عليكم . وهذا الحكم قبل أن تكون للبيوت أبواب أو ستور ؛ أما عند وجود الأبواب أو الستور ؛ فالإذن واجب في كل الأوقات ، وسائر الحالات (طوافون عليكم بعضكم على بعض) يعنى الخدم يطوفون عليكم بجوانح البيت ، وطوفون عليهم بطلب ما يلزمكم (فليستأذنوا) أى في كل الأوقات (كما استأذن الذين) بلغوا الحلم (من قبلهم) وهم الذين تناولتهم الأحكام السابقة

بَيِّنَ اللَّهُ لَكَ آيَاتِهِ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ وَالْقَوَاعِدُ
 مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
 أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ
 خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ
 وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ إِهْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ يَمَانُكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ
 لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ
 بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَشِّرَةٌ بِطَئِينَةٍ
 كَذَلِكَ بَيِّنَ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا

(والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) وهن اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن . وم
 ذلك لا يطعمون في الزواج ولا يطلبنه ؛ بعد أن بلغن ما بلغن (غير متبرجات) التبرج : إظهار ما خفي من
 الزينة (وأن يستعففن) عن التبرج والترين
 (خير لهن) في الدنيا ؛ لأنه موجب للاكبار
 والاحترام ، و «خير لهن» في الآخرة ؛ لأنه
 مدعاة لرضا الرب سبحانه وتعالى ! (ولا على
 أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت
 آبائكم ؛ لأن بيت الإنسان لا يحتاج إلى إذن
 ورفع حرج . ولأنه تعالى لم يذكر بيت الأبناء ؛
 وهو أولى البيوت بالأكل منه ؛ وعبر تعالى
 عنها بلفظ «بيوتكم» لأن بيت الابن ليس
 كبيت الإنسان فحسب ؛ بل هو بيته فعلا ؛
 قال صلى الله تعالى عليه وسلم «أنت ومالك
 لأبيك» (أو مملكتكم مفتاحه) أى خزنته
 لتزيمكم ، وكنتم وكلاء على إدارته ؛ كناظرى
 الزراعات ، ومديرى المطاعم ، وأشباههم .
 ويجب - في هذه الحال - أن يكون المالك
 عالما بذلك . وقيل : إن هذا خاص بمن يقوم
 بعمله من غير أجر (أو صديقكم) أى ليس
 عليكم جناح في أن تأكلوا من بيوت من ذكره ؛
 ولو بغير حضورهم . هذا وقد برناح الإنسان
 في الأكل من بيت صديقه ؛ أكثر من راحته
 في الأكل من بيت نفسه ؛ فكم من حبيب ،
 أعز من القريب ؛ وكم من أخ لك لم تلده
 أمك ! و (ليس عليكم جناح أن تأكلوا
 جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين (فإذا
 دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) بأن تقولوا :
 السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؛ فإن الملائكة ترد عليكم .. هذا إذا لم يكن بها إنسان (إنما المؤمنون)
 حقاً : هم (الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) أى أمر هام يحتاج للإجماع : كتعبئة
 الجمعة ، ودراسة الدين والقرآن

مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّا يَذْهَبُونَ حَتَّى يَسْتَفْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَفْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
اسْتَفْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
لِشَأْنِكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ
مِنْكُمْ لِرِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِلَّا إِنَّا لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ
قَبْنِيَّتِهِمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٦٨ وَ ٦٩ وَ ٧٠ فَدُنِيَّةٌ
وَأَنبَأَتْهَا ٧٧ نَزَلَتْ بَعْدَ دُحْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا ①

(تجعلوا دعاء الرسول) أى نداءه (كدعاء
بعضكم بعضاً) بأن تقولوا : يا محمد . بل قولوا :
يا نبي الله ، يا رسول الله ا (قد يعلم الله الذين
يستلّون منكم لرواذاً) أى يخرجون مستخفين
متسترين ؛ يلوذ بعضهم ببعض (فليحذر الذين
يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمر الرسول
عليه الصلاة والسلام ، أو أمره جل شأنه
(أن نصيبهم) بسبب هذه المخالفة (فتنة)
عذاب ، أو زلازل وأحوال ، أو سلطان
جائر (قد يعلم ما أنتم عليه) «قد» للتحقيق ؛
أى قد علم (فينبئهم بما عملوا) من خير
فينبئهم عليه ، ومن شر فيأخذهم به .

(سورة الفرقان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتقدس وتزه ! أو هو من
البركة ، وهى الخير كل الخير ا (الذى نزل
الفرقان) القرآن ؛ وسمى فرقاناً : لأنه يفرق
بين الحق والباطل (على عبده) محمد (ليكون
للعالمين) الجن والإنس ؛ و «العالمين» جمع العالم . والعالم : الخلق كله

نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ نَجْدٌ
وَلَدَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
قُدْرَةً تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ
شَيْعًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ غَافِرُونَ
قَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْتَطِيرَ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَنَبَهَا فِي سَمَاءٍ عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ
مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْعُورًا ﴿٨﴾

(ولم يتخذ ولدا) كما تزعم النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعم المشركون (وخلق كل شيء بقدره تقديرا) بحيث لا يزيد عن الحاجة ، ولا ينقص عنها (انظر آية ٥٠ من سورة طه) (واتخذوا من دونه آلهة) هي الأصنام (ولا نشورا) أى بتأ للآموات ؛ وهذه جميعها يملكها مبدع الأرض والسموات ؛ فهو تعالى وحده خالق الخلق ومالكهم ، وهو جل شأنه القادر على إيقاع الضر ، وإيصال النفع ، وإحداث الموت والحياة والنشور (وقال الذين كفروا إن هذا) ما هذا القرآن (إلا إفك) كذب (افتراه) اختلقه مجد (وأعانه عليه) ساعده على اختلاقه (قوم آخرون) زعم المشركون أن بعض من آمن بمحمد من اليهود كانوا يعاونونه في اختلاق القرآن (فقد جاءوا) بقولهم هذا (ظلمًا وزورًا) كفرًا وكذبًا ؛ إذ كيف يؤمن به قوم يعلمون علم اليقين كذبه وافتراءه ؟ وكيف يعقل أن هذا القرآن المعجز من صنع البشر ، ومن جنس كلامهم ؟ (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) (وقالوا أساطير) أكاذيب (الأولين) المتقدمين (اكتنبا) طلب من غيره كتابتها له (فهي تلى) قرأ (عليه بكرة وأصيل) أول النهار وآخره . أى صبحًا ومساءً (قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض) أى الذى يعلم ما خفي فيهما . ولما كان القرآن الكريم حاويا لكثير من الغيبات ؛ التي يستحيل على البشر علمها ؛ كان ذلك دليلا على نزوله من لدن عالم السر والتجوى ! (وقالوا) من جهلهم وغبائهم (مال هذا الرسول يأكل الطعام) كما نأكل (ويعتقى في الأسواق) طلبا للعائش ؛ كما عتقى (لولا) هلا (أنزل إليه ملك) من السماء (فيكون معه نذيرا) يصدقه فيما يبلغه عن ربه (أو يلقى إليه كثر) يغنيه عن المشى في الأسواق ، ويجعله من الأغنياء الذين ينظر إليهم بعين الإكبار والاعتبار (أو تكون له جنة) بستان (وقال الظالمون) الكافرون (إن) (تتبعون إلا رجلا مسعورا) مخدوعا ، مغلوبا على عقله

(انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) فوصفوك بالمسحور ، والحجاج إلى مال ينفقه ، وإلى ملك يؤيده ؛ وهذه الأمثال التي ضربوها ، والأكاذيب التي اخترعوها ؛ ما أرادوا بها إلا التوصل إلى تكذيبك ، والحط من شأنك (فضلوا) عن الهدى (فلا يستطيعون سيلا) إلى الإيمان ؛ وكيف يهديهم الله تعالى وقد ضلوا وأضلوا (وأعتدنا) أعددنا وهيانا (سموا لها تقيظا) غليانا ؛ كما يفلى صدر الغضب المنيظ (وزفيرا) صوتا شديدا . أو المعنى : رأوا لها تقيظا ، وسموا لها زفيرا ؛ لأن التقيظ لا يسمع ؛ أو هو وصف لحزنها (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) أى إذا ألقوا في مكان ضيق منها ؛ وجههم تضيق على واردتها - رغم سعتها ، وقولها «هل من مزيد» - ليكون ذلك الضيق من جلة العقاب الواقع بهم (مقرنين) مسلسلين في الأغلال ؛ قرنت أيديهم وأرجلهم (دعوا هنالك ثبورا) أى هلاكا ؛ كقول المصاب : وامصيتاه ؛ فقال لهم (لادعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) لأن الهلاك قد أحاط بكم من كل جانب (قل) للمشركين يا محمد - بعد وصف ما أعدده الله تعالى لهم من عذاب أليم - (أذلك) العذاب (خير) لمن يحل به (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) بها ، وأعدما الله تعالى لهم (كانت لهم جزاء) ثوابا على أعمالهم (ومصيبرا) مرجأ ؛ يصيرون إليه ؛ فضلا من ربهم ورضوانا (كان) ذلك الجزاء (وعدا) وعده الله تعالى عباده المتقون (مستولا) يسأله من وعده به : «ربنا وآتنا ما وعدتنا» ويسأله الملائكة «ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم» (ويوم يحشرهم) أى يحشر المشركين (وما يصدون) من الأصنام ، أو من الملائكة ، والإنس والجن (فيقول) تعالى للمعبودين (قالوا) أى

٤٣٦

الحجزة الثامن عشر

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۖ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا ۝١٥ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١٦ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ۝١٧ وَإِذَا أَلْقَاوُهَا مِنْ مَكَانٍ ضَرِيقٍ مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٨ لَادْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٩ قُلْ أُوْكَذِّبَتْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ۝٢٠ هُمْ فِيهَا مَبْسُوءُونَ وَخَائِدُونَ ۚ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۝٢١ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَمْ لَكُمْ أَخْلُفْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝٢٢ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْنَىٰ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ

قُتِلُوا

الأنصام ؛ ينطقها الله الذي أطلق كل شيء . أو المراد بما يعبدون : ما يعقل : كالملائكة ، وعيسى ، ومهزير (سبحانك) تعاليت وتقدسست عما قالوا ، وما فعلوا (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ما كان ينبغي لنا) ونحن المعبودون لهم (أن نتخذ من دونك أولياء) نواليهم ونزكن لهم ؛ فكيف فضلهم ، ونطلب منهم أن يعبدونا من دونك ؟ (ولكن متعتهم وآباءهم) بسعة الرزق ، وطول العمر

(حتى نسوا الذكر) تركوا شكر نعمتك ؛ حتى استوجبوا نعمتك (وكانوا قوماً بوراً) ملكى ؛ أو هو كالأرض البور : الفاسدة التى لا تجود بالنبات (فقد كذبوكم) أى كذبتكم الآلهة التى تزعمونها ، وتبرأت منكم (فما تستطيعون صرفاً) دفعاً للعذاب عنكم (ولا نصراً) ولا أحداً ينصركم على الله ، ويعتصم عذابه الذى قضاه لكم (ومن يظلم) يشارك (ليأكلون الطعام) كأنهم كل (وعشوت فى الأسواق) كما عشى ؛

فلست بدعماً من الرسل ؛ بل أنت واحد منهم (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أى بلية : ابتلى

الفقير بالغنى ، والمريض بالصحيح ، والوضع بالشريف ؛ فيقول الفقير : مالى لا أكون غنياً ؟ ! ويقول المريض : مالى لا أكون صحيحاً ؟ ! ويقول الوضع : مالى لا أكون

شريفاً ؟ ! وذلك الابتلاء لينظر تعالى (أتصبرون) على ما ابتليهم به ، أم تكفرون ؟

(وكان ربك بصيراً) عباده ، علماً بما سيؤول إليه أمرهم وحالهم (وقال الذين لا يرجون

لقاءنا) لا يؤمنون بالآخرة (لولا) هلا (وعتوا) طفوا (يوم يرون الملائكة) يوم

القيامة ؛ لأنهم لا يرونهم إلا يومها ؛ وبومذاك (لا بشرى يومئذ للمجرمين) الكافرين ؛ بل

لهم العذاب والحزى والحerman 1 ولا تكون البشرى إلا لصالحى المؤمنين (ويقولون) أى

يقول الملائكة (حجراً محجوراً) أى حراماً محرماً أن يبشر أو يدخل الجنة ؛ إلا من قال :

لا إله إلا الله ، وقام بحقها . وقيل : هو من قول الكافرين ؛ بمعنى : عوداً معاذاً ؛ يستعينون

من الملائكة الذين يدفعونهم إلى جهنم ، ويدعونهم إلى نارها (وقدئنا إلى ما عملوا من عمل

فجعلناه هباء منثوراً) أى إننا لا نقيم لحسنات الكفار وزناً يوم القيامة (وأحسن مقيلاً) أى

متزلاً ؛ وهو المكان الذى يقال فيه ؛ أى بنام وقت القيامة ؛ ومى منتصف النهار (ويوم تشق السماء) تشقق (بالنهام) قيل : تشقق السماء عن غمام

أبيض ؛ وهو المعنى بقوله تعالى «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من النمام» (ونزل الملائكة) من أمكنتها وسماواتها (تنزلاً) بأمر ربه (الملك يومئذ الحق) أى الملك الحقيق ؛ الذى فيه الرفع والخفض ، والإعزاز والإذلال ؛ وليس كملك الدنيا وملوكها ؛ الذين لا حول لهم ولا طول (ويوم يعض الظالم على يديه

ألماً وحسرة ونما

سورة الفرقان

٤٣٧

نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ لَمَّا نَسْتَبْطِئُكُمْ صَرَفًا وَلَا نَفْرًا ۚ وَمَنْ يَظْلِمِ مَثْرًا نَّضْفِهْ عَذَابًا كَبِيرًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَفِئْدًا نَّكْبَرُ وَإِنَّا لَنَفْسِيهِمْ وَعَتُوهُمْ كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ۝ وَقَدْئْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝ وَيَوْمَ نُسْقِطُ السَّمَاءَ بِالسَّمَنِ وَنُرَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ۝ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ

عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِغَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾
يَتَوَلَّيْنِي لَبِغَتِي لَرَّ أَخْذُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
خَدُولًا ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ بِئِنَّ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٤٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ
الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٤١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ
لِنُتَبِّهَ بِهِ فُقُودَكُمْ وَرَتِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٤٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٤٣﴾ الَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٤٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٤٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ

(يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقاً
إلى الهدى (ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً) وفلاناً :
هو الشيطان الموسوس : إنسياً كان أو جنياً
(لقد أضلني عن الذكر) صرفني عن القرآن
وما فيه من عظات ، وآيات بينات (وقال)
الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجوراً) أى متروكاً والمراد ترك أحكامه ،
أو ترك تلاوته والاعتناء به . وقيل : اتخذوه
علا للهجر والسخرية . والهجر : فحش القول
(وقال الذين كفروا لولا) هلا (نزل عليه)
القرآن جملة واحدة) لتؤكد أنه منزل من
عند ربه ؟ قال تعالى رداً عليهم (كذلك)
أنزلناه مفزعة منجا (لنثبت به فؤادك) تقوى
قلبك بحفظه واستيعابه ، وفهمه (ورتلناه
ترتيلًا) أى بيناه تبييناً ، ونزلناه بتسهيل وتؤدة
(ولا يأتونك بمثل) يريدون به تكذيبك
ولإبطال أمرك (إلا جئناك بالحق) الدامغ
لباطلهم (وأحسن تفسيراً) بياناً للأمور ؟
وقد وصفهم الله تعالى بقوله (الذين يحشرون
على وجوههم) يحشرون عليها ؛ وفي هذا منتهى
الإذلال والتعذيب (ولقد آتينا موسى الكتاب)
التوراة . وقد شرع الله تعالى في تسلية رسوله

الكریم عليه الصلاة والسلام ؛ بسرد تكذيب الأمم السابقة لرسالهم - كما كذبه قومه - وما حل بأقوامهم
من تعذيب وتدمير ! (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه من القبط ؛ فذهبا إليهم
برسالة ربهم وكتابه ؛ فكذبوها وأذوها ومن آمن بهما (فدمرناهم تدميراً) أهلكناهم أهلاً كما

لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً
وَأَعَدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ وَعَادًا وَنَمُودًا وَأَحْبَبَ
الرُّسُلَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٦﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ
الْأَسْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي آمَطْرَتْ مَطَرِ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا
لَا يَرِيعُونَ شُرُورًا ﴿٢٨﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا بُحْثُوكَ وَكُنَّ
أَعْمَدًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٢٩﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ
الْهَيْتِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
هُوَّهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٣١﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَفْقَهُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ
هُمْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ
شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٣٣﴾

(وجعلناهم للناس آية) عظة وعبرة (وأعدنا)
أعدنا وهيانا (وعادا) قوم هود (ونمود)
قوم صالح (وأحباب الرس) الرس : البشر غير
مطوية ؛ وقد كانوا حولها وقت نزول العذاب
فانهارت بهم ؛ ولذا تسموا باسمها . وهم قوم
شعيب عليه السلام (وقرونا) أمما (تبرنا)
تتبرا (أهلكنا إهلاكا ؛ من التبر : وهو
الكسر والإهلاك (ولقد أتوا) أى مر كفار
مكة (على القرية التي أمطرت مطر السوء)
السوء : العذاب ؛ وهي قرية سدوم : أعظم
قرى قوم لوط ؛ وقيل : سدوم . وقد
أهلكها الله تعالى وأمطرها حجارة . وقد
كانت قريش تمر بها في تجارتهم إلى الشام
(بل كانوا لا يرجون نشورا) أى لا يؤمنون
بالبعث (لولا أن صبرنا عليها) دما وبقينا على
عبادتها (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى نسي
مولاه ، واتبع هواه ، واتقاد له في كل الأمور .
قيل : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر ؛ فإذا
مر بحجر أحسن منه : عبده وترك الأول (انظر
آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (ألم تر إلى ربك
كيف مد الظل) بسط الظل الظاهر للعيان ؛
ليتمتع به كل إنسان (ولو شاء لجعله ساكنا)

مستقرا لا تنسخه شمس . أو المراد بسكونه : منع الشمس من الطلوع (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أى على
تحرك الظل ؛ إذ أن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها ؛ فلولا الشمس ما عرف الظل

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكَ
الْأَيْلَ لِبَاسًا وَأَتَوَمَّ سُبَانَ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١٢﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٣﴾ لِنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ صَرَقْنَاهُ
بَيْنَهُمْ لَيْلًا ذُرًّا فَآبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفْرًا ﴿١٥﴾ وَلَوْ
شَقْنَا لَبَعَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿١٦﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهَنَّمُ بِهِ جَهَادٌ كَبِيرٌ ﴿١٧﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَهْرًا مَحْجُورًا ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ
الْمَاءِ بَشَرًا لِّجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿١٩﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ
الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴿٢١﴾

بِمَا فِيهِ ، والقتال عليه (وهو الذي مرَج البحرين) جعلهما متلاصقين مختلطين (هذا عذب فرات) شديد
العذوبة (وهنا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا (وجحرا محجورا) حائلا يمنع
أحدهما عن الآخر (وهو الذي خلق من الماء) المني (بشرا) لئسانا (لجعل نسا وصهرا) بأن يتزوج ،
ويتزوج ؛ فيناسب ، ويصاهر ؛ وبذلك ينتج وينجب من يناسب ويصاهر أيضا ؛ فلا تنقطع البشرية (وكان
الكافر على ربه ظهيرا) أى معينا عليه أعداءه ؛ من شياطين الإنس والجن

(ثم قبضناه) أى قبضنا الظل المسدود
(قبضا يسيرا) خفيا بطيئا ؛ بطلوع الشمس ،
أو بزوالها ؛ حيث يقبض الظل وينقلص ،
ويحل محله الإظلام التام (وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا) أى ساترا كاللباس (والنوم
سباتا) أى راحة . وقيل : موتا ؛ لأنه الموت
الأصفر . قال تعالى : «وهو الذي يتوفاكم بالليل»
(وجعل النهار نشورا) أى ينشر فيه الخلق
لطلب المعاش ، أو هو كالبعث من الموت
(وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته) أى أرسل الرياح لتنشر الناس بالمطر
وسمي المطر رحمة ؛ لأن به حياة النفس ،
والأرض ، والنبات ، والحيوان (لنحيي به
بلدة ميتا) جدبا ؛ لأنات فيها (ونسقيه بما
خلقنا أنعاما) إبلا وبقرا وغنما (وأناسي) جمع
لإنسان أو جمع لأنسى (ولقد صرقناه) بيناه ؛
والمراد به القرآن الكريم ؛ وقيل : المراد به
الماء ؛ وليس بشيء ؛ وقد جاء ذكر القرآن
في صدر السورة «تبارك الذي نزل الفرقان»
وقوله «لقد أضلني عن الذكر» القرآن «بعد
إذ جاءني» وقوله تعالى (وجاهدكم به) أى
بالقرآن - لا بالمال - والجهاد به : الأمر بالعمل

(قل ما أسألكم عليه من أجر) أى على التبليغ (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) أى لا أطلب أجراً لى على التبليغ ؛ إلا من شاء أن يتخذ طريقاً لمراضات ربه ؛ فينفق من ماله ، ويتصدق مما آتاه الله ! (وسبح بحمده) هو قول : سبحان الله ، والحمد لله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم « كلتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيقتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ! » (وكنى به بذنوب عباده خيراً) علياً بها ؛ فيجازيهم عليها (ثم استوى على العرش الرحمن) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن

المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود ! (فأسأل به) أى عنه ؛ والباء تكون بمعنى عن ؛ إذا اقتضى السياق ذلك . وتفسيره قوله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع » أى عن عذاب . ومعنى « فأسأل به » أى أسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض ، والاستواء على العرش (خيراً) أى خيراً بذلك ؛ وهو الله تعالى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وقال بعض الأجلة : « فأسأل به خيراً » أى أسأل عن الرحمن « خيراً » وهم مؤمنوا أهل الكتاب ؛ وقد ورد اسم الرحمن في كتبهم ؛ وقد كان المشركون أنكروا على الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك الاسم الكريم عند نزول قوله تعالى « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنی » وقد وصف الله تعالى ما حدث منهم بقوله جل شأنه (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا) مستنكرين (وما الرحمن) ألسنتهم أن ما تدعونا إليه إلهاً واحداً ۝ ١٩ (أنسجد لما تأمرنا وزادهم) ذكر الرحمن (فقروا) على نفورهم ، وكفراً على كفرهم (تبارك) تعالى وتزه وتقدس الله (الذى جعل في السماء بروجا) وهى اثنا عشر (انظر آية ١٦ من سورة الحجر) (وجعل فيها سراجاً)

وَنَذِيرًا ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝

بضيؤها ؛ وهو الشمس (وقرأ منيراً) ينير الأرض عند طلوعه ، ويهدي السائرين والمسافرين .

هذا وقد ولى أقوام باكتشاف القمر ؛ ولم تقف أطاعهم عند حد النظر ؛ بل أرادوا أن يلجوه ، ويسبروا غوره ، ويعرفوا ما وراءه . وزعم بعضهم أنه سيرسل صاروخاً يفجر به جزءاً من القمر ؛ ليكون هذا التفجير طريقاً إلى اكتشافه . وما رأينا فيما رأينا ، ولا سمعنا فيما سمعنا حقاً يعدل هذا الحق ، ولا جهلاً يوازى هذا الجهل ! فإننا لو افترضنا جدلاً أن الوصول إلى القمر بالطريق التى يرسمونها ، ومن اليسر بالدرجة التى يتوهمونها ؛ فهل من الحكمة ، وهل من السداد أن يحطم الإنسان ما يزيد أن يكتشفه ويتفجع به ۝ ١٩ وماذا يكون الحال لو ثبت أن فى هذه الكواكب سكاناً غفلاء ، وأنت هؤلاء السكان قد بلغوا

من العلم ما بلغنا ، وأنهم قد رغبوا فيما رغبنا فيه ؟ من اكتشاف بعض الكواكب القريبة منهم - كالأرض مثلا - فإذا بنا نفاعبا يوماً ما بصاروخ موجه إلى الأرض من القمر ، أو سكان الزهرة ، أو المريخ ؛ وإذا بنا في لحظة من اللحظات وقد طاحت القارة الأمريكية ، أو الأوروبية ، أو غيرها من القارات ؛ في سبيل استكشاف سكان بعض الكواكب للكوكب الأرضي ؟

أليس في هذا من الحق والحرق ما يكفي لأن تقل يد من يقول بذلك ويعمل في سبيله ، وأن تلقى به في غياهب اليارستانات ؟ حتى يرتد إليه عقله ، ويشرب إليه رشده !

٤٤٢

الجزء التاسع عشر

وإذا سرنا وراء السائرين ، وقلنا مع القائلين : بأن الإنسان سيبلغ القمر لا محالة ، وأنه سيسكنه ويستعمره في بضع سنين ؛ فالفائدة التي تعود على بني الإنسان من سكني القمر أو سكني بعض الكواكب ؟ ولنفرض أننا قد وصلنا إليه الآن فصلا ؛ فهل يصلح لسكنائنا ؟ وإذا افترضنا صلاحته للسكني ؛ فهل تقف مطامع الإنسان عند هذا الحد ، أو يشمر عن ساعد الحد ؟ فيسعى للوصول إلى الزهرة فالمرخ - وقد طمع من الآن في ولوجها ، وبدأ في قياس أبعادها ، وطريق الوصول إليهما - وما نحن أولاء قد وصلنا إلى القمر وسكنناه ، ولما المرخ فاستعمرناه ، ولما الزهرة فلسكنناه ؛ فهل تقف المطامع إلى هذا الحد ؟ أم تتصاعد إلى عطارد ، فالشترى ، فزحل !

وآخر الطاف قد يفكر الإنسان في ولوج الشمس ؛ ليسبر غورها ، ويكشف لثامها ؛ ولم لا : ألم يتقلب على سائر الأجواء ، ويتملك الأرض والسماء ؟ ! فإن كانت الشمس قطعة من النيران ؛ فإنه يستطيع حتماً مكافئتها بما أوتي من حنق وعلم ؛ فلماذا كل صاعد إلى الشمس آلة صغيرة مما أعد لإطفاء الحرائق ؟ فيعيش في النيران ، كما يعيش النعم في الجنات !

إِنَّمَا سَاءَتْ مَسْقَرًا وَمَقَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَفُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْنُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ نُوبٌ إِلَى اللَّهِ مِنَّا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوَايِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِعَائِتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صُخْرًا وَعِيقَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَفَرِّغْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا مَتَّعِينَ ۖ إِنَّمَا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَةً

وَسَلَامًا ۖ

وإذا ملك الإنسان الكواكب واستعمرها - كما يزعم - فهل يقف عند ذلك ؛ أم يقبل ناظره إلى العرش والكرسي ، وإلى الملك اللانهائي ؛ فيقطع في معرفة حدوده وأركانه ونجومه ؛ وكيف نشأ الكون ؟ وكيف بدأ ؟ وكيف صنع ؟ ومن هو هذا الصانع ؟ وأين هو ؟ هل إلى لقاءه ؛ بل إلى محاربه ! ألم تنكر وجوده ؟ ألم تنكر بحقيقته ؟ ألم تقل : لا إله إلا المادة ، ولا خالق إلا الطبيعة ، ولا رازق إلا السعي ، وأن مخلوقات إنما خلقت من لا شيء ، والموجودات وجدت من غير شيء ؟ وما هو الكون قد جيناه ، والملكوت قد حصرناه ؛ فأين يوجد ما تزعمون أنه الله ؟ !

== فيا أيها الأحمق الأخرق : لقد وصلت إلى درجة من الفهم ؛ ما كنت لتعلمها لولا ما وهبك الله تعالى من عقل ، ووصلت إلى درجة من العلم ؛ ما كنت لتعلمها لولا هداية العزيز الأكرم ، الذى «علم الإنسان ما لم يعلم» فقد استطعت أن تقيس سرعة الصوت والضوء ، وأن تحسب تنقلات الشمس والقمر في بروجهما ، وتحديد زمن كسوفهما وخسوفهما ؛ وشأن كليهما وتأثيره في الحيوان ، والنبات ، والجماد . وقد أدركت - بما علمك الله تعالى - بعض القوانين الكونية ، وكثيراً من الأسرار الطبيعية !

كل ذلك قيم بهدايتك إلى خالقك وموجدك ، وجدير بإنابتك له وتعبدك ! ولكنك أيها الإنسان - كشأنك دائماً - جحود كنود^(١) فقد جعلت هذه الفتوحات الربانية باباً لكفرك وتكذيبك ، ومصدراً لإلحادك وعنادك ؛ ولم تقل : جل الصانع ، وتبارك الخالق ! بل قلت : ما أجل الطبيعة وأبدعها ! أليست هي مصدر الكون ، وأصل الحياة ؟ وما الكون إلا وليد الصدفة ، وما الإنسان إلا وليد الطبيعة !

فيا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، في أى صورة ماشاء ربك ! اعلم أن الذى أدركته وملكنه واستعمرته : لا يبدل قطرة من بحر ملك ربك الزاخر ، وأن ماعلمته من الكواكب ، وما أدركته من صفاتها ومقوماتها ؛ إن هو إلا ذرة في مجموعة من النجوم - لا تستطيع أن تحصيها ولو أضفت إلى عمرك أعمار النور ، وأضفيت على نفسك قوى الجابرة والمخالقة - وهذه النجوم مجتمعة - ما عرفت منها ولم تعرف - إن هي إلا ذرة في مجموعة أخرى ؛ لا يحيط بها العلم ، ولا يدركها الوهم ؛ وهكذا هكذا بغير انتهاء !

واعلم أنك - وقد استنويت خلقاً ، وأوتيت علماً وفهماً ، وسلطك الله تعالى على ما هو أكبر منك جسماً ، وأشدّ مراساً ؛ من مخلوقاته - لو سلط عليك قليلاً من النمل لأهلكك ، أو ريحاً من الرمل لأفنتك ! وهما هو الميكروب الذى عرفته ، وبما أنك الله تعالى من علم اكتشفته : لو سلطه الله تعالى عليك لجمعك كالغصن الماء كقول : كما فعل بأصحاب القيل !

فيا أخى في الإنسانية ، وعدوى في اللادينية : نب إلى رشدك ، وقف عند حدك ، والزم أدبك ؛ واعلم أن نفسك ليست بأخس من النمل ، ولا بأحق من الحديدة في حافر البقل ؛ وهما لا يوجدان بغير موجد ، =

سورة الشعراء ٤٤٣

وَسَلِّمًا ۝ خَلَدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝
قُلْ مَا يَعْبُؤُنَا بِكَ رَبِّي يَوْمَ دُعَاؤُكَ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

(٣٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ
الآيَةُ ١٩٧ وَهِيَ ٢٢٤ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ لَقَدْ نَزَّلَ
وَأَنبَأَهَا ٢٢٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَسَمَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ
بَنَحْتَ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّسَأُ نَزَّلَ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا قَسِيئَتِهِمْ أُنْبِئُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرُنِيفَتِهَا

ما هو أكبر منك جسماً ، وأشدّ مراساً ؛ من مخلوقاته - لو سلط عليك قليلاً من النمل لأهلكك ، أو ريحاً من الرمل لأفنتك ! وهما هو الميكروب الذى عرفته ، وبما أنك الله تعالى من علم اكتشفته : لو سلطه الله تعالى عليك لجمعك كالغصن الماء كقول : كما فعل بأصحاب القيل !

(١) الكنود : الكافر بالنعمة ، الجاحد لها .

= ولا يكونان بغير مكون . فكيف توجد أنت - يلابس الحذاء ، وراكب البغل - بلا خالق ، وتأكل بلا رازق ، وتولد بلا مصور ، وتتعلم بلا معلم ، وتترى بلا مرب ، وتحفظ بلا حفيظ ، وتهتدى بلا هاد ، وتغني بلا مغن ؟ كيف يفوتك ذلك وأنت اللبيب الأريب ؟ وقد أبان لك الله تعالى الطريقين ، وهما النجدين ؛ فاحذر يا أخی من الوقوع في برائث الشيطان ؛ إنه لك عدو مبين ؛ ولأن لك لناصح أمين ! ومن عجب أنت يتبرع أناس بأنفسهم ، ويضحون بأرواحهم ، ويطلبون أن يكونوا من بين المسافرين

الجزء التاسع عشر

٤٤٤

إلى الكواكب ؛ كأن السفر إلى الكواكب قد أصبح بين عشية وضحاها حقيقة ثابتة واقعة لا محالة . ومثلهم في ذلك كمثل من سعى إلى حظه بظلفه ؛ فلن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر ! فكما أن أجواء أعماق البحار والأنهار غير صالحة لسكنى بني الإنسان - مع صلاحيتها لسكنى كثير من الحيوان - فإن أجواء الكواكب لا تصلح لسكنائه ، أو لبقائه بضع دقائق على قيد الحياة ؛ كما أن الأرض لا تصلح لحياة ساكني البحار ، ولا ساكني الكواكب .

هذا وقد قال الحكيم العليم - في معرض التحجيز والتجدي - « يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذوا إلا بسلطان » أي بقوة عظيمة قاهرة ؛ وأنى لكم ذلك ؟ « يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » فإن استطعتم يامعشر البلهاء ؛ أن تبلغوا الكواكب فابلقوها ، وأن تصعدوا إلى النجوم فاصعدوا إليها ؛ فقد سبقكم إلى ذلك فرعون ؛ حيث قال لهامات : « ياهامان ابن لي صرحاً لعل أبلغ الأسباب : أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى ولأنى لأظنه كاذباً » فما نالهما سوى الخزي والحزان !

وما فرعون وهامان بالكفر ولا أحق

منكم ؛ فقد كذب بخالفه كما كذبت ، وأنكر إلهه كما أنكروا ؛ فأنتم في الغفلة سواء ؛ كما أنكم في الكفر أشقاء ؛ ولم يبق إلا أن تنزل بساحتكم الأرضاء ، وبمحسومكم الأدوية ؛ ومالككم جميعاً إلى النار ، وبئس القرار ! فيا أيها الناس استجيبوا لقول خالق الناس ؛ واحذروا ما أعد له أمثالكم من نار ونحاس ؛ واحفظوا على أنفسكم أموالكم وعقولكم ؛ واعلموا أن استعمار الأنهار ، وسكنى قاع البحار ؛ أقرب إليكم من استعمار الكواكب وسكنائها « فهل أنتم متبهون ! » (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) أي يخلف أحدهما الآخر (لمن أراد أن يذكر) يذكرك ؛ فإن فاتته عبادة في أحدهما ؛ أدركها في الآخر (أو أراد شكوراً) أو أراد أن يشكر ربه . هذا وشكره تعالى باللسان : أقل مراتب الشكر ؛ وإعسا يكون الشكر بالعبادة ، والصدقة ، =

على

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَـرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضْحِكُوا مِنِّي وَلا يَتَّبِعُوا لِسَانِي فَأَرْسَلْ لَكَ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبْنَا بِإِلَيْنَا إِنَّا أَمَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنبَأَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَيْثٌ فِينَا مِنْ عَمَلِكُمْ سِينِينَ ﴿١٨﴾ وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ لَأَنِّي فَعَلْتُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكَ لَمَّا خَشَّكَ فَوَهَبَ لِي رِجِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا

= والصيام ، والقيام ! (انظر آية ١٥٢ من سورة البقرة) (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أى متواضعين ، هينين ؛ بدون كبر ، ولا مرح ، ولا بطرا (وإذا خاطبهم الجاهلون) بسفهمهم : قابلهو بمحلمهم ؛ و (قالوا سلاما) أى قالوا قولاً يسلمون به من الإثم الذى وقع فيه الجاهلون (إت عذابها كان غراما) أى هلاكا لازماً ، ومغرماً لا كسب فيه (والذين إذا أقفروا) نفقة على أنفسهم وعيالهم (لم يسرفوا ولم يقتروا) أما إذا كان الإتفاق فى الصدقات ؛ فيستحب الإسراف فيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لا سرف فى الخير» (وكان بين ذلك قواما) أى عدلا بين الإسراف

سورة الشعراء ٤٤٥

عَلَى أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ فَرَحُونَ وَمَا رَبُّ
الْعَالِينَ ۚ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۚ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تُسْمِعُونَ ۚ
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۚ قَالَ إِنْ وَسْوَسَ
الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۚ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۚ قَالَ لَنْ
أَتَّخِذَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَآ أُجَلِّسَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ۚ
قَالَ أَوَلَمْ تَرَ جُنُودَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ قَالَتْ قِيَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُعْبَدُ
مُسِينٌ ۚ وَتَرَىٰ بَدَنَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنَّظِيرِينَ ۚ
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْعَرٌ عَلِيمٌ ۚ يُرِيدُ أَنْ
يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِعِجْرِهِ ۚ فَأَإِذَا تَمَامُرُونَ ۚ قَالُوا
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۚ يَأْتُوكَ

والتقير ؛ وكفى بالمرء سرفاً : أى يذلل نفسه
كل ما يتبغيه (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً)
أى جزاء الإثم . وأى (ثم أشد من الإسراف ،
والفرك ، وقتل النفس ، وارتكاب الزنا
(ويخلد فيه مهاناً) أى يخلد فى العذاب خلوداً
أبدياً لا انقضاء له ! (انظر آية ٩٣ من سورة
النساء) (إلا من تاب) عن الإسراف ،
والمصيان ، والقتل ؛ قبل أن يدركه الموت
وأسيابه (وآمن) بالله إيماناً يقيناً (وعمل)
عملاً صالحاً) وذلك لأن الإيمان لا يتم إلا بالعمل
الصالح بعد أن بين الله تعالى الموبات المهلكات ،
وذكر جزاءها ؛ وهو الخلود فى النار : ذكر
إيماناً من أكبر الآثام وأشدها : وهو شهادة
الزور (والذين يشهدون الزور) ولا يخفى
ما فى شهادة الزور من ضياع للعقوب ، واثلاف
للأموال ، وإفساد للضامر ؛ إلى غير ذلك من
إهدار للدماء ، وفشو للجرائم ! وشهادة
الزور : من أكبر الكبائر قال صلى الله تعالى
عليه وسلم «ألا أنيتكم بأكثر الكبائر؟ قالوا :
بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله ،
وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس - وقال :
ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور ،
ألا وشهادة الزور !» كررها ثلاثاً ؛ لمزيد
قبحها ، وفادح شرها ! هذا وقد كان قدماء

المصريين يحكون على شاهد الزور بالقتل (وإذا مروا باللغو) أى بالفحش ، وكل ما ينبغى أن يلقى وي طرح .
والغنى : وإذا مروا بأهل اللغو (مروا كراماً) أى معرضين عنهم (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) أى
قرئ القرآن ، أو ذكروا بما فيه (لم يخروا عليها صما وعمياناً) أى بل يسمعونها ، ويتصرون فيها ؛
ليصلوا بها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) بأن يكونوا طامعين لك ولنا ،
مشفقين منك وعلينا . وقررة العين : هدوؤها واستقرارها بلا طمشتات ؛ أو هو من القر : وهو السرد ؛
لأن دمع السرور : بارد ، ودمع الحزن : ساخن . ولذا يقال فى الدعاء : أفر الله عينك ، وأسغن عين
عدوك ! (واجعلنا للمتقين إماما) أى قدوة يقتدى بنا فى الخير (أولئك) الموصوفون بما ذكر (يجزون) =

= على صميمهم وقولهم هذا (الفرقة) من واحدة الغرقات ؛ وهي أعلى الجنات ؛ ومنه قوله تعالى «وم
في الغرقات آمنون» وقيل: الفرقة: الدرجة العليا (بما صدوا) أي جزاء صبرهم على الطاعات ، وعن المصاحي
(قل) يا محمد لكفار مكة (مايأبأ) ما يكثر (بكم ربنا لولا دعاؤكم) له في اللغات والشدائد ؛ فيكشفها عنكم :
إيماناً لألوهيته وربوبيته ؛ وتسجيلاً لعدولكم عن الإيمان إلى الشرك ، وكفركم بربكم ؛ بعد إيمانكم
وإيمانكم ؛ قال تعالى «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم بيشركون»
(فقد كذبتم) بالقرآن والرسول (فسوف يكون
لزاماً) أي سوف يكون تكذيبكم هذا لزاماً
لكم ؛ تجزون به ، وتعاقبون عليه ؛ أو سوف
يكون العذاب ملازماً لكم !

الجزء التاسع عشر

٤٤٦

(سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(لعلك باخع نفسك) أي فاتها حزناً وغماً
(إن نشأ نزل عليهم من السماء آية) أي إن
نشأ لإيمانهم قسراً : نزل عليهم من السماء
برهاناً وجهاً ، ومعجزة ظاهرة (فظلت
أعناقهم لها خاضعين) أي فظل رؤسناؤهم
ومقدمهم ، أو جماعاتهم لها منقادين . وجاء
في اللغة : العنق : بمعنى الرئيس ، أو الجماعة
(وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن
حدث) جديد بالنسبة إليهم ؛ قديم بالنسبة
لنزله تعالى :

آيات حق من الرحمن محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

(فقد كذبوا) بريهم وآياته ورسله (فسياأتهم
أنباء) عواقب (من كل زوج) صف من
الشار والأزهار ، والمطعم والمشوم (كريم)
حسن نفيس (إن في ذلك) الإنبات (لآية)

دالة على وحدانيته تعالى ، وكمال قدرته (ويضيق صدرى) من تكذيبهم لي (ولا ينطق لساني) في حاجتهم .
قيل : كانت به لغة تمنعه من الانطلاق في الكلام (فأرسل إلى) أخى (هرون) أي اجعله معي رسولا
إلى فرعون وقومه (ولهم على ذنب) هو قتله للقبلى (انظر آية ١٥ من سورة القصص) (قال) تعالى
(كلا) لا تخافا (فأذهبا بآياتنا) بمجيئنا الدالة على صدقكما ووحدايتنا (قال) فرعون لموسى ؛ حين قال
له «إنا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بنى إسرائيل» (ألم نربك فينا ولیداً) أراد فرعون أن يذكر
موسى بتفضله عليه بالتربية ؛ ولم يعلم اللعين أن الله تعالى هو ربه وحميه (وفعلت فطنتك التي فعلت) المراد
بالفعل : قتله للقبلى (وأنت من الكافرين) بتربيته لك ، ونمى عليك (قال فعلتها إذا) أي حينئذ =

إن

= (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) أى لم أكن بعثت ، ولم تأتني الرسالة بعد (فذهب لى ربي حكماً) أى علماً غزيراً ؛ أستطيع بواسطته الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً (وتلك) القالة التى تقولها ؛ من أنك ربيتنى وليداً ، وأبقيتنى بينكم سنين من عمرى (نعمة) حقيقة (عنها على) ولكن ماقيمتها بعد (أن عبدت بنى إسرائيل) وأذللتهم ؛ وفى ذلك إزدلال لى أيضاً ؛ لأن كرامة النوع الإنسانى لا تتجزأ (قال) موسى لفرعون (أولو جثتك بشيء مبین) بمجرة ظاهرة بينة (قال) فرعون (فأت به) أى بهذا الشيء المبین (إن كنت من الصادقين)

فى دعواك (فأتى) موسى (عصاه) التى كان ممسكاً بها فى يده يتوكأ عليها (فإذا مى ثعبان مبین) ضخم عظيم (ونزع يده) أخرجهما من جيبه (فإذا مى بيضاء للناظرين) تسطع نوراً يغشى الأبصار ؛ وليس بياضاً كيباض البرص (قال) فرعون (للعلل) الذين (حوله) من شيعته ، المؤمنين بربوبيته (إن هذا) يعنى موسى عليه السلام (أرجه وأخاه) أن أرحبهما وأخرهما (وابت فى المدائن حاشرين) جامعين (جمع السحرة لمقات) لوقت (يوم معلوم) هو وقت الضحى من يوم الزينة (قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً) عندك (إن كنا نحن الغالين) لموسى (قال لهم موسى) أى قال للسحرة (ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر (فألقوا) جبالهم وعصيمهم (فيل لى موسى أنها حيات تسمى (وقالوا) حيناً ألقوا ما ألقوا (بغزة فرعون) مولانا ولهنا (تلقف) تتبلاع (ما يافكون) ما يزورون من تخييل الجبال والصى أنها حيات . فلما رأى السحرة ما فعله موسى بسحرهم ، وعلوموا أن ما جاء به ليس بسحر ؛ لأن السحر : تبقى معاداته وأدواته ، ولا تمحى ؛ وقد لقت عصاه جبالهم وعصيمهم ، ولم يبق أثر لها (فأتى السحرة) على وجوههم (ساجدين) لرب موسى وهارون ؛ بعد أن كانوا يقولون « بغزة فرعون إنا نحن الغالبون »

وأصبح من يستعين بهم فرعون : عوناً عليه ، لاعوناً له ؛ فأسقط فى يد اللعين ، وحل به الجزى والعار فى عقر داره ، وبين أهله وأنصاره . وحينئذ (قال) مخاطباً سحرته (ما أنتم له) أى هل آمنت موسى (قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إنه) أى موسى (لكبيركم الذى علمكم السحر) أراد أن يوم قومه أن سحر موسى من جنس سحر السحرة ؛ كيف لا : وقد أحال موسى عصاه حية ؛ كما أحالوا جبالهم وعصيمهم حيات . وفاته أن السحرة - وهم أدرى الناس وأعلمهم بالسحر - قد علوموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر ؛ وإنما هو من صنع فاطر الأرض والسموات ا (قالوا لا ضير) لا ضرر (إنا لى ربنا منقلبون) راجعون إليه ؛ فيجزينا على ما نقتل بنا خير الجزاء ! لقد آمن السحرة إيماناً صحيحاً يقينياً ، ووثقوا بالبحث والحساب ، =

أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
 * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ۝
 فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لَشَرِذْمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ لَنَا أَغْلَاطُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
 حَاشِرُونَ ۝ فَاتْرَجْنَهُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَعَمِيُونَ ۝
 وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
 إِسْرَءِيلَ ۝ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۝ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُعَاتِ
 قَالَ أَتَحِبُّ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُنْذِرُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
 رَبِّي سَيِّدِي ۝ فَاتَّخَذْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ
 الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝
 وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ
 أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَفِيرُ

== والثواب والعقاب ؟ يدل على ذلك قولهم (إنا نطمع) بإيماننا وإيماننا (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) التي ارتكبتها حال كفرنا (أن) أي بأت (كنا أول المؤمنين) من شيعتك (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) أي سر بهم ليلا (إنكم متبعون) سبيكم فرعون وجنوده ؛ بقصد إهلاككم والقضاء عليكم (فأرسل فرعون في المداخن) التابعة له (حاشرين) جامعين لقوات جيشه ؛ قائلا لهم (إن هؤلاء) يقصد موسى ومن آمن معه (لشردمة) طائفة قليلة (ولأنهم لنا غافلون) اعترف عدو الله بالخزي والذلة ؛ وأن المؤمنين قليلون ؛ غير أنهم له غافلون ١ وسيرى يوم

الجزء التاسع عشر

٤٤٨

القيامة الذل الأكبر ، والخزي الأعظم ، والفيظ الأعم ؛ حين يقدم قومه يوم القيامة ؛ فيوردن النار ، وبش الورد المورود ١ (ولنا لجميع حاذرون) متيقظون (فأخرجنا من جنات) بساتين (وعيون) أنهار جارية ؛ ظاهرة للعيان (وكنوز ومقام كريم) المقصود بها أرض مصر ؛ ولا يخفى ما اكتشف فيها حتى الآن من الكنوز الزاهرة التي خلقها الفراعنة . والمراد بالمقام الكريم : الدور الرفيعة ، والقصور المشيدة ؛ التي كانوا يقيمون فيها ، ويمرحون في جناتها (وأورثناها بني إسرائيل) أي ملكنا بني إسرائيل مصر وما فيها من «جنات وعبود وكنوز ومقام كريم» بعد إغراق فرعون وقومه (فأنعموا مشرقين) أي وقت شروق الشمس أو توجهوا جهة المشرق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل فريق منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا حتما فرعون وأصحابه ، ويقضون علينا (قال) موسى ؛ مطمئنا لوعده ربنا بإنجائه (كلا إن منى ربى) بعونه وإرشاده (سيهدين) إلى ما ينبغي . وحين وثق موسى بربه ، وتأكد من نصرته وموعته : أمده الله تعالى بالقوى التي لا تقاوم ، وبالنصر المؤزر الذي لا يدافع ؛ وأوحى ربه

الرَّحِمِ ١٠٠ وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ١٠١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ١٠٢ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَسَكِينَ ١٠٣ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُوهُمْ ١٠٤ أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ١٠٥ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَكُلَّكَ يَفْعَلُونَ ١٠٦ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ١٠٧ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ١٠٨ فَهَئِنَّمَا عَلَوْتُ عَلَيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٩ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ١١٠ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ١١١ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ١١٢ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ١١٣ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئِي ١١٤ يَوْمَ الدِّينِ ١١٥ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَارْحَمْنِي بِالصَّالِحِينَ ١١٦ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ١١٧ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ١١٨ وَأَغْفِرْ لَأَيِّهَاً إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٩ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ١٢٠

يوم

إليه (أن اضرب بمصاك البحر) فضربه (فانفلق) الماء عن الأرض اليابسة (فكان كل فرق كالطود) كالجبل (وأزفنا) قربنا (ثم) هناك (الآخرين) فرعون وقومه (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحرورم على الأرض ؛ بعد انجسار الماء عنها (ثم أغرقنا الآخرين) لأنهم تبعوا موسى في الطريق الذي سار فيه ؛ فأمر الله تعالى البحر فأطبق عليهم ؛ فأغرقهم عن آخرهم (إن في ذلك) الإنجاء والإهلاك (آية) لعبدة لمن يمتد (قالوا نعبد أصناما فنظلل لها عاكفين) أي على عبادتها مداومين (فأنهم) أي الأصنام التي تعبدونها (عدول) لا أعبدكم مثلكم ، ولا أوالهيم (لأرب العالمين) فاني أعبده ؛ لأنه خالق ومالكي ورازق ؛ وهو السميع العليم . النافع الضار ١ (والذي أطعم) أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يوم الجزاء ؛ =

= وهو يوم القيامة . واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : تواضع منهم لربهم ، وتطهير لأمتهم ؛ أو هو لذنوب سلفت منهم قبل اختيارهم ، واضطلاعهم بعمام الرسالة ؛ وخطاياهم - إن صح أن لهم خطايا - لا تعدو الصفائر المغفوعة عنها ؛ إذ أنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكبائر حتماً (رب هب لي حكماً) علماً يقيني الخطأ والزلل (وألحقني بالصالحين) بمن تقدمني من الأنبياء (واجعل لي لسان صدق) أى تناء وذكر أحسنًا (في الآخرين) فيمن يأتي بعدى إلى يوم القيامة ! وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، وجعل له

ذكر أحسنًا إلى يوم الدين : فلا يصلى مصل إلا إذا صلى عليه في صلاته ، ولا يؤمن مؤمن إلا إذا آمن بنبوته واعتزف بفضله ، وأثنى عليه الثناء كله : اللهم صل على سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد ! (ولا تخزني) لا تفضحنى (يوم يبعثون) فيبعثنا : إبراهيم خليل الله تعالى ونبىه - بل قدوة أنبيائه - وصاحب الملة الحنيفية : يدعو ربه ويسأله ألا يفضحه يوم القيامة ! ونحن وحالنا كما لا يخفى : إيمان قاصر ، وعمل فاجر ، ورياء وثفاق ، وخضومات وشقاق ؛ ونظن أن لنا يوم البعث القدر الأعلى ، والقدح المعلى ! فإلما أيها المسكين إلى ربك بالدعاء واجأر إليه بالرجاء ؛ عسى أن يكتبك في عداد الناجين ، الفائزين ، المقبولين ! (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) من الشرك ، والنفاق ، والموالحدة «سليم» بالإيمان ؛ لأن قلب الكافر والنافق : مريض ؛ لقوله تعالى (في قلوبهم مرض) (وأزلفت الجنة) قربت ، وهيئت ، وأعدت (وبرزت الجحيم) أظهرت (للفاوين) الكافرين ، الهالكين (فككبوا فيها) طرح بعضهم على بعض في الجحيم (هم والفاوون) أى كيبك الآلهة - وهى الأصنام - «والفاوون» وهم الكافرون

(وجنود إبليس أجمعون) وهم أتباعه ، ومن أطاعه ؛ من الجن والإنس (تالله) قسم فيه معنى التعجب (إن كنا) في الدنيا (لنرى ضلال مبين) ظاهره ، بين (إذ نسويكم) أيها الشياطين ؛ في الطاعة والعبادة (رب العالمين) الذى ينفع ويضر ، ويحيى ويميت (فلو أن لنا كرة) أى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا (فتكون من المؤمنين) الناجين (إن في ذلك) المذكور ؛ من مجادلة إبراهيم لأبيه وقومه ، وذكر ما أعد الله تعالى للمؤمنين ؛ من نعيم مقيم ، وللكافرين من عذاب أليم ؛ إن في ذكر ذلك جميعه (آية) عظة وعبرة

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢﴾ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ وَبَرَزْتُ لِلْجَحِيمِ لِلْفَافِينَ ﴿٤﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٥﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٦﴾ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ ﴿٧﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَظُنُّكَ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٣﴾ وَلَا صِدْقَ بَيْمٍ ﴿١٤﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(قالوا أنؤمن لك واتبعك الأذفلون) السفلة والرعاع (قال وما علمي بما كانوا يعملون) أي لست أعلم بما كانوا يعملون ؛ وغاية علمي أنهم آمنوا وكفرتهم ، وصدقوا وكذبتم ، وأطاعوا وعصيتهم ، واهتدوا وضلّتم ؛ وهذه هي ظواهرهم ؛ وليس لي أن أطلع على سرائرهم (إن) ما (حسابهم لا على ربي) فهو عالم السر وأخفى (لو تشعرون) لو تعلمون (لنكونن) من المرجومين (المقتولين بالحجارة) (فافتح بيني وبينهم) أي احكم بيني وبينهم حكماً . وحكمه جل شأنه : عدل كله ، وصواب كله ! فكأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه طلب إهلاك الكافرين ، وإنجاء المؤمنين (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) السفينة المملوءة (كذبت عاد المرسلين) عبر القرآن الكريم بصيغة الجمع «المرسلين» لأن مكذب الرسول الواحد : مكذب لسائر من تقدمه من الرسل

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالِينَ ﴿١٠١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٢﴾ * قَالُوا أَنْتُمْ نُنْزِلُكُمْ وَأَتَّبِعْكَ الْأَرْضُ ذَلُولًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا لَيْسَ لَهُ تَفَهُؤٌ يَنْتَوَحُّ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٠٩﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَھُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ لِيَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(وما أسألكم عليه) أى على التبليغ (أتبتون بكل ربيع آية تعبتون) كانوا يبتنون بكل مكان مرتفع ربما يجلسون فيه ، ويسخرون بمن يمر بهم من المؤمنين (وتتخذون مصانع) قصوراً ، أو حصوناً (وإذا بطشتم) بضرب

أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة ولا رحمة (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) أنعم عليكم بالنعم الظاهرة ؛ التى تحسونها وتعلمونها ؛ وفسرها تعالى بقوله (أمدكم بأنعام) تركبوا عليها ، وتأكلون من لحومها ، وتشربون من ألبانها ، وتكتسبون من أوبارها وأشعارها (وبين) أى وأمدكم بينين يعاونونكم ، وتقر بهم أعينكم (وجنات) يساتين ؛ ممرحون فيها ، وتعمعون بها كهتها (وعيون) أنهار جارية ؛ تراها العين (إني) أخاف عليكم (إن يقيم على حالكم من الكفر ، والظلم ، والبطش (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا بالأسستصال ، وفى الآخرة بالعذاب الأليم المقيم ! (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فإنا لا نسمع ، ولا نستمع لوعظك (إن هذا) ما هذا الذى نحن فيه (إلا خلق الأولين) عادة الأولين وطبعهم ونسوت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر (وما نحن بمعذبين) أو المعنى : ما هذا الذى نقوله ، وتأمرنا به ؛ إلا أكاذيب الأولين واختلافهم ؛ يؤده قراءة من قرأ فخلق الأولين (فكذبوه) أى فأصروا على تكذيبه (فأهلكناهم) بالريح ؛ قال تعالى «وما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية» (إن فى ذلك) الإهلاك (آية) عظة وعبرة (وما كان أكثرهم

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥١﴾ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿٤٥٢﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿٤٥٣﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿٤٥٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤٥٥﴾ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٥٦﴾ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥٧﴾ إِنْ يَأْخُذْ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٥٨﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُعْظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿٤٥٩﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٦٠﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٤٦١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَّهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّأُولِي بَصِيرَةٍ ﴿٤٦٢﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٦٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٦٤﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ثَمُودَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٦٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٦٦﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤٦٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

مؤمنين) فكاتبوا من الهالكين ؛ ولم يؤمن يهود إلا قليل ؛ أنجاهم الله معه (كذبت ثمود المرسلين) لأن تكذيبهم لرسولهم صالح ؛ تكذيب لمن سبقه من المرسلين (إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الله ، وتحقون بآية ؛ فتؤمنون به (وما أسألكم عليه) أى على التبليغ

إِن تَبْرَأْ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُنَّ
 ءَامِنِينَ ﴿١٣٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ
 طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَتَجْنُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٣٩﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
 الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٤٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا
 أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٤٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا
 شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٤٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 تَلْعَمِينَ ﴿١٤٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٩﴾
 كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ اخْرُجُوا
 آلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ إِلَى لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ

(أتتركون فيها ههنا) أى في الدنيا ، وفيما أنتم
 فيه (أمين) من سوء والعذاب ؟ وقد كانوا
 معمرين ؛ يدل عليه قوله تعالى «واستعمركم
 فيها» (في جنات) بساتين (وعيون) أنهار
 (وزروع) وهو كل ما يزرع (ونخل طلعها)
 ثمرها (هضم) لين ؛ كالرطب ، أو مش نضج
 (وتجْنُونَ من الجبال بيوتاً فارهين) نشطين
 حاذقين ؛ ومن قرأ «فرهين» أراد بطرين
 متكبرين (ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين
 (الذين يفسدون في الأرض) بالمعاصي (قالوا)
 إنما أنت من المسحَرين (الذين غلب على عقولهم
 السحر ؛ والمراد به : نسفته عليه السلام إلى
 الجنون (فانت بآية) معجزة تدل على صدقك
 (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء
 للشرب (فمقروها) ذبحوها . عقرها واحد
 منهم ؛ ونسب المقر لجميعهم : لأنهم رضوا عن
 فعله ؛ فكان جزاؤهم بكراهته (فأخذهم العذاب)
 بالرجفة ، أو الصيحة ؛ التي طفت عليهم ؛
 فأهلكوا جميعاً . قال تعالى «فأما نوحاً هلكوا
 بالطاغية»

وَأَطِيعُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا
 عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ أَنَا تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ
 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ نَنْتَقِ بِنُوحٍ نَلُوطَ لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُخْرَجِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ إِنِّي لَعَمْرُكَ مِنَ الْفَالِينَ ﴿٥٠﴾ رَبِّ
 نَجِّنِي وَأَهْلِي مَعَ الْعَمَلُونَ ﴿٥١﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٥٢﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٥٤﴾
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٥﴾ إِنْ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٨﴾
 إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ ﴿٦٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦١﴾ وَمَا أَسْأَلُكَ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾

(أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله)
 (أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله)
 (أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله) (أنا توكلت على الله)

هذا وحكم اللواط: كحكم الزنا؛ ألا ترى
 أن الله تعالى وصف اللاطين هنا بالعدوان
 «بل أنتم قوم عادون» ووصف الزانين بقوله
 «فأولئك هم العادون» فوجب أن يقام الحد
 على اللاط؛ كما يقام على الزاني. وذهب قوم
 إلى وجوب إلقائه من حلق! (انظر آية ٧ من
 سورة المؤمنون) (لنكون من المخرجين)
 المطرودين (قال إني لعمرك) لفسقكم (من
 الفالين) المبغضين (إلا عجوزاً في الغدير)
 الباقيين في العذاب؛ ومي امرأته: أهلكها
 الله تعالى فيمن أهلك (ثم دمرنا) أهلكنا
 (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أمطرم الله تعالى
 حجارة. قيل: إن جبريل عليه الصلاة والسلام
 خسف الأرض بقرية قوم لوط، وجعل عليها
 سافلاً، وأمطر من كان منهم خارج القرية
 بالحجارة (وإن ربك هو العزيز) الغالب الذي
 لا يقاب؛ المنتقم من أعدائه (الرحيم) بعباده
 وأوليائه؛ فلا يحملهم مالا طافه لهم به؛ ولا يؤاخذهم بذنوب غيرهم؛ (كذب أصحاب الأيكة) هم قوم شعيب
 عليه السلام؛ و«الأيكة»: الفيضة؛ وهي مجتمع الشجر

(ولا تكونوا من الخسرين) الذين ينقصون الناس حقوقهم ، أو الذين خسروا أنفسهم وآخرتهم (وزنوا بالقسط) الميزان (ولا تبخسوا) لا تنقصوا (ولا تشوا) أشد الفساد (والجيلة) الخليفة (قالوا إنما أنت من السحرة) الذين اختلط عقولهم ، وغلب عليهم السحر (فأسقط علينا كسفاً) قطعاً (من السماء) وهذا كقولهم والله إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (فأخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلتهم ؛ بعد أن عذبوا بالحر الشديد سبعة أيام ؛ فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها ، طامعين في بردها ومائها ؛ فأمطرتهم نارا : فاحترقوا عن آخرهم . قيل : كان لمدن ستة ملوك ؛ يسمون : أبجد ، هوز ، حطى ، ككن ، سغص ، قرشت ؛ وقد وضعت العرب الكناية العربية على عدد حروفهم ؛ بعد زيادة ستة أحرف ؛ جموها في مخذ ، ضلف . وكان رئيسهم : ككن . هلكوا جميعاً - فبين هلك - يوم الظلة ؛ وقد رنت ابنة ككن أباهم بقولها :

ككن مدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أماته الـ حنق نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم دارهم كالضحية
(ولأنه) أى القرآن الذى يكتبون به (لتنزيل رب العالمين) العالمين : جمع العالم ، والعالم : الخلق كله ؛ من إنس وجن ، وطير ووحش (نزل به الروح الأمين) جبريل عليه السلام : أمين وحى الله (ولأنه لى زبر الأولين) كتبهم . أى إن القرآن ثابت مذكور فى الكتب السالوة المتقدمة (أولم يكن لهم آية) علامة على صدقك

٤٥٤ الجزء التاسع عشر

• أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾
وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الِّسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُسَيِّدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَنْفُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابٌ يَّوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَلَئِن نَّزَّلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَّنَا الْآيَةُ لَأُولَىٰ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ

(أن يعلم) يعلم هذا القرآن ، ويعلم أنه منزل من لدن ربك (علماء بني إسرائيل) الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام : كعبد الله بن سلام ، وكعب الأجار ، وأضرابهما ؛ وقد صاروا من علماء المسلمين . وقد قال قائل : ما من أمة إلا وعلاؤها شرارها ؛ إلا هذه الأمة الحمدة : فإن علماءها خيرها ! فلينظر علماء الأمة الإسلامية اليوم إلى هذا القول ، وليدبروه ، وليجتهدوا أن يكونوا مصداقاً له . قال الصادق المصدوق ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : «يؤتى بالرجل يوم القيامة ؛ فيلقى في النار ؛ فتندلق أقطاب بطنه ؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار ؛ فيقولون : يا فلان ، مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية» وفي رواية : «أول أهل النار دخولا : عالم يلقى في النار . . . الحديث» (ولو نزلناه على بعض الأعمى) جمع أعمى ؛ وهو الحيوان ؛ لأنه لا ينطق . وقيل : هو جمع أعمى . وهو الذى لا يفصح وإن كان غريباً . وقرأ الحسن «الأعمى» جمع أعمى ؛ وهو الذى لا ينطق العربية (كذلك سلكناه) أى القرآن : أدخلناه (في قلوب المجرمين) الكافرين : سلكناه في قلوبهم ؛ بحيث يعقلونه - إذا أرادوا - أليس يعقل كل مائة ١٩ ويفهمونه - إذا رغبوا - أليس معلوماً ، وواضحاً مفهوماً ؟ ! وذلك لأن تكذيبهم به - بعد دخوله في قلوبهم - أعظم كفراً ، وأشد وزراً ؛ من تكذيبهم لشيء لم يعلموه ، ولم يفهموه ، ولم يطرُق لهم قلباً ، أو يقرع لهم لباً ؛ فإن المكذب بالحق بعد معرفته له : شر من المكذب لما لا يفقه ، ولا يعرف . وقد سلكه الله تعالى في قلوبهم : لإزائماً لهم ، وحجة عليهم ! لكنهم استكبروا استكباراً ، وأصرروا على كفرهم إصراراً : فلم يؤمنوا

٤٥٥

سورة الشعراء

عَايَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ وَلَوْ زَلَلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَنْجُمِينَ ۚ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يُمِيزُونَ ۚ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۚ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ فَيَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۚ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۚ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۚ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْنَعُونَ ۚ وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هُمْ يُنذِرُونَ ۚ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۚ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۚ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْبَاطِلِينَ ۚ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۚ وَانْخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

عما سلكه الله تعالى في قلوبهم ، ويسره على أفهامهم . ونظيره قوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» وقوله جل شأنه ؛ خطاباً للكفار «سيركم آياته فتعترفونها» وقوله عز سلطانه «واند وصلنا لهم القول لعلهم يذكرون» وقوله عز وجل «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» وقول الحكيم المتعال «وقلب أفتدنتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة» وقوله تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» (لا يؤمنون به حتى يروا) بأعينهم (العذاب الأليم) الذى وعدوا به في الدنيا ، أو يوم القيامة ؛ حيث لا يعلمون أنه الحق من ربهم ؛ حيث لا يجدى إيمانهم ، ولا تنفع توبتهم ! وقد ذهب جل المفسرين - إن لم يكن كلهم - إلى أن المقصود بذلك : أن الله تعالى يسلك التكذيب =

== في قلوب الكافرين ؛ لينتهم من الإيمان . وهو قول بادي البطلان ، ظاهر الحسران ؛ يتناقى مع العدل المطلوب من بنى الإنسان ؛ فما ظنك بالرحيم الرحمن ! أعدل العاديين ، وأحكم الحاكمين !

هذا ويؤيد ما ذهبنا إليه - وخالفنا المفسرين فيه - قوله جل شأنه في ختام هذا القول : « وما أهلكنا من قرية إلا الهام منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين ! » إذ كيف يرسل تعالى المنذرين ؛ وقد سلك تكذيبهم في قلوب الكافرين ؟ وكيف ينفي الظلم عن نفسه ؛ وما زعمه المفسرون هو الظلم المبين !

المزة السبع مئة

٤٥٦

وكيف يتفق قول المفسرين ؛ وقول العزيز الحميد ، في كتابه الحميد « ولا يرضى لعباده الكفر » وكيف لا يرضاه ؛ وقد سلكه في قلوبهم ، وأجرأه في دماهم ؟! وكيف يحول المولى سبحانه وتعالى بينهم وبين الإيماء ؛ وهو جل شأنه القائل : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ، ؟ وكيف يؤمنون ، أو يهتدون ؟ وقد حال بينهم وبين الإيمان والاعتداء ؟ وحيل بينهم وبين ما يشتهون . »

ونحن إذا ما وافقنا المفسرين فيما ذهبوا إليه : احتجنا إلى تعليل قولهم تعليل مقبولا ؛ بأن نقول . إن سلوك التكذيب في قلوبهم : كان نتيجة لإصرارهم على الكفر ، وتعاميهم عن الحق ؛ رغم وضوح آيات الله تعالى ، وتواتر معجزاته ، وصدق رسالته ! وقد وصف الله تكذيبهم بأشنع ما يوصف به الكاذبون - من جهل وعناد واستكبار - فقد بلغ تكذيبهم : أن لو قرأ القرآن عليهم من لا يدريه ولا يفهمه ؛ بل ومن ليس في عداد الآدميين ؛ من الأعجمين « ما كانوا به مؤمنين » فكان سلوك التكذيب في قلوبهم : عقوبة لهم على عنادهم ؛ كقوله تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » فكانت الإزاغة عقوبة على الزغ . وقوله جل شأنه « ويضل

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٥٧﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٥٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجِدِ ﴿١٥٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٠﴾ هَلْ أَنْشُرَكَ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيْطَانُ ﴿١٦١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٦٢﴾ يَقُولُونَ أَسْمِعْ وَأَخْفِئْهُمْ كَذِبُونَ ﴿١٦٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٦٤﴾ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمٍ ﴿١٦٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١٦٧﴾

سورة

الله الظالمين » وما يضل به إلا الفاسقين » فكان الظلم والفسق سابقان للاضلال ! وبغير الذى قلنا لا يستقيم المعنى الذى أرادته الله ، ولا تتوافر القدسية الواجبة في حقه تعالى ! فليتأمل هذا ، وليعتبر به من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ! (انظر الآيات ٣٣ من سورة الرعد و ٨ من سورة فاطر و ١٨ من سورة الحج) (فإنهم) المذاب (بقية) فجأة (منظرون) مؤجلون (ما كانوا يوعدون) به من العذاب (وما تنزلت به) أى بالقرآن (وأُنذر) خوف ياعمد (عشيرتك الأقرين) قومك وآلك ؛ لينذروا من حولهم ؛ فيكثر المسلمون ، وتعم الدعوة الإسلامية . قال تعالى « لأنذركم به ومن بلغ » أى ومن بلغه القرآن : ينذر به أيضاً « واخفض جناحك » ألن جانبك وتواضع (وتقبل في الساجدين) أى ويرى تعالى تقبل في الصلاة مع الصلوتين ==

= (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تنزل بالوسوسة والإغواء والإفساد (تنزل على كل أفك أئيم) كذاب ، مرتكب للإثم . والمقصود : رؤساء الكفار والذين يزعمون معرفة الغيب (يلقون السمع) أى أن الشياطين تنسم إلى الملا الأعلى (وأكثرهم كاذبون) يقولون لأوليائهم مالا يسمعون . وأوليائهم : هم « كل أفك أئيم » يزيدون على إفك الشياطين إفكاً ، ويزدادون على أئيمهم أئماً ! (والشعراء يتبعهم الغاؤون) ليس المراد بالشعراء هنا : كل الشعراء . بل أريد الغاؤون منهم ، والضاؤون : الذين يلوكونت بألسنتهم أعراض الناس ، ويتشدقون بالإثم والفجور ، ويروجون للفسق والخور ! أما من ارتقى منهم بشعره عن درك الفساد والإفساد ؟ فقد يكون من أئمة الأنبياء ، وخلصا الفضلاء الأصفاء ! وناهيك بأن منهم الامام البوصيرى ، وحسان بن ثابت : شاعر النبي ! والامام ابن الفارض ، والبرعى وغيرهم ممن وقفوا قرانهم وأشعارهم على ذكر الرحمن الرحيم ، ومدح رسوله العظيم ، ووصف كتابه الكريم ! وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) أى واتصروا لأنفسهم ، أو لآخواتهم ، أو لدينهم ؟ من بعد ما ظلمهم الغير . ونظيره قوله تعالى « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .

٤٥٧

سورة النمل

(٢٧) سُورَةُ النَّملِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٩٣ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الشَّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ٢ هُدًى
وَبُشْرَى الْمُؤْمِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٥
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ٦ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ٧ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
سَعَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْسٍ كَيْفَ بَشِّرَ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ٨ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ

(سورة النمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالقيامة ،
والحساب ، والجزاء (ربنا لهم أعمالهم)
الفاصلة : ليزدادوا كفرًا على كفرهم ،
وطغيانًا على طغيانهم (انظر آية ١٢٢ من

سورة الأنعام) (يعمهن) يرددون في ضلالهم (لهم سوء العذاب) أسوؤه (وانك لتلقى القرآن) لتلقاه
وتتلقه (من لدن) من عند (حكيم) يحكم قوله وفعله وأمره ! (عليم) بمصالح الناس وحاجاتهم ! (إذ قال
موسى) أى واذكر قصة موسى ؟ (إذ قال (لأهله) امرأته (إني آنست) أبصرت من بعيد (سأتيكم منها
بخبر) لأن النار الموقدة : دليل على وجود موقد لها ؛ تستقى منه الأخبار ، ويهتدى به إلى الطريق ، ويستطعم
(بشهاب) شعلة مضية (قبس) القبس : كل ما يقتبس ؛ من جر ، وجذوة ، ونحوها (لعلكم تصطلون)
تستدفئون من البرد (فلما جاءها) أى جاء موسى النار التي توهما (نودى) من حيث لا يعلم من أين يأتيه
النداء ، ولا يعلم صفته ، ولا كنهه : نداء ولا صوت ! (أن) بأن (بورك) بارك الله (من في النار) من الملائكة

وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّى
 إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا
 رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْقِبُ يَمْوَسَّى
 لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ
 ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
 يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْبِيحٍ
 ءَاتِيَتْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَاتَيْنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّيْنٌ ﴿١٣﴾
 وَجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
 مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ
 يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثِنَا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ

(ومن حولها) موسى . وهي تحية من الله تعالى لكلية عليه الصلاة والسلام (وسبحان الله) تزه وتقدس ! (انظر آية ١ من سورة الإسراء) ونودي (ياموسى إنه أنا الله العزيز) القوى ، الطالب ، الذى لا يقلب (الحكيم) الذى يضع الأمور في مواضعها ، ويمد لكل شيء عدته ! (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية (ولى مدبراً) أسرع راجعاً (ولم يعقب) لم يرجع ؟ فناداه ربه تعالى (ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وكيف يخافون في موطن الأمن والسلامة ؟ ! (إلا من ظلم نفسه) منهم بالزلل (ثم بدل حسناً بعد سوء) كآدم ، ويونس ، وداود ، وسليمان ؟ عليهم السلام ! فإنهم يخافون ؟ رغم رضائ عنهم ، ومغفرتي لهم ، وتوبيي عليهم . وقيل : «إلا من ظلم» من غير الأنبياء ؛ لأن الأنبياء لا يظلمون (وأدخل يدك في جيبك) الجيب : فتحة الثوب مما يلي العنق (من غير سوء) من غير مرض : كبرص ونحوه (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أى ظاهرة بينة (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أى أنكروها بألسنتهم ؛ لشدة كفرهم وعنادهم ، واستيقنتها قلوبهم ؟ لما رأوه من صحتها ، وصدقها ، ووضوحها ! (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (وورث سليمان داود) في النبوة والعلم ؛ دون سائر أبنائه (وأوثينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتي من الملك ، والعلم ، والنبوة

ان

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ وَخَيْرَ لِّسَلِيمَنَ
جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٦﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ
اذْهَبُوا مُتَكِنِينَ لَا يَخِطِبُكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي رَحْمَتَكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾
وَنَفَقَهُ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِن
أَلْفَايِينَ ﴿١٩﴾ أَلَا عَذِيبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِلِسْطَيْنِ مِثْلَيْنِ ﴿٢٠﴾ فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ، وَجِثَّتْكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْبَغِي قَيْنِ ﴿٢١﴾
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

(وحشر) جمع (يوزعون) يجيس أولهم
على آخرهم ؛ ليكونوا مجتمعين طوع أمره
وإرادته (وادي النمل) هو واد كثير النمل
(قالت نملة) قيل : لأنها ملكتهم . هذا وقد
أثبت العلم الحديث : أن للنمل ملكة يأتمر
بأمرها ، وينتهي بنهيها (انظر آية ٣٨ من
سورة الأنعام) (لا يخاطبكم) لئلا يخاطبكم .
والخطم : الكسر . ومن هنا نعلم أن القوى
قد يهلك الضعيف من حيث لا يشعر ، وأن
الضعيف يجب أن يعد عذته ، ويأخذ أمته ؛
لتوق ضرر القوى (وقال رب أوزعني) ألهمني
(أو لأذبحنه) ليكون عبرة لغيره ؛ من يستكبر
عن أمرى . هذا وقد رسمت هذه الكلمة في
المصحف الإمام هكذا «لا أذبحنه» بصيغة النفي .
وساق علماء الرسم في سبيل إثبات صحة هذا
الرسم التعلات ، وبذلوا ما وسعهم من الجهد
ليحولوا دون الحقيقة المجردة : ومي لا تعدو
خطأ كاتب ، أو زلة عمل . وفي موضوع هجاء
المصحف العناني ورسمه ، وعدم وجوب التقيد
به ، مزيد بيان ؛ فانظره إن شئت في كتابنا
«الفرقات» (بسلطان مبين) بحجة ظاهرة
(فكت) سليمان وقتاً (غير بعيد) فجاء
الهدد (فقال) حين سأله سليمان عن سبب تخلفه عن مجلته (أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبيل) وهي
قبيلة بالين ، أو هو اسم مدينة بها ؛ تعرف بأمر رب (إني وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل
(وأوتيت من كل شيء) تحتاجه الملوك : من الجند ، والميرة ، والتخيرة ، والظلمة ، والقوة (ولها عرش
عظيم) سرير كبير من ذهب ، مرصع بالجوهر والياقوت ؛ كانت تجلس عليه للحكم

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْغُبَّةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿٦٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾
* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٩﴾
أَذْهَبَ يَكْتَسِبُ هَذَا قَالِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَتْ بَنَاتُ الْمَلِكِ إِنِّي أُلْقِي
إِلَى الْيَمِّ كَرِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّمِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٧٢﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾
قَالَتْ بَنَاتُ الْمَلِكِ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٧٤﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولَا بَأْسٍ
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَتْ إِنَّ
الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا

أَذَلَّةً

(الحبء) المحبوء ، المستتر عن الأنظار (في
السوات) من الماء (و) في (الأرض)
من النبات والكنوز (أذهب بكتابي هذا قالقه
إليهم) وفي هذه القصة : تعليم لنا من الله تعالى
باستخدام الطير في حمل الرسائل ، ولذا وفق
الناس لاختيار الحمام الزاجل (ثم تول) انصرف
(عنهم) وكن قريباً منهم ؛ بحيث ترام
ولا يرونك (فانظر ماذا يرجعون) يجيبون
على كتابي . فلما قرأت بلقيس خطاب سليمان :
جئت وجوه قومها ، وأشرافهم ، وفادتهم ؛
(و) (فالت) لهم (يا أيها الملك) التي إلى كتاب
كريم) يؤخذ من هذا : أن بلقيس كانت
تحكم قومها حكماً «ديموقراطياً» وأنه كان
لها مجلس للشورى «برلمان» والقرآن لم يورد
هذه القصة عبثاً ؛ بل ليرشدنا إلى الطرق
الدستورية ، والنظم الشورية (ألا تعلموا على)
لا تتكبروا عن طاعتي (وأتوني مسلمين)
مؤمنين متقادين (ما كنت قاطعة أمراً حتى
تشهدون) أي ما كنت ممضية أمراً حتى
تحضرون . لم تأخذها العزة بالإثم ، ولم تفرها
سطوة سلطانها ، وقوة جيشها ، وإخلاص
شعبها ؛ لم يمنعها كل ذلك من استشارة رءوس

دولتها ، وكبراء مملكتها ، ومناقشتهم ؛ وقد تكون بلقيس أول امرأة في التاريخ يمثل هذا الخلق ، ويمثل
هذا التدبير ، وهذه الحكمة (فالت إن الملوك إذا دخلوا قرية) فاتحين غازين (أفسدوها) بالقسوة والبطش
(وجعلوا أعزة أهلها أذلة) لقد نظرت بلقيس بثاقب رأيها ، وعلمت أن الملوك الأقوياء ؛ إذا احتلوا بلداً
عنوة : أخذوا خيراتها ، وأذلوا أهلها واستعبدوهم

(وكذلك يفعلون) دائماً (وإني مرسله إليهم بهدي) امتحاناً لهم ، ودرءاً لصلواتهم ؛ ففسى أن يكونوا طلاب مال ؛ فقتلهم هديتنا عن إيماننا (فناظرة بـ يرجع المرسلون) من أخبارهم (فلما جاء) الرسل (سليان) ورأى ما يحملون من هدايا ، وأموال ، وتحف ،

وتقاس ؛ تفوق المد والحصر (قال) لرسل بلقيس (أتعدون يمال فما آتاني الله) من الإسلام ، والملك ، والعلم ، والنبوة (خير مما آتاكم) من المال وحده (بل أنتم) لا أنا (بهديتكم تفرحون) والتفت سليمان إلى رئيس وفد بلقيس قائلاً له (ارجع إليهم) بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى لا طاقة لهم على مقابلتهم ومقاتلتهم (ولنخرجهم منها) أى من بلادهم (أذلة وهم صاغرون) الصغار : شدة الذل ، ثم التفت سليمان إلى خاصته ووزرائه ؛ من الإنسان والجن (قال يا أيها الملأ أئكم يأتي بعرشها) الذى رآه المدهد ، ووصفه لى : « ولها عرش عظيم » (مسلمين) طائعين منقادين (قال عفريت من الجن) العفريت : هو القوى ، الواسع الحيلة ، النافذ الأمر ، الشديد الدهاء ، و« الجن » المستتر . من جنه الليل : إذا ستره . و« جن الليل » ظلمته (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) قبل : لأنه ملك سخره الله تعالى لسليان . وقيل : لأنه جبريل عليه السلام . وقيل : هو وزيره آصف بن برخيا ؛ وقد كان يعلم اسم الله الأعظم ؛ الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى (قبل أن يرتد إليك طرفك) أى قبل أن

أذلة وكذلك يفعلون ﴿٤٦١﴾ وإني مرسله إليهم بهدي فناظرة بـ يرجع المرسلون ﴿٤٦٢﴾ فلما جاء سليمان قال أتعدون يمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴿٤٦٣﴾ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون ﴿٤٦٤﴾ قال يا أيها الملأ أئكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴿٤٦٥﴾ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ﴿٤٦٦﴾ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإني أزيد ومن كفر فلان ربي غني كريم ﴿٤٦٧﴾ قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين

تغمض عينك ؛ والمراد به : المبالغة في قرب المدة (ليبلوني) ليختبرني (أشكر) على ما أنعم به علي (أم أكفر) فأنسى ذلك ، وأنسبه لنفسى ولجندي (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكر الشاكرين ، وعبادة العابدين (كريم) في عطائه ؛ يفضل على من يشكر ، ومن يكفر ! (قال نكروا) أى غيروا

(فلما جاءت) بلقيس : أروها عرشها المستقر عند سليمان ؟ و (قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) لم يحزم بأنه هو : لغرابية وجوده في ذلك الزمان والمكان ، ولا استحالة حدوث ذلك عقلا . وذهب بعض المحدثين إلى أنه لم يكن تحت سوى رسم العرش - لا العرش نفسه - واستدلوا على ذلك : بقول سليمان لها : «أهكذا عرشك» وقولها «كأنه هو» وهذا الرأي يأباه سياق النظم الكريم ؛ لقوله تعالى «فلما رآه

المجزء التاسع عشر

٤٦٢

مستقراً عنده» ولأفان المعجزة الخارقة وأين الآية الظاهرة ؟ ١ (وأوتينا العلم) هو من قول سليمان ؛ أي أوتينا العلم بأن الله تعالى على كل شيء قدير (من قبلها) أي من قبل هذه المرة ، أو «وأوتينا العلم» بمعيتها طائعة وإسلامها «من قبل» بمعيتها (وكننا مسلمين) متقادين لأمر الله ، طائعين له (وصلحنا) منعها عن عبادة الله تعالى (ما كانت) أي التي كانت (تعبد من دون الله) ويجوز أن يكون المعنى «وصلحنا» سليمان «ما كانت تعبد» عما كانت تعبد (لأنها) أي لأنها (كانت من قوم كافرين) يعبثون الشمس والقمر (قيل لها ادخلي الصرح) وهو كل بناء عال (فلما رآته) أي رأت الصرح ؛ وقد منعت أرضه من زجاج شفاف (حسبته لجة) ماء عظيماً (قال) سليمان (لأنه صرح حمرد) علس (من قوارير) زجاج . فلما رأت هذه العظيمة ، وهذه الأبهة ؛ التي أضفأها الله تعالى على سليمان ، ورأت عرشها ؛ وقد جرى به إليه : علمت أن ذلك لا يتوفر إلا لمن تسنده قوى خارقة من السماء ؛ و (قالت رب إني ظلمت نفسي) بالشرك الذي كنت فيه ، وأقمت عليه ؛ (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قيل : إن سليمان تزوجها بعد إسلامها . وقيل : زوجها لدى تبع ملك همدان ؛ ولم يثبت صحة شيء من ذلك ؛ (قال) لهم نبيهم صالح (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) تطلبون العذاب (قبل الحسنة) قبل طلب المغفرة . أو «لم تستعجلون» بالمصيبة قبل الطاعة (لولا) خلا . (تستغفرون الله) من ذنوبكم الماضية (اطربوا) تشاءمنا (بك وبين معك) من المؤمنين (قال طائركم) شوكمكم (عند الله) ينزله بكم ؛ بسبب كفركم وتكذيبكم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (بل أنتم قوم تفتنون) تختبئون بالخير والشر ، أو «تفتنون» تعذبون بسبب إصرارك على الكفر والعصيان (وكان في المدينة تسعة رهط) الرهط : مادون العشرة من الرجال (قالوا) لبعضهم (تقاسموا) أي احلفوا (بالله لنبيتنه) لنقتله يائناً ؛ أي ليلا

لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٢﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ وَيَمْنُ مَعَكُمْ قَالِ طَعْنُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ ﴿١٦﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

لَنَقُولَنَّ

لَنَقُولَنَّ

لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥١﴾
 وَمَكْرُؤًا مَكْرًا ۖ وَمَكْرَنَا مَكْرًا ۖ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾
 فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ۖ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ فَتِلْكَ يَبُوتَ خَاوِيَةٌ ۖ بِمَا ظَلَمُوا ۖ إِن فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
 يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ إِنِّي أَنَا تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ فَأَنْصِتُوا لِأَنِّي
 أَبْصِرُونَ ﴿٥٦﴾ أَنشُرْ لَنَا تِهَادُنَا ۖ أَرَجَالُ شَهْوَةٍ مِنْ دُونِ
 النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٧﴾ * قَالُوا كَانَ جَوَابَ
 قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا مَا آتَانَا رَبُّنَا ۖ وَالْطُّورُ مِنْ قَرْيَتِكَ ۚ إِنَّهُمْ
 أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرًا نَهَى
 قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَسَاءَ
 مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٠﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
 الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ آمَنَ خَلْقُ

(ثم لنقولن لوليّه ما شهدنا مهلك أهله) أى لولى دمه (ما شهدنا) ما رأينا (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) أى دبروا أمرهم بإهلاك صالح وأهله ، ودبرنا أمراً بإهلاكهم (أنا دمرناهم) أهلكتناهم (فتلك يوتهم خاوية) أى ساقطة ، أو خالية (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم وكفرهم وذلك معنى قولهم : إن الظلم يغرب الديار ! (إن في ذلك) الإهلاك والتدمير (آية) عظة وعبرة (ولو طاً) أى واذكر لو طاً (إذ قال لقومه) أنأتون الفاحشة (اللو طاً) وأنتم تبصرون (أى تبصرون ما حل بالأمم السابقة من العذاب ؛ حين عصوا وكفروا بربههم . أو المراد : يبصر بعضكم بعضاً ؛ عند إتيان هذه الفاحشة الذميمة ؛ وذلك لامعاناً منهم في الفسوق ، واتهماً كما في المصيبة (لأنهم أناس ينطهرون) كان قولهم ذلك استهزاء ؛ كقوله تعالى «إنك لأنت الحليم الرشيد» أو أرادوا «ينطهرون» مما نعمل (قدرناها من الغابرين) أى قدرنا أنها من الباقيين في العذاب ؛ لإصرارها على الكفر، وتكذيب زوجها مع المكذبين (الله) استفهام ؛ أى الله (خير) عبادة ، وخير لمن يعبدّه (أم ما يشركون) به من الأصنام (أم من خلق السموات) وما فيها من كواكب وأفلاك ، ومن فيها من مخلوقات وأملاك

الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَيْئَهَا ۚ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ۚ مَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

آيَاتِ

(و) خلق (الأرض) وما فيها من بحار وأنهار، وزروع وأشجار، وجبال ورمال، وإنسان وحيوان (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبطنا به حدائق) بساتين (ذات بهجة) حسن ورونق (ما كان لكم) ما كان في استطاعتكم (أن تنبتوا شجرها) فما بالكم بشجرها؟ والمعنى: أذلك الإله - الموصوف بكل هذه الصفات - خير أم ما تعبدون من دونه؟ ويلكم! (إله مع الله بل هم قوم يعدلون) يفركون بالله تعالى غيره من خلق، ويعملونه له عدلا - والعدل: المثل والنظير (قراراً) للاستقرار عليها؛ ولا تميد بأهلها (خلالها) فيها بينها (رواسي) جبالاً (وجعل بين البحرين حاجزاً) بين المذهب والملح: لا يختلط أحدهما بالآخر - والمجز: المنع (ويكشف السوء) الضر، أو الجور (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى سكانها؛ يخلف بعضكم بعضاً فيها (بشراً بين يدي رحمته) أى للشارة قدام المطر - وسمى المطر رحمة: لأنه سبب في حياة سائر الحيوانات والنبات (أم من يبدأ الخلق) من غير مثال سبق (ثم يعيده) يوم القيامة؛ بلا تعب ولا نصب (ومن يرزقكم من السماء)

بالمطر (و) من (الأرض) بالنبات (إله مع الله) فإن زعموا - بعد أن سقت لهم هذه الآيات البينات - أن هناك إلهاً مع الله (قل هاتوا برهانكم) حجتكم (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) أى لا يعلم أحد من فيهما الغيب الذى انفرد الله تعالى بعلمه إلا هو - قيل: نزلت حين سأل المشركون الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عن وقت القيامة

(وما يشعرون أياتهم) متى يبعثون من قبورهم . وقيل : نزلت في سائر القيوب . ويؤخذ من هذه الآية أن في السموات سكاناً عقلاء ؛ لأن «من» لمن يعقل ، و «ما» لما لا يعقل . والآية دليل قاطع على نفي علم الغيب عن سائر المخلوقات ؛ حتى سكان السموات ! ومن عجب أن نرى من بيننا من يدعى علم الماضي والحاضر والمستقبل ! والأعجب أن نرى من يصدق في هذا الافتراء والزور والبهتان ! ومن ذهب إلى منجم أو عراف : فقد جحد بهذه الآية ؛ بل كذب بالرسالة ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من ذهب إلى عراف ذهب ذهاب ذنبه» وفي حديث آخر «فقد كفر بما أنزل على محمد» وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها «من قال إن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية» والله تعالى يقول : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله .

هذا وقد اعتاد كثير من الناس التردد على بعض العرافين وأرباب التنويم والتنجيم ؛ وكثير من هؤلاء يزعم علم الغيب ومعرفة ؛ ويقدم لك دليلاً على صدقه : لإنباءك بما في يدك - مما يقع عليه بصرك ، ويدركه علمك - وهذا ليس من الغيب في شيء ؛ بل يدخل تحت قراءة الأفكار . وقد جرى للحجاج بأحد العرافين ؛ فأمسك الحجاج في يده حصيات - بعد أن علم عددها - وقال للعراف : كم في يدي ؟ فذكره العراف ولم يخطئ . فأمسك الحجاج بحصيات آخر - لم يعدن - وسأله عن عددها ؛ فأخطأ . فسأله عن السبب ؟ فقال : إن الأولى قد أحصيتها أنت وعلمتها فخرجت عن حد الغيب ، والأخرى لم تحصها فكانت غيباً ؛ و «لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» (بل ادرك علمهم في الآخرة) أى تدارك وتكامل علمهم بها ؛ لوصول الرسل والنذر إليهم ، وتحقيق الموعودية . وقيل : المعنى : بل جهلوا علمها ، ولا علم

عندهم من أمرها (بل هم في شك منها) أى من وقوعها (بل هم منها عمون) عمى قلب وبصيرة (أنا لنخرجون) من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا نحن) على لسانك (و) وعد (آباؤنا) على لسان من نسفك من الرسل (إن هذا) ما هذا الذى تقوله من أمر البعث والحساب والجزاء (إلا أساطير) أكاذيب (ولا تحزن عليهم) أى على عدم إيمانهم (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) ويكيدون لك ؛ فسننصرك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب ، أو بالقيامة (ردف لكم) قرب منكم (بعض الذى تستعجلون) وقد جاءهم بعض العذاب الموعود يوم بدر ، وباقيته سيأتيهم في قبورهم ، ويوم القيامة عند بعضهم (ما تكن) تخفى (وما من غائبة) تغيب عن علمنا ، وعن تصوراتنا (إلا في كتاب) مكتوب ؛ بمعنى أنه مقضى بها ، ومعلوم لدى ربك أمرها

أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿١﴾ بَلِ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَوْذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاؤُنَا أَنِنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٣﴾ لَقَدْ
وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
فِي ضَبْعٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ
لَّكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٠﴾
وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَنَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ

(إن ربك يقضى بينهم بحكمه) يوم القيامة (فترك كل على الله) وحده ؛ ولا تخش أحداً (إنك على الحق المبين)
الدين الواضح النجى (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) لما كانوا لا يعون ما يستمعون : شبهوا
بالموتى ؛ لأن حالهم كحالهم ، وشبهوا أيضاً بالصم والصمى ؛ لأنهم لا يفتنعون بما يسمعون من الحق ، ولا بما يرون
من الآيات ! (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع) ما تسمع سماع قبول وفهم (الآمن يؤمن بآياتنا)
القرآن (فهم مسلمون) غفلون ؛ لأنهم فتحوا أسماعهم لسماع القرآن ، وقلوبهم لفهمه (وإذا وقع القول عليهم)

الجزء العشرون

٤٦٦

أى وقع الغضب ، وحق العذاب : وتشد
لا تقبل توبتهم ، ولا يفيد استغفارهم . وقد
أجمع أهل العلم على أن وقوع القول - المعنى
في هذه الآية - لا يكون إلا عند انقضاء الأجر
بالمعروف ، والتهى عن النكر (أخرجنا لهم
دابة من الأرض تكلمهم) كلاماً مفهوماً ؛
وحينئذ لا يقبل استغفار مستغفر ، ولا إيمان
طالب . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ثلاث
إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت
من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع
الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض»
وقيل «تكلمهم» أى تجرحهم ؛ تؤيده قراءة
ابن عباس ، والحسن ، وغيرها «تكلمهم» من
الكلم ؛ وهو الجرح .

وقد اختلفوا في هيئة الدابة ، وصفها ،
ووقت طلوعها ، ومن أين تطلع ؛ وتكلموا
كلاماً أغرب من الخيال ، وأشبه بالهال ؛
ولا حاجة بنا إلى إزياده لأنه بالأساطير أشبه .
وقد قيل : إنها فصيل ناقة صالح . وقيل : إنها
دابة لها لحية طويلة . وقيل : إنها إنسان
كامل عاقل ؛ يكلم الناس بالقول الصحيح ،
والسلام الفصيح ، والمتطق البليغ ، والحجة
القاطعة . وتطلع الدابة - كيفما كان شكلها
وصفتها - قبيل القيامة . وقيل : إنها تخرج
من مكة - فلا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب :

فتشمع على جبين المؤمن ؛ فيصير وضيقاً منيراً ، وتظلم الكافر والنافق ؛ فيكون وجهه كالخامسودا ؛ وسئل
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هل «تكلمهم» أو «تكلمهم» ؟ فقال : من الله تكلمهم ، وتكلمهم :
تكلم المؤمن ، وتكلم الكافر والفاجر ؛ وتقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وعلى قراءة الفتح
يكون المعنى «بأن الناس» وبها قرأ ابن مسعود (فوجاً) جماعة (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم ؛ حتى
يجتمعوا ؛ ثم يساقون إلى موضع الحساب (ووقع القول) حق العذاب (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه) من السكون . وهو الهدوء ، والراحة ، والطبائنة (والنهار مبصر) مضياً ؛ يبصر فيه الإنسان
كل شيء ، ويتقن كل مصنوع

في

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ فَتُزْعَمُ مِنَ السَّمَكِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَٰخِرِينَ ﴿٢﴾ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْشِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ كَمُزْمَرٍ السَّحَابِ صُنْعَ
اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ
فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٧﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ بَكْرَ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ

(إن في ذلك لآيات) لطايات وعبر (ويوم ينفخ في الصور) وهو القرن : ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ، بأمر ربه تعالى (إلا من شاء الله) ألا يفرعه . وهم الشهداء : لأنهم «أحياء عند ربهم يرزقون» والفرع إنما يصل إلى من حي ، والأنبياء : لأن لهم الشهادة مع النبوة . وقيل : هم الملائكة . ويدخل من جملة هؤلاء : المؤمنون الذين عنانهم الله تعالى

بقوله «وهم من فرع يومئذ آمنون» (وكل أتوه داخرين) صاعرين منقادين (جامدة) واقفة لا تتحرك (صنع الله الذي أتقن كل شيء) فانظر - يارعاك الله - إلى التلمة في صغر جنتها ، ولطافة هيئتها : لا تكاد تال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ! ولو تأملت ما في بطنها من مجاري أكملها ، ومسالك أمعائها ، وما في رأسها من أعين وآذان ، وأداة ذوق وشم ولس . لو تأملت ذلك لفضيت من خلقها بحبا ، ولقيت من وصفها نقبا ! وهي مع هذا الضعف والصفير : تفكر في رزقها ، وتنقل الحبة إلى جحرها ، وتجمع في رعاها لشدها ، وفي حرها لبردها !

وانظر أيضاً إلى النحلة في دقة خلقها ، وجمال صنعتها ، وعظم منفعتها : تأكل من ثمار الأشجار ، وورق النبات والأزهار ، وتخرج لنا رحيقاً مختوماً بخاتم السكك ، من صنع ذي الجلال ! ومنه تتخذ غذاءً لذيلاً ، وشرباً صافياً ، ودواء شافياً . كل ذلك بتقدير العزيز الرحيم ، وتدبير الحكيم العليم ! «صنع الله الذي أتقن كل شيء» (من جاء بالحسنة فله) من الثواب الجزيل ، والأجر الجليل (خير منها وهم من فرع يومئذ آمنون) وبذلك يسلم المؤمنون المحسنون من أهوال

القيامة ، وينجون من الفزع الأكبر ، ويكونون من المستثنين ، بقول أصدق القائلين «ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» (فكبت) ألقبت (هذه البلدة) مكة شرفها الله تعالى (حرمها) جعلها حرماً آمناً (سيركم آياته) وأهكم ، وفي غيركم ، وفي الآفاق (فتعرفونها) تعلمونها علم اليقين «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله»

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكْنِيَّةٌ

الآ من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فدية وآية ٨٥
في الحقة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النزل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُوا
عَلَيْكَ مِنْ بَيْتِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَاقِمَهُ مِنْهُمْ بِذُبُحِ آبْنَاءِهِمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُقْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُخَوِّضُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ

أَرْضِعِي

الحكم والملك ؛ بعد فرعون (ونمكن لهم) نجعل لهم مكانة (في الأرض) أرض مصر والشام (ورى فرعون
وهامان) وزيره ومستشاره (وجنودهما منهم) أى من «الذين استضعفوا في الأرض» وعلى رأسهم موسى
وهرون (ما كانوا يحذرون) أى ما كانوا يخافون ويتوقفون : وهو القتل ، وذهاب الملك . وقد كان
لفرعون منهم ؛ رأى له أن سيكون موته وذهاب ملكه على يد طفل من بني إسرائيل . فامر عدو الله بقتل
كل ولد يولد من بني إسرائيل . وذلك معنى قوله تعالى «يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم» (وأوحينا إلى
أم موسى) وحى منام ، أو إلهام . وقيل : وحى لإعلام : بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام

(سورة القصص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (تتلوا
عليك من بيت موسى) خبره (بالحق) بالصدق
الذى لا مرية فيه ؛ لا كقصص القصصين ،
وأساطير الأولين (إن فرعون علا في الأرض)
طغى وتكبر ، وجاوز الحق . و «فرعون» :
لقب لملاوك مصر السابقين . قيل : إن فرعون
موسى : هو منفتح الأول ، ابن رمسيس الثانى
(وجعل أهلها شيعا) أى فرقا . وهذا شأن
الملوك المستبدين : يفرقون بين الأمة ، ويجعلونها
شيعا وأحزابا (ويستحي نساءهم) أى يترك
البنات أحياء للخدمة ، أو يفعل بهن ما يخل
بالحياء (ونريد أن نمن) نتفضل ونتمم (على
الذين استضعفوا في الأرض) وظلموا ، وغلبوا
على أسرهم (ونجعلهم أئمة) يهتدى بهم في الخير ،
ويقتدى بهم في الدين (ونجعلهم الوارثين)

(ولما بلغ) موسى (أشدّه واستوى) أى بلغ نهاية القوة ، وتمام العقل والاعتدال ؛ وهو ما بين ثمانى عشرة إلى ثلاثين ، وهو أيضاً بلوغ الحلم (أتيناه حكماً) حكمة فى فهم الأمور (وعلماً) فقهاً فى الدين ؛ وذلك قبل أن يبعثه الله تعالى نبياً (ودخل) موسى (المدينة) مدينة فرعون ؛ وهى منف ، أو منفيس ؛ وهى مكان بلدنا البدرشين وميت رهينة ؛ بمحافظة الجيزة ، وكانت هذه المدينة عاصمة ملك فرعون ؛ وفيها قصوره ومعابده (هنا من شيعته)

٤٧٠

الجزء العشرون

أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من أتباع فرعون (فذكره موسى) ضربه بجميع كفه «لكم» (قال هذا من عمل الشيطان) أى إن هذا التسرع فى القتل من عمل الشيطان ووسوسته . ومن هنا نعلم أن التسرع فى الحكم على الأشياء : مضيق للتدبر والحكمة ، وموجب للأسى والتدمر ؛ وهو من عمل الشيطان وتحريضه ! وقد حدث ذلك لموسى قبل بعثته ؛ أما بعد النبوة : فالشيطان محجوب عن الأنبياء ، ممنوع من إغوائهم والوسوسة إليهم ؛ ألا ترى إلى قول الحكيم العليم «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» وقول العيين «ولا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» (قال رب إني ظلمت نفسى) بارتكاب القتل (قال رب بما أنعمت على) أى بحق لأنعامك على بانيائى ، واصطفائى (فلن أكون ظهيراً) معيناً (للمجرمين) الكافرين (فأصبح فى المدينة خائفاً) أن يؤخذ فيمن قتله بالأس (يرقب) يتوقع المكروه (فاذا) الرجل (الذى استنصره) طلب نصرته ومعوته (بالأس) ونصره بقتل عدوه (يستصرخه) يستغيث به على رجل قبلى آخر يقاتله (لقوى) زال (مين) بين الضلال ؛ لما فلتته بالأس ، وتفعله اليوم (فلما أراد) موسى (أن يبطش

أُسْلِمُوا وَأَسْتَوَى ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧٠﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۚ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ۚ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۚ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿٤٧١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ۖ فَاغْفِرْ لِي ۖ فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧٣﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۚ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لِقَوَىٰ مُبِينٌ ﴿٤٧٤﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ۖ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِمَّا تَقْتُلُنِي ۖ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ

المصلحين ﴿٤٧٥﴾

بالذى هو عدو لها) أى عدو لموسى والمستغيث به (قال ياموسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) القاتل لتلك هو القبطى ؛ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القاتل : هو الإسرائيلى - المستصرخ بموسى - لما رأى من غضب موسى عليه السلام ، وقوله له «إنك لقوى مين» وهو لا يتفق وسياق النظم الكريم ! ولقوله بعد ذلك لموسى (إنت تريد) ما تريد (إلا أن تكون جباراً فى الأرض) وهذا القول لا يقوله إلا الأعداء الألداء ؛ خصوصاً والقتل السابق قد حصل دفاعاً عن الإسرائيلى ، وانتقاماً له

(وجاء رجل) مؤمن (من أقصى المدينة) آخرها ؛ بالنسبة لمكان موسى (قال يا موسى إن السلا) قوم
 فرعون (يأترون بك) يتشاورون في أمرك (ليقتلوك فاخرج) من المدينة (فخرج منها خائفاً يترقب) يتوقع
 لحوق أعدائه به ، أو «يترقب» نصرة الله تعالى له (ولما توجه تلقاء) ناحية (مدين) هي قرية شعيب
 عليه السلام ؛ وهي خارجة عن حكم فرعون
 سورة القصص ٤٧١

(سواء السبيل) أى الطريق الصحيح المستوى ؛
 الموصل للنجاة والخير ؛ (ولما ورد ماء مدين)
 وكانت بئراً يستقون منها (وجد عليه أمة)
 جاعة (ووجد من دونهم) أى سوامم ؛
 بعيداً عن الذين يستقون (امراتين تذودان)
 تمنعات أغنامهما عن ورود الماء (قال
 ما خطبكما) ما شأنكما ؟ وما الذى دعاكما الى
 الاعتماد عن الماء ؛ مع حاجتكما إليه ؟ (قالنا
 لا نسق) ولا نزاحم ؛ لأن المزاولة تقتضى
 الاختلاط بالرجال وملاحقتهم ، وهو أمر ينقص
 من قدر المرأة ، ويذهب بحياتها ؛ بل ننتظر
 في مكاننا هذا البعيد عن الماء (حتى يصدر
 الرعاة) أى حتى يرجع الرعاة بعد سقيهم ؛
 وما الجأنا الى ذلك إلا انعدام وجود الرجال ،
 الذين يقومون بالأعمال في أسرتنا (وأبونا شيخ
 كبير) لا يقوى على السقى والسقى . فزاحم
 موسى ، وأخذ غنمهما (فسقى لهما ثم) حلت به
 متاعب الأسفار ، وأدركه تعب السقى والسقى ؛
 فطلب الراحة لنفسه ؛ و (نولى الى الظل)
 ليرتاح مما لاقاه من المشاق ؛ التى لا يحتملها
 إلا الأنبياء ؛ وخوفاً الأولياء والأصفياء ؛
 وأحس بالجوع الذى يذيب الجسد ، ويفرى
 الكبد ؛ (فقال) مخاطباً مولاة ؛ الذى خلقه
 فسواه ، وكلاءه ورعاها (رب إني لما أنزلت

الْمُصْلِحِينَ ﴿٤٧١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى
 قَالَ يَبْنَوسُ بْنُ الْمَلَأَ يَأْتِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
 إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿٤٧٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
 قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧٣﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ
 مَدِينٌ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٤٧٤﴾
 وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
 قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٤٧٥﴾
 فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ
 إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٧٦﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ
 اسْتِحْيَاوَقَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
 لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
 نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧٧﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِي

الى من خير) طعام (فقير) محتاج . وقد قال «لما أنزلت» ولم يقل : لما نزل ؛ لتأكده من استجابة
 ربه له ولتحققه من نزول الخير اليه (فلما جاءه) أى جاء موسى شعباً عليها الصلاة والسلام (وقص عليه
 القصص) قصته مع فرعون ، وهروبه من مصر (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) بوصولك الى
 «مدين» وهي ليست في ملك فرعون ، وليست خاضعة لحكمه

(قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) يؤخذ من هذه الآية : أن العاقل الحكيم ، يخطب لبناته صاحب الخلق الكريم ، حيث لاتهمه المسادة ؛ بل يهيمه القوة على العمل والقدرة على الكسب ؛ لئلا يكون حالة على غيره (على أن تأجرتي) أن تكون أجراً

الجزء المشروط

٤٧٢

لي (ثمان حجج) سنين (قال ذلك) الأمر (بيني وبينك أئمة الأجلين) الثمان أو العشر (قضيت) مهراً لزوجتي (فلاعدوان على) أي فلا أكون معتدياً ، أو لا يعتدي على يطلب الزيادة (فلما قضى موسى الأجل) الأكل ، والأثم . وقيل : قضى عشراً وعشراً ؛ ومن أوفى في الأداء ، من الأنبياء ؟ ! (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر ؛ بعد أن قضى عشرين السنة المسقط للجرعة ؛ وكانت تسقط بعض عشر سنوات في شريعة فرعون ؛ وهي جرعة قتل القبطي (آنس) أبصر (من جانب الطور) الجبل (أو جذوة) قطعة متقدة (تصلطون) تستدقون (فلما أتاها) أتى موسى النار . وقيل : أتى الشجرة الآتي ذكرها (نودي من شاطئ) جانب (الوادي الأيمن) بالنسبة لموسى (من الشجرة) التي أوجدها الله تعالى في هذا المكان ، البعيد عن الممران والسكان ، الخالي من الماء والنبات ؛ ونودي بكلام مقدس : لا تحيط به اللغات ، ولا تدرك الصفات ، ولا يشابه الحروف والأصوات ؛ ولا يشارك النفث والبارات ؛ من لدن باسط الأرض ورافع السموات «نودي» (أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين .

وأن ألق عصاك) لأريك من بدائع قدرتي ، وعجيب صنعتي . فالتفاهة فإذا بالحياة تدب فيها بأمر باعث الحياة ، وإذا بها تنتهي وتتلوي ؛ وقد زایلها الجود الملتصق بطبيعتها (فلما رأها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية صغيرة كثيرة الحركة (ولي مدبراً) رجع مسرعاً من حيث أتى (ولم يعقب) لم يرجع

أَسْتَفْجِرُهُ إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَفْجَرَتِ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿١٧٠﴾
قَالَ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
تَأْجُرَنِي تَمَتَّنِي حِجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١٧١﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٧٢﴾
* فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿١٧٣﴾ فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعَنِي إِنِّي أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَسْمُوعَنِي أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ

إِنَّكَ

وعجيب صنعتي . فالتفاهة فإذا بالحياة تدب فيها بأمر باعث الحياة ، وإذا بها تنتهي وتتلوي ؛ وقد زایلها الجود الملتصق بطبيعتها (فلما رأها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية صغيرة كثيرة الحركة (ولي مدبراً) رجع مسرعاً من حيث أتى (ولم يعقب) لم يرجع

إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٦﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَلَّكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٨﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿١٩﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ
الْفَظْلُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ
مِنْ عِنْدِهِ ۚ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ لَكُمْ لَعْنًا ۚ

(اسلك) أدخل (يدك في جيبك) الجيب :
فتحة الثوب مما يلي العنق (تخرج بيضاء من
غير سوء) أى من غير مرض : كبرس ونحوه ؛
بل كضوء الشمس (واضمم إليك جناحك من
الرهب) أى من أجل الرهب ؛ وهو الخوف .
المعنى : اضمم يدك إلى صدرك : ينهب مابك
من خوف وفرق من الحية ؛ ولأت موسى
خشى أن يضم يده إليه ؛ لما رأى من إضاعتها
وتفريها (فذاذك) أى تحرك العصا ، وإضاعة
اليدين (برهانان) معجزتان (من ربك) لتذهب
بهما (إلى فرعون وملئه) تأييداً لنبوتك ،
وتصديقاً لرسالتك (ردءاً) عوناً (بصدقني)
أى يكون - بسبب فصاحته ، وطلاقة لسانه -
سبباً في تصديقي (ونجعل لك سلطاناً)
غلبة وتسلطاً على الأعداء (فلا يصلون إليكما)
بسوء (بآياتنا) التى نمدك بها (أنما ومن
اتبعكما) من المؤمنين (الظالمون) لأعداء الله
(فلما جاءهم موسى بآياتنا) معجزاتنا (بينات)
واضحات ظاهرات ؛ لا ينكرها إلا من انطمست
بصيرته ، وعمى قلبه ! (قالوا) أى فرعون
وشيعته (ما هذا) الذى جئتكم به ؛ من انقلاب
العصا حية ، وما انبعث من الضوء في يدك ؛
إن هذا (إلا سحر مفترى) مخلق (وما سمعنا بهذا) الذى نزعناه من وجود إله واحد (في آبائنا الأولين)
المتقدمين (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) ولم يخلق ، ولم يفت (ومن تكون له عاقبة الدار)
أى العاقبة المحمودة يوم القيامة (وقال فرعون) لقومه ؛ بعد أن أخرسه موسى بحججه ومعجزاته

مَنْ إِلَهَ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي بِهِمْ نَارَ عَذَابٍ عَلَى الطَّيِّبِينَ فَاجْعَلْ لِي
 صِرَاحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَيْكَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنْ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ وَأَسْتَكَبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ فَأَخَذْنَاهُ
 وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي النَّارِ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ
 الْعَظِيمَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٣﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
 بَصِيرًا لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾
 وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْقُرْآنِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
 كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
 عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ

عَايَتِنَا

(يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) وأراد أن يوم قومه بأنه ذو بطش شديد وقوة، وأن إله موسى في تناول يده، وغير بعيد عليه، وأن في إمكانه الصعود إليه ومقابلته ومقاتلته؛ فقال لوزيريه وشريكه في الكفر (فأوقد لي بإهامان على الطين) ومراده من ذلك: صنع لبنات من الفخار؛ مما يتخذ للبناء (فاجعل لي) من هذه اللبنة (صراحاً) بناء عالياً (لعل أطلع) أسمع وأنظر (إلى إله موسى) وأقف على حاله (واستكبر) اللعين، وتعالى عن الإيمان (وظنوا) تأكدوا (أنهم إلينا لا يرجعون) بالبعث يوم القيامة. (فنبذناهم في النار) طرحنهم في البحر. قيل: إنه بحر القلزم؛ وهي بلدة على ساحل البحر الأحمر، بين مصر والحجاز (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون) الناس (إلى) الكفر؛ والكفر موصل إلى (النار) حتماً (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طرداً، وإبعاداً، وهلاكاً (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبدين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الأمم المتقدمة؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم (بصائر) أي الكتاب

المنزل على موسى «بصائر» يتبصر بها في شئون الدين والدنيا (وما كنت) يا محمد (بجانب القرني) أي بجانب الجبل الغربي؛ الذي كان فيه ميقات موسى عليه السلام؛ حين كلمه ربه تعالى (وما كنت من الشاهدين) الشاهدين لتلك (قرونًا) أمماً (وما كنت ثاوياً) مقياً (في أهل مدين) قوم شعيب عليه السلام

هَآيَتِنَا وَلَكِنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ
مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ
مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَرُبَّمَا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ
قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَكِنَّا
فَاتُوا يَكْتُمِبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا لِأَتَّبِعُهُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾
* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾

(ولكننا كنا مرسلين) لك يا محمد بهذه
القصص ، وهذه الأنباء ؛ التي تخفى عليك ؛
لولا أن أنزلناها إليك ؛ لتعلمهم بها : فتكون
دليلا على صدقك ، وصحة رسالتك ! (الطور)
الجليل (إذ نادينا) موسى ، وحملناه الرسالة
(ولكن) أرسلناك لقومك (رحمة من ربك
لتنذر قوما ما أنام من نذير) نبي ينذرهم بطش
رهم وعقابه ، ويرغبهم في رحمته ونوابه !
(ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت
أيديهم) من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا
لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا) يهدينا إلى
معرفتك ، ويرشدنا إلى عبادتك ؟ ! (فتنفع
آياتك) المنزلة عليه (فلما جاءهم الحق) محمد عليه
الصلاة والسلام (فالوا لولا) هلا (أوتى)
من المعجزات (مثل ما أوتى موسى) ونسوا
أنهم - من قبل - كفروا بموسى وحاربه ،
وسخروا بمعجزاته واستهزأوا بها (قالوا
سحران تظاهرا) أى تعاونا . والمراد بهما :
التوراة والقرآن ، أو هما موسى ومحمد ؛ على
قراءة من قرأ «سحران تظاهرا» (وقالوا
لنا بكل) من التوراة والقرآن ، أو موسى
ومحمد (كافرون) وقراءة «سحران» أصح

وأوضح ؛ لقوله تعالى (قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أى أكثر هداية من التوراة والقرآن
(ومن أضل) أى لا أحد أضل (من اتبع هواه بغير هدى من الله) لأن الله لا يهدي القوم الظالمين بل يزيدهم
ضلالا على ضلالهم «ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (ولقد
وصلنا) أى أوصلنا ، وبيننا ؛ ووصل الشيء : لأمره

(الذين آتيناكم الكتاب) وهم اليهود والنصارى ؛ وكتابتهم: التوراة والإنجيل (من قبله) من قبل القرآن ؛ والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب (م به) أى بالقرآن (يؤمنون . وإذا يتلى عليهم) القرآن (إنا كنا من

قبله) أى قبل نزول القرآن (مسلمين) مؤمنين بالله ؛ لاتباعنا ما نزل علينا من الكتاب (أولئك يؤتون أجراً) يتلون جزاءهم وثوابهم (مرتين بما صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصي ؛ ولإيمانهم أولاً بكتابتهم ورسولهم ، وإيمانهم آخراً بالقرآن ومن أنزل إليه (ويدرون بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالطاعة المعصية ، أو يدفعون الأذى بالغفو والحلم (الغو) الباطل (وقالوا لنا أعمالنا) تثاب عليها (ولكم أعمالكم) فتؤخذون بها (لأنتنن الجاهلين) لا نريد مصاحبتهم ومخالطتهم (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم بالمهتدين) فيزيدهم «والذين اهتموا زادهم هدى» (تخطف من أرضنا) أى يحاربنا الناس ويخرجونا من أرضنا ؛ وهذا قول باطل مردود عليه بقوله تعالى (أولم تمكن لهم حرماً آمناً) يأمنون فيه من الإعتداء والقتل ، والإغارة ؛ الواقعة من بعض العرب على بعض (يجي إليه) أى يجلب ويجمع (رزقاً من لنا) من عندنا ؛ لا يجهد منهم ، أو مشقة عليهم : يزرع غيرهم فأكلون ، وينسج فيلبسون ! (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى تنكرت لما اختصها الله تعالى به من النعم ؛ فلم تشكر عليها (فتلك مساكنهم) خالية خاوية (لم تسكن من بعدهم) لما فيها من وحشة وخراب ، وما يعرفها من ظلمة واكتئاب (إلا قليلاً) أى إلا سكناً قليلاً : يحيط بها المسافرون - للضرورة - يوماً أو بعض يوم

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَّوْنَ بِالْحَسَنَةِ الْسيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٤١﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ أَهْلَ الدُّثْنِ مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَا تَمُكِّنْ لَمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيعُ إِلَيْهِ تَمَرُّ كُلِّ نَفْسٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَكَرَّاهِلُكُمْ مِنْ قَرْنٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعِيدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْكَارِبِينَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (من قبله) من قبل القرآن ؛ والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب (م به) أى بالقرآن (يؤمنون . وإذا يتلى عليهم) القرآن (إنا كنا من قبله) أى قبل نزول القرآن (مسلمين) مؤمنين بالله ؛ لاتباعنا ما نزل علينا من الكتاب (أولئك يؤتون أجراً) يتلون جزاءهم وثوابهم (مرتين بما صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصي ؛ ولإيمانهم أولاً بكتابتهم ورسولهم ، وإيمانهم آخراً بالقرآن ومن أنزل إليه (ويدرون بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالطاعة المعصية ، أو يدفعون الأذى بالغفو والحلم (الغو) الباطل (وقالوا لنا أعمالنا) تثاب عليها (ولكم أعمالكم) فتؤخذون بها (لأنتنن الجاهلين) لا نريد مصاحبتهم ومخالطتهم (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم بالمهتدين) فيزيدهم «والذين اهتموا زادهم هدى» (تخطف من أرضنا) أى يحاربنا الناس ويخرجونا من أرضنا ؛ وهذا قول باطل مردود عليه بقوله تعالى (أولم تمكن لهم حرماً آمناً) يأمنون فيه من الإعتداء والقتل ، والإغارة ؛ الواقعة من بعض العرب على بعض (يجي إليه) أى يجلب ويجمع (رزقاً من لنا) من عندنا ؛ لا يجهد منهم ، أو مشقة عليهم : يزرع غيرهم فأكلون ، وينسج فيلبسون ! (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى تنكرت لما اختصها الله تعالى به من النعم ؛ فلم تشكر عليها (فتلك مساكنهم) خالية خاوية (لم تسكن من بعدهم) لما فيها من وحشة وخراب ، وما يعرفها من ظلمة واكتئاب (إلا قليلاً) أى إلا سكناً قليلاً : يحيط بها المسافرون - للضرورة - يوماً أو بعض يوم

الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا بَنَيْنَا
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا أَوْثَقْتُمُ
مِنْ قَبْلِ وَفَتَنَ الْخَبِيرَ الدُّنْيَا وَزَيْنَبُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَنُفِيه كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْخَبِيرِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ أَذْهَبُوا
شُرَكَاءَ كُفُّوا دَعْوَهُمْ فَلَمْ يُسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَجَبْتُمْ الرُّسُلِينَ ﴿٣١﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

(في أممها رسولا) أى يبعث في عاصمتها ،
والقرية العظيمة فيها (إلا وأهلها ظالمون)
كافرون (وما عند الله) في الآخرة : من
جنان ، وفاكهة ورمان ، وحور حسان (خير
وأبقى) من متاع الدنيا الزائل ، ومجدها الزائف
(أفمن وعدناه وعداً حسناً) بالنعيم الدائم في
الجنة (فهو لاقية) حتماً ؛ ومن أصدق وعداً
من الله ؟! (كن متعناه متاع الحياة الدنيا)
فشغله الحال ، عن المال ، وأنساه التدبير ،
عن المصير (ثم هو يوم القيامة من المحضرين)
في النار (قال الذين حق عليهم القول) أى
وجب عليهم العذاب (أغويننا) أضللتنا (تبرأنا
إليك) منهم (وقيل ادعوا شركاءكم) أى
ادعوا الأصنام التي أشركتموها مع الله تعالى
في العبادة ؛ ليكشفوا عنكم ما بكم من ضيق ،
وليدفعوا عنكم ما أنتم فيه من عذاب (فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم) وكيف يستجيب من لا يحجب ؟
أو كيف ينجي من العذاب من هو واقع في
العذاب ؟! (فعميت عليهم الأنباء) أى خفيت
ولم يدروا بماذا يجيبون

(وربك يخلق ما يشاء) خاقته (ويختار) ما يشاء اختياره (ما كان لهم الحيرة) أى ما كان لأحدهم أن يختار نفسه ؛ لأنه تعالى صاحب الملك ، وخالقه ، وحاكمه ؛ وهو وحده صاحب الحيرة فيه ! ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ؛ أى «ويختار» الذى فيه «الحيرة» لهم والمصلحة ! وهذا واضح ملموس : فقد يختار الإنسان ما يضره ، ويساق رغم أنفه إلى ما يضره ! وهذه خبرته فى خليقته . وكما أنه تعالى اختار لما خلق ؛ فقد خلق ما اختار :

الجزء العشرون

٤٧٨

خلق تعالى أصنافاً متعددة ، وأجناساً شتى ، وأما متباينة ؛ حسباً تقتضيه المصلحة ، وتستوجبه الحكمة : ملائكة وشياطين ، وإنساً وجناً ، ووحشاً وطيوراً ، وبحاراً وأنهاراً ، وجبالاً ووهاداً ، ونهاراً وأزهاراً ؛ إلى ملا نهاية لحده ، ولا حد لنتهاه ؛ وليس الطلوس الجبل بأكرم عليه تعالى من الغراب الذليل ، ولا الهدهد بأعز لديه من الهدأة ، ولا الحمل بأحب إليه من الذئب .

وكذلك خزنة النار - وهم من هم فى النار - والعذاب وإحلال النعمة - فاتهم ليسوا بدون خزنة الجنة ؛ وهم من هم فى إسباغ السعادة وإحلال النعمة !

وكذلك ملك الموت - الذى يجلب الحزن ويأتى بالفناء - فإنه ليس بدون ملك الأرزاق الذى يأتى بالخصب والرخاء .

وجبريل الذى ينزل بالعذاب ؛ ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة ! فالكل مخلوق له تعالى ، دال على وحدانيته . والكل مخلوق بإرادته ومشيئته ، وتدبيره وحكمته ! وهو وحده «يخلق ما يشاء ويختار» (انظر آية ١٠ من سورة يوسف) (سبحان الله) تتره وتقدس (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم به غيره (انظر آية ١ من سورة

صَلِّحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخِصْمُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْغَيْرِ اللَّهُ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلُمٍ ﴿٨١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْغَيْرِ اللَّهُ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ يُغْشِي بِهَا لَبَاسًا لِّمَا تَكْسُونَ فِيهِ ﴿٨٢﴾ أَوَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ يَقُولُ آيُنْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٨٥﴾ وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلَبُوا

أَنَّ

الإسراء) (وربك يعلم ما تكن صدورهم) ماتضره وتخفيه قلوبهم (له الحمد فى الأولى) فى الدنيا (و) له الحمد فى (الآخرة) وهو قول المؤمنين الناجين يوم القيامة «الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . الحمد لله الذى صدقنا وعده . الحمد لله رب العالمين» (سرمداً) دائماً (تسكنون) تستريحون وتنامون (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار (وزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيداً) يشهد عليهم ولهم بما قالوا ، وما فعلوا (فقلنا) للمشركين (هاتوا برهانكم) على صحة معبوداتكم

(فعلوا) وقد ذاك (أن الحق لله) وحده ، وأن ماسواه هو الباطل (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) يحتلقون من الآلهة والأصنام (إن قارون كان من قوم موسى) ممن آمن به . وكان ابن عمته ، وابن خالته (فبغى عليهم) ظلمهم وتكبر وتجبر فيهم ؛ وأعجب بماله وغناه (وأثينا من الكنوز ما إن مفاتحه) المفاتيح : جمع مفتاح . والمفتاح : هو الفتح . وجمع مفاتيح . وقيل : المراد بالمفاتيح : الأوعية . فيكون المعنى : ما إن خزائنه ، وصناديق كنوزه وأمواله (لتنوء بالعصبة) لتثقل بالجماعة (أولى القوة) أصحاب القوة والشدة (إن الله لا يحب الفرحين) أى الفرحين :

٤٧٩

سورة القصص

فرح أشد وبطر ؛ أما من من الله تعالى عليه بنعمة : فاطمان إليها ؛ اطمئنان الواقع بربه ، وفرح بها : فهو ممن أحبه مولاه ؛ فرضى عنه وأرضاه ! (واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى اطلب الآخرة فيما آتاك الله من الثروة والغنى ؛ بأن تصدق ، وتصل الرحم ؛ ولا تنس أن تبقى لنفسك شيئاً يقيك العوز ، ويمنعك من إراقة ماء وجهك (وأحسن) لى الناس ؛ ولو أساءوا (كما أحسن الله إليك) رغم إساءتك (ولا تبغ الفساد فى الأرض) بالمعاصى (قال إنما أوتيته على علم عندى) أى إنما حصلت على هذا المال بسبب علمى بوجوه المكاسب ، وضروب الاتجار . وقيل : كان يشتغل بالكيمياء ؛ وهى تحويل بعض المعادن الحسيسة إلى معادن نفيسة - كالذهب - وذلك بواسطة إضافة عناصر أخرى إليها . وقد شغف الكثيرون بذلك العلم ؛ وقضوا أعمارهم ، وأفنوا أموالهم فى ذلك السبيل ؛ فلم يحظوا بطائل ؛ وحذر كثير من الألباء من ولوج هذا الباب ؛ فحذار - أيها المؤمن اللبيب - أن تحاول ما يعكر صفو حياتك ، ويشغلك عن عبادتك ؛ وانصرف عما لا يفيدك ، لى ما يفيدك ! (من القرون) الأمم (وأكثر

أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ قَبَعْنِ عَلَيْهِمْ وَهَاتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَرَأَيْتُمْ أَنَّى كُنْتُ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُعْجَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُورُونُ إِنَّهُمْ لَدُونَ حِفْظٍ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَكِنَّ قُرَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ

جما) للمال (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألون سؤال استعتاب «ولا هم يستعتبون» بل يسألون سؤال حساب وعقاب «فوربك لنسألنهم أجمعين» وقيل : لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم : لظهورها وكثرتها ؛ بل يدخلون النار بغير حساب ؛ كما يدخل خيار المؤمنين الجنة بغير حساب (مخرج) قارون (على قومه فى زينته) أى فى أهنته : لباساً فاخر الثياب ، راكباً فاره المراكب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) وليس لهم نصيب فى الآخرة (يالىت لنا مثل ما أوتى قارون) من الجاه والمال (لأنه لدو حظ عظيم) نصيب كبير فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) الدين ، والمعرفة ، والحقيقة (ويلكم) أى الويل لكم . والويل : حلول الشر (نواب الله) جزاؤه فى الآخرة (خير) من الدنيا وما فيها ، ومن فيها (لمن آمن) بالله

(وعمل صالحاً) في دينه (ولا يلقاها) أى لا يؤتى الجنة ، ولا يدخلها ؛ أو لا يوفق للأعمال الصالحة (إلا الصابرون) على الطاعات ، وعن المصطفى (نفسنا به) أى بقارون (وبداره) بما فيها من كنوز ، وأموال ؛ لم تقن عنه كثرتها ووفرتها ؛ وأهلكه الله تعالى ، وأذهب ماله ، وزينته ، وجاهه ؛ ولم يبق له في

الدنيا سوى الخزي والعنة ، وفي الآخرة الحميم والمذاب الإليم (فما كان له من فئة) جماعة ، أو عصابة (ينصرونه من دون الله) يمنعون عنه الهلاك الذي قدره له (وأصبح الذين آمنوا مكانه بالأسس) وكانوا يقولون «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون» أصبحوا يقولون (وى كأن الله) وى : كلمة يقولها النادم لأظهار ندمه (يسيط الرزق لمن يشاء من عباده) بإرادته (ويقدر) يقضى ويضيق عمن يشاء بحكمته ؛ وليس البسط دليلاً على رضاء ، ولا القبض دليلاً على سخطه (لولا أن من الله علينا) بالإيمان والصبر (لحسف بنا) الأرض ؛ كما خسف بقارون (وى كأنه لا يفلح الكافرون) الذين كفروا بأتم الله ؛ فلم يشكروها . وقطوا من زوال الشعة ؛ فلم يصبروا عليها (الذين لا يريدون علواً) بشياً وكبراً (ولا فساداً) بارتكاب المصاى . لأن الطاعة والإحسان : هما الوضع الصحيح الذى يقتضيه النظام الكونى ، وتلزمه الفطر السليمة . أما المصيبة والإساءة : فيها خروج عن الطاعة ، وفساد للنظام . والمصيبة : فساد «والله لا يحب الفساد» والمصاى : مفسد «والله لا يحب المفسدين» (والعاقبة) في الدنيا والآخرة (للمتقين) الذين «يغشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (إلا ما كانوا يعملون) أى جزاءه وعقوبته (إن

الجزء المصروف

٤٨٠

وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٤٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كُنَّا لَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٤٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا بِمَكْنَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْتَطِ اللَّهُ يَسْطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَسْتَطِ اللَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٨٢﴾ نِلَكَ الدَّارَ الْآخِرَةَ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرْيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّیْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

ظهيراً

الذى فرض عليك القرآن) أى أنزله إليك ، وكلفك بتبليغه والعمل به (لرأذك إلى معاد) إلى عود . أى لمعذك بعد الموت ، أو لرأذك إلى مكة ؛ بعد أن أخرجوك منها . وكانت عودته - عليه الصلاة والسلام - يوم الفتح (وما كنت ترجو) تأمل قبل أن نهيك النبوة (أن يلقى إليك الكتاب) أن ينزل عليك القرآن (إلا رحمة من ربك) ولكن الله تعالى أنزله إليك : رحمة منه تعالى بك وبالناس !

(فلا تكونن ظهيراً للكافرين) أى معيناً لهم . والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام - في هذا وأمثاله -

وهو أبعد الخلق عن مظاهر الكافرين !
والمراد به أمته «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» (ولا يصدنك) لا يمنعوك (عن آيات الله) عن تبايها (كل شئ) سواء تعالى (مالك إلا وجهه) أى إلا الأعمال الصالحة التى قصد بها وجهه تعالى ؛
ففى باقية : ثاب عليها ، ويسعد بها فى الدنيا وفى الآخرة ! أو «كل شئ مالك» إلا ذاته العلية ؛ فهى منزهة عن الملاك والفناء (له الحكم) القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة !

٤٨١

سورة العنكبوت

ظَهَرَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمِشِرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٠﴾

(٢٩) سورة العنكبوت مكية
الآية ١ إلى الآية ١١ مكية
وآيات ٦٩ نزلت بعد الرزق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْبَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ

(سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(وهم لا يفتنون) أى لا يمتحنون ويختبرون بما يقين به حقيقة إيمانهم . وذلك بنقص الأموال، وموت الأولاد ، والقحط ، وغير ذلك . وكما يكون الامتحان والاختبار بالفقر ، والمرض ، والموت ، والجذب ؛ فإنه يكون أيضاً بالفنى والعافية . وكما يكون الابتلاء بالضراء ، يكون بالنعماء والسراء ، وقد فتن سليمان عليه السلام بكليهما . قال تعالى «ولقد فتننا سليمان

وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب» (أن يسبقونا) يفوتونا ؛ فلا نستطيع إدراكهم ومعاقبهم

(من كان يرجو لقاء الله) ومنوبته في الآخرة
 (فإن أجل الله) الذي أجله ووقته لهذا اليوم
 الموعود (لأن) لا ريب فيه (وهو السميع)
 لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل ؛ فيجازى
 عليه (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى
 لمنفعتها ؛ لأن في الجهاد : حماية الأهل والوطن ،
 ودفع العدو الغاشم ، وإعلاء الدين ، ودخول
 الجنة (لنكفرن عنهم سيئاتهم) لنحونها عنهم
 (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) أى أمرناه
 بالإحسان إليهما (انظر آية ٢٣ من سورة
 الإسراء) (ولنجاهداك لتشرك بي) في العبادة
 (مالميس لك به علم) فقد علمت أنت المعبود
 بحق هو الله تعالى وحده (فلا تطعهما) إذ
 لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ! ومى الحالة
 الوحيدة التي يجوز فيها مخالفة الوالدين
 وعصيانها ؛ إذا ما أكرها ابنهما على الإشراك
 بالله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
 في الصالحين) أى لنحشرهم مع الأولياء
 والأنبياء (فإذا أودى في الله) أى بسبب إيمانه
 بالله تعالى (جعل فتنة الناس) أى لإذابتهم له
 (كعذاب الله) المتوقع للعصاة ؛ فاضطر بسبب
 ضعف إيمانه ، وفساد عقيدته ؛ إلى الخوف

مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ
 لَآتٍ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ
 لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
 بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَالِكٍ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَانْتَظِرْ ۖ إِنَّمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
 فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
 فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ
 جَاءَهُ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ
 اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

آمَنُوا

من الناس ، والترف إليهم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من إيمان ، أو شرك ، أو نفاق
 (وليعلم الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلم المنافقين) الذين أظهروا الإيمان ، وأبطنوا النفاق والخداع

ءَاتَمُوا أَتَبَعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِمَحْمِلِينَ
 مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ لَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ
 أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ
 فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
 لِلْعَالَمِينَ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْفِرُوا
 دَلِيلَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوتُنَانًا يَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ
 الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِنْ
 تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَهْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
 أَنْ يَبْلُغَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ

(اتبعوا سبيلنا) ديننا (ولنحمل خطاياكم)
في اتباعنا

(وليحملن) القائلون «اتبعوا سبيلنا»

(أثقالهم) أوزارهم ؛ بكفرهم (وأثقالا مع
أثقالهم) أى أوزارا مع أوزارهم ؛ ومى ذنوب
من اتبعهم واستن بسنتهم السيئة ؛ من المصاة
والكافرين (انظر آية ٢٩ من سورة المائدة)

(وجعلناها آية) أى جعلنا السفينة علامة على
قدرتنا ووحدايتنا . أو جعلنا هذه القصة
عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ

(أوتانا) أصناماً (وتخلقون) أى تتحتون
(إفكا) كذبا . والمعنى: إنما تعبدون أصناماً
تتحتونها بأيديكم (لا يملكون لكم رزقا)
أى لا يستطيعون رزقكم ، ولا أنفسهم
يرزقون (فابتغوا) اطلبوا (عند الله الرزق)
فهو وحده «الرزاق ذو القوة المتين»
(واعبدوه) حق عبادته (واشكروا له)
أنعمه عليكم (إليه ترجعون) فيجزىكم على
شكرهم «وسيجزى الله الشاكرين» (أولم
يروا) رؤية روية وتفكر (كيف يبدئ
الله الخلق) يبدأه من غير مثال سبق

أَخْلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ قُلْ سِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ
 الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَابَدُوا اللَّهَ وَلِقَائِهِ
 أُولَئِكَ يُسَوِّمُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾
 لَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَلْجَأَهُ
 اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾
 وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ
 وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَسَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
 نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ * فَتَلَقْنَا لَهُ لُوطًا وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ

(ثم يعيده) يوم القيامة كما بدأه «وهو أهون
 عليه» (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى يعيد
 الخلق مرة أخرى ، ويعيدهم يوم القيامة ؛
 وحينئذ (يعذب من يشاء) تعذيبه ؛ وهومن
 مات على الكفر ، أو أصر على الفسق ؛ ولم
 يؤمن بربه ، أو يذب من ذنبه (ويرحم من
 يشاء) رحمة ؛ ممن آمن به ، وتاب
 عما فرط منه ، وابتعد عن محارمه (وإليه
 تقلابون) ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أى
 فائزين الله تعالى ، وناجين من عذابه : مهما
 كنتم ، وأين كنتم ؛ فإنه مترككم (وما لكم
 من دون الله) غيره (من ولي) يمنعكم منه
 (ولا نصير) ينصركم عليه (والذين كفروا
 بآيات الله) القرآن الكريم (ولقائه) أى
 كفروا بالبعث والقيامة (أولئك يتسوا من
 رحمتي) بهم ؛ حين يرون العذاب «وتقطعت
 بهم الأسباب» (فما كان جواب قومه) أى
 جواب قوم إبراهيم على دعوته لهم لعبادة الله
 تعالى ، وترك عبادة الأوثان (إن في ذلك)
 الإنجاء من النار (آيات) عبر ومعجزات ؛
 إذ جعل الله النار برداً وسلاماً عليه (أوثاناً)
 أصناماً (مودعة بينكم) أى جعلتم عبادة الأوثان

سبباً للمودة فيما بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الأتباع (ويلعن بعضكم بعضاً)
 يلعن الأتباع قاداتهم (فأمن له لوط) أى آمن إبراهيم ، وصدق برسالته ؛ وهو ابن أخيه (وقال لى مهاجر
 لى ربى) أى منتقل من جانبكم إلى طاعة الله تعالى . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن القاتل : هو إبراهيم
 عليه الصلاة والسلام ؛ وأنه هاجر من سواد العراق إلى الشام . وقيل : إن القاتل هو لوط عليه السلام

(ووهبنا له) أى لإبراهيم (اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته) أى ذرية إبراهيم (النوبة) فكل الأنبياء بعد

إبراهيم من ذريته (والكتاب) اسم جنس ؛

بمعنى الكتب . أى وجعلنا نزول الكتب في

الأنبياء من ذريته أيضاً : كالنوراة لموسى ،

والإنجيل لعيسى ، والزبور لداود (وآتيناه

أجره في الدنيا) وهو الثناء الحسن في كل

أهل الأديان ، وبين سائر الملل (ولو طأ إذ

قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة) ومى لآنان

الذكران «الواط» (ماسبقكم بها) أى بهذه

الفاحشة ؛ وقد كانوا - لعنهم الله تعالى -

أول من ابتدعها ، واقتدفا (وتقطعون

السبل) الطريق ؛ لأن كل من مر ؛ كان عرضة

لاتهاك عرضه (في ناديك) في مجلسكم وجمتمعكم

(المنكر) هو ما ينكره الفرج والعرف

والذوق ؛ وقد كانوا يفعلون الفاحشة ببعضهم

نهاراً جهاراً (اثقنا بعذاب الله) الذى أوعدنا

بنزوله (إن كنت من الصادقين) فيما قوله

(ولما جاءت رسلنا) ملائكتنا إلى (إبراهيم

بالبشرى) بالبشارة بالولد ؛ أو بإهلاك أعدائه

(قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية

لوط عليه السلام (قال) إبراهيم لرسول ربه

(إن فيها) أى إن في القرية التى أمرتم بإهلاك

أهلها (لوطاً) وهو جدير بالحفظ ، فبن

بالنجاه (قالوا نحن أعلم بمن فيها) من الظالمين

فنهلكهم ، ومن المؤمنين فننجيهم ؛ و (لننجية

وأهله) وهم من آمن معه (إلا أمرأته كانت

من النابرين) الباقيين في العذاب (سوء بهم) ساء مجيؤهم ؛ خشية الفضيحة بسببهم (وضاق بهم ذراعاً)

أى ضاق صدره من أجلمهم ؛ وقد كانوا حسان الوجوه ؛ غفنى اعتداء قومه عليهم كعادتهم . فلما رأى

الملائكة خوفه وحزنه : قاموا بتسليته

لَا رَيْبَ لَكَ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٨٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٨٦﴾
وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨٧﴾ أَتَشْكُرُ لَنَّا تُونَ الرِّجَالَ
وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْنَبُوا عَذَابَ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٨٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٨٩﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى
قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٤٩٠﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا
لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَرَاهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٤٩١﴾
وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ ۖ وَأَمَّا أَنْتَ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَكَ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفِرُوا بِغَيْرِ أَمْرٍ مِنْ اللَّهِ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ ۝ وَقَادَا وَتَحْمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنَيْهِمْ وَزَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَتَمَلَّاهُمْ فَصَدَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَعْصِرِينَ ۝ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا اسْتِقِينَ ۝ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنُفِثْنَا مِنْ أَرْضِنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبَغةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ

أَعْرَفْنَا

(وقالوا لا تحزن) من شيء (ولا تحزن) على شيء (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً عذاباً) (ولقد تركنا منها آية بينة) أي تركنا من القرية دلالة واضحة على ما حل بها من الحراب والدمار ؛ وهي آثارها وأطلالها البالية (وارجوا اليوم الآخر) يوم القيامة ، وما فيه من أهوال (ولا تعتوا) العتى : أشد الفساد (فأخذتهم الرجة) الزلزلة الشديدة (جاثمين) باركين على الركبتين (وعاداً) قوم هود (وتحمود) قوم صالح (وقد تبين لكم من مساكنهم) ما حل بهم من دمار واستئصال ؛ وكانوا يرونها في أسفارهم نحو اليمن (فصدتم عن السبيل) منعهم عن الإيمان (وكانوا مستعصرين) أي ذوى عقول وإحراك وتميز ؛ لكنهم لم يؤمنوا ؛ فكان كفرهم أشد من كفر غيرهم ؛ وذلك كقوله تعالى «وأضل الله على علم» (وقارون) من قوم موسى ؛ وقد مضى ذكره في سورة القصص (وهامان) وزير فرعون (بالبينات) بالحجج الواضحات الظاهرات (وما كانوا سابقين) أي قاثين ، وناجين من العذاب ؛ بل أهلكناهم كما أهلكنا المكذبين والمستكبرين من قبلهم ومن بعدهم

(فكلا أخذنا) أهلكنا (بذنبه) الذي ارتكبه بفعله واختياره (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) كقوم لوط ؛ والحاصب : الرع ترعى بالحصباء ؛ وهي الحصى الصغير (ومنهم من أخذته الصبغة) كشمود وأهل مدين . والصبغة : العذاب ؛ أو هي مقدمة لكل عذاب (ومنهم من خسفنا به الأرض) كقارون

أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يُظْلِمُونَ ﴿١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ أَتَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٦﴾ وَلَا تَجِدُ لَوَاقِلَ
الْكُتُبِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْنَا وَلَهُنَّ
وَالَهُمْكَرٌ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ

(ومنهم من أعرفنا) كقوم نوح (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب آتوه (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنوب ، وتمريضها للعقاب (أولياء) نصراء ؛ والمقصود بها الأصنام (وإن أوهن البيوت) أضعفها (إن الله يعلم ما يدعون) يعبدون (من دونه) غيره (من شيء) أى أنهم لا يعبدون شيئاً يذكر بين الأشياء ؛ وأن معبوداتهم : لا ترفع إلى درجة الوجود ؛ فإياك إذا قيس بالواجد لكل موجودا (ونك الأمثال) المنكوبت ، والبعوضة ، وما شابههما (نصربها) نسوقها (وما يعقلها) ما يفهمها ويتدبرها (العالمون) المتدبرون (آية) دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) عن الحسن رضى الله تعالى عنه : من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر : فليست صلاته بصلاة ! (ولذكر الله أكبر) المراد بالذكر : الذكر . أى ولتذكر الله تعالى وخشيته ، والإسراع فى مرضاته ، والابتعاد عن محرماته : أكبر من سائر العبادات ؛ إذ أن العبادات وسيلة لمعرفة الله تعالى وخشيته ؛ واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ! وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ولذكر الله إياكم برحته : أكبر من ذكركم إياه بطاعته ! (والله يعلم ما تصنعون) فيجازيكم عليه ، ويؤاخذكم به (إلا الذين ظلموا منهم) بأن آذوكم وقاتلوكم ؛ فأغلظوا عليهم ، ونكلوا بهم (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و) الذى (أنزل إليكم) من الكتب

(يوم يشاء) يظلمهم (ويقول) أى يقول لهم ربهم على لسان ملائكته - لأنهم محجوبون عن التلذذ بمخاطب العزيز الكريم - (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه (بإعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة) فإذا أوديت في بلدة ؟ فهاجروا منها إلى غيرها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئتهم) لنزلتهم (من الجنة عرفاً) الغرف : أقال الجنة (خالدين فيها) أبداً ؟ خلوداً لانهاية له (الذين صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصي (وكأن من دابة) أى وكمن من دابة . والدابة : كل ما يدب على وجه الأرض ؟ من إنسان ، أو حيوان ، أو طير ، أو حشرة ، أو نحوه (لا تحمل رزقها) أى لا تستطيع الحصول عليه ، ولا تدخره (الله يرزقها ولها كم وهو السميع) لأقوالكم ودعائكم (العليم) بأفعالكم وضمائمكم !

والعجب كل العجب : أت تضرب الصخرة ؟ فتنشق عن حشرة : لا تدرى حين تلقاها ، من أين يرزقها مولاهما ، وعلى أى شيء أنشأها وربها ! وهي إن لم تجد القوت ؟ فليس لها حتماً سوى الموت ! وتجد الإنسان - صاحب الحول والطول ، والحيلة والدهاء والتدبير - دائب الكد ، متواصل السعي ؟ فلا يدرك - بكده وجهده - غير لقمته ، ولا يبلغ من حياته سوى الكفاف ، أو مامو دون الكفاف ! وتجد آخر متربها في عقر داره ؟ يحمل إليه فاخر اللبس ، وقفيس السأكل والمشرّب ؟ بما يفيض عن حاجته ، ويريد عن طلبته ؟ ليسجل تعالى على مخلوقاته : أنه الرازق بلا سبب ، المعطي بلا طلب ! رزق «السميع العليم» الذي تكفل بما خلق ؟ وساق

لكل ما أراده تعالى له ، لا ما أراده هو لنفسه ؟ فتعال المدبر الحكيم ، الرزاق الكريم (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن الإيمان ، بعد اعترافهم (الله ييسط الرزق) يوسع من غير سبب (لن يشاء من عباده) من غير طلب (ويقدر له) ويضيق عليه ؟ بعد التوسعة : ابتلاء له ، أو انتقاماً منه

بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١﴾ يَوْمَ يَفْتَنُهمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَعْبُدُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أُنْزِلَ الْعِلْمَ لِيَنفَعُوا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥﴾ وَكَأَن مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَرِيمُونَ ﴿٦﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَفَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

(بل أكثرهم لا يقولون) إذ يتصرفون بمخلقته ، ويكفرون بوحدايته ١ (وما هذه الحياة الدنيا) وما فيها من زخرف وبهجة (إلا هو ولعب) لا بقاء له ، ولا ثمرة فيه (وإن الدار الآخرة هي الميمون) أى هي الحياة الحقيقية : الدائمة النعيم ، الباقية السرور والمجور : المديدة بأن تسمى حياة (فإذا ركبوا في الفلك) في السفن ؛ وهاج عليهم البحر العجاج ، وتلاطمت بهم الأمواج ؛ وظنوا أنهم من الله إلا إليه (دعوا الله مخلصين له الدين) أى صادقين في نيتهم ، مخبتين في دعوتهم : فاستجاب ربهم لدعائهم ؛ وهو تعالى دائم الاستجابة لمن دعاه ، ولو كان عابداً أسواه ١ فتعالى الملك العظيم ، البر التواب الرحيم ١ (فلما نجى الله إلى البر) وأمنوا الملاك والإغراق (إذا هم يشركون) بغيره ، ويكفرون بمن أنجى الله (ليكفروا بما آتيناكم) من نعمة الإبراء والانباء (وليتمنوا) بالدنيا وما فيها من نعيم زائل ؛ ما هو إلا هو ولعب (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ، ومغبة كفرهم ١ (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آسناً ونخطف الناس من حورهم) أى جعلنا بلدكم حرماً يأمن داخله ؛ في حين أن الناس تنخطف من حورهم بالقتل ، والسلب ، والسبي (أقبالباطل) الأصنام ، وكل ما عدا الله (يؤمنون وبنعمة الله) الاسلام ، وعهد عليه الصلاة والسلام (يكفرون) فيأجبهم لهم : اشتروا دينهم بأخرتهم ، وشقاءهم بسعادتهم ؛ فنعساً لهم ١ (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (على الله كذباً) بأن نسب له الشريك والولد (أو كذب بالحق) القرآن والاسلام (منوى) مأوى (والذين جاهدوا فينا) أى جاهدوا من أجلنا . والجهاد

يطلق على مجاهدة النفس والشيطان ، وأعداء الدين (لتهديهم سبلنا) أى لتهديهم إلى سبيل الخير والتوفيق . أو والذين جاهدوا فيما علموا ؛ لتهديهم إلى ما لم يعلموا ؛ لأن من عمل بما علم : أعطاه الله علم ما لم يعلم (وإن الله لمع المحسنين) بالمعنى ، والنصر ، والحفظ ، والهداية ؛

الجزء الحادى والعشرون

٤٩٠

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلَى الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾
وَمَا عَلَيْهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ ۖ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَعَلَى الْحَيَوَانِ لَكَاوَنٌ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكَ
دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلْبًا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَسْكُونًا فَتَغْلَفَ النَّاسُ
مِنْ حَرَمِهِمْ ۖ أَلْقِيَ الْبَطِيلُ يُمَزِّنُونَ وَيَسْتَمِعُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧﴾

سورة

(سورة الروم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (غلبت الروم) غلبتها الفرس : فرح كفار مكة بذلك ؛ لأن الفرس كانوا يبدون الأصنام مثلهم (في أدنى الأرض) أقربها إلى فارس ، وإلى بلاد العرب . قيل : كانت موقعتهم

بالشام (وم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى بعد غلبة فارس لهم (سيفلبون في بضع سنين)

البضع : ما بين الثلاث إلى التسع . وقد التقى الجيشات في السنة السابعة من اللقاء الأول ؛

وغلبت الروم فارس : مصداقاً لقول العزيز الكريم (لله الأمر من قبل ومن بعد) فهو

وحده الذى قدر هزيمة الروم «من قبل» وقضى بنصرتهم «من بعد» (ويومئذ) يوم نصره

الروم على الفرس (يفرح المؤمنون) لأن الروم أهل كتاب ؛ فهم بالمؤمنين أشبه ، وإلى

قلوبهم أقرب . أما الفرس فقد كانوا من عبدة الأوثان ككفار مكة (ينصر من يشاء)

نصره - ولو كان ضعيفاً - ويكتب من يشاء كتبه - ولو كان قويا - «وما النصر إلا من

عند الله العزيز الحكيم» (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) أى يعلم الكفار ما يحتاجون

إليه في الدنيا من أمور المعاش : كالزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونحو ذلك .

ولا يزالون حتى الآن متقدمين في شتى العلوم والفنون - مصداقاً لهذه الآية الكريمة -

فقد تقدموا تقدماً كبيراً في استخدام القوى الكهربائية ، والطاقة الذرية ، وفنون الطيران

واللاسلكى ، والميكانيكا ، وغيرها (وم عن الآخرة) وما يوصل إليها : من قول وعمل

(هم غافلون) فلا يؤمنون بمخالفتهم ، ولا يدبنون برازقهم (أولم يتفكروا في أنفسهم) كيف أنشأناهم وأبدعنا صورهم ؟ وكيف سويناهم وخلقنا عقولهم ؟

وكيف هديناهم إلى ما يصلحهم ؟ أو «أولم يتفكروا» فيما بينهم وبين «أنفسهم» (ما خلق الله السموات وما فيها من كواكب وأملاك ، وأنجم وأفلاك ، ومخلوقات جمّة ؛ لا يحصياها ، ولا يعلمها إلا خالقها ومبدعها

(و) ما خلق الله (الأرض) وما فيها من بحار وأنهار ، وجبال وأشجار ، ونبات وحيوان (وما بينهما) مما لا يعد ولا يحصى (إلا بالحق) إلا لإقامة الحق والعدل (وأجل مسمى) أى وبقاؤها لأجل مسمى (وإن كثيراً من الناس) رغم هذه الدلالات الواضحات على قدرة الله تعالى ووحدانيته (بلقاء ربهم لكافرون)

لا يؤمنون بالبعث والحساب

٤٩١

سورة الروم

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ
الْأَيَةُ ١٧ نَدْوِيَّةٌ
وَالْآيَةُ ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝١ فِي اَدْنٰى اَلْاَرْضِ وَمِمَّنْ بَعْدَ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ ۝٢ فِي بضعِ سِنِيْنَ ۝٣ لِّلّٰهِ اَلْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۝٥ يَنْصُرُ مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ وَعَدَّ اللَّهُ لَا مُخَلَّفَاتٍ لِلَّهِ وَعَدَمَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝٧ يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرًا مِّنَ الْخَبْرَةِ الْاُنْتَبٰى وَمِمَّنْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غٰفِلُوْنَ ۝٨ اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا فِيْ اَنْفُسِهِمْ ۝٩ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَاَجَلٍ مُّسَمًّى ۝١٠ وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُوْنَ ۝١١ اَوَلَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ اسْتَفْتَا السَّوَئِىَّ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَسْخَرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِلُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾
 وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ فَرْكَائِهِمْ شُفْعَاتُؤْ وَكَانُوا يُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾
 كُفْرِينَ ﴿١٥﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٦﴾
 فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
 يُحْبَرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
 الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٨﴾ فَسَبِّحْ
 اللَّهَ حِينَ تَقُومُ وَحِينَ تُصْبِحُ ﴿١٩﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ

في

(اولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين ؟ سبب تكذيبهم ؟ وقد كانوا أشد منهم قوة) وما حل بهم : كعاد ونمود (وأثاروا الأرض) حرنوها للزرع ، وجفروها لاستخراج الفلزات والمعادن (وعمروها) بالتجارة والبناء (أكثر مما عمروها) أى أكثر مما عمرها الكفار المعاصرون (وجاءت رسلهم بالبينات) بالمعجج الواضحات ؟ فلم يؤمنوا ، وكذبوا رسلهم وأذوهم : فأهلكهم الله تعالى واستأصلهم (فما كان الله ليطلمهم) بهذا الإهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيبهم الرسل (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوائى) أى العذاب الأسوأ ؟ كما أن عاقبة الذين أحسنوا الحسنى (أن) بسبب أن (الله يسأ الخلق) ينشؤه ابتداء ؟ من غير مثال سبق (ثم يعيده) يحياه للبعث والحساب يوم القيامة (ثم إليه ترجعون) جميعاً : مسلمكم وكافركم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يأسون ويتعبدون . والإبلاس : الحزن والانكسار . وقيل : هو اقطاع الحجة (شركتهم) آلمتهم اللاتى أشركوا بعبادتها مع الله تعالى ؟ وهى الأصنام (يتفرقون) المؤمن فى الجنة ، والكافر فى النار (يحبسون) يتهللون فرحاً وسروراً

(وعشياً) وقت العشاء (وحين تظهرون) وقت الظهر . والمراد : ليلاً ونهاراً (يخرج الحي من الميت) يخرج الدجاجة - وهي حية - من البيضة - وهي ميتة - ويخرج الإنسان - وهو حي - من المني - وهو ميت في ظاهره - (ويخرج الميت من الحي) يخرج البيضة من الدجاجة ، ويخرج المني من الإنسان والحيوان .

وقد ورد في الحديث الشريف : «يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن» وذلك لأن الإيمان : هو الحياة الحقيقية التي يعتد بها ! وقد شبه الله تعالى الكفار بالموتى في غير موضع من كتابه الكريم

مسورة الروم

٤٩٣

(انظر آية ٢٧ من سورة آل عمران) (ويحيى الأرض بعد موتها) ينبتها بعد جديدها (وكذلك تخرجون) أى وكما يخرج النبات من الأرض - بعد جديدها - بقدرة الله تعالى : تبعثون من القبور - بعد موتكم - بإرادته تعالى (ومن آياته) علامات قدرته وربوبيته (أن خلقكم) أى خلق أبائكم وأصلكم : آدم عليه السلام (تنشقرون) فى الأرض ، وتصرفون فيما فيه معاشكم ومنفعتكم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا) لتطمئنون (إليها) وترتاحوا (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بينكم التواد والترحم ؛ بسبب الزواج وقيل : «مودة» بالشابة «ورحة» بالعجوز . ولا يخفى ما به الله تعالى بين الأزواج : من الشفقة والحنان ؛ وما أوجبه على كلا الزوجين من المودة ، والتفانى فى الإخلاص والمحبة ! وهذا لا يتناق مع ما يحدث من الفراق بين الطبقة الدنيا ، وذوى النفوس الرضية ؛ مما ينشأ من ضعف الأخلاق ، وفساد البيئة ، ونقص التربية . وكثيراً ما يكون ذلك سبباً فى هدم بعض النواميس الطبيعية : فقد يقتل الابن أمه - وهو أحب الناس لديها - والأب ابنه - وهو قرة عينه فى الحياة - وما سبب ذلك لإفساد الطابع ، والانصراف عن الدين الخفيف : الأمر بكل خير ، الناهى عن كل شر ! والآية

الكريمة تشير إلى أن الواجب على الزوجين : أن تسود بينهما المودة والحنان ، والرحمة والإحسان ! كيف لا وما شركاء البأساء والنعماء ، والضراء والسراء ! (ومن آياته) تعالى أيضاً (خلق السموات والأرض) وما فيها ، ومن فيهما (واختلاف ألستكم) لغاتكم (وألوانكم) فهذا أبيض ، وهذا أسود ، وهذا أحمر ، وهذا أصفر ؛ بغير تفريق بين كل منهم فى القدر والفضل ؛ اللهم إلا بالعلم والتقوى : فالعالم الأسود المتقى ربه : خير من الجاهل الأبيض الفرط فى حقوق مولاة «لأن أكرمكم عند الله أتقاكم» ومن عجب أن كثيراً من الأمم الفرية - التى تترغم المدنية الزائفة - اتخذت التفريق العنصرى ديدناً وشعاراً : فهم يقتلون الملونين بأوى الأسباب ؛ بل بلا سبب أصلاً ؛ ولا يثأرون لهم ممن يعتدى عليهم من أبناء جلدتهم . وقد فاتهم =

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنۢ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٣﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنۢ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَاللُّغَةَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَاسِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَأَتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ

== أن جميع الكائنات البشرية أخوة ، وأن وراء هذه الألوان المتعددة روحاً واحدة لا لون لها ؛ وأن لها واحداً هو الذى خلقهم جميعاً ، وأودع فى كل منهم سره ونوره ؛ وأرسل على روح كل واحد منهم ستاراً كثيفاً ؛ هو الجسد ؛ وهذا الستار يكون فى صقع أبيض ، وفى آخر أسود ؛ وفى صقع أحمر ، وفى آخر أصفر . ومن آياته تعالى البينات : اختلاف اللغات ؛ وقد بلغ عددها فى بعض الأصقاع عشرات المئات . وقد قام كثير من الباحثين بحصر اللغات العالمية وإحصائها ؛ فزاد ما أحصوه على الثلاثة آلاف ، ولم يبلغوا بعد غايتها ونهايتها .

٤٩٤

الجزء الحادى والعشرون

وتستوى اللغات جميعاً فى وحدة المقصد : وهو الإبانة . ولا فضل لإحداها على الأخرى إلا بالسهولة ، ويسر تناول . وقد شرف الله تعالى اللغة العربية ب نزول القرآن بها ؛ وذلك بسبب حاجة الأمة العربية للهداية ؛ ولا يستطيع لإنسان - بالفا - ما بلغ من رجحان العقل أو قصصانه - أن يزعم أن اللغة العربية - التى نزل بها القرآن - هى اللغة التى يتخاطب بها ملائكة الرحمن فى سمواته ، وأنها لغة الله تعالى التى لا يصدر أوامره إلا بها . ألم ينزل بها كتابه ؛ وهو كلامه العزيز ، وقرآنه الكريم ؟

والواقع أن اللغات جميعاً - عربياً وعميحياً - مخلوقة لله تعالى ، وهى إحدى آياته البينات « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

وليس من فضل لغة من اللغات على صاحبها : سوى الإبانة التى لم تخلق اللغة إلا لتكون أداة لها .

وكما أوحى ربك إلى الإنسان ؛ أوحى أيضاً إلى الحيوان « وأوحى ربك إلى النحل » وتنبه الوحي فى الحالتين : هى وصول العلم بالوحي به إلى الوحي إليه - مع اختلاف الوسائل - وكذلك كان وحيه تعالى إلى كثير

أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۖ ثُمَّ إِذَا دَعَا دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُم تَخْرُجُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قٰنِتُونَ ﴿١٠١﴾ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٢﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّالِكُمْ يَمْتَكِنُ مِن فَرْكَاةٍ فِي مَارَدَفِكُمْ فَاتَّقِمَ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُوهُمْ خَتَمَفْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَاتَّقِ اللَّهَ الَّذِى هَدٰىكَ لِّلْذِيْنِ حَنِيفًا ۚ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فَطَرًا نَّاسًا عَلَيْهِ لَا تَبْدِيلَ لِّخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذٰلِكَ الَّذِى الْفَقِمْ وَلٰكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَأَقْوَاهُ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَلَا تَكُونُوا مِّنَ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٦﴾

من خلقه « وأوحينا إلى أم موسى » فلم يقل لإنسان : أنه تعالى أوحى إليها عن طريق جبريل عليه السلام ؛ وإنما كان عن طريق الكشف عما يجب أن يتبع ، أو عما فيه الصالح العام للجمع الإنساني .

ومن ذا الذى يستطيع أن يحدد أن مآراه من صنوف المخترعات ، وشتى الفنون ؛ إنما كان عن طريق الوحي ، والتوجيه ، والتعليم الإلهي « علم الإنسان ما لم يعلم » .

ولا فأتين جهد العقل الإنساني من الكهرباء ؛ وهو لم يعلم - حتى الآن - كتبها ، ولم يكشف سرها ؛ وأين جهد العقل البشرى من الرادار ، والتليفزيون ، والذرة ، وما شاكل ذلك ؟

إن الإنسان يتوهم أن جميع ذلك كان وليد الصدفة المحضة ؛ ولكن هذه الصدفة التى يزعمونها ؛ =

== إن مي لا وحى خالص من لدن حكيم عليم ! (انظر آية هـ من سورة العلق) .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(كل له فائقون) متقادون (وهو أعمون عليه) أى إن إعادة الخلق : أهوت عليه من بدئه (هل لكم مما ملكتم أيمانكم) عبيدكم (من شركاء فيما رزقناكم) أى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه شريكاً له في ماله الذى رزقه الله تعالى ؟ فإذا لم يكن ذلك كذلك ؛ فكيف ترضون لله شريكاً : هو فى الأصل مخلوق ،

ومملوك لله ؟ (فأنتم فيه سواء) أى أنتم وعبيدكم

سواء فى الرزق ؛ ومع ذلك لا ترضونهم شركاء

فيه ؛ ورضيتم لله شركاء فى خلقه وملكه ،

من عبيده وصنع يده ! (تخافونهم تخيفنكم

أنفسكم) أن تخافون أن يرثكم عبيدكم ولماؤكم ؛

تخيفة أن يرث بعضكم بعضاً . فإذا كنتم

تخافونهم على أموالكم - وأنتم وهم فيها سواء -

فكيف ترضون أن يشرك الله تعالى فى ملكه :

ما تصنعونه بأيديكم ؛ وأنتم صنع يده ، وفقراء

رحته ؟ ! (فأنتم وجهك للدين) أى أقبل عليه

باهتمام (حنيفاً) مسلماً ، مثلاً إليه (نظرة الله)

خلقته ودينه (التي فطر الناس عليها) أعدم

لقبولها ، وأهلهم لفهمها وألزمهم بها ؛ بما

أودعه فيهم من عقل وتمييز (ذلك الدين القيم)

المستقيم ، الواضح ، المقول ، المقبول ؛ الذى

تستسيغه وتقبله الفطر السليمة (منيبين إليه)

راجعين إليه : مؤتمرين بأوامره ، متنبهين عن

نواهيهِ (وكانوا شيعاً) فرقة (كل حزب)

كل فرقة ، وجماعة (بما لديهم) من الآراء

الباطلة ، والمقائيد الفاسدة (فرحون)

مسرورون ؛ لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث

وراء الحقائق ، والسعى إلى معرفة الخير الموصول

إلى رضا الرحمن ورحيب الجنان ! (وإذا مس

الناس ضر) شدة ، فقر ، ومرض (دعوا

ربهم منيبين إليه) راجعين إلى طاعته (ثم إذا

أذاقهم منه رحمة) سعة ، ورخاء ، وصحة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) أى يشركون غيره معه فى العبادة :

يخلقهم فيعبدون غيره ، ويرزقهم فيشكرون سواء ! وللتشرك مظاهر شتى لا حصر لها فليس مقصوراً على عبادة

غير الله فحسب : فلو انتصر عارب على عدوه ، وظن أنت نصرته من قوته : فقد أشرك بمن أعانته وأخذ

بناصره . ولو أترى تاجر ، وظن أن ذلك بفطنته : فقد أشرك برازقه . وإذا برع صانع فى صنعه ، وظن

أن ذلك بجذقه ومهارته : فقد أشرك بعمله وموقفه ! فاحذر - هداك الله - الشرك الخفى ؛ فقد أهلك من

كان قبلكم قال تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» ومن قبل قال فاروق «إنما أوتيته على علم

عندى» (ليكفروا بما آتيناكم) من الحيات والبركات : فمن مال وفير ، ورزق كثير ؛ إلى سرور =

٤٩٥

سورة الروم

الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سَمِيعًا

كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ

دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا

فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ

فَقَتَمُوا فَنَجِّوهُمْ فَعَلُّونَ ۝ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَانًا

فَهُوَ يَشْكُمُ وَمَا كَانَ لِهِمْ بُشْرُكُونَ ۝ وَإِذَا أَذَقْنَا

النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ۝ فَفَعَلَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَسَةً وَاللَّيْسَ كُنَّ وَآبَنَ

السَّبِيلِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰ لَهُمْ

الْمُقْلِحُونَ ۝ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِزْقٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

فَلَا يُرِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

== وحبور ، وصحة وقوة ، وبين وبنات . (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم ، وعدم شكركم . (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة ؛ وكتاباً (فهو) أى الكتاب (يتكلم) كلام دلالة ؛ لا كلام نطق (بما كانوا به يشركون) أى بصحة شركهم (وإن تصبهم سيئة) شدة وضيق (بما قدمت) بسبب ما قدمت (أيديهم) من ذنوب وآثام (إذا هم يقتطون) يأسون من رحمة الله تعالى ومعوته (ويقدر) ويضيق (إن في ذلك) البسط والتضييق (لآيات) لبر ، وعظمت ، ودلالات ؛ تدل على وجود الخالق الرازق ؛ الذى « يبرز من يشاء

الجزء الحادى والعشرون

٤٩٦

بغير حساب » وبغير سبب ظاهر ، ويضيق على من يشاء بغير سبب ؛ ومع توافر أسباب الرزق والسعة . فهو تعالى وحده يختص من يريد بما يريد « له الخلق والأمر » فإذا كنت يامن هداك الله ؛ ترغب في فضل الله (فأت ذا القرنى) حقه والمسكين وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع . وقد عرفنا الله تعالى بذلك : أن لذي القرنى ، والمسكين ، وابن السبيل حقوقاً ثابتة في أموالنا ؛ يجب بنها لهم ، وأداؤها إليهم . وأن هذه الحقوق ليست تفضلاً منا عليهم ؛ بل هي فرض واجب الأداء والوفاء ، وأوامر واجبة النفاذ ؛ أصدرها من يملك الخلق والرزق ، والثواب والعقاب ا (وما آتيتكم) أعطيتكم أحداً (من رباً) أى من شيء تطلبون زيادته ؛ كأن تهبوا هبة أو تهديوا هدية ؛ لا بقصد الهبة ، ولا بقصد الإهداء ؛ بل بقصد الزيادة والتفاخر ، والتكاثر (ليربوا) ليزيد (في أموال الناس) فيردونه إليكم مضاعفاً ؛ فإن هذا العمل إذا جاز أن يربو عند الناس (فلا يربو عند الله) لأنه لم يقصد به وجهه الكريم ا فليس لكم عليه من أجر ، ولا ثواب . وهو كقوله تعالى « ولا تمنن تستكثر » (وما آتيتكم) أعطيتكم وأقمتكم (من زكاة تريدون) بها (وجه الله) مرضاته وثوابه (فأولئك هم المضيعون) الذين يضاعفون ثواب

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِعُّونَ ﴿٤٩٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَغْنَبُكُمْ ۖ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٩٧﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٩٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ بَأْسَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَذِي يَبْسُطُ بَعْضُهُمْ أَوْسَادَهُمْ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴿٥٠٠﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٥٠١﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠٢﴾ وَمَنْ ءَايَنْتَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

حسنتهم ؛ فيرضيهم بهم ويرضى عنهم ا (هل من شركائكم) الذين تعبدونهم (من يفعل من ذلك من شيء) أى هل من شركائكم من يستطيع أن يبسط الرزق لأحد ، أو أن يقدره على أحد ؟ أو أن يكشف الضر عن أحد ، أو أن يلحقه بأحد ؟ أو أن يخلق ، أو يرزق ؟ أو أن يحيى أو يميت ؟ ا (ظهر الفساد) المراد بظهور الفساد : ظهور المعاصي ؛ وظهوره : ظهور آثاره وعواقبه (في البر) بالجلد ، ونقص الثمرات ، وذهاب البركة ا (والبحر) بقله ماء الطر ، المستمد منه ، أو بقله الأسماك التى تصاد منه ، أو بكثرة طغيانه بالفيضان والإغراق (بما كسبت أيدي الناس) من المعاصي (ليذيقهم) بهم (بعض الذى عملوا) أى جزاءه (لعلهم يرجعون) عن معاصيهم ؛ فتعود إليهم أرزاقهم ، وتتوافر خيراتهم ومكاسبهم ، ويرضى عنهم ربهم ا =

== (فأقم وجهك) اقصد وانجه بكليتك (لدين القيم) الإسلام؛ فذلك وحده سبب كل خير ويسرا (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله) لا دافع له، ولا مانع (يومئذ يصدعون) أى ينفرون «فريق في الجنة وفريق في السعير» (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون لأنفسهم مقر راحتهم في الدنيا، ونعيمهم الدائم في الآخرة ١ (الرياح مبشرات) بالمطر؛ الذى هو سبب الإنبات والرزق (ولذيكم من رحمته) خبيبه وسعته (ولتجرى الفلك) السفن (بأمره) بإرادته، ومعوته، وحفظه (وليتنوا من فضله) تطلبوا الرزق بالتجارة (والكسب؛ عن طريق الأسفار، في البحار

سورة الزوم ٤٩٧

(غشاء وهم بالنبات) بالحجج الواضحات الظاهرات (ويجعله كسفاً) قطعاً (تقرى الودق) المطر (يخرج من خلاله) أى من خلال السحاب؛ وهو وسطه (فإذا أصاب به) أى بالمطر (لبسين) آيسين (فانظر إلى آثار رحمة الله) بعباده، وشفقته بخليقه (كيف يحيى الأرض) بالماء، والنبات، والأقوات (بعد موتها) جديها ويسبها (إن ذلك) الإله؛ المرسل الرياح، الثير السحاب، الغزل الماء على من يشاء، الحي به الأرض بعد موتها «إن ذلك» القوى القادر (لحي الموتى) من قبورها، وباعثها من أجدانها، ومحاسبها على أعمالها ١ (فأروهم مصفراً) أى الريح، أو الزرع، أو السحاب. وذلك لأن اصفرار السحاب: يدل على عدم وجود الماء فيه، واصفرار الريح: على أنها لا تلقح السحاب، واصفرار الزرع: على يسه وعدم نمائه (لظلوا) لمسكنوا (من بعده) أى من بعد الاصفرار، وبأسهم من الإمطار (يكفرون) يمجدون أنعم الله تعالى السابقة عليهم، ورحته الواسلة إليهم (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) أى لا تستطيع إسماع موتى القلوب، ولا سم العقول. وشبههم تعالى بالموتى والصم؛ لأن حالهم كحالهم في عدم الانتفاع بالسمع

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ١٢ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُبْرِحُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ غَلَّتِهِ فَلَمَّا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ١٣ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُمِلِينَ ١٤ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٥ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ١٦ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ١٧ وَمَا أَنْتَ بِمَدِّ النَّعْمِ عَنْ ضَلَّتْهُمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ١٨

(الله الذي خلقكم من ضعف) أى من شئ ضعيف ؛ لا قوة له : وهو الخي . أو أريد به الطفولة ؛ وهى ممكن الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وهو سن الشباب والفتوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً) وهو الهرم والشيوخة (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) الكافرون ؛ أنهم (مالبثوا) مكثوا فى الدنيا أو فى القبور (كذلك كانوا يؤفكون) أى «كذلك» كما صرفوا عن حقيقة لبهم فى الدنيا أو فى القبور ؛ كانوا يصرفون عن الحق فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) الملائكة (والإيمان) وهم الأنبياء (لقد لبتم فى كتاب الله) أى فى ما كتبه الله تعالى فى سابق علمه وتقديره (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) الكفار (معذرتهم) اعتذارهم عما سلف منهم فى الدنيا (ولا هم يستعجبون) يعجبون ؛ لأن العتاب ، لا يكون إلا بين الأحباب . والاستعجاب أيضاً : الاسترضاء (ولئن جهنم بأية) معجزة مما يقترحون ؛ كالعصا ، واليد ، والناقة ، والمائدة ، وأشياء ذلك (ليقولن الذين كفروا) وهم الذين يقترحون الآيات والمعجزات ؛ كقولهم «فأت بآية إن كنت من الصادقين ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» فإذا جاءهم رسولهم بآية قالوا (إن أنتم إلا مبطلون) كاذبون ، ساحرون (كذلك) كما طبع الله تعالى على قلوب هؤلاء حتى أدخلوا النار بأعمالهم (يطبع الله) يحتم وينطى (على قلوب الذين لا يعلمون) أى الذين لا يلقون بهم لأدلة التوحيد ، وبراهين الربوبية (فأصبر) على أذائم (إن وعد الله) بنصره وخذلانه (حق) لا مراء فيه (ولا يستخفك) أى لا يحملك على الخفة ، والقلق ، والجزع : قولهم لكم «إن أنتم إلا مبطلون» .

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَ مَا بَشَأَ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١٠٠﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿١٠١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَ يَوْمَ الْبَيْعِ ۖ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْعِ وَلَكِنْ تَكْذِبُونَ ۖ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَٰكِنْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا بِاللَّهِ كَفَرُوا ۖ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿١٠٤﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخْفَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(٣١) سورة لقمان مكية

١٧ الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فذبت
والها ٣٤ نزلت بعد الإضافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ۝ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى
وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝
وَإِذَا نَادَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن
فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آيَاتِنَا إِلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا

(سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) .

(أولئك) القيمون الصلاة ، المؤتون الزكاة ،
الموقنون بقاء الله (على هدى من ربهم) فتحوا
آذانهم لكلامه ؛ خفهم بإفهامه ، وأطاعوا
رسله ؛ فهداهم سبيله (وأولئك هم المفلحون)
الفائزون في الآخرة بالنعيم الأكبر ، والخير
الأوفر (ومن الناس من يشتري لهو الحديث
أى مايلهى من الحديث (ليضل عن سبيل الله)
طريق الإسلام (كأن في أذنيه وقرا) صما

(رواسي) جبالا شوامخ (أن تميد) لتلا تيل الأرض (بكم) وتضطرب (وبث) فرق ونمصر (فأنبثنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن ، عظيم ، بهيج (هذا خلق الله) خلق الجنان ومن أكلهم لسكانها ، والجحيم ومن أعدم لظاهما ، وخلق السموات وما فيها ومن فيها ، والأرض وما فوقها وما تحتها ، والجبال لتقيها وتحفظها ، والإنسان ، والدواب لتسكنها وتحميها وبركاتها ، وأنزل من السماء ماءً ليرسلها ويخصبها ، وأمتع من فيها ؛ امتحاناً لهم ، واختباراً لإيمانهم ! «هذا» جمعه «خلق الله» (فاروني) أيها المكذبون الضالون (ماذا خلق الدين)

الجزء الحادي والعشرون

٥٠٠

تعبونهم (من دونه) غيره تعالى (بل الظالمون) الكافرون الذين ظلموا أنفسهم بغير رضا للعقاب ، وحرمانها من الثواب (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهي العلم ، والإصابة في الرأي ، ونحري الحق ، و «لقمان» قيل : إنه كان عبداً حبشياً . وقيل : إنه من أولاد آزر . وقيل : إنه عاش ألف سنة : وأدركه نبي الله داود ، وأخذ عنه العلم . وقد كان يقضي ويفتي قبل ممته ؛ فلما تمت قطع القضاء والفتيا ؛ فسل في ذلك . فقال : ألا أكتفي إذ كفت . وقال بعضهم بنبوته . والجهور على أنه كان حكماً ولياً ، ولم يكن نبياً ؛ ولقد أحب لقمان ربه فأحبه ؛ وآتاه «الحكمة» وعلمه ما لم يكن يعلم ! (أن اشكر الله) وشكر الله تعالى : أساس الإيمان ، ورأس الحكمة (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) لأن ثواب شكره مأد عليها (ومن كفر) فلم يشكر أنعم الله تعالى عليه (فان الله غني) عن عبادته ، وعن شكره «ومن كفر فان الله غني عن العالمين» (جيد) محمود في صنعه ، مستوجب الحمد والشكر ؛ فإنا من نعمة إلا هو - جل شأنه - مسديها . وما من خير إلا هو - عز سلطانه - باعته . وما من مخلوق إلا تقوطه من الله تعالى أنعم لا يدرك مداهما ، ولا تعلم خوافيها :

وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَبَعَثَ فِيهَا رُسُلًا وَآتَى فِي الْأَرْضِ رُوحِي أَنْ تَحْمِيذَ بِكْرَ
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٢﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَلِنَمَّا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٤﴾
وَلَمَّا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ اللَّهِ
إِنْ أَشْرَكَ أَطْلُمُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
حَسَنَةً إِنَّهُ هُوَ وَهْنٌ وَفَضْلُهُ فِ عَيْنَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي
وَلِرَبِّكَ إِنَّكَ إِلَيَّ لَآتِمِصِيرٌ ﴿٦﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِإِلَهِكَ بِشَيْءٍ مِمَّا كَسَبَتْ يَدَاكَ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفٌ وَآتِنَا سَبِيلَ مَنْ أَنْتَ إِلَهُنَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ
فَأُنَبِّتُكُمْ

فَأُنَبِّتُكُمْ

فكم الله من لطف خلقه يبق خفاء عن فهم الذكي !

وقد أبان الله تعالى لنا حكمة لقمان ، وأن جماعها شكر العزيز المتان : «أن اشكر الله» وأن أغش الظلم وأعظمه : الشرك بالله (يايى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وأن خير ما يرضيه تعالى : طاعة الوالدين وبرهما ، والمحب عليهما ، وشكرهما «أن اشكر لي ولوالديك» (ووصينا الإنسان بوالديه) والوصية : أرفى مرتبة من الأمر ؛ ألا ترى إلى قول الرحيم الرحمن - بعد أن أمر ونهى في حكم القرآن - «ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» . ذلكم وصاكم به لعلكم تهكرون» (انظر آيتي ١٥١ و ١٥٢ من سورة الأنعام) (حلتته أمه وهنأ على وهن) أى ضعفاً على ضعف (وفصاله) فطامه (أن اشكر لي ولوالديك) الشكر لله تعالى : =

على أنفسه ؛ وأجلها وأفضلها : نعمة الإيمان « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » والشكر للوالدين : على جهما ، وتضحيتهما ، وتربيتهما ، ونصحهما ! وقد قرن تعالى شكر الوالدين بشكره : ليشعرنا بعز يد الاهتمام لهما ، والعناية بهما (انظر آية ٢٣ من سورة الإسراء) (وإن جاهدك) فأتلاك (على أن تشرك بى ما ليس لك به علم) أى على أن تعبد ما يعبدان من آلهة لا أصل لها ولا حقيقة لأمرها (فلا تعلمها) على الشرك . وهو الأمر الوحيد الذى يستوجب عصيانهما ومخالفتها ؛ ولكنه لا يستوجب نذما ، أو محاربتها ؛ كسائر الكفار

٥٠١

سورة لقمان

والمشركين ؛ فقد قال تعالى (وصاحبها فى الدنيا معروفا) أى بالمعروف الواجب لهما : من بر ، وصلة ، ومعونة . وقد أفنى الأكثرون على وجوب معاوشتها فى الذهاب إلى الكنيسة متى طلبا ذلك (واتبع سبيل من أناب) رجع (إلى) فى دينه ، وأمره ، واستعانت به ، وتوكله (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من عمل ؛ فأجازيكم عليه : ثواباً ، أو عقاباً (يابنى لأنها) أى الحصلة السيئة ، والفعلة الذميمة (إن تك مثقال) وزن (حبة من خردل) التمثيل بحبة الخردل : مبالغة فى الصغر ؛ لأن حبة الخردل ؛ من أصغر الحبوب (فتكن) هذه الحبة من الخردل مستكنة (فى صخرة) فلا ترى لدى عينين (أو) تكن ضائعة (فى السنوات) على سعتها (أو فى الأرض) على رحبها ؛ فإنها لا تنقضى على ربها ؛ بل (يأت بها الله) الذى « يخرج الحبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » (إن الله لطيف بعباده (خير) بأحوالهم (يابنى أقم الصلاة) فى أوقاتها . والصلاة لله تعالى : فرضت فى سائر الشرائع المتقدمة ؛ مع اختلاف بسيط فى طرق أدائها ؛ مع اتحادهما جميعاً فى الخضوع له تعالى ، والاتجاه إليه ، والإقرار بوحدانيته ! (وأمر بالمعروف) وهو كل

فَأَنبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾ يَتَّبِعُنِي أَنَّى إِن تَكَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ نَّوْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾
يَتَّبِعُنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٥٢﴾
وَلَا تُصَوِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٥٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْهَمِيرِ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحْرُكُكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطَنَهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْئَلُ فِي اللَّهِ بَغِيرًا عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ تَتَّبِعُهُ مَا وَحَدَّنَا عَلَيْهِ بَاءً نَأْ أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ

ما يقره الشرع ويرفضه ، وأمر به (وانه عن المنكر) وهو كل ما ينكره الشرع ، وتأباه المروءة ، وتنبو عنه الأذواق السليمة ! (واصبر على ما أصابك) أى ما يصيبك فى هذه الحياة من شدائد وبلايا ، وما تلقاه من أذى عند الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وما يصيبك عند كبج الجماع ، عن غير المباح ! (إن ذلك) الصبر (من عزم الأمور) أى معزوماتها ؛ التى يجب التمسك بها . أو « إن ذلك » الذى وصيتك به جميعاً : من إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر على المكروه (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض عنهم تكبراً . والصبر - بفتح العين - ميل الوجه (واقصد فى مشيك) القصد : التوسط . أى لا تسرع فى المشى ؛ فيذهب بهاؤك ، ولا تتباطأ ؛ فتبدو خيلاً (وأسبغ عليكم نعمة) =

== أعما ووسعها (ظاهرة وباطنة) الظاهرة : حسن الخلق واستواء الأعضاء . والباطنة : حسن الخلق ، والذكاء ، والعلم ، والمعرفة . أو الظاهرة لك : كالغنى ، والعافية ، والإيمان . والباطنة عنك : كالإنجاء من المسكاره ، ودفع الأرزاء والأسواء ؛ من حيث لا تدري ولا تحتسب . ونعم الله تعالى الحفية : أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ! فلو علمت أيها الإنسان ، أن الختان المثنان : يسلك من بين يديك ومن خلفك من يكلوك بإرادته ، ويحفظك بمشيئته ؛ لما وسعك إلا التمسك بطاعته ، والتزلف إليه ! وأذكر

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٢

قوله تعالى « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » وقوله العزيز الجليل « فآله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » (ومن يسلم وجهه إلى الله) أى يقبل على طاعته ، ويتقاد لأوامره (وهو محسن) في عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بالجليل المتين الوثيق ؛ الذى لا انقطاع له ؛ وهو دين الله المستقيم : الذى من تمسك به فاز ونجا ، وقال الدرجات العلا (إلىنا مرجعهم) هؤلاء الكفار (فنتنهم بما عملوا) ونجزيمهم عليه : جعيا ، وعذابا أليما ! (إن الله علم بذات الصدور) بمكنوناتها (نتنهم قليلا) فى الدنيا ؛ لأن زمنها قصير وإن طال (ثم نضطرهم) لنجشهم (إلى عذاب غليظ) قاس ، شديد (إن الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) مستوجب الحمد : المهدود فى صنعه (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) أى لو أن سائر شجر الأرض تحولت فروعه وأغصانه إلى أقلام يكتب بها (والبحر) الذى لا يحده حده ، ولا يبلغ أمده (يمده من بعده سبعة أبحر) تأنله فى العمق ، والسعة ، والعظم ؛ وصارت مياه هذه البحار مجتمعة مدادا ؛ تستمد منه هذه الأقلام ، وتكتب كلمات الله تعالى : لنفدت هذه الأبحر ، ونضب ماؤها ؛ و (ما قدرت كلمات الله) وليس المراد بالكلمات فى هذا المقام : الكلام المكون بالنطق ،

يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠١﴾ * وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَدْعُرُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَ أَبْحُرٍ مَانَفِدَتْ كُلُّتُهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا نَعْتَكُمْ إِلَّا أَنْ تَقْسَ وَاحِدَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْتَرُ السَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ

يَجْرِي

المؤلف بالحروف ؛ وإنما أريد بها نتائجها ؛ وهى النعم الجزيلة ، والثناء العظيمة ، والصفات الباهرة ، والآيات الظاهرة ؛ فإن كلا من هذه لو وقف عليه لانسأت صافى الذهن ، صحیح الفكرة ، طلق اللسان واضع اليان ؛ لما وسعته أشجار الأرض أقلاما ، وبحورها مدادا ولو تضاعفت هذه الأشجار ، وتلك البحار ؛ أضعافا مضاعفة ! (انظر آية ١٠٩ من سورة الكهف) (إن الله مريب) فى ملكه ؛ غالب لا يقلب (حكيم) لا يخرج شئ عن علمه وحكمته (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ؛ وذلك بزيادة الليل شتاءً ونقصه صيفا

(كل) من الشمس والقمر (يجزى) في فلكه بأمر ربه تعالى (إلى أجل مسمى) هو انتهاء الدنيا ، وقيام الساعة (ذلك) النظام الدقيق المحكم (بأن الله هو) الإله (الحق) القادر ؛ واجب الوجود ، والموجد لكل موجود (وأن ما يدعون) ما يبدون (من دونه) غيره (الباطل) الزائل ؛ الذى لا أصل له ، ولا برهان عليه (وأن الله هو العلى) المتعالى عن صفات المخلوقين ؛ بالبقاء ، والقدرة ؛ المتعالى عليهم بالغبلة والقهر (الكبير) العظيم ؛ الذى لا يماثله شيء (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله) بالأرزاق والتجارات (ليرىكم من آياته) دلائل قدرته ؛

٥٠٣

سورة قهار

من حل الماء للفلك ، والحفظ من مهالك البحر ، والهداية إلى مسالكه ، والتوفيق إلى أسباب الكسب ؛ فقد يقوم تاجران - في وقت واحد - بتجارة متجانسة ؛ فيعود أحدهما بالمال الكثير ، والربح الوفير ، ويعود الآخر بالخسارة والحرمان . وقد يرغى الغنى ، ويغترى الذكى (لكل صابر) كثير الصبر (شكور) كثير الشكر (وإذا غشيهم) غطاهم (موج) شديد (كالظلال) الظلال : جمع ظلة ؛ ومضى كل ما أظلك من جبل ، أو سحاب (دعوا الله مخلصين له الدين) أى متوجهين بقلوبهم إليه مؤمنين حق الإيمان به (فهم مقتصد) أى باق على الإيمان ، أو هو بين بين : بين الكفر والإيمان ، وقيل : مظهر للإيمان ، مبطن للكفر ؛ والأول أولى . والمعنى : فهم باق على إيمانه وإخلاصه الذى بدا منه وقت شدته ، ومنهم من رجع إلى أصله ، وعاد إلى كفره (اختار) غدار (كفور) شديد الكفر (واخشوا يوماً) هو يوم القيامة (لا يجزى) لا يفي (والد عن ولده) ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً (أى لا يتحمل والد العقوبة عن ولده ، ولا مولود العقوبة عن والده ؛ بل يجزى كل منهما بما فعل واكتسب ؛ كل احصى بما كسب رهين) وذكر تعالى الوالد

يَجْزَى لَكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٠٣﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٥٠٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرَى
فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِرُبُوبِكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٠٥﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَاطِلٌ
دَعَوْا اللَّهَ خَلِّصْهُمْ لَكَ الَّذِينَ فَلَسَ يَنْجِيهِمْ إِلَى الْآخِرِ فَيَنْهَمُ
مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَوَّارٍ كَفُورٍ ﴿٥٠٦﴾ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تُقَرَّرُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يُفَرِّقُكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُودُ ﴿٥٠٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥٠٨﴾

والولد : لأن الوالد محط الحب والفداء ، والمولود محط الرحمة والرزاء ؛ فإذا كانا لا يفي أحدهما عن الآخر شيئاً ؛ فبالنسبة للأبعد يعز الفناء (إن الله عنده علم الساعة) كيف تقوم ، ومتى تقوم ؟ (وينزل الغيث) المطر ؛ وسمى المطر غيثاً ؛ لأنه يغيث الناس من الجوع والفقر ؛ ولذا سمي الكلاء غيثاً ؛ لأنه يغيث الماشية (ويعلم ما في الأرحام) من الأجنة : ذكر أ أو أنثى ؟ حياً أو ميتاً ؟ شقيماً أو سعيداً ؟ (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) فقد يسافر مسافراً إلى الصين بلا سبب ؛ فتعاطله النية ؛ وقد يمجن حينه وهو في ذروة قوته ، ووافر صحته ؛ وقد يسافر ليبراً من علة ؛ فيأتيه الموت لساعته ؛

= وهذه الأمور الخمسة اخضع بمعرفتها العلم الخبير ! وقد يقال : إن علماء الفلك ، والأرصاد الجوية ؛ قد أصبحوا - بواسطة علمهم وآلاتهم - يعلمون متى تهب الرياح ؟ ومتى تنزل الأمطار ؟ وهو قول لا يعتد به ، ولا يلتفت إليه ؛ فكيف من مرة وعدوا بالخصب : غل الجذب ، وأوعدوا بالبلاء : فعم الرخاء . وكيف من مرة حذروا من البرد : فجاء الحر ، ومن الحر : فجاء القرا وقولهم لا يعدوا التخمين والظن « وإن الظن لا يثبت من الحق شيئاً » أما اليقين : فلا يعلمه سوى رب العالمين !

(سورة السجدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(لا رب) لا شك (أم يقولون افتراه) أي
اختلف عهد هذا القرآن (لتنزل قولاً ما أنام
من نذير من قبلك) وهم قريش خاصة ، أو
العرب كافة . وبذلك تكون من أهل الفترة ؛
قبل بعثته عليه الصلاة والسلام . قال تعالى :
« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقد
كانوا مكلفين باتباع إبراهيم وإسماعيل عليهما
الصلاة والسلام ؛ وذلك مصداق قوله جل
شأنه « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »
لكنهم تحولوا إلى عبادة الأصنام ؛ التي أحدثها
فيهم عمرو الخزاعي لعنه الله تعالى ! (ثم استوى
على العرش) استواء يليق به تعالى ، وليس
كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن
المكان ، وتعالى المبود عن المحدود (يدبر
الأمر من السماء إلى الأرض) مدة بقاء الدنيا .
وتدبير الأمر : أمره تعالى بما يصلح البلاد
والعباد : من نزول أمطار ، ونمو أشجار ،
وازدحام أثمار ، وجريان أنهار ، ولimate
أحياء ، وإحياء أموات . فتعالى الخالق
المصور ، الرازق المدبر ! (ثم يرجع إليه)
أي يصعد إليه ذلك الأمر ، وتأتيه ليفصل

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٤

(٢٢) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
الْأَمْرُ آيَةٌ ١٦ إِلَى آيَةِ ٢٠ قَدْ نَسِيتُ
وَلَا تُفْهِمُ ٣٠ تِلْكَ بَعْدَ الْمُنْتَهَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَمْرُ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلَى هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِنُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ
إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ

خَلَقَ

فيه : لقد أمر تعالى بنعمة لبعض عباده ؛ هل شكروها ، أم كفروها ؟ وأمر لبعض عباده بيبلاء ؛ هل صبروا
على بلاهم . أم تقطوا من رحمة مولاهم ؟ ووسع على بعض عباده في الرزق ؛ هل أعطوا منه الفقير ، أم
بخلوا وعندهم الكثير ؟ وضيق على بعضهم ؛ فهل لجأوا له بالطلب ، وجأروا إليه بالدعاء ، أم يشؤا من
روح الله ؟ ولا « يأس من روح الله إلا القوم الكافرون » فتصعد إليه تعالى أوامره ومأم فيها - وهو جل
شأنه أعلم بها من فاعلها وحاملها - وذلك (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وهو يوم القيامة
(ذلك) الإله القادر القاهر ، رب الأرباب ، ومنزّل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وخالق السموات
والأرضين ؛ وما بينهما من حيوان وطيور وجاد وأدميين ، وغيرهم من المخلوقين « ذلك » هو مدبر الأمر =

= (عالم الغيب والسموات) رب العالمين (الذي أحسن كل شيء خلقه) أي أحسن خالق كل شيء خلقه . فلو تصورنا مثلاً أن للفيل مثل رأس الجمل ، أو للجمل مثل رأس الأسد ، أو للإنسان مثل رأس الحمار : لوجدت في ذلك خللاً عظيماً ، وقصصاً كبيراً ؛ وعدم تناسب في الحلقة ، وانعدام الانسجام بين الأعضاء مع حاجة المخلوق إليها على حالتها ؛ بالنسبة لبيته ورغبته ؛ لأنك لو علمت أن طول عنق الجمل وشق شفتيه ؛ سببه حاجة الناس إليه في الأسفار الطويلة ، وحاجته هو إلى تناول الكلال أثناء سيره . وأن الفيل لولا

خرطومه الطويل : لما استطاع أن يبرك بجسمه الثقيل ليتناول طعامه وشرايه . وهكذا سائر المخلوقات من شتى الصور والأجناس ؛ حتى الجمادات فقد اختصها الله تعالى بأشكال جنابة يسرح البصر في محاسنها ، وألوان خلابة يتوه الفكر في مفاتها ؛ فإنك لو تأملت ذلك ، وتدبرت ما هناك : لتيقنت أنه ليس في مقدور البشر ، وأنه «صنع الله الذي أتقن كل شيء» . فتبارك الله أحسن الخالقين» (وبدا خلق الإنسان من طين) وهو آدم عليه السلام (ثم جعل نسله من سلاله) خلاصة ؛ وهي المني . و«السلالة» نما انسل من الشيء ؛ سمي به المني : لأنه ينسل من سائر البدن ، أو هو ينسل من النخاع (يخرج من بين الصلب والترائب) (من ماء مهين) ضعيف : لا قوة فيه ، ولا أثر له بنفسه : وهو النطفة (ثم سواه) جملة مستوى الأعضاء ، تام الحلقة ، جميل الصورة (ونفخ فيه من روحه) المملوكة له تعالى ؛ والتي لا يستطيع مخلوق أن يهبها (وجعل لكم السمع) الذي به تسمعون ، وعنه تسألون (والأبصار) التي بها تبصرون ، وعنها تحاسبون (والأفئدة) التي بها تفكرون ، وبواسطتها تهتدون . وكل هؤلاء جعلها الله تعالى أداة لتلقي الإيمان ، وقبول الهداية ؛ والإنسان عن جميعها مؤاخذ مسئول ! ألا ترى

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَنُفُورُونَ ﴿٤﴾ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ شَاءْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَسَحْنَا لَكِنَّا حَتَّىٰ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ أَهْلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَاقِبَةِ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩﴾ تَتَجَافَىٰ

إلى قول العزيز الجليل «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولاً» (وقالوا أئذا ضللنا في الأرض) أي إذا متنا وصرنا حطاماً ورفاتاً ، واختلطنا بتراب الأرض ، وضاعت معالم أجسامنا (أئذا لني خلق جديد) أي نخلق خلقاً جديداً بعد هذا ؟ (قل) لهم يا محمد : نعم (يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) أي كاف بقبض أرواحكم (ثم) تبعثون ، و (إلى ربكم ترجعون) يوم القيامة ، فيعاقبكم بذنوبكم ، ويذكركم على كفركم (ولو ترى إذ المجرمون) الكافرون ، المنكرون للبعث : حين يبعثون (ناكسوا رؤوسهم) مطأطئوها من الذل والخزي والهوان ؛ ويقولون (ربنا أبصرنا) بأعيننا البعث الذي كنا به نكذب (وسمعا) الحق الذي كنا له ننكر (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل) عملاً (صالحاً) كما أمرت (إننا) الآن ، بعد ظهور =

= البرهان (موقنون) بصحة ألوهيتك ، وصدق رسلك (ولو شئنا لأتينا كل نفس) من هذه الأنفس (هداها) في دنياها ؛ على سبيل القسر والإلجاء . أو «ولو شئنا لأتينا كل نفس» تطلب الرجعة إلى الدنيا «هداها» ورددناها إلى الدنيا (ولكن حق) وجب (القول مني لأملأن جهنم من الجنة) كفره الجن وعصاتهم (والناس أجمعين) الذين كفروا بي ؛ بعد ظهور آياتي ، وكذبوا رسلي ؛ بعد إبداء معجزاتهم ، وتوالي براهين صدقهم ! فكيف نردم «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» (فذوقوا) العذاب (بما نسيتهم)

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٦

بسبب نسيانكم (لقاء يومكم هذا) وإنكاركم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب (إننا نسيناكم) أى تركناكم كالمسنين (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم ؛ الذى لا انقطاع له (إنما يؤمن بآياتنا) ويصدق برسالاتنا (الذين إذا ذكروا بها) أى تليت عليهم (خروا سجداً) لله (وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) عن طاعته ، وعن عبادته (تجافى) تتجنى وتتباعد (جنوبهم عن المضاجع) أى ان نومهم قليل ، وسهرهم طويل ؛ لا انقطاعهم إلى الله تعالى ، وحرصهم على عبادته ! (يدعون ربهم خوفاً) من غضبه وعقوبته (وطمعاً) في رحمته وجنته ! (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) كافرأ (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنه المأوى) التى يأوى إليها كل مؤمن (نزلاً) النزل : ما يعد لنزول الضيف وتكرمه (وأما الذين فسقوا) كفروا وكذبوا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أى الأقرب ؛ وهو عذاب الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والحزى (دون العذاب الأكبر) أى قبل عذاب الآخرة ، أو أقل من عذابها (لعلهم يرجعون) إلى ربهم ، ويتوبون عن كفرهم (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من ذكر بآيات ربه) وعظ بها (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن في حمية) شك (من لقائه) أى من لقاء موسى ؛

جَنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٥٢﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْنَتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرَّةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِيمَةً يُحَدِّثُونَ ءَاثِرَنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

يَعَايِنَتُنَا

وقد لقيه ليلة الإسراء : عند العروج به إلى السماء . وقيل : «من لقائه» أى من تلقى موسى الكتاب . وقيل : من لقاء ماله موسى من تكذيب وإيذاء ؛ مثل ما لاقيت أنت من تكذيب قومك وإيذائهم (وجعلنا منهم) أى من آمن بموسى من بني إسرائيل (أئمة يهدون) الناس (بأمرنا) بأوامرنا وشرائعنا التى بينها لهم في التوراة (لما صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصى ؛ جعل الله تعالى جزاء الصبر : إمامة الناس

عَايِنْتَنَا يُوقِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْ
هُمُ أَهْلَكَامِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَهْلِ الْبَاسِ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿١٧﴾

(٢٢) سِوَرَةُ الْاِحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَايَاتُهَا ٧٣ نَزَلَتْ بَعْدَ اَلْعَمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

(أولم يهد لهم) أولم يتبين لهم (كم أهلكنا
من قبلهم من القرون) الأمم (يمشون في
مساجدكم) ويرون ما حل بها من خراب
ودمار (إن في ذلك) الإهلاك (آيات) لعل
ودلالات على قدرتنا ، ويطشنا بمن يكفر بنا
(أولم يروا) أيضاً (أناسوق الماء إلى الأرض
الجرز) اليابسة ، التي لا نبات بها (فنخرج به
زرعاً تأكل منه أنعامهم) بأنعامهم (وأنفسهم)
أى وبأكلون هم من ذلك الزرع أيضاً
(ويقولون متى هذا الفتح) أى متى هذا الفصل
في الحكومة ؟ الذى تعدنا به ؟ وهو يوم القيامة .
وقيل «الفتح» النصر الموعود : يوم بدر ،
أو يوم فتح مكة (قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا لإيمانهم ولا هم ينظرون) يمهلون ، أو
يؤجلون (فأعرض عنهم وانتظر) نزول العذاب
الموعود بهم (إنهم منتظرون) بك الدوائر

(سورة الاحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) الخطاب للرسول

صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ والمراد به

أمرته : إذ ليس في البشر جيعاً أتق منه لمولاه ا

عليه صلوات الله تعالى وتسلياته ، أمدا الله تعالى بنفحة منه ؛ وتقربنا إليه ، وتدنيننا من رحمته ا

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَلَمَزْنَكُمْ فِي الَّذِينَ مِمَّا لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ۚ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ

مَسْطُورًا

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أى لا يجتمع الكفر والإيمان، والضلال والهدى، والعصية والطاعة؛ في قلب واحد. وما دام الإنسان بقلب واحد - لا يتسع إلا لشيء واحد - فلا يكون إلا مؤمناً أو كافراً، ضالاً أو مهتدياً، عاصياً أو طائعاً. ولا طاقة لإنسان أن يجمع بين الضدين؛ فاجعل الله لرجل من قلبين (وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم) كان الرجل في الجاهلية إذا أراد طلاق امرأته قال لها: أنت على كظهر أوى (وما جعل أديعاءكم أبناءكم) نزلت في زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه؛ وقد تنبأه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فكانوا يقولون: زيد ابن محمد (ذلكم لولكم بأفواهكم والله تعالى يقول الحق) ويقضى به (وهو يهدي السبيل) الطريق القويم؛ المؤدى لكل خير (ادعوهم لأبائهم) أى انسبهم لهم (هو أقسط) أعدل (ومواليكم) أقرباؤكم (وليس عليكم جناح) إثم (النبي أولى) أحق (بالمؤمنين من أنفسهم) لأنه عليه الصلاة والسلام أب لهم؛ وهو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك (وأزواجه أمهاتهم) في

الحرمة والإجلال والتكرمة (وأولوا الأرحام) ذؤوا القربات (بعضهم أولى ببعض) في التورث؛ كما أمر الله تعالى، وفرض في كتابه (من المؤمنين والمهاجرين) وقد كانوا يتوارثون - في بدء الإسلام - بالإيمان والمهجرة؛ فنسخ بتورث ذؤى الأرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) أى إلا أن تنهوا لأقربائكم الأبعد، أو لعبيدكم، أو توصوا لهم بشيء؛ لا أن يرنوا فيكم؛ فأقرباؤكم - من ذؤى الأرحام - أولى بالميراث وأحق

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) عهدهم على الوفاء بما حلوا ، وأن يثبت بعضهم بعض ، ويصدق بعضهم بعضاً (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عهداً عظيماً ؛ وما ذاك إلا (ليسأل) الله تعالى (الصادقين عن صدقهم) أى ليسأل الأنبياء عن تبليغهم لأقوامهم ، أو عما أجابهم به قومهم . فانظر يا هذا : إذا كان الأنبياء يسألون ؛ فكيف بمن عداهم من عامة البشر ؟ قال تعالى «فلنأخذ الذين أرسل إليهم ولنأخذ المرسلين» (إذ جاءهم جنود) وكان ذلك يوم الأحزاب : جاءت قريش ، وغطفان ، وقريظة ، والنضير ؛ تجمعوا لحرب المؤمنين (فأرسلنا عليهم رجلاً) هو الصبا . قال صلى الله

تعالى عليه وسلم «نصرت بالصبا ، وأهلك عاد بالذيور» أرسل الله تعالى تلك الريح في ليلة شاتية ؛ فأسفت التراب في وجوههم ، وقطعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب ؛ فاجت خيل الكافرين بعضها في بعض ، وكبرت الملائكة في جوانب المعسكر ؛ فانهزموا من غير قتال ؛ وذلك قوله تعالى (وجنوداً لم تروها) وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام (إذ جاءكم) أى جنود الأعداء (من فوقكم) فوق الوادى ؛ وهو أعلاه (ومن أسفل منكم) بطن الوادى : من المشرق والمغرب (وإذ زاغت) شخصت ومالت (الأبصار) عن رؤية أى شيء ؛ عدا رؤية الأعداء من كل جانب (وبلغت القلوب الحناجر) من شدة الخوف والفرع ؛ وهو ارتفاع القلب - من شدة الخفقان - حتى يكاد أن يبلغ الحلقوم ؛ فيعترى الخائف عند ذاك ضيق قد يبلغ حد الاختناق (وتظنون بالله الظنون) تظنون اليأس من النصر ؛ وقد وعدكموه ؛ ووعد الحق «إن الله لا يخلف الميعاد» وقيل : الظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى يتيقن المؤمنون بالنصر ، ويتيقن الكافرون بهزيمة المؤمنين (هناك ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الإيمان (وزلزلوا زلزالاً شديداً) اضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الفرع ،

وخوفوا خوفاً بليداً ؛ ليختبرهم ربهم ، ويعلم - علم ظهور - مبلغ تصديقهم ، ووثوقهم بوعدته (وإذ يقول المنافقون) الذين أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفران (والذين في قلوبهم مرض) شك وتفاق (ما وعدنا الله ورسوله) بالنصر (إلا غروراً) خداعاً وباطلاً (يا أهل يثرب) يا أهل المدينة . ويثرب : من أسماء مدينة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (لا مقام لكم) لا إقامة لكم بيتنا (يقولون إن بيوتنا عورة) أى مكشوفة ؛ يناها العدو لعدم تحصينها

مَسْطُورًا ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ لَيَسْئَلَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِجَالًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝
إِذْ جَاءَ وَكَرِهْتُمْ فَقَوَّاهُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا ۝ هُنَاكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا
شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعْزِلُونَ فِرْقَيْنِ مِنْهُمْ النِّسْيَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا

هِيَ بَعُورَةٌ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَّحُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا
بَسِيرًا ۖ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَلِّقَ
الْأُذُنَ ۖ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْكُوكًا ۖ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَحُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجِهِمْ هَلْمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ أَشْجَعٌ عَلَيْكُمْ فِإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ ۖ فِإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْجَعًا
عَلَى الْحَرِّ أَوْ لَوْنِكُمْ ۖ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۖ وَكَانَ

ذَلِكَ

(إن يريدون) ما يريدون بزعمهم هذا (إلا
فراراً) من الجهاد؛ لكفرهم وجنهم (ولو
دخلت عليهم من أقطارها) من نواحيها . أى
لوهوجوا ودخلت عليهم هذه البيوت ، واحتلها
العدو من أولها إلى آخرها (ثم سئلوا الفتنة
لأنهم) أى لو سئلوا الردة إلى الكفر ،
وعارية المسلمين ؛ لفعلوا (وما تلبثوا بها) أى
ماكنوا بالفتنة ، أو بالمدينة (إلا قليلاً) وبعد
ذلك يصيبهم الله تعالى بالهلاك ، أو بالموت
(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أن يقاتلوا
الكفار ، و (لا يولون الأدبار) لا يهربون
من القتال منهزمين (وكان عهد الله) الذى
عاهدوه من قبل (مسئولاً) أى يسأل الإنسان
عن الوفاء به ، ويعاقب على نقضه (وإذا
لا تمتعون) بالحياة (إلا قليلاً) ثم يدرككم
الموت ، فالبعث ، والحساب ، فالعقاب (ولا يجدون
لهم من دون الله) غيره (قد يعلم الله المعوقين
منكم) الذين يعوقون الناس عن الجهاد ، وعن
نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن
الدخول فى الإسلام (ولا يأتون البأس) أى
القتال (أشجع عليكم) بالمعاونة (فإذا جاء
الخوف) تأزم الموقف ، ودارت رحى الحرب

(رأيتهم ينظرون إليك) أملاً فى أن توقف القتال (تدور أعينهم) من جنهم وشدة خوفهم (فإذا ذهب
الخوف) بالتصارك على أعدائكم ، واطمأنت قلوبهم على أنفسهم : لم يزدكم ذلك إلا حنقاً عليكم ، وكراهة
لكم ؛ و (سلفوكم بألسنة حداد) أى آذوكم بىذى الكلام (أشجع على الخير) لا ينفقون فى سبيل الله ؛ بل
فى سبيل الدنيا والحرس عليها . والمعنى أنهم فى الأمن : أشجع قوم مالا ، وأبسطهم لساناً ، وفى الخوف : أحيين
قوم حرباً ، وأسرعهم هرباً (فأحبط الله أعمالهم) أبطلها

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَرَّ يَذْهَبُوا
 وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
 يَسْتَفْلِتُونَ عَنْ أَنْبَاءِ رَسُولِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَسَمْتُمْ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
 لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣﴾
 وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
 وَتَسْلِيمًا ﴿٤﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
 عَلَيْهِ فَنَهُم مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَنَهَمُ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا
 تَبَدُّلًا ﴿٥﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
 الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
 رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِثْمِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا
 وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٧﴾

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أى لمنهم لجينهم
 يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا (بادون في
 الأعراب) أى مقيمون في البادية ؛ بعيداً عن
 القتال (يسألون عن أنباءكم) وما حل بكم ؛
 من غير ممارسة للقتال والزوال (أسوة) قدوة

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب) الذين تعزبوا
 وتجمعوا لقتالهم (قالوا) لانت (هذا) التجمع
 والتعزب هو (ما وعدنا الله ورسوله) من
 الابتلاء والنصر

(فمنهم من قضى نحبه) أى مات شهيداً (ومنهم
 من ينتظر) أى ينتظر الموت على الشهادة ؛
 لأنهم كانوا يعدون الموت في الجهاد فوزاً
 عظيماً ؛ وبإله من فوز ! (وما بدلوا تبديلاً)
 أى ولم يبدلوا عهدهم الذي عاهدوا الله تعالى
 عليه ؛ من الجهاد في سبيله ، والموت دون
 رسوله ! (ليجزى الله الصادقين) في الإيمان ،
 الموفين بالعهد (بصدقهم) أى يجزاء صدقهم

(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا) أى عاونوا الأحزاب (من أهل الكتاب) يهود بنى قريظة (من صباهم) حصونهم (وأرضاً لم تطأوها) مـ خير؟ وكل أرض تفتح إلى يوم القيامة؟ لم يسبق للمسلمين تملكها (إن كنتن تردن

الجزء الثاني والعشرون

٥١٢

الحياة الدنيا وزينتها) أى السعادة فى الدنيا ، وكثرة الأموال (فتعالين أمتعنن) أى أعطكن متعة الطلاق (وأسرحنن) أطلقكن (سراحاً جبلاً) خلافاً لا ضرار فيه ؛ لأن ما رغبتن فيه من متاع الدنيا ليس عندى (من يأت منكن فاحشة مبينة) مـ مخالفة الرسول صلوات الله تعالى وتسليماته عليه . وأى فاحشة أين وأقبح من مخالفته صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو العمل على غير إرادته ! (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون ضعف عذاب غيرهن من النساء ؛ لأنهن لسن كسائر النساء ؛ وكما أن حد العبد نصف حد الحر : يكون عذاب الخاصة ضعف عذاب العامة . وقد قيل : حسنت الأبرار ؛ سيئات القربين ! فإياك بأقرب المقربين ! ولأن إغضاب الرسول عليه الصلاة والسلام ليس كإغضاب أحد من الناس . قال تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » وقال جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تعلمون » (انظر الآيات : من ٢ - ٥ من سورة الحجرات) (ومن يفتن منكن) يطمع (فلا تحضنن بالقول) أى لا تكلمن الرجال بقول خاضع لين ؛ كمادة أكثر النساء ؛ وهذا واجب على كل

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِبَاهِهِمْ وَقَدْ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَيْتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعَمُوا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ فَإِنَّ أَغَلَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَبْرًا عَظِيمًا ۝ يٰبَنِيَّاهُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ * وَمَنْ يَفْتَنِ مِنْكُنَّ فَهُوَ رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يٰبَنِيَّاهُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَاحِدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۖ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضُنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِي قَلْبِهِ

مرض

امرأة تؤمن باقة واليوم الآخر ؛ خصوصاً من تعرضت منهن للرئاسة والهداية ، واتصب لها لواء التوجيه والإرشاد ! (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ربة وجور

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٥٢﴾
وَأَذْكُرَنَّ مَا بُشِيَ لَكُمْ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ
وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ

(وَلَنْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) لا يتكره النوق والعرف؛
من غير لين ، ولا خضوع (وقرن في بيوتكن)
أى اقررن ؛ من القرار . أو هو من الوار ؛
تؤيده قراءة من قرأ «وقرن» بكسر القاف
(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أى
لا تبرجن مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى.
والتبرج : التبخر ، وإظهار الزينة والحاسن
(إنما يريد الله) بهذا الابتلاء ، وهذه
الأوامر (ليذهب عنكم الرجس) القذر
والإثم ؛ الذى يقع فيه كثير من الناس (أهل
البيت) بيت النبوة الزكى الطاهر (وطهركم)
من سائر الدنابا (طهيرا) كبرا (واذكرن)
تذكرن ما اختصكن الله تعالى به من فضل على
نساء العالمين ، (وما يتلى في بيوتكن من
آيات الله) كتابه العظيم ، وقرأته الكريم
(والحكمة) التى ينطق بها الرسول عليه
الصلاة والسلام ؛ من الأحاديث (والقائتين)
المطيعين (والصابرين) على الطاعات والبلايا ،
وعن المعاصي (والحافظين فروجهم) من الزنا

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام ؛ وهو زيد بن حارثة (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالإعتاق (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) لقد تحبط أكثر المفسرين في تأويل هذه الآية ، وذهبوا على غير مذهب ، وأبعدوا في اتباع الأفاقيص التي حاكها أعداء الدين في الدين ، وجرأوا ما أذاعه اليهود طعنًا في الرسول الكريم ، العفيف النظيف ؛ عليه أفضل الصلاة وآم التسلية فقالوا : إن الرسول الأعظم رأى زينب - وهي في عصمة زيد - فأعجبته وأحبها ، ووقت من قلبه موقعا كبيرا ؛ إلى آخر ما أورده من إفك وهتان يتبرأ منه أخط الفساق ؛ فضلا عن أكرم الخلق على الإطلاق !

الجزء الثاني والعشرون ٥١٤

وخلاصة القول : ان العرب جرت عادتهم ألا يتزوج الرجل امرأة دعيه الذي تبناه . فأراد الله تعالى أن يبطل تلك العادة ، ويجعل لإباحة الإسلام مكان حرج الجاهلية : فأوحى إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يزوج زينب ابنة جحش - بنت عمته - زيد بن حارثة متبناه ؛ وأن يتزوجها بعد طلاقها منه ؛ فخطبها صلى الله تعالى عليه وسلم زيد : فأبت ، وأبى أخوها عبد الله ؛ فزل قوله تعالى «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» فلما سمعاها قالا : رضينا يا رسول الله . فزوجها زيد ، وأمرها له ؛ فصارت تشمخ بأنفها ، وتفخر عليه بنسبها . ونسب معاملته ؛ وكان يشكو ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - المرة بعد المرة - فكان عليه الصلاة والسلام - مع علومقامه - يظله الحياء ؛ فيتشد وتمهل ، ولا يعمل في تنفيذ حكم الله تعالى - الذي قضاه وأطلعه عليه - ويقول زيد «أمسك عليك زوجك واتق الله» إلى أن غلب أمر الله تعالى : فأذن زيد في طلاقها ؛ بعد أن ذاق معها الأسمرين ! فزوجها رسول الله صلى الله تعالى

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنِيَ لَنَا بَيِّنَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٢﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ يَلْفُفُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَحْشُرُونَ وَلَا يَحْشُرُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥٤﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾ بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥٦﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَمِيلًا ﴿٥٧﴾

عليه وسلم ؛ طامعا لأمر ربه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) أي دخلوا بهن ، وخلا بعضهم إلى بعض . فأين هذا مما خاض فيه الخاضعون ، وإدعاه الميطلون ؛ مما لا يرضيه الأتقياء ، فكيف بسيد الأنبياء ؟ ! وتعالى الله عن أن يرسل رسولا يطمح بعبينه إلى حلال المؤمنين ! وأما خشية صلى الله تعالى عليه وسلم للناس : فذلك استحياء منهم أن يقولوا : تزوج زوجة ابنة ، بعد نفيه عن نكاح حلال البنات (وكان أمر الله مفعولا) أي أمره لك ، ووجهه إليك بتزوج زينب ؛ رغم قولك لزيد «أمسك عليك زوجك» (ما كان على النبي من حرج) لأم (فيما فرض الله) أحله (له سنة الله) طريقته (في الذين خلوا) مضوا من الأنبياء (من قبل) فقد أحل لهم التوسعة في الزواج : كداود ، وسليمان ، =

= وغيرها ؛ ممن لم تصل إلينا أخبارهم (ما كان عهد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)
(انظر آية ٤ من سورة القلم) (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره (هو الذي يصلي عليكم وملائكته)
الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الدعاء والاستغفار (ليخرجكم) برحمته (من الظلمات)
الكفر (إلى النور) الإيمان ، ومن الجبل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (يأيها النبي إنا أرسلناك

سورة الأحزاب ٥١٥

شاهداً) على من أرسلت إليهم ؛ بل على الناس
جميعاً (ومبشراً) من أطاع الله برحمته وجنته
(ونذيراً) لمن عصاه بغضبه وناره (وداعياً
إلى الله) إلى معرفته وطاعته (بإذنه) بأمره
وتقديره (وسراجاً منيراً) جمع الله تعالى - في
وصف نبيه الأعظم - بين صفتي الشمس والقمر :
قال تعالى «وجعل القمر فيهن نوراً وجعل
الشمس سراجاً» وفضله عليه الصلاة والسلام
على سائر المخلوقات ؛ لا يقل بحال عن فوائد
الشمس ، ونور القمر : فكما أن الشمس
تبعت الدفء والحياة في سائر الكائنات ؛ فإنه
صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث دفء
الإيمان ، في قلوب بني الإنسان ، وبعث الحياة
الحقيقية ، والسعادة الأبدية بين المؤمنين ؛ وأما
الدنيا بشريعته وهدايته ؛ وكما أن السراج
المنير يستضاء به ، ويسترشد بواسطته :
كذلك الرسول صلوات الله تعالى وسلامه
عليه ؛ فإن من سار على سنته ، واهتدى
بطريقته : لا شك وأصل إلى أمنيته ، متمتع
في جنته ؛ وأي سراج وهاج ، وأي قمر منير
يضاهي محمدًا في نوره ، أو يحاكيه في هدايته ؟
صلى الله تعالى وسلم عليه ؛ جعلنا الله تعالى ممن
يستضيء بنوره ، ويستنير بضوئه ، ويسير على
سنته ، ويهتدى بهديه ؛ وينصوي تحت لوائه ،
ويحشر في زمهرته ، ويرتوي من حوضه ؛

(ودع أذاً) أي اترك مقابلة إذا بينهم لك بمثلها . وهو تعليم من الله تعالى لعباده : بالإحسان إلى من أساء
(إذا تكهّم المؤمنات) أي عقدن عليهن (من قبل أن تمسوهن) أي من قبل أن تدخلوا بهن (فتموهن) قيل :
في منسوخة بقوله تعالى «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» أي
نصف مهر الذي فرضتموه (ومسرحوهن سراحاً جيلاً) أي طلقوهن طلاقاً لا ضرار فيه (اللاتي آتيت
أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك) من الإماء (مما أفاء الله عليك) النية : الغنيمة ؛ وهما صفة
وجورية ؛ أعتقهما وتزوجهما

وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝
يَوْمَ يَقُولُهُ سُلَيْمٌ وَأَعَدُّ لَهُمْ جَزَاءً كَرِيمًا ۝
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْغِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عَدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعْرُوهُنَّ وَسِرْحُونَهُنَّ سِرَاحًا جَيِّلًا ۝
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ

(إن أراد النبي أن يستنكحها) أى يطلب زواجها (خالصة لك من دون المؤمنين) أى إن الهبة لا تجوز إلا له عليه الصلاة والسلام . فليس لمؤمنة أن تهب نفسها لمؤمن ، وليس له أن يقبل ذلك ؛ إذ أت الهبة إحدى

خصوصيات الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أى على المؤمنين (في أزواجهم) من وجوب المهر ، والول ، والشهود ، وانعدام الموانع ، وعدم تجاوز الأربع من النسوة (حرج) ضيق ولألم فهاضمت (ترجى) تؤخر (وتؤوى إليك) أى تضم إليك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أى ومن طلبت الفرائش من أزواجك اللاتي عزلتهن عن القسمة بينهن في البيت . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم قد خير بعض أمهات المؤمنين : بين الطلاق ، أو التنازل عن حقوقهن في القسمة : فاخترن التنازل . فأراد الله تعالى أن يعلمه أنه لا حرج عليه في رد من يشاء منهن إلى فراشه (فلا جناح عليك) لا إثم ولا حرج فيما تفعل : من العزل ، والإرجاء ، والإيواء (ذلك أذن) أقرب (أن تقر أعينهن) بما قضى به الله تعالى في أمرهن : من الإرجاء ، والإيواء ، والعزل «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» (ورضين بما آتيتهن) من ذلك (والله يعلم ما في قلوبكم) من شأف النساء ، والميل إلى بعضهن ، وعدم العدل بينهن ؛ فيجزى كلا بقدر نيته (لا يحل لك النساء من بعد) أى من بعد التسع ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة

وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجورية (ولا أن تبدل بهن) بتطبيق بعضهن وإحلال غيرهن مكانهن (إلا ما ملكت يمنك) من الإمام ؛ مما كان يخصه عليه الصلاة والسلام من السي (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين نضجه (فاذا طعتم) أكلتم

الَّتِي مَازَنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَجْزِيَكَ اللَّهُ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تَرْجَى مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَتَقَى أَنْ تَقْرَءَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِينَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَحْبَبْتَ حَسَنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّسَاءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ

فَاتَّقَرُوا

(فانتشروا) فنفرقوا (ولا) تمسكوا (مستأنين لحديث) تتناولونه مع بعضكم (إن ذلكم) الدخول بغير استئذان ، وانتظار الطعام ، وحديث بعضكم مع بعض ؛ كل ذلك (كان يؤذى النبي فيستحي منكم) فلا يظهر تضرعه ؛ لسمو أخلاقه ، وعظيم استحيائه (وإذا سألتوهن متاعا) عارية ، أو حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) ولا تتطلعوا لرؤيتهن (ذلكم) السؤال من وراء حجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر المريبة ؛ التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر الرجال . والتي يبثها الشيطان في قلب كل إنسان ! وهذه الآية الكريمة جاءت حاوية لأدق

٥١٧

سورة الأحزاب

الأخلاق الإنسانية ، وأسمى الآداب الاجتماعية ؛ فكم نرى بعض الثقلاء ، يتظرف بالإيذاء ؛ فيقتحم الحرمات ، ويرتكب المحرمات ؛ وهو لاه غافل ، أو مثله متغافل ! (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) بعمل مالا يرضاه (ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده) لأنهن أمهات لكم ، محرمات عليكم ! (لا جناح عليهن في آثانهن) أى لا إثم على النساء ألا يحتجبن من آبائهن . ولم يذكر تعالى العم والحال ؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين (ولانسائهن) أى ولا يحتجبن عن النساء المؤمنات ؛ أما الكافرات : فيجب الاستتار عنهن كالرجال تماما ؛ لثلا يصفهن للغير ؛ لعدم أمانتهن ! ومن عجب أن نرى بعض المسلمات يصفن لبعض الرجال : المخدرات من النساء . وهى خصلة ذميمة : بأبائها الشرع ، وتقع تحت طائلة العقاب الإلهي ؛ فليتقين الله ولا يفضحن محارمه ؛ فيفضحن الله تعالى بين العباد ، وعلى رؤس الأنبياء ! (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الصلاة من الله تعالى : الرحمة ومن الملائكة : الدعاء والاستغفار ، ومن الأمة : التعظيم والدعاء والإكبار ! وهذا أمر من الله تعالى بالصلاة عليه ؛ صلى الله تعالى عليه وسلم ! وهى تجب

فَاَنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٧ إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٨ لَا جُنَاحَ عَلَى الَّذِينَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ وَلَا آبَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَهُمْ وَلَا إِخْوَانَهُمْ وَلَا بَنَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلُوكَاتِ أَيْمَنَهُنَّ وَأَقْبَنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٥٩ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٠ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۝٦١

كما ذكر اسمه الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ كما يجب ألا يكتب اسمه إلا مقرونا بها . وقد طعن في كثرة الصلاة عليه بعض الزنادقة الذين لا يعبأ برأيهم ، ولا يعتد بقولهم ، واختصرها بعضهم بوضع «صلم» مكانها ، أو «س» وهذا نهاية في السخف ؛ إذ مامنى وضع هذه الطلاسم والمعميات ؛ إذا لم نرد إثبات الصلاة عليه : صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وما معنى أن نضع الألقاب الرنانة ، والأسماء الطنانة ، والكنى الضخمة ، والرتب الكبيرة ؛ لأناس غير أهل لبعض ذلك - بل ربما كانوا من وقود النار - ونخل على كبار المرسلين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد الخلق أجمعين ؛ بكلمة أمرنا الله تعالى بها وألزمنا لها ، وأثابنا عليها ؛ صلى الله تعالى عليه صلاة يرضاها منا ، ويرضى بها عنا ، وسلم تسليما كثيرا ؛ بعدد كل الكائنات ؛ =

== رَغِمَ أَفْهُمُ الْمَلَكِينَ وَالْمَكَابِرِينَ !

ومن أعجب العجب قول القائلين : إلت الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في العمر مرة واحدة . مع أن نص الآية يقتضى التكثير «صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» والجمهور على أنها واجبة عند ذكر اسمه الشريف !

الجزء الثاني والعشرون

٥١٨

هذا ولا يصح إفراد غير الأنبياء بالصلاة . وإنما يصلى على غيرهم بالتبعية ؛ كقولهم صلى الله على النبي وآله وصحبه !

(إن الذين يؤذون الله) بالكفر ، ونسبه الولد والعريق إليه ، ووصفه بما لا يليق به ! والمراد بالإذابة هنا : عملها ؛ لا وصولها (و) يؤذون (رسوله) بالظن والكذب (لنهم الله) طردهم من رحمته (في الدنيا) بالتخلي عن توفيقهم وهدايتهم (و) في (الآخرة) بما أعد لهم من العذاب الأليم المقمرا (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) برميهم بما ليس فيهم ، واختلاق الجرائم عليهم (بغير ما كتسبوا) بغير ما عملوا (فقد احتلوا بهتاناً) البهتان : أسوأ الكذب (بدين) يقرن ، ورخين (عليهم من جلاييين) جمع جلاب ؛ وهو الثوب يستر جميع البدن ، أو هو الملاءة التي تستعمل بها المرأة (ذلك أدنى أن يعرفن) أى ذلك أقرب أن يعرفن بأنهن حرائر محصنات (فلا يؤذين) فلا يؤذين أحد . وقد كانت عادة الإماء ، والغير المحصنات : كشف الوجوه . (والذين في قلوبهم مرض) فسق وفسور ؛ بدليل قوله تعالى : «فقطع الله في قلبه مرض» (والمرجعون) هم أناس من المنافقين كانوا يذبون أخباراً سيئة عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لنفرنك بهم)

لنسلطنك عليهم) ثم لا يجاورونك فيها) أى في المدينة (إلا قليلاً) إلا مدة قليلة ؛ ثم يستأصلهم الله تعالى بذنوبهم (مأمورين) مطرودين (أيما تقفوا) أيما وجدوا (سنة الله) عادته وطريقته (في الذين خلوا) مضوا (بسالك الناس عن الساعة) القيامة ؛ ومتى وكيف تقوم ؟

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كَتَبْنَا
فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِنَّ وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥١٨﴾ بَيَّأَهَا النَّبِيُّ قُلُ
لِأَرْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ
جَلْبَابِينَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ
عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١٩﴾ * لَيْنَ لَّيْنِهِ الْمُتَصَفِّقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْضُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُفَرِّقَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقُفُوا
أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا ﴿٥٢١﴾ سَنَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَلَنْ نَّجْعِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٥٢٢﴾ بِسَاطِئِ النَّاسِ عَنِ
السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٥٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ﴿٥٢٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٥٢٥﴾ يَوْمَ تَقُوبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلْبِسْنَا

أَطْلَعْنَا

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا
 سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٥٧﴾ رَبَّنَا إِنِهِمْ
 ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومِ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٥٨﴾ بَنَاتِيَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ
 بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٥٩﴾ بَنَاتِيَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
 مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴿٦٢﴾ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٣﴾
 لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾

(وقالوا) أى الكفار؟ حينما رأوا العذاب المحيط بهم، والمعد لهم (ربنا آتهم ضعفين) مثلين (من العذاب) فى جهنم (والعنهم) عذبهم (لعنا كبيرا) عذاباً كثيراً متواصلاً. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد. ومن لوازم الطرد والابعاد: القضب؛ الذى من لوازمه العذاب (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) بأن رموه بالسحر والجنون (فبرأه الله عما قالوا) وأثبت تعالى أن ما جاء به موسى آيات بينات، ومعجزات ظاهرات؛ لا تمت لسحر والجنون بسبب. وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الإيذاء المقصود هنا: أنهم رموه بأنه آدر. ويدفع هنا المعنى السقيم: قوله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) أى نبيا كريماً، ورسولاً عظيماً؛ عليه وعلى نبينا صلوات الله تعالى وسلامه! (إنا عرضنا الأمانة) هى الشهوة المركبة فى الإنسان، أو التكاليف التى تم جميع وظائف الدين؛ من أوامر، ونواه؛ أهمها: ضبط جراح النفس، والصبر على الطاعات، وعن المعاصى والشهوات! (وأشفقن منها) وخفن من حملها (إنه كان ظلوماً) لنفسه؛ لأنه لم يراع ما حمل: فعرض نفسه

للقاب (جهولاً) بحقيقة ربه؛ إذ لو علم حقيقته، وقدره: لما وسعه إلا التمسك بطاعته، والابتعاد عن معصيته! وهذا العرض، والإيذاء: هو من قبيل الأمثال، ولسال الحال؛ كقوله تعالى «لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيه خاشعاً متصدعاً من خشية الله»

(٢٤) سُورَةُ سَبَأٍ مَكِّيَّةٌ

الْأَبْيَدُ ٦ فُتِحَتْ
وَأَيُّهَا ٥ نَزَلَتْ بَعْدَ لُقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ
مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِيمٌ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ لَمْ يَقْفِرُوا وَرِزْقُ كَرِيمٍ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا

(سورة سبأ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يعلم ما يليح) يدخل (في الأرض) من
ماء ، وكنوز ، ودقائق ، وأموات (وما يخرج
منها) من نبات وأقوات (وما ينزل من
السماء) من ماء ، وأرزاق ، وبركات ،
وخيرات ، وصواعق ، وسيول (وما يرجع
فيها) أي وما يصعد إليها من أعمال العباد ،
ومن ملائكته تعالى ؛ الذين ينزلون منها ،
ويرجعون إليها ؛ بأمره جل شأنه (وقال
الذين كفروا لا تأتينا الساعة) أي لا تقوم
القيامة (عالم الغيب) كل ما غاب عن العلم
والفهم (لا يعزب) لا يغيب (مِثْقَال) وزن
(ذرة) أصغر نملة تدروها الرياح ؛ وهو
مثال في نهاية الدقة والصغر (إلا في كتاب
مبين) بين ؛ وهو اللوح المحفوظ : كتب فيه
تعالى ما خلق وما يخلق ، وما رزق وما يرزق ،
وما دق ، وما جل ، وما عظم ، وما حق ،

ومن كفر ومن آمن ، ومن عصى ومن أطاع ؛ حتى قيام الساعة ؛ ودمج الله ما يشاء وثبت وعنده
أم الكتاب ذلك (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بإيمانهم وعملهم (والذين سعوا) بالرد والظن

فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أَوَلَيْكَ لَهْمُ عَذَابٍ مِّنْ
 رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ وَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَسِدِّي لَكَ صِرَاطَ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذُكُّكَ عَلَى رَجُلٍ
 يُنْشِئُكَ إِذَا مَرَقْتَ كُلَّ مَرْقٍ أَنْشُرَكَ لَنِي خَلْقِي جَدِيدٍ ﴿٣﴾
 أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٤﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُ
 خَفِيفٌ يِّسْرُ الْأَرْضِ أَوْ تُسْقَطُ عَلَيْهِمْ كِفَاةً مِّنَ السَّمَاءِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا بَلَجَالٍ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّاسُ لَهُ
 الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ إِنَّ أَعْمَلَ سَيِّغَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا
 صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرَّيْحُ

(في آياتنا) قرأنا الذي أنزلناه على محمد (معجزين) مقابلين لنا ، ظانين أنهم سينجون من عذابنا ، مقدرين
 ألا بعث ، ولا ثواب ، ولا عقاب (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) الرجز: أسوأ العذاب (ويرى الذين
 أوتوا العلم) وهم مؤمنو أهل الكتاب ؛ أن
 (الذي أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق
 و) هو (يهدي إلى صراط) طريق (العزيز)
 الغالب الذي لا يغلب (الحمد) الم محمود في كل
 أفعاله (وقال الذين كفروا هل نذكركم على
 رجل) يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم
 (ينشئك) يخبركم أنكم (إذا) تم و (مرقت
 كل مرق) فرقت في قلوبكم كل فريق (إنكم
 لني خلق جديد) أي ستخلقون يوم القيامة
 من جديد (أفتري) استفهام ؛ أي هل افتري
 بقوله هذا (على الله كذبا أم به جنه) جنون ؛
 فهو يهرف بما لا يعرف ! قال تعالى رداً على
 إنكهم وضلالهم (بل الذين لا يؤمنون
 بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) عن الحق
 في الدنيا (أو نسقط عليهم كسفاً) قطعاً (إن
 في ذلك لآية) برهاناً (لكل عبد منيب) راجع
 إلى الله بكلية (يا جبال أوبي معه) أي رجعي
 التسبيح معه (والطير) أيضاً يسبح معه . قال
 تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
 لا تفقهون تسبيحهم » (وأنا له الحميد)
 جعلناه ليتأ كالطين المعجون ، أو وقفناه إلى
 لإلته بواسطة الصهر ، وعلمناه طرق صناعته ،
 وتشكيله كما يريد (أن تعمل سافيات)
 دروعاً نامة ؛ تغطي سائر البدن (وقدر في
 السرد) أي في نسج الدروع . يقال لصانها :

سراد . ومعنى « وقدر » أي اجعل حلقاتها منسقة متناسبة (واعملوا صالحاً) الخطاب لآل داود ، وأمهته ؛
 ويشمل الصلاح المأمور به : صلاح الأعمال والأفعال ؛ من العبادات والصناعات (و) سخرنا (لسليان
 الريح) « تجري بأمره رخاء حيث أصاب »

(غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالفداة مسيرة شهر ، وكذلك جريها بالمشى (وأسلنا له عين القطر) أى معدت النحاس : أذنباه له ، أو وقتناه لطرق صهره ، والانتفاع بصناعاته ؛ كما وقتناه لصهر الحديد . والرأى الأول أولى ؛ ليلقى مع العجزة : فالإانة الحديد ؛ وإذابة النحاس ؛ بغير ملين ، أو مذهب

الجزء الثانى والعشرون

٥٢٢

طبيعى : أدعى إلى الإعجاز ، وتنبه القلوب ، ولفظ الأظفار (ومن يرغ) يعدل ويحد (محارب) مساجد ، أو ساكن (وجفان كالجواب) الجفان : جمع جفنة ؛ وهى القصة الكبيرة .

والجواب : جمع جانية ؛ وهى الخوض الضخم (اعملوا آل داود) عملا صالحا (شكرا) لله على ما آتاكم (وقليل من عبادى الفكور) (انظر آية ٢٤ من سورة ص) (دابة الأرض) هى الأرض (تأكل منسأته) عصاه . وقدمت عليه السلام وهو ممسك بها ؛ وظل على ذلك الحلة ؛ إلى أن جاءت الأرض فأسكت من العصا حتى كسرتها ؛ وسقط جسده عليه السلام إلى الأرض (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) ويؤخذ من ذلك أن أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى ، ولا تأكلها الأرض ؛ شأن كل الأجساد (لقد كان لسبإ) سبأ : قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم . وقيل : مدينة ؛ وهى التى منها بلقيس (جنتان) لم يرد تعالى بالجنتين : جنتين اثنتين غيب ؛ بل أراد أن بلادهم كلها أشجار وغار وبساتين . ولما التفتة فى أنها عينة وبسرة ؛ يؤيده قوله تعالى (عن يمين وشمال) أى حينما سرت وجدت «جنتان عن يمين وشمال» (فأعرضوا) عن عبادة الله تعالى وطاعته (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المطر

غُدُوها شهر ورواحها شهر وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْنًا رَبِّهِ . وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٤﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَمِثْلِيلٍ وَجِفَانٌ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٌ رَأْسِيَّتٌ آَعَمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خِرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٦﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْجِدِهِمْ آيَةً جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلًّا مِّن رَّزْقِ رَبِّكَ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً رَبُّكَ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ نَّحْمَسُ وَأَنْثَى وَنُقًى مِّن سِدْرٍ لَّيْلٍ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا

وَمَل

الشديد ؛ الذى يحطم كل ما يعرضه من أبنية ، وأودية . و «العرم» السدود التى تنبى لتعجز المياه (ذواتى أكل خط) أى تمر مر ، بشع . وقيل : هو كل شجر ذى شوك (وأثل) شجر طويل لا ثمر له (ونشىء من سدر) وهو شجر برى ؛ له ثمر كالنبق ؛ غير أنه مر الطعم ، سام لا يؤكل (ذلك) التبديل الذى بدلناهم به : التلف بعد الترف ، والمر بعد الحلو ، والداء بعد الشفاء (جزيناكم بما كفرتم) أى بسبب كفرهم

(وهل نجازي) بالشر بعد الخير ، وبالعقاب بعد الثواب (إلا الكفور) الذي أعرض عنا ، ولم يقم بواجب شكرنا (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) وفي الشام: باركنا فيها بالماء والشجر ، والذهب والنمر (قرى ظاهرة) متتابعة ؛ لانتهاى من قرية حتى تبدو لك أخرى ؛ ليستبين الفرق بين رضا الله تعالى وغضبه ، وبين نعمته وتقته (وقدرنا فيها) أى فى هذه القرى (السير) فلا يكاد السائر يقبل فى قرية ؛ حتى يبيت فى أخرى ؛ فلا يحتاج إلى مزيد من الأمن والزاد ؛ وهذا معنى قوله جل شأنه (سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين)

من الخوف والفرع ، والجوع والعطش ؛ فأطفتهم الراحة ، وأبطرتهم النعمة ، ونزع الشيطان فى قلوبهم ، وتحرك الكفر الكامن فى قلوبهم (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) ملوا الراحة ، وطلبوا الكد والتعب (وظلموا أنفسهم) بجرماتها من الثواب ، وترضيها للعقاب (فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بما حل بهم ، ويعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم فى البلاد كل التفريق ، وصيرناهم مضرباً للثل ؛ يقال : تفرقوا أيدي سباً ، وذهبوا أيدي سباً (إن فى ذلك لآيات) عظات (لكل صابر) كثير الصبر عن المعاصى وعلى الطاعات (شكور) كثير الشكر لله تعالى على أنعمه ؛ (وما كان له) أى لإبليس (من سلطان) تسلط عليهم ؛ ولكنهم «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» وما كان تسلط لإبليس عليهم (إلا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة) ويعمل لها ؛ فلا يبالى بالشيطان ووسوسته ، ولا يعاب بالنفس وهو اجسها :

وخالف النفس والشيطان واعصها

وأت بها محضاك النصح فاتهم

(من هو منها فى شك) فليس بمستيقن حساباً ، ولا ثواباً ولا عقاباً ؛ فإذا بدت له فرصة كسب - من أى طريق - انتهزها ،

وإذا لاحت له بارقة لذة النفس فيها ، وإذا لوح له لإبليس بما يسره اليوم ويضره غداً بادر إلى إجابته وطاعته ؛ فأى شك فى الآخرة أكبر من هذا الشك ؟ بل وأى كفر بالله أشد من هذا الكفر ؟! (وربك على كل شىء حفيظ) رقيب وعليم (قل ادعوا الذين زعمتم) ألوهيتهم ، وعبدوهم (من دون الله) اطلبوا منهم أن يدفخوا عنكم ضراً أو أن يلحقوا بكم خيراً فإنهم لن يستجيبوا لكم ؛ لأنهم (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) أى لا يملكون وزن نملة صغيرة فى ملك الله الكبير (وماله) بجل شأنه (منهم) أى من هذه الآلهة (من ظهير) من معين ؛ بل هو وحده المعين الذى لا يمان عليه ، المغيث الذى لا يمان عليه ؛ (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) بها ، وارتضاه شقيقاً فيمن أراد بفضله أن يمنحهم =

وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكُفُورَ ۚ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظُهُورًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ
كُلَّ مَزْقٍ ۚ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ
مَن يَأْتِيَنَّ بِالْآخِرَةِ ۚ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن مِّشْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ۝
وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ۚ خَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ

= رفته ، ويدعو عن ذنوبهم ؟ لسابقة خير أتوها ، ويدبر أسدوها (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) أى كفف الفزع ، وزال عن قلوب الشافعين والمشفوع فيهم الرب ؛ بالإذن في الشفاعة ، أو بقبولها من الشافعين في المشفوع لهم (قالوا) أى قال الشفعاء لبعضهم ، أو قال الأنبياء - وهم الذين يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة - للملائكة الذين يبلقون أمر ربهم ؟ قالوا لهم (ماذا قال ربكم) في شأن شفاعتنا للعصاة من أمنا ؟ (قالوا) قال (الحق) الذي ارتضاه وكتبه على نفسه «كتب ربكم على نفسه الرحمة» وقد أذن بكرمه وفضله لكم في

الشفاعة (وهو العلي) المتعالي فوق خلقه بالقهر

٥٢٤

(الكبير) العظيم ؛ الذي كل شيء - مهما عظم - دونه ! (إنا أو لياكم) أى ونحن أو أنتم (لعل هدى) من الله (أو في ضلال مين) أى تلتطف هذا من الله تعالى بعبده ؟ وأى منطق تشرتب له الأعناق ، وتتخلل له القلوب ؟! يأمر الله تعالى أهدى الهداة ؛ بأن يخاطب أعني العتاة ، وأعصى العصاة ؛ بقوله : إن الخلاف بيننا لا يمدو إحدى اثنتين : إما أن أكون أنا على هدى ، أو في ضلال مين ؟ وأنتم كذلك . فإذا ماتبصر المخاطب في هذا الجدل الرقيق الرفيق ؛ الذي إن دل على شيء ؛ فإنما يدل على الحقيقة المجردة من كل زيف ، والقوة المجردة من كل قسوة ، والطمثات الواثق ، ووثوق الطمئن . وإذا ما تدبر المخاطب المعاند أنه لا أحد يرزقه من السموات والأرض سوى الله تعالى ، وأن عبوده المزعوم لا يخلق شيئاً ؛ بل يخلقه العابد له بيديه ، وأنه لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وأنت الذي يخاطبه يسأله المنطق لا القوة ، وتؤيده البراهين والآيات ؛ لا الأكاذيب والترهات ؛ وأنه - ولا شك - مرسل من عند الله الحق ؛ ليخرجه من الظلمات إلى النور ، وينجيهِ من عذاب السعيرا إذا تدبر المخاطب كل ذلك : علم أنه على ضلال

الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿٥٢٤﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٢٥﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَنْ آيَاتِنَا وَلَا تَسْأَلُنَا عَنْ شَيْءٍ نَعْمَلُونَ ﴿٥٢٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٥٢٧﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهْكُمُ بِهِ شُرَكَاءَ كُلِّ بَلٍّ هُوَ اللَّهُ الْغَزِيْرُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٣٠﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ ﴿٥٣٢﴾

وَأَيُّ ضَلَالٍ ؟ وأن الرسول على هدى وأى هدى ! (قل) لهم يا محمد (يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا) أى يحكم (شركاء) في العبادة (كلا) ردع لهم عن اتخاذ الشركاء للهلك الحق ! (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة والبعث ، والثواب والعقاب (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن) ولن نصدق أنه منزل من عند الله (ولا) نؤمن (بالذي بين يديه) أى ما تقدمه من الكتب ؛ كالنوراة والإنجيل (ولو ترى) يا محمد (إذ الظالمون موقوفون) أى محبوسون (يقول الذين استضعفوا) الأنباغ والضعفاء (للذين استكبروا) السادة والرؤساء (لولا أنتم) وإضلالكم لنا (لكننا مؤمنين) وفي عداد الناجين

(نحن صدقناكم) منعناكم (عن الهدى) الإيمان ، أو القرائن ، أو هاماً ؛ وهو استفهام انكاري .

أى لم نصدكم عن الهدى ، ولم نكرهكم على الكفر (بل مكر الليل والنهار) أصل المكر: الاحتيال والحديعة . أى بل مكركم بنا ليلا ونهاراً ، أو كفركم أماننا ليلا ونهاراً ؛ هو الذى صدنا ومنعنا عن الهدى ؛ وذلك لأن العمل الظاهر : فيه معنى الأمر بمثله ؛ فمن يكفر : يكن قدوة لغيره فى الكفر ، ومن يفسق يكن قدوة لغيره فى الفسق (أنداداً) أمثالا وأشباهاً (وأسروا الندامة) أى أظهروها ؛ وهو من الأضداد : يكون بمعنى الإخفاء والإبداء . أو هو مشتق من الأسارى ؛ وهى محاسن الوجه ، والحدان ؛ أى بدت الندامة وظهرت على أسارىهم ؛ مما يعترى وجوههم من الانقياض والأسى والحزن ! (مترفوها) رؤساؤها ومتنعوها (وقالوا) أى الكفار المترفون المتنعمون (نحن أكثر أموالاً وأولاداً) من المؤمنين الفقراء (وما نحن بمعدين) توهماً منهم أن الأموال والأولاد هى منجاة لهم فى الآخرة ؛ كما كانت منجاة لهم فى الدنيا (قل إن ربى ييسر الرزق) فى الدنيا (لمن يشاء) من عباده: كافراً كان أو مؤمناً ، طائعاً أو عاصياً ؛ وكثيراً ما يعطى من يفيض ، ويمنع من أحب (ويقدر) ويقبض عنمن يشاء . وقد رد الله تعالى على هؤلاء المحتجين بغنائهم ، المحتجين عن مولاهم ؛ بقوله (وما أموالكم

ولا أولادكم بالى تقربكم عندنا زلّى) الزلى : القربى والنزلة . أى تقربكم عندنا بمنزلة (إلا من آمن وعمل صالحاً) أى إلا الإيمان والعمل الصالح ؛ فهما وحدهما مقياس القرب ، من حضرة الرب (فأولئك) المؤمنون الصالحون (لهم جزاء الضعف) أى نضاعف لهم جزاء حسناتهم

مُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَا عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُخْرَجِينَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ الْبَلِيلِ وَالنَّهَارِ إِذَا تَأَمَّرُوا أَن تَصْغَرُوا بِاللهِ وَيَجْعَلُ لَهُ أُنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي غُتَاتِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلًّىٰ إِلَّا مَنِ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ

فِي الْفِرَقَاتِ ؕ أَعَالِ الْجَنَّةِ (آمَنُونَ) مِنَ
 الْعَذَابِ ، وَمَنِ انْقَطَاعِ النِّعَمِ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
 آيَاتِنَا) الْقُرْآنَ : يَسْعَوْنَ فِي إِبْطَالِهِ ، وَلِنُكَارِهِ ،
 وَالطَّمَنِ فِيهِ (مُجَازِينَ) مَغَالِبِينَ لَنَا ، نَاسِينَ
 الْعِزَّ إِلَيْنَا (وَيَقْدِرُ) وَيَقْبِضُ (وَمَا أَقْفَعُ مِنْ
 شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ) أَيْ مَا أَقْفَعُ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى ،
 وَمِنْ أَجْلِ مَرْضَاتِهِ ؟ فَانْهَ جَلْ شَأْنَهُ يَمُوضُهُ
 لَكُمْ ، وَبِرِزْقِكُمْ أَضْعَافَهُ . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ مُلْكَ
 فِي السَّمَاءِ يَدْعُو «اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْتَقًا خَلْفَاءَ» وَمَسْكَ
 تَقَاءَ (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) لِأَنَّ الْخَالِقَ يَرْزُقُ
 الْآخِرَ لِحَاجَةِ مَنْهُ إِلَيْهِ ، أَوْ لِرَغْبَةِ يَتَضَفُّعِ عَنْدهُ .
 أَمَا «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فَيَرْزُقُ بِلَا حَاجَةٍ ، وَيُطْلَى
 بِلَا مُقَابِلٍ (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تَعَالَيْتَ وَتَقَدَّسْتَ ،
 وَتَعَالَيْتَ عَنِ الْمَثَلِ ، وَالشَّبِيهِ ، وَالنَّظِيرِ (أَنْتَ
 وَلَيْنَا) خَالِقُنَا ، وَمَعِينُنَا ، وَكَافِيُنَا ؛ الَّذِي
 نَخْلُصُ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ ؛ فَكَيْفَ نَرْضَى أَنْ لَعِبْدٍ
 مِنْ دُونِكَ ؟ (بَلْ كَانُوا يَبْغِدُونَ الْجَنَّةَ)
 الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ كَانُوا يَبْغِدُونَهَا بِعِبَادَتِنَا ، وَعِبَادَةِ
 غَيْرِنَا (وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) كَفَرُوا (وَلِذَا
 تَبَيَّنَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) ظَاهِرَاتٍ وَاضِحَاتٍ
 (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ)
 «أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا لَمَجْرُمٌ مَبِينٌ»

وَمَا

(وَمَنْ فِي الْفِرَقَاتِ) أَعَالِ الْجَنَّةِ (آمَنُونَ) مِنَ
 الْعَذَابِ ، وَمَنِ انْقَطَاعِ النِّعَمِ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
 آيَاتِنَا) الْقُرْآنَ : يَسْعَوْنَ فِي إِبْطَالِهِ ، وَلِنُكَارِهِ ،
 وَالطَّمَنِ فِيهِ (مُجَازِينَ) مَغَالِبِينَ لَنَا ، نَاسِينَ
 الْعِزَّ إِلَيْنَا (وَيَقْدِرُ) وَيَقْبِضُ (وَمَا أَقْفَعُ مِنْ
 شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ) أَيْ مَا أَقْفَعُ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى ،
 وَمِنْ أَجْلِ مَرْضَاتِهِ ؟ فَانْهَ جَلْ شَأْنَهُ يَمُوضُهُ
 لَكُمْ ، وَبِرِزْقِكُمْ أَضْعَافَهُ . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ مُلْكَ
 فِي السَّمَاءِ يَدْعُو «اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْتَقًا خَلْفَاءَ» وَمَسْكَ
 تَقَاءَ (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) لِأَنَّ الْخَالِقَ يَرْزُقُ
 الْآخِرَ لِحَاجَةِ مَنْهُ إِلَيْهِ ، أَوْ لِرَغْبَةِ يَتَضَفُّعِ عَنْدهُ .
 أَمَا «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فَيَرْزُقُ بِلَا حَاجَةٍ ، وَيُطْلَى
 بِلَا مُقَابِلٍ (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تَعَالَيْتَ وَتَقَدَّسْتَ ،
 وَتَعَالَيْتَ عَنِ الْمَثَلِ ، وَالشَّبِيهِ ، وَالنَّظِيرِ (أَنْتَ
 وَلَيْنَا) خَالِقُنَا ، وَمَعِينُنَا ، وَكَافِيُنَا ؛ الَّذِي
 نَخْلُصُ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ ؛ فَكَيْفَ نَرْضَى أَنْ لَعِبْدٍ
 مِنْ دُونِكَ ؟ (بَلْ كَانُوا يَبْغِدُونَ الْجَنَّةَ)
 الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ كَانُوا يَبْغِدُونَهَا بِعِبَادَتِنَا ، وَعِبَادَةِ
 غَيْرِنَا (وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) كَفَرُوا (وَلِذَا
 تَبَيَّنَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) ظَاهِرَاتٍ وَاضِحَاتٍ
 (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ)
 «أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا لَمَجْرُمٌ مَبِينٌ»
 (وَقَالُوا مَا هَذَا) الْقُرْآنَ (إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى) كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ

(وكذب الذين من قبلهم) من الأمم المتقدمة مثل تكذيبهم (وبالمنوا معشار ما آتيناكم) أى وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار ، وقوة الأجسام ، وكثرة الأموال والأولاد . وقيل : المعشار : عشر

العشر ، أو هو عشر عشر العشر ؛ فيكون

جزءاً من ألف . ولعله المراد : لأنه أريد به

البالغة في التقليل . وقد يكون المعنى : وما بلغ

المكذبين الذين من قبلهم معشار ما آتيناكمك

من العلم والبيان ، والحجة والبرهان ؛ فهم أولى

الأمم بالإيمان ، وأجدرهم بالإيقان (فكذبوا

رسلي) أى كذبت الأمم السابقة رسلي ؛ كما

كذبك قومك (فكيف كان تكذيب التكبير :

تغيير المنكر ؛ أى فكيف كان تغيير المنكرهم ،

واستئصال وتدمير لهم ١٩ (قل إنما أعظكم

بواحدة) أى أنصحكم بكلمة واحدة : هي جامع

الفضائل كلها ، وأساس الإيمان واليقين

والتوحيد ؛ (أن تقوموا لله) لعبادته (مثنى)

جماعات (وفرادى) أى مجتمعين ومتفرقين (ثم

تفكروا) فيما قتلتموه ، وترجعوا عما زعمتموه

(ما يصاحبكم من جنة) جنون (إن هو) ما هو

(إلا نذير لكم بين يدي) قدام (عذاب

شديد) هو عذاب الآخرة . قال صلى الله تعالى

عليه وسلم «بعث بين يدي الساعة» (قل

ماسألتكم من أجر) على التبليغ (فهو لكم)

المعنى : «لا أسألكم عليه أجراً» والأجر الذى

سألتكموه : هو لكم ؛ لأن فقهه عائد عليكم

«قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى

القربى» (وهو على كل شيء شهيد) عالم به ،

ومطلع عليه (قل إن ربى يقذف بالحق) أى

بلقيه وينزله إلى أنبيائه (قل جاء الحق) الإسلام (وما يبدئ الباطل) الكفر (وما يعيد) أى متى جاء الحق ؛

فأى شيءبقى للباطل يبدؤه أو يعيده ؟ (ولو ترى إذ فزعوا) عند البعث (فلانفوت) فلا مهرب

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ

قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۚ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا

مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ

نَكِيرٍ ۚ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا

لِلَّهِ مِثْنًى وَفِرْدًى ثُمَّ تَنْفَكُوا مَا يُصَاحِبُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْذِفُ

بِالْحَقِّ عَظْمَ الْفُجُورِ ۚ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ

الْبَاطِلُ وَمَا يَعِيدُ ۚ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَلْيَسِّرْ لِي سُبُلَ

عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَلْيُحْسِ إِلَى رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ

قَرِيبٌ ۚ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا

مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۚ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمْ

(وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُوسُ) التناول . أى وكيف لهم تناول الإيمان بعد فوات وقته (ويَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ) أى وقد كانوا يتكهنون بالغيب ؛ ويقولون : لا بُدَّ ، ولا حساب (وحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) أى حيل بينهم وبين النجاة من العذاب الذى هم فيه ، أو حيل بينهم وبين ما يشتهون فى الدنيا : من مال ، وأهل ، وولد ، أو حيل بينهم وبين ما يشتهونه : من الإيمان وقبوله منهم (كما فعل بأشباعهم) أشباعهم من الأمم السابقة .

(سورة فاطر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فاطر السموات والأرض) خالقهما ابتداء من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلاً) إلى الأنبياء بكلامه وهدايته ، ورسلاً إلى الناس بنقته ورحمته ! وهم من خاصة خلق الله تعالى . ومن خواصهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . ولا حصر لهم عدداً ولا إحاطة بهم وصفاً (أولى أجنحة) ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى إن لبعضهم جناحان ، وبعضهم ثلاثة ، وبعضهم أربعة (يزيد) تعالى (فى الخلق ما يشاء) أى يزيد

فى خلق ملائكته ، أو يزيد فى أجنحتهم ؛ فقد رأى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام - على صورته - ساداً ما بين الأفق . وقيل : إن إسرافيل عليه السلام له اثنا عشر ألف جناح . والزيادة فى الخلق : تشمل كل خلق خلقه الله تعالى . فقد خلق تعالى الإنسان ؛ والزيادة فى خلقه : اعتداله وحسنه وجماله . وخلق العينان ؛ والزيادة فى خلقهما : حورهما . وخلق الصوت والزيادة فى خلقه : ملاحته وحلاوته . وخلق الخط ؛ والزيادة فى خلقه : وضوحه وحسنه . وخلق الشعر ؛ والزيادة فى خلقه : لإرساله وتهدله ونعومته (ما يفتح الله للناس من رحمة) رزق ، أو مطر ، أو صحة ، أو ما شاكل ذلك

التَّنَافُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۝

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ۚ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ
رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۖ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۚ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ
أَذْكُرُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُفْكُونَ ﴿١﴾
وَأِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّأُ الْإِنْسَانُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
تَعْتَنِكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣﴾
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ
لِيَكُونُوا مِنْ أَجْحِبِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ عَذَابُ
شَدِيدٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٥﴾ أَفَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنْ اللَّهُ يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٦﴾
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٧﴾

(يأَيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) فاعبدوه واشكروا له ١ (هل من خلق غير الله يرزقكم

من السماء) بما ينزله من أمطار ، ويمجربه من
أنهار (و) من (الأرض) بما يخرجها من
نبات وأقوات ، ونمار وأزهار (لا إله) يعبد
(إلا هو) له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء
الجميل ١ (فأنت تفكون) فكيف تصرفون
عن عبادته ؟ وأنتم لاترزقون إلا بسببه ، ولا
تعمون إلا بسببه ٢ (ولا يغرتكم بالله الغرور)
الشيطان (إنما يدعو حزبه) أتباعه وأولياءه
(ليكونوا من أجب السعير) بسبب طاعتهم
له ، وانتماسهم في كفرهم ومعاصيهم (أفنزین
له سوء عمله) زينته له شيطانه ، ورغبته فيه
نفسه (فرآه حسناً) وهو في الحقيقة أقبح من
القيح ، وأسوأ من السوء ! والجواب محذوف
تقديره «أفنزین له سوء عمله فرآه حسناً»
كن هدى إلى الصراط المستقيم ؟ «لا يستون»
(فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)
يضل من يشاء لإضلاله ؛ بسبب انصرافه عن
آيات ربه ؛ بعد أن جاءته بينات محكمات ،
وبعد أن أدخلها الله تعالى في لبه ، وسلکها
في قلبه ! ولاتنس قول الحكيم العليم «فلما
زاغوا أزاع الله قلوبهم» وقوله جل شأنه
«ومن يؤمن بالله يهد قلبه» (انظر آية ٢٠٠
من سورة الشعراء) (فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات) أي لاتقتل نفسك عليهم غما وحسرة
(فسقناه إلى بلد ميت) مجذب ؛ لا نبات فيه
(فأحيينا به الأرض) أي أحيينا الأرض بالمطر المستكن في السحاب ؛ فأنبئت بعد جديها (كذلك النشور)

(فأحيينا به الأرض) أي أحيينا الأرض بالمطر المستكن في السحاب ؛ فأنبئت بعد جديها (كذلك النشور)
أي مثل إحيائنا للأرض الميتة : كذلك يكون بئكم وإحيائكم

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) في الدنيا والآخرة ؛ فلا تنال بالمال ، ولا بالولد ، ولا بالجاه ؛ وإنما تنال بطاعة الله تعالى ؛ فمن أرادها فليصل عملاً صالحاً يؤمله لنيلها (إليه) تعالى (يصعد الكلم الطيب) وهو كل كلام يتقرب به إلى الله تعالى ؛ ويدخل فيه قوله تعالى «وقولوا للناس حسناً» فكل قول حسن ؛ هو من الكلم الطيب . وكذلك قوله جل شأنه «وقولوا لهم قولاً معروفاً» و«الكلم الطيب» من أسباب العزة عند الله ، وعند الناس ؛ وصعود الكلم الطيب إليه تعالى؛ معناه أنه جل شأنه يعلمه ، ويسرع بالجزاء عليه ،

ويحسن إلى صاحبه! **(والعمل الصالح)** العبادة
الخالصة **(يرفعه)** أى والعمل الصالح يرفع
الكلم الطيب ؛ فقد يكون الكلم الطيب رياء ،
أو مداينة . أو **(والعمل الصالح)** يرفع عامله
إلى مصاف الأنبياء . وقيل : **(والعمل الصالح)**
يرفعه ، الكلم الطيب . يؤيده قراءة من قرأ
(والعمل الصالح) بالنصب . هذا **(والعمل
الصالح)** غير قاصر على العبادات خصب ؛ بل
يشمل سائر الأعمال والصنوعات التي يهد
بعملها إلى الناس . قال صلى الله تعالى عليه
وسلم **(لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن
يتقنه)** وما من شك أن الأعمال الصالحة
التي تقب : ترفع صاحبها عند الله وعند الناس ؛
فيزداد بها علوا ورفعة ! **(والذين يكرهون
السيئات)** أى المكرات السيئات **(ومكر
أولئك هو يبور)** يفسد ويبطل **(والله خلقكم
من تراب)** أى خلق أصل الإنسان «آدم»
من تراب **(ثم خلقكم)** **(من نطفة)** منى .
(انظر آية ٢١ من سورة الفاربات) **(ثم
جعلكم أزواجا)** أسنفا ، أو ذكرانا وإناثا
(وما يمر من عصر) الممر : طويل العمر .
أى ما يزداد في عمر طويل العمر **(ولا ينقص
من عمره إلا في كتاب)** هو اللوح المحفوظ ؛
مكتوب فيه تلك الزيادة ، وذلك النقصان .
قل : إن الزيادة : هى ما يستقبله من عمره ،

مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْغَزَّةَ فَلِلَّهِ الْغَزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
 الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْذَرُ ۝
 وَاللَّهُ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعْمِرُ مِنْ
 مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ
 فَرَاتَ سَابِغَ شَرَابِهِ ۚ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۚ وَمِنْ كُلِّ تَاكُوتٍ
 لَحْمًا طَرِبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبِسُونَهَا ۖ وَتَرَىٰ أُنْفُكَ
 فِيهِ مَوَاجِرَ يَتَّبِعُونَ ۚ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
 يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَيَخْتَرِ السَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ۝

والنقصان : ما يستدبره منه . وتقصان الأعمار وزيادتها : أمر مسلم به ، مقطوع بوقوعه : فالإحسان ، وبر
الوالدين ، والصدقة ، وصلة الرحم ؛ فهي - فضلا عن أنها مرضاة للرب - تطيل الأجل ، وتزيد القوة ،
وتنمي الصحة ، وتضفي السعادة ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له
في أثره - عمره - فليصل رحمه» وقد ورد أنه مكتوب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا ؛ فإن وصل رحمه:
زيد في عمره كذا ! (إن ذلك) التقصان والزيادة (على الله يسر) حين لا يبق عليه (وما يستوى البحران)
الملح والمذنب (هذا عذب فرات) شديد المذوبة والملاوة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (ومن كل)
منهما (أأكلون لحما طريا) هو السمك (وتستخرجون حليه تلبسونها) هي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك) =

== السفن (فيه مواخر) غرقت السفينة الماء : أى شقته (لتيبتوا من فضله) بالتجارة والكسب (يولج) يدخل (الليل في النهار) بنقصان الليل ، وزيادة النهار (ويولج النهار في الليل) بنقصان النهار ، وزيادة الليل (والذين تدعون) تعبدون (من دونه) غيره (لا يملكون من قطمير) وهو القشيرة الرقيقة الملتفة على النواة . وهو مبالغة في القلة ، والمحارة . أى أنهم لا يملكون شيئاً مطلقاً

٥٣١

سورة فاطر

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرَكُمْ وَلَا يَنْتَبِهُكُمْ عَنْهُمْ خَبِيرٌ * يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهِ لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۖ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

(إِنْ تَدْعُوهُمْ) تادعوم (ويوم القيامة يكفرون بشاركم) أى يبتزأون منكم ، ومن عبادتكم لهم (يا أيها الناس) خطاب لساير الناس : غنيهم قبل فقيرهم ، وسليمهم قبل سقيمهم ، وقويهم قبل ضعيفهم ؛ يقول لهم ربهم ، وخالقهم ، ومالكهم (أنتم) جميعاً (الفقراء) المحتاجون (إلى الله والله) وحده (هو الغنى) المستغنى بنفسه عن غيره (الحمد) المحمود في صنعه ، والفقر : هو الانتقار ؛ وجميع الناس - على اختلاف طبقاتهم ، وتباين أجناسهم - مفتقرون إليه تعالى في كل شئونهم ؛ فالغنى لا يكون إلا بأمره ، والسعادة لا تكون إلا بعيشته ، والسلامة لا تتم إلا بإرادته ، والحاجة دائماً إليه ، والاستعانة دائماً به ؛ (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس آثمة لثم نفس أخرى (وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى أن تدع نفس مثقلة بالذنوب (إلى حملها) أى إلى حمل حملها الثقيل من الذنوب (لا يحمل منه شئاً ولو كانت) المدعو للحمل (ذا قربنى) «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ؛ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» (ومن تزكى) تطهر بفعل

الطاعات ، وبترك المعاصي (فإنما يتزكى لنفسه) لأن ثواب ذلك عائد إليه وعليه (وما يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن ، أو الجاهل والعالم (ولا الظلمات ولا النور) الكفر والإيمان ، أو الجهل والعلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل ، أو الجنة والنار (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أى الذين دخلوا في الإسلام ، ومن لم يدخلوا فيه . ويصح أن يكون جميع ما تقدم على ظاهره (وما أنت بمسمع من في القبور) أى كما أنك لا تسمع الموتى - سكان القبور - فكذلك لا تستطيع إسماع الكفار : موتى القلوب !

(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) أى وما من أمة سبقت ؛ إلا مضى فيها رسول ينذرهم سوء عاقبة الكفران ، ويخوفهم وغامة الظلم والطغيان (جاءتهم رسلهم بالبينات) الآيات الواضحات (وبالزبر) الصحف (وبالكتاب النذير) الواضح ؛ كالتوراة والإنجيل (ثم أخذت الذين كفروا) عذبتهم ؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم ، وإنكارهم لكتبهم (فكيف كان نكير) إنكارى عليهم ، وتعذيب لهم (فأخرجنا به ثمرات) فاكهة (مختلفاً ألوانها) كحبة التفاح وصفرة ، وبياض النعنب وسواده ، واختلاف ألوان الفاكهة وطعموها ؛ مع سقاها ماء واحد «سبق»

الجزء الثاني والعشرون ٥٣٢

وطموها ؛ مع سقيها بماء واحد «يسقى
بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في
الأكل» (ومن الجبال جدد يفيض وحر)
طرق لونها أبيض ، وأخرى لونها أحمر؛ وهذا
مشاهد يعرفه كل من ارتاد الجبال وطرقاتها ،
ورأى مفاوزها ومسالكها. وقد رأيت ذلك
رأى العين - ورآه الكثيرون - بجبال مكة
المشرقة ! (وغرايب سود) أى وطرق
سوداء حالكة السواد. يقال : أسود غريب .
ومنه الغراب لسواده (ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه كذلك) الاختلاف
الظاهر في الثروات ، والجبال والطرق (إنما
يخفى الله) حق خفيته ، ويعرفه حق معرفته
(من عباده العلماء) الذين يعلمون رحمته
وقمته ، وعفوه وبطشه ، وحلمه وقهره ،
ومغفرته وعذابه ؛ ويعلمون أنه تعالى على كل
شيء قدير !

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٧١﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٧٣﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٧٥﴾
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِنْ
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٧٦﴾
لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّمَا غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ

والعلم أيضاً وسيلة سامية ، لغايات بالغة السمو : فغير العلم لا نستطيع أن نتعالج مشاكل الحياة علاجاً سليماً حكماً ، وبغيره لا نستطيع أن نحى نفسك وتدفع عنها إهذاء المؤذنين ، وعدوان المتعدين !

فالعلم إذن يجمع بين الحق والقوة ، والسعادة والسيادة ، والمظنة والسلطان . فبالعلم استطاع الإنسان - في دفاعه عن نفسه - أن يستعمل اللسان والسنان ، وبالعلم استطاع أن يسخر الماء والهواء ، والبخار والكهرباء ؛ حتى صار الإنسان بعلمه : كمن يضم في أصبعه خاتم سليمان ، ويجلس على بساطه !

== حاز علم العلماء ، وسلك سلوك الجهاد ! (إن الذين يتلون كتاب الله) ويعملون بما فيه (وأقاموا الصلاة) محافظين عليها في أوقاتها (واثقفوا) على الفقراء (بممارز قنهم) بفضلنا ؛ لا بكسبهم (سراً وعلانية) من غير من ، ولا أذى ، ولا رياء : يسرون في النافلة «الصدقة» ويعملون في الفريضة «الزكاة» أو يسرون سراً على الفقير ، وجبراً لحاطره ، ويعملون ليقبضوا بفعلهم من عدايم . أولئك (يرجون تجارة لن تبور) وهي طلب ثواب الله تعالى ، والنجاة من عقابه !

٥٣٣

سورة فاطر

هذا والتجارة معه تعالى من أربع التجارات وأحسنها ، وأعلىها وأعلاها ! (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (مصدقاً لما بين يديه) ما تقدمه من الكتب (اصطفينا) اخترنا (فنهم ظالم لنفسه) بالكفر ، وتحمل الإثم ، وذل المعصية (ومنهم مقتصد) وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم . أو هم الذين أعطوا الدنيا حقها ، والآخرة حقها (ومنهم سابق بالخيرات) لا يبغي من الدنيا مقبلاً ، ولا يقرب محرماً !

وهذه الأصناف الثلاثة : هي التي عناها الله تعالى بقوله «وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون أولئك المقربون» فأصحاب الميمنة : هم المعنيون بقوله تعالى «ومنهم مقتصد» وأصحاب المشأمة : هم المعنيون بقوله «فنهم ظالم لنفسه» والسابقون السابقون : هم المعنيون بقوله جل شأنه «ومنهم سابق بالخيرات» وهم السابقون إلى الخيرات والمكرمات ! (ياذن الله) بأمره وتوفيقه (جنات عدن) أي جنات الإقامة (الذي أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) دار الإقامة : وهي الجنة . وسميت بذلك : لأن الإقامة فيها

الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٥٣٣﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْقِتَابَ الَّذِينَ آمَطُنَا مِنْ عِبَادِنَا فَنَنْهَاهُمُ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٥٣٤﴾ جَنَّتٌ عَنْ دُونِ يَدِّ خَلْقِنَا يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٥٣٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٥٣٦﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاْفٍ ﴿٥٣٨﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا كَمَا

مؤبدة (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) إعياء (لا يقضى عليهم فموتوا) ويستريحوا (ربنا أخرجنا) من النار ، وأعدنا إلى الدنيا (نعمل) فيها عملاً (صالحاً غير الذي كنا نعمل) من قبل . قال تعالى ردأ عليهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أي «أولم نعمركم» في الدنيا الوقت الطويل الذي يتذكر فيه من أراد أن يتذكر ، ويهتدى فيه من أراد أن يهتدى (وجاءكم النذير) محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل «النذير» الشيب ، أو موت الأهل والأحباب . والأول أحق بالصواب وأجدر

(إن الله عالم غيب السموات والأرض) ما غاب فيهما عن البصر ، واحتجب عن الوم (إنه عليم بذات الصدور)

الجزء الثاني والعشرون

٥٣٤

بغضاي القلوب (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) خلائف : جمع خليفة . أى يخلف بضعكم بعضاً في ملك الأرض ، والتبّع بغيراتها (فن كفر فعليه كفره) أى عليه لم كفره وعقوبته ! (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقباً) المقب : أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) خساراً ؛ وأى خسار أشق وأشد من خسار الجنة ونعيمها ؛ وأى خسار آدمى وأنتى من الخلود في جهنم وجصيمها ١٩ (الذين تدمون) تدمون (من دون الله) غيره (أرونى ماذا خلقوا من الأرض) أى أن الله تعالى عالم غيب السموات والأرض ، ومبدعها ، وخالق من فيها ؛ وقد خلقكم تعالى شعوباً متعددة ، وأممأ شتى ، وأجناساً متباينة ؛ ووالى - سبحانه وتعالى - خلقكم وإنشاءكم ؛ فإذا ما انقرضت أمة ؛ أخلف مكانها أمة أخرى ، وإذا ما فني شعب ؛ أخل مكانه شعباً آخر . وجميع ذلك خلق الله تعالى ؛ فإذا خلق آلهكم في هذه الأرض التى أنتم عليها ؟ (أم لهم شرك) شركة مع الله (فى) خلق (السموات أم آتيناكم كتاباً) مكتوباً يؤكد هذه الشركة (فهم على بينة) حجة (منه) أى من هذا الكتاب (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) باطلاً (إن أمسكهم) ما أمسكهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فى الأيمان (فلما جاءهم نذير) عهد صلى الله تعالى عليه وسلم (لما زادهم) مجيؤه (إلا نقوراً) من الحق ، وانصرافاً عن الإيمان (استكباراً) منهم وعلو

الظالمين من نصير ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غِيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٠﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ قَدْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْبًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَسُدُّ الْظَالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَأْزَادُهُمْ إِلَّا نَفُورًا ﴿٢٤﴾ اسْتَكَبَرُوا

في

بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فى الأيمان (فلما جاءهم نذير) عهد صلى الله تعالى عليه وسلم (لما زادهم) مجيؤه (إلا نقوراً) من الحق ، وانصرافاً عن الإيمان (استكباراً) منهم وعلو

(في الأرض ومكر السي) أى مازادهم مجيؤ
إلا أن مكروا المكر السي . والمكر :
الخداع (ولا يحيق) يحيط (فهل ينظرون)
ما ينتظرون (إلا سنة الأولين) أى لإلطريقتنا
مع الأولين : وهى تعذيبهم وقت تكذيبهم ،
واستئصالهم وقت كفرهم ا (أولم يسيرا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم) من المكذبين ، وكيف فلناهم (وكانوا
أشد منهم قوة) أى أشد من أهل مكة ؛ فـ
أعجزونا ، وما استطاعوا النجاة من اتقاننا
(وما كان الله ليعجزهم من شئ) (ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا) بما ارتكبوا من المعاصي
(ماترك على ظهرها) أى ظهر الأرض (من
دابة) الدابة : كل ما يدب على وجه الأرض ؛
من إنسان ، أو حيوان ، أو غيرها (ولكن
يؤخرهم إلى أجل مسمى) هو القيامة (فإذا
جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً)
فيجازيهم على ما عملوا .

(سورة يس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) هو اسم الرسول الأعظم صلوات

الله تعالى وسلامه عليه . وقيل : معناه :

يا إنسان ؛ فى لغة طي . وقيل معناه : يأسيد

البشر . وقيل : بل هو اسم من أسمائه تعالى ؛

لذا منع مالك رضى الله تعالى عنه التسمي به . وهو قسم ؛ يدل عليه عطف القسم الآخر (والقرآن الحكيم)
الحكم الذى لا يعتريه نقص ، ولا يشوبه تناقض أو بطلان . وجواب القسم :

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَحْمِلَهُمْ إِلَّا بِسَبِيلٍ
وَلَنْ نَحْمِلَهُمْ إِلَّا بِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۚ
وَلَوْ يَوَٰخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ
دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
فَلَنْ يَكُونَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ حَافِظًا ۚ

(٣٦) سُورَةُ يَسٍ مَكِّيَّةٌ
الْآيَةُ ٥٠ هُدًى
وَأَمَّا ٨٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ

(إناك) يا محمد (لن المرسلين) وإنك (على صراط مستقيم) على طريق الهدى والاستقامة ؛ طريق من تقدمك من الأنبياء . وهو رد على الكافرين القائلين «لست مرسلًا» (تنزيل العزيز الرحيم) وهو القرآن (لتنذر) به (قوماً ما أنذر آباؤهم) أى لم يأت آباؤهم قبلك نذير مثلك ؛ بكتاب مثل كتابك (فهم غافلون)

الجزء الثاني والعشرون

٥٣٦

عن خالقهم ، منصرفون إلى إفكهم وباطلهم .
أو «ما» بمعنى الذى . أى لتنذر قوماً بالذى أنذر به آباؤهم . والأول أولى ؛ لأن أمة العرب ظلت فترة طويلة من الزمن ؛ بغير نبي يرسل إليهم ، أو كتاب ينزل عليهم . يؤيده قوله تعالى «وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» (لقد حق القول) وجب العذاب (لأننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) جمع غل ؛ ويكون الغل في الأعناق ، والقيد في الأيدي (فهم مقمحون) مرفقة رؤسهم ؛ لا يستطيعون تحريكها ؛ لضيق الغل وتحكمه عند أعناقهم . وذلك يكون يوم القيامة . وجاء السياق بصيغة الماضي «لأننا جعلنا» لتحقيق الوقوع . أو هو تشبيه على سبيل التمثيل ؛ وذلك لأنهم امتنعوا عن الاعتناء ؛ امتناع الغفل ، وأنهم - على ما هم عليه من ذلة الكفر - مشربوا الأعناق ، رافضوا الرؤس (فأغشيناهم) أى غطينا على أبصارهم ، وجعلنا عليها غشاوة (لأنما تنذر من اتبع الذكر) أى لأنما ينفع إلهادك وتقبله من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) خافه ولم يره ، وصدق بحجته وتوابعه ، وثوابه وعقابه (لأننا نحن نحي الموتى) للحساب والجزاء (ونكتب ما قدموا) من عمل ؛ خير أو شر ؛ فنجازيهم عليه (و) نكتب (آثارهم) ماسنوه

الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ۝ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَزْنَا بِنَاثِلٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَا أَنْتُمْ

إلا
من سنة حسنة أو سيئة ؛ فإن الله تعالى يجزيهم عن انبعاثهم ؛ ثواباً أو عقاباً (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) هو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) إشارة (إذ جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ بأمره تعالى (ففرزنا) قوتنا الرسالة (بناثل) هو كبير الحوارين (فقالوا) أى قال الرسل الثلاثة (قالوا) أى أصحاب القرية ؛ المرسل إليهم

إِلَّا بَشَرٍ مِّثْلَنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا مِنْ فَتْنٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطْهَرُكَ بِكُرٍّ
لَيْنٍ لَمْ يَنْتَهُوا لَتَرْجَمَنَّكَ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُرِّيَّتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾
وَجَاءَ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْتُمْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تَسْأَلُونَ أَجْرًا وَهُمْ
يُحْسَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِي لَا أُعْبِدُ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي فَطَرَنِي وَالْإِلَهَ
تَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ
بِضُرٍّ لَا تُفْنِي عَنِّي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾
إِنِّي إِذْ أَنَا لِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمْتُ رَبِّيكَرَ
فَاتَّبَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ بَلَّيْتُ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَصَيْتُ رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٧﴾

(ما أنتم إلا بشر مثلنا) فما الذي يدعو إلى
اختصاصكم بالرسالة من دوننا (وما أنزل
الرحمن) عليكم (من شيء) من وحيه (قالوا)
أى قال أصحاب القرية لرسلمهم (إنا تطهركم)
تشاء منا (لئن لم تنتهوا) ترجعوا عن دعوتكم
(قالوا) أى قال الرسل لأهل انطاكية
(طائركم) شؤمكم الذى تزعمونه (معكم) ملصق
بكم ؛ لكفركم بإلهكم وعدم انقيادكم لمولاكم
(انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (أئن
ذكرتم) استفهام . أى أئن وعظم وخوفتم ؛
تطهركم وكفرتم ؟ (بل أنتم قوم مسرفون)
فى الكفر (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) أى
أى شيء يحول بينى وبين عبادة الذى أنشأنى
وخلقنى ؟ (والله ترجعون) جميعاً ؛ فيحاسبكم
على عملكم ، ويدخلكم النار بكفركم (أأخذ
من دونه) غيره (آلهة) كما اتخذتم (إن
يردن الرحمن) أى إن يرد أن يلحقنى (بضر)
بمرض ، أو فقر ، أو آفة (لا تنعنى)
لا تنفعنى (شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) مما
أراد الله تعالى (إنى إذا) إن اتخذت لها
من دون الله (لنى ضلال مبين) واضح ظاهر
(قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون) أى

سيقال له يوم القيامة : « ادخل الجنة » وسيقول يومئذ : « ياليت قومى يعلمون » لأنه لما كان دخوله الجنة
محققاً مقطوعاً به : ذكرت القصة بصيغة الماضى ، كقوله تعالى « أتى أمر الله » وبرزوا لله جميعاً ، أو قيل له
ذلك عند موته ؛ فقال « ياليت قومى يعلمون »

(وما أنزلنا على قومه من بعده) أى من بعد موته (من جند من السماء) لقتالهم وإهلاكهم (إن كانت إلا صيحة واحدة) صاحبها عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام . والصيحة : العذاب ؛ أو صيحة واحدة لكل عذاب (فإذا هم خامدون) ميتون (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون) الأمم (أنهم إليهم لا يرجعون) مورد على من يقول بتناسخ الأرواح ، ورجوعها إلى أبدان غير أبدانها (وإن كل لما جيع) وما كل إلا جيع (لدينا محضرون) يوم القيامة ؛ فنعذب من كفر بكفره (وآية لهم) علامة دالة على البعث ،

الجزء الثالث والعشرون

٥٣٨

وبسر الإعادة (الأرض الميتة) الجدية ، التي لا تنبت (أحيينها) بالنبات (وأخرجنا منها حبا) كالقمح ، والذرة ، والفل ، والعدس ، وما شاكلها (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعنان) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (ليأكلوا من ثمره) أن ثمر النخيل والأعنان ، ومانتجة البساتين من فاكهة ونحوها (وما عملته أيديهم) «ما» نافية . أى «ليأكلوا من ثمره» الذى صنعتهم بقدري ، وأسقيته عليهم بفضل ، ولم ينالوه بعمل أيديهم ؛ فكمن أرض خصبة : اختصها الإنسان بالحرث والبذر ، واصطفاهما بالسقى والرى ؛ فأصبحت بفضل التفاته لها ، وعنايته بها جدية محلة ؛ ويجوز أن تكون «ما» بمعنى التى ؛ أى «ليأكلوا من ثمره» وليأكلوا أيضاً من الذى «عملته أيديهم» من شتى الأصناف والأنواع : حلالات وأطعمة ، وأدهان وأدوية ، وغير ذلك ؛ وكله مستخرج من الثمر ، الذى خلقه بارئ البصر ؛ من حقائق ذات بهجة ، ما كان لهم أن يفتتوا شجرها ؛ «رزقا للعباد» (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع ؛ باختلاف الألوان ، والطعوم ، والأشكال ، والأحجام (ومن أنفسهم) أى ومن أنفسهم أيضاً خلق تعالى أزواجاً : ذكراناً وإناثاً ، طوالاً وقصاراً

* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُتَرَلِّينَ ۚ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَلَأَكْبَهُمْ خَسْفُودُونَ ۚ يَخْسِفُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يُبَاتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمًا شَدِيدًا فَلَأَمْلَأَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۚ وَإِنْ كُلُّ لُتَّا بِمِجْمَعٍ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ۚ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَتْ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا لَئِنْ يَأْكُلُونَ ۚ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۚ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۚ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَآيَةٌ لَهُمُ الْبَلْبَلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَمَا ذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۚ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مَّا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۚ

والقمر

سماءاً وعجافاً ، بيضاً وسوداً ، حمراً وصفراً (ومما لا يعلمون) من مخلوقاته تعالى فى البر والبحر ، والأرض والسماء «فبإذن الله أحسن الخالقين» (وآية لهم) علامة دالة على قدرتنا ، وعظمتنا ، ووحدانيتنا (الليل نسلخ منه النهار) أى فصله ونزعه منه (والشمس تجري) فى منازلها (لمستقر لها) وهو أبعد منازلها ؛ ثم تعود إلى أودانها . أو المراد بذلك يوم القيامة ؛ حيث يكورها الرحمن ؛ فتسكن عن الجريان ؛ ورووا عن ابن عباس ، وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما قراءة «والشمس تجري لامتقر لها» والإجماع على بطلانها ؛ لخالفاتها رسم المصحف الإمام . ونسبنا هذه التى نراها ، والتى تضى الكون بمجياها : إن هى إلا واحدة من شمس لا يعلم مداها . وهذه الشمس لا تقل عن أربعين مليوناً ؛ حساباً وعداً . ومن هذه الشمس =

ما يزيد في الحجم عن شمسنا هذه أربعين ضعفاً ، ويربو في الضوء والحرارة عن ذلك . وبعض هذه الشمس يرى في الفضاء كالقذرة الصغيرة ؛ لبعده عنا بعداً شديداً ؛ فقد سجلوا أن الشمس اليمانية - وهي تبدو كأصفر نجم في السماء - تبعد عن الأرض بمحوى اثنين وخمسين بليوناً من الأميال (١) ، وأنه لولا هذا البعد الشحيح : لقاتبت الأرض بما فيها ومن فيها من حرارتها !

وحول هذه الشمس - التي لا تبعد ولا تعد - كواكب كثيرة تدور في فلكها ؛ كما تدور أرضنا هذه في فلك شمسنا ؛ وما يدورنا ما في هذه الشمس ، وهذه الكواكب من مخلوقات ، وما تحتويه من كائنات ؛ لا يعلها سوى خالقها وبارئها العظيم الحكيم !

٥٣٩

سورة يث

وشمسنا هذه - رغم ضآلتها وحقارتها بجانب الشمس الأخرى - لو دنت قليلاً من الأرض : لفارت البحار والمحيطات ؛ من شدة الغليان ، ولتبخر ما فيها من مياه ، ولانصهر أشد أنواع الصخور صلابة . فانظر - يارعاك الله - إلى بديع صنع الله !

(والقمر قدرناه منازل) ينتقل فيها (انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) (حتى عاد كالرجون) الرجون: العنق ؛ وهو من التمر كالعنقود من العنب (القديم) حين يجف ويصفر ويتقوس (لا الشمس ينبغي لها) لا يجوز لها ، ولا يمكنها ؛ لما أحاطها الله تعالى به من ضروب الحفظ ، وما سخره لسيرها من ملائكته وخزنته ؛ فلا ينبغي لها (أن تدرك القمر) وأنى لها أن تدركه ؛ وقد وضع لها خالقها نظاماً لا يمكنها من إدراك القمر ؛ لو سعت إلى ذلك وأرادته . قال تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) (وكل من الشمس والقمر في فلك) خاص به ، لا يتعداه إلى غيره (يسبحون) يسبحون في الهواء كبير السابغ في الماء (وآية

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٥٣٩
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٥٤٠ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ٥٤١ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ
مَا يَرَكِبُونَ ٥٤٢ وَإِنْ تَسَاءَلْتَهُمْ فَلَاصِرِجٌ لَهُمْ وَلَا
هُمْ يَفْقَدُونَ ٥٤٣ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ٥٤٤
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَرْحَمُونَ ٥٤٥ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٥٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ
رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ
مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥٤٧
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥٤٨
مَابْنُظُرُونَ إِلَّا صَبَاحَةٌ وَحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ٥٤٩

لهم) علامة أخرى دالة على قدرتنا وحفظنا وكلاءتنا (أنا حملنا ذريتهم) أى ذرية الأمم المتقدمة : حلهم الله تعالى (في الفلك) السفينة . والمراد بهم قوم نوح عليه السلام ، أو المراد : ذرية كفار مكة . أو المراد بالذرية : الآباء ؛ وهي من أسماء الأضداد . والمعنى : حل الله تعالى آباءهم وهم في أصلابهم (المشحون) الملوأ ناساً ومعاشاً (فلا صرخ لهم) أى فلا يستطيعون الصرخ ، أو فلا يستجاب لصرخهم (إلا رحمة منا) لمن نتجيه (ومتاعاً) متعباً له بالحياة (إلى حين) إلى حين انقضاء أجله (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) =

== أى خافوا قدرتنا على تعذيبكم فى الدنيا : بالمرض والفقر ، أو القتل والأسر . وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! أو « ما بين أيديكم » ما ظهر لكم « وما خلفكم » ما غاب عنكم (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وهكذا الكفار فى كل زمان ومكان : إذا ضاقت بهم الحيل ، وأغلقت فى وجوههم السبل : لجأوا إلى تافه القول ، وفاسد الحجج ، وتلاعبوا بالحقائق تلعب الصوالة بالأكبر ، ولا كوا بأفواههم الألفاظ الطنانة الجوفاء ؛ فقد تهربوا من إطعام الطعام بقولهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » كما دافعوا

الجزء الثالث والعشرون

٥٤٠

عن جهلهم أو حقهم ، وعبادتهم الأبحار التى لا تضر ولا تنفع - بقولهم « ما نمدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى » وكما احتجوا عن كفرهم وتعتهم بالقضاء والقدر « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا » .

هذا وقد لجأ الناس فى آخر الزمان إلى التلاعب بالألفاظ ، والتوهم بالأسماء : فسموا القوضى : حرية . والشيعوية : عدالة اجتماعية . والظلم : عدلاً ، والاستبداد : ظلالاً . والشورى : ضعفاً . والرشوة : هدية . والحباية : صلة رحم . والإعمال : أناة . والتهور : شجاعة . والقسوة : حزماً ! وهكذا فسدت المقاييس ، واختلت المعايير ؛ تبعاً للأهواء الرديئة ! (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث والحساب والمقاب (ما ينظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) هى نفخة لإسرائيل الأولى ؛ وبها يكون فناء سائر الأحياء (نأخذهم) تهلكهم (وهم يخلصون) يخلصون فى البيع والشراء ، والقضاء (ونفخ فى الصور) النفخة الثانية ؛ وبها يحيا كل ميت : يحيى بها الله تعالى الأموات ، كما أمات بالأولى الأحياء : يبيدكم - جل شأنه - كما خلقهم أول مرة « كما بدأكم تمودون » (فإذا هم من الأجدات) القبور

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَرْصِيبَهُ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٤﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥٥﴾
قَالُوا يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾
إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٧﴾
فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾
إِن أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٩﴾
هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِدُونَ ﴿٦٠﴾
لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ ﴿٦١﴾
سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٦٢﴾
وَأَمْسَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾
* أَلَا أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ بَنِيَّ إِدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مِّنِّي وَإِنِّي أَنَا عَبْدُ اللَّهِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكَ

جِيلًا

(ينسلون) يخرجون مسرعين (هذا ما وعد الرحمن) بوقوعه (وصدق المرسلون) فى إبلاغهم ذلك عن ربهم . وهذا القول رد من الملائكة على سؤال الكافرين « من بعثنا من مرقدنا ؟ » (إن كانت) ما كانت (إلا صيحة واحدة) يصيحها إسرائيل عليه السلام فى سائر الأموات : أيها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، والشعور المتبرقة ؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ! وهذا معنى قوله تعالى « يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) ما يشغلهم عن التفكير فيما عاينوه فى الدنيا (فاكهون) متنعمون ومنه سميت الفاكهة : لما يلقاه آكلها من شعور بالنعيم ، وتلذذ بالنعمة ! ومنه الفكاهة ؛ لأنبساط النفس وانفراحها بها (على الأرائك) السرر ، أو الفرش (ولهم ما يدعون) =

= ما يَتَنَوَّن (سلام قولاً من رب رحيم) أى يسمعون صوت الرحيم الرحمن ؛ يقول لهم فى الجنان ، بصوت لا يحيط به الجنان : سلام عليكم ا «ويلقون فيها نحيمة وسلاماً» (وامتازوا) أى افردوا عن المؤمنين (أيها المجرمون) الكافرون . ويقال لهم وقتذاك (ألم أعهد إليكم) آمركم (يا بني آدم) على لسان رسل (ألا تعبدوا الشيطان) ولا تطيعوه (إنه لكم عدو مبين) عاهد نفسه على إضلالكم ، وأقسم على لغوائكم «فبغزتكم لأعينهم أجمعين» (وأن اعبدوني) وحدى ، وأطيعوني (هذا) الاتباع والعبادة (صراط) طريق (ولقد أنزل) الشيطان (منكم جبلاً كثيراً) خلقاً كثيراً (أفلم تكونوا تعقلون) ذلك ؛ حين رأيتم وقوع غيركم فى الضلال (اصلوها) ادخلوها (اليوم نختم على أفواههم) نخرسهم فلا يتكلمون ؛ لأنهم لا ينطقون إلا كذباً ؛ أرايت قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أعينها فى الدنيا (فاستبقوا الصراط) ابتدروا طريق الشر والكفر (فأنى يصرون) فكيف يصرون ؛ بعد أن أعينناهم ؛ ولكننا لعدلنا ورحمتنا : هديناهم الطريق ، وأوضحنا لهم السبيل «فصموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا» قال تعالى «وأمأثمود فهدىناهم فاستجبوا العصى على الهدى» أو المراد «لطسنا على أعينهم» أعينها فى الآخرة ؛ كما أخرسنا ألسنتهم «قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً» (ولو نشاء لسخنناهم على مكائهم) أى لسخنناهم فى منازلهم ، وفى أمكنتهم ؛ حيث يجترحون المآثم ، ويرتكبون العظام ؛ فخلعناهم قرده ، أو خنازير ، أو أحجاراً ؛ كما مسخنا غيرهم (فما استطاعوا) بعد مسخهم (مضياً) فى سيئاتهم (ولا يرجعون) وما استطاعوا رجوعاً عن غيهم وكفرهم . أولم يستطعوا ذهاباً ولا بجيتاً (ومن نعمه) نفل عمره (فتكسه فى الخلق) أى تغير حاله :

٥٤١

سورة يث

جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ هَلْ يَكْفِيهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢﴾ أَصَلُّوْهُا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُّ أَزْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا نَعَمًا يُدْعَوْنَ إِلَى دِينِ اللَّهِ فَمَكَرُوا بِهَا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمَنَّا رَكْبَتُهَا فَفِيهَا مَلَكُوتٌ وَبَنَاتٌ يَرْجُونَ الْفَلَاحَ ﴿١١﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا

من قوة إلى ضعف ، ومن شباب إلى هرم ، ومن جمال إلى قبح (وما علمناه الشعر) أى ما علمناهم جداً الشعر ؛ حتى تهيمونه بأنه شاعر ، وأن ما جاء به من جنس الشعر (وما ينبغى له) ما يجوز له أن يكون شاعراً (إن هو) ما هو ؛ أى القرآن الذى أتى به محمد (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) واضح ، مظهر للأحكام ، ولكل ما يحتاجون إليه (لينذر) به (من كان حياً) ذا قلب ولب (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب الموعود (أولم يروا أنَّا خلقناهم مما عملت أيدينا) أى مما خلقناه من غير شرك ، ولا معين (أنعاماً) من الإبل ، والبقر ، والغنم (وذللناها لهم) سخرناها لهم (ولهم فيها منافع) من أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها (ومشارب) من ألبانها

يُسْكِرُونَ ﴿١٧﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ
مُعْضَرُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ
نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَلَيْسَ خَلْقُهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٢٢﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٢٤﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٦﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾

(واتخذوا) عبدوا (من دون الله) غيره
(لعلهم ينصرون) يمتنون من عذاب الله تعالى
بشفاعتها كرمهم (وهم لهم جند معضرون)
أى إن آلهتهم التى علقوا آمالهم عليها فى النصر؛
ستحضر معهم فى النار «إنكم وما تعبدون من
دون الله حسب جهنم» (نطفة) منى . (انظر
آية ٢١ من سورة الذاريات) (فإذا هو خصيم
مبين) شديد الخصومة لنا (وضرب لنا مثلاً)
بقوله «من يحيى العظام وهى رميم» (ونسى
خلقه) أى نسى خلقنا له أول مرة ، ولم يك
شيئاً (إنما أمره) تعالى (إذا أراد شيئاً
أن يقول له كن فيكون) هذا تقرب لأفهامها
والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان ؛ يغير
حاجة للفظ «كن» (فسبحان) تنزيه وتقديس
له تعالى . (انظر آية ١ من سورة الإسراء)
(الذى بيده ملكوت) ملك (كل شيء)
والقدرة عليه . والملكوت : الملك ، والعز ،
والسلطان (والله ترجعون) يوم القيامة ؛
فيحاسبكم على ما اجترحتم .

(سورة الصافات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفاء) الملائكة تصطف في العبادة ، أو تصف أجنتها . قال تعالى على لسانهم «وإنا لنحن الصافون» أو هم المؤمنون يصطفون للصلاة . وقيل : الطير ؛ لأن في صفها وقبضها ، وإسما كها في الهواء ؛ من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ما فيه ! (فالزاجرات زجراً) الملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله تعالى ، أو هم المؤمنون : الزاجرون الناس عن المعاصي ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ! (فالتاليات ذكراً) الذين يتلون القرآت ؛ من سائر المخلوقات . والتأنيث في الجمع هنا على اعتبار أنه جمع طائفة ، أو جماعة .

وقيل في هذه الآيات : إنها في المجاهدين ؛ يصفون للقتال في سبيل الله ، ويزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون الذكر طلباً للنصرة أقسم الله تعالى بملائكته ، وصفوة عبادته ، والمجاهدين في سبيله ، والآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المنطقين لعبادته ، العاكفين على تلاوة كتابه . وجواب القسم (إن للهكم لواحد) لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه (رب السموات والأرض) وما بينهما (وما بينهما) من مخلوقات ، وعجائب ؛ لا يعلمها ، ولا يحيط بها إلا خالقها (ورب المشرق) جمع مشرق ؛ وذلك لأن الشمس لها في كل يوم مشرق ومغرب ؛ بعدد أيام العام . أو هو مشرق كل نجم ، وكل كوكب . ومشرق الشيء : نوره وظلوعه (إنا زينا السماء الدنيا) وهي أول سماء تلي الأرض (بزينة) وأى زينة ! (الكواكب) جمع كوكب ؛ وهي

النجوم (وحفظاً من كل شيطان ملود) متمرد ، عنيد ، جبار (لا يسمعون) لا يسمعون . أي لا يستطيعون السمع (إلى الملا الأعلى) الملائكة في السماء (ويقذفون) أي الشياطين الذين يحاولون استراق السمع : تقذفهم الملائكة بالشهب (دحوراً) طرداً . والدحور : الطرد والإبعاد . قال تعالى على لسانهم «وإنا لسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد مقامعاً للسمع فنستمع الآن بجد له شهباً رصداً» (ولهم عذاب واصب) دائم ، موجه . وهو المرض الذي يصل إلى القلب (فأتبعه شهاب ثاقب) شعلة من نار تحرقه . والثاقب : النافذ ؛ الذي يتقب . والشهب : هي التي ترى في الأفق ، كأنها كواكب منقضة (فاستنفهم) أسألهم (أم أشد خلقاً) أعظم خلقه ، وأمتن بنية ، وأشق لإيجاداً =

سورة الصافات

٥٤٣

(٢٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْذِفُونَ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَنْفِهِمْ
أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ
لَازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا دُكِّرُوا

= (أم من خلقنا) من السموات والأرضين ، وما فيهما من كائنات ومخلوقات . والمراد : كل ما عدا
 بني آدم : من الملائكة ، والجن ، والسموات والأرضين ، والكواكب ، والبروج ، وغير ذلك مما لا يدركه
 الوصف ، ولا يحيط به الوهم (إنا خلقناهم من طين لازب) لازم ؛ أى يلصق باليد (بل عجبت) من تكذيبهم
 لك ؛ مع وضوح حجتك (ويسخرون) مما أرسلت به ؛ وهو الحق ! (ولذا ذكروا) وعظوا بالقرآن

الجزء الثالث والعشرون

٥٤٤

(لا يذكرون) لا يتعظون (ولذا رأوا آية) علامة
 يستسخرون) أى إذا رأوا آية لك ، وعلامة
 على صدقك ؛ كانشقاق القمر ، ونبع الماء ،
 وما أفاده الله تعالى عليك من بركات شهادتها
 الأرض والسماء ؛ إذا رأوا بعض ذلك : لم
 يكتفوا بالاستهزاء بك ؛ بل يحضون بعضهم
 بالسخرية عليك (وقالوا إن هذا) ما هذا
 الذى أبديته (إلا سحر مبين) ظاهر واضح
 (أو آياتنا الأولون) أى هل يبعث آياتنا
 الأولون أيضاً ؛ رغم قدمهم وبلاء أجسادهم ؟
 (قل نعم) تبغون أتم وأناكم الأولون (وأتم
 ذاخرون) ذليلون صاغرون (فانما هى زجرة
 واحدة) من أمر المولى جل وعلا بإحياء المخلوق ،
 أو من نفخة إسرافيل عليه السلام الثانية
 (فإذا هم ينظرون) أحياء ينظر بعضهم لبعض
 (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الجزاء
 (وأزواجهم) أى أشباههم ، أو قرنائهم
 من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دوت
 الله) أى وأصنامهم التى كانوا يعبدونها
 (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) دلوهم إلى طريق
 جهنم ، أو ادفعوهم إليه (وقومهم) أى أحباسهم
 (لأنهم مشولون) عما قدموا ؛ فعذبون عليه
 (مالكم لاتناصرون) أى مالكم لاتنصر
 بعضهم بعضاً الآن ؛ كما كنتم تناصرون
 فى الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) عاجزون

لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا
 إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوْ آيَاتُنَا وَكُنَّا رَبُّكُمْ وَمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦﴾
 أَوَلَمْ نَسْخَرْ لَهُمُ الْأَرْضَ وَالْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ ذَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَمَا نَعْمَىٰ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
 يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا
 يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * أَحْشَرُوا
 الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَوْهُمْ لِنَعْتِمِ
 مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ
 مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾
 قَالُوا لَئِنْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَئِنْ
 تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَتْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ لَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا

لَذَاهِقُونَ ﴿٣١﴾

أذلاء (قالوا) أى قال الأتباع للمتبعين (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى عن طريق القوة والقهر .
 والمعنى : إنكم كنتم تعملوننا على الضلال قسراً وجبراً (سلطان) تسلط وقوة

لَذَاقُونَ ۝ فَاتَّوَيْنَاكَ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ۝ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا نَارًا
تَبْحُورُ ۝ بَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ۝
إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ أُولَئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝ فَوَكَرَهُمْ مَكْرُومٌ ۝ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ۝ عَلَى مُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ۝ وَعِنْدَهُمْ قَنْصَرَتُ الْطَّرَفِ
عَيْنٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي

(إنا لذائقون) العذاب ، وهو معنى قوله تعالى «إنكم لذائقوا العذاب الأليم» (فأغويناكم) أضللناكم (إنا كنا غاوين) ضالين مضلين (ويقولون أننا لتاركوآ آلهتنا) التي نعبدُها وآباؤنا من قبلنا (لشاعر مجنون) يعنون

سيد الفضلاء والفقهاء : محمداً صلى الله تعالى

عليه وسلم ! وما هو بشاعر ولا مجنون ؛ بل

خاتم الأنبياء وخير أهل الأرض والسماء !

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

إلا كذبا !» (بل جاء بالحق) القرآن

(وصدق) من سبقه وتقدمه من (المُرسلين)

فلم يكذب بأحدهم ؛ بل صدق بجميعهم (يطاف

عليهم بكأس من معين) خمر يجري على وجه

الأرض ؛ كأنهار الماء التي ترى بالعين . ولا

تسمى الكأس كأساً ؛ إلا إذا كانت ملاءى ؛

وإلا فهي كوب (بيضاء) صفة للكأس ،

أو صفة للخمر . وقرأ عبد الله «صفراء»

ويؤيد أنها صفة للخمر قوله تعالى (لذة للشاربين)

أى ليست تخمر الدنيا ؛ كرهية الطعم ، فاسدة

الرائحة (لا فيها غول) أى لا تقتال العقول

تخمر الدنيا ؛ التي تجعل شاربيها يهرق

بما لا يعرف (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون ؛

فيخلطون . يقال : نزف الشارب : إذا ذهب

عقله . أو المعنى : ولا هم عنها يصرفون

ويعنعون (وعندهم قانسرات الطرف) اللاتي

يقصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يطمحن

بأعينهن إلى غيرهم (عين) جمع عينا ؛ وهى

النجلاء : حسناء العين واسعتها (كأنهن بيض

مكنون) شبهن بالبيض المكنون فى البياض

والصفاء ؛ وقد جرت عادة العرب فى تشبيه

النساء ؛ بقولهم : بيضات الحدور (فأقبل بعضهم) أى بعض أهل الجنة (على بعض يتساءلون) عما صر بهم

فى الدنيا ؛ وذلك على سبيل المسامرة وقت الشرب (قال قائل منهم إني كان لى قرين) صديق مقارن لى

فى الدنيا

(يقول) لي متجرباً (أنتك لمن المصدقين) أى كان ينكر على تصديق وإيماني بالبعث (أنا لمدينون) أى أننا لمحاسبون ومجزونون؟ (قال) هذا القائل لإخوانه الذين يتكلم معهم، وقد ذكر لهم أخبار قرينه في الدنيا؛ الذى كان ينكر البعث والجزاء؛ قال (هل أنتم مطمعون) أى هل أنتم ناظرون مى إلى النار؛ لتتظر حاله وما صار إليه الآن عقوبة على إنكاره وتكذيبه (فاطلع) فنظر إلى النار هو ومن معه من أهل الجنة (فراه) رأى قرينه (في سواء الجحيم) في وسط النار. (قال) مخاطباً قرينه في النار (تالله) قسم فيه معنى التعجب (إن كنت) قاربت (لتردين) لتهلكى معك يا غوثك لي (ولولا نعمة ربى) لطفه ورحمته: أن هداني للإيمان (لكنك من المخضرين) معك في النار (أنا نحن بميتين) إلا موتنا (الأولى) التى متناها في الدنيا (وما نحن بمعدين) بعد أن تماركتنا نعمة الله تعالى في الدنيا بالإيمان، وفي الآخرة بالنجاة من النيران! وهو استنهام تلذذ، وتحدث بنعمة الله تعالى وتقرير لتأييد الحياة النعمة، وانعدام التعذيب (إن هذا) النعم الحالد (هو الفوز العظيم) الذى لا يذابه فوز! (مثل هذا) النعم الدائم (فليعمل العاملون) في الدنيا (أذلك) النعم (خير نزلاً) النزل: ما يعد لإكرام الضيف (أم شجرة الزقوم) هى من أخشب الشجر المر؛ ويوجد منه بهامة. ينبها الله في الجحيم؛ لتسكون طامأ لأهلها (إنا جعلناها) أى جعلنا ذكر هذه الشجرة، وأنها «تخرج في أصل الجحيم» (فتنة للظالمين) اختباراً للكافرين؛ حيث قالوا: إن النار تحرق الشجر؛ فكيف تنبت؟ وفاتهم أن الله تعالى هو وحده

٥٤٦

الجزء الثالث والعشرون

قَرِينٌ ❶ يَقُولُ أَوْنَتَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ❷ أَوْ ذَا مِثْنًا ❸ وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَالِ لَيْدِيُونَ ❹ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْمَعُونَ ❺ فَاطْلَعَ قَرْنَاهُ فِي سَرَاوِ الْجَحِيمِ ❻ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَتَرْدِينَ ❼ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ ❽ أَفَأَنْتَ نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ❾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعْصِدِينَ ❿ إِنْ هَذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ⓫ لِيُمِثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ⓬ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوِمِ ⓭ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ⓮ إِنِّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ⓯ طَلَمَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ⓰ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ⓱ ثُمَّ إِنْ لَهُمْ عَلَيْهَا لَتَوَاتٍ مِنْ جِمْسٍ ⓲ ثُمَّ إِنْ مَرَجَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ ⓳ لَأَنْتُمْ أَفْقَرُءَ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ⓴ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ

يبرحون

الذى اختص مخلوقاته بما شاء من مزايا؛ وهو جل شأنه، وتمالك قدرته؛ يرفع مزايا الأشياء إن شاء. ألا ترى أنه جل شأنه منع من النار مزية الإحراق؛ وجعلها برداً وسلاماً على إبراهيم حين شاء! (طلمها) ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) كرؤس الحيات القبيحة المنظر (ثم إن لهم عليها لشوباً من جيم) لخلطاً من ماء حار؛ يشوى الوجوه، ويقطع الأمعاء (لأنهم ألقوا) وجدوا

(فهم على آثارهم يهرعون) يسرعون (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء أنذروهم عاقبة كفرهم ، ومآل أمرهم (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي عاقبة المرسل إليهم ؛ حين كذبوا رسلهم ؛ فأهلكناهم (إلا عباد الله المخلصين) الذين آمنوا به ، وصدقوا رساله ؛ فإنهم لم يحسبهم العذاب (وجعلنا ذرية هم الباقين) كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد : سام : وهو أبو العرب ، وفارس ، والروم . وحام : وهو أبو السودان . ويافث : وهو أبو الترك ، والحزر (١) ، وبأجوج ومأجوج (ولان من شيعة) ممن تابعه في الدين (لإبراهيم) الخليل : جد نبينا عليهم الصلاة والسلام (إذ جاء) لإبراهيم (ربه بقلب سليم) خالص من الشك والشك والفسك (أتفكأ آلهة) أي أعبدون إفكأ ؟ والإفك : أسوأ الكذب (فما ظنكم برب العالمين) إذا لقيتوه وقد عبدتم غيره ؟ أتظنون أنه تاركم بغير حساب وعقاب ؟ فانصرفوا عنه ؛ بعد أن دعوه إلى مصابيحهم (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر إلى السماء ؛ موها لهم أنه يستطلع أخبار النجوم - وقد كانوا ممن يعتقدون ذلك - والتفت إليهم (فقال إنى سقيم) أي عليل . وكانوا يخشون العدوى ؛ ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله (فتولوا عنه مدبرين) أي أسرعوا بالابتعاد عنه .

يهرعون ١٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ١١
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ١٢ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ ١٣ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ١٤ وَلَقَدْ
نَادَيْنَا نُوحًا فَلِئِمَّ الْمَجِيئُونَ ١٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ١٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ١٧
وَوَرَّضْنَاهُ عَلَيْهِ فِي الْأَحْرَى ١٨ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي
الْعَالِيَيْنِ ١٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٢٠ ثُمَّ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٢١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ٢٢
وَلَانَ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ٢٣ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ٢٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ٢٥
أَيْفُكَا إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَزِيدُونَ ٢٦ قَا ظَنُّكُمْ رَبِّي
الْعَالِيَيْنِ ٢٧ فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ٢٨ فَقَالَ إِنِّي
سَقِيمٌ ٢٩ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ٣٠ قَرَأَ لَكُمْ الْفَتْحَ ٣١

وعلم التنجيم : علم قديم شائع ذائع . وقد شغف به كثير من المتقدمين ، وأسسا له أسسا ، وبنوا له قواعد ؛ وربطوا بين كل إنسان وما يتفق مع ولادته من طوالم الكواكب واقترانها ، وقالوا بسعادة بعض الكواكب ، ونحوسة بعضها . كما قالوا - تبعاً لذلك - بسعادة بعض المواليد ، وشقاوة البعض الآخر . وما من شك أن هناك رابطة بين أجزاء الكائنات ، وبالتالي بين الكواكب ، وبين الكون الذي نحن فيه . كيف لا ؛ والأرض كوكب من بين هاتيك الكواكب ؛ أما تعلق الكواكب بسعادة بعض الناس ، وشقاوة

البعض الآخر ؛ فما لا يسلم به الفكر السليم ؛ فكثيراً ما نرى أناساً - لا حصر لهم - يموتون في الحروب ؛ في وقت واحد ، وآخرين يموتون في حرق أو غرق ، وآخرين تصدمهم الأوبئة ، وتبتاعهم الطواعين . فكيف اتفق لجميع هؤلاء الشقاوة والنحوسة ، مع اختلاف طبائعهم ، وتباين أوقات ميلادهم ؟ وكثيراً ما نرى أيضاً الرجل صنو الرجل : في مولده ، وفي معيشته ، وفي دراسته ؛ فيفترقان : هذا في فة السعادة ، وفرة المجد ؛ وذاك في حضيض البؤس ، ودرك الفقر (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها سرأ وخفية

(ضرباً باليمين) أى ضرباً بالقوة ؟ فكسرها (فأقبلوا إليه يزفون) يسرعون ؛ حيناً رأوا ما حل بأنهم (قال أتعبدون ما تحتون) بأيديكم (وإنه خلقكم وما تعملون) أى خلقكم ، وما تعملونه بأيديكم من الأصنام ؛ فكيف تبدونها ؟ (وقال إني ذاهب إلى ربّي) متجه إليه ، ومتوكل عليه ؛ فإنه (سيعيدني) إلى

الجزء الثالث والعشرون

٥٤٨

معرفة ، وإلى سبل الرشاد (رب هب لي من الصالحين) أى ولداً من الصالحين (فلما بلغ معه السعي) أى لما بلغ الولد أتم عيشي ، ويسمى مع أبيه في أشغاله وحواله ؛ وهو إسماعيل جد نبينا ؛ عليهما الصلاة والسلام ، وقيل : هو إسحق . وأيد كلا القولين أقوام ، ولكل فريق أدلة ساقها ، ومراجع ذكرها ؛ ولكن الفؤاد يرتاح إلى أنه إسماعيل لا إسحق ؛ يدل عليه قوله تعالى في الآية المقبلة «وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين» صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين (قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك) ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : وحى (فلما أسلما) اتفاقاً لأمره تعالى ، وإرادته جل شأنه : أسلم الأب ابنه ، والابن نفسه ! (وتله للحين) صرعه في الأرض على جبينه ، ووضع السكين على حلقه (ونادينه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) وفلت ما أوحينا به إليك ، وأمرناك به (إن هذا لهوالبلاء المبين) الاختبار البين (وفديناه بذبح عظيم) قيل : نزل له جبريل عليه السلام بكبش عظيم ؛ فذبحه مكان ابنه .

والقرآن الكريم لم يورد ما أورده من القصص ههنا ؛ وإنما أورده للذكرى والاعتبار والاستبصار ؛ وقد أراد الله تعالى بإيراد هذه

القصة : أن يعلمنا إلى أي مدى يطيع الابن أباه ؛ ايرضى مولاه ؛ فالواجب على من أحب الله ، وأحبه الله : أن يكون مع والديه كليت في يد المنسل : هل يستطيع أن يقول له أف لقد برد الماء ، أو أف لقد زادت حرارته ؟ (وتركنا عليه في الآخرين) في الأمم المتأخرة بعده

فَقَالَ أَلَا تَأْتَا كُونَ ۝ مَا لَكَ لَا تَنْطِقُونَ ۝ فَرَأَىٰ عِزِيمَ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَنْفِقُوا فِيهِ الْجَعِيمَ ۝ فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إني ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُني إِنْ أَرَأَيْتِ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَدَبْنَاهُ أَنْ يَكْلِمَ إِبْرَاهِيمَ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكَ تَجْزِي الْمُجْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝

سَلَّمَ

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾
 إِنَّمَا نَرْحَمُ الْعِبَادَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَفَرَّغْنَا بِاِحْتِقَاقٍ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّمَا يُنْقِصُهُ مِثْرُ ۖ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ ﴿١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾
 وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَافَرُوا هُمُ الْفَٰغِلِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَفِيمَ ﴿١٧﴾ وَزَكَّاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ
 مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾
 إِنَّمَا نَرْحَمُ الْعِبَادَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنَّا لَإِلَاسٌ لِّمَنِ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ أَتَدْعُونَ
 بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ
 ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿٢٦﴾

(سلام) منا (على إبراهيم) وهو - عليه
 الصلاة والسلام - يصلى عليه ويسلم كل مؤمن،
 في كل صلاة ؛ تحية مباركة من الله (وباركنا
 عليه) بتكثير ذريته من المؤمنين ، وجعل ملته
 خير الملل «قل بل ملة إبراهيم حنيفاً» (وعلى
 إسحق) أى وباركنا أيضاً على ولده إسحق ،
 بأن جعلنا من نسله أكثر الأنبياء (ومن
 ذريتهما حسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر :
 ظلم نفسه ؛ بتعريضها للجحيم ، والعذاب الأليم !
 (ولقد مَنَّنا على موسى وهرون) بالنبوة
 (ونجيناها وقومهما) من آمن بهما من بني
 إسرائيل (من الكرب العظيم) استعباد فرعون
 لهم ، وتقيله لأبنائهم (وآتيناها الكتاب
 المستبين) القوى البيان ؛ لما اختواه من أوامر
 ونواه ، وحدود وأحكام ، وغيرها . وهو
 التوراة (وإن لإياس لمن المرسلين) قيل : هو
 إدريس النبي عليه السلام ؛ وبعضه قراءة ابن
 مسعود (وإن إدريس) مكان «إلياس» وهذه
 القراءة شاذة لمخالفتها المصحف الامام .
 و(إلياس) النبي ؛ غير إلياس : جد نبينا عليه
 الصلاة والسلام . وصحة اسمه إلياس - بفتح
 الياء وسكون الهمز - لا «إلياس» كما رواه

الرواة خطأ ، ونقله عنهم الناقلون . وسمى بالياس : لأنه أول من ابتلى بالياس - بفتح الهمز - وهو السل
 (أندعون) أنددون (بعلا) اسم صنم لهم (فكذبوه فأنهم لمحضرون) في النار

(وتركنا عليه في الآخرين) في الأمم المتأخرة بعده (سلام على آل ياسين) أي على إلباس وقومه المؤمنين (إلا عجوزاً في الفابرين) أي الباقيين في العذاب ؛ وهي امرأته (ثم دمرنا الآخرين) أهلكتناهم (وانكم تمرون عليهم) أي على منازلهم ، وتشاهدون آثارهم ، وترون آثار ثقتنا وتمديننا (مصبحين) وقت الصبح (وبالليل) أي ترون ذلك في أسفاركم ليلاً ونهاراً (أفلا تعقلون) ذلك ؛ فتعقلون بما حل بهم ؟ (إذ أبقي) هرب من قومه ، ومن تعذيبهم وأدام له . وأبقي العبد : إذا هرب واستخفى (إلى الفلك المشحون) السفينة المملوءة (فسام) أي فزاحم ؛ ليأخذ له سهماً ونصيباً في ركوب الفلك (فكان من الدحسين) أي فزلق في البحر . وكثيراً ما يحصل هذا عند التزام على الركوب في السفن المشحونة ، وغيرها . يقال : دحضت رجله : زلقت . ودحضت الحجة : بطلت . أو «فسام» من المسامة . أي ففارع . قيل : لأنه لما ركب في السفينة ؛ وقت بهم في عرض البحر . فقال الملاحون : لا بد أن يكون بيننا عبد أبقي من سيده ؛ واقتروا فيها بينهم ، ففرجت القرعة عليه . فقال : أنا الآبق ، وألقي بنفسه في الماء . وسمى آبقاً : لأنه هرب من قومه قبل أن يأذن له ربه بالانصراف عنهم (فالتقمه الموت) ابتلمه (وهو مليم) أي واقع في الملامه ، ومستوجب للوم (فلولا أنه كان من المسبحين) في بطن الموت (للبث) لكث (في بطنه إلى يوم يبعثون) لم يفتل سانه عليه الصلاة والسلام - حين التقمه الموت - عن قول «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فأجاباه الله تعالى بسبهما ؛ وقد ورد

الجزء الثالث والعشرون ٥٥٠

لَا عِبَادَ لِلَّهِ إِلَّا الْمُخْلِصِينَ ﴿١٥٠﴾ وَزَكَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥١﴾
سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّا كَذَبُكَ تَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٣﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا
لَوْطَا لَمِنَ الْأَمْرُسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذْ تَجَنَّبَهُ وَآهَلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٦﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٥٨﴾
وَأَنكَرَ لْتَمَرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٥٩﴾ وَبِالْبَيْلِ أَفْلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِنْ يَوَسُّ لَمِنَ الْأَمْرُسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ أَبْنَى إِلَى
الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٦٢﴾ فَسَامَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٦٣﴾
فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٦٤﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٦٥﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٦٦﴾
* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطَنِ ﴿١٦٨﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٦٩﴾
فَعَامَنُوا فَتَعَنَّتْهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٧٠﴾ فَاسْتَفْتَيْنَاهُمُ الرِّبْكَ

النبات

أن من قرأها في مهلكة : أنجاه الله تعالى منها بمنه وفضله ! (فنبتناه) طرحناه ؛ كما ينبت آكل التمر النواة (بالعراء) جبل الله تعالى الموت يقذفه من جوفه ؛ في أرض عراء ؛ لا شجر فيها ولا نبات (وهو سقيم) مريض ؛ مما حل به في بطن الموت ، ومما اعتراه من خشية غضب الله تعالى عليه (وأنبتنا عليه شجرة من يقطن) وهو الدباء «القرع» ويطلق القطين على كل شجرة تنبسط على وجه الأرض ، ولا تقوم على ساق (فآمنوا فتعنام إلى حين) أي إلى حين انقضاء آجالهم

الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿٥٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ لَدُنْهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكُذِبُونَ ﴿٥٤﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿٥٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٥٦﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ أَمْ كُنتُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٥٨﴾ فَأَنَّا يَكْتُكِرُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٦٠﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٢﴾ فَلَا تَكْفُرُوا بِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقُنُوتِينَ ﴿٦٤﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿٦٥﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿٧٠﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧١﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾

(فاستفهم أريك البنات ولهم البنون) وذلك لقولهم : الملائكة بنات الله . أى كيف تنسبون له الولد ؟ وهو تعالى «لم يلد ولم يولد» ؟ ولم تكفوا بذلك ؟ بل نسبتم إليه البنات ، وهن أحسن الجنسين - فى نظركم - قال تعالى «ولإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» (من لافكمهم) كذبهم (أصطفى) أى هل اختار (مالكهم) أى ماذا دعاهم ، وماذا جرى لعقولكم ؟ (كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أم لكم) على ذلك الزعم (سلطان مبين) حجة ظاهرة على ما تدعونه (فأتوا بكتائبكم) الناطق بصحة دعواكم (إن كنتم صادقين) فى زعمكم (وجعلوا) أى المشركون (بينه) تعالى (وبين الجنة) أى الملائكة ؟ وسموا جناً : لاجتنانهم عن الأبصار ؟ أى اختفائهم . أو أريد بالجنة : الجن (نسباً) وذلك لأن قريشاً زعمت أن الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم من بنات الجن . وقيل : «وجعلوا بينه وبين الجنة» أى الشياطين «نسباً» أى مناسبة ؟ حيث أشركوهم به تعالى فى استحقاق العبادة . والقول الأول : أولى (ولقد علمت الجنة) أى الملائكة (أنهم) أى فاعل ذلك (محضرون) فى النار ؟ يمدحون فيها على ما قالوا ، وما فعلوا (سجادات الله) تنزهه ، وتقديسه ، وتعالى (عما يصفون) من نسبة الشريك والولد إليه (إلا عباد الله المحضين) الذين لم يشب لإيمانهم شك أو شرك ؟ فإيتهم ناجون (فإنكم وما تعبدون) من الأصنام (ما أنتم عليه) أى على الله (بفاتنين) أحداً . أى بمضلين ، أو غالين (إلا من هو صال الجحيم) فى علمه تعالى ؟ وقد تخلى عنه حفظه وكلاءه ، وبعدت منه نعمته ورحته ا (ومامننا

إلا له مقام معلوم) لا يتجاوزوه ، ولا يتعداه ؛ وهو قول الملائكة عليهم السلام ؟ تبرؤاً مما نسب إليهم المشركون (وإننا نحن الصافون) أقدامنا فى الصلاة ، وفى الطاعة (وإن كانوا ليقولون) أى كفار مكة (لو أن عندنا ذكراً من الأولين) أى لو أن عندنا كتاباً من جنس كتب المتقدمين ؟ فنزل إليهم خير كتب الله تعالى ، وأوفاهما ، وأهداها «القرآن» (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم .

(ولقد سبقنا كلنا) وعدنا وتقديرنا بالنصر
(فتول عنهم) أمض (حتى حين) أى إلى
أن تؤمر بقتالهم (وأبصرهم) ذكرهم
بتكذيبهم حين يزل العذاب بهم (فسوف
يصبون) عاقبة ذلك (فإذا نزل) العذاب
(بأساحتهم) بنأهم . والمراد : نزل بهم .
وتعير العرب عن القوم بالساحة (وتول عنهم)
أعرض (سبحان ربك) تعالى وتقدس (رب
العزة) رب العظمة والعلية (عما يصفون)
بأن له شريكا أو ولداً (وسلام) من الله تعالى
(على المرسلين) وأنت إمامهم (والحمد لله
رب العالمين) أن هداك ، وهدى بك !

(سورة ص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(والقرآن ذى الذكر) أى ذى البيان والعرف
(بل الذين كفروا في عزة) واستكبار عن
الإيمان به

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ لَأُنْصِرَنَّ
الْمُرْسَلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿٥﴾
أَفِعْبَادِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٨﴾
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾

(٣٨) سُورَةُ صَ حَقِّ مَكِّيَّةٌ

وَأَمَاتَهَا ٨٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقِسْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

(وشقاق) خلاف ، وأى خلاف ا بل أى شقاق أعظم وأفسد من إعداد الأمم الغربية للقتال الندية والهيدروجينية ؛ ليحارب بها بعضهم بعضاً ، وفي بعضهم بعضاً ؛ وزعمون أنهم أشياخ عيسى عليه السلام . وعيسى منهم براء ، وهم في الكفر سواء ؛ فلينظر هذا وليعتبر به من ألقى السم وهو شهيد (كم أهلكنا من قبلهم من قوت) أمة (فنادوا) بالتوبة والاستغفار ، والاستغاث ؛ عند نزول العذاب بهم (ولات حين مناص) أى ليس الوقت وقت نجاة ، ولا وقت خلاص . و «لات» : ليس . و «مناص» : ملجأ (واطلق اللا) الأشراف أو الجماعة (منهم)

٥٥٣

سورة من

حين سمعوا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد : اطلقوا يقولون (امشوا) من مجلس الرسول ؛ الذى يذكر فيه دينه ، ورثه ، وكتابه (واصبروا على آهتكم) اثبتوا على عبادتها ؛ ولا تعبوا بدعوته (إن هذا) الذى يقوله محمد ويذيعه (لعن) يراد بنا ومنا ؛ ويريد به عهد الزعامة والرئاسة علينا (مما صنعنا هذا في الملة الآخرة) يظنون ملة عيسى عليه السلام . وقد كذبوا في ذلك ؛ فلم تقم ملة عيسى إلا على التوحيد الذى قامت عليه ملة محمد ، ومثل سائر الأنبياء ؛ عليهم الصلاة والسلام . وإنما أرادوا به التثليث الذى قالت به النصارى ، وزعمت أنه دين عيسى (إن هذا لا اختلاق) كذب مختلق لا أصل له (أنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) من دوننا ؛ وهو الضعيف ونحن الأقوياء ، الفقير ونحن الأغنياء . ولا عصبة له ونحن أولوا العصبة وذووا الحمية . قال تعالى (بل هم في شك من ذكرى) من قرآنى ، وحقيقة نزوله على نبي (بل لما ينوقوا عذاب) لم ينوقوا عذاباً ولو ذاقوه لآمنوا وصدقوا (أم عندكم خزائن راحة ربك العزيز الوهاب) فيهبون النبوة لمن شاءوا ، وينزلون الذكر على من أرادوا (فليرتقوا في الأسباب) أى فليصعدوا إلى

وَشَقَاقٍ ١ كَرَأَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَكَادُوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ٢ وَيَجْعَلُونَ أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٣ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ
لَنَا رِجْدًا ٤ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْعِهْنِكُمْ ٦ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ٧ مَاسِعِنَا يَهْدِي فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَخْتِلَاقٌ ٨ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ٩ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
مِنْ ذِكْرِي ١٠ بَلْ لَمَّا يَبْذُوقُوا عَذَابِ ١١ أَمْ عِنْدَكُمْ تَزَاوٍ
رَحْمَةً رَبِّكَ الْغَزِيرَ الرَّوَّابِ ١٢ أَمْ هُمْ مُلْكُ الْأَسْمَانِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٣
جُنْدٌ مَا هُمْ إِلَّا مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٥ وَثَمُودُ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٦ إِنَّ كُلَّ

السموات ، ومنعوا الملائكة من النزول على محمد (جند ما هنالك) أى أن هؤلاء الكاذبين التكبرين : هم جند (مهزوم من الأحزاب) الذين تحزبوا على عدائك ، وتجمعوا لمحاربتك (وعاد) قوم هود (وفرعون ذو الأوتاد) سمى بنى الأوتاد : لأنه كان يوتد من يريده تعذيبه بأربعة أوتاد : في يديه ورجليه . أو هو كناية عن ثبوت ملكه ، وقوة سلطانه . أو كناية عن المبانى العظيمة الثابتة . أو صاحب الجنود . وتسمى الجنود أوتاداً : لأنها دعائم الملك والقوة والسطوة والسلطان (وتمود) قوم صالح (وأصحاب الأيكة) أى الفيضة ؛ ومى مجتمه الشجر . قيل : هم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الأحزاب) أى أولئك الأقوام الذين ذكرتهم لك : هم مثل الأحزاب الذين تحزبوا عليك ؛ وسأجزهم مثل ما جزيتهم ا

إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ حَتَّىٰ عِقَابٍ ﴿١١﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا
صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا مِنْ فَوْقٍ ﴿١٢﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا
فَعِنَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٣﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ
عِبَدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا نَحْنُ الْجَبَالُ
مَعَهُ يُسَيِّحُ بِالْعِصَىٰ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٥﴾ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةٌ
كُلُّ لَهْوٍ أَوَّابٌ ﴿١٦﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَمْنَاهُ الْحَكْمَةَ
وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿١٧﴾ * وَهَلْ أَنتَ إِلَّا نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١٨﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَانْحَكُم
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا هٰؤُلَاءِ إِلَىٰ سَوَاءٍ الصِّرَاطِ ﴿١٩﴾
إِنْ هٰذَا إِلَّا نَبَأُ كُفْلٍ لَّهِ سَمْعٌ وَنَسُوعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
سُؤَالُ نَعِيجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخُلَطَاءِ

لَيَبْقَىٰ

(وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) من
فخخة القيامة عند البعث (ماها من فوق) من
رجوع، أو من إمهال قدر فوق الناقة؛
وهو ما بين حلق الحالب (وقالوا ربنا عجل
لنا قطنًا) حطنا من النعم أو المذاب (داود
ذا الأيد) ذا القوة في الدين (إنه أواب) رجع
إلى الله تعالى (يسجن) مع تسبيحه ويردد
مع ترديده (بالعصى) وقت المشاء (والإشراق)
عند شروق الشمس (والطير محشورة)
بجموعة من كل ناحية. قيل: كان إذا سبغ:
رددت الجبال والطير تسبيحه (وأثامناه الحكمة)
النبوة، وكال العلم. وقيل: الزبور (وفصل
الخطاب) القضاء الفاصل بين الحق والباطل
(وهل أنت) يا محمد (نبأ الخصم) إذ تساوروا
المحراب) أي تسلقوا حائطه. و«المحراب»
المسجد، أو الغرفة (ولا تتطط) أي ولا
تجاوز الحد (واهدنا إلى سواء الصراط)
إلى الطريق السوي القويم (أكفلنيها) أي
ملكيتها؛ لأنها كفلني، ومن نصبي (وعزني)
غلبني (وإن كثيرًا من الخلقاء) الشركاء الذين
أخطأ ما لهم

(ليبي) ليجور (بعضهم على بعض) في المعاملات . هذا وقد ذهب أكثر المفسرين - في قصة داود عليه السلام - إلى أقاصيص من وضع اليهود والزنادقة : وزعموا أنه عليه السلام رأى زوجة أوريا عريانة - وهو أحد قواده - فتعلق بها ، وأراد أن يتزوجها : فأرسل زوجها إلى القتال - على رأس جيش ليقتل فيتزوجها - فانتصر أوريا ، وعاد سالماً . فأرسله نائباً

ومثالاً ؛ إلى أن قتل ؛ فتزوج داود عليه السلام زوجته التي رآها عريانة وأحبها من قبل ؛ فأرسل الله تعالى ملكين على صورة خصمين ؛ فاحكما إليه في خصومة وهمية ؛ كما وردت في سياق القرآن الكريم . وهذه القصة فضلاً عن أنها تكفر واضعها ؛ فإنها أيضاً تكفر معتقدها ومصدقها : إذ أنه لا يصح نسبة ذلك لعامة المسلمين ، وجهالة الفساق ؛ فبالك يجوز أن الأنبياء لا يجوز بحال صرف هذه القصة عن ظاهرها ؛ فليتدبر ذلك من له عقل سليم ، ودين قويم ؛ وإنما أوردت هذه القصة وأمثالها للتحذير منها ، والتنبية على بطلانها .

وقد قال على رضى الله تعالى عنه : « من حديثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه الفصاح : جلده مائة وستين » وهو حد القرية على الأنبياء عليهم السلام (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم لا ييغون (وقليل مأم) قال الفضل بن عياض رضى الله تعالى عنه : الزم طرق الهدى ؛ ولا يضرك قلة السالكين ، ولما يك وطرق الضلالة ؛ ولا تضر بكثرة الهالكين (وظن داود أنما قتله) اختبرناه بتلك الزلة . وزلته : أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ؛ بقوله «لقد ظلمك بسؤال نجحتك إلى نجا» وهي زلة عظيمة بالنسبة

لصوم القضاء ؛ فبالك بني الله داود عليه السلام ؛ وقد قضت القوانين الوضعية برد القاضي إذا أبدى رأيه أثناء سير الدعوى (ولانتج الهوى) أى هوى النفس (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أى لو بطل الجزاء ؛ كما يقول الكفار بإنكارهم البعث والحساب ؛ لاستوت أحوال من أصلح وأفسد ، ومن اتقى وخشى (أولوا الأبواب) ذوو العقول (أواب) كثير الرجوع إلى الله تعالى

لَيَبْقَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٦﴾ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَهُمُ عِندَنَا لَزَكِيُّ وَحُسْنِ مَآبٍ ﴿١٧﴾ يَبْدَأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَسْبَابُ ﴿١٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿١٩﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٠﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مِيزَانَكَ لِيَذَّبَ بَرَاءً وَيَذْكُرَ أَتْلُوهَا أَلَيْسَ ﴿٢١﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ

(الصفات الجياد) الخيل السراع (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) أي آثرت حب الخيل حتى فاتتني صلاة العصر ، وتوارت الشمس بالحجاب (تطلق مسحاً بالسوق والأعناق) أي فجعل يمسح يده على سوق الخيل وأعناقها . وهي عادة مشاهدة عند المعجبين بالخيول ، المقتنين لها . أما ما ذهب إليه أكثر الفسرين : من أنه عليه السلام طلق يقطع أعناقها وسوقها بالسيف ؛ لأنها ألهمته عن الصلاة . فهو قول واضح البطلان ؛ وإلا فأى ذنب جنته هذه العجاوات تستحق عليه التقتيل والتمثيل ؟ فضلاً عما في ذلك من

تلف الأموال ، ونسبة الأنبياء إلى فعل السفهاء والجهال . وكان في مقدوره أن يخرجها من ملكه إلى الجهاد ؛ وبذلك يتم له التخلص منها ؛ مع قبح هو من أجل القرب إلى الله تعالى . ولم يقل أحد : إن السح بمعنى القطع . ولا لكان قوله تعالى «واسمعوا برؤوسكم» أي اقلعوا . وإنما يعيدل عن الظاهر : إذا اقتضت القرينة والسياق ذلك : كأن يقول : فطلق مسحاً بالسيف بالسوق والأعناق (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسداً) أي رزقناه ولداً ميتاً ؛ وحيء به على كرسيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة – أو تسع وتسعين – كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقي رجل . والذي نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله : لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمون» ولمسل سليمان لم يقلها : لأنه لم يتذكرها ، ولم يسمعها من صاحبه الذي وجهه إلى قولها ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام : آفة التوكلين النبين ؛ (وأناب) رجع إلى الله تعالى ، وتاب عن الانشغال عن الصلاة بما عداها ، وعن عدم تقدير مشيئة الله تعالى

الجزء الثالث والعشرون

٥٥٦

إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِذْ مَرَّ عَلَىٰ بَلْعَيْنَا الْمَصِيفَتِ ۝ الْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطَلَقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَتَّى أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝ وَكَاتِبِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مِغَافٍ ۝ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَعَيْنَا لَهُ رُحْمًا وَسِيقًا لِلْأُفْئَادِ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَتَىٰكُمْ إِلَهُكُمْ فَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ۝ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ۝

في أموره كلها (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) أي تجري طيبة لينة حيث أراد (والشياطين كل بناء وغواص) أي وسخرنا الشياطين له : بينوت ما يريد ، ويقوصون في البحر بأمره ؛ لاستخراج الثؤلؤ (وآخرين) من الشياطين (مقرنين في الأصفاد) مقبدين في السلاسل والأغلال ؛ إذا أنوا ذنباً ، أو عصوا له أمراً (هذا) الملك الواسع ، والعلم الكبير ، والتسخير العظيم (عطائنا) التي أعطيناك ؛ استجابة لدعوتك : «رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» (فامنن) على من شئت ؛ عما أعطيناك من الملك التي لا حدود له (أو أمسك) لا تعط أحداً (بغير حساب) أي لا تبالك : لم تنت ؟ ولم أمسكت ؟ أو المراد : «فامنن» على من شئت من الشياطين ؛ بالاطلاق (أو أمسك» دع من شئت =

منهم في قيده وعبوديته . هذا وقد تخطيط كثير من المفسرين في تأويل هذه الآية ؛ تخطيطاً شديداً ، وقال فيه قولاً لا يتفق وجمال القرآن . فقال قائلهم : إن معنى قوله تعالى « هذا عطاؤنا » إشارة إلى ما أعطاه الله من القوة على الجوع ، وأن « فامن » مشتقة من المني . وهو قول بالغ غايه البذاءة ! والأعجب من ذلك أن ينسبوه لابن عباس - حبر الأمة ، وترجمان القرآن - وعلم الله تعالى أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يرى من هذا القول وأشباهه ! (وإن له عندنا زلنًى) قريب (وحسن مآب) حسن مرجع (واذكر

عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) بنصب ومشقة ؛ وذلك أنه كان يوسوس إليه ، ويعظم في عييه ما نزل به من الابتلاء بفقد صحته وفقد ماله وأهله ، وبغيره على الجزع ، وعدم الصبر ! فالتجأ إلى ربه تعالى ليكشف عنه البلاء الذى تسبب في تدخل الشيطان بينه وبين ربه ! (وعذاب) قيل : النسب ، والضرب : في الجسد . والعذاب : في الأهل والمال . ونسبة التعب ، والضرب ، والعذاب ؛ إلى الشيطان : تأدب في حقه تعالى كقول إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت » ولم يقل : وإذا أمرضني . وقيل : تسبب الشيطان في تعب وتعذيبه : يوسوسته له بأن يسأل ربه البلاء ؛ ليمتنع نفسه ، ويجرب صبره ؛ كما قال العارف بالله : الإمام عمر بن الفارض :

وبما شئت في هواك اختبرني

فاختباري ما كان فيه رضا كما !

هذا وسؤال البلاء ؛ دون العافية : ذنب يجب الافلاخ عنه ، والاستغفار منه ! فلما فطن أيوب إلى ذلك : لجأ إلى ربه ؛ ليكشف مابه ، أو يوفقه للصبر الجميل (انظر آيتي ٨٣ و ٨٤ من سورة الأنبياء) (اركض برجلك هذا مقتل بارد وشراب) أى لقد أجبت

دعوتك ؛ فاضرب برجلك الأرض . فضر بها فنبعت عين ماء . فقيل له : « هذا مقتل بارد وشراب » (لأولى الألباب) لنوى العقول (وخذ بيدك ضغثاً) حزمة صغيرة من حشيش . والضغث : ملء الكف من قضبان ، أو حشيش ، أو شاربخ (فاضرب به ولا تحنت) كان أيوب عليه السلام قد آلى في مرضه أن يضرب امرأته مائة ؛ لما رأى من شدة جزعها وحزنها ، أو لأنها باعت ذوابيتها برغيفين ؛ فأنزل الله تعالى هذه الفتوى . هذا وإن التحايل في الأيمان لا يجوز ؛ وإنما جاز في هذه الحالة ؛ لأنه حلف محققاً ، وهي فعلت ما فعلت عمدة . وذلك لأن الشقاء والمرض : ألجأها إلى الفزع والجزع . وألجأها الجوع إلى بيع الشعر ! وقد دفعه إلى الحلف : مزيج ثقته بربه ، وعلمه بأن الجزع منقصة للإيمان ، وأن بيع الشعر - وهو جزء =

رَحْمَةً مِنَّا وَذُكِّرُوا لِلْأَلْبَابِ ١٥ وَخَذْ بِيْكَ
ضَغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ١٦ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ
الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ١٨ إِنَّا اخْلَصْنَاهُمْ
بِمَخَالِصَةٍ ذُكِّرُوا الْبَارِئِينَ ١٩ وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ ٢٠ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِرِينَ ٢١ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَقَابٍ ٢٢ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْفُتْحَةٍ لِّمَسِّ الْأَيْبُوبَ ٢٣
مُسْكِينٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ ٢٤
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ٢٥ هَذَا
مَا تَوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٦ إِن هَذَا إِلَّا رُفْقًا مَّا لَهُ مِنْ
نَعْدَائِ ٢٧ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّائِفِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ٢٨ جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ إِلَيْهَا ٢٩ هَذَا قَلِيلٌ وَقُوَّةٌ حَسْبُ

= من الجسم ، وحلية تجعل بها المرأة - منقصة للتوكل ! (ثم المبدأ أنه أواب) أى رجاء إلى الله تعالى (أول الأيدي والأبصار) ذوى القوة في نصرة الدين والتبصر ! (إنا أخلصناهم) أى جئناهم خالصين لنا (بخالصة) م (ذكرى الدار) الآخرة . أى تذكرها والعمل لها (هذا ذكر) لهم ؛ بالثناء الجميل عليهم في الدنيا (لحسن مأب) حسن مرجع في الآخرة (جنات عدن) جنات الإقامة . عدن بالمكان : أمام فيه (يدعون فيها) أى يطلبون في الجنات ؛ فيجابون إلى طلبهم (وعندهم فاصرات الطرف) أى يقصرت أبصارهم على أزواجهن (أتراب) جمع ترب .

الجزء الثالث والعشرون

٥٥٨

أى في سن واحدة ؛ لا تعدو سن الجمال والشباب (ماله من فساد) أى ليس له انقطاع (ميم وغساق) الحميم : الماء البالغ نهاية الحرارة والفساق : ما يسيل من صديد أهل النار (وآخر من شكله أزواج) أى وعذاب آخر في الشدة مثل العذاب الأول ؛ وهو أصناف (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) في النار ؛ وذلك أن قادة الكفار ورؤساءهم إذا دخلوا النار ، ثم دخلوا بعدهم الأنبياء : قال خزنة جهنم لقادة الرؤساء «هنا فوج مقتحم معكم» فتقول السادة (لا مرحباً بهم) فتقول الملائكة (لهم سالوا النار) داخلوها معكم (قالوا) أى قال الأنبياء للرؤساء (بل أنتم) يامن أضللتونا وأغويتبونا (لا مرحباً بكم) لأنكم (أنتم قسّمتموه لنا) أى قسّمتم لنا في الدنيا أسباب العذاب التى نصطليه الآن ؛ و(قالوا) ربنا من قدم لنا هذا العذاب ، وسوغ أسبابه في الدنيا ، وجبه إلينا (فردده عذاباً ضِعْفاً في النار) أى عذاباً مضاعفاً فيها (وقالوا) جميعاً لبعضهم متسائلين (مالنا لا نرى) معنا في النار (رجالاً كنا نعدّم من الأشرار) يعنون الفقراء أصحاب عهد عليه الصلاة والسلام ؛ كمار ، وصهيب ، وبلال ، وأمثالهم (اتخذناهم سخرى) أى كنا نسخر منهم في الدنيا (أم زاعغت

وَعَسَىٰ ۖ وَتَحَرَّرْنَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّوْهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ ۖ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهِ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۖ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعْلَمُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۖ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ۖ قُلْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۖ قُلْ هُوَ تَبَوَّأَ عَظِيمٌ ۖ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۖ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۖ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ

من

عنهم الأبصار) أى مالت عنهم ؛ فلم نرم في النار معنا . قال الحسن رضى الله تعالى عنه : كل ذلك قد فعلوا : اتخذوهم سخرى ، وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا محقرة لهم . وقيل : «أم» بمعنى بل (إن ذلك) المذكور (لحق) واقع (تخاف أهل النار) في النار (قل هو نبأ عظيم) أى ما أتذكرك به ؛ من الحساب ، والثواب والعقاب : خبر عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ فلا تستهينوا به ، ولا تهزأوا منه (ما كان لى من علم بالملائكة الأعلى) بالملائكة (إذ يختصمون) في أمر آدم : وهو قولهم «أحمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وقول إبليس «أنا خير منه» والإخبار بجميع ذلك لا يكون إلا بتأييد إلهى ، ووحى غيبى (إن يوحى إلى) ما يوحى إلى

مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
 كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ
 الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ يَبْنَؤُا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
 خَلَقْتُ بِإِدْنِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٨٠﴾
 قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٨١﴾
 قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى
 يَوْمِ الدِّينِ ﴿٨٣﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَجْعَلُونَ
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٤﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ
 الْمَعْلُومِ ﴿٨٥﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٦﴾ إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾
 لَا مَلَأْتُ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ
 مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ
 هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالِينَ ﴿٩١﴾ وَلَنُعَلِّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

(استكبرت) الآن عن أمري (أم كنت من
 العالين) المتكبرين أصلاً. وقيل: «العالين» هم
 ملائكة السماء - ولم يؤمروا بالسجود لآدم -
 وإنما أمر بالسجود ملائكة الأرض فحسب (قال
 فأخرج منها) أي من الجنة (فإنك رجيم)
 مطرود (إلى يوم الدين) يوم الجزاء؛ وهو
 يوم القيامة (قال رب فأنظرنني) فأمهلى (قال
 فبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) أقسم اللعين بعزة الله
 ليفي بوعدي بآدم أجمعين (قال) الله تعالى (فالحق)
 مني، أو فأنا الحق (والحق أقول) أي ولا أقول
 إلا الحق؛ وإذا قلت فلا راد لقولي، ولا مانع
 لإرادتي. أو «فالحق» ما تقول يا إبليس: من
 أن عبادي المخلصين: لا لفترة لك على إغوائهم
 ولا سلطان لك عليهم «والحق أقول» من
 إدخالك جهنم أنت ومن تبعك (لأملأن جهنم
 منك) أي من جنسك أيها الشيطان (وممن
 تبعك منهم) أي من الناس الذين أقسمت على
 إغوائهم فاتبعوك (قل) يا محمد لأهل مكة
 (ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي على التبليغ، أو على
 القرآن (وما أنا من المتكلمين) أي المتضمنين،
 المدعين، المرادين. والتكلف أيضاً: التعسف
 والتشكك (ولنعلمن نبأه) أي صدق ما جاء به

القرآن (بعد حين) أي حين تقوم الساعة، ويساق المؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، أو حين موتكم

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ

١٧ آيَاتٍ وَهُوَ مَكِّيَّةٌ
وَأَمَّا هَذِهِ ٧٥ نَزَلَتْ بِمَدَنٍ سَبْعِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ
وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَخَرَّتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ

(سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فاعبد الله مخلصاً له الدين) أى مخلصاً في
عبادته ، صادقاً في محبة (انظر آية ١٧ من سورة
البقرة) (ألا لله الدين الخالص) الذى لا تشوبه
شائبة ، ولا يقصد به غير وجهه تعالى ! وقد
ورد في الحديث الشريف أن رجلاً قال :
يا رسول الله إني أتصدق بالتمس ، وأصنع
التمس أريد به وجه الله وتناء الناس . فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم «والذى نفس محمد بيده
لا يقبل الله شيئاً شورك فيه» ثم تلا صلى الله
تعالى عليه وسلم «ألا لله الدين الخالص»
(زلفى) قربى (لاصطفى) لاختار (سبحانه)
تنزهه وتقدس عن صفات المخلوقين (يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل) التكويرة:
الف ، والى . والمعنى : أنه تعالى يدخل
أحدهما في الآخر ؛ بنقصان الليل وزيادة النهار ،
ونقصان النهار وزيادة الليل . ونظيره : قوله
تعالى «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل»
أو هو تشبيه لجريانهما ، وأن كلاماً يكرر على الآخر : فيجبهه (كل) من الشمس والقمر

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ ۝ خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ مَحْسَبَةً أَنْزَلَكُمْ فِيهَا أَنْزَلَ فِي بَطْنِ أُمَمِكُمْ خَلَقًا
مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَىٰ تَصْرَفُونَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا
دُعَاؤَ مُنِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ رَبِّهِ مَا كَانَ يَدْعُو
إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
فَلْيَمْتَنِعْ يَكْفُرْكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝
أَمِنْ هُوَ قُنِيتُ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَامًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

(يجري) في فلكه ، ويقوم بما سخره فيه
ربه ١ (لأجل مسمى) هو انتهاء الدنيا ؛ حين
تتفطر السماء ، وتنتثر الكواكب ، وتبدل
الأرض غير الأرض (خلقكم من نفس واحدة)
خلقها تعالى بيده . ومن آدم عليه السلام (ثم
جعل منها) أى من جنسها (زوجها) حواء
(وأَنْزَلَ لَكُمْ) أى خلق لكم (من الأنعام
ثمانية أزواج) ذكرًا وأنثى : من الإبل ،
والبقرة ، والغنم ، والماعز (يخلقكم في بطون
أُمَمَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ) أى نطفة ، ثم علقه ،
ثم مضغه ، ثم إلى تمام التكوين (في ظلمات
ثلاث) ظلمة الصلب ، وظلمة الرحم ، وظلمة
البطن (فأنى تصرفون) فكيف تصرفون عن
عبادته تعالى ؛ إلى عبادة غيره ؛ بعد ظهور هذه
الدلائل ، وببوت هذه الحقائق ؟ ١٩ (ولا يرضى
لعباده الكفر) وكيف يرضى تعالى بالكفر ،
وقد نهى عنه ، وأوعد عليه . وأمر بالإيمان ،
وحث عليه ، ورغب فيه ، ووعد بمجزائه ؟
(وإن تكفروا) تؤمنوا (يرضه لكم)
ويحبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى)
أى لا تحمل نفس آثمة لأم نفس أخرى .
والعنى : أنه لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر

(فينبئكم بما كنتم تعملون) فيحاسبكم عليه ، ومجزئكم به (إنه يعلم بذات الصدور) بما في القلوب (وإذا
مس الإنسان ضرر) مرض وقر (دعاه منيًّا إليه) راجعًا إليه (ثم إذا خوله نعمة) أعطاه إياها ؛ كرمًا
وتفضلاً . والمراد بالنعمة : الصحة والغنى (وجعل لله أندادًا) أمثالا ونظراء يعبدونهم (أمن هو فانت) مطيع
عابد (أناء الليل) ساعاته (يحذر) يخاف (الآخرة) وما فيها من أهوال وجعيم ، وعذاب أليم

(ورجو رحمة ربه) نعمته وجنته (قل هل يستوى الذين يعملون) فيؤمنون ، ورجون رحمة ربه ، ونحشون عذابه (والذين لا يعملون) فيكفرون ، ويعملون لله أناداً ! (إنما يذكروا أولوا الألباب) ذوو العقول

الجزء الثالث والعشرون

٥٦٢

(الذين أحسنوا في هذه الدنيا) بالإيمان والطاعة (حسنة) الجنة ؛ جزاء لإحسانهم (وأرضاء واسعة) فهاجروا إليها ، وسيروا فيها ؛ إذا خشيتم على دينكم ، أو أوذيت في أوطانكم (إنما يوفى الصابرون) على الطاعات ، وعن المعاصي (أجرهم) جزاءهم (بغير حساب) أى أجراً كبيراً ، وجزاء عظيماً ؛ لا يوزن بأعمالهم ؛ بل هو عطاء ربك الملك الوهاب (قل) لهم يا محمد (إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) أى صادقاً في العبادة ، موفياً حقها ؛ من الإخلاص والمواظبة . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (قل إن الحاسرين) هم (الذين خسروا أنفسهم) جريضها للعقاب ، وحرمانها من الثواب (و) خسروا (أهلهم) المراد بأهلهم : أزواجهم المدة لهم في الجنة ؛ من الحور العين . أو خسروا محبة أهلهم ؛ لأنهم كفروا فذهبوا إلى النار ، وآمن أهلهم فذهبوا إلى الجنة . كفروا في النار بكفره ، وأسبى زوجه في الجنة بإيمانها (لهم) أى للكفار والذين خسروا أنفسهم وأهلهم ، لهم (من فوقهم ظلل) طبقات (من النار ومن تحتهم ظلل) مثلها (ذلك) المذكور من شأن أهل النار من الكفار (بخوف الله به عباده) ليؤمنوا به وشقوه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان ، أو الشيطان ، أو هو كل رأس في الضلال (وأنابوا إلى الله) آمنوا به ، ورجعوا إليه (لهم للبشرى) بالجنة ونعيمها !

وَرَجُوا رَحْمَةً رَّبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَذْكُرُ الْوَلُؤَا الْأَلْبَابِ قُلْ يَبْعِدُ الَّذِينَ آمَنُوا أَلْتَفَوَارِكُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي قَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ حَسْبُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْمُبِينُ لَمْ يَنْفَوْهُمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّبِعُونَ قَاتِلُونَ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى قَبِيْرٌ

عِبَادِ

(وأنابوا إلى الله) آمنوا به ، ورجعوا إليه (لهم

(وأولئك هم أولوا الألباب) ذوقوا العقول (أفمن حق عليه) وجبت عليه (كلمة العذاب) وهي قوله تعالى «ولأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (أفأنت تنفذ من في النار) بدعوتك ؛ وقد أمرضوا عنها ، ولم يؤمنوا بها ، واستوجبوا كلمة العذاب ! (لكن الذين اتقوا ربهم) فآمنوا به ، واتبعوا رسوله (لهم غرف) في الجنة (ثم يهيج) يهيج ذلك الزرع (فذهاب

مصفرأ) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاماً) متكسراً (إن في ذلك) الإنزال للناس ، وسلوكه يبايع في الأرض ، وإخراج الزرع المختلف الألوان ، ثم اصفراره وتكسره . إن في ذلك «جميعه (لذكرى) تذكيراً بقدرة الله تعالى ، ووحدانيته ؛ وأن القادر على فعل ذلك : قادر على أن يحيي الموتى (لأول الألباب) لدوى العقول (أفمن شرح الله صدره) بسطه (للاسلام) فأنبه ، وأقام حدوده (فهو على نور) هداية (من ربه) أى أهذا المتبع للاسلام ، المهتدى بهداية الله تعالى «كن هو أعمى» (فويل) شدة عذاب (للقاسية قلوبهم) الذين لا يفقهون ، ولا يرون النور ؛ فويل لهم (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله تعالى ؛ فإذا ذكر أمامهم : ازداد كفرهم ، وقست قلوبهم ! أو المراد بذكر الله : القرآن الكريم . أى فويل للقاسية قلوبهم مما قضاه عليهم القرآن الكريم ؛ من عذاب أليم مقيم ! (كتاباً متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً : في البيان ، والحكمة ، والإيجاز (مثنى) جمع مثنى ؛ أى مرادداً ومكرراً : لا يمل من ترديده وتكراره ؛ بل كلما تكرر : ازداد حلاوة وبهاء ! وكل هذا واضح محسوس ؛ لكل من تدبقة وعرفه ! أو تثنى فيه المواعظ والأحكام ؛ لترسخ في

ذهن القارئ . والسامع (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) أى كلما سمعوا آيات الوعيد والعذاب : اقشعرت جلودهم . واقشعر الجلد لا يكون إلا عند شدة الخوف ، ومزيد الرعب (ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) عند ذكر آيات رحمته ومنته ، ومغفرته وأمنته !

عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنت تُنْقِذُ مَن فِي النَّارِ ۝ لَنُكَيِّدَنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقَ غُرَفٍ مَّتَّيْنَةٍ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ وَعَدَ اللَّهُ لَاجِلِيفِ اللَّهِ ۚ أَلَيْعَادُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُمُ بَنَسِيعَ فِي الْأَرْضِ ۚ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا ۚ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَفَمَن تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانًى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْبِسُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ

ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ بَهْدِي يَوْمَ مَن بَشَلَهُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٣﴾ أَفَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْتَبِهُوا الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَذَانُهُمُ اللَّهُ الْخَزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَجَبًا يَرْجِعُ عِوَجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّا نَكْفِيهِم يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكَ تَحْتَصِمُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَنظِرُوا لِي مَا لِي لَأَن أَقُولُ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ

(أفنى يتقى بوجهه) أى يتلقى به (سوء العذاب) أشده وأقبحه وأشنعه (وقيل للظالمين) الكافرين (ذوقوا) عقوبة (ما كنتم تكسبون) تعملون فى الدنيا (فأذالهم الله الخزي) القتل ، والأسر ، والدل ، والموان (وللعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا وأشد (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) قريبا لعقولهم ، وتيسيرا لأنفاسهم (قرآنا عربيا) بلنتهم التى يفهمونها ويتقنونها (غير ذى عوج) أى مستقيما ، بريئا من التناقض ؛ لا ليس فيه ولا إيهام (ضرب الله مثلا) للكافرين الذى يبعد آلهة متعددة كالأنعام ، أو من يبعد المال ؛ ويتقيد بجمعه وحفظه ، أو من يبعد هواه (رجلا فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون وهو كناية عن تحيره فى أهوائه ، وتنازع قلبه بين مطالبه التى يزينها له شيطانه (ورجلا سلفا) أى سالما ، خالفا من الشراكة . وهو مثل للمؤمن الذى يبعد إلهما واحدا ؛ لا يطيع غيره ، ولا يتقاد لسواهما فلا المال يطيعه ، ولا الهوى يقوده ! (إنك) يا محمد (ميت) رغم رفعة قدرك ، وعلو منزلتك ! (ولأنهم ميتون) رغم انحطاطهم وتفاهمهم ؛ فلا شاة فى الموت :

فسيموت الأعلى والأدنى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) بأن تحتاج عليهم بقبليتك الرسالة ، ويختفرون عن عدم قبولها بما لا طائل وراءه (فن أظلم) أى لا أحد أظلم (من كذب على الله) بأن نسب إليه تعالى الشرك والولد (وكذب بالصدق) القرآن

جَاءَهُمُ الْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِي
جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَ بِهِمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُمْ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٦١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٢﴾ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَى عَمَلٍ فَرَّوَتْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾

(أليس في جهنم مثوى للكافرين) مأوى لهم
(والذي جاء بالصدق) النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم : جاء بالقرآن الكريم (و) الذي (صدق
به) وهم المؤمنون . صدقوا به ، وبما أنزل عليه
من الصدق ! (ليكفر الله) يحو (عنهم أسوأ
الذي عملوا) من كفرهم قبل إيمانهم ، وعصيانهم
قبل توبتهم ! (أليس الله بكاف عبده) حفظاً ،
ورزقاً ، وعوناً ، وكلاءة ! (ويخوفونك
بالذين من دونه) بالأصنام ؛ وقد كانت قريش
تقول للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه :
لأنا نخاف عليك أن تحملك ألهتنا ، وعلم الله
تعالى أنهم هم وألهتهم المحبسون ! (أليس الله
بعزيز) قوى ، غالب لا يفلج (ذو انتقام) بمن
يكفر به ، أو يعصيه (قل أفرأيتم ما تدعون)
تعبدون (من دون الله) غيره (إن أرادني الله
بضر) مرض ، أو فقر ، أو أذى (هل هن
كاشفات ضره) يعنى : هل تستطيع هذه
الأصنام أن تكشف الضر الذي أراه الله تعالى
(أو أرادني برحمة) نعمة ، وعافية ، وغنى
(قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) الذين
هداهم سبحانه للتوكل عليه ، والإجابة إليه !
(انظر آية ٨١ من سورة النساء) (قل يا قوم

اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التي أنتم عليها ، والعداوة التي تمكنكم فيها

(فن اهتدى لنفسه) أى فتوابع هدايته عائد على نفسه (الله يتوفى الأتقى حين موته) أى يقبضها عند انتهاء آجالها (والتي لم تمت فى منامها) أى ويتوفى الأتقى التي لم تمت فى منامها . ومنه قوله تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : إن الله تعالى يمك أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا (فيسك) تعالى

٥٦٦

الجزء الرابع والعشرون

روح النفس (التي قضى عليها الموت) فلا تقوم من منامها (ويرسل) النفس (الأخرى) التي لم يقض عليها بالموت فى منامها (إلى أجل مسمى) هو انتهاء عمرها ؛ المكتوب لها فى عالم الأزل . والنوم : هو الموت الأصغر ؛ كما أن الموت : هو النوم الأكبر . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «كما تنامون فكذلك تموتون ، وكما توقظون فكذلك تبعثون»

ومن عجب أن ترى الإنسان دائب البحث ، حثيث السعى ؛ وراء ما يجلب له النوم ، ويدفع عنه الأرق ؛ فى حين أن فرائضه لترتد جزعاً ورفقاً حين يذكر أمامه الموت ! والموت لا يعدو أن يكون نوماً هادئاً مريحاً ؛ يمتاز بكثير عن النوم الذى يسمى إليه ، وينفق الأموال فى اجتلابه ؛ وليس تمت مدعاة للجزع والخوف ؛ ما دام الإنسان ممتلئاً صدره لإيمانه بالله ، وقيناً بوجوده ، مطمئناً لجزائه ! ولذا تحدى الله تعالى اليهود - حيناً زعموا أنهم أولياؤه وأحباؤه - بقوله : «فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» وأجاب عنهم بما فى صدورهم : «ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم» فاحرس - يامن هديت إلى الإيمان والعرفان - على طاعة الله تعالى ، واجتلاب مرضاته ؛ لتنام خير

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ۖ
إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلَّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِرَءٍ ۖ ۝۱۱۱ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ
فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ۝۱۱۲ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ
أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَتْلُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝۱۱۳ قُلِ لِلَّهِ
الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ۝۱۱۴ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَنْبِشُونَ ۝۱۱۵ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَلَيْمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ أَنَّكَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا

فيه

منام ، وتبعث خير مبعث ، وتلقى خير جزاء ، وأوفر نعماء (انظر آية ٦٠ من سورة الأنعام) (وإذا ذكر الله وحده اشتدَّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى فترت وانقبضت (وإذا ذكر الذين من دونه) الأصنام التي يعبدونها ؛ كاللات والعزى (قل اللهم فاطر) خالق ومبدع (السماوات والأرض) وما فيها ، ومن فيها (عالم الغيب والشهادة) ما غاب ، وما شوهد (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة ؛ فى اليوم الموعود : الذى أنكروه وكفروا به ، وآمن به المؤمنون ، وعملوا له !

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِسْمَةِ ﴿١٧﴾ وَبَدَأَ اللَّهُ مَالَهُمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ ﴿١٨﴾
وَبَدَأَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا مَسَّ الْأَنْفُسَ ضُرُّ دَعَائِهِمْ إِذَا
خَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالُوا إِنَّمَا أُوتِينَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ
فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ لَمَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ أَوْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّ
اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾ * قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(ولو أن للذين ظلموا) كفروا (ما في الأرض جميعاً) من مال ، وعقار ، وأنعام (ومثله معه لا فتدوا به) أنفسهم (من سوء العذاب) يؤسه وشدته وقسوته ! (وبدأ لهم من الله) ظهر لهم من أمره ، وحقيقة وجوده ، وصدق وعده ووعيده (ما لم يكونوا يحسبون) يحسبون ، ويظنون . أو أنهم عملوا أعمالاً في الدنيا ؛ وتوهموا أنها حسنات ؛ فإذا هي سيئات . روى عن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه - في هذه الآية - ويل لأهل الرياء ، ويل لأهل الرياء ؛ هذه آيتهم وقصتهم . اللهم باعد بيننا وبين الرياء في أعمالنا

وعبادتنا ، واجعلها خالصة لوجهك الكريم يا كريم ! (وبدأ لهم) ظهر (سيئات ما كسبوا) عقاب ما عملوا من الكفر والمعاصي (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزئون) أى عقاب استهزائهم بمحمد وبكتابه (فإذا مس الإنسان ضرراً) مرض ، أو فقر (ثم إذا خولناه نعمه) أعطيناه غنى وصحة ؛ تفضلاً منا (قال) لمزيد كفره ، وانعدام شكره (إنما أوتيته على علم) منى بوجوه التجارات والمكاسب ، أو على علم من الله باستحقاق لذلك . قال تعالى (بل هي فتنة) أى بل تخويلنا إياه النعمة ؛ إنما هو امتحان له واختبار ؛ لئلا يشكر أم يكفر ؟ (قد قالوا) أى قال مثل هذه القالة (الذين من قبلهم) كفارون ؛ حين قال «إنما أوتيته على علم عندي» (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى عقوبة هذه السيئات التي ارتكبوها : غشف بقارون الأرض (والذين ظلموا) أشركوا ، وقالوا مثل هذا القول (من هؤلاء) الموجودين (سيصيبهم) أيضاً (سيئات ما كسبوا) كما أصاب «الذين من قبلهم» (ومما بمعجزين) بفائتين عذابنا (أولم يعلموا أن الله ييسر) يوسع (الرزق لمن يشاء) من عباده ؛ بغير ماسيب : من علم ، أو ذكاء ، أو حكمة ، أو دراية (ويقدر) يضيّق على من يشاء ؛ ولو كان من أعلم العلماء وأحكم الحكماء ! فقد يعطى

الجاهل ، ويمنع العالم ، ويعطى الحامل ، ويمنع العامل ؛ فهو - جل شأنه ، وتعالى سلطانه - الخالق الرازق ؛ وهو وحده يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، يتصرف في ملكه كما يريد ؛ لا كما يريد العبيد ! «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» هو الحاكم «لا معقب لحكمه» (إن في ذلك) الإيعطاء والمنع ، والبسط والتضييق (آيات) دلالات على وجوده تعالى وقدرته ، وأنه وحده المعطى المانع ، الخافض الرافع ، الضار النافع ! (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) بارتكاب المعاصي ، واقتحام الذنوب (لا تقنطوا) لا تيأسوا (من رحمة الله) ومغفرته ؛ فالقنوط من رحمة تعالى : كفر ! (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) للتائب المستغفر

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ) ارجعوا إلى ساحته ، واطلبوا مغفرته (وَأَسْلُمُوا لَهُ) وأخلصوا له العمل والنية (من قبل أن يأتيتكم العذاب بفتنة) فجأة ؛ كما حل بآل فرعون (أن تقول نفس) أى لثلاث قول نفس مذنبه يوم القيامة :

الجزء الرابع والعشرون

٥٦٨

(يا حسرتنا على ما فرطت) على ما قصرت (في جنب الله) أى في حقته تعالى ، وفي طاعته (أو تقول) نفس (لو أن الله هداني لكنت من المتقين) ينكرون على الله تعالى هدايته لهم ؛ وقد هداهم . ألم يرسل لهم الرسل ، وينزل عليهم الكتب ؟ ألم يخلق لهم العقول التي تميز بين الملبس والقيح ، والسقيم والصحيح ؟ (أو تقول) نفس (حين ترى العذاب) العذاب لها يوم القيامة : (لو أن لي كرة) رجعة إلى الدنيا (بلى) جواب النفي المستكن في المعنى ؛ لأن القائل حين يقول : «لو أن الله هداني» فإنه ينفي هداية الله تعالى له وينكرها ؛ فقليل له جواباً لنفيه للهداية : «بلى» أى نعم قد بين الله تعالى لك طريق الهدى ؛ بحيث صار في مقدورك ، وفي متناول فهمك ؛ و (قد جاءتك آياتي) الحكمات البينات (فكذبت) ولم تؤمن (بها واستكبرت) عن اتباع سبيل المؤمنين (وكننت من الكافرين) الضالين عن الرشده والهداية (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الفريك والولد إليه (وجوههم مسودة) من غضب الله تعالى وقتلته ا (أليس في جهنم مثوى) (للمتكبرين) عن الإيمان (وينجي الله الذين اتقوا بما فازتهم) أى وينجي الله الذين اتقوا بسبب أعمالهم الصالحة ؛ التي أدت إلى فوزهم ونجاتهم . والمفازة : النجاة

بِمَعْمَأٍ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٦٩ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٧٠ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٧١ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ٥٧٢ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧٣ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٧٤ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٥٧٥ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٥٧٦ وَيُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ أَنْفَقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٥٧٧ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَجِيلٌ ٥٧٨ لَهُ مُقَالِيدُ

الْمُتَوَكِّلِينَ

(لا يمسهم السوء) العذاب ، أو الحزى (ولا هم يحزنون) بالحرمان من النعيم الذي يريدونه ، والحيز الذي يطلبونه (وهو على كل شيء وكيل) حافظ ، وقائم ، ومنصرف

الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِ أَعْبُدُ أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣﴾
 بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
 حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُثْرَىٰ
 فَإِنَّا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
 وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ
 بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَوَقِّتْ كُلَّ نَفْسٍ
 مَاعْمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٨﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(له مقابلد السموات والأرض) أى ملكهما ؛ وذلك كقولهم : فلات تولى مقابلد الملك . والمقابلد :
 المقابلج . أو هى الخزان ، أو الأبواب (قل أفغير الله تأمرونى) تأمرونى ؛ وبها قرأ ابن عامر (لئن

أشركت ليحبطن عملك) أى ليطلن (وما
 قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق
 معرفته ، وما عظموه حق تعظيمه (والأرض
 جميعاً قبضته يوم القيامة) أى تحت قبضته
 وفهره ، وسيطرته وسلطانه ! (والسموات
 مطويات بيمينه) أى بقدرته ؛ وقيل : هو على
 سبيل الجواز ؛ أى أن السموات على عظمها
 وكبرها ؛ فإنها تكون بالنسبة إليه تعالماً
 كالشيء الصغير الحقيق ، الذى يطوى باليمين .
 وهو كناية عن قدرة الله تعالى ، وإحاطته
 بجميع مخلوقاته . كما تقول : فلان لا يخرج من
 يدي ، ولا ينفك من قبضتي (سبحانه) تزه
 وتقدس (ونفخ في الصور) وهو قرن ينفخ
 فيه إسرافيل عليه السلام ؛ بأمر ربه (فصق)
 مات (من في السموات) من مخلوقات وأملاك
 (ومن في الأرض) من الإنس والجن ،
 وغيرهما من المخلوقات (إلا من شاء الله) وهم
 الشهداء ؛ لأنهم «أحياء» بعد موتهم «عند
 ربهم يرزقون» وقيل : هم خواص الملائكة ؛
 كجبريل ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ؛
 عليهم السلام (وأشرفت الأرض) أضاءت
 أرض المحشر (بنور ربها) ببدله وقضائه بين
 عباده (ووضع الكتاب) الصحف التى فيها
 أعمال بنى آدم ؛ فهم آخذ بيمينه ، ومنهم
 آخذ بشماله (وجىء بالنبيين) ليسألهم تعالى :

«ماذا أجيتم» (والشهداء) فيشهدون لمن ذب عن دين الله تعالى ، ودافع في سبيله (ووقيت كل نفس)
 جزاء (ما عملت) من خير أو شر (وسيق الذين كفروا) وعصوا الرسول

إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ نَزَرْنَاهَا إِلَيْكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن
كَفَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا مَثَوِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا
جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ نَزَرْنَاهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَقَبُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ
مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة

(إلى جهنم زمراً) أفواجاً وجماعات (قالوا بلى) أى نعم جاءتنا رسل ربنا (ولكن كفت) وجبت (كلمة العذاب) أى كلمة الله تعالى ، المقضية له ؛ أو هي قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (فبئس مثوى) مقام (المتكبرين) الكافرين (وسيق الذين اتقوا ربهم) خافوا عقابه ، وسعوا إلى رضوانه (إلى الجنة زمراً) أفواجاً وجماعات (وقال لهم خزنتها) حراسها من الملائكة (سلام عليكم طيبتم) من دنس الذنوب والمعاصي ؛ فاستحققت الجنة ، أو «طيبتم» نقساً ؛ بما أوتيتهم من خير عظيم ، ونعيم مقيم ! (فادخلوها خالدين) فيها ، غير خارجين منها «ما دامت السموات والأرض» (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالجنة (وأورثنا الأرض) أى أرض الجنة (نقبوا) نسكن (من الجنة حيث نشاء) أى حيث نريد ؛ فلا ثريب ولا تضيق ، ولا منع ولا حرج ! (وترى الملائكة حافين) محيطين وعلقيين (من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) يقدسونه ، ويبرهنونه عما لا يليق به (وقضى بينهم) أى بين الخلاق جميعاً . وقيل : بين الملائكة ؛ فهم - وإن كانوا كلهم معصومين

من الخطأ والزلل - فإن ثوابهم يكون على حسب تفاضل أعمالهم ؛ فتتفاوت بذلك مراتبهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) افتتح تعالى الخلق بالحمد : قال عز من قائل : «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» واختتمه أيضاً جل شأنه بالحمد : «وقيل الحمد لله رب العالمين»

(يسبحون بحمد ربهم) أى لا عمل لهم سوى قولهم : سبحان الله وبحمده ا (ويستغفرون) يطلبون المغفرة (للذين آمنوا) قائلين فى استغفارهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) أى وسعت رحمتك كل شيء ،

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٢

ووسع علمك كل شيء (فاغفر للذين تابوا) من ذنوبهم ، وأقلعوا عن كفرهم (واتبعوا سبيلك) الذى ارتضيته لعبادك ؛ وهو دين الإسلام (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أى جنات الإقامة ؛ من عدن فى المكان : إذا أقام فيه (التي وعدتهم) بها (وقهم السيئات) أى عقوبتها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله) لكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) والمقت : أشد البض . ومقتهم أنفسهم يوم القيامة : كرامة بضهم بعضاً ، قال تعالى «ولمن بضكم بعضاً» وقال جل شأنه «قالوا بل أنتم لامرجأ به» (إذ تدعون) فى الدنيا (إلى الإيمان فكفرون) المعنى : «لمقت الله لكم» فى الدنيا حين «تدعون إلى الإيمان فكفرون» «أكبر من مقتكم أنفسكم» الآن (قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان) فى هذا دليل على الإحياء داخل القبر للسؤال ، والإماتة بعده ، والإحياء للبعث ؛ فتصير موتان وحياتان (فاعترفنا بذنوبنا) وكفرنا الآن (فهل إلى خروج) من النار ، ورجوع إلى الدنيا (من سبيل) «نفعل غير الذى كنا نعمل» يقال لهم : لاسبيل إلى الخروج البتة (ذلكم) العذاب الذى أنتم فيه ، وعدم الاستماع إليكم ، ورفض إخراجكم من النار وإعادتكم إلى الدنيا (بأنه) بسبب أنه (إذا

يُحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَرَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادون لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرُوا ۝ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَانَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَمَّا يَنْفَرُكُ بِهِ تَدْعُوهُ تَدْعَايَ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا

وَمَا

دعى) عبد الله وحده كفرتم (ولأن يشرِك به) أى يعبد سواه (تؤمنوا) بذلك العبود الآخر (هو) جل شأنه (الذى يريكم آياته) دلائل قدرته ووحدانيته (وينزل لكم من السماء رزقاً) مطراً ؛ لأنه سبب للرزق

(وما يتذكر إلا من ينيب) يرجع إلى الله ، ويقطع عن الكفر والعصيان (فادعوا الله) اعبدوه أيها المؤمنون (مخلصين له الدين) أي مخلصين له وحده الطاعة والعبادة من كل شائبة ؛ فقد علمتم ما سيحقيق بالكافرين (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (رفع الدرجات) أي عظيم الصفات ، أو رافع درجات المؤمنين : في الدنيا ، وفي الجنة (ذو العرش) أي ذو الملك : صاحبه ، ومالكة ، وخالقه (يلقي الروح من أمره) أي يلقي الوحي بأمره (على من يشاء من عباده)

٥٧٣

سورة فاتر

الذين اصطفاهم لرسالته (لينذر) بما ينزلهم عليهم (يوم التلاق) يوم القيامة ؛ ففيه يلتقي الأولون والآخرون ، وأهل السموات وأهل الأرضين (يوم هم بارزون) ظاهرون ؛ لا يظواهرهم وأشكالهم غيب ، بل بأعمالهم وخوافيهم (لن الملك اليوم) يقول ذلك الملك الجليل ؛ ويجب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أو تقول ذلك الملائكة ، وتجب عليه سائر الخلائق لأنهم وجنهم ، مؤمنهم وكافرهم (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) بما عملت (وأنذرهم) بأجل (يوم الآزفة) يوم القيامة ؛ وسميت آزفة: لقربها (إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين) أي لهم - من شدة فرعهم ورعهم - تصعد قلوبهم إلى حناجرهم ! (ما للظالمين من حميم) أي صديق مخلص ؛ يدفع عنهم العذاب (يعلم خائنة الأعين) أي استراق النظر إلى ما لا يحل (وما تخفي الصدور) أي ما تكنه من خير وشر ؛ أو يعلم استراق النظر إلى الأجنبية ، وما تخفي الصدور من التفكير في جالها ، والرغبة في نيلها ؛ في حين لا يعلم بنظرته وفكرته من محضرته ؛ والله يعلم بذلك كله (والله يقضي) في الدنيا والآخرة (بالحق) الكامل المطلق (والذين يدعون) أي يعبدونهم (من دونه) غيره (لا يقضون بشيء) أصلاً ؛ لأنها

وَمَا يَسْتَدْعُرُ إِلَّا مَنْ يَنْبِي ۖ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا

جادات لا تستطيع القضاء بالحق ولا بالباطل ؛ فكيف تعبد من دون الله وهذا حالها ؟ ! (كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض) فقد كانت لهم المصانع ، والقصور ، والحصون وغير ذلك . وهما أهرامهم ، ومعابدهم ، ودورهم ، وقبورهم ، ونصبهم ، وتماثيلهم ؛ كل ذلك يشهد بأثارهم التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ، والتي لم تصل أخبارها إلى نبيه الصادق عليه الصلاة والسلام ؛ فكانت إحدى معجزاته البينات !

فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ
 مِن وَّاقٍ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٣٦
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٧ لِّمَا فَرَعُونَ
 وَهَمْنًا وَقُرُونًا قَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٣٨ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 بِالْحَقِّ مِن عِنْدِنَا قَالُوا أَأَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
 وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٣٩
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٤٠
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٤١ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ
 وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ

(فأخذهم الله) أهلهم (وما كان لهم من الله) أى من بطشه وعذابه
 (من واق) حافظ يقيهم بأسه وعذابه

(وسلطان مبين) برهان ظاهر ؛ يتسلط على
 الأبصار ، والأسماع ، والأذهان ؛ وهى
 المعجزات الظاهرات (فلما جاءهم بالحق من
 عندنا) أى بالكتاب الحق ؛ وهو التوراة .
 أو بتوحيد الله تعالى ، والأمر بطاعته
 (واستحيوا نساءهم) استبقوهن للخدمة أو
 افعلوا بهن ما يخل بالحياء (وما كيد الكافرين
 إلا فى ضلال) خسرات وهلاك (وقال
 فرعون) لقومه (ذرونى) دعونى واتركونى
 (أقتل موسى وليدع ربه) حينئذ لينصره
 منى ، ويمنعه من القتل إن كان صادقا .
 (وقال موسى لى عذت) التجأت واعتصمت
 (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل: ابن
 عمه (يكتم إيمانه) عن فرعون وشيعته ؛
 خشية أن يقتلوه (وقد جاءكم بالبينات) الآيات
 الواضحات ، والمعجزات الظاهرات (وإن يك
 كاذبا) فيما يقول

(فعلبه كذبه) أى عليه وحده إثم كذبه ؛ لا عليكم (وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب

(إن الله لا يهدى من هو مسرف) الإسراف :

تجاوز الحد فى كل شىء (ظاهرين) عاين

(فن ينصرونا من بأس الله) عذابه ويطشه

(قال فرعون) لقومه (ما أرىكم إلا ما أرى)

أى ما أشير عليكم إلا بما ارتضيته لنفسى (وقال

الذى آمن يا قوم لى أخاف عليكم مثل يوم

الأحزاب) أى مثل اليوم الذى أنزل فيه الله

تعالى العذاب على الأقوام الذين تعزبوا على

أنبيائهم (مثل دأب) مثل عادة (قوم نوح

وعاد وحمود والذين من بعدهم) ممن كذبوا

أنبياءهم ؛ فعذبهم الله تعالى عذاباً شديداً فى

الدنيا ، وأخذهم بكفرهم وتكذيبهم (ويا قوم

لنى أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة .

وسمى بذلك لأنه ينادى فيه على الخلائق :

«واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب...

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ... ونادى

أصحاب الأعراف رجالا ... ونادوا أصحاب

الجنة ... ونادوا يامالك» (مالك من الله من

عامم) يعصمكم من عذابه (ولقد جاءكم يوسف

من قبل بالبينات) بالحجج القاطعة الظاهرة ؛

كقوله عليه السلام : «أرأيت متفرون خير

أم الله الواحد القهار» (حتى إذا هلك)

مات (كذلك) أى مثل الإضلال الذى وقع

على الكافرين بالأنبياء ، وما أنزل عليهم من

آيات بينات (يضل الله من هو مسرف)

فى الكفر والعصيان (مرتاب) شاك فيما جاءه من المعجزات . فالكفر ، والارتياب : سابقان للإضلال ؛

وإضلال الله تعالى لا يكون إلا نتيجة للإصرار على الكفر ، والتمسك بالتكذيب ، وطرح تفهم الآيات ،

والنظر فى الدلالات جانباً ؛ و «كذلك يضل الله الكافرين»

كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم. إن
الله لا يهدى من هو مسرف كذاب. ينقوم لكم
الملك اليوم ظهيرين فى الأرض فمن ينصروننا من بأس
الله إن جاءنا قال فرعون ما أرىكم إلا ما أرى وما
أعديكم إلا سبيل الرشاد. وقال الذى آمن ينقوم
لنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. مثل دأب قوم
نوح وعاد وحمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظليلاً
للعباد. وينقوم لنى أخاف عليكم يوم التناد.
يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن
يضل الله فلا اله من هاد. ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى
إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولاً كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب. الذين يجادلون فى

(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان) حجة أو برهان (كبر مقتاً) عظم بفضاً (كذلك) أى مثل ذلك الإضلال الواقع على من كفر وجر (يطيع الله) يحتم وينطى (على كل قلب متكبر جبار) فالتكبر والتعجب :

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٦

سابقان على طبع الله وختمه (على كل قلب متكبر جبار) وقد أراد الله تعالى أن يرينا مثلاً للتكبرين التعجبين ، السرفين المرتابين الكاذبين ؛ المستحقين للإضلال والإذلال ، والتفتية والتعبية ؛ وهل بعد تكبر فرعون من تكبر ؟ وهل بعد إسرافه في الكفر من إسراف ؟ (وقال فرعون) لوزيره (يا هامان ابن لي صرحاً) قصراً عالياً (أسباب السموات) أى أبوابها ، أو طرقها ، أو ما يؤدى إليها . ولعل اللعين قد طلب من وزيره ما يفعله الآن بعض الملاعين ؛ من عمل صواريخ يزعمون الوصول بها إلى الكواكب والسموات ؛ وهيئات هيئات لما يتوهمون ! (انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) (فأطلع) أنظر (ولم لأظنه) أى أظن موسى (كاذباً) فيما يزعمه : من أن له إلهاً واحداً (وكذلك زين لفرعون سوء عمله) عقوبة له على تجاديه في الكفر ، وطرحه ما ظهر له من الآيات والمعجزات وراء ظهره (وصد عن السبيل) منع عن الإيمان ؛ لأنه منع عقله عن التدبر ، وقلبه عن التنبص ؛ وحارب ربه ، وقاتل رسوله ، وقتل مخلوقاته ، وادعى الربوبية ، وقال : « ما علمت لكم من إله غيري » غنى عليه غضب الله تعالى : فأضمه عن الاستماع ، وصدته عن سبيل الإيمان ؛ عقوبة له على غيه وبغيه ! (وما كيد فرعون

لإلا في تباب) إلى
 هَابَتْ إِلَهُ يَغْيِرُ سُلْطَنُ أَتَمُّ كَبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
 جَبَّارٍ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْنَأُ آمِنٌ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
 الْأَسْبَابَ ﴿٥٨﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى
 وَإِنِّي لأظنُّه كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ
 وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٥٩﴾
 وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمُ آمِنُوهُمْ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٠﴾
 يَقَوْمُ إِنَّمَا هِيَ إِلَهَةُ الْدُنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
 الْقَرَارِ ﴿٦١﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
 صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
 الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا فَيُغَيِّرُ حَسَبًا ﴿٦٢﴾ * وَيَنْقُومُ مَالٌ
 أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٦٣﴾ تَدْعُونَنِي
 لِأُكْفِرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ

إلى

إلا في تباب) أى تمنع لا يلبث أن يزول (وإن الآخرة هي دار القرار) دار البقاء والاستقرار (يرزقون فيها بغير حساب) رزقا واسعا ؛ لا حذله ، ولا انتهاء ! (ويأقوم مالى أدعوكم إلى النجاة) أى إلى الإيمان ؛ وهو الطريق الموصل إلى النجاة من النيران (وتدعونني إلى النار) أى إلى الكفر الموصل إلى الجحيم ، والعذاب الأليم

إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفْوَ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ
وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ فَتَسْأَلُونَ مَا أَقُولُ
لَكَ وَأَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ سَبَقَتْ مَأْكَرُهُمْ وَخَافَ رِقَابَ فِرْعَوْنَ سُوءِ
الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ
وَإِذْ يَتَحَايَوْنَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَقَهِلَ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوْ لَرَّبِّكَ
تَأْتِيكَ رُسُلُكَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا

(وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى) عبادة (العزیز) القادر المقتدر ، الخالق الرازق (الفجار) الذى يغفر الذنوب جميعاً ،
ويغفر عن السيئات (لاجرم) حقاً ، لا محالة (أَنْ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لأعبدته (ليس له دعوة) أى لا يستطيع
استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا) بَأَنْ يحفظه ، أو يكلاً ،
أو برزق ، أو يشقى (ولا فِي الْآخِرَةِ) بَأَنْ
يشقى ، أو ينعم ، أو يغفر ، أو يرحم (وَأَنْ
مَرَدَّنَا) مرجعنا جميعاً (إِلَى اللَّهِ) فيجزينا على
إيماننا خير الجزاء ، ويعاقبكم على كفركم أشد
العقاب (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين الحد
بكفرهم (فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) حين
ترون العذاب بأعينكم ، وتحسونه بجسومكم ؛
حيث لا ينفع الندم ، ولا يجدى الاستغفار
(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ سَبَقَتْ مَأْكَرُهُمْ وَخَافَ رِقَابَ فِرْعَوْنَ سُوءِ
الْعَذَابِ) (فوقاه الله سيئات ما مكروا) وقاه تديرهم
لقتله ، ومكرم لإفدائه (وَحَقَّ) نزل (بِالْ)
(فِرْعَوْنَ سُوءِ الْعَذَابِ) أشده وأقبحه ؛ وهو
(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صباحاً
ومساءً . والمراد به استمرار العذاب ؛ وذلك
فِي الدُّنْيَا : يعذبون فِي قبورهم ؛ وهو دليل على
عذاب القبر ؛ وهو واقع لا محالة بأهل الكفر
والضلال ؛ وقد استعاض منه سيد الخلق صلوات
الله تعالى وسلامه عليه (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ)
يقول العزيز الجبار للملائكته (أَدْخِلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ) هو ومن تبعه (أشدَّ العذاب) فِي
جهنم وبئس المهاد ؛ (وَإِذْ يَتَحَايَوْنَ)
يتخاصمون (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) الأنواع (للذين
اسْتَكْبَرُوا) لرؤسائهم (فَقَهِلَ أَنْتُمْ مُغْنُونَ)
دافعون (عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) جانباً منها
(إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) ولا عقب لحكمه ،

ولا راد لقضائه (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات ، والآيات الواضحات (قَالُوا بَلَىٰ) نعم جاءتنا رسلنا
(قَالُوا) أى قال خزنة جهنم للكافرين (فادعوا) ربكم ما شئتم أَنْ تدعوه ؛ فلن يستجيب لكم

(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) خسار وضياح (ويوم يقوم الأشهاد) الشهداء ؛ ومم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ وذلك يوم القيامة (ولقد آتينا موسى الهدى) المعجزات التي تهدي من رآها ، والنوراة

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٨

التي تهدي من قرأها (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) التوراة (هدى) ليهتدوا بما فيها (وذكري) تذكرة (لأولي الألباب) ذوى العقول (فاصبر) يا محمد على أدام (إن وعد الله) بنصر أوليائه ، وكبت أعدائه (حق) واقع لا مرية فيه (واستغفر لذنبك) ليكون استغفارك سنة لأمتك (وسبح بحمد ربك) أى داوم على التسبيح . وأفضل التسبيح : «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» وقيل : المراد بالتسبيح : الصلاة ؛ لأنها مشتملة عليه (بالعشى والإبكار) فى المساء والصباح (إن الذين يجادلون فى آيات الله) قرآنه (بغير سلطان أنافهم) بغير حجة ، ولا برهان ؛ على صدق مجادلتهم وم حاجتهم (إن فى صدورهم إلا كبر) أى مافى صدورهم إلا تكبر عليك ، وطمع أن تملو مرتبتهم على مرتبتك (مام بيا فيه) أى مام بيا لى أثر هذا الكبر ؛ وهو الارتفاع والاستعلاء عليك ؛ بل هم فى أسفل سافلين ، فى الدنيا ويوم الدين (فاستعذ بالله) الجأ إليه من مكرم وأدام (إنه هو السميع) لقواك وأقواهم (البصير) بحالك وحالم (خلق السموات) وما فيها من الكواكب والمخلوقات (والأرض) وما فيها وما عليها (أكبر من خلق الناس) وإعدادهم للحساب والجزاء يوم القيامة (وما يستوى الأعمى والبصير

دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٧٨﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٧٩﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْلَدَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٨٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٨١﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى
الْأَلْبَابِ ﴿٥٨٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٨٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقْتَرِبُونَ سُلْطَانَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبَرٌ مَأْهُمٌ يَسْتَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٨٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨٥﴾ وَمَا يَسْتَوِى
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا
الْمُشْرِكُ قَلِيلًا مِمَّا تَعْدُ كُرُونِ ﴿٥٨٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ

فيها

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) أى كما أنه لا يستوى الأعمى والبصير : فإنه لا يستوى المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى (إن الساعة) القيامة (لآتية لا ريب فيها) أى لا شك فى إتيانها

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ أى سلوني أعطكم . وقيل : «ادعوني» أى اعبدوني «أستجب لكم»
أجب ما تطلبونه من حوائج الدنيا والآخرة !

ولو أن الداعي حين يدعو ربه - القادر القاهر - يكون واثقاً بما عنده ؛ وثوقه بما عند نفسه ؛ لما
أبطأت إجابته ، وسعت إليه حاجته ، ولكان طلبه وهن إشارته ، ووفى رغبته ! فانظر - هداك الله
تعالى ورعاك - لى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يضع أهله وذريته فى مهبه قفر ؛ حيث لا كلاً ولا ماء ،
ولا لانس ولا أنيس ؛ فيدعو ربه : واثقاً بما
عنده : «ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير

٥٧٩

سورة غافر

ذى زرع . . . فاجعل أفئدة من الناس تهوى
لإيهم وارزقهم من الثمرات» فهوت لإيهم أفئدة
كثير من الناس من سائر الأقطار ؛ وحلت
المطعومات والثمار ؛ من كل صوب وحذب ؛
فطمعوا قبل أن يطعمها زارعوها وحاملوها !
أليس هذا من صنع واسع العطاء ، مجيب
الدعاء ١٩ (انظر آية ١٨٦ من سورة البقرة)
(داخرين) أذلاء صاغرين (لتسكنوا فيه)
ترتاحوا وتناموا (والنهار مبصر) تبصرون
فيه ما تريدون ، وتمسكون فيه ما ترغبون
(ذلكم) الخالق للسماوات والأرضين ، المالك
ليوم الدين ، المستجيب للداعين ، الجاعل الليل
سكناً وراحة للنائمين ، والتهار مبصراً للمشتغلين
والعالمين «ذلكم» هو (الله) رب العالمين
(خالق كل شيء) مبدع الكائنات وما فيها
ومن فيها ، وخالق كل ما أحاط به علمكم ،
ومالم يحيط به ، وما خطر فى أذهانكم ، ومالم
يخطر لكم على بال (لا إله إلا هو) وحده ؛
واجب الوجود ، والعبودية (فأنى تؤفكون)
فكيف تصرفون عن معرفته ؛ وقد ظهرت
لكم الحجج على وحدانيته ؟ وعن عبادته ؛
وقد بان لك الدلالات على قدرته ؟ (كذلك)
أى كما صرفتم عن الحق الواضح ، وعن معرفته

فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَحْمِلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٥٨٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوْ فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٨١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ
رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ ﴿٥٨٢﴾
كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانَُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٥٨٣﴾ اللَّهُ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨٤﴾ هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨٥﴾
* قُلْ إِنِّ نَبِيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَمَّا جَاءَنى الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّى

تعالى ؛ مع قيام الأدلة والبراهين على ألوهيته (يؤفك) يصرف (الذين كانوا بآيات الله) كتبته ، ودلائل
ربوبيته (يجحدون) يجحدون بها ، ولا يلتفتون إليها ، ولا يتدبرونها (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً)
مستقراً لكم ؛ حال حياتكم ، وبعد مماتكم (والسما بناء) سقفاً ثابتاً ؛ لا يزول ، ولا يحول (ذلكم)
الذى جعل الأرض قراراً لكم ، والسما بناء فوقكم «وصوركم فأحسن صوركم» ورزقكم ما عمله يديه ،
ولم تعلمه أيديكم ، وأسبغ عليكم نعمه بفضل لا يسعكم «ذلكم» (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو
الحى) الباقي على الدوام ، السامع لدعائكم ، المحجب لندائكم (لا إله إلا هو) ولا معبود سواه (فادعوه)
اعبدوه (مخلصين له الدين) صادقين فى عبادته ، لا تشركون فى طاعته ومحبته ! ومن الشرك الحق : أن تفضل =

== دنياك على دينك ، وأن تحب مالك أكثر من مالك ! (الحمد لله رب العالمين) أن وهبك الإيمان ،
وهذا بالقرآن ، ووفقك إلى الإحسان ووفقك كيد الشيطان ! (هو الذي خلقكم من تراب) أى خلق أبائكم

الجزء الرابع والعشرون

٥٨٠

آدم منه (ثم من نطفة) منى (ثم من علقه) منى
واحدة الحيوانات الصغيرة التي ثبت وجودها
بالحي . وقيل : النطفة : قطعة دم غليظ (ثم لثافوا
أشدكم) تكمل قوتكم . وهو من ثلاثين إلى
أربعين سنة . (انظر آية ٢١ من الذاريات
(ومنكم من يتولى) يستوفى أجله فيموت (من
قبل) أى قبل بلوغ الأشد والشيخوخة (ولثافوا
أجلا مسمى) وقتا محددا : هو انتهاء آجالكم
(وللمكم تقولون) دلالات التوحيد التي بسطناها
لكم ، وهى أننا أذمانكم لقبولها (فإذا قضى
أمرنا) أى أراد فعله ولم يجده (فلما يقول له
كن فيكون) هو تقرب لأفهامنا ؛ والواقع
أنه تعالى إذا أراد شيئا : كان غير اختصار للفظ
« كن » (ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات
الله) القرآن (أنى بصرفون) كيف بصرفون
عنها ؛ مع وضوحها وإعجازها (ثم فى النار
يسجرون) أى تملأ بهم النار ؛ وهو من سجر
النور : إذا ملأه بالوقود « وأولئك هم وقود
النار » أو « يسجرون » يوقدون بها (قالوا
ضلوا عنا) غابوا عن عيونا (بل لم تكن ندعو
نبيد) كنك (أى مثل إضلال هؤلاء المكذبين
(يضل الله الكافرين) الماعدين لله ، المكذبين
لرسله ، المنكرين لكتبه (ذلكم) العذاب
الذى تعدونه فى الآخرة (وما كنتم تقرحون
فى الأرض بغير الحق) باللهو والمصيان ؛ وذلك
لأن السارق يفرح بسرقة ، والزاني يفرح بزناه ، والباغي يفرح ببغيه ، والظالم يفرح بظلمه . أما الفرح
بالطاعات ، وما أحله الله : فهو من عموم المباحات ؛ التي يثاب عليها ! (وما كنتم تمرحون) المرح :

التوسع فى السرور والفرح . ويطلق أيضاً على البطر

الْعَالِينَ ﴿٥٨٠﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رَّبِّ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
لِتَكُونُوا شِرْعًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَلَّى مِنْ قَبْلٍ وَلْيَبْلُغُوا
أَجْلًا مَسْمُومًا وَلِلَّهِ تَعْقِلُونَ ﴿٥٨١﴾ هُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ
فَإِذَا ضَعِيَ أَمْرًا فَلَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٨٢﴾ أَلَمْ
تَر إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ آيَاتٍ أَنْ يَبْسُفُوا
أَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَتَوَكَّأ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٨٣﴾ إِذِ الْأَغْصَانُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَاللَّسِيلُ
يُسْحَرُونَ ﴿٥٨٤﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٥٨٥﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَأْنِيكُمْ تُنْفِرُونَ ﴿٥٨٦﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنْ بَلِّ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨٧﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٥٨٨﴾ أَذْخَلُوا

أَبَوَّبَ

أَبَوَّبَ

أَيُّوبَ جَهَنَّمَ خَلِيدٍ فِيهَا فَيَنسِفُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٨﴾
 فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُرِيكَ بَعْضَ أَلْدِي نَعْدَمِ
 أَوْ تَوَفَيْنَاكَ فَأَلْبِنَا بِرَجْعُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ
 عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُلٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَلِيٍّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا
 جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٠﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ ﴿٤١﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
 فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَبَرِّكُوا
 بِأَيْنِيهِ فَأَيُّ الْآيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٤٣﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ قَبْلَ
 أَنْغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ نَحْمُ رُسُلَهُمْ

(مَثْوَى) مقام (فَلَمَّا نُرِيكَ) فإِذَا تُرِيكَ بعض الذي نَعْدَمِ
 فَإِنْ تُرِيكَ بعض مانَعَدَمِ به من العذاب (فَأَلْبِنَا)
 بعد موتهم (يَرْجِعُونَ) فنعاقيهم بما عملوا ،
 وَنَأْخُذُهُمْ بِمَا ظَلَمُوا (منهم من قصصنا عليك)
 نبأهم في هذا القرآن (وما كان لرسول)
 ما حق ، وما جاز لأى رسول ممن أرسلنا من
 رسلنا (أَنْ يَأْتِيَ بِأَيٍّ) معجزة من عند نفسه
 (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) يوم القيامة (فَضِىَ) بين
 الناس (بِالْحَقِّ) المطلق الذى لا تشوبه شائبة
 (وَخَسِرَ هُنَالِكَ) في الآخرة (المبطلون)
 الكافرون (الأنعام) الإبل (ولكم فيها منافع)
 في نسلها ، ووبرها ، وشعرها ، وألبانها
 (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) هي الأسفار
 وحمل الأثقال (وعليها وعلى الفالك) أى على
 الأنعام في البر ، وعلى السفن في البحر (تحملون)
 فيالها من نعمة لا يحيط بها وصف ، ولا يوفىها
 شكر : ذلل لنا ما نركب في البر والبحر ،
 وسخر لنا الحيوان والجناد . اللهم أغنا على
 القيام بواجب شكرك ، ولا تجعل هذه النعم
 استدراجاً لنا ، وامتنعاً لإيماننا ؛ بفضلك
 ومنك يا أرحم الراحمين (وَبَرِّكُوا) الله (آيَاتِهِ)
 الدالة على وحدانيته ، الموصلة إلى جنته ا

(فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الكفار ؛ الذين اتقنا منهم وأهلكناهم ، وقطعنا دابرهم ؛
 وقد (كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ) عدداً (وَأَشَدَّ قُوَّةً) وعدة (وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ) مما بنوه من قصور ، وآثار ،
 وقبور ، وكنوز (فَأَنْغْنَى) أى لم يغن عنهم ما كانوا يكسبون (يعملون في الدنيا

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات ، والمهيج الواضحات (فرحوا) أى فرح الكفار
(بما عندهم من العلم) الدنيوى «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» وقيل : فرح الرسل بما عدوه من ربهم :
الجزء الرابع والعشرون ٥٨٢

من نصرتهم وخذل الكافرين (وحاق) نزل
(بهم ما كانوا به يستهزئون) أى حل بهم
العذاب الذى كانوا يستهزئون به ، وينكرون
وقوعه (فلما رأوا بأسنا) شاهدوا عذابنا
الموعود (قالوا آمنا) حيث لا ينفع الإيمان
وقتشذ (سنة لله) طريقته وعادته (التي قد
خلت) مضت (في عباده) السابقين (وخسر
هناك) وقت نزول العذاب (الكافرون)
خسروا حياتهم الدنيا بللوت ، وحياتهم
الأخرى بالجهنم !

بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّثُوا كَذِبًا إِذْ كُنَّا فِيهِ مُشْرِكِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمْ
يَكْ يَنْفَعْهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ
خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٠﴾

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ غَاثٍ

(سورة فصلت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَسَّ ١ نَزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَإِنْ ءَاذَانُنَا

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(نزيل) أى هذا القرآن «نزيل» (من)
الرحمن الرحيم) بعباده : أرسل لهم الرسل ،
وأنزل عليهم الكتب ، وأحاطهم بكل ما ينجيهم ،
وهياً لهم أسباب الإيمان واليقين (كتاب)
هو القرآن (فصلت آياته) بينت : بما احتوته
من أحكام ، وأوامر ، ونواه (بشيراً) لمن اتبعه
بالجنة (ونذيراً) لمن خالفه بالنار (فأعرض
أكثرهم) عن سماع هذا الكتاب وتدبره (فهم لا يسمعون) سماع تدبر (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية

وَقُرْ

(وفي آذاننا وقر) سمع (ومن بيننا وبينك حجاب) حائل ومانع ؛ يحول دون اتباعك ، ولما اتانا بما جئت به . ولم يكن ثمت مانع سوى عنادهم واستكبارهم (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) على ديننا (فاستقيموا إليه)

بالإيمان والطاعة (واستغفروه) عما فرط منكم ؛ ليصلح دنياكم وآخرتكم (وويل للمشركين . الذين لا يؤنون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) عبر تعالى عن لا يؤن الزكاة بالمشركين ، وأنه من الكافرين بيوم الدين . لأنه لو آمن بالجزاء ؛ لما بخل بالطاه ؛ فتدبر هذا أيها المؤمن (انظر آيتي ٢٥٤ من سورة البقرة ، و ١٤١ من سورة الأنعام) (غير ممنون) غير مقطوع (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) خلقها تعالى في يومين ؛ ولو شاء لخلقها في أقل من لحة ؛ وذلك ليعلم خلقه التدبر والأناة (وتجعلون له أندادا) شركاء ، ونظراء . والنذ : المثل (وجعل فيها رواسي) جبالا شاخات (وبارك فيها) بالماء ، والزرع ، والضرع ، والشجر ، والتمر (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ، ومعايشهم ، وما يصلحهم (ثم استوى إلى السماء) قصد ووجه إرادته وقدرته إليها (وحي دخان) بخار مرثقع كالسحاب ؛ والمراد أنها لم تكن شيئا مذكورا (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) فالتا أتينتا طائعين (هو على سبيل المجاز ؛ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان ، وامثالها ذلك الأمر : أنه تعالى أراد أن يكونها ؛ فلم يمنعا عليه ، ولم يسر عليه خلقهما ؛

وكاتتا في ذلك كالأمر الطبع ؛ إذا أمره الأمر الطاع (ففضاهن) خلقهن (وزينا السماء الدنيا) السماء الأولى (بمصابيح) كواكب (وحفظا) أي والكواكب فضلا عن كونها زينة للسماء ؛ فهي أيضا معدة لحفظها من الشياطين التي تسترق السمع (ذلك) الخلق ، والثرين ، والحفظ (تقدير العزيز) القادر في ملكه ، الفاهر في خلقه ، الغالب الذي لا يفل

وَقَرِّوْ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٢٥٤﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ الْكَوْكَبُ
 وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَذَلِّلْ لِلْمُشْرِكِينَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٥٥﴾
 إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ ﴿٢٥٦﴾ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الْآلِدَىٰ خَلَقِ الْآرْضَ
 فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَآدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٧﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ تَحْتِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
 أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّاعِلِينَ ﴿٢٥٨﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
 إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
 أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٢٥٩﴾ فَفَضَّهْنِ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا
 السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

(العليم) بخلقه (فإن أعرضوا) عن الإيمان ؛ بعد ظهور بواصت الإيقان (فقل) لهم (أنذرتمكم) أى أنذرتمكم
 وأنذرتم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ٥٨٤
 الجزء الرابع والعشرون

الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
تَمِثِلُ صَاعِقَةَ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ
بَنِي آدَمَ عَلَيْهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾
فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشْدُّ مِنْهُ قُوَّةً أَوْ لَرِيحُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشْدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيشٍ لِنُعَذِّبَهُمْ عَذَابَ
الْعِزِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَرُ
وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا
الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ أَعْدَادُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ

يوزعون

طرق الرشده وحنراهم من الوقوع في شرك الشيطان ، والسقوط في مهاوى الضلال (فاستجباوا العمي على الهدى) أى فاختاروا - برغبتهم وميلهم - الكفر على الإيمان (الغلاب الهون) المبهين (عما كانوا يكسبون) عما كانوا يعملون من المعاصي

(فهم يوزعون) يساقون بكثرة إلى النار ؛ بحيث يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا ما جاءوها) أي جاءوا القيامة ، أو جاءوا الجحيم (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) يشهد «سمعهم» بما سمع من القبية «وأبصارهم» بما رأيت من الحرام «وجلودهم» بما ارتكبت من زنا ؛ لأن المراد بالجلود : الفروج . والتعبير

عن الفروج بالجلود : من الكنايات الدقيقة ؛ وإلا فأى ذنب تأتبه الجلود الحقيقية ؛ إذا فسرناها على ظاهرها ؟ (وما كنتم تستترون) تستخفون من أنفسكم ؛ خشية (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) وكيف يستغنى الإنسان بذنبه من أعضائه وهي ملتصقة به ؟ أو كيف يستغنى بجرمته من جوارحه وهي أدواتها ، والسبيل إليها ؛ ولكنه لما كان هو المسيطر عليها ، الدافع لها ، المدير لارتكابها : كانت الإثم يحيط به ، والقاب واقفاً عليه . ولا أدري كيف يعصى الله تعالى عاصيه ، أو كيف يمجده جاحده ؛ وهو مطلع عليه ، وناظر إليه ، وجوارحه يوم القيامة شاهدة عليه ؟ وما أحسن قول القائل :

هل يستطيع جلود ذنب واحد

رجل جوارحه عليه شهود ؟

(وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم) من أنه لا يراكم ، وأنه «لا يعلم كثيراً مما تعملون» (أرداكم) أهلككم ، وأوقعكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) وقد كان في استطاعتكم أن تكونوا ضمن الفائزين ! (وإن يستعجبوا فما هم من المتبينين) أي وإن يطلبوا الرضا : فاهم من المرضين . وذلك لأن العتاب من علام الرضا ، والعتاب : مخاطبة الإدلال .

كما أن التوبيخ : مخاطبة الإدلال (وقيضنا) سخرنا وسلطنا (قرناء) أخداناً من الشياطين (وحق عليهم القول) وجب عليهم العذاب (في أمم قد خلت) قدمضت (والقوا فيه) أي شوشوا عليه بكلام ساقط ؛ لا معنى له ، ولا طائل وراءه

يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا
لَجُلُودُنَا لَمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ
فَأَنْتَسِبْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ يَصْبرُوا فَلَا تُرْ
مَتْنُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٣﴾
* وَقَیْضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَعْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾
ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لِنَجْعَلَهُمَا
تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسِفِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تُخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَاتَّبِعُوا بِالْحَقِّ أَنِّي كُنْتُ مُوْعِدُونَ ﴿٦٢﴾
نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٦٣﴾ نَزَّلَا
مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٦٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
إِلَى اللَّهِ وَحَمَلَ صَلَاحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٥﴾
وَلَا تُسَوِّى الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ

(لعلكم تتقون) المؤمنين ؛ بهذا الغفو
والغشوش (وقال الذين كفروا ربنا أرينا
الذين أضلانا من الجن والإنس) ما شيطاننا
الجن والإنس ؛ فإن شيطان الجن يوسوس إلى
بعض الناس بالمعصية ، ويوسوس إلى بعضهم
بالإغراء عليها ، والإيقاع فيها ، وكثيراً
ما يفوق شيطان الإنس شيطان الجن ؛ وهذا
ظاهر : فإن من شياطين الإنس من يفوق
يوسوسته وإغرائه شياطين الجن ؛ أعادنا الله
تعالى منها بمنه ، وحانا من كيدها بفضله ا
(انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) (إن
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) عملوا الصالحات
وأقاموا على التوحيد ا (تنزل عليهم الملائكة)
تنزل عليهم عند الموت ؛ فاثلين لهم (الأتخافوا
ولا تحزنوا وأتبعوا بالحق) ولذلك يرى
الميت الصالح ضاحكاً عند موته مستبشراً ا
وقيل : هذه البشرى في مواطن ثلاثة : عند
الموت ، وفي القبر ، وعند البعث (نحن أولياؤكم)
نصراؤكم . وهو قول المولى عز وجل . أو
من قول الملائكة التي تنزل عليهم بأمر ربهم
(ولكم فيها ما تدعون) ما يطلبون ، وما تمنون
(نزلنا) النزل : ما يعد للضيف من إكرام

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) إلى طاعته وعبادته ؛ وهو الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ا
(ادفع بالتي هي أحسن) أى إذا أساء إليك مسىء : فأحسن إليه . أو «ادفع بالتي هي أحسن» : بالصبر
عند الشدة ، والكظم عند الغضب ، والغفو عند القدرة !

(فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أى بسبب إحسانك لمن أساء إليك : يصير الذي بينك وبينه عداوة ؛ كالمصاحب المحب المخلص (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى وما يلقي ، ويوفى إلى هذه الخصلة الحميدة - التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ، والدفع بالتي هي أحسن - إلا أهل الصبر ، الذين لهم عند ربهم حظ عظيم ؛ إذ فازوا بجنته ، وحظوا بجمعه «إن الله مع الصابرين . . . وبشر الصابرين . . . والله يحب الصابرين . . . ولئن صبرتم لهو خيراً للصابرين» (ولما يترغتك من الشيطان ترغ) الترغ : الإغراء . أى فإن أغراك الشيطان على

٥٨٧

سورة فصل

ملا ينبغى ؛ من عدم الدفع بالتي هي أحسن ، ومقابلة الإساءة بأسوأ منها (فاستعذ بالله) الجأ إليه ، واطلب منه تعالى إنجاءك من كيده وشره ؛ فرب شرارة أذكت ناراً ، وكلة أشعلت حرباً ؛ وكما رأينا من مجازر بشرية ؛ ضاع فيها كثير من الأنفس البريئة ؛ بسبب كلة بسيطة ؛ كان علاجها شيء من الحلم ، وقليل من الكظم . وذلك من عمل الشيطان التموي المضل ا (ومن آياته) تعالى ؛ الدالة على قدرته ووحدانيته (الليل) وقد جعله لباساً ؛ لتسكنوا فيه (والنهار) مبصراً ؛ لتبتغوا من فضله (والشمس) وقد جعلها ضياءً (والقمر) نوراً . خلق الله تعالى كل ذلك لسبب ؛ ليدل به على وجوده ، وجوده ؛ فاتخذتم منها آلهة تعبدونها (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فإنهما مخلوقان أمثالكم (واسجدوا لله) المعبود ؛ واجب الوجود ا (الذي) خلقكم ، و (خلقهن) فكيف تعبدون المخلوق ، وتقدرون أحسن الخالقين ا ؟ (فإن استكبروا) عن عبادة الرحمن ، وأصرروا على اتباع الشيطان (فالذين عند ربك) من الملائكة عليهم السلام ؛ يعبدونه حق عبادته ، و (يسبحون له) يزهونه ويقدسونه (بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون من عبادته تعالى ، وتزبيحه وتقديسه

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٥٨٧ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ ٥٨٨ وَإِنَّمَا يَتَرَفَعُ مِنَ الشَّيْطَانِ تُرْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥٨٩ وَمِنَ آيَاتِهِ أَلَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٥٩٠ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ٥٩١ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَزْلَمْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُغْنِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥٩٢ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي بِنَارٍ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا

« يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (ومن آياته) دلائل قدرته وعظمته وسلطانه (أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة ؛ لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانفتحت (إن الذي أحياها) بالإنبات ؛ بعد موتها بالجذب (لحي الموتى) يوم القيامة للحساب والجزاء (إن الذين يلحدون في آياتنا) أى يغيرون في معانيها ، ويميلون بها عن الحق الذي نزلت به . أو «يلحدون في آياتنا» دلائل قدرتنا ؛ التي قدمناها وسقناها ؛ من أنزال الماء ، وإحياء الأرض . بأن يقولوا : إن نزول الماء ، بواسطة الأنواء ، وطلوع النبات بطبيعة الأشياء (أفمن يلقي في النار) بسبب كفره وعصيانه ، وإلحاده في آيات الله تعالى (خير أم من يأتي آمناً) من العذاب ؛ بسبب إيمانه ، وصالح عمله (اعملوا ما شئتم) هو غاية الإنذار والتهديد

(إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (وإنه لكتاب عزيز) منيع ، جليل ؛ لا يعتريه لغو ، أو تناقض (ما يقال لك) يا محمد ؛ من الطعن ، والسب ، والتكذيب (إلا ما قد قيل) مثله (لرسل) الذين أرسلناهم (من قبلك) كنوح ، ولوط ، وإبراهيم ؛ عليهم السلام (إن ربك لدو مفرقة) لمن تاب وآمن (وذو عقاب أليم) لمن كفر وغر ! (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً) الأعجمية : هي كل لغة تخالف اللغة العربية (لقالوا) عجبنا على

ذلك (لولا فصلت آياته) فلا بينت بالعربية حتى تفهمها (أعجمي وعربي) أى أقرأت أعجمي ، يرسل إلى عربي ؟ (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى طريق البر والخير ، ويوصلهم إلى الرحمة ، والنعمة ، والمغفرة ، والنعيم المقيم (وشفاء) لمها في الصدور ! وأقسم بكل عين غموس : أن القرآن الكريم كم أذهب أسقاماً ، وأزال آلاماً ، وشفى صدوراً ، وأبرأ جسوماً ! وليس ينقص من قدره ، ولا يباض من فضله : أن يتخذ أناس أداة لتكسب والاحتيال . وقد ورد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يرقون اللدني بماء الكتاب : فيدأ لوقته ، ويقوم لساعته . وقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك . فأنعم به من هدى ، وأكرم به من شفاء ! وهو فضلا عن شفاؤه الأسقام والأوجاع ؛ فإنه يشفي كل من آمن به ؛ من الشك والريب (والذين لا يؤمنون) هو (في آذانهم وقر) سم (وهو عليهم عمى) يطمس قلوبهم ، ويصم أبصارهم ويصمئهم (أو لك) الذين لم يؤمنوا بالقرآن ؛ وأصموا أسماعهم عن تلقه ، وأغصموا عن رؤية ما فيه ، وقلوبهم عن تفهم معانيه (ينادون) يوم القيامة (من مكان بعيد) ينادون بأسوا الصفات ، وأقبح السمات : فضيحة لهم ، ولزراء بهم ، وتقيحاً لأفعالهم . أو هو تشبيه

تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَرَبِيٌّ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ مُبِينٍ ۚ مَا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوْ مُفِرَّةٌ
وَذُوْ عِقَابٍ أَلِيمٍ ۚ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا
لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۚ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْ آذَانِهِمْ وَقُرْ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاسْتَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ۚ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلَنَنْفِخَ بِهِ مِنْ أَسَاءٍ
فَعَلَيْنَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۚ * إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ

أَنْتَى

لعدم استماعهم للنصح في الدنيا ؛ كمن ينادى من مكان بعيد ؛ فلا يسمع النداء (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء والعقاب إلى يوم القيامة (لفضى بينهم) في الدنيا (ولهم لفي شك منه) أى في شك من القرآن (مريب) موقع في الريبة (إليه) تعالى وحده (يرد) يرجع ؛ لا إلى أحد من خلقه (علم الساعة) معرفة القيامة ، ومتى تقوم ؟ (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أوعيتها ؛ قبل أن تنشق عن الثمرة

(ويوم يناديهم) أى ينادى المشركين ؛ فاثلا لهم (أين شركائى) الذين أشركتموم معى فى العباداة (قالوا أذنالك) أى أعلنالك (ماننا من شهيد) أى ماننا من أحد يشهد ، أو يقول : إن لك شريكاً ؛ بعد أن عاينا ما عاينا . أو ماننا من أحد يشاهدكم الآت وبرام ؛ حيث لمنهم ضلوا عنهم (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يدعون) يعبدون من الأصنام (وظنوا) تيقنوا أنهم (مالهم من محيص) مهرب من العذاب (لا يسأم الإنسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب المال والعافية (وإن مسه الشر) الفقر ، أو المرض (فيؤس قنوط) من رحمة الله تعالى واليأس والقنوط : كسر (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) أى لئن أذقناه عافية من بعد سقم ، أو غنى من بعد فقر ؛ ليقولن : هذا لى . أى هذا من حقى ؛ استوجبته بتقوى وصلاحي ، أو بقوى واجتهادى . وهو فى عداد المتكبرين ، وفى مقدمة المرائين (وما أظن) أن (الساعة فاعمة) كما يزعم محمد (ولئن) قامت كما يقول ، و(رجعت لى ربى) يوم القيامة (لأن لى عنده للحسن) للجنة ؛ وهى الجزاء الحسن . وذلك لأن الكافر والمرأى يريان أنها أولى الناس فى الحياة الدنيا بالنعمة ، وأحقهم بالعافية ، وأنها أجدر الناس فى الآخرة بالثواب والنعيم (ولذا أنعمنا على الإنسان) بسعة وغنى (أعرض) عن العكر والعبادة (ونأى بجانبه) تباعد عن فعل الخير (ولذا مسه الشر) الفقر ، أو المرض (فدو دعاء مريض) أى دعاء كثير (قل أرايتم لمت كان) هذا القرآن (من عند الله) كما يقول محمد (ثم كفرتم به) كمالكم الآن (من أضل) أى لا أحد أضل (من هو فى شقاق) خلاف فى شأن القرآن وصحته (بعيد) عن الحق والإيمان (سنريهم آياتنا) دلائل وحدانيتنا

أَنْتُمْ وَلَا تَضَعُ إِلَّا إِلَهِيَّهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَاذْنُكَ مَبْنِيْنَ مِنْ شَهِيدٍ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ مِنْ مَحْصِيْنَ ۖ لَا تَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۖ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ لِيَكُنَّ مِنِّي لَأَمْرٌ إِنَّ لِيَ عِندَهُمُ الْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ ظَهْرًا وَجَاءَنِيهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوعًا عَرْمِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۖ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

وقدرتنا (فى الآفاق) أقطار السموات ؛ وما فيها من كواكب وروج ، وأنجم وأفلاك . وأقطار الأرض ؛ وما فيها من جبال وبحار ، وفات وأشجار ، ومعادن وجواهر ، وغير ذلك (و) سنريهم أيضاً آياتنا (فى أنفسهم) من بدع الصنعة ، ومزيد الحكمة ؛ وكيف أنشأناهم من ماء مهين ؛ فكانوا بشراً وصهراً ؛ أو (سنريهم آياتنا فى الآفاق) بفتح البلاد للسلمين (وفى أنفسهم) بفتح مكة . أو آيات الآفاق : خراب ديار الأمم السابقة المكذبة ، وآيات النفس : الأمراض والبلايا (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى القرآن ، أو الإسلام ، أو أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم هو الرسول الحق (أولم يكف بربك) أى أولم يكفهم للإيمان بربهم : ما سألهم من أدلة وجوده وتوحيده ؟!

ثَنَى وَشَيْدُ ① أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ②

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ
أَلَا الْآيَاتُ ٢٢ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ فِي ذِيئَةِ
وَالْأَيُّهَا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ فَضَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ① عَسَقٌ ② كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ⑤ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ ذُرِّيَةِ أَوْلِيَائِهِ اللَّهُ حَفِظَ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ⑥ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ

و (أنه على كل شيء شهيد) مشاهد وعالم ،
وجاز عليه (ألا إنهم في مرية) في شك (من)
لقاء ربهم) ونوابه وعقابه ؛ يوم القيامة
(ألا إنه بكل شيء محيط) قدرة وعلماً .

(سورة الشورى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم . عسق) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(كذلك) أى مثل ما أوحينا إلى كثير من
سبقت من الأنبياء (تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن) أى يتشققن من ظلم العباد ،
وادعائهم أن الله شريكاً وولداً (ويستغفرون
لمن في الأرض) من عصاة المؤمنين ؛
أما الكافرين فلا شفاعة لهم ، ولا استغفار
يقبل بشأنهم (إن تستغفروا سبعين مرة فلن
ينظر الله لهم) (من دونه) غيره تعالى
(أولياء) يعبدونهم ويوالونهم (الله حفيظ
عليهم) أى حافظ لما يقولون ، وما يعملون ؛
فحاسبهم عليه

إِلَيْكَ قُرْءَانًا عربياً نُنذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَنُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
فِي السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يَدْخُلُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ
أَوَّلَىٰ بِغُلَامَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝
* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(ننذر أم القرى) مكة ؛ لأنها أشرف البقاع ، ومنها انتشر الدين (ومن حولها) يشمل سائر الأرض ، وجميع الناس (وتنذر يوم الجمع) (وتنذر يوم الجمعة) ؛ لأن أي تنذر يوم الجمع ؛ وهو يوم القيامة ؛ لأن الخلائق تجمع فيه للحساب والجزاء (لا رب فيه) لا شك في حدوده وجميته ؛ ويومئذ يكون الناس (فريق في الجنة) وهم المؤمنون (وفريق في السعير) وهم الكافرون (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) على دين واحد ؛ وهو الإسلام (ولكن يدخل من بيناه) في جنته ونعمته ؛ لإيمانه بربه ، واستجابته لرسله (والظالمون) الكافرون (الملم من ولي) يفهمهم (ولا نصير) ينصرهم من الله ويدفع عنهم عذابه (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا (من دونه) غيره (أولياء) وهم الأصنام (فإن الله هو الولي) الحق ؛ الذي يهدي من يتولاه في دنياه ، وينجي في آخره (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي إلى ما أنزل الله في كتابه ؛ من الشرائع والأحكام (ذلكم الله ربى عليه توكلت) في سائر أمورى (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإليه أُنِيب) أرجع في أمورى كلها (فاطر السموات والأرض) خالقها من غير مثال سبق (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) لتسكنوا إليها (و جعل لكم من الأنعام أزواجا) ذكرانا وإناثا ؛ لحفظ نسلها ، وتعام فمعها لكم (يفرؤكم فيه) يخلقكم ويكثركم ؛ بواسطة التزاوج (له مقاليد السموات والأرض) أي ملكهما . والمقاليد : المفاتيح ، أو الأبواب ، أو الخزائن (ويقدر) ويضيق (شرع) بين وأظهر (ما وصى به نوحا) ما شرعه نوح عليه السلام ؛ وهو أول الأنبياء شريعة

(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ لَهُ وَحْدَهُ (وَلَا تَتَفَرَّقُوا) لَا تَخْتَلِفُوا (كَبْرَ عَظَمَ ، وَشَقَّ (أَلَّهُ يَجْنِي) يَخْتَارُ (إِلَيْهِ) إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَإِلَى دِينِهِ ، وَإِلَى تَوْحِيدِهِ (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَنْبِبُ) مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَيَقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِهِ (وَمَا تَفَرَّقُوا) أَيْ مَا تَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الدِّينِ ؟ فَآمَنَ بَعْضُهُمْ ، وَكَفَرَ الْبَعْضُ الْآخَرُ (لَا مَنْ يَبْعَدُ مَا جَاءَهُمْ) جَيْبًا (الْعِلْمُ) بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَبِحَقِيقَةِ

الجزء الخامس والعشرون

٥٩٢

تَوْحِيدِهِ ، وَصِحَّةِ دِينِهِ ، وَصَدَقَ رِسَالَهُ . وَهُوَ عِلْمٌ مُسْقَطٌ لِلْمَعْرِفَةِ ، مُوجِبٌ لِلتَّكْلِيفِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ كُفْرُ الْكَافِرِينَ (بِفَيْئِهِمْ) ظُلْمًا وَاسْتِعْلَاءً ، وَطَلَبًا لِلرَّئِيسَةِ . أَوِ الْمُرَادُ بِ«الْعِلْمِ» الرِّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ . قَالَ تَعَالَى : «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ» (انْظُرْ آيَةَ ٨٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) (وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وَقَدْ مَعْلُومٌ ؛ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (لَقَضَى بَيْنَهُمْ) بِعَذَابِ الْمَكْذِبِينَ ، وَإِهْلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا (وَلِأَنَّ الدِّينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ) أَيْ نَزَلَ إِلَيْهِمْ ، وَوَرِثُوا عِلْمَهُ ؛ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (لَنِي شَكُّ مِنْهُ) مَنْ مَحَدَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَلَنُكَالَ) الدِّينَ الْقِيمَ وَالْإِلَهَ الْوَاحِدَ (فَادْعُ) النَّاسَ (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) لَا تَمْرَ مَزَاجِهِمْ التَّفَاقُتَ (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) عَلَى ، وَعَلَى الرِّسَالِ السَّابِقِينَ (وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) فِي الْحُكْمِ - إِذَا تَخَاصَمْتُمْ - وَفِي قِسْمَةِ الْفَنَاءِ ، وَفِي كُلِّ مَا تَعْتَمِدُونَ إِلَى فِيهِ (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) أَيْ نَحْنُ نَتَّخِذُ بِأَعْمَالِنَا ، وَأَنْتُمْ تَتَّخِذُونَ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ لَا يَتَّخِذُ أَحَدُنَا بِعَمَلِ الْآخَرِ (لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أَيْ لَا حِجَةَ قَائِمَةً تَحْجُبُكُمْ بَيْنَا عَلَيْنَا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ عَنَادٌ وَمُكَابَرَةٌ (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَقِيَّتِهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ وَلِأَنَّ الدِّينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنِي شَكُّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٩٠﴾ فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَهَنَّمُ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٩٢﴾

اللَّهُ

الْقِيَامَةِ (وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ) فَيُجِيبُ الطَّالِعَ ، وَيَأْخُذُ الْعَاصِيَ (وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ) يَحْمِلُونَ (مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ) أَيْ بَعْدَ مَا اسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ ، وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَفْوَاجًا . أَوْ مَنْ بَعْدَ مَا قَامَتِ الْحُجُجُ الظَّاهِرَةُ ، وَالْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ ؛ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَبِذَلِكَ وَجِبَتْ الِاسْتِجَابَةُ لَهُ ؛ وَالْإِيمَانُ بِهِ ! (جَهَنَّمُ دَاحِضَةٌ) بِأَمَلَةٍ سَاطِعَةٍ

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْعِزَّةِ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ
 الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يَرْيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ تَزِدْ لَهُ فِي
 حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يَرْيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
 مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ فِيهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
 حِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ ذَلِكَ الَّذِي

(بالحق) بالصدق ، وأنزل (الميزان) أقام
 العدل ، وأمر به ؛ لأن الميزان : آلة الإنصاف
 والعدل . وربما أريد بالميزان : العقل ؛ لأن
 به توزن الأمور ، ويفرق بين الخير والشر ،
 والحق والباطل (مشفقون) خائفون (يمارون)
 يجادلون (الله لطيف بعباده) بالعصى منهم
 والطائع ، والكافر والمؤمن ؛ يرزق كلا
 النوعين ، ويمتخ كلا الصنفين : لطف بأوليائه
 حتى عرفوه ؛ ولو لطف بأعدائه لما جعلوه
 ولما كان لطفه بهم من ناحية الرزق والحفظ
 (وهو القوى) على صراذه (العزير) الغالب
 الذي لا يقلب (من كان يريد حث الآخرة)
 أى ثوابها . لما كان العامل في هذه الدنيا
 كالزارع الذي خدع الأرض وسقاها : جعل
 جزاؤه وثوابه على عمله في الآخرة كالحرث
 (أم لهم) أى للمشركين (شركاء) آلهة
 (شرعوا لهم من الدين) ما لم يأذن به الله
 كالشرك ، ونسبة الولد لآله تعالى (ولولا كلمة
 الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء ليوم
 القيامة (لفضي بينهم) بالعقوبة التي يستحقونها
 (ولان الظالمين) الكافرين (مشفقين) خائفين
 (مما كسبوا) من جزاء ما عملوا من المعاصي
 (وهو واقع بهم) أى نازل بهم العذاب ، الذي هو جزاء ما كسبوا

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أى لا أسألكم على التبليغ أجراً؛ إلا أن تودوا قراباتكم ، وتصلوا أرحامكم . وقيل : المراد بالقرابة : قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام . وهو محدود ؛ لأن مودة قرابة الرسول - ولو أنها فرض على كل مؤمن - فإنها تعتبر أجراً على التبليغ ، وسباق القرآن الكريم يتنافى ذلك في سائر مواضعه . وقيل : «إلا المودة في القربى» أى إلا أن تودوني وتكفوا عن إذائي ؛

الجزء الخامس والعشرون

٥٩٤

لقرابتي منكم (ومن يقترب) يكتسب (حسنة) طاعة (تزد له فيها) في أجرها (حسناً) أى تضاعفها له (فإن يشأ الله يحتم على قلبك) أى يربط عليه بالصبر على أذام ، وتكذيبهم لك (إنه عليم بذات الصدور) بمكنونات القلوب (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) توبة العبد : هو أن يندم على ما ارتكبه من الذنوب ، ويصعد ما فاته من الفرائض ، ويرد ما اكتسبه من المظالم (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يجيبهم الله تعالى إلى ما يسألونه . واستجاب ، وأجاب بمعنى (وزيديم) فوق مطلوبهم (ولو بسط الله الرزق لمياده لبغوا في الأرض) أى لو أغناهم : لاستكبروا وظلموا (ولكن ينزل الرزق بقدر) بتقدير (ما يشاء) فيبسطه لأناس : يستحقون البسط ، أولاً يستحقونه ؛ جديرون بالأكرام ، أو غير جديرين به . ويقبضه عن أناس : يستوجبون القبض ، أولاً يستوجبونه ؛ جديرون بالامتنان ، أو غير جديرين به . وفي كلا الحالين : هو الحكيم العليم ؛ الذي يعلم ما يصلح عباده ، وما يصلحهم . جاء في الحديث القدسي : «إن من عبادي من إذا أغنيته ففسد حاله ، ومنهم من إذا أفقرته ففسد حاله» (إنه بعباده خير) بما يصلحهم (بصير) بجهالتهم ؛ أكثر من إصغارهم لها ! (وهو الذي ينزل الغيث) المطر

يُنْزِلُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١١٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَتَمُوتُ أَلْفُ بَنِي إِسْرَافِيلَ يَوْمَئِذٍ يَخْلَعُ لِكُلِّ فَتْنَةٍ آلَاءَهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْكُلُونَ ﴿١١٢﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١١٣﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ يُعَادِدُ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿١١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١١٥﴾

وَمِنْ

(من بعد ما قنطوا) أى من بعد بأسهم وقنوطهم من نزوله . وسمى المطر غيثاً : لأنه يغيث الناس من الفقر والجوع . ولذا سمي السكلاً غيثاً : لأنه يغيث الماشية (وينشر رحمته) يبسط رزقه بالإنبات ؛ الذي هو نتيجة للمطر (وهو الولي) الذي ينصر أوليائه ، ويواليهم (الحميد) المحمود على أى حال : في السراء والضراء ، والتماء والبأساء !

(وما بث) فرق ، ونشر (فيهما) أى فى السموات والأرض (من دابة) الدابة : كل ما يدب على وجه الأرض : من إنسان ، وحيوان ، وطائر ، ونحو ذلك . وقد يقال : هذا بالنسبة لما يدب على وجه الأرض ؛ فما الذى يدب فى السموات ؟ والجواب على ذلك : إن كل ما علاك ؛ فهو سماء : فالكواكب ، والأنجم ، والأفلاك : سموات ؛ والذى يدب فيها : هو ما يدب على أرض تلك السموات من سكان وأملاك ، لا يملها سوى بارئها سبحانه وتعالى ! (وما أصابكم من مصيبة) بلية ، وشدة ؛ فى المال ، أو فى الأهل ، أو فى

الجسم (فما كسبت أيديكم) من المصائب (ويغفو عن كثير) ولولا عفوه تعالى ؛ لأحاط بكم البلاء من كل جانب ، ولحلت بكم الأرزاء من كل صوب ! (وما أنتم بمعجزين) بفائتين ، أو بفالبيين (وما لكم من دون الله) غيره (ومن آياته) الدالة على قدرته (الجوارى فى البحر كالأعلام) السفن التى تجرى فى البحر كالجبال (إن يشأ) تعالى (يسكن الريح) التى تدفع السفن ، أو يمنع خاصية الماء فى حملها ؛ فينخلع عما على ظهره (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) أو غرقى فى قعره ! وهو أمر مشاهد محسوس ؛ فقد تكون سفينة من أضخم البواخر ، وأقوى المواخر ؛ فيدركها أمر الجبار القهار ؛ فتتهار فى قعر البحار : بغير سبب ظاهر سوى إرادته ، ولا علة غير مشيئته ! وكيف تقوى على السير ؟ وقد تخلى عن حفظها التقدير الحكيم !؟ وقد تكون سفينة أخرى من أخس المراكب ، وأحقر القوارب : تسير فى خضم الأمواج ، وسط العجاج ؛ كالسهم المار ، وكالسيل الدافق ؛ وما ذاك إلا بحفظ الحفيظ العليم ، الرحمن الرحيم ! (إن فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لكل صبار) كثير الصبر على الطاعة ، وعن المعصية ، وعلى البلاء الذى يقدره الله تعالى (شكور) كثير الشكر على ما يوليه المولى من

وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّ كَثِيرٌ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ إِنَّ بَشَأً يُسْكَرُ الْبَحْرَ فَيَظْلَن رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ مَا كَسَبُوا يَنْفَعُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجْتَلِبُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ۝ فَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَفُتِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

فضله وأمنه ! (أو يوقن) يهلكن بالإغراق (بما كسبوا) بما عملوا من الذنوب (ما لهم من محيص) من مهرب (فا أوفيتهم من شيء) نعمة فى هذه الحياة (فتاح الحياة الدنيا) الزائل الفانى (وما عند الله) من نعم الآخرة (خير) من متاع الحياة الدنيا (وأبقى) لأنه دائم ؛ لا انقطاع له أبداً (والذين يجتنبون كبائر الإثم) كبائر الذنوب (والفواحش) الذنوب الفاحشة : كالزنا ، والقتل . أو هى كل موجبات الحدود (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى إذا أغضبهم أحد : عفوا عنه ، وتجاوزوا عن ذنبه

(وأمرهم شورى بينهم) وصف تعالى المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ؛ ليندل على أن أرق النظم وأسماءها :
 هي النظم الديمقراطية ، وأن الاستبداد ، في الحكومات : ليس من نظام الدين ، ولا من شأن المؤمنين ؛
 وأن الدول التي تسير بالنظم البرلمانية : هي أولى الحكومات بالتقدير والإكبار ؛ والله در القائل :

أقرن برأيك رأي غيرك واستشر
 للبرء صراحة تزيه وجهه
 فالحق لا يخفى على اثنين
 وري قفاه بجمع صرايين

الجزء الخامس والعشرون

٥٩٦

(وعما رزقناهم ينفقون) يتصدقون ، وينفقون
 ابتغاء وجهه تعالى (والذين إذا أصابهم البغي)
 وقع عليهم الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون
 ممن ظلمهم: غير متجاوزين الحد ، ولا مسرفين
 في الانتقام (وجزاء سيئة سيئة مثلها) لما
 قال سبحانه وتعالى «وإذا ما غضبوا هم ينفرون»
 وكانت الآية مطلقة : آصرة بالغفران من غير
 قيد ولا شرط ؛ وربما تعالى الأخذ بها ؛ فصار
 ذليلاً ، مهاناً ، جباناً : ينال منه عدوه ؛ فلا
 يحرك ساكناً ؛ قهون نفسه عليه . ولقد يما
 قال الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هواناً بها ؛ كانت على الناس أهواناً

لذا الحقها تعالى بهذه الآية : «وجزاء
 سيئة سيئة مثلها» من غير بغي ، ولا إسراف
 (فمن عفا) عن ظلمه: خشية استفعال الضرر ،
 وكبحاً لجراح الضرر ، ورجاء أن يعود الباغي
 عن بغيه ، والظالم عن ظلمه (وأصلح) قلبه
 ومعاملته ؛ فإذا الذي بينه وبينه عداوة كأنه ولي
 حميم (فأجره) جزاء عفوه وحلمه (على الله)
 يكافئه عليه في الدنيا والآخرة (ولن انتصر
 بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أي إن
 من أخذ حقه ممن ظلمه ، وعاقب بمثل ما عوقب
 به : ليس لأحد عليه من سبيل لمعاقبته ، أو

لربهم وأعلموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم وبما
 رزقناهم ينفقون ٥٩٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
 يَنْتَصِرُونَ ٥٩٧ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا ٥٩٨ فَمَنْ عَفَا
 وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٥٩٩ وَلَمَنِ
 انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٦٠٠
 إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٠١
 وَلَمَنِ صَبَرْ وَعَفَرْ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٦٠٢
 وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَبِيلٍ مَنْ بَعْدِهِ وَتَرَى
 الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَّةٌ مِمَّن
 سَبَّلَ ٦٠٣ وَتَرَاهُمْ يَعْزِفُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِمَّن
 أَلْزَلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
 الْغُلَسِيرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

معاقبته ؛ وبعد ذلك غلب الحليم الغفار : العفو ، والحلم ، والصبر ، والمنفرة ؛ قال تعالى (ولن صبر) على
 أذى الغير ؛ فلم ينتصر لنفسه ، ولم يوسع دائرة الشر ، وبذلك نيران العداوة والبغضاء (وعفر) تجاوز
 عن ذنب من أذنب في حقه ؛ واستبدل عداوته حبا ، وبعده قريباً ؛ (إن ذلك) الصبر ، والحلم ، والغفران
 (لن عزم الأمور) أي من الأمور المستعجبة ، المؤدية إلى الخير دائماً ؛ (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما
 رأوا العذاب) الممد لهم (يقولون هل إلى مرد) رجوع إلى الدنيا (من سبيل) يطلبون الرجوع إلى الدنيا
 ليؤمنوا «ولورودوا لمعادوا لما نهوا عنه» (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين) خاضعين ذليين ؛
 من شدة الهول والرعب (ينظرون) إلى النار (من طرف خفي) ذليل ؛ كما ينظر المحكوم عليه إلى سيف =

= الجلاء (إن الحاسرين) حقاً : هم (الذين خسروا أنفسهم) بوقوعها في الجحيم ، والمذاب الأليم (و) خسروا (أهلهم) وذلك لأن أهلهم إذا كانوا صلحاء : فهم في الجنة ، وإذا كانوا غير صلحاء : فهم في النار ؛ فلا انتفاع بهم في كلا الحالتين . أو خسروا أهلهم من المحور العين (استجيبوا لربكم) أحيوه لمادعائكم إليه (وما لكم من نكير) من إنكاركم ؛ أى لا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ؛

إذ أن سمعكم ، وأبصاركم ، وأيديكم ، وأرجلكم وجلودكم ؛ ستشهد عليكم بما كسبتم (فا أرسلناك عليهم حفظة) تحفظ أعمالهم ، وتلزمهم بما لا يريدون (رحمة) نعمة ، وغنى وحنّة (وإن تصبهم سيئة) بلاء ، وفقر ، ومرض (بما قدمت أيديهم) أى بسبب معاصيهم (فإن الإنسان كفور) يؤس قنوط : بعدد معاصيه ، وينسى أنعم الله تعالى عليه «إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً» (لله ملك السموات والأرض) وما فيها ؛ خلقاً ، وملكاً ، وعبيداً (يخلق ما يشاء) هو ؛ لا ما يشاؤه الناس (يهب) بفضله (لن يشاء) أن يهب له (إننا) ويهب لن يشاء الذكور حسب حاجة الكون والبشرية ؛ لا وفق هوى الوالدين ؛ وذلك بالقدر الذى يكفل عمار الدنيا وحفظ النوع الإنسانى (أو يزوجهم ذكراً وإنثاً) أو يهب لن يشاء الصنفين : ذكراً وإنثاً (ويجعل من يشاء عقيم) لا نسل له (إنه عليم) بما يجب أن يكون (قدير) على كل شيء يريد (وما كان للبشر) أى وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا وحياً) إلهاماً ، أو رؤياً في المنام ؛ لأنها وحى . قال تعالى «أو أوحى ربك إلى النحل ... وأوحينا

إِلَّا إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْبِرٍ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ لِمَنْ مِنْ أُولِيَاءَ يَبْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يُضِلَّ اللَّهَ قُلُومَ مَنْ سَبِيلَ ﴿٦٠﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٦١﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٦٢﴾ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٦٣﴾ أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٦٤﴾ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ

إلى أم موسى» (أو من وراء حجاب) كتكليم موسى عليه السلام : سماع بدون رؤية . والمقصود بالحجاب : حجب السامع ، لا المتكلم . تعالى الله عن أن يحجبه حجاب ، أو يستره ساتر ! (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه) الرسول : هو جبريل عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه رسول الله تعالى إلى أنبيائه (انظر آية ٢٢ من سورة الروم)

(إنه على) عظيم ، متعال عن صفات المخلوقين (حكيم) في صنعه : لا يعمل إلا ما تقتضيه المصلحة ، وتستوجب الحاجة (وذلك أوحينا إليك روحاً) هو القرآن الكريم ؛ إذ فيه حياة القلوب من موت الجهل ؛ بل هو روح الأرواح ! أو المراد بالروح : جبريل عليه الصلاة والسلام (من أمرنا) أى بأمرنا الذى نوحى إليك ؛ و (ما كنت تدري) من قبل أن نوحى إليك (ما) هو (الكتاب ولا) ماهو (الإيمان) والمقصود بالإيمان الذى لم يكن يدركه محمد بن عبد الله ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وقد اختاره الله تعالى لهداية

المالين ؛ وهو في أصلاب آباءه وأجداده -

٥٩٨

لأنما أريد به شرائع الإيمان ، وأحكامه ، ومعامله . وقد تمازجت الأخبار والآثار على تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن النقائص منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد منذ درجوا ، ولاحظتهم بأنواع اللين واللطائف ، وإشراق أنوار المعارف ؛ وليس محمد بأقل شأنًا من يحيى - وقد أوتى الحكم صبيًا - ومن عيسى - وقد أوتى الكتاب وجعل نبياً في مهده - ولا من إبراهيم - وقد أوتى رشده من قبل - صلوات الله تعالى وسلامه على سائر أنبيائه ورسله ؛ أو المعنى : « ما كنت تدري ما الكتاب » لولا الرسالة « ولا الإيمان » لولا الهداية ؛ (ولكن جعلناه) أى القرآن (نوراً) ينير القلوب والنفوس ، ويجلو الأبصار والبصائر ، ويشرح الصدور ؛ فهو نور النورا (تهدى به من نشاء من عبادنا) الذين اتقادوا لأمرنا ، واستمعوا لكلامنا :

رب إن الهدى هداك وآيا

تك نور تهدي بها من نشاء

(وإنك تهدي) بما به هديت ، ونرشد إلى ما به رشدت (إلى صراط) طريق (مستقيم) واضح ، بين الاستقامة (صراط الله) دينه القويم ؛ (ألا إلى الله تصير الأمور) ترجع :

فيقضى فيها بما يشاء ، ويحكم فيها بما يريد « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسين »

(سورة الزخرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) انظر آية ١ من سورة البقرة (والكتاب المبين) الواضح (في أم الكتاب) اللوح المحفوظ (لدينا) عندنا (لعل) عال على سائر الكتب (حكيم) حكم ؛ ذو حكمة بالغة (أنضرب عنكم الذكر صفحاً) أن كنتم قوماً مسرفين (أى أنفسكم عنكم نزول القرآن إمساكاً ؛ لأنكم قوم مسرفون في الكفر وارتكاب المعاصي

عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

(٥٣) سورة الزخرف وكيفية

الآية ٥٣ من سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكَ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّمَا فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ ۝ أَنْضَرِبْ عَنْكَ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ

قوماً

قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿١﴾ وَكَرَّزْنَا مِنْ نَجِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣﴾ فَأَهْلَكْنَا
أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ
نُخْرِجُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ
الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿٨﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي حَمَلَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّا إِلَى
رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ
الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١١﴾ أَمْ أَخَذْنَا مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتِ

(ومضى مثل الأولين) أى سلف في القرآن
ذكر الأمم السابقة ، وما حل بها من التعذيب
والتنكيل ؛ جزاء كفرهم وتكذيبهم (الذى
جعل لكم الأرض مهذا) فرشاً ؛ كالهدى الذى
هو فرش الصبي (وجعل لكم فيها سبلاً)
طريقاً فيها تمشون ، وطريقاً منها تتعيشون
(والذى نزل من السماء ماء بقدر) بتقدير :
بقدر حاجتكم إليه ؛ ولم ينزله كثيراً فيغرق ،
ولا قليلاً فيقسط « وكل شئ عنده بمقدار »
(فأنشأنا به) أحيينا به . ومنه قوله تعالى
« كذلك النشور » أى الأحياء (بلدة ميتة)
جديدة ؛ لا نبات فيها (كذلك) أى مثل إخراج
النبات من الأرض الجدية (تخرجون) من
قبوركم يوم القيامة (والذى خلق الأزواج كلها)
الأصناف كلها (من الفلك) السفن (والأنعام)
الإبل (لنستوا على ظهوره) أى ظهور السفن
والأنعام (ثم تذكروا) تذكروا (نعمة ربكم)
عليكم ؛ بتسخير الفلك والأنعام ؛ ليزيد فكم
وراحتكم (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين
(وإننا إلى ربنا لمنقلبون) لراجعون إليه ؛
فجاءنا على شكرنا ، أو كفرنا (وجعلوا له
من عبادته جزءاً) بقولهم : عيسى ابن الله ،
والملائكة بنات الله . لأن الولد جزء من الوالد ؛ وهم من عبيده ، لا من أبنائه (إن الإنسان لكفور
مبين) بين الكفر

(وأصفاكم بالبين) أى اختصكم بهم (وإذا بصر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) أى إذا بصر بالآية ؛ لأنهم كانوا يقولون : للثالثة بنات آفة (ظل) دام (وجهه مسوداً) من الحزن والحسرة (وهو كظيم) ممثلاً غيظاً وغماً (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أى أوينسب للرحمن من الولد من هذه صفته ؟ وهو أنه «ينشأ» أى يتربى «في الحلية» أى في الترف والزينة ؛ وإذا احتاج إلى تقرير دعوى ، أو لإقامة حجة : كان «في الخصام غير مبين» أى غير قادر ؛ لضعف حجته ، وخلل رأيه . وذلك أنهم نسبوا إليه سبحانه الولد ؛ مع نسبة أخس النوعين - في نظرم - وهو البنات ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (أشهدوا) أحضروا (خلقهم) أى خلق الملائكة ؛ فعملوا أنهم لإناناً كما يزعمون . أو هو من الشهادة ، لا المشاهدة (سنكتب) في صحائف أعمالهم (شهادتهم ويسألون) عنها يوم القيامة ، ويحاسبون عليها (وقالوا) كفراً ، وعناداً ، ولجاجاً (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو أراد الله أن يمننا عبادة الملائكة لمنعنا . ومى كلمة حق أريد بها باطل ؛ إذ أن الله تعالى لو شاء أن يؤمن الناس جميعاً آمنوا ، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولأنما يكون ذلك الإيمان ، وتلك الهداية على سبيل التيسر والإلجام . وقد هدى الله تعالى الناس جميعاً بخلق القول والأقيدة ، وبث الرسل ، ولإزالة الكتب ؛ ففهم من استجاب لداعى مولاه : خياه واجتبه ، ومنهم من استجب النواية على الهداية ، واختار الكفر على الإيمان ؛ فاستوجب الحرمان والنيران ! قال تعالى «وأما عباد فهديناهم لاستحيوا العى على الهدى» (ما لهم بذلك من علم) أى ما لهم من علم بمشيئة الله تعالى وإرادته ؛ حتى يتبعوها ، ويحتجوا بوقوعها (إن هم إلا يخرون) يكذبون (أم آتيناهم كتاباً من قبله) أى قبل القرآن ؛ قلنا فيه بعبادة الملائكة ، أو يبنافيه

مشيئتنا لذلك (فهم به مستسكون) أى بهذا الكتاب (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين . والأمة : الطريقة التى تقصد ، ومنه الإمام (وكذلك) مثل الذى حدث من قومك ؛ من احتجاجهم بهذه الحجج الواهية الواهنة : احتج الأمم السابقة على رسلهم ؛ و (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) ينفرها غضب الله تعالى ، ويخوفها عقابه (إلا قال مترفوها) متمتعوها ، مثل قول هؤلاء (إنا وجدنا آباءنا على أمة) ملة وطريقة (قل) لهم يا محمد مقنناً ومتلطفاً (أولو جشكم بأهدى) بدين أهدى (وما وجدتم عليه آباءكم) وهنا يظهر عنادهم ، وتضخ نواياهم وخفاياهم ؛ ويقولون : (إنا بما أرسلتم به) أنت ومن سبقك من الأنبياء (كافرون) لا تؤمن به ؛ ولو ظهرت صحتة ، وبانت هدايته ؛ وأصروا على عبادة الأصنام ، =

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٠

وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَيْنِ ۖ وَإِذَا بَصَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۚ
أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۚ
وَجَعَلُوا لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتِنَا أَشْهَدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَسُئِلُونَ ۚ وَقَالُوا لَوْ
شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ۚ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
مُتَسَكِّبُونَ ۚ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ
وإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ۚ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ۚ
۞ قُلْ أُولَٰئِكَ حِجَّتُكُمْ بِالْهُدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ

فَانظُرْ

دون الملك العلام ؟ فهل بعد هذا يجوز لثلهم أن يقول : «لو شاء الرحمن ما عبدناهم» لقد بطلت حجتهم ، وسقطت معذرتهم ؟ واستوجبوا الجحيم والعذاب الأليم ! (فانتقمنا منهم) بالقطط ، والمرض ، والفقر ، والذل ، والاستئصال (إني براء) أى برىء (إلا الذى فطرنى) خلقنى (فإنه سيهدين) لى معرفته ودينه (وجعلها كلمة) أى كلمة التوحيد ؟ يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام «إنى ذاهب لى ربى سيهدين» (باقية فى عقبه) أى فى ذريته ؟ فلا يزال فيهم من يعبد الله تعالى ، ويدعو لى توحيدهم (لعلهم) أى لعل أهل مكة حين يسمعون توحيد إبراهيم (يرجعون)

٦٠١

سورة الزمر

لى الدين الحق الذى استمسك به جدم إبراهيم (بل تمتع هؤلاء) الكفار (و) تمتع (آباءهم) من قبلهم ؟ ولم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) من عندنا ؟ وهو القرآن (ورسول) هو سيد الرسل محمد عليه الصلاة والسلام (مين) مظهر لديننا ، وشريعتنا ، وأحكامنا . وقرأ قتادة والأعمش ، وغيرهما : «بل تمتع» بناء الخطاب على معنى أن القائل لذلك : إبراهيم عليه السلام ؟ أو هو من مناجاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . وقرأ الأعمش : «بل تمتعنا» بنون العظمة . والأول : هو أولى الأقوال (ولما جاءهم الحق) القرآن ، وما صاحبه من معجزات ، وإرهاصات (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) يكفرون بمن خلق ، ويعبدون من خلق ، ويكفرون بالآيات البينات ، ويؤمنون بالأباطيل والزهاد ! (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون بالقريتين : مكة والطائف . وبالعظيم : الذى يكون له مال ، ومنصب ، وجاه . وقد فاتهم أن العظيم : هو الذى يكون عند الله تعالى عظيماً ؛ أما المال ، والجاه ، والنصب ؟ فهى عظمة يبتغونها الجاهلون ، ويقدرها الفاسقون ! ومقاس العظمة الحقيقية عند الله تعالى ، وعند العقلاء : عظمة النفس ،

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا كَذِبٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٦٦﴾ لَقُمْنَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَلَبَّذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَآ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَمَرْرًا عَلَيْهَا

وسمو الروح ، وعلو الهمة ! ومن أعظم نفساً ، وأسمى روحاً ، وأعلى همة ؟ من محمد بن عبد الله : خاتم رسل الله ؟ عليه الصلاة والسلام ! وقد قال تعالى ؟ رداً على من اقترح نزول القرآن على رجل من القريتين عظيم : (أهم يقسمون رحمة ربك) يعطون النبوة والرسالة لمن يشاءون دون من أشاء ، وينزلون القرآن على من يحبون ؟ دون من أحب ؟ ! (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) لجعلنا بعضهم أغنياء ، وبعضهم فقراء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) لا كما تنادى بعض المبادئ الهدامة ؟ بما يبتغونه من سوم فكرية ، وما يدعون إليه من نظم ؟ فى ظاهرها البر والخير ، وفى باطنها الإثم والشر ! كالنظام الشيوعى ، والنظم الأخرى التى تستوردها بعض الأمم من البلاد التى لا تدين بالإسلام ، بل ولا تدين بأى دين سماوى ؟ بل نقول =

== بالتعطيل ، وألا إله في الكون أصلاً ، والدين الإسلامي - في مظهره وجوهه - ليس في حاجة إلى نظام أو منظمين ؛ فقد نظم خالق الكون ومدبره ، وهو وحده العالم بما يصلح عباده ويكفل إسعادهم . وهو جل شأنه بامتحانه لهم بضروب من الغنى والفقر ، والسعة والضيق : إما يؤهلهم بهذا الاختبار إلى حياة أخرى دائمة السعادة والخير لمن أحسن ، والشقاء والبؤس لمن أساء ! « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوكم أيهم أحسن عملاً » « ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » فالابتلاء والاختبار : أساس عظيم

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٣

في تقدير استحقاق من يدخل الجنة؟ من يدخل النار . فإذا ما تبادلت الاحتياجات ، وتساوت الأقدار - كما يزعم الشيوعيون ومن يدور في فلكهم - فقد سقط الامتحان الذي أرادته الله تعالى لعباده ، وأعدم لاجتيازه ! وتتطوى هذه النظم التي يزعمونها على ظلم فادح لكلا النوعين ؛ فقد أصبح الغنى فقيراً ؛ وهو قبل ذلك مكلف بالشكر على ما آتاه الله ، والاتفاق منه ! وأضحى الفقير مرذولاً ؛ وقد كان قبل ذلك مكلفاً بالصبر على فقره ، مشكوراً ما جوراً عليه ! وما حاجة الفقراء إلى النظم البشريّة ؛ وقد صيرهم الله تعالى جميعاً أغنياء بنظمه الحكمة الربانية ! فإذا ما فسد نظام المسلمين ؛ بالبخل ، والشح ، والانصراف عن الله تعالى وأوامره : فليس ذلك عيباً في الدين ، وإنما هو عيب القاهقين بالأمر فيهم !

أقد رتب الدين الخفيف حقوقاً للفقراء ؛ حتى صيرهم أغنيى من الأغنياء : لقد جعل لإطعامهم قريباً أقرب إلى مغفرته ، والإحسان إليهم حسنى بدنى من رحمته !

ولو ات انساناً تخير ملة

ما اختار لإدينك الفقراء !

أما هذه النظم التي يدعون إليها ،

وبحاربون من أجلها : فظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب ! يقولون بالمساواة ؛ وأين المساواة ؟ وبشيوع المال بين السادة والعبيد ؛ وأين ما يزعمون ؟ ! لقد جعلت بعض الدول نظاماً خاصاً : يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان - بسبب اللون - وقد خلقهم الله تعالى من أب واحد ، وأم واحدة . وقد يكون المفضل أفضل من الفاضل « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » لقد ظلموا الناس وقالوا : إنه العدل . وأجاعوهم وقالوا : إنه الشيع . وأفقروهم وقالوا : إنه الغنى !

لقد أفقروا الأغنياء ، ولم يستطيعوا أن يطعموا الفقراء ! وجميع ذلك بأنظمة نظموها ، وشرائع شرعوها . ولكن هلم مى - يرحم الله - إلى شرعة الله ، ودين الله ، وهدى الله ؛ يقول الله تعالى : « ليس البر =

يَكْفُرُونَ ﴿١﴾ وَتَعْرِفُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْخَبِيرَةَ
الْأَنْبِيَاءَ وَالْآيَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ يَمْسُ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَرًا قَرِينٌ ﴿٤﴾ وَلَهُمْ
لِيَصُدَّوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٥﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
فَنَسِ الْقَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَ
أَنْتَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٧﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ فَلَمَّا
نَهَيْتَ بِكَ فَمِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ ﴿٩﴾ أَوْ زُرْنَاكَ الْبَدَى
وَعَدْنَاهُ فَمِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿١٠﴾ فَاسْتَمِيعْ أَلَّذِي
أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٢﴾ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا

يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾

== أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين فجعل تعالى إتياء المال للفقراء : من أفضل العبادات والقربات !

ووقف تعالى خيره وبره على النفيين ؟ فقال جل شأنه ، وعلت حكمته : « إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . كما وقف رحمته على من يسارع فى العطاء ؟ فقال سبحانه : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » .

٦٠٣

سورة الزنبر

وقد أباح الدين مقاتلة مانعى الزكاة ، وأخذها منهم قسراً وجبراً بأمر الله ! وقد كانوا فى صدر الإسلام ييجئون عن الفقير والمحتاج ؟ ويشكرونه حينما يقبل صدقتهم ، ويعتبرونه صاحب الفضل عليهم ؟ لا هم أصحاب الفضل عليه ؟ كيف لا وهو المنسب فى رضا الرب سبحانه وتعالى عنهم وفى دخولهم الجنة ! هذا ولم يحل فقر الفقراء دون توليهم أرقى المناصب فى الدولة ؟ بل كان الفقر مؤهلاً ضمن المؤهلات لولاية الحكم ، والقضاء ، وماشا كلهما من كبرى المناصب ؟ وذلك لأن الفصل فى جميع ذلك : التقي لا الفنى ، والورع لا الطمع ! هذا فى حين أن المناصب فى الدول ذوات المبادئ الجوفاء الطنانة ؟ لا يليها إلا الذين أتخمتهم الفنى ، وأصممتهم الترف ، وأعمتاهم الجشع والطمع ؟ فلم يتركوا لقمة الجائع ، ولا مزرقة لعار ؟ وبعد كل هذا ينادون بالعدل ، والمساواة ، ورحم الله تعالى العدل والمساواة !

هذا وقد اختلف كثير من الناس فى الفنى الشاكر ، والفقير الصابر : أيهما أفضل من الآخر ؟ وقد فضل بعضهم الفنى الشاكر عن الفقير الصابر : وذلك لأنه ابتلى بالفنى فشكمت نعمة ربه ، وقام بما يجب عليه حيالها : ومن

أول الواجبات عليه : رعاية الفقير ، والمحتاج . وبذلك يكون أنفق ماوهبه الله فى حدود ماأمر به الله ، وآتى المال على حبه ، وأطعم الطعام فى سبيله .

فإذا قلنا بما قال به بعض الفرنج - من شيوع المال واشترائته - فقد حاولنا القضاء على النظام الكونى الذى رسمه الله تعالى لعباده ، وامتنعهم به !

وقد اقتبسوا معنى الاشتراكية : من اشتراك الجميع فى المال . ولكنهم لم يحققوا مآذيوها إليه ، ولا ما أحاطوا به مآذيوها الباطلة من سباح التمويه والتضليل ! وهامى ذى البلاد التى اعتنقت مثل هذه المبادئ وقد قضى عليها الفقر ، وأطاح بها الجوع والحرمان . بعكس بلادنا التى تطورت إلى الاشتراكية الإسلامية . ==

يُعْبُدُونَ ﴿٦٠٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٦٠٦﴾ وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠٧﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِشْتَ عِنْدَك إِنَّا كَاثِبُونَ ﴿٦٠٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٠٩﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَرُمِ النَّاسُ إِلَىٰ مَلِكٍ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١٠﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُي وَلَا يُكَادُ يُبِينُ ﴿٦١١﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٦١٢﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦١٣﴾ فَلَمَّا أَصْفَوْنَا آتَيْنَاهُم مِّنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١٤﴾

== أما الإسلام : فهو مؤسس الاشتراكية الصحيحة ، والشيعوية السليمة . فعن الاشتراكية : شركة
 الفقير مع الغني فيما آتاه الله من مال ، أو عقار ، أو زرع ، أو ضرع . وقد عقد الله تعالى بينهما عقداً
 لا تنفصم مرأه : فضمن لمن وفى به الجنة والثواب الجزيل ، وأوعد من قرض القصد ، ونكث العهد
 بالعداب الأليم ، والشقاء المقيم ! هذا وقد حدد في هذا العقد ما لكل طرف منهما من حقوق ، وما عليه
 من واجبات . ومعنى الشيوعية : شيوع المال بين بني الإنسان ؛ فلا يوجد أحد يشتكى الفقر والحرمان
 ولئلا يكون المال دولة بين الأغنياء ! وقد

٦٠٤

الجزء الخامس والعشرون

كفل الله تعالى للفقير حقوقاً يحارب الغني من
 أجلها ، ويقابل عليها . ولكن هذه الحقوق
 محدودة بحدود رسمها خالق الدنيا ، ورازق
 الخلق ؛ بحيث لا يفتقر الغني ، ولا يجوع الفقير .
 وبحيث يصح امتحان الله تعالى لعباده - الذي
 ما خلقهم إلا من أجله - فيجزى غنياً شكر ،
 وفقيراً صبر ! « وما خلقت الجن والإنس إلا
 ليعبدون » .

وها هي ذى الدول الأجنبية - وقد تباينت
 أهواؤها ، وعظمت أذواؤها - قد انقسمت
 إلى قسمين ، أو قل معسكرين : شيوعى ،
 ورأسمالى ؛ وكلاهما ضل السبيل ، وحاد عن
 جادة الطريق ؛ فأولاهما قتله الجموع ، وثانيهما
 قتله الشعب ، وكلاهما سبى في حياته على غير هدى !
 وذلك لأن « هدى الله هو الهدى » فاتبع
 - هدى وكفى - هدى الله ، واجتنب هدى
 الشيطان « إنه عدو مضل مبين » .

هذا وقد قبض الله تعالى لهذه الأمة من
 أقامها من كبوتها ، وأقامها من عثرتها ، ونظم
 لها النظم والقوانين ؛ التي لا تخرج عما أراذه رب
 العالمين : فأخذ من الأغنياء حق الفقراء ؛
 فجزى الله تعالى كل من نافع عن الدين ، ولم
 يخرج عن تعاليم القرآن ، التي جعلها الله
 تعالى صالحة لكل زمان ومكان !

لَجَعَلْنَهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٨﴾ * وَلَمَّا صُرِبَ
 آيُنْ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ ﴿٥٩﴾ وَقَالُوا
 « الْمَثَلَتِ أَخِيرَتُهَا هُوَ مَصْرُورٌ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 خَصِمُونَ ﴿٦٠﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
 مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لِبَنِيكَ
 فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّالسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ
 بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ
 الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٥﴾ إِنْ اللَّهَ هُوَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾
 فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
 عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٦٧﴾ مَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ

بَقَّة

وأساس النظام الإلهي في تفاوت الدرجات (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) من السخيرة ؛ لامن السخيرة ؛
 أى يسخر الغني الفقير في مصالحه التي تعود على المجتمع كله - غنيه وفقيره - بالخير العميم ! (ورحمة ربك) مفترته
 وجنته لمن يتصدق (خير مما يجمعون) من الأموال ؛ ويصلون بها (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على
 الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سفكاً من فضة) وذلك لحقارة الدنيا عند الله تعالى وأن بسط الرزق
 لبعض من فيها : لا يدل على هدايته . وتضييقه على بعضهم : لا يدل على غوايته !

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن
 لقد جاع فيها الأنبياء كرامة
 إذا لم يكن فيها معاش لظالم
 وقد شبت فيها بطون البهائم

=

= (ومعارج) ومساعد (عليها يظهرون) يصمدون (وزخرفا) الزخرف : الذهب ، أو هو الزينة (وان كل ذلك) النعم الزائل ، والمتاع الفاني (لما) إلا (متاع الحياة الدنيا) قليل ثم يزول ؛ مشوب بالتنعيم ، محاط بالأكدار (والآخرة) وما فيها من نعم مقيم ، و «جنة عالية ، قطوفها دانية» (عند ربك) في رجاها ؛ أعداها (للمتقين) من أحبابها (ومن يش) يغفل (عن ذكر الرحمن) ويعرض متعاميا عن داعي الإيمان (قيض) نسخر ، ونسلط (له شيطانا فهو له قرين) مقارن ، وملازم له ؛ لا يفتأ يزين له القبيح ، ويقيح له اللبج ؛ حتى يورده موارد الهلاك

٦٠٥

سورة الزخرف

والتلف ؛ وذلك بسبب غفلته ، وتعاميه عن ذكر ربه (ولأنهم) أى الشياطين القرناء (ليصدونهم) لينمقون الصافلين المتعامين (عن السبيل) عن طريق الهدى (حتى إذا جاءنا) ذلك الغافل المتعامى ، يوم القيامة (قال) لقرينه الذى صده عن السبيل (فبئس القرين) أنت ؛ إذ أوردتني موارد الخوف ؛ (أفأنت) يا محمد (تسمع الصم أو تهدى العمى) أى كما أنك لا تستطيع إسماع الأصم ، أو هداية الأعمى ؛ فكذلك لا تستطيع إسماع الكافر ، أو هدايته وكيف تهدى من أصم أذنيه عن استماع النصيح ، وأعمى قلبه عن رؤية الحق (و) لا تستطيع أن تهدى (من كان في ضلال مبين) بين ظاهر (فأما) فإن (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل تعذيبهم (فإننا منهم منتقمون) في الدنيا (أو نرينك الذى وعدناهم) به من العذاب (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من القرآن (لأنك على صراط مستقيم) طريق قويم (وإنه) أى القرآن (لذكر لك ولقومك) أى شرف عظيم لك ولهم (وسوف تسألون) عن مدى تمسككم به ، ونشركم له (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى أسأل أمم الأنبياء الذين أرسلناهم من قبلك . يؤيده قراءة ابن مسعود «واسأل الذى أرسلنا إليهم قبلك

يَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُسْمِعُونَ ۝ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سُدٌّ وَلَا أَلَمٌ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْشَافٍ وَفِيهَا مَأْسِيَةٌ ۝ الْأَنْفُسُ وَلَذَّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ تَخْلَدُونَ ۝ لَا يُفَرِّقُهُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ۝ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَوْا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ بَرَكَاتِ اللَّهِ قَالُوا إِنَّمَا نَسْتَعِينُ ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِقَىٰ كَذِبُونَ ۝ أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ

رسلنا» وقيل : واسأل رسلنا - حين تلقاها - ليلة المعراج ؛ وقد اتقى عليه الصلاة والسلام بكثير منهم ؛ كما ورد في كثير من الأحاديث (أجعلنا من دون الرحمن) غيره (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ، ويستهزئون بها (وما نرينهم من آية) معجزة (إلا هم أكبر من احتها) في الدلالة على صدق موسى ، ووحداية مرسله . أو المراد بالآية : آية العذاب ؛ فقد ابتلوا بالطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدملج (انظر آية ١٣٣ من سورة الأعراف) (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجون) عن كفرهم وتكذيبهم . ومن عجب أنهم - رغم نزول العذاب بهم ، وتنويعه وتكرره عليهم - لم يؤمنوا ، ولم يردعوا ، ولم يقولوا في محنتهم وشديتهم : يا أيها النبي ، أو يا أيها الرسول ، أو يا أيها الصادق ؛ بل قالوا =

= (يا أيها الساحر) وقيل : معنى الساحر عندكم : العالم ؛ يؤيده قول فرعون «أتأتوني بكل ساحر عليم» (ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف الغياب عنا ؛ إن آمنا (إذا هم ينكتون) ينقضون عهدهم ، ويصرون على كفرهم (أم) بل (أنا خير من هذا) إشارة إلى موسى عليه السلام (الذي هو مهيمن) ضعيف ، حقير (ولا يكاد يبين) لا يكاد يظهر الكلام : للثقة في لسانه ؛ جعلته يستعين - فيا يقول - بأخيه هرون : «وأخي هرون هو أفصح مني لساناً» (فلولا) فهلا (أنتي عليه) أليس كما يليس السادة والعظاء

(أسورة) جمع سوار ؛ وقد كان العظاء فيهم يلبسونها (مقترنين) متتابعين ؛ يشهدون بصدقه (فاستغف) استجبل فرعون (قومه) أي استغل فرعون جهل قومه ، وضعفهم ؛ فقال لهم : «أنا ربكم الأعلى» (فأطاعوه) وعبدوه من دون الله تعالى (إنهم كانوا قوماً فاسقين) عاصين كافرين (فلما أسفونا) أغضبونا (فجلناهم سلفاً) أي أهلكناهم ؛ فجلناهم سابقين ؛ بعد أن كانوا حاضرين (و) جلناهم (مثلاً) عظة (للآخرين) لمن يأتي بعدهم (ولما ضرب) عيسى (ابن مريم مثلاً) في قوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» (إذا قومك منه) أي من هذا المثل (يصدون) يضجون . وقد قال المشركون وقتذاك : إنما يريد محمد أن نصبه ؛ كما هب النصراني عيسى (وقالوا) أيضاً (أتألهن) أئصنامنا التي نصبها (خير أم هو) يعنون عيسى عليه السلام . قال تعالى رداً عليهم (ما ضربوه لك) أي ما ضربوا لك هذا المثل (إلا جدلاً) مجادلة ؛ لا أثر للمنطق والتعلل فيها (بل هم قوم خصمون) شديداً الخصومة (إن هو) أي ما عيسى (إلا عبد) من عبادنا (أئمننا عليه) بالاصطفاء والنبوة (وجعلناه مثلاً) آية (لبنى إسرائيل) يستدل بها على وجود الخالق تعالى وقدرته : لخلقهم من غير

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٦

مِرْهَمَ وَيُحَرِّثُهُمْ بَنَى وَرَمَلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٦١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٦٢﴾ فَذَرَهُمْ يَبْخُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾ فَاصْفَعْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

سورة

أب ، واستطاعته - بأمر ربه - أن يبرئ الأكه والأبرص ، وأن يحيي الموتى بإذنه تعالى (ولو نشاء لجلنا منكم) أي لجلنا بعضكم (ملائكة) لأن خلق النوعين ، ومبدع الصنفين (مخلفون) أي يختلف بعضهم بعضاً فيما بينكم ، أو يخلفونكم أتم (ولأنه) أي عيسى عليه السلام (لعم للساعة) أي دليل عليها ؛ حين ينزل قبيل القيامة ؛ كما ورد في الأحاديث . أو الإشارة إلى القرآن الكريم ؛ وما فيه من صفات القيامة وأهوالها ، وما يعقب ذلك من نعيم مقيم ، وعذاب أليم ! (فلا تفتن بها) من المرية ؛ أي لا تشكون في وقوعها (هذا) الذي أوعدكم إليه (صراط) طريق (ولما جاء عيسى بالبينات) المعجزات الظاهرات (قال قد جئكم بالحكمة) بالنبوة ، والمعرفة ، والشرائع (فاختلف الأحزاب من بينهم) في شأنه . فن قائل : إنه الله . =

= ومن قائل : إنه ابنه . ومن قائل : ثالث ثلاثة . ومنهم من قال : هو ابن زنا (قويل للذين ظلموا) كفروا (هل ينظرون) ما ينتظرون (بغثة) غثاة (الأخلاء) أى الأصدقاء فى الدنيا ؛ المجتمعون فيها على الكفر والمعاصى ، السكون على الآثام (يومئذ) أى يوم القيامة يكون (بعضهم) رغم المحبة والصدقة فى الدنيا (لبعض عدو إلا الثقلين) الذين تعابوا فى الله ، واجتمعوا على عبادته ومرضاته ؛ فانهم سعداء بحبهم وصدقاتهم ؛ يقال لهم (بإعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فقد انقطع الخوف ، وزال الحزن ؛ ولم يبق لكم سوى الأمن والسرور (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبون) تسرون ؛ وهو من الجبور (يطاف عليهم بصحاف) بأطباق (وفيهما) أى فى الجنة أو فى الصحاف والأكواب (إن المجرمين) الكافرين (لا يقر عنهم) لا يخفف العذاب عنهم (ميسلون) آيسون من النجاة ، والعفو ، والرحمة (وما ظلمناهم) بتعذيبهم ، وتخليدكم فى النار (ولكن كانوا هم الظالمين) لأنفسهم ؛ بتعريضها للعقاب ، وتمسكهم بالكفر والعناد (ونادوا) الكفار (يامالك) وهو خازن النار (ليقض علينا ربك) أى لنبتنا لنسرح . وهو من قضى عليه : إذا أماته (قال) الخازن لهم : لا شكروا فى الخلاص ، فلات حين مناس (إنكم ما كنتم) باقون فى العذاب أبد الدهر (أم أبرموا) أحكموا (أمراً) فى كيد جد (فإنما يرمون) يحكمون أمراً فى كيدهم وإهلاكهم (ونجوماً) ما يتعدون به فيما بينهم ، ويخفونه عن غيرهم (ورسلنا لديهم يكتبون) هم الحفظة : يكتبون ما يفعلونه ، وما ينطقون به (قل) لهم يا جد (إن كانت للرحمن ولد) كما يزعمون (فأنا أول العابدين) لهذا الولد (سبعات رب السموات والأرض) تنزيهاً ، وتقديساً له (رب العرش) مالك الملك (عما يصفون) يقولون من الكذب ؛ بنسبة الولد ، والشريك إليه

(٤٤) سُورَةُ الدِّخَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَوَّلُهَا ٩٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الزُّجُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ۝ إِنَّا كَا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۝ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَاءِكُمْ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ۝ يَلْعَبُونَ ۝ فَأَرْفَعِ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝

(فزعم) دعهم (ينحوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى يوم عذابهم ، والانتقام منهم ؛ وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء له) يعبد ، ويطاع ، ويتق (وفى الأرض له) واجب العبودية ، واجب الطاعة (وهو الحكيم) فى صنعه (العليم) بمخلقه ، البصير بمصالحهم (وتبارك) تقدس وتعالى الله (الذى له ملك السموات والأرض) وما فيها (وما بينهما) من مخلوقات (وعنده علم الساعة) أى وقت قيامها ، وكيفية ، وحالته (ولا يملك الذى يدعون) يعبدون (من دونه) غيره (الشفاعة) لعابديهم ؛ كما زعموا أنهم شفاعتهم عند الله (إلا من شهد بالحق) آمن بالله ، وشهد ألا إله إلا الله ؛ فهؤلاء يشفعون لغيرهم (وهم يملون) بقلوبهم صدق ما قالوه بأستهم . والمراد بهم : عيسى ، =

= وعزير ، والملائكة (ولئن سألتهم) أى ثلث سألت هؤلاء العبودين (من خلقهم ليقولن الله) هو خالقهم (فأنى يصرفون) فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره ؟ بعد اعتراف العبودين ؛ بخلق رب العالمين لهم ؟ أو ولئن سألت العابدين لعبد الله : «من خلقهم ليقولن الله» فكيف يصرفون عن عبادته ، مع اعترافهم بخلقته ١٩ (وقيله) أى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاصفع عنهم) فأعرض عن دعوتهم (وقل سلام) وذلك قبل الأمر بقتالهم (فسوف يعلمون) تهديد شديد ، ووعد للمشركين

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٨

(سورة الدخان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(خم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) هي ليلة القدر ؛ نزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الحاجة ؛ وهذا لا يتناق مع قوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» لأن ليلة القدر تكون في هذا الشهر (إنا كنا منفردين) بالقرآن ، وخوفين به (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى في ليلة القدر يفصل كل أمر عظيم ؛ من أرزاق العباد ، وآجالهم (أمرأ من عندنا) أى هذا الإنزال ، وهذا الإنذار وهذا الفصل في الأرزاق والأعمار ؛ بأمرنا ولإرادتنا (إنا كنا مرسلين) الرسل (رحمة من ربك) بعباده (إنه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم (بل هم في شك) من البعث والحساب ، والجزاء (فارتقب) انتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) هو قبيل القيامة . وقيل : إن قريشاً لما بالفت في عصيان الرسول وإذائته ؛ دما عليهم وقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ؛ وكان الرجل

أَنى لَهُم الذِّكْرُ ۚ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۚ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۚ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۚ أَنْ أَذْأَبًا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۚ فَلَمَّاءُ عَلَتْ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجِعُونَ ۚ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُوا ۚ قَدْ رَأَيْتُمْ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۚ فَاتَّبِعْ يَدَايَ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۚ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۚ كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَجُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ۚ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ۚ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءٰخَرِينَ ۚ قَابَكْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

وما

يحدث أخاه فيسمع صوته ولا يراه ؛ لشدّة الدخان المنتشر بين السماء والأرض (ينفى الناس) يشملهم وينظلمهم (أتى لهم الذكرى) أى كيف ينفعهم التذكّر والإيمان عند نزول العذاب (ثم تولوا) أعرضوا (عنه وقالوا) (إنا كاشفوا العذاب) عنكم (قليلًا) لعلكم ترجعون عن غيركم وبغيركم (إنكم عائدون) إلى ما كنتم عليه من الكفر (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة ، أو يوم بدر (إنا منتقمون) منكم (ولقد فتنا) بلونا واختبرنا (أن أذوا إلى عبادة الله) أى أرسلوا عبادة الله - الذين خلقهم أحراراً - وأطلقوهم من الأسر والعذاب أو «أدوا إلى» يا عبادة الله أسمعكم وأذهانكم (إنى لكم رسول أمين . وأن لا تعلوا على الله) =

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٦٠٩﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ
الْعَذَابِ أَلْهَبِينَ ﴿٦١٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ
الْمُسْرِفِينَ ﴿٦١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦١٢﴾
وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَائِهِ بِلَقَاؤَ مِثِينَ ﴿٦١٣﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٦١٤﴾ إِن مِثَىٰ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُعْشِرِينَ ﴿٦١٥﴾ فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١٦﴾ أَمَّ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا فِتْنَةً ﴿٦١٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَعِينِينَ ﴿٦١٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٢٠﴾
يَوْمَ لَا يَفْنَىٰ مَوْتٌ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٦٢١﴾
إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٢٢﴾ إِنَّ
شَجَرَتَ الزَّقْنومِ ﴿٦٢٣﴾ طَعَامُ الْأُنثَىٰ ﴿٦٢٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي

= لا تستكبروا عليه (إني آنيتكم بسلطان مبین) بحجة واضحة (وإني عذت بربي) التجأت إليه ، واحتزت به من (أن ترجون) بالحجارة (فاعتلون) فاجتنبوني ، ولا تؤذوني (فأسر بصادي) الإسراء : السير ليلاً (إنكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر رهوا) ساكناً ، أو طريقاً سهلاً ، أو يسيراً (ونعمة) منعمة (فاكهين) متنعين (كذلك) شأنى مع من عصانى ، ومن أريد إهلاكه (وأورثناها) أى أورثنا تلك الجنات والعيون ، وهاتيك الزروع والمقام الكريم ، وهذه النعمة التى كانوا فيها فاكهين «وأورثناها» (قوماً آخرين) غيرهم ؛ لهم نعمة ربهم لا يكفرون (فما بكت عليهم السماء والأرض) كناية إلى أنهم هلكوا فلم يجزع عليهم أحد ، ولم يحس بنقصانهم . أو هو على الحقيقة ؛ فقد ورد أن المؤمن إذا مات : بكى عليه مصلاه ، وحزن عليه ملائكة السماء (وما كانوا منظرين) مؤجلين للتوبة (إنه) كان طالياً من المسرفين متكبراً ، مسرفاً فى الكفر (ولقد اخذناهم) أى اخذنا بني إسرائيل (على علم) منا بحالهم ، وجدارتهم لهذا الاختيار ؛ فقد بعث من بينهم كثير من الأنبياء (على العالمين) أى على عالمي زمانهم ؛ فلا ينصب الاختيار على الأمة المحمدية ؛ لقوله جل شأنه «كنتم خير أمة أخرجت للناس» وذهب بعضهم إلى أن الاختيار على كل العالمين ويكون قوله جل شأنه «كنتم خير أمة» أى بعد بني إسرائيل . وهو قول لا يعتد به ؛ فقد تضافت الآيات ، ودل سياق القرآن على أن عهداً صلى الله تعالى عليه وسلم خير الأنبياء ، وأتمه خير الأمم ا (وآتيناهم من الآيات) المعجزات التى جاء بها موسى عليه السلام (مافيه بلاء) اختبار وامتحان (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون) لجهلهم ، ومنه كفرهم (إن مى) مافى (إلا موتنا الأول) التى نموتها فى الدنيا (وما نحن بمعشرين)

بمعينين (فأتوا بآبائنا) أحببهم لنا (إن كنتم صادقين) فيما تقولونه عن البعث . قال تعالى ، ردأ عليهم (أم خير أم قوم تبع) وهو أحد ملوك البين ، كان يملك البين ، والشعر ، وحضرموت . ويقال لكل من ملك البين «تبع» وسموا التبابعة ؛ وقد كان «قوم تبع» فى غاية من الرخاء والنعمة ، والقوة والمنة ؛ فأهلكهم الله تعالى بنفسهم وكفرهم (والذين من قبلهم) من الأمم الجاحدة الكافرة (ما خلقناهما إلا بالحق) أى لإقامة الحق وإظهاره فيها ؛ من توحيد الله تعالى ، والقيام طاعته «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى إن يوم القيامة - الذى يفصل فيه بين الخلائق - موعدهم جميعاً (يوم لا يفنى) لا ينفق ، ولا يدفع (مولى عن مولى) المولى : الصاحب ، والصديق ، والقريب ؛ أى =

= يوم لا يدفع القريب عن قريبه ، والصديق عن صديقه ، والصاحب عن صاحبه (شيئاً) من العذاب (ولا هم ينصرون) من الله تعالى (إلا من رحم الله) من المؤمنين ؟ فيشفعون لغيرهم ، ويشفع غيرهم لهم (إنه) تعالى (هو العزيز) بانتقامه من أعدائه (الرحيم) بعباده وأوليائه (إن شجرة الزقوم) هى شجرة قيل : إنها تثبت فى قعر جهنم (طعام الأئيم) الكثير الآثام (كلهل) وهو عكر الزيت ، أو النحاس المذاب (كفلى الحميم) كفلى الماء الحار (فاعتلوه) فغودوه بظلمة وغف (إلى سواء الحميم)

الجزء الخامس والعشرون

٦١٠

وسطها ؟ وقولوا له (دق لك أنت العزيز الكريم) يقال له ذلك : استهزاء به ، وتشفياً فيه ! أو المراد : دق هذا العذاب المهلك المذل ؛ لك كنت فى الدنيا العزيز الكريم (إن هذا) العذاب الذى تصلونه ؟ هو (ما كنتم به تمكرون) أى ما كنتم فيه تشكون (إن التقيين فى مقام أمين) يؤمن فيه الخوف ، والعذاب ، والحزى ، والهوان (فى جنات) بساتين (وعيون) أنهار جارية ؟ ترى رأى العين (يلبسون من سندس) وهو ما رقى من الديباغ (واستبرق) ما غلظ منه (متقابلين) يدور بهم مجلسهم ؟ يتحدثون متسامرين ، وتضاحكون مستبشرين ! (وزوجناهم بحور عين) الحور : جمع حوراء ؟ وهى شديدة سواد العين ، مع شدة بياضها . والعين : جمع عيناء ؟ وهى الواسعة العينين .

هذا وقد أورد بعض المفسرين فى أوصاف الحور العين ما تعافه العقول ، وتعجه الأذواق والأسماع ؟ فقد رويوا أنهم مخلوقات من ياقوت ومهرجان ، وأنه يرى من سوقهن ؟ إلى غير ذلك من الأوصاف السمجة ؟ التى هى فى الواقع حط من قدرهن ، وتقبيص من شأنهن ! والحقيقة أنهم كأحسن ما تكون النساء : جالا ، وصفاء ، وطهارة ؟ وليس فوق هذا مطمع لطامع ، ولا زيادة لمستزيد !

وليس معنى ذلك أنهم كسائر نساء الدنيا - فهذا ما لا يجوز أن يقال - بل المراد أنهم من نوعهن ؟ مع الفارق العظيم ؟ لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذت سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! وهذا الذى حدا بطائفة من ضعاف العقول والأحلام إلى وصف ما فى الجنة بما لا يصح أن يوصف به (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة) يريدونها (آمنين) من الموت ، والمرض ، ومن نقاد النعيم الذى هم فيه ، و (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) التى أدركتهم فى الدنيا (فإنما يسرناه) أى يسرنا القرآن ، وسهلنا تناوله (لبسانك) العربى ؟ الذى هو لباسهم ولفتهم (لعلهم يذكرون) يتظنون فيؤمنون (فارتقب إنهم ممرقبون) فانتظر ما يحل بهم من العذاب ؟ لأنهم منتظرون ما يحل بك من الدوائر

سورة

فِي الْبُطُونِ ۝ كَفَلَى الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيمِ ۝ ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَفِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ كُنُوزٍ ۝ لَّا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَعْتُهُمْ عَذَابَ الْحَمِيمِ ۝ فَضَلَّامٍ رَبُّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْغَوْرُ الْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۝

(سورة الجاثية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (تنزيل الكتاب) (القرآن) (من الله العزيز) في ملكه

(الحكيم) في صنعه (لأن في) خلق (السموات

والأرض) وما فيها (آيات) علامات دالة

على وحدانية الله تعالى ، وقدرته (وفي

خلقكم) أيضاً : آية ، وأى آية ! (انظر آية

٢١ من سورة الذاريات) (وما يئث من

دابة) البث : النسر ، والتفريق في الأرض ؛

أى إن جميع ذلك (آيات لقوم يوقنون)

بالبعث ؛ لأن من قدر على خلق السموات

والأرض ، وما فيها ، ومن فيها ، وصوركم ،

فأحسن صوركم ، وفرق في الأرض - بقدرته -

من أنواع الدواب ، وأصناف البهائم ؛ ما فيه

خيركم ومصلحتكم : قادر على أن يعيد خلقكم

كما بدأكم ، ويعتكم للحساب والجزاء يوم القيامة

(و) في (اختلاف الليل والنهار) بالزيادة

والنقصان ، والذهاب والجيء (وما أنزل الله

من السماء من رزق) مطر. وسمى رزقاً ؛ لأنه

سبب له (فأحيا به الأرض بعد موتها) جديها

(وتصرف الرياح) تليها : مرة جنوباً ،

ومرة شمالاً ، وباردة تارة ، وحارة أخرى ؛

كل ذلك حسب حاجات الإنسان ، وغذائه

وكسائه . وفي جميع ذلك (آيات) بينات

(لقوم يعقلون) الدليل والبرهان ، ويتدبرون

الحقائق مجردة عن الصناد والهوى (تلك) الآيات

المذكورة (آيات الله) الدالة على وجوده ،

المتينة لقدرته ، المؤيدة لوحدانيته (تتلوها عليكم)

يا محمد (بالحق) أى بالصدق الذى لا يلاسه شك ، أو بطلان ؛ فإذا لم يؤمنوا به (فبأى حديث بعد)

حديث (الله و) بعد (آياته) البينات (يؤمنون) «فإذا بعد الحق إلا الضلال» (ويل) عذاب شديد

(لكل أفاك أثيم) كذاب ، كثير الآثام (ثم بصر) على كفره

سورة الجاثية

٦١١

(٤٥) سورة الجاثية مكية
الآية ١١ فبدئت
وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ قُبَايَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَوْمُئِذٍ ۝
وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تَنْثُنْ
عَلَيْهِ ثُمَّ يَصُرُّ مُسْكِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ

(وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً) كقول بعضهم في الزقوم : إنه الزبد والتمر . وفي خزنة جهنم : إن كانوا تسعة عشر - كما يقول محمد في قرآنه - فأنا ألقاهم وحدي (من وراءهم) أى من وراء حياتهم في الدنيا ،

الجزء الخامس والعشرون

٦١٢

ووراء ما هم فيه من التعزز والتكبر ؛ وراء جميع ذلك (جهنم) يصلونها وبش المصير (ولا يغني) لا ينفع ، ولا يدفع (عنهم) العذاب (ما كسبوا) في الدنيا من المال والفعال (ولا) يغني عنهم (ما اتخذوا) عبدوا (من دون الله) غيره (أولياء) من الأصنام (هذا) القرآن (هدى) من الضلال (والذين كفروا بآيات ربهم) الدالة على ربوبيته ووحدانيته (لهم عذاب من رجز) الرجز : أشد العذاب (لتجرى الفلك) السفن (فيه بأمره) بإرادته ، وحفظه ، وكلاءته (ولتبتغوا) تطلبوا (من فضله) رزقه ؛ بحمل التجارات ، والقلب في البلاد (وسخر لكم ما في السموات) من شمس وأقمار وأنجم ، وهواء وماء وغير ذلك (وما في الأرض) من دواب وأشجار ، ونبات وأنهار ، وغير ذلك سخر ذلك (جميعاً منه) بإرادته وقدرته ؛ لا بآرادتكم أنتم وقدرتكم (إن في ذلك لآيات) دلالات على قدرته ووحدانيته (قل للذين آمنوا ينفروا) ينفوا ويتجاوزوا (الذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون بأسه وقلمته ، أو لا يرجون نوابه ، ولا يخشون عقابه (ليجزي) الله (قوماً) بالنعيم (بما كانوا يكسبون) من الإحسان والنفرات . قيل : نزلت قبل نزول الأمر بالقتال . وقيل : بل

أَلَيْسَ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شيئاً اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مَن ذَرَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شيئاً وَلَا مَأْوَاهُمْ ۝ هَٰذَا هَدَىٰ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هَادِينَ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۝ وَلَتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۝ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَخَسَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۝ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ۝ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۝ وَمَن أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ ۝ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تَرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَٰبَ وَالْحَكْمَ وَالنَّبِيَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّن

الطَّبِيبِ

مى عامة ؛ فانظر - يارعاك الله وهداك - إلى دين يأمر بالعبادة والصبر على أذى ، والنفرة لنفوسهم ، ويحث على الإحسان إليهم ! (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الشرائع المنزلة عليهم ، والتي يحكون بها بين الناس (والنبوة) أكثر ما بعث الله تعالى من الأنبياء في بنى إسرائيل : من وقت يوسف ، إلى زمن عيسى عليهما السلام

(ورزقناهم من الطيبات) أى الحلال من الأقوات ، أو هو المن والسلوى (وأتيناكم بينات من الأمر) الشرائع التى تحل الحلال ، وتحرم الحرام . أو هو أمر الرسول - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وعلام بعبته ، ودلائل نبوته ١ (فاختلفوا) فى أمر دينهم

(إلا من بعد ما جاءهم العلم) يشهد عليه الصلاة والسلام (بغيا بينهم) حسداً منهم ، وطلباً للرياسة؛ فقتلوا أنبياءهم، وأنكروا شرائعهم ، وحاربوا ربهم (إن ربك يقضى بينهم) بحكم ويفصل ؛ فيعاقب العاصى ، ويثيب الطائع (ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة من الأمر) الشريعة : المذهب والملة ؛ وهى ما شرعه الله تعالى لعباده . أى جعلناك على منهاج واضح من الدين (لنهم لن يفنوا) لن يدفعوا (عنك من الله) من عذابه ؛ لأن أراد أن ينزله بغير خلقه وأقربهم منه ١ (هذا) القرآن (بصائر للناس) البصائر : جمع بصيرة ؛ وهو ما يهتدى بالقلب . ولما كان القرآن وسيلة لإبصار الهدى والرشاد ، وكان القلب عملاً للإبصار الحقيقى : سماه تعالى بصائر . كما سماه روحاً ، وخياًة ، وشفاء (اجتروا) اكتسبوا (أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم) لا ؛ فإنهما يختلفان تمام الاختلاف : فالؤمن يحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، والكافر يحيا كافراً ويموت كافراً ؛ ففتنان بين الإثنين ، وشتان بين المآلين ١ (بما كسبت) عملت من خير أو شر (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) أى أطاع هواه فى كل مأمره به ؛ فكان فى طاعته العمياء كالعابله (انظر

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَى الْفَاسِقِينَ ١٥١ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغِيَابِهِمْ ١٥٢ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٥٣ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٥٤ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ بَلَى الْمُسْتَقِينَ ١٥٥ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١٥٦ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْسَبُهُمْ وَمَعَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٥٧ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ وَلَئِنْ جِئْتَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٥٨ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ

آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (وأضله الله على علم) منه تعالى ؛ بأنه من أهل الضلال قبل أن يخلق . أو أضله على علم من الضال بفساد ما يهتدى من أصنام ، وما يحيط به من أوهام (وختم على سمعه وقلبه) أصمه عن سماع الوعظ ، وجعل قلبه لا يقبل الحق

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَن يَبْصُرُ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَدْرِكُونَ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا مَالِي إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا النَّارُ وَمَالُكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا ثُلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ جَحِيمُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِأَيِّئِهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يَمْسِكُ ثُمَّ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُ وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ بِنَفْثِهِ فِي صُفْرِ الْمِطْلُونِ ﴿١٤﴾ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَانِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

أَقْلَمَ

باركة على الركب ؟ من فرط الذل والهوان (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها (هذا كتابنا) الذي كتبه المحفلة (ينطق) يشهد بما فيه (عليكم بالحق) الذي كان منكم (إنا كنا) في الدنيا (نستنسخ ما كنتم تعملون) أي كنا فأمر الملائكة بكتابة أعمالكم (في رحمة) في جنته ومغفرته

(وجعل على بصره غشاوة) غطاء ؟ فلا يرى الحق (فن يهديه) إذن (من بعد الله أفلا تذكرون) تذكرون ذلك وتفقهونه (وقالوا مالى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) أنكروا البعث : وهو أشد أنواع الكفر ! وقد وجد في هذا العصر من يدين بهذا الدين ، ويدعو لهذا الذهب ؟ فليهم الحزى والويل ! يوم يقال لهم «اليوم ننساكم كما نسيت لقاء يومكم هذا ومآواكم النار وما لكم من ناصرين» (انظر مبحث «التعطيل» بآخر الكتاب) (إن تم) ما هم (إلا يظنون) ظناً فاسداً ، لا على وجه العلم والتأكد (وإذا تلى عليهم آياتنا) من القرآن ؟ الدالة على قدرتنا على بعثهم وإعادتهم (ما كان جحيمهم) حبال ذلك (إلا أن قالوا) معارضين مناوئين (اتموا بأبائنا) السابقين أحياء (إن كنتم صادقين) فيما تزعمونه من بئسنا بعد موتنا (قل الله يجيبكم) ابتداء (ثم يجيبكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يجيبكم إلى يوم القيامة) أحياء كما كنتم في الدنيا (لاريب) لا شك (فيه) في يوم القيامة (يومئذ يحسر المبطون) الكافرون (وترى كل أمة جانية) مجتمعة ،

أَفَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنِّي نُفُثٌ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
 تُجْرِمِينَ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
 فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَقُضَ إِلَّا غُلُوبٌ وَمَا نَحْنُ
 بِمُتَّبِعِينَ ﴿٢﴾ وَبَدَّاهُمْ مَقَاقِلَ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنفُكُكُمْ
 نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
 نَّاصِرِينَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا عِبَادِ اللَّهِ هُزُوءًا
 وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُمْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
 يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥﴾ فَاللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾

(أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) أى يقال لهم ذلك
 (فاستكبرتم) عن سماعها ، وعن تفهمها
 (والساعة لا ريب فيها) أى والقيامة لا شك
 فى وقوعها (وبداهم سيئات ما عملوا) أى
 ظهر لهم جزاء السيئات التى عملوها ؛ وهو
 العذاب المعد لهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون)
 أى نزل بهم أثم استهزأهم بكنههم ، ورسلمهم
 (وقيل) لهم (اليوم ننساكم) من رحمتنا
 ومغفرتنا (كما نسيتكم) وأغفلتم (لقاء يومكم
 هذا) فلم تصدقوا به ، ولم تعملوا له (وغررتكم)
 خدعتكم (الحياة الدنيا) بلهوها وزخرفها ؛
 فتنسكتم بها ، وحرصتم عليها (فاليوم لا يخرجون
 منها) أى لا يخرجون من الجحيم ؛ بل يخلدون
 فيه (ولا هم يستعقبون) أى لا يسترضون ؛ لأن
 الاستغتاب : الاسترضاء ، والإعتاب : لزالة
 الشكوى . أو هو من العتاب أى ولام
 يعاتبون : لأن العتاب من علامات الرضا ؛
 وهو مخاطبة الإدلال ، ومذاكرة الوجدان ؛
 وليس تمت لإدلال ، بل لإدلال . ولا وجدان
 بل خذلان ! وكيف يكون إدلال ووجدان ،
 وقد فعلوا كل موجبات الغضب والحرمات
 (فله الحمد) على عدله ، والشكر على فضله

(وله الكبرياء) العظمة والجلال ، والبقاء والسطان ! (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه !

(٤٦) سُورَةُ الْجَحَافِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتُ ١٠ وَ ١٥ وَ ٢٠ فَدُنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٣٠ ثَلَاثٌ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ① تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ①
قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَشْتَوِي بِكِتَابٍ مِنْ
قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ① وَمَنْ
أَضَلَّ مَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ① وَإِذَا حُشِرَ
النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَنُفَرِينَ ①

وَإِذَا

(سورة الجحاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا
بالحق) أى إلا لإقامة الحق ، ووسط العدل
(وأجل مسمى) هو يوم القيامة : تنهى فيه
السموات والأرض وما بينهما (قل أرايتم
ما تدعون) تعبدون (من دون الله) غيره
(أم لهم شرك) مشاركة (اثنتونى بكتاب)
منزل (من قبل هذا) القرآن (أو أنارة)
بقية (من علم) يدل على صحة ما تعبدون ،
وما ترغمون (ومن أضل ممن يدعو) يبعد
(من لا يستجيب له) لا يجيبه إلى شيء يسأله؟
ومم الأصنام (ومم عن دعائهم) عن عبادتهم
(غافلون) لأنهم مجادلون بقل ، ولا يحس إن
عبده وعظمت ، أو أهنت وحطته ! (وإذا
حشر الناس) أى جمعوا للحساب والجزاء يوم
القيامة (كانوا لهم أعداء) أى كانت الأصنام
أعداء لعابديها

وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ أَهْلُنَا بِبَيْتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَقَدْ
لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا يَحْزَنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَنَّهُ قُلْ
إِنْ أَفَرَضْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى
مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَكُفْرَتُمْ بِهِ شَهِيدٌ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ
فَقَامُوا وَاسْتَكْبَرُوا إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾
وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ
مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلِنُرْسِي

(أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن (هو)
أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تقولونه من
الظن في القرآن (قل ما كنت بدعا من
الرسول) أى لم أكن أولهم ؛ فقد سبقني
الكثير منهم : كعيسى ، وعيسى ، وإبراهيم
(قل أرايتم إن كان) هذا القرآن (من عند
الله) كما أقول (وكفرتهم به) فإذا يكون
حالك يوم القيامة؟ (وشهد شاهد من بني
إسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله)
على التوراة - التي هي مثل القرآن في نسبتها
للى الله تعالى - بأن فيها ذكر الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم ، وصفته ، وأنبأ بعنته ؛
(فأمن) هو بالقرآن (واستكبرتم) عن
الإيمان به (وقال الذين كفروا) اليهود
(الذين آمنوا) منهم ؛ كعبد الله بن سلام
وأضرابه (لو كان) هذا الدين (خيرا ما سبقونا
إليه) أى ما سبقنا إليه الفقراء والرعاة ؛
كبلال ، وصهيب ، وعمار (ولم يهتدوا به)
أى بالقرآن (فسيقولون هذا إنك قديم) أى
كذب . وذلك كقولهم «أساطير الأولين»
والإنك : أسوأ الكذب وأخشفه (ومن قبله)
أى قبل القرآن (كتاب موسى) التوراة
(إماما) أى قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمة) للمؤمنين ؛ لأنه ينقلهم من الظلمات إلى
النور (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لما سبقه من الكتب (لينذر الذين ظلموا) كفروا ؛ بالعذاب الأليم

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ اصْطَبُوا
الْجَنَّةَ خَلِيدِينَ فِيهَا جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَاعَمَلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ
الْفَضْلُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ
أَفْ لَكُمْ إِنِّي أَخْرَجْتُ الْغُرُورَ مِنْ قَبْلِي وَمَا يَسْتَفْتِيانِ اللَّهَ يَزِيلُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

فَيَقُولُ

وَيَقُولُ (وقد خلت) مضت (القرون) الأمم (وما يستفتيان الله) أي يطلبان من الله تعالى الفتوى ؛ ليرجع
إيهما عن غيه وبنيه ، ويرده عن كفره ؛ ويقولان له (ويلك آمن) أي الويل لك ؛ آمن بالله وبالبعث
(إن وعد الله) بالقيامة والبعث ، والحساب والجزاء (حق) واقع ؛ لا مراء فيه

(ويشعري للمحسنين) المؤمنين بالنعيم المقيم
(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أقاموا
على الطاعة ، وجانبوا المحبة (ووصينا الإنسان
بوالديه إحساناً) أي أمرناه أمراً جازماً
بالإحسان إليهما (حملته أمه كرهاً) أي ذات
كره . والمراد به : المشقة أثناء الحمل
(ووضعت كرهاً) أي بتعب ومشقة أثناء
الوضع (وحمله وفصاله) أي مدة حمله وإرضاعه
حتى ينظم (حتى إذا بلغ أشده) استكمل
قوته وعقله . وبلغ الأشد : بين ثمان عشرة
إلى ثلاثين ؛ وهو أيضاً بلوغ الحلم . وهو مثل
ضربه الله تعالى للمؤمن المصدق (قال رب
أوزعني) ألهمني (وأن أعمل) عملاً (صالحاً)
ترضاه (وهو اتباع أوامره تعالى ، واجتناب
نواهيه (وأصلح لي في ذرئتي) أي هبني ذرية
مؤمنة ؛ وهو كقول إبراهيم عليه الصلاة
والسلام «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرئتي»
(إني تبنت إليك) مما جئيت في سابق آياتي
(والذي قال لوالديه أف لكما) أف : كلمة
تضجر ؛ وقد نزلت هذه الآية في الكافر العاق
لوالديه ، المكذب بالبعث (أفعدائي أت
أخرج) أي أخرج من الأرض بعد الموت ،

فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦١﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ
 حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ
 الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٦٢﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 مِمَّا عَمِلُوا وَرَبُّوهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٦٣﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِيعُكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابِ
 الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٦٤﴾ * وَاذْكُرْ أَخَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ
 قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النَّارُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
 خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ أَخَا عَادَ عَلَيْكُمْ عَذَابِ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ
 عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا

(فيقول) لها (ما هذا) الذي تقولانه (إلا أساطير
 الأولين) أكاذيبهم (أولئك الذين حق عليهم
 القول) وجب عليهم العذاب (في أمم قد خلت)
 قد مضت (من قبلهم من الجن والإنس)
 الكافرين (ولكل) من جنس المؤمن والكافر
 (درجات) فدرجات المؤمنين في الجنة ،
 ودرجات الكافرين في النار . والجنة درجات
 والجحيم درجات (مما عملوا) أي إن أعمالهم
 هي التي أوصلت كلا منهم إلى درجته التي
 يستحقها (وليوفيهم) الله تعالى (أعمالهم) أي
 جزاءها (ويوم يعرض الذين كفروا على النار)
 ليدخلوها ؛ يقال لهم حينئذ (أذهبتم طياتكم)
 الباقية ؛ بانصرافكم عن الإيمان ، واشتغالكم
 بالملذات والشهوات . أو «أذهبتم طياتكم»
 أذهبتم أعمالكم الطيبة؛ التي عملتموها في الدنيا؛
 كالصدقة ، وصلة الرحم ، وأمثالها (في حياتكم
 الدنيا واستمتعتم بها) تمتعتم بما يقابلها ؛ من
 صحة وسعة ؛ وأصبح لأمقابل لها في الآخرة ؛
 وقد أوفاكم الله تعالى - لسمعة فضله وكرمه -
 أجوركم عليها في دنياكم ؛ فلم يبق لكم سوى
 الجحيم ، والعذاب الأليم (فاليوم يحزنون) على
 ما كسبتم من الكفر (عذاب الهون) الهوان .

وقرى به (بما كنتم تستكبرون) تكبرون (واذكر أخا عاد) هو هود عليه السلام (بالأحقاف) هو واد
 باليمن ؛ وبه منازلهم (وقد خلت النار) مضت الرسل (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) من بعده .
 وقرى شاذاً : « من قبله ومن بعده » ولولا ذلك ؛ لجاز العكس . (لنأفكننا) لتصرفنا (فأتنا بما تعدنا)
 من العذاب (قال إنما أعلم) بوقت نزول العذاب (عند الله) فهو وحده ينزله متى شاء

(فلما رأوه) الضيق للعذاب (عارضاً) العارض السحاب الذى يمرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أى متجهاً إليها (قالوا هذا عارض) سحاب (مطرنا) بعد عجل ، وغضبنا بعد جذب . فقيل لهم : لا . ليس الأمر كما توهمتم (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب ؛ وما هو إلا (ريح) عاتية (فيها عذاب أليم) قيل : القائل لذلك هود عليه السلام ؛ يؤيده قراءة من قرأ « قال هود بل هو ما استعجلتم به » (تدمر) تهلك (كل شيء) ممت عليه (بأمر ربها) بقدرته وإرادته (فأصبحوا) بعد نزول العذاب بهم هلكي (لا يرى إلا

الجزء السادس والعشرون

٦٢٥

مساكنهم) لتدل على ما حل بساحتهم . وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بما كنهم : أجسادهم ؛ بعد أن خلت من أرواحهم (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) المكاة : المنزلة والتمكن . أى ولقد مكناهم فيما لم تمكنكم فيه أو « ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه » لفجرتم أكثر من فجوركم ، ولطفتم أكثر من لطفائكم (وجعلنا لهم سمياً) كسمكم (وأبصاراً) كأبصاركم (وأفئدة) قلوباً كقلوبكم ، وعقولا كعقولكم (فأغنى عنهم سمهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) إذ أنهم قد أصموا أسمعهم عن الاستماع إلى الهدى ، وأعموا أبصارهم عن رؤية الحق ، وأقفلوا قلوبهم عن فهم الإيمان ؛ و (كانوا يجحدون بآيات الله) ينكرون حجة البينات ، ودلائل قدرته الظاهرات (وحاق) نزل (بهم) ما كانوا به يستهزون) وهو العذاب الذى كانوا ينكرون حدوثه (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) أى أهلكنا أهلها : كعاد وعمود ، وقوم لوط ، ونحوم ؛ مما كان يجاور بلاد الحجاز ، وأخبارهم متواترة ذائعة عندهم (وصرفنا الآيات) بينا الحجج والمعطيات والدلالات ، وكررها عليهم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا) فهلا (نصرهم) أى دفع العذاب عن أهل هذه القرى المهلكة (الذين اتخذوا من

نَجْمُونُ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ نَّالِ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ رَّابِعًا رَّبَّيْنَا فَاصْبِرُوا لَا يُرَى إِلَّا سَكَنُهُمْ كَذَٰلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَتَّكُنَّا فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَوْلَا بَصَرُهُمُ الَّذِي آخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْيَمَنِ يَسْتَحِيرُونَ الْقُرَىٰ إِنَّ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

مُنْذِرِينَ ﴿٦٨﴾

دون الله) غيره (قرباناً آلهة) معه ؛ وهم الأصنام ؛ لأنهم كانوا يقولون : « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (بل ضلوا عنهم) غابوا عنهم ، وعن نصرتهم ؛ عند نزول العذاب (وذلك لإفكهم) كذبهم . والإفك : أسوأ الكذب (وإذ صرفنا إليك قرأ من الجن) أهلكناهم إليك . والنفر : مادون العشرة . وكانوا من جن نصيبين باليمن - وهى قاعدة ديار ربيعة - أو جن فينوى (فلما حضروه) أى حضروا مجلس الرسول وقت تلاوة القرآن (قالوا) لبعضهم (أنصتوا) استنصتوا ؛ لنستمع لما يتلى وتفهيمه (فلما قضى) أى فرغ الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من القراءة (ولوا) انصرفوا أسرعين

مُنذِرِينَ ﴿٦٢١﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كَتَبْنَا نُزِّلَ مِنْ
بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٢٢﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَدَاعِيَ
رَبِّهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٢٣﴾
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِنْ دُونِهِ آلِيَاءٌ ﴿٦٢٤﴾ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٢٥﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَخْلُقْ عَلَى أَمْرٍ إِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَلْمُونَ ﴿٦٢٦﴾ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٢٧﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٢٨﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا
الْعِزِّ مِنَ الْأَرْسِلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ لَا يُلْبِثُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَبَلَغْ فَعَلَ بِكَ
إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٢٩﴾

(إلى قومهم مننورين) غوفين لهم بالعذاب الذي سمعوه ، والذي أعده الله تعالى لمن يكفر به ، ولا يصدق
بكتابه . قالوا لقومهم (إنا سمعنا كتاباً) ينون القرآن الكريم (أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه)
لما تقدمه من الكتب ؛ كالنوراة والإنجيل (يهدي إلى الحق) الواضح (ولم طريق مستقيم) لا عوج فيه . وهل

أقوم من الإسلام ، وأهدي من الإيمان ؟
(يا قومنا أجبوا داعي الله) رسوله الذي يدعو

إليه ، وإلى دينه القويم (ينفر لكم من ذنوبكم)
التي اقترفتموها قبل إيمانكم ؛ لأن الإيمان

يجب ما قبله (ويجركم من عذاب أليم) ذهب
كثيرون إلى أن الجن ثوابهم : أن يجاروا

من النار ، ثم يقال لهم : كوثوا تراباً ؛
فيكونوه ؛ كالبهايم تماماً . وذهب آخرون

إلى أنهم كما يعاقبون على سيئاتهم : يثابون على
حسناتهم . وهذا القول أولى بالصواب وأجدر

بالعدالة الإلهية ؛ قال تعالى «ولكل درجات
بما عملوا» بعد مخاطبته للجن والإنس بقوله

«يا معشر الجن والإنس» (فليس بمعجز في
الأرض) أي لن يعجز الله بالهرب من بطشه

وعقوبته (وليس له من دونه) غيره (أولياء)
أنصار يمنعون عذاب الله تعالى ، أو يدفعون

عنه عقابه (أولئك) الذين لم يجيبوا داعي الله
(في ضلال بعيد) الضلال : ضد الهدى .

ويطلق أيضاً على الحيرة ، والموت (ولم يبي
بخلقهم) أي لم يعجز ، ولم يعجز (بلى) أي

نعم هو قادر على بث الموت وإحيائهم (أليس
هذا بالحق) أي يقال لهم : أليس هذا العذاب

هو الحق الذي تستحقونه ، وقد استوجبتموه
بكفركم ، وقد جئناكم في الدنيا بأنبيائه ؛ فلم

تؤمنوا بوقوعه (فاصبر) يا محمد على أذى قومك
(كما صبر أولوا العزم) ذوا الجد والثبات والصبر (من الرسل) الذين تقدموك (ولا تستعجل لهم) أي

لا تستعجل العذاب لقومك (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب يوم القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا ، أو
في القبور (إلا ساعة من نهار) وذلك لشدة ما يلقون من هول القيامة ا (بلاغ) أي هذا القرآن «بلاغ»

من الله تعالى لا يسكم

(سورة محمد عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصدوا) امنوا وصدقوا (عن سبيل الله) دينه (اضل أعمالهم) أحبطها وأبطلها؛ وذلك كإطعام

الجزء السادس والعشرون

٦٢٢

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَلَأَتْهُ
بِآيَاتِهِ ١٢ فَزَلَّتْ فِي الطَّرِيقِ أَنَاءَ الْحَرْمِ
وَأَيُّهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ①
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى
رُسُلِهِمْ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ② ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ③ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ
الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ ثُمَّ إِذَا
بَعُدُوا ثُمَّ إِذَا فُتِنُوا فَرَّوْا مِنْهُمْ أَوْ زَارَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ
بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ

وَالَّذِينَ

لكم يد عليهم ، وجعل في أعناقهم (ولما فداء) ولما أن تأخذوا منهم الفدية (حتى تضع الحرب أوزارها) أي
تضع أنفاسها ؛ من السلاح وغيره ؛ بأن يسلم الكفار ، أو يدخلوا في العهد (ولو يشاء الله لانتصر منهم)
أي لأهلكهم بغير قتال (ولكن) جعل عقوبتهم في القتال (ليبلو) ليختبر (بعضكم ببعض) ليعلم
المجاهدين والصابرين

الطعام ، ولين الكلام ، وصلة الأرحام ، وبر
الأيام ؛ فلا يجدون ثواباً لذلك في الآخرة ؛
لأن الله تعالى عجل لهم جزاء أعمالهم في
الدنيا (كفر عنهم) غفر لهم ذنوبهم ، وحا
(سيئاتهم) في الآخرة (وأصلح بهم) في
الدنيا ؛ فتجد المؤمن - وقد تلفع بالفقر ،
وتسربل بالمصائب - هائلاً بال ، قرر
العين ، مطمئناً القلب ، ساكن النفس !
(ذلك) الإضلال والإحباط ، والتكفير
والإصلاح (بأن) بسبب أن (الذين كفروا
اتبعوا الباطل) ولم يقيموا داعي الله ؛
فاستحقوا الإضلال (وأن الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم) فاستوجبوا تكفير ذنوبهم ،
وإصلاح بهم (كذلك يضرب الله للناس
أمثالهم) فالكافر يحيط عمله ، والمؤمن يفر
زله (فاذا لقيتم الذين كفروا) في ساحة القتال
(فضرب الرقاب) أي فاضربوا رقابهم واقتلوا
(حتى إذا أمتنتمهم) أكثرتم فيهم القتل .
والإختام : المبالغة في الجراحة والتوهين
(فتشددوا الرِّبَاطَ) أي فأسروهم . قال تعالى
وما كان لنبي أن يكون له أهرى حتى يشخن
في الأرض ، أي حتى يبالغ في النيل من أعداء
الله والبطش بهم ؛ ليشرد بهم من خلفهم ،
وليكونوا عبرة لغيرهم ! (فإما منا بعد) أي
فإما أن نغنا على الأسرى بالإطلاق ؛ فتكون

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ①
 سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا
 هُمْ ③ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتُورُوا اللَّهَ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ④ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضِلٌ
 أَعْمَلُهُمْ ⑤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاجْبَطُوا
 أَعْمَالَهُمْ ⑥ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ⑦ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا ⑧ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَوَّلَى الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑨ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْهُوِيٌّ لَهُمْ ⑩ وَكَانَ مِن قَرْيَةٍ هِيَ
 أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَنْتَ جَنَّكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا

(ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى التى عرفها لهم،
 وبشرهم بها فى الدنيا على لسان رسله (يا أيها
 الذين آمنوا إن تنصروا الله) أى تنصروا دينه
 ورسله وتعاليمه . ومن نصرة الله تعالى : إقامة
 الحق ، وعدم كتمان الشهادة ، والأمر
 بالمعروف ، والنهى عن المنكر (ينصركم) على
 أعدائكم ، وعلى أنفسكم ، وعلى الشيطان الرجيم
 (ويثبت أقدامكم) عند مجاهدة العدو، ومجاهدة
 النفس (والذين كفروا فتعسا لهم) أى هلاكا
 وخيبة (ذلك) الهلاك والخيبة (بأنهم) بسبب
 أنهم (كفروا ما أنزل الله) كفروا القرآن ،
 وما شتمل عليه من شرائع وتكاليف ، وأوامر
 ونواه (فاجبط أعمالهم) أبطلها (كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم) من الكفار (دمر الله
 عليهم) أى أهلكهم هلاك استئصال (والكافرين
 أمثالها) أى أمثال عاقبة من قبلهم من العذاب
 والتدمير (ذلك) الإجماع والتدمير (بأن)
 بسبب أن (الله مولى الذين آمنوا) وليهم
 وناصرهم ، وحافظهم ، وكافلهم؛ لأنهم يتوكلون
 عليه ، وينيبون إليه (وأن الكافرين لا مولى
 لهم) ينصروهم ، أو يحفظهم ؛ لأنهم نسوا الله

فأنساهم أنفسهم ، ووكلمهم إليها وإلى شياطينهم (والذين كفروا يمتعون) فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل
 الأنعام) التى تأكل ومن غير عابئة بماقبتها ، ولا حاسبة لماأكلها حساباً . وماأكلها النحر والدبح والمهانة (والنار
 مشوى لهم) أى منزل ومقام ومصير (وكان من قرية) وكمن قرية . والمراد بالقرية أهلها (من قريتك) مكة

(أفمن كان على بينة) حجة واضحة، وبرهان ظاهر. وهو المؤمن (كن زين) زينت (له) نفسه وشيطانه (سوء عمله) وهو الكافر (اتبعوا أهواءهم) ولم يقيموا ربهم (من ماء غير آسن) غير متغير الطعم، أو الرائحة، أو اللون؛ كما الدنيا (وأنتهار من خمر لذة للشاربين) أى ليست تخمر الدنيا: رديئة الطعم، شنيعة الرائحة (وأنتهار من غسل مصفى) لا تشوبه شائبة. قد يقول قائل: وما لذة تناول غسل لمن لا يتقبله في الدنيا؟ أو لا يطبق إلا كثر منه؟ والجواب على ذلك: أن الله تعالى ساق لعباده في جنته كل ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين؛ وقد تصاف بعض النفوس ما يشتهي، وتتأذى بعض العيون بما يتلذذ به. قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

٦٢٤

الجزء السادس والعشرون

وينكر النعم طعم الماء من سقم وحينما تشقى النفوس من أمراضها، والأعين من أرمادها؛ فإنها تعود إلى طبيعتها السليمة: فتنشهي ما يشتهي، وتلذذ بما يتلذذ منه. والغسل من أفضل أنواع الحلوى: مذكاء ولونا، وريحاً، وقهماً (ومغفرة من ربهم) والمغفرة خير من سائر النعم؛ وهذا مثل المؤمن وما يلقاه من كرم مولاه؛ أما مثل الكافر (كن هو خالد في النار) أى آمن هو خالد في النعيم المقيم؛ كن هو خالد في العذاب الأليم؟ (وسقوا ماء حياً) بالإنهاء الحارة (ومنهم) أى من الكفار والمنافقين (من يستمع إليك) حين تقرأ القرآن، أو تخطب للجمعة، أو تخطب المؤمنين (قالوا للذين آمنوا العلم) من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومن آمن من أهل الكتاب (ماذا قال آتفا) أى ماذا قال الآن (طبع الله على قلوبهم) غطاها عقوبة لهم؛

نَامِرْهُمْ ۝۱۱۱ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ۖ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝۱۱۲ مَثَلُ الْخَنَازِئِيِّ وَعَدِّ الْمَتَّوْنِ فِيهَا أَنتَهَرَمِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْتَهَرَمِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَغْفَرَ طَعْمَهُ وَأَنْتَهَرَمِنْ خَمْرٍ لَّدَى الشَّرِبِينَ وَأَنْتَهَرَمِنْ مِّنْ عَصِيٍّ مُّصْفًى ۖ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝۱۱۳ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا نَجَّوْا مِّنْ عَذَابِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِيفًا أَوَلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝۱۱۴ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝۱۱۵ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۝۱۱۶ فَأَعْلَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَاللَّهُ

فلا تسمع ولا تمي (والذين اهتموا) بهداية الله ورسوله وكتابه (زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أى آتاهم جزاء تقواهم؛ أو ألهمهم من الأعمال ما يتقون به غضبه وناره (فهل ينظرون) ما ينتظرون (إلا الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (أشراطها) علاماتها (فأنى لهم) فكيف لهم (إذا جاءتهم) الساعة (ذكرهم) تذكروهم. أى لا ينفع تذكروهم ولما عنهم بعد مجيء الساعة، أو مجيء أشراطها؛ حيث لا يقبل اعتذار، ولا استغفار (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) إشارة إلى أن العمل يكون بعد العلم؛ كما في قوله جل شأنه «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو» وقال بعد ذلك «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة»

(والله يعلم متقلبكم) سركم وسعيكم في معاشكم ومتاجركم (ومثواكم) ما واكم الى مضاجعكم بالليل . أو «متقلبكم» أعمالكم في الدنيا «ومثواكم» جزاءكم في الآخرة . والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم ، لا يخفى عليه تعالى شيء منها (لولا) هلا (عكمة) أى غير متشابهة ؛ بل واضحة لا تحتمل التأويل . وقيل : كل سورة نزل فيها القتال فهي عكمة لم ينسخ منها شيء . وذلك لأن القتال ناسخ للفسخ والمبادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (رأيت الذين في قلوبهم مرض) شك ؛ وهم المنافقون (ينظرون إليك) لشدة جنبهم، ومزيد خوفهم (نظر المغشي عليه من الموت) وذلك لأن الميت يشخص بصره كالذئور (فأولى لهم) تهديد ووعد . أو المعنى : غير لهم (طاعة) لك (وقول معروف) للؤمنين (فإذا عزم الأمر) أى فرض القتال ووجب (فلو صدقوا الله) وجاهدوا في سبيله . واتبعوا أوامره (لكان خيراً لهم) من القعود عن الجهاد ، والنكوس والفتاق ؛ لأن نتيجة الجهاد : الاستشهاد - وهو الفوز الأكبر - أو الظفر والنيمة (فهل عسيتم) أى فلعلكم (إن توليت) الأمر والحكم ، أو «إن توليت» بمعنى أعرضتم عن الإيمان والطاعة (أن تفسدوا في الأرض) بالمصيان ، والقتل ، والظلم ، وأخذ الرشوة (وتقطعوا أرحامكم) تعادوا أهلهم ولا تديروهم (أو لئلك) الذين تعاموا عن الحق ، وأفسدوا في الأرض : هم (الذين لنعم الله) طردهم من رحمته (فأصعبهم) عن استماع الهدى (وأعمى أبصارهم) عن الصراط المستقيم (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفون ما فيه (أم على قلوب أقفالها) أم قلوبهم مقفلة لا يدخلها الهدى ، ولا يصل إليها الذكر (سول) زين (وأملى لهم) أى مد لهم في الآمال والأمانى ، أو أملى لهم

٦٢٥

سورة ٤

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِّرَ فِيهَا الْفِتْنَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَآئِفَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۖ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرْدَانِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالٌ ۚ إِنْ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْنٌ ۚ لَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۖ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

الفيضان الكفر والفسوق والمصيان (ذلك) الإضلال الواقع عليهم (بأنهم) بسبب أنهم (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى للمشركين ؛ لأنهم كرهوا القرآن الكريم ، وكرهوا الاستماع إليه . قالوا لهم (سنطيعكم في بعض الأمر) أى في عداوة الرسول ، وتضييق الناس عن الجهاد معه (والله يعلم إسرارهم) ما أسروه من ذلك فيما بينهم (فكيف) بهم (إذا توفيتهم الملائكة) يعنى إذا لم يصبهم العذاب في الدنيا ؛ فإن الموت لاحق بهم لاعالة . فكيف يكون حالهم عند الموت ، والملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم) ظهورهم . والمراد أن العذاب ينزل حينذاك على سائر أعضائهم

وَأَذِّنْهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرْسَلْنَهُمْ قُلُوبَهُمْ فَلَعَرَّفْتُمْ بِسْمَتِهِمْ وَلَعَرَّفْتُمْ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
أَعْمَلُهُمْ ۝ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَاطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ ۖ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ۝ إِنَّمَا

الْحَمْدُ

الصلح بعد بدء القتال (وَأَتَمَّ الْأَعْلَوْنَ) الغالبون (وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ) عليهم
(وَكُرِهُوا رِضْوَانَهُ) أي كرهوا العمل بما
يرضيه (فَأَحْبَطَ) أبطل (مرض) شك وفاق
(يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ) يظهر أحقادهم على
الرسول وعلى المؤمنين (ولو نشاء لأرسلناكم)
على حقيقتهم (فلعرفتهم) عرفت سرائرهم ، كما
عرفت ظواهرهم (بسماتهم) بعلاماتهم (في لحن
القول) لغواه ومعناه (والله يعلم أعمالكم)
ما خفي منها وما ظهر ، وما أريد به وجهه
الكرام ، وما أريد به الفخر والمראה
(وَنَبْلُوَنَّكُمْ) لنختبرنكم بالقتال (وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)
نعلم ونظهر أسراركم ، وخفايا قلوبكم (وصدوا)
منعوا الناس (عن سبيل الله) دينه (وشاقوا)
خاصموا وخالفوا (من بعد ما تبين لهم الهدى)
ظهرت شواهد ، وبانت دلائله ؛ وهل بعد
لرسال الرسل بالمعجزات ، والكتب بالبينات ،
وانزال الآيات تلو الآيات . هل بعد جميع ذلك
تحتاج معرفة الله تعالى إلى تبيان أو برهان ؟ !
(وسيجط) يبطل (ولا تبطلوا أعمالكم)
بالمعاصي ، والفاق ، والرياء (وصدوا عن
سبيل الله) عن دينه ، والجهاد في سبيله (فلا
تهنوا) تدلوا وتجنبا (وتدعوا إلى السلم) إلى

(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) فلا يحرم العاقل عليها ، ولا يجمل إليها ؛ ولا بأسف على فقدها . إنما يكون الحرص على الآخرة وما فيها من أجر كبير غير ممنون ! (ولا يسألكم أموالكم) جميعها ؛ بل زكاتها فقط .

سورة الفتح

٦٢٧

«ولا يسألكم أموالكم» أتم ؛ بل ماله هو الذي خلفكم عليه (إن يسألكوها) جيباً (فيخسفكم) أى يجهدكم ويطلب ما يتقل عليكم (ويخرج أضفانكم) أى ويظهر أحقادكم على الإسلام والمسلمين (ومن يخل فإنا يخل عن نفسه) أى فإنا يخل عن نفسه بحرمانها من جزاء العطاء ، ومن الأجر العظيم الممد للنفقين (والله الغنى) عنكم (وأتم الفقراء) إليه (ولأن تولوا) تعرضوا (يستبدل) الله تعالى (قوماً غيركم) يستخلفهم فى أرضه (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى الكفر ، والجحود ، والبخل ؛ بل يكونون مؤمنين ، طالحين ، منافقين ، مسرعين فى إجابة داعى الله .

(سورة الفتح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) هو فتح مكة ، وقيل الحديبية . وقيل : خير (ليغفر لك الله) بسبب جهادك الكفار (ماتقدم من ذنبك وماتأخر) خطاب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ والمراد به أمته . لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الذنوب حتماً بعد النبوة ، مطهر منها ، بعيد عنها قبل النبوة (ويتم نعمته عليك) بتوالى الفتوح وإخضاع

من نجبر ، وطاعة من استكبر (ويهديك صراطاً مستقيماً) يثبتك على الهدى ؛ إلى أن يقبضك عليه

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۚ إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا فَيُخِضْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرِجْ أَضْعَفَتْكُمْ ۚ هَٰئَانَتْمْ هَٰئُلًا ؕ تَدْعُونَ لِنَبْذِكُمْ أَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فِتْنُمْ مَنْ يَبْخُلُ ۚ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۚ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۚ

(٤٨) يسوق الفتح ملائمة

نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية

وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا

(وينصرك الله نصراً عزيزاً) كبيراً عظيماً ؛ لا ذل بعده ! (هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة (وهدى جنود السموات) من الملائكة (والأرض) من الإنس والجن (وكان الله عليهما) بخلقهما (حكيماً) في صنعه (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) أى إن أنزل السكينة :

٦٢٨

الجزء السادس والعشرون

سبب في ازدياد الإيمان . وازدياد الإيمان : سبب في دخول الجنان ! (وبكفر) يحو (وكان ذلك) الدخول في الجنان . والقرب من الرحمن ، وتكفير السيئات ، وجزاء الحسنات (فوزاً عظيماً) ظفراً بكل مطلوب ، ونجاة من كل مرهوب (وبمذهب المنافقين) أى «أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» ليزيد من ثباتهم وإقداماً ، و «ليزدادوا إيماناً» بمصابرتهم على الجهاد ، ومزيد يقينهم ، وانتصارهم لله ورسوله ؛ وليعذب المنافقين بالقل ، والأسر ، والقتل ؛ في الدنيا . وبالجم ، والمذاب الأليم في الآخرة ؛ بسبب هاقهم وكفرهم ! (الظانين بالله ظن السوء) وذلك أنهم ظنوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم كما وعده ، ولن يدخله مكة ظافراً (عليهم دائرة السوء) الخزي والعذاب (إنا أرسلناك شاهداً على أمتك ؛ بل على سائر الأمم) (ومبشراً) من أطاعك وآمن بالجنة (ونذيراً) لمن عصاك بالنار (وتعزروه) تنصروه . وقرئ «وتعززوه» (وتوقروه) تحترموه . والتوقير : نهاية الاجلال والاحترام (وتسبحوه) الضمير في التعزير ، والتوقير ؛ للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والتسبح لله تعالى . وقيل : الضمير في الكل لله جل شأنه (بكرة وأصيلاً) صباحاً ومساءً . والبكرة : التكير .

«وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»

مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝ وَهُوَ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ ۞ وَهُوَ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتَقُومُنَّ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ رَسُولُهُ وَتُعْزِزُهُ وَتُوقِرُهُ وَتُسَبِّحُهُ بِكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ

الله

والأصيل : ما بعد العصر إلى المغرب ؛ وهو كقوله تعالى

(يد الله فوق أيديهم) يريد تعالى أن يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي تملو أيدي المبايين : هي يد الله ؛ لأن الله تعالى منزّه عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام . والمعنى : أن من بايع الرسول فقد بايع الله ؛ كقوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله» أو يكون المعنى : يد الله في العطاء ، فوق أيديهم في الوفاء . ويده في المنّة ، فوق أيديهم في الطاعة .

وقد ذهب المجسّدة - أخزاهم الله تعالى - إلى أن لله جل شأنه من الجوارح : ما للإنسان . وأن كل

ما في القرآن من صفاته تعالى : على ظاهرها :

كاليد ، والرجل ، والعين ، والإذن ، والقيام ،

والجلوس ، والمشي ، وغير ذلك . وهو قول

أجمع السلف الصالح على بطلانه ، وقساده .

ورى تكفير فائله : لاستهانتة بقدر مولاه

سبحانه وتعالى ! «وما قدروا الله حق قدره

والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات

مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يفسرون !»

(فمن نكث) نقض البيعة (فإنما ينكث على

نفسه) لأن لما نقضه يعود عليه ، ويعاقب

بسيبه (سيقول المخلفون من الأعراب) وهم

الذين تخلفوا عن الجهاد (يقولون بألسنتهم

ما ليس في قلوبهم) أى لم تشغلهم الأموال

والأهل ؛ بل شغلهم الجبن والخوف ، ولم

يطلبوا الاستغفار ، رغبة في الاعتذار ؛ بل

أرادوا به النفاق ، وهم كاذبون في استغفارهم ،

كافرون في قرارة نفوسهم (إن أراد بكم

ضرراً) فهل يستطيع أحد أن يدفعه ؟ (أو

أراد بكم نقماً) فهل يستطيع أحد أن يمنعه ؟

(بل ظننتم أن ينقلب) لن يرجع (الرسول

والمؤمنون) من القتال (إلى أهلهم أبداً) بل

لأنهم يستأصلون بالقتل والتشريد (وظننتم بالله

(ظن السوء) وأنه لن ينصر رسله (وكنتم

قوماً بوراً) أى حلكى (فإننا أعددنا

وهيأنا (ولله ملك السموات والأرض)

وما فيها ، ومن فيها (يفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى إنه تعالى غنى عن عباده ؛ يثيب من آمن ،

ويعذب من كفر «ويعفو عن السيئات» (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الجهاد لنفاقهم (إذا انطلقتم)

في جهادكم (إلى مقام لتأخذوها) هي مقام خير (ذرونا) دعونا (نتبعكم) في أخذ هذه المقام (يريدون

أن يبدلوا كلام الله) وعده لأهل المدينة ؛ وقد وعدهم غنائم خير خاصة ؛ عوضاً عن فتح مكة ؛ إذ رجعوا

من المدينة على صلح ، ولم يفوزوا منها بقتية . وقيل : «يبدلوا كلام الله» يغيروه ؛ وقد قال : «فإن

رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً»

الله فوق أيديهم ۖ فمن نكث ۖ فإنما ينكث على نفسه ۖ
ومن أوفى ۖ بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ۝
سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلننا أموالنا
وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ۚ
قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد ينكر ضرباً أو
أراد ينكر نقعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ۝
ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم
أبداً وذرين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم
قوماً بوراً ۝ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعددنا
للكافرين سعيراً ۝ ولله ملك السموات والأرض
يعفو لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً
رحيماً ۝ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مفاعيم
لنأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن تبدلوا كلام الله

(فيقولون بل تحسدونا) أي لم يقل الله ذلك ؛ بل تحسدونا أن نصيب معكم من الغنائم ؛ وقد أراد الله تعالى أن يعطى المنافقين فرصة أخيرة تؤمنهم عذابه ، وتجنّبهم غضبه ، وتدينهم من رحته : فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل للمخلفين) الذين تخلفوا عن الجهاد (ستدعون إلى) عاربة (قوم أولى بأس شديد) أصحاب قوة عظيمة . قيل : هم بنو خنيفة . وقيل : فارس والروم (تقاتلونهم) فتقتلونهم وتأسرونهم (أو يسلمون) فتسلكوا عن قتالهم وأسروهم ، ويكون لهم ما للمسلمين : من تكريم وإعظام (فإن تطيعوا) الله والرسول في جهادهم حال كفرهم ، وتكريمهم حال إسلامهم (يؤتكم الله أجراً حسناً) النصر والنعمة في الدنيا ، والجنة وحسن الثواب في الآخرة (وإن تولوا) تعرضوا عن الجهاد (كأولين من قبل) وتخلّفتم (بمذّبكم) الله (عذاباً أليماً) في الدنيا بالذلة والمهانة ، وفي الآخرة بالجحيم ، والعذاب الأليم (ليس على الأعمى حرج) في التخلّف عن الجهاد ؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها (ولا على المريض) الذي لا يستطيع الجهاد لمرضه (حرج) أيضاً في التخلّف . هذا ولا يسمى الصداق ، أو الحكة ، أو ماشابهما ، مرض يعوق عن الفريضة الظلمى : التي ترفع الرأس ، وتحفظ النفوس ، وتصون الديار ، وتحصى الدمار ، وإنما المرض العائق ، الدامى للتخلّف : هو ما يمكن الحصص من النيل منك ، ويمنعك من الدفاع عن نفسك : كالعمى ، والمرض ، والرج ، والمرض الذي يزيد الجهاد في وطأته ، ويؤدي إلى التهلكة (ومن يطع الله ورسوله) ويجاهد في سبيله : يؤته في الدنيا عزة ورفعة ، و (يدخله) في الآخرة (جنت تجري من تحتها الأنهار) «نزلاً من غفور رحيم» (ومن يتول) يعرض عن الجهاد ؛ فله جهنم وبئس المهاد (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يهادونك بالهدية : على الجهاد ، وبذل

النفس والنفيس ؛ في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وبسط دينه ، ونصرة نبيه (تحت الشجرة) هي سمره كانوا يستظلون بها وقتذاك . وقد قطعها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ حين رأى - بعد رفع الرسول عليه الصلاة والسلام - طواف المسلمين بها ، وتعظيمهم لها ؛ وهم حديثو عهد بالجاهلية وعبادة الأصنام (فعل) الله تعالى (ما في قلوبهم) من الإيمان ، والصدق ، والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة (وأنابهم) جازاهم (تقياً قريباً) نصراً عاجلاً ؛ اطمأنت به قلوبهم : وهو فتح خير ؛ عند انصرافهم من الهدية (ومقام كثيرة يأخذونها) بعد ذلك ؛ من فارس والروم . أو هي مقام خير ؛ وقد غنموا منها أموالاً وعقاراً ، وعتاداً . و (وعدكم الله) أيضاً (مقام كثيرة تأخذونها) غير هذه الغنائم (فجعل لكم هذه) لتطمئن قلوبكم

الجزء السادس والعشرون

٦٣٠

قُلْ لَّنْ تَبْعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَبَقُولُوا بَلْ نَحْسُدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُبُونَ فَإِنَّ طِيعُوا يُؤْزِرْكُمُ اللَّهُ أَتَبْرَأُ حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَأَتَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَامٍ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّ اللَّهُ مَغَامٍ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ

الناس

النفوس والنفيس ؛ في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وبسط دينه ، ونصرة نبيه (تحت الشجرة) هي سمره كانوا يستظلون بها وقتذاك . وقد قطعها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ حين رأى - بعد رفع الرسول عليه الصلاة والسلام - طواف المسلمين بها ، وتعظيمهم لها ؛ وهم حديثو عهد بالجاهلية وعبادة الأصنام (فعل) الله تعالى (ما في قلوبهم) من الإيمان ، والصدق ، والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة (وأنابهم) جازاهم (تقياً قريباً) نصراً عاجلاً ؛ اطمأنت به قلوبهم : وهو فتح خير ؛ عند انصرافهم من الهدية (ومقام كثيرة يأخذونها) بعد ذلك ؛ من فارس والروم . أو هي مقام خير ؛ وقد غنموا منها أموالاً وعقاراً ، وعتاداً . و (وعدكم الله) أيضاً (مقام كثيرة تأخذونها) غير هذه الغنائم (فجعل لكم هذه) لتطمئن قلوبكم

(وَكف أيدي الناس عنكم) بأن كذف في قلوب اليهود الرعب ؛ فلم يحاربوكم ، ولم يسوا أموالكم ولا أهلهم بالمدينة عند خروجكم إلى خيبر والمدينة (ولتكون) هذه القنائم العجلة (آية) علامة (للمؤمنين) على صدق وعد الله تعالى ؛ وليعلموا أن الله تعالى قد حرسهم في مشهدهم ومغيبيهم (ويهديكم صراطاً مستقيماً) هو طريق الطاعة الموصل إلى مرضاته تعالى (وأخرى) أي ومقام أخرى (لم تقدروا عليها) أي ما كان لكم أن تقدروا عليها ؛ لولا نصره تعالى ومعوته؛ وهي مقام هوازن . وقيل : فارس والروم ؛ أوهما معاً (قد أحاط

الله بها) أى علم وقدر أنها ستكون لكم ،
وأفندكم عليها بفضلها لابقونكم (ولو فالتسليم
الذين كفروا) بالحدبية ؛ ولم يصطلحوا (لولوا
الأبواب) لأن الله تعالى قد قضى بضرركم عليهم :
محاربين أو مسلمين (سنة الله) أى سن الله
تعالى سنة وطريقة ؛ وهى إعزاز المؤمنين ،
وإذلال الكافرين (التي قد خلت) قد مضت
(وهو الذى كف أيديهم عنكم) فلم يقاتلوك
(وأيديكم عنهم) فلم تقاتلوهم (بيطن مكة)
بالحدبية (من بعد أن أظفركم عليهم) قيل :
هبط ثمانون رجلاً ؛ من أهل مكة : شاكى
السلاح ؛ يريدون غيرة المؤمنين والفتك بهم .
فراحم المؤمنين ، وأمسكهم بالأيدى . وبعد
ذلك أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باخلاء
سبيلهم ؛ وسموا بذلك العتقاء ؛ لأنه عليه
الصلاة والسلام أعنتهم من القتل ؛ وكان من
بينهم معاوية وأبوه (هم الذين كفروا)
يعنى قريشاً (وصدوكم) منعوكم (عن) بلوغ
(المسجد الحرام) عام الحدبية ؛ وقد أحرم
المؤمنون بعمرة (والهدى) هو ما يهذى إلى
الحرم من البدن (معكوفاً) محبوساً بفعل
المشركين (أن يبلغ محله) مكانه الذى ينجر
فيه عادة ؛ وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات) موجودون مكة مع المشركين ؛

أولم تعلموا إيمانهم (أن تطؤوهم) تقتلوهم خطأ مع الكفار (معرفة) ثم وعيب . أى لولا ذلك ؛ لأذن الله لكم في دخول مكة ، والفتك بمن فيها . ولعل المراد «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات» في أصلاب هؤلاء الكفار «لم تعلموهم» والله تعالى يعلمهم «أن تطؤوهم» بقتل من هم في أصلابهم «بغير علم» منكم بما فعلتم . لولا ذلك لأذن الله تعالى لكم في قتلهم ؛ وذلك (ليدخل الله في رحمة من يشاء) من هؤلاء الذراري المؤمنين (لو تزيلوا) تفرقوا ، وتميزوا عن الكفار ، وخرجوا من أصلابهم إلى عالم الظهور (لعذبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة ، وأبجنا لكم فتحها وقتل من فيها (لأجعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) الكبر والأهنة ، والنظافة والعصبية

(حبة الجاهلية) وفي أنهم قالوا : لقد قتلوا أبناءنا وإخواننا ؛ ثم يدخلون علينا في منازلنا ؟ واللات والعزى لا يدخلنها أبداً ! (فأنزل الله سكينته) طمأنينته (وألزهم كلمة التقوى) أي : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ! وأضيف إلى التقوى : لأنها سببها (وكانوا أحق بها) أحق بكلمة التقوى ؛ لأنهم سمعوها وانبعها ؛ فكانوا أحق بها من كفار مكة ؛ الذين أصموا آذانهم عن استماعها ، وقلوبهم عن قبولها (وأهلها) أي وكأوتوا أهل هذه الكلمة ؛ المستوجبين لفضلها ، الحائزين لصفها ! (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى

الجزء السادس والعشرون

٦٣٢

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام - عام الهديبية - أنه يدخل مكة هو وأصحابه : علفين ومقصرين ؛ فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا . وقد تحققت الرؤيا بفتح مكة (انظر آية ٦٠ من سورة الإسراء) (لأنهم) من أحد (فلم يلم تعلموا) أي فلم من تأخير دخولكم مكة ؛ فلم تعلموه من الخير لكم ، والصالح لأحوالكم ا (فلم من دون ذلك فتناً قريباً) أي جعل من قبل فتح مكة فتناً قريباً ، عاجلاً ؛ هو فتح خيبر (ليظهره) أي ليعلم الإسلام (على الدين كله) على سائر الأديان (محمد رسول الله) إينا ؛ فضلا من الله علينا ا (انظر آية ٤ من سورة القلم) (والذين معه) من المؤمنين (أشداء) غلاظ أقوياء (على الكفار) وليست اللطفة والشفقة من صفاتهم ؛ بل هم (رحماء بينهم) يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوفر صغيرهم كبيرهم (سيام) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) هو نور الإيمان يلوح في وجه المصل ؛ فتراه كالبرق ليلة القام - رغم رقة حاله ، ورنائيه هيأته - فتري الزنجي الأسود - رغم فقره وقبحه - يتلأأ وجهه ضياء ، وزداد حسناً وبهاء ؛ للمازته الصلاة ، وتقلله لولاه ا وترى العاصي - رغم وجاهته وغناه - على وجهه غبرة ، ترهقها قفرة ا وماذا لا لتركه

الْحَمِيمَةَ حَبَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَزَلَّ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَزْهَمَ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ عُلُفَيْنِ رُءُوسًا وَكُفْرًا وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا لَجَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْنًا قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ رَحْمَةٌ رَحْمَةً جَمِيعًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَكِيظَ

٦٣٣

الجماعة ، وانصرافه عن الطاعة . ولا وجه لمن يقول : إن أثر السجود هو التكنة السوداء التي تحدث في وجوه البعض من أثر السجود على الحصى ونحوه ؛ فتل ذلك قد يحدث لكثير من يلزمون الصلاة ، وفرطون في جنب الله ا فكمن من مصل لا يأتمر بمعروف ، ولا يتنهي عن منكر ا وكمن من مصل يلزم في أعراض المؤمنين ، ولا يتقرب رب العالمين ا وكل هؤلاء لهم في جباههم من آثار السجود كركبة البعير أو أشد ؛ وهم أبعد الناس عن مغفرة الله ، وعن جنة الله ا (ذلك مثلهم) أي ذلك الوصف المذكور صفتهم (في التوراة ومثلهم) صفتهم (في الإنجيل كزرع شطأه) فراخه وورقه . يقال : أشطأ الزرع : إذا أفرخ (فأزره) قواه وأعانه (فاستغلاظ) غلظ وقوى (فاستوى على سوقه) استقام على أصوله . وهذا مثل ضربه الله

== تعالى للإيمان ؛ حيث بدأ ضعيفاً ، ثم قوى . عن عكرمة «أخرج شطاء» بأبي بكر «فأزره» بعمر
«فاستغلظ» بعثمان «فاستوى على سوقه» بعل ؛ رضوان الله تعالى عليهم (يعجب) هذا الزرع (الزراع)
وهم أصحاب محمد؛ الذين نصرُوا الدين ونشروه،
وأيدوا دعوة الله باللسان والسان (ليغظ) الله
تعالى (بهم الكفار) ويكتبهم

٦٣٣

سورة المجرات

(سورة المجرات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله) أى لا تقدموا قولاً من الأقوال ،
أو عملاً من الأعمال؛ بغير موافقة ذلك لما أراه
الله تعالى ورسوله أو لا تتقدموا في العبادات
عن موافقتها المحددة لها (ولا تجهروا له بالقول)
أى لا تخاطبوه (بجهر بعضكم لبعض) كخطابة
بعضكم بعضاً (أن تجبط أعمالكم) أى لثلا
تبطل أعمالكم . وفي هذا ما فيه من الحث على
توقير العلماء - الذين هم ورثة الأنبياء - وتعظيم
الأتقياء والصلحاء ؛ أسوة بتوقير سيد الأنبياء ؛
(يفضون أصواتهم) يخفضونها تعظيماً لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي هذه
الآيات من علو شأن الرسول عليه الصلاة

والسلام مالا يخفى ؛ وقد أجمع العلماء - قياساً على ذلك - على أنه لا يجوز رفع الصوت عند تلاوة حديثه
الشريف ، ولا عند قبه المعظم ؛ (أو تلك الذين امتحن الله قلوبهم) اختبرها (للتقوى) وأخلصها : طهرهم
من كل قبيح ، وهياهم لكل ملبس ، وأسكن قلوبهم محبته وخشيته ؛ (إن الذين ينادونك من وراء
المجرات لا يعقلون) لا يفهمون عظيم قدرك، وكبير مقامك ؛

يَوْمُ الْكُفَّارِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٣﴾

(٤٩) سُورَةُ الْمَجَرَاتِ مَلَانِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَاجَرِ لَيْلَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ
اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ
الْمَجَرَاتِ

(ولو أنهم صبروا) بغير مناداة لك (حتى تفرج إليهم) من غير لزاج . وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ليس كسائر البشر؛ فربما كان ينزل عليه الوحي وقت نداءهم له ، أو كان يناجي مولاه ويستغفر لأمته ؛ وفي هذا من الخير العام ما لا يخفى ؛ فضلا عما في المناداة من سوء الأدب . وعدم الجمالة (انظر آية ٣٠

الجزء السادس والعشرون

٦٣٤

من سورة الأحزاب) (إذ جاءكم فاسق بنية فتبينوا) أى فتنبهوا من قوله ؛ وتبينوا صوابه من خطئه . والفاسق : العاصي . والعصيان : بشل الكذب ، والفيء ، والنيسة (أن تصيبوا قوماً بجهالة) أى لثلا تصيبوا قوماً وأنتم تجهلون حقيقة أمرهم (لا يطعكم في كثير من الأمور لعنتم) أى لو يسمع وشاياتكم ويصنى لإرادتكم ؛ لوقعت في الجهد والهلاك . والفت : الإثم ، والشقة ، والهلاك (ولكن الله ليزيد كرمه ، وعيم فضله) (حب إليكم الإيعان) فاعتصموا (وزينه في قلوبكم) فتسكنم به (وكره إليكم الكفر) فارتبوا (والفسوق) فاجتنبوا (والعصيان) فلم تروا (أولئك) الذين حب إليهم الإيعان ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان (هم الراشدون) المقلاء ، الأذكياء ؛ لأنهم قبلوا الإيعان ؛ فحبه الله إليهم ، وزينه في قلوبهم . واتبعوا مرضات الله : فباعده بينهم وبين معاصيه ! (فضلا من الله) اختصهم به (ونعمة) منه تعالى أسفها عليهم (فإن يفت إحداكما على الأخرى) بأن ظلمتها ، وقضت الصلح ، أو أبته (حتى تتي) ترجع (إلى أمر الله) إلى الحق الذي أمر به الله ، وإلى الصلح الذي دعيت إليه (فإن فاءت) رجعت إلى أمر الله ، وقبلت الصلح الذي فرضته عليها جماعة المسلمين

أَلْجُرَّتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِهَا فَبَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَتْلَمِينَ ۝
وَأَعْلَمُوا أَن فَيَكُرُّ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأُمْرِ لَعَنَتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝
فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝
وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أُوْلِي الْأَرْحَامِ

أَخَوِيكُمْ

وتوقفت عن بينهما واعتداتها (فأصلحوا بينهما بالعدل) الذي يرضيه الله تعالى ! (وأقسطوا) واعدلوا في كل أموركم (إنما المؤمنون) جميعاً (إخوة) لا يصح أن تقوم بينهم عداوة ، ولا أن ينتصب بينهم قتال ، ولا يجوز أن يكون بينهم تباعد ؛ فكيف يختصمون ؟ بل كيف يقتلون ؟ وإذا اختصموا أو اقتتلوا ؟ فكيف تتركهم على هذه الحال ؟ !

(فأصلحوا بين أخويكم) والسعي في الصلح : واجب على كل مسلم يمكنه السعي فيه ؛ وهو يبلغ حد الفريضة ، وتركه يبلغ حد الكبيرة أو تاركه - مع القدرة على القيام به - عاص موله ، آثم في حق الروادء الإنسانية ، وليس من حقه أن ينسب للأمة المحمدية ؛ بل للأسرة الأدمية ؛ (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره» أى لأجاب سؤاله . والسخرية بالغير من أخط الأخلاق ، ومى موجبة للفت وغضب الرب ؛ عافانا الله تعالى من غضبه وعذابه ا (ولا تلهوا أنفسكم)

٦٣٥

سورة المجرات

أى لا تطفنوا في إخوانكم في الدين ؛ وعبر بذلك لأن سائر المؤمنين كنفس واحدة . والفرز : العيب . وأصله الإشارة بالعين ونحوها (ولا تباذروا بالألقاب) التبر : القلب . أى لا يدع بعضكم بعضاً باللقب الذى يكرهه (بش الاسم الفسوق بعد الإيمان) كانوا يعيرون من كان فاسقاً في الجاهلية بمناذاتهم له : يا فاسق . فزلت (ومن لم يقب) عن الفرز والتنازع (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) السىء بالناس (إن بعض الظن لثم) ليس المراد بالنهى عن الظن : الظن العابر؛ الموجب للحجة والحذر . والتى عنه الشاعر بقوله :

لا يكن ظنك إلا سيئاً

إن سوء الظن من أقوى الفطن

ولما نهى تعالى عن الظن الذى عليه الشيطان وينميه حتى يصيره حقيقة واقعة : كمن يظن أن فلاناً يكرهه ويبنى الكيد له ؛ فيسرع هولاً بفضه والكيد له . وقد يكون بريئاً من البغض ، بعيداً عن الكيد . وكمن يظن فيمن آتى لزيارته أنه إنما آتى لقتله؛ فيمهل بهذا الظن كأنه حقيقة واقعة . وربما كان هذا الزائر قد جاء للاعتذار عن هفوة ارتكبها ، أو للاستغفار من ذنب آتاه . لتلك نهانا الشارع

الحكيم عن العمل بالظن ؛ لما يترتب عليه من نتائج سيئة ، وعواقب وخيمة . وكذلك نهينا في الأحكام عن الأخذ بالظن : فإذا ما قضى قاض ، أو حكم حاكم بما ينحط إلى مرتبة الظن ، ولا يرتقى إلى مرتبة اليقين : فهو ظالم آثم ! فليحذر الذين ولاهم الله تعالى أمور العباد من الوقوع في هذه المخاطر ، والانزلاق في هذه المهالك ا قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لما يك والظن فإن الظن أكذب الحديث» ولم يكن النهى عن نفس الظن المعلوم ؛ لأنه خواطر لا يملك الإنسان منعها ، ولا يستطيع دفعها . والأمر والنهى لا يوردان إلا بتكليف المستطاع من الأمور (ولا تجسسوا) أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايهم (ولا يقب بعضكم بعضاً) الفية : أن تذكر أخاك بما يكره . وفي الحديث : «إذا ذكرت أخاك بما هو فيه فقد اغتبتبه ، وإذا ذكرته بما ليس فيه =

أَخْوِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْبِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَاسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَزَبَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣٨﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّزُومُوا وَلَكِنَّ قَوْلُوا أَسَلْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْعًا

== فقد بهته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) شبه تعالى الفية بأكل لحم الأخ - حال كونه ميتاً - وإذا كان الإنسان يكره أن يأكل لحم الإنسان ؛ فضلا عن كونه أمًا ، وكونه ميتاً ؛ وجب عليه أن يكره الفية بمثل هذه الكراهة .

ولا يفوتني - بمناسبة هذه الآية الكريمة - أن أقرر أن الفية الآن منتشرة بحيث لا يغلو منها مجلس ، وقد أصبح الناس لا يشعرون بقبحها ، ولا يحسون بأثمتها ، وأنها كبيرة - بل ومن أكبر الكبائر -

الجزء السادس والعشرون

١٣٦

فليتحاش ذلك من يرجو رحمة ربه ، وليستغفر لذنبه ! (لتعارفوا) لتعارفوا وتعاونوا ، وتصابروا . (انظر آية ٨ من سورة النساء) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) لم يقل تعالى : إن أكرمكم عند الله أجلكم ، أو أفضلكم نسبا وحسبا ، أو أعلمكم ؛ بل قال «أتقاكم» قال تعالى «فإذا قفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (انظر آية ٨٨ من سورة الحجر . و ٢٢ من سورة الروم) (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ولم يدخل (لايتكم) لايتصكم (من) جزاء (أعمالكم) التي عملتموها (لأعما المؤمنون) حقا ؛ هم (الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا يقيناً (ثم لم يرتابوا) لم يشكوا (قل أعملون الله دينكم) أي أخبرونه بتصديق قلوبكم (يعنون عليك أن أسلموا) بغير قتال ؛ بخلاف غيرهم الذي لم يسلم إلا بعد محاربه (قل لا تنموا على إسلامكم) لأن فائدته عائدة إليكم وعليكم (بل الله يمن عليكم أن هذا ك للإيمان) وأنجاكم من الكفران (إن كنتم صادقين) في قولكم : آمنا (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) أي ما غاب فيها عن العيانت . والعالم بما يغييب : أعلم وأخبر بما يظهر .

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُلِّي فَنِي عِلْمٍ ﴿١٣﴾ يَمْنُنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمَ قُلْ لَا تُنْمُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

(٥٠) سُورَةُ ق مَكِّيَّةٌ

الْآيَةُ ٢٨ فِدَنِيَّةٌ

وَأَنفَاءً نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ

مِنْهُمْ

(سورة ق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (والقرآن المجيد) الكريم العظيم ؛ ذي الجهد والشرف ! أقسم تعالى بالقرآن المجيد أنه أنزله على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ فأنذرهم به فلم يؤمنوا ، وأكد لهم البعث فلم يصدقوا (بل عجبوا) حيث لا يجب (أن جاءهم منذر منهم) أي من أنفسهم ومن جنسهم

مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ أُذِيتَنَا
وَكَا تَرَابًا ۚ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۚ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كَنْبٌ حَقِيطٌ ۚ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ۚ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ۚ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۚ تَبْصِرَةٌ وَدِجْرٌ لِّكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ ۚ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا
بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۚ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا
طَلَعَ نَضِيدٌ ۚ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۚ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتَةً
كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۚ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّسِّ وَنُوحٌ ۚ وَغَادَّ فِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ۚ
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

(فقال الكافرون هذا) الذى يقوله محمد من أمر البعث (شئ عجيب) لا يعقل (أئنا متنا) ودفنا فى قبورنا (وكنا) صرنا (ترابا) وعظاما : أحيا بعد ذلك ، ونعود من جديد كما كنا ؟! (ذلك رجع بعيد) أى ذلك الرجوع والإحياء أمر مستبعد (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ما تأكله من لحومهم ، وتبليه من أجسادهم (وعندنا كتاب حفيظ) هو اللوح المحفوظ ؛ يحفظ ما عملوا وما هم عاملون ، وما قالوا وما هم قائلون . ولم يكن الأمر قاصراً على العجب من بشة محمد

خسب (بل) كان ينصب على ما هو أخش وأقبح ؛ لقد (كذبوا بالحق) القرآن وما اشتمل عليه من الحق (لما جاءهم) على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فهم فى أمر مرهق) أى أمر مضطرب ؛ فتارة يقولون عن القرآن : «أساطير الأولين» وتارة يقولون : «أئنا يعلمه بشر» وتارة يقولون عن سيد البشر : إنه ساحر ، إنه شاعر . وما هو بساحر ولا شاعر ! (أفلم ينظروا) هؤلاء الجهلاء (إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) شقوق تعيها (والأرض مددناها) بسطناها ، ومهدناها للسرى عليها ، والارتفاع بها (والأقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت ؛ لئلا تميد بهم (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) من كل صنف حسن اللون ، والنظر ، والمخبر (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة لكم (وذكري) تذكر كبراً بقدرة ربكم (لكل عبد منيب) راجع إلى ربه فى كل أموره (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أى بساكنين وفواكه ، والحب الذى يحصد : كالحنطة ، والشعير ، وما شاكلهما (والنخل باسقات) أى طوالا . ويسق النخل : طال (لها طلع نضيد) متراكم ؛ بعضه فوق بعض (وأحيينا به) أى بالماء (بلدة ميثا) مجدية ؛

لا نبات فيها ولا زرع (كذلك الخروج) أى مثل إحيائنا الأرض بالنبات : نحى الموتى ، ونخرجهم بعد فناء رسومهم ، وبلاء أجسادهم (وأصحاب الرس) الرس : البئر المطوية بالحجارة . وهو اسم بئر ؛ كانوا حولها وقت نزول العذاب بهم . وقيل : هم أصحاب الأخدود (ونمود) قوم صالح عليه السلام (وعاد) قوم هود عليه السلام (وأصحاب الأيكة) ومى النيفة : مجتمع الشجر ؛ وهم قوم شعيب عليه السلام (وقوم تبع) هو ملك باليمن : أسلم ودعا قومه للإسلام فكذبوه . و«تبع» اسم لكل من ملك الدين ؛ وسما التبايعه (كل) من هؤلاء الأمم المذكورة (كذب الرسل) التى أرسلناها (حق) وجب

(وعيد) عذابى الذى أوعدتهم به (أفئينا) أفجزنا . يقال : عي بالأمس : إذا لم يهتد لوجه عمله (بالخلق الأول) خلقتهم أول مرة (بل هم فى ليس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ونعلم ما توسوس به نفسه) أى نعلم خواطره وهواجسه . لأنه تعالى « يعلم السر وأخفى » (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

الجزء السادس والعشرون

٦٣٨

هو مثل لشدة القرب . والوريدان : عرقان

فى باطن النخ : يموت الانسان والحيوان يقطع أحدهما (إذ يتلقى المتلقيان) هما الملكان الملازمان لكل انسان ؛ لكتابة ما يصدر عنه من خير أو شر (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى قاعدان ؛ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله (ما يلفظ) ما ينطق (ريقب) مراقب لأقواله وأفعاله (عئيد) حاضر (وجاءت سكرة الموت) أى شدته وغمرته ؛ ومى الفراغة (بالحق) أى جاءت بسعادة الميت أو بشقاوته . فقد ورد أنه فى هذه الحال يرى مقدمه من الجنة ، أو من النار . أو « جاءت سكرة الموت بالحق » أى جاءت بأمر الله تعالى ، وسلطانه ، وقهره ، وجبروته (ذلك) الموت (ما كنت منه مخيد) تهرب من ملاقاته ؛ لشعور عقلك بالباطن بما أعد لك من عقاب (وقح فى الصور) القرن ؛ ومى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) لكفار بالعذاب (وجاءت كل نفس) مؤمنة أو كافرة (مما سائق وشهيد) هما ملكان : أحدهما يسوقه إلى المحشر ، والآخر يعهد عليه بما فعل . ويقال للكافر وتذاك (لقد كنت فى غفلة) فى الدنيا (من هذا) العذاب النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أزلنا غفلتك ، وأرناك عياناً ما كنت تتكره وتكذب به

(فبصرك اليوم حديد) من الحدة ؛ أى قوى : تشاهد به اليوم ما خفى عليك بالأمس ؛ من البعث والحساب (وقال قرينه) أى شيطانه المقارن له فى الدنيا . أو المراد بقرينه : الملك الذى يسوقه إلى المحشر (هذا ما لدى عئيد) أى هذا الذى عندى حاضر ومهيأ للنار (ألقيا فى جهنم) يقول ذلك رب العزة ؛ مخاطباً السائق والشهيد (معتد مهرب) ظالم ، شك فى الله وفى دينه (قال قرينه) الشيطان المقارن له فى الدنيا ؛ يقول متبرئاً من إضلاله وإغوائه (ربنا ما أطفئته) بنفسى (ولكن كان فى ضلال بعيد) وذلك كقوله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً »

وَعِيدٌ ١١٠ أَفْئِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ١١١ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١١٢ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ ١١٣ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١١٤ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١١٥ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١١٦ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ١١٧ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١١٨ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ١١٩ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ١٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٍ وَشَهِيدٌ ١٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ١٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ١٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ١٢٤ مَنَّاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٍ ١٢٥ الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهُاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ١٢٦ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ١٢٧

بعيد

بعيد

(وقد قدمت إليكم) في الدنيا ؛ في كتيب ، وعلى لسان رسل (بالوعيد) بالعذاب الذي تروونه الآن ؛ وقد

أنكرتموه وكذبتم به في الدنيا (ما بيدل

القول لدى) أى لا بيدل قول الذى قلته على

لسان رسل ؛ من إدخال المؤمنين الجنة ،

والكافرين النار (وما أنا بظلام للعبيد) حين

أحاسهم على ما جنوه ، وأعاقهم على ما ارتكبوه ؛

بل هم الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها لغضي

وعذابي ! (يوم نقول لجهنم هل امتلأت

وتقول هل من مزيد) هو على طريق المجازة

كتابة عن سعتها ، وأنها تسع سائر الكفار

رغم كثرتهم (وأزلت) قربت ، وأعدت ،

وهبت (أواب) رجع ؛ كثير الذكوة تعالى

(حفيظ) حافظ لحدود الله تعالى (ذلك يوم

الخلود) الدائم الذى لا موت بعده (لهم ما يشاءون

فيها) أى في الجنة (ولدينا مزيد) من الخير ؛

فوق ما يشاءون ، وما يطلبون (وكم أهلكنا

قبلهم) أى قبل قريش (من قرن) أمة (فثقبا

في البلاد) فثقبا فيها عن سبب يمنعهم من

الموت (هل من محيص) هل من مهرب من

الموت ؟ ومثل هؤلاء كمثل من يعيشون - في

زمننا هذا - عن إطالة أعمارهم ، وبقاء شبابهم ،

ولاندرى ماذا يكون بعد بقاء الشباب ، وإطالة

العمر ؟ أيكون البقاء حيث لا بقاء ، والخلود

حيث لا خلود ؟ وماذا ينفع الخلود في الدنيا ؟

إذا لم تكن طريقاً للأخرة ، وسبيلاً موصلاً

إلى مرضاة الله تعالى ! (لمن كان له قلب) واع

للايمان ؛ لأن من لا يمي الإيمان ؛ كمن لا قلب له (أو ألقى السمع)

أى أصغى إلى المواعظ واستمع لها ،

وعمل بها (وهو شهيد) حاضر بقلبه (وما مسنا من لغوب) إعياء

بَعِيدٌ ١٧ قَالَ لَا تَحْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ

بِالْوَعِيدِ ١٨ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ

لِلْعَبِيدِ ١٩ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ

مِنْ مَزِيدٍ ٢٠ وَأَزَلَّيْتُ لِلْجَنَّةِ الْمُنْتَفِعِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٢١

هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ٢٢ مَنْ خَشِيَ

الرَّحْمَنَ يَأْتِ الْغَيْبَ وَجَاءَ قَلْبٍ مُنِيبٍ ٢٣ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ٢٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا

مَزِيدٌ ٢٥ وَكَرَّمْنَا أَمَلَهُمْ فِي يَوْمٍ قَرَرْنَاهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ

بَطْلًا فَتَقَبَّلُوا فِي الْبَلَدِ حِيلَ مِنْ حَيْصٍ ٢٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٢٧

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

وَمَا مِنَّا مِنْ لُغُوبٍ ٢٨ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٢٩

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ السُّجُودَ ۝ وَأَسْمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
وَالِنَا الْمَصِيرَ ۝ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاطًا
ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ۝

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۝ فَالْحَقَمَلِكِ وَقُرْآ ۝ فَالْجَارِيَتِ
يَسْرًا ۝ فَالْمَقْسَمِتِ أَمْرًا ۝ إِنَّمَا نُوْعِدُونَ
لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَقَّعَ ۝ وَالْأَسْمَاءُ ذَاتِ

الْحَبْكِ ۝

(والجاريات يسراً) السفن تجري ميسرة بإذن الله؛ تحمل المتاجر ليسر الخلق ورخائهم. أو هي السحب؛
تجري وتسير؛ إلى حيث أراد الله تعالى. أو هي الكواكب التي تجري في منازلها (فالقسيمات أمراً) الملائكة
التي تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى. وقبل: الرياح؛ لأنها تقسم الماء بتصرف السحاب (إن ما نوعدون) به
من البعث والحساب والجزاء (لصادق) واقع لا محالة (وإن الذين لواقعه) الدين: الجزاء على الأعمال

(وأدبار السجود) أي عقب الصلوات (يوم
يسمعون الصيحة) يصيحها فيهم إسرافيل عليه
السلام (انظر آية ٥٣ من سورة يس) (ذلك
يوم الخروج) يوم البعث (يوم تشقق الأرض
عنهم سراً) يوم تصدع الأرض؛ فتخرج
الموتى مسرعين (وما أنت عليهم بجبار) تجبرهم
على الإيمان قسراً (فذَكَرَ بالقرآن من يخاف
وعيد) من يخشى عذابي

(سورة الذاريات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذرواً) الرياح تنفرو كل
شيء تربة؛ كرمل وتراب ونحوهما؛ أي
تفرقه وتبدده. وقبل: «الذاريات» النساء
الولود؛ لأنهن يفرين الأولاد (فالحملاط
وقرأ) السحب تحمل الماء. وقيل: هي
السفن الموقرة بالناس وأمتعتهم وتجاراتهم،
أو هي الحوامل من سائر النساء والحيوانات

الْحَبْكَ ۝ إِنَّا نَكْرِ لَنِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفِكُ عَنْهُ
مَنْ أُنْفِكَ ۝ قِيلَ انْحَرُصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ
سَاهُونَ ۝ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى
النَّارِ يُقَنَّنُونَ ۝ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝
يَأْخُذِينَ مَاءً لَّيْسَ بِهِم رِيءٌ مِنْهُمْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ
مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ النَّارِ مَا يَجْعَلُونَ ۝
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَعْرُومِ ۝ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تَوْعَدُونَ ۝ قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
بِشَيْءٍ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ

(الحبك) طرائق النجوم (إنكم لني قول مختلف) هو قولهم في الرسول عليه الصلاة والسلام : ساحر ،
وشاعر ، ومجنون (يؤفك عنه من أفك) يصرف عنه من صرف (قتل الحراصون) الكذابون المقترون ؛
ويصح أن يطلق على المتجملين (الذين هم في غمرة) في جهل يعمهم (أيان يوم الدين) متى يوم الجزاء (يقننون)
يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) عذابكم الذي تستحقونه (مايهجعون) ماينامون (وفي أموالهم حق) نصيب
وافر ؛ يرون إعطاءه حقاً من الحقوق في أعناقهم (السائل) الذي يطلب من الناس (والمحروم) الذي لا يسأل
الناس تعففاً (وفي الأرض آيات للموقنين) آيات

دالة على قدرته تعالى ، ووحدانيته (وفي
أنفسكم) آيات أيضاً (أفلا تبصرون) هذه
الآيات ؛ فتفتنون بها ، وتدبنون بحالها
وموجدتها ؛ فإنكم لو تأملتم ماكتبته الأرض من
النبات ، وفكرتم فيما تخرجه من الأقوات ؛
تضعون الحبة فيخرج لكم منها المئات ،
وتضعون البذرة فينبئ لكم منها البساتين
والجئات ؛ إلى غير ذلك من اختلاف الطعوم
والألوان ، والهيئات ؛ لو تأملتم ذلك بعين
الفكرة والبصرة ؛ لما وسعكم إلا أن
تقولوا : وفي الأرض آيات وأي آيات !

ولو تأملتم في أنفسكم لوجدتم العجب
المجرب ؛ انظروا مثلاً كيف أنشأكم الله تعالى
ابتداء من طين ، ثم كيف خلقكم من نقطة في
قرار مكين ! بل انظروا إلى النطفة نفسها ،
وكيف يتكون منها الجنين ؛ الذي لا يتكون إلا
من الاتحاد الذي يتم بين جرثومة الذكر وبويضة
الأنثى ، وبذلك تتكون خلية ؛ يحدث انقسام
بينها إلى خليتين ، ثم انقسام آخر لكل من
الخليتين ، ثم آخر للنتسعين ، وآخر وآخر ؛
وهكذا دواليك ؛ إلى أن يصل العدد إلى
أربعين جيلاً من الخلايا ؛ حتى يزيد مجموع
الخلايا - التي يتكون منها الإنسان الواحد -
عن سكان الكرة الأرضية بأكثر من ألف

مرة . وكل خلية من هذه الخلايا تعيش بمنزل عن الأخريات ؛ وكل منها بمثابة مصنع للنتاج ؛ فيها ما ينتج
الشعر ، ومنها ما ينتج الأظفار ، ومنها ما ينتج العظام ، ومنها ما ينتج الدم ، وهكذا . ومتى فضجت هذه
الخلايا ، واكتملت نموها ؛ تخصص كل منها في تكوين نوع واحد من الأنسجة والأعضاء . هذا وقد أصبح
من السهل جداً - تحت المجهر - التفريق بين الخلايا المسكونة للكبد ، والخلايا المسكونة للكلى ؛ بالرغم من
أن مهمة العضوين تكاد تكون واحدة ؛ هي الاشتراك في عملية التغيرات الكيميائية في الجسم .

ومن هذه الخلايا ماينتج الجهاز العصبي ؛ الذي يتوقف عليه إيصال الرسائل من الحواس والأعضاء المختلفة
إلى المخ ؛ ومن المخ تنتقل الرسائل - التي هي بمثابة أوامر وأحكام - إلى العضل والأطراف ؛ التي تتحرك -

== بموجبها - تبعاً للظروف المحيطة بالإنسان - أو إلى التدد الجمة ؛ فنفرز سائلاً معيناً - وفقاً للحالة التي يجابهها الشخص - كالدموع ، واللعاب ، والادرينالين .

مثال ذلك : إذا أبصر إنسان لصاً أمامه يبيده خنجر : فإن الجهاز العصبي يوجه إلى المخ إشارة بذلك الخطر المحدث ؛ فتتلقى الجوارح من المخ إشارة بما يجب اتباعه . وقد يشير المخ - تبعاً للسلوك الشخصي للإنسان - بالفرار من اللص ، أو بالمجوم عليه وانزعاج الخنجر من يده ، أو بمبادرته بطلقة من مسدس ، أو ضربة من عصا ونحوهما . على أن الزمن الذي تستغرقه هذه الرسائل - القاهبة والآية - يندق على أي آلة أو أداة لاسلكية أو الكثرونية ؛ وفي الوقت ذاته لا يتجاوز جزء من مائة من الثانية .

فعلاقة الحواس بالمخ علاقة ثابتة ما ثبت الوعي والإدراك ؛ الذي يتفرع منها التمييز ، والتصور ، والذاكرة ، والتعليل ، والطموح ، وإدراك الهدف .

ولا ينبغي ما في خلقه المخ من أعاجيب وغرائب ؛ فمن أعجب الأعاجيب : اختزان العلوم والمعارف ، والمدارك ، والمحفوظات ؛ واستخراج ما يراد من ذلك من سجلاتها المرتبة البوابة في ظرف قد لا يتجاوز ارتداد الطرف ؛ بواسطة ذبذبات يهز اللسان عن وصفها ، ويضيق الجنان عن الإحاطة بها !

هنا وقد دل الفحص المجهرى على أن عدد الحيوط العصبية في المخ يتجاوز عشرة آلاف مليون . كل واحد منها تدب فيه الحياة ، وتحمل وظيفة عضوية يؤديها على أكل وجه ! وعلى هذا المنوال تؤدي أجسامنا - بما احتوت من أعضاء - وظائفها ذات الأهداف الثابتة ؛ وبغير وعي منها ، الأمر الذي يدل دلالة قطعية على أن هناك إرادة عليا تسيروها وتوجهها !

ولو لم يكن في بديع صنع الإنسان : سوى أنه يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ؛ في مدخل واحد ؛ ثم يخرج كلاماً من مخرج منفصل عن الآخر ؛ لكفى ذلك عجباً ! وناهيك بما يفعله الجسم بالطعام والشراب حين يهضمهما ، وماخذ أطايبهما ؛ ثم يلقي بنفاياتهما ؛ بعد أن يستنفد وقوده ، ويأخذ حاجته ، ويستوعب كفايته «فتبارك الله أحسن الخالقين» .

ولو تأملتم في حواسكم : لو جردتم أعجب العجب ! أنظروا مثلاً إلى حاسة اللمس ؛ وكيف أنكم تستطيعون بها الفرق بين الناعم والخشن ، والبارد والحار ، واللين والرخو . وانظروا أيضاً إلى حاسة الشم ؛ وكيف تستطيعون بواسطتها معرفة ذكى الرائحة من رديئها ، وطيب النكهة من فاسدها .

ولو تأملتم في حواسكم : لو جردتم أعجب العجب ! أنظروا مثلاً إلى حاسة اللمس ؛ وكيف أنكم تستطيعون بها الفرق بين الناعم والخشن ، والبارد والحار ، واللين والرخو . وانظروا أيضاً إلى حاسة الشم ؛ وكيف تستطيعون بواسطتها معرفة ذكى الرائحة من رديئها ، وطيب النكهة من فاسدها .

سَلَّمَ قَوْمٌ مُتَكَوِّنُونَ ﴿٦٤﴾ قَرَأَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِهَاجَةٍ يُصْبِحُ
سَمِيعًا ﴿٦٥﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَبْجَسَ
مِنْهُمْ خِيْفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُم بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿٦٧﴾
فَأَقْبَلَ كَاتِبًا فَاتَمَرَّ فِي صُرَّةٍ فَهَضَمَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٦٨﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٦٩﴾ * قَالَ فَاصْبِرْ أَيْنَمَا تُرْسَلُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِم
حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ﴿٧٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٧٣﴾
فَاتَرَجَّحْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٤﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٥﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا ثَابِتًا لِّلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٧٦﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوعًا وَقَالَ سِحْرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٧٨﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَبَدَّوْهُمْ فِي النَّارِ وَهُمْ

= وانظروا أيضا إلى حاسة الذوق ، وكيف استدلون بواسطتها إلى تذوق الأصناف والطعوم ، ومعرفة الحلو والحامض ، والمُر ، والمالح .

وكذلك البصر ؛ وانطباع المراتب عليه ، وانكاسها على صفحة المخ لتترك أثرها .

وكذلك السمع ؛ واقلاب السموعات إلى مفهومات ، وانطباع هذه المفهومات في حافظة المخ ؛ لتزودكم به ، وقت حاجتكم إليه . وهكذا سائر الأعضاء بما وهبها الله تعالى من مزايا يضيق الخاطر عن حصر فوائدها ومنافعها !

٦٤٣

سورة الناريات

فإذا ما فكر الإنسان في خلقه نفسه ، ودقة حواسه ، وتأمل هذه الآلات والأدوات ؛ التي صاغها الخلاق العليم ، وبرأها المدير الحكيم ! وهل يستطيع الإنسان - بما أوتي من علم ومال ، وجاه وسلطان - أن يستعيض عن أحدها لو سلبها ، أو أن يردّها بعد تلفها ، أو أن يفهم كنهها ، ويعرف سر تركيبها ! حقا لو تأمل الإنسان بعض ذلك ؛ لما وسعه إلا أن يقول : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (وفي السماء رزقكم) في الدنيا . أي إن رزقكم مقدر في السماء ، مسجل في اللوح المحفوظ ؛ يسمى اليكم ؛ قبل أن تسمعون إليه ، ويجري وراءكم ؛ قبل أن تكدون في تحصيله . وربما أريد بالرزق : المطر ؛ لأنه سبب له ، ويأتي الرخاء والحصب بواسطته (وما توعدون) به في الآخرة ؛ من نعيم مقيم للطائع ، وعذاب أليم للعاصي . وقيل : أريد بما توعدون : الجنة . وأنها فوق السماء السابعة ؛ تحت عرش الرحمن (فوب السماء والأرض لانه) أي رزقكم المقدر لكم ، وما توعدون به في كتب الله المنزل ، وعلى السنة رسله المرسل (الحق) ثابت واقع (مثل ما أنكم تتلقون) أي كما أنكم - أيها المخاطبون المكلفون - قد تميزتم

مُليمٌ ١٠٠ وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ١٠١
ما تذر من شيءٍ أنت عليه إلا جعلته كَارِيسم ١٠٢
وفي ثمودٍ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ١٠٣ فقتلوا عن
أمر ربهم فأخذتهم الصلصة وهم يظنون ١٠٤ فآ
استطعوا من قيّارٍ وما كانوا متصيرين ١٠٥ وقوم نوح
من قبلٍ إنهم كانوا قوماً فاسقين ١٠٦ والسماء بين يدينا
بأيدينا وإنا لعمّوسعون ١٠٧ والأرض فرشنا فنعْم
الْمُهْدُونَ ١٠٨ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون ١٠٩ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ١١٠
ولا تجعلوا مع الله الشركاء إني لكم منه نذير مبين ١١١
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحر
أو مجنون ١١٢ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ١١٣
فقل عنهم فإن أنت بمُلومٌ ١١٤ وذِكْرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى

عن سائر الحيوانات بالطق ؛ فكذلك تميز كلامه تعالى ، ووعدته ووعيده ؛ بالصدق والحق !
(قوم منكرون) أي أنكرتم ولا أعرفهم (فراخ إلى أهله) ذهب إليهم خفية (فأوجس) أضر (في صرة) في صيحة ؛ تمجبا لما سمعت (فصكت وجهها) ضربت وجهها بأصابع يديها ؛ فعل المتعجب (وقالت) كيف ألد وأنا (عجوز) كبيرة السن ؛ لا تحمل عادة ؛ فضلا عن أني (عقيم) لم ألد في شبابي ؛ فكيف في شيخوختي وبأسي ! (قال) إبراهيم لضيفه (فما خطبكم) ما شأنكم ، وما طلبكم ؟ (إلى قوم مجرمين) قوم لوط (مسومة) معلة ؛ على كل واحد منها اسم من يهلك به (المفسرين) للكافرين (فأخرجنا من كان فيها) أي من كان في قري قوم لوط (فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين) هويت لوط عليه السلام . =

= قبل : هو وابنتاه (وتركنا فيها) أى فى القرى بعد تغريبها (آية) علامة تدل على إهلاكهم ، وما فعله الله تعالى بهم ؛ ليتظن المتظن ، ويذكر التذكرة ! (بسلطان مبین) بحجة ظاهرة (فتولى بركنه) أى بما يركن إليه ؛ من جند ومال (فبنينا لهم) طرخناهم (فى البحر) (وهو مليح) فاعل ما يلام عليه (وفى عاد) قوم هود (الربع العقيم) التى لا فائدة فيها ؛ من سحاب ومطر ونحوهما . وهى الدبور ؛ وسميت عقبا : لأنها لا تلحق الأشجار ، ولا تنضج الثمار (ما تترك) (إلا جعلته كالرميم) وهو كل ما بلى وتفتت (وفى نوح) قوم صالح (إذ قيل لهم تتعوا) بما وهبكم

الجزء السابع والعشرون

٦٤٤

الله تعالى من سعة ورزق (حتى حين) إلى اقتضاء آجالكم (فتعوا) استكبروا (فأخذتهم الصاعقة) وهى نار تنزل من السماء (وهم ينظرون) إليها ، وينظرون خيها ؛ وأنهم العذاب من حيث لا يشعرون ! (بأيد) بقوة (ولما لموسعون) لقادروا ؛ والوسع : الطاقة (ومن كل شئ خلقنا زوجين) ذكرأ وأنثى . وعن الحسن رضى الله تعالى عنه : السماء والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والموت والحياة . وقال : كل اثنين منها زوج ؛ والله تعالى فرد لا مثل له ! (فقرأوا إلى الله) أى الجأوا إليه ليخلصكم من أضرار الذنوب (تواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول . وهو قولهم : «ساحر أو مجنون» (بل هم قوم طاغون) يعنى أنهم لم يتواصوا بهذا القول ؛ بل العلة واحدة : وهى أنهم قوم طاغون (فتول) أعرض (عنهم فأنتم بعلوم) حيث بلغتهم الرسالة التى كلفت بها (وذكر) عظم بالقرآن (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) لأن من يوصف بالإيمان : أولى به أن يتصف بالإحصاء للذكرى ، وشبه العلة ؛ شأن سائر العقلاء . أما غير المؤمن : فقد غطى قلبه عن فهم الحقيقة ، وأعمى عينه عن رؤية الهدى ،

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٧) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٩٩ نَزَلَتْ بَعْدَ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مُطَوَّرٌ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾
وَالنَّيِّتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ

دَافِعٍ ﴿٨﴾

وأصح سمع عن داعى الله ؛ فلا تنفعه الذكرى . فتعال معى يا أئمة المؤمنين تعاهد على ألا تسرق ، ولا تقتل ، ولا تزنى ، ولا تغتصب ، ولا تكذب ، ولا ترتكب إثمًا يلحق بنا أو بغيرنا الضرر ؛ وأنا الكفيل لك بثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ! قال تعالى «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوا) أى إلا ليعتقدوا عبادة لى (ما أريد منهم من رزق) بل أنا المتكفل بأرزاقهم (وما أريد أن يطعموا) بل أنا الكفيل بإطعامهم ! (فإن للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (ذنوباً) نصيباً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى مثل نصيب أصحابهم ونظراتهم فى الكفر ؛ من القرون الماضية ؛ وقد أهلكهم الله تعالى وأبادهم . =

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام (وكتاب مسطور) هو التوراة ، أو القرآن ؛ وقيل : إنه اللوح المحفوظ (في رقى منشور) هو الصحيفة المفتوحة ، التي لاقتم عليها (والبيت المعمور) هو بيت في السماء السابعة ؛ حيال الكعبة . وقيل : هي الكعبة نفسها ؛ لكونها معمورة دائماً بالحجاج . ومن المشاهد أن الطواف بها لا ينقطع ليلاً ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، صبحاً ومساءً ؛ زادها الله تعالى تشرiffاً وتعظيماً ! (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المسالو . وجميع ما تقدم : قسم ، وجوابه : (إن عذاب ربك لواقع) أي لنازل بمستحقه من المكذبين (ماله من دافع) يدفعه عنهم (يوم تور السماء موراً) تتحرك وتدور وتضطرب ؛ يوم القيامة (وتسير الجبال سيراً) في الهواء ؛ كسير السحاب ؛ لأنها تصير هباءً منثوراً (الذين هم) في الدنيا (في خوض) باطل (يلعبون) غير عابثين بما ينتظروهم (يوم يدعون) يدفعون بعنف (أنسحر هذا) يعني : كنتم تقولون عن معجزات الأنبياء : إنها سحر و أنسحر هذا أيضاً كما كنتم تدعون ؟ (أم أنتم لا تبصرون) النار ، وتحسون بلهبها ؛ الذي يجعلها حقيقة واقعة (اصلوها) ادخلوها (فاصبروا) على حرها وألمها (أو لا تبصروا) أي إن صبركم وجزعكم (سواء عليكم) لأنكم لم تؤمنوا حين دعوناكم للإيمان (إنما تجزون) عقوبة (ما كنتم تعملون) في الدنيا (فاكهين) متلذذين . وسميت الفاكهة فاكهة : للتلذذ بتناولها (وزوجناهم بحور عين) حسات العين (انظر آية ٤٤ من سورة الدخان) (وما ألتناهم من عملهم) أي وما نقصناهم من ثواب عملهم (كل امرئ بما كسب) بما عمل من خير أو شر (رهين) مرهون : يثاب على الخير ، ويعاقب على الشر (يتنازعون فيها كساً) أي يتعاطون خيراً لذة للشارين : يتناول هذا الكأس من يد هذا ، وهذا من يد هذا . أو يتخاطفون من بعضهم كما يتخاطف الأصدقاء والأحباء في الدنيا لذيذ الطعام والمشرب !

دَافِعٍ ١ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٢ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ٣ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرُسٍ ٥ يَلْعَبُونَ ٦ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ٧ هَٰذَا ٨ الشَّارِ لِّئِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ٩ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا ١٠ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١١ أَصْلَوْهَا ١٢ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٣ إِنَّ الْأُنثَيْنِ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ ١٤ فَكَيْفَ يُعْجَبُ بِمَا أَنَّهُنَّ رَهِيمٌ ١٥ وَوَقَّعَهُم رَهِيمٌ عَذَابِ الْجَحِيمِ ١٦ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ مَّا عَمِلْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٧ مُسْكِينٍ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ١٨ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ١٩ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ تَابَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ٢٠ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيمٌ ٢١ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ يُنَزَّلُ عَنْ

فِيهَا كَأَسَا لَا تَعْرِفُهَا وَلَا تَأْتِيهَا ۖ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
 غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا
 مُتَقِفِينَ ۝ قُلْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ وَفَقْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ۝
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ فَذَكَرَ
 قَاتُ أَنْ يَنْعِمَ رَبُّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا يَجْنُونَ ۝ أَمْ
 يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ۝ قُلْ
 تَرَبَّصُوا فَمَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ۝ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَنْطَلِقُكُمْ يَتَذَكَّرُ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ
 تَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ
 كَانُوا صَادِقِينَ ۝ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
 أَنْتَظِرُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ
 لَا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ

الْمُصَيِّرُونَ ۝

(أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من الرحمة ، والنبوة ، والرزق ؛
 فيخصون من شاءوا بما شاءوا

(لا لغو فيها ولا تأثيم) أى لا تحمل شاربها
 على اللغو والسب ، ولا على ارتكاب الجرائم
 والآثام ؛ كشأن خر الدنيا (ويطوف عليهم)
 للخدمة (غلمان لهم كأنهم) لفرط جمالهم (لؤلؤ
 مكنون) عزيز مصون (مشفقين) خائفين من
 عذاب الله تعالى (ووفانا عذاب السوم)
 عذاب النار ؛ لأنها تغفل المسام (إننا كنا
 من قبل ندعوه) نعبده (إنه هو البر) المحسن
 للمحسن والسيء ، الملحق للمؤمن والكافر ،
 الحافظ للطائع والعاصي (فذكر) يا محمد بالقرآن
 (فأنت بنعمة ربك بكاهن ولا يجنون) أى
 أنت بفضل الله تعالى عليك لست بكاهن ،
 ولا بجنون ؛ كما يدعون (تترصد به رب
 النون) تنتظر له نوائب الزمن (قل ترصدوا
 فإن معكم من المترصد) أى انتظروا هلاك ؛
 فإن منتظر هلاككم . ومآلى إلى الجنة ،
 ومآلكم إلى النار (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ)
 عقولهم (بهذا) القول ، وهذا الفعل (أَمْ)
 بل (م قوم طاغون) كافرون (أَمْ يقولون
 تهوله) اختلقه (فليأتوا بحديث مثله) أى
 بقرآن مخلق مثل هذا القرآن (أَمْ خَلَقُوا مِنْ
 غير شيء) أى من غير خالق خلقهم ؛ كما يقول
 الطبعيون (أَمْ هم الخالقون) للأشياء ولأنفسهم
 فيخصون من شاءوا بما شاءوا

الْمُصِطَرُونَ ﴿٦٧﴾ أَمْ لَمْ يَسْمِعُوا فِيهِ فَلَيَاتِ
 مُسْتَعِمُّهُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُنَّ
 الْبَنُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ قَسَمْتَ لَهُمْ آبَرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَقٍ مُنْقَلُونَ ﴿٧٠﴾
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ
 سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنْ رَوَّا كِفَايَةً مِنَ السَّمَاءِ
 سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٧٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٧٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
 كَيْدُهُمْ شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
 عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَأَصْبِرْ
 لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
 تَقُومُ ﴿٧٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٧٩﴾

(أَمْ هُمُ الْمُصِطَرُونَ) المصيطرون) المتسلطون على الكون ،
 الوجهون للأمور ؛ وفق رغبتهم ومشيئتهم
 (أَمْ لَمْ يَسْمِعُوا) يصعدون عليه ، و (يستمعون
 فيه) كلام الملائكة ، وتذير الأرض من
 السماء ؛ وإن زعموا هذا (فليأت مستمعهم)
 الذي سمع من السماء (بسلطان مبين) بحجة
 واضحة تدل على صموده إلى السماء واستماعه
 (أَمْ لَهُ) تعالى (البنيات) ذلك بأنهم قالوا :
 الملائكة بنات الله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) ما غاب
 علمه عن الأنظار والأفهام (فهم يكتُمون) منه ،
 ويخبرون الناس به (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) بك ؛
 كما اتفقوا في دار الندوة على إهلاكك (فالذين
 كفروا هُمُ الْمَكِيدُونَ) أي الواقع بهم الكيد
 والهلاك (أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يمينهم ويزعمهم ،
 ويمنعهم منه (سُبْحٰنَ اللَّهِ) تنزهه ، وتعالى ،
 وتقدس (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الآلهة (وإن
 يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب
 مَرْكُومٍ) يريد أنهم قالوا لك تعجيزاً : « أو
 تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً » ولو أسقطتها
 كسفاً - كما طلبوا - لقالوا : ليس هذا من
 السماء ؛ بل هو سحاب مترام (فذرهم)
 أتركهم ودعهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
 يصعقون) يموتون ؛ ثم يعذبون (وإن للذين ظلموا عذاباً دُونَ ذَلِكَ) قبل يوم القيامة ؛ وهو عذاب القبر
 (وأصبر لحكم ربك) بإيمانهم ؛ ولا يضيق صدرك بمكرهم (فإنك بأعيننا) أي بحفظنا وكلاءنا ، وتحت
 رعايتنا . وكذا « فاصنع الفلك بأعيننا » (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من النوم ، أو « حين تقوم » إلى
 الصلاة (وإدبار النجوم) حين تقرب : وقت صلاة الفجر .

(سورة النجم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم إذا هوى) إذا انثر وسقط يوم القيامة ، وهوى من مقره . قال تعالى « وإذا النجوم انثرت » أو « هوى » بمعنى غاب وهو قسم ؟ جوابه (ماضٍ صاحبكم وماغوى) أى ماضٍ مجد ، وماغوى كما تدعون .

الجزء السابع والعشرون

٦٤٨

والنبي : الجهل مع اعتقاد فاسد ؛ وهو ضد الرشيد (وما ينطق) بما ينطق به (عن الهوى) أى عن هوى في نفسه (إن هو) أى إن الذي ينطق به من القرآن ؟ ما هو (إلا وحى يوحى) إليه من ربه (علمه) إياه ، ولقنه له (شديد القوى) جبريل عليه الصلاة والسلام (ذو مرة) ذو قوة ، وبأس ، وشدة (فاستوى) أى استقر واستقام على صورته الحقيقية ؛ لا كما كان ينزل بالوحى (وهو بالأفق الأعلى) (التأحية ، أو هو ما يظهر من نواحي الفلك . وقد ورد أن جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ناحية الشمس - عند مطلعها - على صورته الحقيقية التي أوجده الله تعالى عليها ؛ ساداً الأفق ما بين المشرق والمغرب . وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينظر حراء ؛ غمر مشفياً عليه من عظم ما رأى من بديع صنع ربه ١ (ثم دنا) قرب جبريل عليه السلام من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (فتدلى) جبريل في الهواء . ومنه تدلت النثرة (فكان) جبريل من النبي (قاب) قدر (قوسين أو أدنى) أو أقل من مقدار قوسين . وقد جرت عادة العرب في التقدير بالقوس ، والرمح ، والسطر . أو أريد بالقاب : قاب القوس . وهو ما بين القبض والسية . ولكل قوس قبان . وقيل : أريد بقاب قوسين :

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ
الْأَيَّةُ ٣٢ فَدَنَسَتْ
وَالْأَيَّةُ ٦٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١
مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ٦
وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٧
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩
فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١١
أَفَتُمْتَرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَىٰ ١٢
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ١٤
عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ١٥
إِذْ يُغَشَّى الْسِدْرَةَ مَائِغَشَىٰ ١٦
مَأْرَاحَ الْبَصَرِ وَمَا طَغَىٰ ١٧
لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

الْكُبْرَىٰ ١٨

قَابِ قَوْسَيْنِ ؟ فسبق في القرآن على طريقة القلب « فأوحى إلى عبده ما أوحى » أى « فأوحى » الله تعالى « إلى عبده » عهد عليه السلام ؛ بواسطة جبريل « ما أوحى » وقيل : « فأوحى » الله تعالى « إلى عبده » جبريل « ما أوحى » به جبريل إلى عهد صلى الله تعالى عليه وسلم (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد عهد صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأى) أى لم يكن متوجها لما رآه ، أو مخدوعاً فيه ؛ بل كانت رؤيته لجبريل عليه السلام حقيقة واقعة . وقد ظهر جبريل بصورته لمحمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليتأكد لديه أنه هو بنفسه الذي يأتيه بالوحى من ربه على صورة دحية الكلبي ؛ تأليفاً لقلبه ؛ فقد رآه وعرفه ، وأوحى إليه بما كلف به من مولاة (أفتبارونه) أفتجادلون محمداً وتكذبونه (على ما يرى) معاينة بنفسه (ولقد رآه نزلة أخرى) =

الْكَوْبَرَى ۝ أَمْرًا يَمُّ الْاَلَّتْ وَاعْتَرَى ۝ وَمَنْوَةً
 الْبَالِغَةَ الْاُخْرَى ۝ اَلْكُرْدُ كَرُوْلَهُ الْاُنْتَى ۝ تِلْكَ
 اِذَا قِسْمَةُ ضِيْرَى ۝ اِنْ هِيَ اِلَّا اُنْمَاءٌ سَمِيْنُومَهَا
 اَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اِلَلُّهُنَّ مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَنْبَغِيْ
 اِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوٰى اَلْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ
 رَبِّهِمْ الْهُدٰى ۝ اَمْ لِلْاِنْسٰنِ مَا مَنَعْنٰى ۝ فَلِلَّهِ الْاٰخِرَةُ
 وَالْاَوَّلٰى ۝ * وَكَمِ مِنْ مَّلَكٍ فِى السَّمٰوٰتِ لَا تَعْبٰى
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْفًا اِلَّا مَنْ يَّعِدَنَّ اِلَلُّهُ لِمَنْ يَّشَاءُ
 وَيَرْضٰى ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ لَيَسْمَعُوْنَ
 اَلْمَلٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْاُنْتَى ۝ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
 اِنْ يَنْبَغِيْهُمْ اِلَّا الظَّنُّ وَاِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ
 شَيْفًا ۝ فَاَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّٰى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَا يَرْدُ
 اِلَّا الْخَيْرَةُ الدُّنْيَا ۝ ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ اَعْلَمٍ اِنَّ

= أى رأى محمد جبريل مرة أخرى . وأخطأ من قال : إن محمداً رأى ربه . قال تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب» ومحمد عليه الصلاة والسلام : من البشر ، ولو أنه سيدهم وإمامهم ؛ وليس كسائرهم . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : «من قال : إن محمداً رأى ربه فقد أعظم القرية» (عند سدرة المنتهى) الجمهور على أنها شجرة بنى في السماء السابعة ، عن يمين العرش ؛ يسير في ظلها الراكب كذا من الأعوام . والذي أراه أن السدرة ليست كما يقولون ، أو يروون «وما يعلو تأويله إلا الله» وقد يكون المراد بسدرة المنتهى : الظل الذى تنقذ إليه الأرواح ؛ ليرتاح من جر الحياة اللافح ، والراحة التى يستريح إليها التعب المكثود ؛ بعد أن لاقى في حياته الدنيا ملاقى ، وكابد في بيئاتها المحرقة ما كابد ! ولذا أعقب الله تعالى ذكر السدرة بقوله جل شأنه (عندها حنة المأوى) والجنة : البستان ، والشجر الكثير ؛ الذى يأوى إليه الناس للراحة . وأريد بالجنة : «جنة الخلد التى وعد المتقون» (إذ يغشى السدرة ما يغشى) هو تعظيم لما يشاءها من الخلائق ؛ الذالة على عظمة الخالق ! أو هو لما يشاءها من البهاء والجمال ، والنور والجلال ! «ما زاغ البصر وما طوى» أى لم يتجاوز الحد ؛ ويطمح إلى رؤية ما لا تجوز رؤيته ، ولا يمكن الإحاطة به «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هى أسماء آلهة كانوا يعبدها (انظر آية ٥٢ من سورة الحج) (الكم الذكر) الذى تطلبونه وتمنونه من البنين (وله الأنتى) التى تعافونها وتكرهونها . وذلك لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله (تلك إذا قسمة ضيرى) أى قسمة جائزة (لقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول العظيم ، والقرآن الكريم (فله الآخرة والأولى) الدنيا والآخرة ؛ يفعل فيها وأهلها ما شاء ! (وكم من ملك في السموات) مقرب إلى الله ، طائع لمولاه (لا تغنى) لا تنفع (شفاعتهم) في أحد العصاة (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء) تشفيحه ، أو «لمن يشاء» لإنجاءه (ويرضى) عنه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنتى) حيث قالوا : الملائكة بنات الله (ذلك مبلغهم من العلم) أى نهاية علمهم : أن أعرضوا عن الإيمان ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة

(الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) الكبائر: كل ما أوعده تعالى عليه بالنار. والفواحش: ما شرع فيه الحد (إلا اللطم) وهو صفار الذنوب؛ كالنظر إلى الأجنبية، والقول من القول، أو «اللطم»: ما يلطم بالإنسان من الذنوب فجأة؛ من غير روية أو قصد (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين وهو الولد في بطن أمه (فلا تركوا أنفسكم) لا تمدحوها مجبين بها (هو أعلم من اتقى) فيزكبه بفضلها، ويطلعه بكرمه! (أفرايت الذي تولى) كفر بعد إيمانه. قيل: هو الوليد بن المغيرة؛ وكان قد اتبع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ فعيره بعض الكفار، فقال له الوليد: إني اتبعت محمدا خشية عذاب الله؛ ففضن له لأن هو أعطاه شيئا من ماله، ورجع إلى كفره؛ فحمل منه عذاب الله. فارتد الوليد، وأعطاه بعض الذي وعدموشح بالباقي؛ وذلك معنى قوله تعالى (وأعطى قليلا وأكدى) أى ومنع باقى عطائه (أم لم ينأ بما حقص موسى) التوراة (و) صحف (إبراهيم) الذى وفى) أى وفى بكل ما يوجبه الإسلام: من إيمان يقين بالله، ومعرفة حقيقة له تعالى؛ من غير تقليد. قيل: كان يقول كلما أصبح وأمسى «سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون». وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» (الآنزر وأنزلة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس إثم نفس أخرى. وقد ورد هذا المعنى فى سائر الكتب السماوية؛ ومنها صحف موسى وإبراهيم (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أى إلا ثواب سعيه هو بنفسه لنفسه؛ أما عمل غيره له فلا. ولا يتأق ذلك الحديث الصحيح؛ عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» وذلك لأن الصدقة الجارية: من

٦٥٠

الجزء السابع والعشرون

رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٦٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوٰا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّطَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكَ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٦٨﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٦٩﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٧٠﴾ أَمْ لَمْ يَبْنِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٧١﴾ وَإِبْرٰهِيْمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٧٢﴾ الْآنْزُرْ وَاِزْرُورَ أَنْزَرَى ﴿٧٣﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٧٤﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٧٥﴾ ثُمَّ يُجْزٰىهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٧٦﴾ وَأَنْ لَّكَ رَبُّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٧٧﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ أَهْلُ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ أَعْلَمُ

وَأَحَبُّ

عمله، والعلم المنتفع به: من سعيه، والولد الصالح: ثمرة تنشئته وتأديبه وتهذيبه (وأن سعيه) عمله فى الدنيا (سوف يرى) يتكشف، ويجزى عليه فى الآخرة (وأنه هو) جل شأنه (أصحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء، والسرور والحزن؛ بخلق أسبابهما: فقد يضحك الضاحك؛ وأسباب البؤس والشقاء تكتشفه من كل صوب وحذب. ويبكى الباكي وأسباب النعمى والسرور تحيط به من كل جانب. فهو جل شأنه باعث نعمة السرور لأناس ليعوض عليهم بعض ما فاتهم من أنهم، وهو عز سلطانه منزل نعمة الحزن على أناس جزاء ما فرطوا فى جنبه، وأفرطوا فى ارتكاب محارمه!

وَأَحْيَا ١٤ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ١٥
 مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ١٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ١٧
 وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ١٨ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّرْعَى ١٩
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٢٠ وَنُوحًا فَابْنَى ٢١
 وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى ٢٢
 وَالْمُؤَنَّفَكَ أَهْوَى ٢٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ٢٤ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكَ تَتَمَارَى ٢٥ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ٢٦
 أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ٢٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٢٨
 أَفِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ٢٩ وَتُضْحَكُونَ ٣٠
 وَلَا تَبْكُونَ ٣١ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ٣٢ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ
 وَاعْبُدُوا ٣٣

(وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والأنثى) من الإنسان والحيوان (من نطفة إذا تمنى) أى من متى حين يعنى - أى يصب - فى الرحم (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (وأن عليه النشأة الأخرى) الإحياء ، وبعث الخلائق يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى أغنى وأقفر . وهذا المعنى متفق مع قوله تعالى «أضحك وأبكى» و«أمات وأحيا» ويقال أيضاً : أقناه الله تعالى ؛ إذا أرضاه .

وقد تجدد مع الفقر الرضا ، ومع الفنى الطمع . أو المعنى : أنه تعالى أغنى بالمال ، وأقنى بالاشياء التى تتخذ للاقتناء والزينة ؛ لنفسها (وأنه هو رب الشعرى) الشعرى : كوكب كانت تميده العرب فى الجاهلية (وأنه أهلك عاداً الأولى) وهى قوم عاد بن إرم ، وهى غير عاد الأخرى : قوم هود (وثمود) قوم صالح (والمؤنفكة أهوى) المؤنفكة : قرى قوم لوط ؛ رفها جبريل عليه الصلاة والسلام إلى السماء ، وألقاها ؛ فهوت إلى الأرض . وسميت مؤنفكة : لأنها انتفكت بأهلها ؛ أى انقلبت بهم ، وصار عليها سافلها (فغشها ما غشى) غطاها من العذاب والإهلاك ما غطى ، وشملها من التدبير ما شملها ١ (فبأي آلاء ربك) أى فبأي نعمة من نعم ربك أيها الإنسان (تتأرى) تشكك وتجادل وقد أنجأك مما أصاب به من كان قبلك من الأمم (هذا نذير من النذر الأولى) أى عهد عليه الصلاة والسلام : نذير من جنس النذر الأولى ؛ التى أنذرها من كان قبلكم فكذبوهم ؛ فأخذهم العذاب . فلا تكذبوه لئلا يحل بكم ما حل بالمكذبين من قبلكم

(أزفت الآزفة) دنت القيامة ، وقرب حينها (ليس لها من دون الله) غيره (كاشفة) تكشف ما فيها من العذاب والأهوال (أفنى هذا الحديث) القرآن (تعجبون) وتسخرون (وتضحكون) على ما فيه من الوعيد لأمثالكم (ولا تبكون) وهو الأجدر بحالكم (وأنتم سامدون) غافلون لاهون (فاسجدوا لله) وحده (واعبدوا) إياه ؛ ولا تسجدوا للأصنام ، ولا تمبدوها

(سورة القمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) القيامة (وانشق القمر)

نصفين . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه :
 رأيت حراء بين فلقى القمر . وقيل : معناه
 سينشق القمر يوم القيامة ، وأخذ بهذا المعنى
 بعض المتأخرين ؛ الذين لا يعبأ بقولهم ،
 ولا يعتد برأيهم . والجمهور على القول الأول ،
 ويؤيده ما جاء في الصحيحين ، وقراءة من
 قرأ «وقد انشق القمر» ويؤيده أيضاً ما بعده :
 (وإن يروا آية) معجزة للرسول صلوات
 الله تعالى وسلامه عليه (يعرضوا) عنها ،
 ولا يلتفتوا إليها (ويقولوا سحر مستمر) أى
 سحر قوى عكم (وكل أمر) من الخير ، أو
 الشر (مستقر) أى كائن في وقته بإرادته
 تعالى ، ومعلوم في اللوح المحفوظ (ما فيه
 مزدجر) أى ما يصح أن يزجر به فارقته ،
 ويتعظ به سامعه . وهذه الآباء التي جاءتهم

(٥٤) سورة القمر مكية

إلا الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ قدسية
وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
 وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
 وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
 مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۚ
 فَتَوَلَّوْهُمْ يَوْمَ يُدْعَى الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكَرٍ ۚ خَشَعُوا
 أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۚ
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۚ
 * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدَجَرُوا ۚ فَنَدَّاهُمْ بِأَنَّىٰ مُغْلُوبٍ فَاثْنَرْنَا فَفَرَحْنَا

أَنْبُؤ

(حكمة بالغة) يجب أن يتعظ بها سامعها ، وأن يفهمها فارقها (فا تفر) فاستغنى عنهم (النذر) الرسل ؛
 الذين ينذرونهم غاقبة كفرهم ، ومغبة طغيانهم (فتول) أعمس (عنهم) ولا تجادلهم (يوم يدع الداع إلى
 شيء نكر) أى إلى شيء تنكره نفوسهم ؛ لأنهم لم يمهّدوه ، ولم يألفوه . وذلك يوم القيامة : حينما
 يدعون إلى الحساب فالعذاب (خشعاً أبصارهم) خضوع الأبصار : كفاية عن الذلة (يخرجون من الأجداث)
 القبور (مهطعين) مسرعين ، ماضى أعناقهم (وقالوا مجنون وازدجر) أى مجنون عولج بالسلب والضرب ؛
 حتى رجع إلى عقله ، وثاب إلى رشده

(بماء منهزم) منصوب انصباباً شديداً (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى التقى الماءان : ماء السماء الذى نزل من السحاب ، وماء الأرض الذى نبع من التنور ؛ على أمر قد قدره الله تعالى : وهو لإغراق قوم نوح عن آخرهم . وقرأ (فالتقى الماءان) (وحملناه) أى حملنا نوحاً ومن آمن معه (على ذات ألواح ودسر) يعنى السفينة . والدرس: جمع دسار ؛ وهو المسار (تجربى بأعيننا) أى بحفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كفراً) وهو نوح عليه السلام ؛ لأنه مكفور به (ولقد تركناها) أى السفينة ؛ والمراد به جنسها . قال تعالى

«ولتجربى الفلك بأمره» (آية) علامة على قدرتنا . وقيل : المراد به سفينة نوح نفسها ؛ فقد تركت على الجودي ، ورأها بعض أوائل هذه الأمة . هذا ولا يزال حتى الآن بعض الباحثين والنفقن يبحثون عنها فى مظالم وجودها . وزعم بعضهم أنه رأها فعلا منقطعة بالثلوج ؛ والله أعلم بحلقه وأحكامه (فهل من مدكر) متذكر ، منعطف (فكيف كان عذابي) الذى أنزلته بقوم نوح جزاء كفرهم بى ، وتكذيبهم لرسولى (و) كيف كان (نذر) أى إنذارى لهم قبل نزول العذاب بهم (ولقد بسرنا) سهلنا (القرآن للذكر) للاتعاط به ، والتذكر بما فيه (كذبت عاد) قوم هود (لما أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) شديدة البرودة ، شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر (تنزع الناس) من أماكنهم ؛ فتدقيقهم على الأرض ؛ فتبين رقابهم من جسومهم (كانهم أعجاز نخل منقعر) منقطع ، ساقط على الأرض ؛ وذلك لطولهم ، وأنهم لا حراك بهم (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) بالرسول ؛ لأن من كذب رسولا واحداً : فكأنما كذب رسل الله جميعاً .

أو المراد بالنذر : الأمور التى أنذرهم بوقوعها فيهم صالح عليه السلام (لما إذا لى ضلال وسعر) أى نحن إذا اتبعناه : كنا فى ضلال

وفى سعر ؛ كما يقول على مخالفه . والسعر : الجنون (أألقى الذكر) الوحى (عليه من بيننا) ونحن لا نشعر بذلك ، وليس بأفضلنا (بل هو كذاب أشمر) أى بطر متكبر ؛ حمله تكبره على أن يتعاطم علينا بادعائه النبوة . قال تعالى ردأ عليهم ، وتهديداً لهم : (سيعلمون غداً) يوم القيامة ؛ حين يرون العذاب (من الكذاب الأشمر) فيهم صالح . حين يأتى تحف به المهابة وتحيط به الأنوار - أم هم حين يأتون يحرقون أذيال الخزى والحية ؛ تسوقهم ملائكة العذاب نحو الحساب ؟

أَبْوَبَ السَّمَاءِ بِمَا أَنزَلْنَاهُ ۖ وَخَرْنَا الْأَرْضَ
عَيُونًا فَالتَّقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُمِرَ ۖ تَجْرِبَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ
كُفْرًا ۖ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ۖ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۖ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنَذِيرٌ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ۖ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا
الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۖ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنَّذْرِ ۖ فَقَالُوا بَشَرًا مِمَّنْ بَدَّيْنَاهُمْ ۖ إِنَّا إِذَا لَبِئْ
ضَلَّلٍ وَسُعِرٍ ۖ أَتَيْنَاكَ اللَّهُ كَرُّ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَيْنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشِيرٌ ۖ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ ۖ

(إنا أرسلنا الناقة فتنة) ابتلاء (لهم) وامتنعنا (فارتبهم واصطبر) انتظروهم ياصالح ، واصبر على

الجزء السابع والشرن

٦٥٤

أذام (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتض) لهم يوم يستقون فيه ، ولتناقة يوم تشرب فيه (فنادوا صاحبهم) واحداً منهم ليقول الناقة . قيل : اسمه قدار (فتماطي فقر) فتناول السيف ؛ فقتل به الناقة ؛ فاستوجبوا على أنفسهم العذاب الموعود (إنا أرسلنا عليهم صبيحة واحدة) صاحبها بهم جبريل عليه السلام والصبيحة : العذاب ، أو هي مقدمة لكل عذاب (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم : الشجر اليابس التهشم ، المتكسر . والمحتظر : الذي يجعل لفته حظيرة من الهشيم (حاصباً) ريحاً تحصمهم - أي ترميهم - بالمجارة (إلا آل لوط) ابتلاء ، ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) وقت الصبح ؛ حين أنزل الله تعالى العذاب بقوم لوط (بطشنا) أخذناهم بالعذاب (فما روا) فكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) بأن طلبوا منه تسليم الملائكة - حينما نزلوا عليه في صورة الأضياف - ليأتوا بهم الفاحشة (فطسنا أعينهم) أعميناها (بكرة) أي باكراً من التكبير (عذاب مستقر) دائم ، متصل بعذاب القيامة : يصاحبهم حتى يسلمهم للموت ، والموت يسلمهم لعذاب القبر ، وعذاب القبر يصحبهم إلى يوم القيامة ؛ حتى يروا العذاب الأكبر ؛ ثمود بالله تعالى من غضبه وعذابه (ولقد جاء آل فرعون) هو وقومه معه

(النذر) جمع نذير . أي جاءهم الانذار معاداً متكرراً بالعذاب المتوقع (كذبوا بآياتنا كلها) وهي الآيات التسع ؛ التي أوتيتها موسى (فأخذناهم) بالعذاب الموعود

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِهِمْ وَأَصْطَبِرْ ۖ
وَنَبِّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مَحْتَضَرٌّ ۖ
فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَمَاطَيْ فَقَرَّ ۖ فَكَفَىٰ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِيرٌ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْمُحْتَضِرِ ۖ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِ كَرَّ هَٰؤُلَاءِ مِنْ
مُذَكِّرٍ ۖ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ۖ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۖ نِعْمَةٌ
مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
بَطْشَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ۖ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ
فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ۖ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۖ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ۖ وَلَقَدْ
بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِ كَرَّ هَٰؤُلَاءِ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۖ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ
فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ۖ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ

عَمِيْرٍ

(أخذ عزيز) قوى (مقدر) تام القدرة ؛ لا يعجزه شيء ، ولا يفر من عذابه مذهب (الكفاركم) يأهل مكة (خير من أولائكم) المذكورين ؛ فندعهم في طياتهم وكفرهم ، ولا نلصقهم (أم لكم براءة في الزبر) في الكتب . أي نزل لكم الأمان في الكتب المتقدمة (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي نحن جميع كبير ؛ سنتنصر لكثرتنا وقوتنا (سيهزم الجمع) الكبير (ويولون الدبر) فهزموا - على جمعهم وكثرتهم - شر هزيمة يوم بدر ، ونصر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين - رغم قلتهم - وتحقق وعيده تعالى في أعدائه ، ووعد له لأوليائه ؛

وليست هذه الهزيمة في كل ما ينتظرون من العذاب والحزى (بل الساعة) القيامة (موعدكم والساعة أدهى وأمر) أي والقيامة وما فيها من الشدة والعذاب : «أدهى وأمر» مما نالهم في الدنيا من خزي الانهزام ، وذلل القتل والانكسار (إن المجرمين) الكافرين (في ضلال) هلاك ؛ في الدنيا بالقتل والهزيمة (وسمر) نار مستعرة في الآخرة (ذوقوا مس سقر) لصابية جهنم (إنا كل شيء خلقناه بقدر) أي بتقدير : حكم ، مستوف فيه مقتضى الحكمة والمنفعة . وقيل : المعنى : مقدر . وذهب كثيرون إلى أن هذه الآية دليل على أن الشيئة مقدرة : فالقتل بقدر ، والزنا بقدر ، وشرب الخمر بقدر ، والسرقة بقدر . وأن جميع ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ، قبل خلق النفوس . وهو كلام يؤدي إلى نسبة الظلم إلى الله تعالى ؛ وهو أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين ! أما كتابة الأعمال ، وما كانت وما يكون في اللوح المحفوظ : فأمر مسلم به ، وأما التقدير الذي يشبه الإلزام فكلأ وألف مرة كلا ؛ ولكن الله تعالى جلت قدرته ؛ لسعة علمه ومعرفته : علم بعمل خلقه ؛ فكبه قبل أن يعملوه ، ولم يلزمهم به . وهو جل شأنه ، وتعالى سلطانه لا يهدى الفاسقين ،

ولا يهدى الظالمين ، ولا يهدى الكافرين ، ولا يهدى من هو مسرف كذاب ، ولأنه هو كاذب مرتاب ؛ وإنا يهدى تعالى من أناب : يهديه إلى الرشده ، وإلى الحق ، وإلى سواء السبيل ؛

ولا إذا قلنا بما يقولون ؛ فعلام شرعت الشرائع ، وقننت القوانين ، وأرسلت الرسل ، ونزلت الكتب ؛ ولماذا اقتص من المذنب ؛ ولا ذنب له ؟ ومن المجرم ؛ ولا جرم عليه ؟ ؛

ولماذا يرمي الزاني ؛ وقد أكره على الزنا ؛ ويقطع السارق ؛ وقد ألزم بالسرقة ؛ ويقتل القاتل ؛ وقد فرض عليه القتل ؟

ولماذا تقوم المحاكم لنقض المظالم ؟ وأي مظالم يدفعونها ؛ ودفعها هو عين الظلم ؛ إذ كيف يقتل =

عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿١﴾ أَفْتَأْتَذْكُرْ خَيْرَ مَنْ أُولِيَتْكُمْ أَنْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٣﴾ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْيٌ وَأَمَرٌ ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٦﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٧﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٨﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْبَاعَكُمْ قَهْلَ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿١٠﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ وَقَعْلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿١١﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَلْمُتِّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿١٣﴾ فِي مَقْعَدِ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿١٤﴾

== القاتل ؟ وقد قتل بقدر ؟ أو كيف يرحم الزاني ؟ وقد زنا بقدر ؟ أو كيف يقطع السارق ؟ وقد سرق بقدر ؟ أو كيف يحد شارب الخمر ؟ وقد شربها بقدر ؟ !

ألم يقدر الله تعالى - كما يقولون - ذلك القتل ، وذلك الزنا ، وذلك السكر ، وتلك السرقة ؟ وأين من يزعم أنه يستطيع أن يخرج عما قدره الله تعالى ورحمته لعباده ؟ !

وأخيراً يحق لنا أن نسأل هؤلاء القائلين بهذا الرأي الفاسد : لم خلق الله تعالى جنه وناره ؟

الجزء السابع والعشرون

٦٥٦

وقد أطاعه من أطاعه بقدر ، وعصاه من عصاه بقدر ؟ أكره هذا على الطاعة ، وأكره ذلك على المعصية ! (وما أمرنا) لشيء إذا أردناه (إلا مرة) (واحدة) فيكون في سرعة حدوثه (كلج بالصر) وهو قول «كن» وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (ولقد أهلكنا أشياءكم) أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية (وكل شيء فلوه) من خير ، أو شر (في الزبر) في الكتب التي تكتبها الحفظة (وكل صغير وكبير) من ذنوبهم وأعمالهم (مستطير) مسطور : مكتوب (إن المتقين في جنات) بساين (ونهر) «أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى» (في مقعد صدق) مكان صدق قد وعدوه في الدنيا ، وحققه الله تعالى لهم في الآخرة (عند ملك مقتدر) قادر على إفاضة هذا النعم الكامل على أوليائه !

(سورة الرحمن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن) لما كانت هذه السورة الكريمة حاوية لمزيد أنعمه تعالى على عباده : بدأ بذكر النعمة الكبرى ، والمنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغُرَ فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَيَأْتِيهِمَا الْوَسْطَى ١٣ فَيَخْرُجُنَّ كَأَصْنَارٍ ١٤ خَالِقُ الْبَحْرِ مِمَّا يَمْزِجُ مِنْ نَارٍ ١٥ فَيَأْتِيهِمَا الْوَسْطَى ١٦ فَيَخْرُجُنَّ كَأَصْنَارٍ ١٧

تُكَذِّبَانِ ١٨

الظلمي : وهي تعلم القرآن . وأي نعمة تداني علمه وتعلمه ، وفهمه وتفهمه ؟ فاحرص أيها المؤمن اللبيب على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته ، والتحرز بما فيه من أوامر ونواه ؛ تسعذك في دنياك ، وتقربك من مولاك ، وتسرك في مثواك ، وتتجيك في أخراك ! (خالق الإنسان) فسواء فعله (انظر آية ٢١ من سورة الفاريات) (علمه البيان) ألهمه النطق ؛ الذي به يستطيع أن يبين عن رغبته ومقاصده (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم : يجران في بروجهما ، ويتقلان في منازلها . والحسان : قطب الرجب . أي يدوران في مثل القطب (والنجم والشجر يسجدان) أي يتقادان للرحمن فيما يريد منهما : هذا بالمتنقل في البروج ، وذلك بإيتاء النمر ، نعمة للبشر . وقيل «النجم» : كل مالا ساق له من الشجر (ووضع الميزان) الذي توزن به ==

= الأشياء (ألا تطغوا) ثلاثا تطغوا (بالقسط) بالعدل (ولا تخسروا الميزان) لا تنقصوا الموزون ؛ عند ما تبيعون ، ولا تزيدوه عند ما تشترون . قال تعالى : «ويل للعطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» (والنخل ذات الأكام) الأكام : أوعية التمر . والمراد به هنا : الليف والسعف (والحب ذو العصف والريحان) العصف : التبن ؛ لأن الریح نصف به . والريحان : الرزق ، وهو يطلق على التمر ، وكل ما يتلذذ به من الفاكهة . أو هو كل أصناف المشروبات : كالورد ، والفل ، والرجس ، والياسمين ؛ وما شاكلها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الآلاء : النعم . أي فبأي نعم ربكما أيها الإنس والجن تكذبان ؟ ! (صلصال) طين يابس (وخلق الجنان من مارج) المارج : اللهب الصافي (رب المشرقين ورب المغربين) مشرق الشتاء ، ومشرق الصيف ، ومغربيهما . أو «المشرقين» مشرق الشمس والقمر . و«المغربين» مغربيهما (مرج البحرين) أي خلطهما في صرأى العين ؛ لا يحول بينهما سوى قدرته تعالى (لا يغيان) عاجز من القدرة الإلهية (لا يغيان) لا يبغي أحدهما على الآخر ؛ فيمتزج به ، ويختلط العذب القرات ، بالملح الأجاج (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أي من أحدهما ، لأنها لا يخرجان إلا من البحار خاصة ؛ لا من الأنهار (وله الجوار المنشأت في البحر كالأعلام) كالجبال في العظم (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ذاته العلية (ذو الجلال) القدرة والعظمة (والإكرام) يكرم عباده المؤمنين بما أعده لهم من نعيم مقيم 1 (يسأله من في السموات والأرض) أي يفقر إليه كل من فيهن ، ويطلب منه الحفظ ، والعون ، والرزق (كل يوم هو في شأن) يفقر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويشق سقياً ، ويسقم سليماً ، ويمزق ذليلاً ، ويذل عزيزاً ، ويفني فقيراً ، ويفقر غنياً ، ويرفع

٦٥٧

سورة الرحمن

تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٢٠﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٢﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانِ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٤﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٦﴾ كُلٌّ مِنْ عِلْمِهَا فَاِنَّ ﴿٢٧﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٩﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣١﴾ سَفَرُ لَكَرَاهِيَةِ الْفَقْلَانِ ﴿٣٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣٣﴾ يَمُشِرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا

قوماً ، ويضع آخرين (سفر لكم أيها الثقلان) أي ستنهى الدنيا ، ولا يبقى إلا حسابكم ومجازاتكم ؛ وهو وعيد وتهديد ، و«الثقلان» الإنس والجن (بامشِر الجن والإنس أن تنفذوا من أقطار السموات) الأقطار : جمع قطر ؛ وهو الناحية . أي إن استطعتم أن تنفذوا من نواحي السموات (والأرض) وتخرجوا ممارسمة الله تعالى لكم ، وحده لوجودكم ومعيشتكم (فانفذوا) من أقطارها

(استبرق) هو ما غلظ من الحرير (وجنى الجنتين) ثمرها (ذات) قريب : يناله القام ، والقاعد ، والمضطجع . سهل التناول : لا يحول دونه بعد ، ولا شوك ، ولا يحتاج إلى صعود نخلها لاجتناء ثمرها ،

ولا معالجة شجرها لاجتناء ثمرها (فيهن) فاصرات الطرف) أي اللاتي يقصرن بصرهن على أزواجهن (لم يطمئن) لم يطمأن . والطمث : اقتضاض البكر (كأنهن الياقوت والمرجان) لما كان الياقوت والمرجان : من أنفس حلل العرب في ذلك العهد : شبهن بهما . ولاصة لما ذهب إليه بعض المفسرين من وصف الحور العين : بأن أعينها من ياقوت ، وأرجلها من زبرجد ، وجسمها من عنبر وأنها من الصفاء بحيث يرى مخ سوقها ؛ إلى غير ذلك مما لا يتفق والحقيقة ؛ وهومن المبالاة المذمومة . فلو تصور إنسان امرأة على هذه الصورة ، وتلك الصفة : لكانت محل اقتنائه ، لاموضع متعته ولذته (هل جزاء الإحسان) في الدنيا بطاعة الله (إلا الإحسان) في الآخرة بالتعظيم المقيم ؟ وأين إحسان المخلوق من إحسان المخلوق ؟ (ومن دونهما) أي من دون هاتين الجنتين اللتين وصفهما الله تعالى بأنهما لمن خاف مقامه : دونهما في العظم ، والمقام ، والدرجة ؛ وهما لأصحاب اليمين من المتقين . قال تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين : في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ؛ لا مقطوعة ولا ممنوعة» (مداماتان) خضراوان ؛ من وفرة الرى والعناية الربانية

(فوازان بالماء لا تنقطعان) (فيهن خيرات) مخففة من خيرات ؛ بتشديد الياء . وبها قرئ أيضاً وهن الحور (حسان) أي حسان الخلق والخلق (حور مقصورات) حور : جمع حوراء ؛ وهي شديدة بياض العين وسوادها (انظر آية ٤٤ من سورة الدخان) و «مقصورات» أي مخدرات ؛ قصرن في خدورهن

فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٥٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ
بَطَانُهُمَا مِنْ اسْتَبْرِقٍ وَحَتَّى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٦٦٠﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ
رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٦١﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمَئِنَّ
إِنْسَ قَلْبُهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٦٦٢﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٦٣﴾
كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٦٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ
يُكَذِّبَانِ ﴿٦٦٥﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٦٦﴾
فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٦٧﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٦٨﴾
فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٦٩﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٧٠﴾ فَيَايَ
ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٧١﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿٦٧٢﴾
فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٧٣﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرُومَانٌ ﴿٦٧٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٧٥﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٦٧٦﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٧٧﴾
حُورٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْحُجَامِ ﴿٦٧٨﴾ فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ﴿٦٧٩﴾

(لم يطهبن) لم يطأهن . والطمث : اقتضاض
البكر (متكئين على رفرف) الرفرف :
الوسائد والفرش . وما إليها (وعقري) هو
نسبة إلى «عقري» تزعم العرب أنه اسم بلد
الجن ؛ وينسبون إليه كل ما كان بدمج الصنع .
والمقصود به هنا : الديباج ، والطنافس (تبارك
اسم ربك) تعالى ذكره ، وتقدس اسمه
(ذى الجلال) ذى العظمة (والإكرام) أى إله
تعالى واجب التكريم من سائر مخلوقاته ، أو
هو جل شأنه المختص بإكرام أوليائه وأجابه !

(سورة الواقعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا وقعت الواقعة) قامت القيامة . وسميت
واقعة : لتأكد وقوعها (ليس لوقعتها كاذبة)
أى لا شك ولا ريب فى وقوعها ؛ أو لا يكون
حين وقوعها نفس تكذب بها . وكيف يحصل
لها تكذيب وقد صارت حقيقة واقعة محسوسة
ملبوسة ؟ ! (خافضة رافعة) تخفض الكافرين ،
وترفع المؤمنين : خففت أقواماً - كانوا فى
الدنيا أعزاء - إلى عذاب الله وقمته ، ورفعت
أقواماً - كانوا فى الدنيا أذلاء - إلى جنة الله
ورحمته (إذا رجت الأرض رجاً) زلزلت زلزلاً

تُكَذِّبَانِ ١٦ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ١٧
فِيَّيْهِمَا ١٨ وَلَا رِيكًا تُكَذِّبَانِ ١٩ مُشْكِيْنٌ عَلَى رَقْرَقٍ خُضِرَ
وَعَبْقَرِي حَسَانٌ ٢٠ فَيَأْتِيهِمَا ٢١ وَلَا رِيكًا تُكَذِّبَانِ ٢٢
بَنَرِكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٣

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ

أَلَا أُتَىٰ ٨١ وَ ٨٢ فَدَيْتَانِ
وَأَمَّا ٩٦ نَزَلَتْ بِعَدْطَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١ لَبِسٌ لَّوَقَعْتَهَا كَازِبَةٌ ٢ خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ ٣ إِذَا رَجَّعَتِ الْأَرْضُ رَجًّا ٤ وَبَسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًّا ٥ فَكَانَتْ مَبَاثِنًا ٦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ٧
ثَلَاثَةً ٨ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ٩
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٠ وَالسَّيْفُونا

السَّيْفُونَ ١١

شديداً ، واضطربت واهتزت (وبست الجبال) أى فنت (فكانت مباءة منبثاً) غباراً منتشراً (وكنتم
أزواجا) أصنافاً (فأصحاب اليمين) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم (ما أصحاب اليمين) تعجب لحالهم ؛
وتعظيم لفائهم ؛ فى دخولهم الجنة ، ومزيد تتميم فيها (وأصحاب المشأمة) وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم
(ما أصحاب المشأمة) تعجب لحالهم أيضاً ؛ من دخولهم النار وما يلقون فيها من البؤس والشقاء والبلاء (و
(والسابقون) إلى الحيات والمسنات : هم (السابقون) إلى النعم والجنات . أو هو تأكيد لتعظيم شأنهم
(انظر آيتى ٣٢ من سورة فاطر ، و ٤٦ من سورة الرحمن) .

(ثلة من الأولين) أى جماعة كثيرة من متقدمى هذه الأمة ؛ ملازمتم الصلاح ، واستمسكهم بالقوى (وقليل من الآخرين) من متأخرى هذه الأمة . وقيل : «من الأولين» من الأمم الماضية ، و«من الآخرين» من هذه الأمة (على سرور موضونة) مرصعة بالؤلؤ والجواهر (متكئين عليها متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض ، ويدورون فى مقاعدهم بحيث لا تبدوا أقيمتهم . وهذا مظهر من مظاهر العظمة التى نبعدها فى عظماء

الدنيا: حيث يجلسون على مكاتبهم فى مقاعدهم التى تدور بهم حيث شاءوا ؛ فيواجه بوجهه من يريد محادثته من جلسائه (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) لا يهرمون أبداً . وقد ذهب بعض الساق إلى أن هؤلاء الولدان للخدمة واللواط أيضاً . وهو قول يضم إلى فساده ؛ سوء خلق قائله ، وانعدام ذوقه ؛ فليحذر المؤمن من مكائده شياطين الإنس والجن ؛ وقد أسهنا فى الرد على هذه المزامع وأمثالها فى تفسيرنا الكبير (وكأس من معين) خر من عيون تجرى على وجه الأرض ؛ ترى بالعين . قال تعالى «وأأنهار من خر لذة للشاريين» (لا يصدعون عنها) أى لا يحصل لهم صداع بسببها ؛ تكسر الدنيا (ولا يترقون) أى لا يذهب عقلهم ؛ من نرف الرجل : إذا ذهب عقله من السكر . وقيل : من أنرف القوم : إذا قد شربهم (وحور عين) الحور: جمع حوراء ؛ وهى شديدة بياض العين وسوادها . والعين : جمع عيناء ؛ وهى الواسعة العين (انظر آية ٤٥ من سورة الدخان) . جزء بما كانوا يعملون) فى الدنيا من صالح الأعمال (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأنيهاً) أى لا يسمعون قولاً باطلاً ، ولا هذياناً ، ولا سباباً ؛ بما يستوجب الإثم (إلا قليلاً) قولاً (سلاماً سلاماً) تسليماً عليهم من اللاتمة ، ومن إخوانهم

المؤمنين (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) وهم الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم (انظر آية ٦٢ من سورة الرحمن) (فى سدر مخضود) السدر : شجر النبق . والمخضود : الذى لا شوك فيه (وطلح منضود) هو شجر الوز . و«منضود» أى مرصوص (وظل ممدود) دائم . قال تعالى فى وصف الجنة : «أكلها دائم وظلها» وجاء فى الحديث الشريف : «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» (وفرش مرفوعة) أى عالية . أو أريد بالفرش : النساء ؛ وقد جرت عادة العرب بتسمية المرأة بالفرش ؛ وبؤيده ما بعده . و«مرفوعة» أى مرفوعة فوق الأرائك . قال تعالى «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك»

السَّابِقُونَ ١٥ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٦ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٧ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى ١٨ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٩ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ٢٠ مَتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ٢١ يُطَوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ٢٢ بِأَكْوَابٍ وَأَبْرَيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ٢٣ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنَزِفُونَ ٢٤ وَفَكَهْمٌ مِمَّا يَخْتَرُونَ ٢٥ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢٦ وَحُورٌ عِينٌ ٢٧ كَأَمْثَلِ الثَّلَاجِ الْأَمَّاسِ كُتُوبٍ ٢٨ بِرَأْسِهِمْ يَمْشَى كَأَنَّهُمْ يَمْشُونَ ٢٩ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ٣٠ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٣١ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ٣٢ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٣٣ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ٣٤ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ٣٥ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ٣٦ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ٣٧ وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ ٣٨ لَا مَنُوعٌ وَلَا تَمْنُوعٌ ٣٩ وَفَرَشَ مَرْفُوعٌ ٤٠ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ٤١ لِيَجْعلنَهُنَّ

(فعلناهم أبقاراً) دائمى البكارة ؛ كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبقاراً (عرباً) جمع عروب ؛ وهى التحية

الجزء السابع والعشرون

٦٦٢

لدى زوجها (أتراباً) أى مستويات فى السن (وأصحاب النبال ما أصحاب النبال) وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم (فى سموم) حر نار ينفذ فى السام (وحيم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وظل من محموم) دخان أسود (لا بارد ولا كرم) المراد : نقى صفات الظل المعتاد ؛ وهى البرودة والكرم ؛ بأن يخلص كل من يأوى إليه من أذى الحر (لأنهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (مترفين) منعمين (الحنث العظيم) الذنب العظيم ؛ وهو الشرك ؛ وأى حنث أعظم من قولهم (أفدنا متنا وكنا) فى قبورنا (تراباً) وعظماً أننا لمبعوثون) أى هل نحيا بعد ذلك ، ونبت كما يزعم محمد (أو آباؤنا الأولون) أى أويست آباؤنا الأولون أيضاً ، بعد أن بليت أجسامهم ، وفتنت عظامهم (إلى ميقات) إلى وقت (يوم معلوم) هو يوم القيامة (من شجر من زقوم) هو شجر ينبت فى أصل الجحيم (فشاربون عليه من الحميم) أى أنهم إذا عطشوا - بعد أكل الزقوم - فلا يشربون إلا «من الحميم» وهو الماء البالغ نهاية الحرارة (فشاربون شرب الحميم) الإبل العطاش (هنا ترزهم يوم الدين) الزل : ما بعد لإكرام الضيف أى هذا هو الشيء المعد لإكرامهم يوم القيامة (فلولا تصدقون) فلما تصدقون (أفرايتهم ماتمون) تريقون فى أرحام نسائك.

يعنى إذا كنتم لا تؤمنون بأن الله تعالى هو خالقكم من ماء مهين ، وتعتقدون أن خلقكم تأتى على مقتضى الطبيعة البعيرة : تمنون فتجنبون ، إذا اعتقدتم هذا ؛ فما قولكم فى الملى المتسبب فى خلقكم

أَبْقَارًا ١٠٠ عُرْبًا أَتْرَابًا ١٠١ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّينَ ١٠٢ ثَلَّةٌ ١٠٣ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٠٤ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٠٥ وَأَصْحَابُ النَّبَالِ ١٠٦ مَا أَصْحَابُ النَّبَالِ ١٠٧ فِي سُمُومٍ وَحِيمٍ ١٠٨ وَظِلٌّ مِنْ مَحْمُومٍ ١٠٩ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ١١٠ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مَتَرَفِينَ ١١١ وَكَانُوا يُهْرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ ١١٢ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِنَّا مِثْلَ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ١١٣ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١١٤ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ١١٥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١١٦ ثُمَّ إِنَّا أَنبَأْنَا الضَّالِّينَ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْ زُقُومٍ ١١٧ فَتَشْرَبُونَ عَلَى الْحَمِيمِ ١١٨ فَتَشْرَبُونَ شَرِبَ الْحَمِيمِ ١١٩ هَذَا زُرُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ١٢٠ ثُمَّ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَلِّونَ ١٢١ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ١٢٢

ءَاتَمٌ

(أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ) بأنفسكم ، وتصنعون ما فيه من الحيوانات والجراثيم التي يتكون منها الجنين (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) له ، المدبرون لأنارته ؟ ألا ترون أن كثيراً منكم يمتنعون فلا ينتجون ، ويحاولون إيجاد الولد من مظاته الطبيعية فلا يستطيعون ؛ إلا إذا أراد خالق الخلق أجمعين «تبارك الله أحسن الخالقين» يقول تعالى «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً ولانثاً ويجعل من يشاء عقيماً» فتبارك الله رب العالمين ! (نحن قدرنا بينكم الموت) بمقات معلوم ؛ فنجلبناه لبعضكم وأخرناه عن البعض الآخر إلى أجل مسمى (وما نحن بمسبوقين) أى عاجزين (على أن نبدل أمثالكم) نخلق غيركم - من جنسكم - بعد مهلككم (وننشئكم) نشأة أخرى (فيا لاتعلمون) أى خلق شئنا ، وأى نشأة أردنا .

يؤخذ من هذه الآية أن الإنسان قد يخلق بعد موته في خلق أدناً من خلقه ، وأحط من طبيعته ؛ تأديباً له وتعديباً ؛ كما أنه يجوز أن يخلق في خلق أعلا من خلقه ، وأشرف من جنسه ؛ تعظيماً له وتكريماً ؛ وهذا القول يعارضه الأكثرون ؛ تحرزا من القول بتناسخ الأرواح (ولقد علمت النشأة الأولى) وهى خلق آدم من طين ؛ لايت إلى الحياة بأى سبب (فلولا تدكرون) فهلا تتذكرون ذلك ؛ فتعرفون قدرة الخالق ١٢ (لو نشاء لجعلناه حطاماً) هشياً منكسراً (فظلمت تفكهن) تعجبون ، أو تنتدمون على تعجب فيه ؛ وتقولون (إنا لمفرون) أى للمزمون غرامة ما أفقتنا ، أو لمهلكون لهلاك رزقنا ، وتلف قوتنا . من الغرام ؛ وهو الهلاك (بل نحن محرومون) من ثمرة كدنا وعملنا (من الزن) السحاب (أجاجاً) ملحاً ؛ فلم تنتفعوا منه بشرب ، ولا غرس ، ولا زرع (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون (أفأريتم النار التي تورون) توقدون من الشجر الأخضر (نحن جعلناها تذكرة) تذكرة كبيراً لنار جهنم ، أو تذكرة لقدرتنا وعظمتنا !

(ومتاعاً) منفعة (المقرون) للسافرين . أو «المقرون» أى الحالية بطونهم . يقال: أقوى - من الأضداد - إذا افتقر ، أو استغنى . لقد عدد سبحانه وتعالى النعم على عباده: فبدأ بذكر خلق الإنسان ؛ فقال «أفأريتم ما تمنون» ثم تبي بما به قوامه ومعيشته ؛ وهو الزرع: فقال «أفأريتم ما تنحرون» ثم بما به حياته ؛ وهو الماء: فقال «أفأريتم الماء الذى تشربون» ثم بما به يصطلى ، ويصنع طعامه ، وبما به يصنع سلاحه ؛ الذى به يدفع الفوائل عن نفسه ، ويحفظ حياته ووطنه ؛ وهى النار: فقال «أفأريتم النار التى تورون» فبإله من منعم ، وإله من متفضل ؛ وله الحمد حتى يرضى ! (فسيح باسم ربك العظيم) نزهه عما يقولون ! (فلا أقسم بمواقع النجوم) قالوا: إن «لا» زائدة . أى «أقسم بمواقع النجوم» وهى مطالع النجوم =

أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿١﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ
وَنُنْشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٥﴾
أَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلِمْتُمْ تَفْكُهْنَ ﴿٧﴾ إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ﴿٨﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٩﴾ أَفَرَأَيْتُمْ أَلَمَاءَ الَّذِينَ تَشْرِبُونَ ﴿١٠﴾
أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿١١﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أَجَاغًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿١٣﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ صِبْغَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿١٤﴾
نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَسْأًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ * فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿١٧﴾
رَأَيْتُمْ لَقَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾

= ومساقطها ، أو منازلها ، أو وقوعها وانتشارها عند قيام الساعة . قال تعالى « وإذا الكواكب انتثرت »
أو أريد « بمواقع النجوم » : منازل القرآن الكريم ؛ لأنه نزل منجيا : أى مفرداً . وقيل : المراد به حكم
القرآن (أنه لقرآن كريم) عزيز جليل (فى كتاب مكنون) مصون ؛ وهو اللوح المحفوظ . وقد ذهب
بعضهم إلى أنه المصحف (لا ينس إلا المطهرون) الملائكة عليهم السلام بأمر ربهم . ولا حجة لمن يقول :
بتحريم مس المصحف لغير المسلم ، ولغير المتوضى ؛ اللهم إلا إذا كان بقصد امتنانه ؛ وحينئذ لا يكون حراماً

الجزء السابع والعشرون

٦٦٤

بل كفر يقتل فاعله ! وقد نزل القرآن - حينما
نزل - للناس أجمعين - كافرين ومؤمنين ،
طائفتهم وعاصيتهم - فكيف نحرّم مسه على
أناس أنزل إليهم ، وأريد به هدايتهم ؟ !
(تنزيل من رب العالمين) نزل به الروح
الأمين ، على قلب محمد لينثر به الحق أجمعين !
والقرآن الكريم - ولو أنه نزل بلسان
العرب ولغتهم - غير أنه لا يساويه قول مهما
علا ، ولا كلام مهما سما ؛ لأنه قول المنزه عن
المثال والشبيه ، المتعالى عن الصفات والأنداد !
وحسب القرآن جلالة وعجداً : أن الأربعة
عشر قرآناً التي صرت عليه لم تستطع أن تذهب
بهاء أسلوبه الذى لا يزال غصاً كان عهده
بالسمع أمس ! وإن الإنسان ليقرا كلام أحب
الناس إليه ؛ فيجبه بال تكرار ، ويعافه على
مر الأيام . أما القرآن الكريم فكلما زده
تلاوة : ليزداد حلاوة ! وكلما زده عناية :
ازداد لك رعاية ! وإذا استمسكت به :
استمسك بك ؛ حتى يسلمك إلى منزله تعالى
فيعطيك من نعمته حتى يكفيك ، وفيض عليك
من كرمه حتى يرضيك !

ومن أعجب العجب : أن يحسن الإنسان
إلى استماع القرآن ، ويطرب لتلاوته ؛ ولو لم
يفهم معناه ، أو تبلغ ألفاظه أذنيه ! أدام الله
تعالى علينا نعمة القرآن ، وزادنا له حباً ، وبه تمسكا !

فِي كِتَابٍ مُّكْتُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَهَذَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ
مُدْبِرُونَ ﴿٨١﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾
قُلُوا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حَبِيذٌ مُّنتَقِرُونَ ﴿٨٤﴾
وَحَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
قُلُوا لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَتْحَبٍ
أَلْبِينَ ﴿٩٠﴾ فَلَسَّ لَكَ مِنْ أَتْحَبٍ أَلْبِينَ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِنْ جَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌّ أَلْبِينٌ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة

(أفهَذَا الحديث أنتم مدبرون) أى أيهَذَا القرآن أنتم متهاونون مكذبون ؟ يقال : دهن الرجل ؛ إذا
نافق . والمداهن : الظاهر خلاف ما يظن (ويجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى ويجعلون شكر رزقكم :
أنكم تكذبون برازقكم وخالفكم (قلولا) فهلا (إذا بلغت) الروح (الحلقوم) عند الموت . والحلقوم : ممر
الطعام والشراب (قلولا إن كنتم غير مدنيين) فهلا إن كنتم غير مهابوتين ؛ قدبنون لإله ، أو غير محاسبين ،
ولا مجزيين ؛ ولكم قدرة على البقاء والإبقاء ؛ بغير استعانة بخالق الأرض والسماء : المحي المميت ، المبدئ المعيد
(ترجعونها) أى ترجعون تلك الروح التى بلغت الحلقوم إلى البدن (إن كنتم صادقين) فيها ترغيمونه =

== (فأما إن كان) الميت (من المقربين) الذين قربهم الله تعالى منه ؛ لإيمانهم وطاعتهم (فروح) أى فله استراحة ، أو فله رحمة ومغفرة (وريحان) رزق حسن ، طيب هنيء . أو المراد به : كل ماله رائحة من الزهور والشمومات : تتلقاه به الملائكة عند موته ؛ كما يتلقى العروس في الدنيا يوم عرسه ! (وأما إن كان من أصحاب اليمين) الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، أو الذين يؤخذ بأيمانهم إلى الجنة ؛ كما يأخذ الصديق يمين صديقه ، والجيب يمين حبيبه (فسلام لك) أى سلامة من العذاب ، أو سلام لك من مولاك جل شأنه ! (من أصحاب اليمين) أى

١٦٥

سورة الحديد

سلام لك لأنك «من أصحاب اليمين» (وأما إن كان من المكذبين) الذين كذبوا الرسول والقرآن (الضالين) الذين ضلوا سواء السبيل ، وعصوا الرب الجليل (فذل) موضع نزولهم . والذل : ما يعد لتكرمة الضيف (من جيم) ماء بالغ غابة الحرارة . فإذا كان لإكرامهم بالجيم ؛ فكيف يكون تمزيقهم وامتهانهم ؟ ! (وتصلية جيم) أى إدخال في جهنم (لأن هذا) التعميم والتعذيب (لهو حق اليقين) أى الحق الواجب الحدوث ، المتيقن الوقوع .

(سورة الحديد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والأرض) أى إن كل من عده من مخلوقاته : يجله ويعظمه ، ويسبح بحمده ؛ حتى الجماد والوحش والطير ؛ فإنها جميعاً تسبح بحمده «ولأن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» (هو الأول) قبل كل شيء ؛ بلا بداية (والآخر) بعد كل شيء ؛ بلا نهاية (والظاهر) بالأدلة والبراهين الدالة عليه :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(والباطن) لكونه تعالى غير مدرك بالحواس ؛

ولو أنه ظاهر في مخلوقاته وآثاره (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ لا كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود ! (يعلم مايلج في الأرض) مايدخل فيها : من البذر ، والقطر ، والموتى (وما يخرج منها) من النبات ، والمعادن ، وغيرها (وما ينزل من السماء) من الملائكة ، والقيت ، والشمس ، وغيرها (وما يرج فيها) من الأعمال والدعوات «إليه يصعد الكلم الطيب» (وهو معكم) بحفظه وكلاءته (له ملك السموات والأرض) يتصرف فيهما كيف شاء (وإلى الله) وحده (ترجع الأمور) فيقضى فيها بما أراد ؛ لا راد لقضائه ! (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل أحدهما في الآخر ؛ بتقصان هذا وزيادة ذاك

(٥٧) سورة الحديد
وَأَيَّاهَا ٢٩ نَزَّلَتْ بِعَدَلٍ نَزَّلْنَاهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

(وهو علم بذات الصدور) بخوافها وما فيها (وأثقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى إن الأموال التى فى أيديكم : إنما هى أموال الله تعالى ؛ استخلفكم عليها ؛ فإن أحسنتم التصرف فيها ، وأديتم زكاتها ، وأثقفتم فى سبيلها : تمت أموالكم ، وزادت حسناتكم .

ولأن أسأتم التصرف ، وأدرككم الشح المردى ، ومنعتم ذوى الحاجات حاجاتهم ، وأرباب الحقوق حقوقهم : استوجبتم النيران ، وحل بوادعكم الحسراتها (ومالكم لا تؤمنون بالله) لا تقرون بوحدايته وربوبيته (والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسبكم) وارشدهم إلى معرفته بالحجج القاطعة ، والبراهين الدامغة ؛ فليس لكم عندهم ذلك (وقد أخذ الله ميثاقكم) فى صلب آدم ؛ حين قال «أأست بربكم» وقلم «بلى» (انظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) (هو الذى ينزل على عبده) محمد (آيات بينات) عنكم ، واضحات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (لا يستوى منكم من أثقى من قبل الفتح) أى فتح مكة ، ورفعة الإسلام ، واتصار المسلمين . أو هو فتح الحديبية (من ذا الذى يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له) فى الدنيا . (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات فى الجنة) (يسعى نورهم بين أيديهم) أمامهم . والمراد بذلك : أن وجوه المؤمنين تصير مضيئة كضوء القمر فى سواد الليل ؛ تكرعاً لهم وتشفيقاً ؛ ويؤيده ما بعده «انظرونا نقتبس من نوركم» وحقاً إن للمؤمن

وَيُورِثُ الْغَنَى فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝
 ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ
 فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ
 لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُنْعَمُوا بِهِ ۚ وَقَدْ
 أَخَذَ مِنْكُمْ مِّيثَاقَهُ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى
 عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَلِإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى
 مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَٰدِهِ أَغْطَمُ
 دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ
 الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِى
 يَقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝
 يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ

لنوراً يراه كل من أنار الله تعالى بصيرته فى هذه الحياة الدنيا ؛ فكيف يوم القيامة : يوم الجزاء والوفاء !

أَيُّدِيهِمْ وَأَبْجَمِيهِمْ بَشِّرْهُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقْتَسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ فَيُلَ أَرْجِعُوا وَإِذْ كُنْتُمْ تَقْتَسِمُونَ
فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورَةِ رَبِّكَ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
بَلَىٰ وَلَكِنْ كُنْتُمْ فَتَنًا أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصُوا بَارَبِّكُمْ وَعَرَّيْكُمْ
الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّيْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٩﴾
قَالِ يَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمْ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

(وأيديهم) أي بصير النور أمامهم وحواليهم ؟ وقال لهم (بشراكم اليوم جنات) تدخلونها (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم في العذاب والظلمات (الذين آمنوا انظرونا) أي انظروا إلينا (تقتيس) تأخذ وتستمد (من نوركم) فقد أعمانا ما نحن فيه من الظلمات ! (قيل) أي قالت لهم الملائكة (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أي ارجعوا إلى أعمالكم التي عملتموها في الدنيا : هل تجدون فيها ما يؤهلكم للاستمتاع بهذا النور الذي يشع من المؤمنين وعليهم ؟ (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (سور) هو سور الأعراف (باطنه فيه الرحمة) أي باطن السور فيه المؤمنون والجنة (وظاهره من قبله) من جهته (العذاب) الكفار والنار (ينادونهم) أي ينادى المنافقون المؤمنين ؟ قائلين لهم (ألم تكن معكم) في الدنيا : نصلها مثلما تصلون ، ونصوم مثلما تصومون ، ونهج مثلما نهجون ؟ (قالوا) أي قال المؤمنون للمنافقين (بلى) كنتم تعبدون معنا كما كنا نعبد ، وتشهدون كما كنا نشهد (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالفاق ، وأوقعتموها في العذاب (وتربصتم) انتظرتهم بالمؤمنين الدوائر (وارببتم) شككتهم في أمر التوحيد (وعررتمكم) خدعتكم (الأماني) الأطماع الكاذبة ؛ فلم يجاهدوا مع المجاهدين ، ولم تنفقوا مع المنافقين (حتى جاء أمر الله) الموت (وعررهم بالله الغرور) الشيطان (هو مولاكم) أي أولى بكم (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) أي ألم يحى الأوان الذي فيه تخشع قلوب المؤمنين (لذكر الله وما نزل من الحق) (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) الأجل أو طال الزمن بين نزول الكتب إليهم ، ونزول الرسل بعد ذلك (فقس قلوبهم) وكفروا بما آمنوا به ، وتكروا كتبهم وشوهوها وحرفوها

(اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) أى كما أنه تعالى يحيي الأرض بعد موتها ؛ كذلك ذكره تعالى يحيي القلوب بعد قساوتها (وأقرضوا الله) أى واللهين أقرضوا الله . والمقرض : هو الذى يبذل المال فى الحياة الدنيا ؛ رجا نواب الآخرة (يضاعف لهم) الثواب والأجر (أولئك هم الصديقون) الذين سبقوا إلى التصديق . لأن الصديق لا يكون باللسان ؛ بل بالجنات ! وهم آمنوا ، وصدقوا ، وأتقوا ! يقول أصدق القائلين ، وأحكم الحاكمين ، وأكرم الأكرمين : «إن المصدقين والمصدقات» الذين آمنوا بى

الجزء السابع والعشرون

٦٦٨

فَسِقُونَ ﴿٦٦٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦٩﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ
وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعَفَ لَهُمْ
وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٦٧٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿٦٧١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّما الْخَيْرَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَيَّاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ
حُطًّا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٌ وَمَا الْخَيْرَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ تَرُورٌ ﴿٦٧٢﴾ سَابِقُوا
إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ

الله

وبرسلي «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» أتقوا فى سبيله تعالى ؛ من غير رياء ، ولا من ، ولا أذى «أولئك هم الصديقون» (و) أولئك هم (الشهداء) أى فى درجة الشهداء : فى التمتع والقرب (عند ربهم) فى روضات الجنات (لهم أجرهم) الذى أعده الله تعالى لهم (ونورهم) الذى يسى بين أيديهم وبأيمانهم . أو المعنى : «أولئك» الذين مر ذكرهم «هم الصديقون» وانتهى القول عند ذلك «والشهداء» عند ربهم» خبر جديد عن نوع آخر من خواص المؤمنين : وهم الشهداء (اعلموا أنما الحياة الدنيا) أى متاعها المجل لكم : ما هو إلا (لعب) تلهون (ولهو) تلهون به (وزينة) تترينون بها (وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) يفخر بعضهم على بعض ، ويسابق بعضهم بعضاً ؛ بالأموال ، والجاه ، والأولاد . وذلك التفاخر والتكاثر ، والهو واللعب والزينة : مثله (كمثل غيث) مطر نزل على الأرض فازدهرت وأبنت ؛ وقد (أعجب الكفار) الزراع (ببيات) أى نبات ذلك الغيث . وسمى المطر غيثاً : لأنه يغيث الناس من الجوع والفاقة ؛ ولذا سعى الكلاء غيثاً : لأنه يغيث الماشية (ثم يهيج) أى يحف (فتراه مضفراً) بعد خضرته (ثم يكون حطاً) يابساً متكسراً . شبه تعالى حال

الدنيا ، وسرعة انقضائها ؛ مع قلة جدواها : بالنبات الذى يعجب الزراع لاستوائه وقوته ونماه ؛ وبعد ذلك يكون حطاً ، ويدركه الفناء . وكذلك حال الدنيا : «حتى إذا أخذت الأرض زخرفاً وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس» (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار ؛ الذين ركنوا إلى هو الدنيا ولعبها ، وزينتها والتفاخر فيها (ومغفرة من الله ورضوان) لمن آمن بالله ، وصدق برسله (وما الحياة الدنيا) وما فيها من تمتع وزخرف (إلا متاع التورور) أى إلامتاع مزيف ؛ لا أثر له . ورجل مغرور : مخدوع (سابقوا) بالأعمال الصالحة (عرضها كعرض السموات والأرض) إشارة إلى أنه لا حد لها فى العظم ، وأنها من السعة بالقدر الذى لا يعرف مداها ، ولا يوصل إلى منتهاه

(ما أصاب من مصيبة في الأرض) من الجذب ، وآفات الزرع والثمار (ولاق أنفسكم) من الأمراض والأوصاب والموت (إلا في كتاب) هو اللوح المحفوظ . ما أصابنا : لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا : لم يكن ليصيبنا ! (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الأنفس (إن) معرفة (ذلك على الله يسير) هين ؟ لا يصعب ولا يشق عليه أن يعلم ما كان ، وما سيكون ، وما هو كائن (لكيلا تأسوا) من الأسى : وهو الحزن . أى أعلمكم الله تعالى بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) في الدنيا من رخ (ولا تفرحوا بما آتاكم) الله تعالى منها .

هذا ومن المعلوم أنه مامن أحد يعقل : إلا ويحزن على ما يفوته ، ويفرح بما يأتيه . ولكن المراد من الآية الكريمة : ألا يحزن حزناً مذهباً للتوابع ، ولا يفرح فرحاً موجباً للعقاب ! ولكن من أصابته مصيبة فخل منها صبراً ، ومن أصابه خير فخل منه شكراً : كان جزاؤه الجنة (والله لا يجب كل مختال) متكبر بما أوتي من الدنيا (بخور) به على الناس (الذين يخلون) بما آتاهم الله من فضله (و) لا يكتفون بيهلهم الذى أهلهم وأرداهم ؟ بل (يأمرون الناس بالخل) وهذا مشاهد فيمن أعمى الله تعالى بصائرهم ، وقضى عليهم بالحرمان من لذة السخاء ، وفرحة الإعطاء ، وكتب لهم الشقاء . فهم في شقاء دائم في دنياهم ، وعذاب وأصـب في أخراهم ! (ومن يقول) يعرض عن الاثاق (بالبينات) الحجج الواضحات (والميزان) الذى يوزن به . قيل : إن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام ؛ وقال له : مر قومك بزنوا به . ويجوز أن يراد بالميزان : القانون الذى يحكم به بين الناس (ليقوم الناس بالقسط) بالعدل (وأنزلنا الحديد) أظهرناه ؛ وذلك لأن من معاني الإنزال : الإظهار ؛ يدل على ذلك إزال القرآن « وبالخلق أنزلناه وبالخلق

اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ بَشَاءٍ ۖ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْيِ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِزِهِمْ رُسُلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

نزل ، وهو بمعنى إظهاره : إذ أن القرآن الكريم قدّم - صفة الموصوف بالقدم - ونزوله - لإظهاره للناس (فيه بأس) قوة (ومنافع للناس) وأى منافع ! فقد صار الحديد من ألزم لوازم الحياة ، ولأحدى الضرورات التى لا تستطيع أمة من الأمم أن تبنى نهضتها ومجدها بما عداه : إذ منه تصنع القاطرات والطائرات ، والسفن العظيمة التى تجوب المحيطات ؛ وبغيره لا تكون الأسلحة على اختلاف درجاتها وأنواعها : من مدافع ودبابات وصواريخ وناسفات (و) ذلك (ليعلم الله) علم ظهور المخلوقات (من ينصره و) ينصر (رسله بالغيب) حال كونه تعالى غائباً عن بصره ، حاضرأ فى بصيرته : ينصره ولا يبصره !

وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على أمة سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فقد آمننا بالله =

== ورسله بالغب ، ونصرنا الله تعالى - باعلاء دينه ، والدعوة إلى توحيد - ونصرنا رسله بالإيمان بهم جميعاً . وكل ذلك من غير أن نرى ربنا ، أو نطلب رؤيته بأعيننا ؟ ومن غير أن نرى رسله تعالى ، أو نسمع دعوتهم ، ونشهد معجزاتهم ؟ فاستحققتنا بذلك أن نكون خير أمة أخرجت للناس ؛ فله الحمد على ما أنعم ، والشكر على ما به تفضل ! (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) إلى الناس (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) اسم جنس ؛ أريد به التوراة والإنجيل ، والزيور ، والقرآن ؛ وهي في ذرية إبراهيم وحده (فهم)

الجزء السابع والعشرون

٦٧٥

أى من الرسل إليهم (مهتد) إلى طريق الحق ، مؤمن بالله ورسله (وكثير منهم فاسقون) كافرون (ثم قفينا) أتبنا (على آثارهم) أى على آثار نوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أى اتبعوا عيسى وآمنوا به ، وكانوا على شرعته ومنهجه (رأفة ورحة) وما صفتان بمن الله تعالى بهما على من ارتضى من عباده ، وجهله أهلاً لكرامته وجتته (ورهبانية اتبعوها) أى اخترعوها ؛ وهي أنهم كانوا يهجرون النساء ، وكثيراً من المطاعم والملابس ؛ بقصد التجرد من اللذات والشهوات ، والفرغ للعبادة (ما كتبناهما) ما فرضناهما (عليهم) ولم يضلوا (إلا ابتغاء رضوان الله) فاصدين بها وجهه الكريم ؛ لكن من أتى بدم ، وأراد السير على نهجهم : انتظم في سلك الرهبانية ؛ فاصداً بذلك الصوالح الدينية ؛ لذلك وصفهم الله تعالى بقوله (فأزعوها حق رعايتها) كالذين سبقوا إليها ، وفرضوها على أنفسهم ؛ ابتغاء ثواب الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوه واخشوا غضبه وعقابه (وآمنوا برسوله) أى اتبعوا على إيمانكم به (بؤنكم كافرين) نصيين (من رحمة) والمراد بالكافرين : كثرة الثواب ، وعظم الأجر (ويجعل لكم نوراً أعشون به) المراد بالنور هنا : العقل ؛ لأنه كالنور الذى

وَأَتَيْنَا الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ زَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْزِكُمْ كَفْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٩﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾

(٥٨) سورة المجادلة مكية

وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَّحَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْكِنُ

إلى

يهتدى به : يرى الإنسان به الصواب فيتمه ، والخطأ فيجتنبه ؛ كما أن النور يجنب به الإنسان المهاوى والزلاقي والمهلك (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور) كثير الغفرة لمن تاب (رحيم) بباده ؛ أرحم بهم من أمهاتهم (ثلاثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أى خشية أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على ثل شيء من فضل الله - لو أسلموا - مثل ما قلتموه أنهم بإسلامكم ، واستوجبتوه ، بنقواكم وإيمانكم (وأن الفضل بيد الله) كلام مستأنف ؛ أى اعلوا أيها المخاطبون أن الفضل بيد الله ، لا بيد غيره ؛ ولا طريق لتبيله إلا بالترام الطاعة ، واجتباب المصيبة ، وتحري مرضاته تعالى ! (يؤتية من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) وقيل : الضمير في «ألا يقدرون» الذين آمنوا : الذين منحهم الله تعالى رفده =

وفضله ؛ وآتاهم كفلين من رحمته ، وجعل لهم نوراً يمشون به في الدنيا والآخرة ، وغفر لهم ذنوبهم ، وآتاهم قواماً ودلائلاً يعلم أى ليلهم ، ودلاً زائدة ، ويؤيد ذلك : قراءة من قرأ «ليلم» و«لكى يعلم» وما قلناه أولاً هو أقرب إلى الصواب ، وأجدر بالفهم ؛ ولم يسبقنا أحد إليه .

(سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة المجادلة

٦٧١

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَرَكُمْ إِنَّا اللَّهُ نَسْمِعُ بِصِيرِ
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ
إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ قُلْ لَّيْسَ بِجِدِّ فَصِيَامٍ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا قُلْ لَّيْسَ بِجِدِّ فَطَعَامٍ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلَكِنَّ كَثِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ
بِرَسُولِهِ قُتِلُوا كَمَا قُتِلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أُنْزِلْنَا
ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ كَثِيرِينَ عَذَابُ مُهِينٍ ۝ يَوْمَ
يَعْلَمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

(قد سمع الله قول التي تجادلك في شأن زوجها) مى خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس ابن الصامت ؛ وقد كانت راودها فأبت ، فغضب منها وظاهرها ؛ فأنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقالت له : إن لى منه صنية صفاراً ، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم لى جاعوا . فقال لها : حرمت عليه . فقالت : يارسول الله إنه ما ذكر طلاقاً ، وهو أبو ولدى ، وأحب الناس لى . فقال عليه الصلاة والسلام : حرمت عليه . فقالت : أشكو لى الله فأقتى ووجدى أنزلت هذه الآيات (الذين يظاهرون منكم) المظاهرة : أن يقول الرجل لامرأته : أنت لى كظهر أى . فتبين منه (وإنهم ليقولون منكراً من القول) تنكراً العقول ؛ إذ ليست الأزواج بأمهات (وزوراً) باطلاً وكذباً (ثم يعودون لما قالوا) أى يعودون لما حرموه على أنفسهم ؛ مما أحله الله تعالى لهم . أو «يعودون» عما قالوه من الظهار ، ويرغبون فى إعادة أزواجهم لىهم (فتحرير رقبة) أى أن يعتق عبداً مملوكاً ؛ عقوبة له على تحريم ما أحله الله تعالى (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) (من قبل أن يتماسا) أى يعتق قبل أن يمس زوجته ؛ بل تظل كالملقة (ذلكم توعظون به) أى تنظفون به ، وتتأدبون ؛ فلا تعودون لى الظهار (فن

لم يجد) أى لم يكن فى ملكه عيد أرفاء ، ولم يكن عنده مال بشرى به ويعتق (فصيام شهرين متتابعين) بحيث إنه إذا أفطر أثناءهما - ولو فى اليوم الأخير - وجب عليه إعادة صوم الشهرين ابتداء (فن لم يستطيع) الصيام ؛ لمرض ، أو كبر ، أو مشقة (فطعام ستين مسكينا) من أوسط ما يطعم أهله ؛ بشرط إشباعهم طول يومهم ؛ وذلك الاعتاق ، والصيام ، والإطعام (لنؤمنوا بالله ورسوله) فلا أدل على الإيمان من الطاعة والنزول على أمره تعالى (إن الذين يحادون) يعادون (كتبوا) أذلوا وأخزوا ، وردوا بغيظهم (كما كتبت) الذين من قبلهم) من كفار الأمم السابقة : الذين عصوا رسلكم ، وعادوكم وآذوكم (فينبئهم بما عملوا) من سوء (أحصاه الله) عليهم ، وكتبه فى صحائف أعمالهم

(ونسوه والله على كل شيء) يحدث (شهيد) مشاهد له ، وعالم به (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) النجوى: المسارة . والمعنى أنه تعالى حاضر معهم ، مطلع على أحوالهم وأعمالهم ، ومانعهم من أنشدتهم (ولا أدنى) أقل (من ذلك) من الثلاثة (ولا أكثر)

الجزء الثامن والعشرون

٦٧٢

وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا يَشْعُرُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّهُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْوَاتُ بِمَا لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَبِقَوْلِهِمْ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا ۚ فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ ۝ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا

وليس

وَمُ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا لِلنَّجْوَى ؛ بَلْ رَأَوْا التَّنَاجِينَ فَقَالُوا أَنَّهُمْ ضَدَمُوا . وَقِيلَ : كَلَّمَ الرَّجُلَ يَأْتِي الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فَيَسْأَلُهُ حَاجَتَهُ ؛ فَكَانَ إِبْلِيسُ الْعَيْنِ يُوَسْوِسُ إِلَيْهِمْ : أَنَّهُ نَاجَى الرَّسُولَ بِشَأْنِ شِدَّةِ الْأَعْيَادِ ، وَكَثْرَةِ جُوعِهِمْ ؛ فَيَحْزَنُ الْمُؤْمِنُونَ لِذَلِكَ

(وليس بضارهم) أى ليس الشيطان بضار أحد من المؤمنين ، أو من المتناحي ضدهم (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) فى سائر أمورهم وأحوالهم ؛ فهو جل شأنه لاشك فاصرم ومعينهم (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) والتفسح فى المجالس من أكرم الحلال الإسلامية والخلق الإنسانية ؛ فيجب على كل مؤمن أن يفسح لأخيه الذى يريد الجلوس ، أو الصلاة ؛ ولو لم يقل بلسانه (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل : انهضوا وانصرفوا ، فانصرفوا :

ولا ينتظرون أحدكم أن يقال له ذلك فى مجلس من المجالس ؛ بل عليه أن يراعى حالة المجالسين إليه ، وأنسبهم به ؛ فإذا ما افتقد رعايتهم له ، واهتمامهم بأمره : انصرف مشكورا مأجورا ؛ قبل أن تمجه الأسماع ، وتضافه الأبصار ؛ وهذا هو الأدب الربانى ، والخلق القرآنى ؛ فاستمسك به أيها المؤمن : تنش سالما من البغض ، آتيا من الحقد ! وقيل : كان ذلك فى مجالس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة والأولى أنها عامة (يرفع الله الذين آمنوا منكم) وعملوا بطاعة الله تعالى ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام (والذين أوتوا العلم درجات) كل بقدر عمله بعلمه . فنهى من يعلم ولا يعمل ، ومنهم من يعلم ويعمل ؛ ولكنه فاسد الذوق ، بليد الإحساس ؛ يأتى سائر المكروهات ، ويرتكب سائر المحرمات : فتراه يتناجى من بجانبه بلا سبب ، ويجلس مكان أربعة رجال بسبب عنجهيته ، ولا يفسح المكان إذا ضاق بمن فيه ، ولا يقوم من مجلسه - رغم بغض المجالسين له - حتى يكون عليهم كالطاعون ؛ بل وشر من الطاعون ! فإذا أفاد علمه بجانب هذا الإحساس البارد ، والذوق السمج ؛ ! (والله بما تعملون) من خير أوشر (خير) فيجازيكم عليه ؛ إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) أردتم محادثته

وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشَرُوا فَانْشَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى اللَّهِ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى اللَّهِ صَدَقَةٌ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقْبِمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ

سرا ؛ لأمرهم بهمكم (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) هوحت على التصديق ؛ عند طلب الحاجة من الله تعالى ، أو من رسوله عليه الصلاة والسلام . وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «داووا مرضاكم بالصدقة» وهي نعم الدواء عن تجربة ! (فإن لم تجدوا) ماتصدقون به عند مناجاة الرسول ، أو عند الدعاء (فإن الله غفور) لكم (رحيم) بكم (ألم تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا) صادقون ، واتخذوهم أولياء . والمراد بالقوم : بعض اليهود لنهم الله تعالى (مام منكم ولا منهم) أى ليسوا من المؤمنين ، ولا من اليهود ؛ بل هم منافقون

(اتخذوا إيمانهم جنة) سراً ووقاية لنفائهم ؛ يحلفون لك لتصدقهم ، وما هم بصادقين (فصدوا) بتوليهم اليهود (عن سبيل الله) عن دينه ؛ فهو لاء (إن اتقى) لن تدفع (عنهم أموالهم) التي يجمعونها (ولا أولادهم) الذين يمترون بهم (من الله) من عقوبته وعذابه (فيحلفون له) في الآخرة كذباً . قال تعالى : ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين « (كما يحلفون لكم) الآن في الدنيا (ويحسبون أنهم) يحلفهم هذا (على شيء) بأن ينفعهم حلفهم في الآخرة ؛ ويتخذونه «جنة» كما اتخذوه في الدنيا (ألا) لهم هم الكاذبون في الدنيا والآخرة (استحوذ) استولى (فأناسم ذكر الله) تذكره ، والعمل بأوامره (يحادون) يصادون (أولئك في الأذلين) المفلوئين ، المعذيين يوم القيامة (كتب الله) قضى ، وخط في أم الكتاب ، وقال ؛ وقوله الحق (لأغلبين) الكافرين (أنا ورسلي) بالحجة ، والسيف ؛ وذلك لأن الله الكافرين والمنافقين دونه الغزاة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يطمنون « (لا نجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) يحسبون إلى (من) حاد الله ورسوله عاداهما ، وخالف أمر الله ونهيه (ولو كانوا) هؤلاء المحادون المعادون (آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) بل يضعون مكان الود البض ، ومكان الحب الحرب .

نق تعالى الإيمان عن يواد الكفار «ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم» ويقاس على ذلك الصاة والفسقة . وهل بعد مخالفة الله تعالى ورسوله ، ومجاهرتهم بالمعصيان من عادة ؟ ! فليتدبر هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (أولئك) إشارة إلى من استمع لكلام

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦٨﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَزْوَاجُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِلَهُمْ هُمْ الْكَذِبُونَ ﴿٧٠﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٧٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَلْظُلَمِينَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ

وَيَذِلُّهُمْ

ربه ، واتبع توجيهه ونصحه ؛ فلم يتخذ من الكافرين والفاجرين أولياء ، أو أحياء ؛ فهو لاء (كتب) الله تعالى (في قلوبهم الإيمان) جزاء بفضلهم لمن بكره ، وجههم لمن يحب ؛ فواجب المؤمن أن يحب في الله ، ويغضب في الله ؛ (وأيدهم بروح منه) بقوة منه . وقيل : الضمير في «منه» راجع للإيمان ؛ أي وأيدهم بروح من الإيمان ؛ فازدادوا إيماناً و يقيناً ، والإيمان في ذاته : روح القلوب وحباتها ؛

(رضى الله عنهم ورضوا عنه) أرقى المراتب التي يسعى إليها المؤمنون ، ويمجد في نيلها المتقون أن يرضى الله تعالى عنهم ، ويرضيه عنهم ! اللهم ارض عنا وأرضنا ؛ بقدرتك علينا ، وحاجتنا إليك ؛ يارب العالمين ، بامالك يوم الدين ، يا الله ، يا الله ، يا الله ! (أولئك) الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وأدخلهم جنته ، ورضى عنهم وأرضاهم ؛ «أولئك» (حزب الله) أحبابه وأنصاره : اتبعوا أوامره ، واجتنبوا نواهيه ؛ فكانوا موطناً لحبه ، وأملاً لحزبه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) الفائزون في الدنيا والآخرة . (انظر آية ٥٤ من سورة المائدة) .

سورة الحشر ٦٧٥

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مِائَتَةٌ
وَأَيُّهَا ٢٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَيْتَةِ

(سورة الحشر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) تزهه وقدهه (ما في السموات)
من أملاك و مخلوقات (وما في الأرض) من
إنس وجن ، وحش و طير «ولأن من شيء»
إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»
(من أهل الكتاب) اليهود (من ديارهم لأول
الحشر) هم بنو النضير ؛ أخرجهم المسلمون من
ديارهم ؛ حينما نقضوا عهدهم ؛ وكان ذلك أول
حشرهم إلى الشام . وقيل : لأن آخر حشرهم ؛
إجلاء عمر رضى الله تعالى عنه لهم . أو هو
حشر يوم القيامة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ كَافُّرًا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا
وَيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَمُوتُهُمْ
يَأْتِيهِمْ وَأَيُّدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

هذا وقد يكون الحشر الثاني: هو خروجهم

من فلسطين - بعون الله تعالى وقدرته - بعد أن تملكوها ، وشنتوا أهلها في البراري والقفار ، وسفكوا
دماءهم ، وقتلوا أطفالهم ، وفضحوا نساءهم ! (يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) كانت النضير - قبل
إجلائهم عن ديارهم - يخرّبونها ؛ لئلا يفتن المسلمون بها ، وقد خرب المسلمون باقيها بالسلب والغنائم

(الجللاء) المخرج من الوطن (لعذبهم في الدنيا)
ولكنه تعالى اكتفى بما حل بهم من خزي
خروجهم من وطنهم ، وذلة مفارقتهم لبيوتهم
(ذلك) الخزي في الدنيا ، وعذاب النار في
الآخرة (بأنهم شاقوا) خالفوا وعادوا
(ما قطعتم من لينة) نخلة (فياذن الله) بأمره
وفضائه ؛ فقة منه تعالى (وما أفاء) النية :
الفتية
(فما أوجعتم عليه من خيل ولا ركاب) أي
لم تسبوا إليه خيلكم ، ولا ركابكم

(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي
حتى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم
خاصة . والمراد : حتى لا تتداوله الأغنياء
منكم ، وتتكرر به ؛ مع حاجة الفقراء إليه ،
واضطرابهم له

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
مِنْهُمْ قَدْ أُوْجِعْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَسِيطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كُلٌّ لِّابْتِكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۖ وَمَا تَشْكُرُ الرَّسُولُ
فَعُذْرُهُ وَمَا تَشْكُرُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ۖ وَأَنْفَقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ۝ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

(والذين تبوأوا الدار) أى توطنوا المدينة (والإيمان) أى تمسكوا به وألقوه كما يألف الإنسان داره ووطنه؛ وهم الأنصار رضى الله تعالى عنهم (من قبلهم) يعنى من قبل المهاجرين (يحبون من هاجر إليهم) وقد بلغ بهم الحب أن تأخوا معهم ، ولما سمعوا أموالهم . وقد بلغ من شدة حبهم ، ومزيد تقائهم : أن كان الأنصارى ينزل لأخيه المهاجر عن إحدى زوجتيه - أيتهما شاء - ويزوجها له (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) كمدأ ، أو حقدأ على المهاجرين (مما أوتوا) أى بسبب ما أوتوه من النية والقائم . وقد كان صلى

الله تعالى عليه وسلم يعطى المهاجرين ويمنع الأنصار ؛ وهم أحب إليه منهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) المخصصة : الفقر والحاجة ؛ وقد نزلت هذه الآية فى الأنصار لأنهم آثروا المهاجرين بكل ما فى أيديهم ؛ رغم افتقارهم وحاجتهم إليه . وقيل : ذهب أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - بعد انتهاء إحدى المواقف - يبحث عن أخيه القتيل ؛ وفى يده كوز فيه ماء ليسقيه إن كان به رمق ؛ فوجده يحتضر ، فنأله الكوز ، وبعد أن رفعه إلى فيه سمع بجواره أبن جريح آخر ؛ فأشار إلى أخيه أن يسقيه قلبه ؛ فذهب إليه فوجده قد أسلم الروح ؛ فعاد إلى أخيه فوجده قد لفظ النفس الأخير : فنزلت هذه الآية .

وسأل شاب من أهل بلخ أبا زيد : ما الزهد عندكم ؟ قال : إذا وجدنا شكرنا ، وإذا فقدنا صبرنا . فقال البلخي : هكذا عندنا كلاب بلخ ؛ يلنحن إذا فقدنا شكرنا ، وإذا وجدنا آثرنا ! (ومن يوق شح نفسه) الشيخ : اللؤم ، وأن تكون النفس ككرة ، حريصة على المنع . وأما البخل : فهو المنع نفسه (والذين جاءوا من بعدهم) أى من بعد الذين تبوأوا الدار والإيمان من الأنصار . والمقصود بهم المهاجرون (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) من الأنصار (الذين سبقونا بالإيمان) فقد آمنوا بالرسول صلى الله

تعالى عليه وسلم ، وابتنوا الساجد ، واجاهدوا فى الله حق جهاده ؛ قبل أن يحضروا إليهم (ألم تر إلى الذين نافقوا) هم عبد الله بن أبى ابن سلول (١) وأصحابه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم بنو النضير ؛ يقولون لهم تقوية لقلوبهم ، وإثارة لهم ضد المؤمنين (لئن غلبكم المؤمنون) و (أخرجكم) من دياركم (لتخرجن معكم ولا تطيع فيكم أحدا أبدا) بالامتناع عن معوتكم (ولان قوتلتهم) أى قاتلكم المؤمنون (لتنصركم) عليهم (والله يشهد) يعلم (أنهم لكاذبون) وإنما أرادوا بذلك إثارتهم وتحمسهم ضد المؤمنين =

٦٧٧

سورة المشر

وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ
شَحْ نَفْسِهِ ۖ فَإِنَّ لِتِلْكَ هُمُ الْمُفْلِحِينَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ
لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَتُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
لَيَكُونَنَّ الْأَئِدْرَسَاءُ ۚ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرُوا ۖ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً

(١) سلول : أم كبير المنافقين : عبد الله بن أبى .

== (لئن أخرجوا) أى لئن أخرج المؤمنون بنى النضير (ولئن قوتلوا) أى قاتلهم المؤمنون (لا ينصرونهم) لأن من صفات المنافق : الجبن ؛ فهم جبناء . والكذب ؛ فهم كاذبون (ولئن نصروهم) ساعدوهم فرصاً ، وصدقوا في وعودهم (ليولن الأدبار) معهم : المنافقون وبنو النضير جميعاً ؛ فقد كتب الله النصر لعباده ، والمخذلان لأعدائهم ؛ فلا يجدى القوة ، ولا يجدى الإقدام ؛ فنا بالك وهم ضعفاء أذلاء جبناء (لأنهم) أيها المؤمنون (أشد رهبة في صدورهم من الله) وذلك لأنهم يؤمنون بقوتكم وبطسكم ، ولا يؤمنون ببطش الله تعالى وقوته . فإيمانهم في هذه الحال كإيمان

الجزء الثامن والعشرون

٦٧٨

البهائم : لا تؤمن إلا بجمال سوط أو عصا (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولو فقهوا لآمنوا بالله ، وأطاعوا رسوله ، وأنجوا أنفسهم من غضبه وعقابه !

بعد أن وصف الله تعالى حال اليهود والمنافقين ، وبلغ إيمانهم به : أراد جل شأنه أن يصف مبلغ شجاعتهم وإقدامهم ؛ فقال عز من قائل : إنهم لو أرادوا قتالكم ؛ فإنهم (لا يقاتلونكم جميعاً) مجتمعين (إلا) إن كانوا (في قرى محصنة) يأمنون فيها بطسكم (أو من وراء جدر) حوايط تقيهم بأسكم وسهامكم (بأسهم) بطشهم وشدتهم (بينهم شديد) أى هم شديدو الصداوة لبعضهم (محبسهم جميعاً) متعدين ، ذوى ألفة (وقلوبهم شتى) متفرقة ؛ لا ألفة بينهم ولا مودة (كمثل الذين من قبلهم) كفار بدر (ذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا الهلاك ، الذى هو عاقبة كفرهم . قتل المنافقين واليهود (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان) موسوساً إليه (اكفر فلما) أطاعه و (كفر قال إني برىء منك) فكذلك المنافقون . قالوا لليهود : «لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصركم» فلما جد الجد : تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة ، وصدق فيهم قول الحكيم

فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۖ لَا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحبسهم جميعاً وتلووهم شتى ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۚ كَتَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ كَتَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ قَالُوا لَنُؤْتِيَنَّكَ آخُفَرًا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۚ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۚ بَنَاتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا وَلَمْ يَتَنَزَّلْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَاؤُونَ ۚ

لَوْ

الميم «وأنه» يسهل إنهم لكاذبون (فكان عاقبتهم) أى عاقبة الشيطان ومن أطاعه ، والأمر بالكفر والفاعل له ، والمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى ما قدمت من الأعمال الصالحة - في دنياها - ليوم القيامة (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكره وتذكره ، وخشيته ومراقبته (فأنساهم أنفسهم) أيهم الإيمان والعمل الصالح الذى يفقههم في معادهم ، أو أراهم يوم القيامة من الأحوال ما أنساهم أنفسهم

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنا خاشعا متصدعا من خشية الله) أن لوجعلنا للجبل تميزاً كما جعلنا لكم ، وأنزلنا عليه هذا القرآن ؛ بوعدته ووعدته : الخشوع والخضوع ، واستكان وتشقق ؛ خوفاً من الله تعالى ومهابة له ، واعتراضاً بوجوده وقدرته ؛ أو أريد بالجبل كما هو ، وأنه - كسائر الجمادات - كائن يسبح دائماً بحمد الله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأنه لو ألقى عليه القرآن : لما وسعه إلا الخشوع ، ولما كان من شأنه إلا التصديق من خشية الله تعالى .

سورة المتحة

٦٧٩

أو هو كقول القائل للسامع المعاند : لقد قلت لك قولاً يفهمه الحمار . ومن المعلوم أن الحمار لن يفهم ؛ ولكنه دليل على قوة الحجة ، وأنها مفهومة مفحة ؛ ولكن السامعين لها كانوا أخط من البهائم ، وأخس من السوائم ، وأحم من الجمادات !

(عالم الغيب) ما غاب عن الأنظار ، ودق على الأسماع « فإنه يعلم السر وأخفى » (والشهادة) ما شوهد وبان للعيان . لأن من يعلم ما غاب ؛ فإنه لما ظهر أعلم (الملك) الذي لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن كل قبيح . ومن تسبيح الملائكة له سبحانه : « سبح قدوس ، رب الملائكة والروح » جل شأنه ، وعز سلطانه ا (السلام) الذي سلم الخلق من ظلمه ، وعم الكون عدله ، وسلم كل من لجأ إليه واحتسب به . وهو الاسم الكريم الذي تدعوه به الأنبياء يوم القيامة : ياسلام ، ياسلام ، ياسلام ! سلطنا الله تعالى من غضبه . ووفانا عقوبته ، وأدخلنا جنته ؛ بحزمة أسمائه ا (المؤمن) واهب الأمن ؛ الذي يأمن عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب ، الحافظ لكل شيء . (العزيز) الغالب ؛ الذي لا يظلم ، ولا يناله ذل (الجليل) العالي العظيم ؛ الذي يدل له من دونه : والكل دونه (المتكبر) ذو العظمة والكبرياء (سبحان

الله) تنزهه وتعالى وتقدس ؛ من هذه أسمائه وتلك صفاته ا (البارئ) الموجد للأشياء ؛ بريته من النقص والتفاوت (له الأسماء الحسنى) (انظر آيتي ١٨٠ من سورة الأعراف و ١١٠ من سورة الإسراء) (يسبح له) ينزهه ويقدهسه .

هذا وقد ختمت هذه السورة المباركة بمثل ما بدئت به : فقد كان بدؤها « يسبح لله » بصيغة الماضي ، وختمها « يسبح له » تعالى ؛ بصيغة المضارع . فتعالى من سبح له كل مخلوق ، وسبحت له سائر الأشياء =

لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٧٩﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨٠﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨١﴾ هُوَ اللَّهُ
الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٨٢﴾

(٦٨٠) سُورَةُ الْمُحْتَشِبَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْرَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكَ أَوْلِيَاءَ

(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) أى لا تتخذوا الكفار - الذين هم أعدائى : فلا يؤمنون بى ، وأعدائكم : فيسعون فى إبطال الأذى بكم - أولياء توالونهم ؛ وتتخذون منهم أصدقاء وأحباباً (تلقون إليهم بالمودة) بالحب، ومظاهر الاحترام . وكيف يكون هذا حالكم معهم (وقد كفروا عما جاءكم من الحق) الإسلام والقرآن . ولم يكتفوا بكفرهم وتكذيبهم ؛ بل بلغ من إفسادهم أنهم (يخرجون الرسول ولماكم) من مكة (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لأنكم تؤمنون بالله ربكم (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيل الله فاحذروا ذلك ؛ إذ أن خطر المنافق فى الحرب : أبلغ من خطره فى السلم) تسرون إليهم بالمودة) وهذا غير لائق بالمؤمنين «ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء» (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) لا تخفى منكم خافية (ومن يفعله منكم) أى يوالى العصاة ، والكافرين ، والمنافقين ، ويؤادهم (قد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق والصواب ؛ لأنهم (إن يتقونكم) أى إن يجدوكم ويظفروا بكم (يكونوا لكم

تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَنْقُضْكُمْ بَعْدُ بِكُفْرَانٍ
لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَبِطُغَاؤِ الْبُكْرِ إِلَيْهِمْ وَلِئْسَتْهُمْ بِأَسْوَأَ
وَعُودًا لَوْ كَفَرْتُمْ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَمْنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ إِنَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ
لِأبيه إِسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۝

رَبَّنَا

أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتال (وأستهم) بالإيذاء (لن تنفعكم أرحامكم) فإبائكم لهم (ولا أولادكم) المشركون ؛ و (قد كانت لكم أسوة) قدوة (حسنة في إبراهيم) إذ فبراً من أبيه حين أبى الإيمان

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾
 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرَتَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَهُمْ يَتَوَلَّوْا
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
 فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
 إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا يَنْهَكَ
 اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ
 وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
 الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْإِيمَانِ

(ربنا عليك توكلنا) فاكفنا هم الدنيا (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإليك أنبنا) رجئنا وأقبلنا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تسلطهم علينا ؛ فيفتنونا بعذاب لا نطيعه (ومن يتول) يعرض عن الإيمان (فإن الله هو الغني) عن العالمين (الحمد) المحمود في كل حال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) بانضمامهم إلى زمركم ، واعتناقهم دينكم ؛ فلا يحتاجون بعدها للوقوع في لأم موالاة الكافرين ، وإلقاء المودة لهم (والله قدير) على ذلك ؛ وقد أسلم خلق كثير من المشركين؛ فصاروا لهم أولياء ونصراء (والله غفور) لما سبق منكم قبل التهي (رحيم) بكم ؛ لا يعاقبكم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) يرينا الله تعالى أنه يجب علينا : حسن المعاملة ، وطيب المعاشرة ؛ مع سائر الأجانب الذين لم يقاتلونا ، ولم يخرجونا من ديارنا ، أو يحتلوا أوطاننا . أما الذين يمتدون على ديننا أو بلادنا : فزاما علينا معادتهم ومقاتلتهم (أن تبرؤم) أن تكرموا الذين لم يقاتلوك ، ولم يمتدوا عليكم ؛ وأن تحسنوا إليهم قولا وفعلا (وتقسطوا إليهم) تعدلوا بينهم ولا تظلموهم (إنما ينهاكم الله عن موالاة ومصاحبة (الذين) أضروا لكم العداوة ، و(قاتلوك في الدين) أى بسبب الدين ومن أجله (وأخرجوكم من دياركم) من مكة (وظاهروا) عاونوا أعداءكم (على إخراجكم) فهؤلاء هم الذين ينهاكم ربكم (أن تولوهم) أى تتخذوهم أولياء وأصدقاء (ومن يتولهم) ينصرهم ، أو ينصر بهم ؛ بعد ظهور نياتهم ، وإبداء سيئاتهم (فأولئك هم الظالمون) الكافرون (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) أى نساء الكفار ؛ مهاجرات إليكم، راغبات في دينكم (فامتحنوهن) اختبروهن في إيمانهن . روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لتي يريد أن يمتحنها : « بالله الذى لا إله إلا هو : ما خرجت من بعض زوج ؟ بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ؟ بالله ما خرجت التماس دنيا ؟ بالله ما خرجت لإحباب الله ورسوله ؟ » وهذا هو الامتحان الذى أمر به الله تعالى ، وفقده رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ ولكم ظاهر قولهن ، و (الله أعلم بإيمانهن) فإن كن صادقات : فهن ناجيات ، وإن كن كاذبات : فهن معذبات

(فإن) أدبن أمتعتنهن ، و (علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى) أزواجهن (الكفار لا من حل لهن) لأنهن حرمن عليهن بالإيمان (ولا هم يحلون لهن) لأنهم كافرون (وأتوهم ما أنفقوا) أى أعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا من المهور . وذلك لأن المهر : مقابل الاستمتاع ، وقد زال الاستمتاع ببينوثها منه بسبب إسلامها ؛ وليس بسبب طلاقها (ولا جناح عليكم) لا إثم ولا حرج (أن تكهوهن) تزوجوهن بعد ذلك (إذا آتيتوهن أجورهن) أى مهورهن .

الجزء الثامن والعشرون

٦٨٢

وقد شرط تعالى إتياء المهر في نكاحهن : إيماناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بصم الكوافر) أى اللاتي ارتدن ولحقن بالكفار (واسألوا) اطلبوا (ما أنفقتم) من المهر (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) اللاتي لحقن بأهلهن من (الكفار فما قبلتم) أى فأردتم القصاص (فاتوا الذين ذهب أزواجهن) أى أعطوهم (مثل ما أنفقوا) من المهور على أزواجهن . وذلك من مهور من لحقن بكن من المؤمنات اللاتي كن متزوجات من الكفار ؛ وبذلك تحصل المقاصة التي أمر بها الله تعالى ، وتقرها القوانين الوضعية (واتقوا الله) فلا تجوروا في ذلك ؛ بل مثل بمثل (بأبيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائكن) يعاهدنك : فعاهدن (على ألا يتركن بالله شيئاً) قد يكون المراد بالإشراك هنا : الإفراط في الحرص على المال ، والإفراط في حب النفس والأولاد والجبن ؛ لأن الله تعالى وصفهن أولاً بالمؤمنات «إذا جاءك المؤمنات» فوجب أن ينصرف الشرك عن عبادة ما عدا الله تعالى ؛ إلى ما يبلغ حبه والحرص عليه حد العبادة (ولا يقتلن أولادهن) لم يرد أن أما قتلت وليدها في الجاهلية ؛ وإنما كان يقوم بذلك الرجال دونهن ؛ بطريق الوأد خشية العار ، والقتل خشية

الله

الإملاق . وقد كان ذلك يتم برضاهن ؛ فكأن شريكات في الإثم . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «إذا قتل إنسان في المشرق ، ورضى عن ذلك إنسان في المغرب : كان شريكاً في دمه» (ولا يأتين بيهتان) بكذب وزور (يفترينه بين أيديهن) وهو ما أخذته المرأة لقطاً ؛ وزعمت لزوجها أنه ولد لها منه (و) بين (أرجلهن) وهو ما ولده المرأة من زنى (بأبيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غصباً) لا تصادقوهم ، ولا تتخذوا منهم خلصاء وأحباباً .

(قد يئسوا من الآخرة) أى أنكروا البعث ، ويئسوا من الإعادة يوم القيامة ، أو يئسوا من الأجر والثواب ؛ لأنهم لا إيمان لهم بمجزون عليه ، ولا عمل صالح يثابون بسببه (كما يئس الكفار) الأحياء (من أصحاب القبور) أن يعودوا إليهم مرة ثانية .
أو « كما يئس الكفار » الذين هم في القبور ؛ أن يرجعوا إلى الدنيا ، أو يأسمهم من ثواب الآخرة ؛ لا لقطع عملهم بموتهم .

سورة الصف

٦٨٣

اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكَافِرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٦٨٣﴾

(٦٨٣) سُورَةُ الصَّفِّ مَلَانِيئَةُ
وَأَيَّاهَا ١٤ نَزَلَتْ بَعْدَ النِّعَانِ

(سورة الصف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) تزهه وقدهه (ما في السموات) أى من فيها من الملائكة ، والكواكب والأفلاك ؛ مما أحاط به علمنا ، ولم يحيط به (وما في الأرض) من لئس وجن ، ووحش وطير ، وهواء وماء ، ونبات وحجاء « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (بأيها الذين آمنوا) لم تقولون مالا تعلمون (وهو أن يأمر الإنسان أخاه بالمعروف ولا ياتمر به ، وينهاه عن المنكر ولا ينتهى عنه ؛ وقد عناه الشاعر بقوله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاسِلِينَ

عار عليك إذا فعلت عظيم
كما يصح به وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
تصف الدواء لدى السقام ، وذى الضنا

(كبر مقتا) كبر : عظم . والمقت : أشد بغض (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) مصطفىين ، متباعدتين ، متعاونين ، مقدمين على لقاء العدو (كانهم) لإقدامهم وتمسكهم (بين ممرصوص) لا ينهار ؛ لشدة واستوائه (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني) بالكذب والمعاودة (وقد تعلمون) بما قدمت لكم من البراهين (أنى رسول الله إليكم) لا شك في رسالتي ؛ بعد وضوح صدق ، وقيام معجزاتي (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) صرفها عن الحق ، وأمالها عن الهداية ؛ عقوبة لهم على زيفهم ، وعدم إيمانهم

(مصدقاً لما بين يدي من التوراة) أى مصداقاً لما تقدمنى من الأنبياء ، والكتب التى جاءوا بها (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) هو إمام الرسل : نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو محمد ، وأحمد ، ومحمود ، وحامد ؛ وله عليه الصلاة والسلام من الأسماء ماثناسم وواحد ؛ منها : الطاهر ، المطهر ،

الحزب الثامن والعشرون

٦٨٤

الطيب ، رسول الرحمة ، المدثر ، المزل ، حبيب الله ، صنى الله ، نجي الله ، كلم الله ، المحي ، المنجي ، البشير ، النذير ، النور ، السراج المنير ، البشرى فى القوت ، الفيت ، نعمة الله ، صراط الله ، سيف الله ، المختار ، الشفع ، الشفع . وهى مدونة بكتب الحديث والسير ؛ مزينة بها حوائط مسجده الشريف بالمدينة المنورة . (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) (فلما جاءهم) أحمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذى بشروا به . وقيل : الضمير فى «جاءهم» عائد إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه المحدث عنه (بالبينات) بالمعجج الظاهرات ، والآيات الواضحات : كفروا به و (قالوا هذا سحر مبين) واضح بين (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (على الله الكذب) بأن كذب بآياته وبرسوله (وهو يدعى إلى الإسلام) الذى ينجيه من الضلالة والجهالة ، ويخلصه من ظلمات الكفر (والله لا يهدى) إلى دينه (القوم الظالمين) الذين يدفعون المعجزات بالكذب ، والآيات بالإنكار (يريدون ليطفئوا نور الله) أى ليطفئوا نور الحق الذى جاء به محمد ؛ بما يقولونه (بأفواههم) من أنه ساحر ، وأن ما جاء به سحر (ودين الحق) الإسلام ؛ الذى هو حق كله (ليظهم) ليعليه (على الدين كله) اسم

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعُوا أَمْرًا عَظِيمًا ⑥ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ⑦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑧ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ⑨ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑩ وَيُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نَوْرِهِ ⑪ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑫ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ⑬ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ⑭ يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ تَنَجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْبَاسِ ⑮ تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ⑯ وَتَحْلِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑰ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

تجبري

جنس ؛ أى ليظهم على سائر الأديان (بأبها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) لما كان الله تعالى بمنه وكرمه يثيب على الإيمان والعمل الصالح ؛ شبه هذا الثواب ، والنجاة من العذاب بالتجارة ؛ فن قدم عملاً صالحاً : لنى جزاء رابحاً ، ومن قدم إحساناً : لنى جنانا ، ومن أرضى مولاه : أرضاه ربه وكرمه ونعمه ؛ فلا تجارة أنجح من هذه التجارة ، ولا فوز أربع من هذا الفوز ؛ (ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون) ما يصلحكم ، وما ينجيكم

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٠ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
 وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّتِهِ مَنْ
 أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ
 طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
 آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٢

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَلَانِيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
 الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

(في جنات عدن) جنات الإمامة ؛ من عدن
 بالمكان : إذا أقام فيه (وأخرى تحبونها نصر
 من الله وفتح قريب) أي ومن عليكم بمصلحة
 أخرى تحبونها ؛ ومن النصر ، والفتح القريب
 (ويشير المؤمنين) يا محمد - في الدنيا - بالنصر
 والفتح القريب ، وفي الآخرة بما لا عين رأت
 ولا أذن سمعت ذلك هو الفوز العظيم (قال
 الحواريون) وهم أنصار عيسى عليه السلام ،
 وحواري الرجل : خاصته وأنصاره (فأصبحوا
 ظاهرين) غالبين .

(سورة الجمعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي
 يقده ، وينزهه كل شيء فيهما : من ملك ،
 وإنس ، وجن ، وحيوان ، ونبات ، وجاد .
 (انظر آية ٤ ؛ من سورة الإسراء) (الملك)
 المالك ؛ الذي لا ملك سواه ، ولا سلطان
 لمن عداه ، ولا سعادة لمن عداه (القدوس)

المنزه عن النقائص (الغزير) الغالب الذي لا يغلب (الحكيم) في صنعه (هو الذي بعث في الأميين) الذين
 لا يقرأون ؛ لأن أمة العرب كانوا لا يقرأون ولا يكتبون من بين سائر الأمم . وقيل : «الأميين» نسبة
 إلى أم القرى مكة زادها الله تعالى شرقاً (رسولا منهم) أي من بني جلدتهم ، ومن جنسهم ، أمياً مثلهم :
 وهو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

(يتلو عليهم آياته) التزلة من لدنه ؛ بواسطة ملائكته عليهم السلام (وزكهم) يطهرهم من دنس الشرك ، وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الأحكام ، وما يلقى بدوى الأفهام (وإن كانوا من قبل) لإرساله إليهم (لئى ضلال مبين) فقد كانوا يندون بناتهم خشية الإملاق ؛ فعرفهم أت خالقهم قد تكفل بأرزاقهم «نحن نرزقهم وإياكم» وكانوا يرتون النساء ويمضوهم ؛ فتهام عن ذلك ، وأصرهم

الجزء الثامن والعشرون

٦٨٦

باكرهم «لا يجل لكم أن ترتوا النساء كرها ولا تفضوهم» وكانوا يصنعت أصنامهم بأيديهم ، ثم يعبونها . فقبج علمهم ، وسفه أخطامهم «أتعبدون ما تضحون والله خلقكم وما تاملون» «أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً» «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وأخرين منهم) أى ويعلم آخرين منهم ؛ وهم سائر الأمة من بعده ؛ فهو عليه الصلاة والسلام المعلم الأول لأمته إلى يوم القيامة ، وقد در القائل :

لم يوفق موفق قط إلا

جاءه عن طريقه التوفيق !

(لما) لم (يلحقوا بهم) فى السابقة والفضل ! وهل يستوى من تمتع بصحبة الرسول ، وفاز بطلعته ؛ بمن لم يره ؛ والمعنى ؛ لم يلحقوا بهم ، وسيلحقون بهم فى الجنة ، أو سيلحقون بهم إذا اهدوا بهديهم ، وساروا على طريقهم (ذلك) الفضل الذى أسبغه الله تعالى على من فاز بصحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورويته ؛ فذلك (فضل الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يخص به من شاء من عباده (مثل الذين حلوا التوراة) أى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما كلفوا به (كمثل الحمار) الذى لا يفهم شيئاً (يحمل أسفاراً) إذا حمل كتباً عظماً ؛ فلا

مَنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَسْمُنُونَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ الْفَاطِلِينَ ۝ قُلْ إِنْ أَلَمُوتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَكٌ مُنْجِيكُمْ ثُمَّ تَرْدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

الله

ينفع بما فى هذه الكتب ؛ فكذلك هؤلاء اليهود «حلوا التوراة» فكانوا «كمثل الحمار» إذا حمل أسفاراً (قل) يا محمد لليهود (يا أيها الذين هادوا) إن زعمتم أنكم أولياء لله (أحباء له تعالى) (فتمنوا الموت) أى إن كنتم أولياء الله وأحباءه - كما زعمون - فتمنوا على الله أن يميتكم ، وينقلكم إلى جواره فى دار كرامته (ولا يمتنونه أبداً) لأن الكافر والمعاصى لا يتمنيان الموت (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعاصى ؛ لما ينتظرون من العقاب على ما قدمت أيديهم (انظر آية ٤٢ من سورة الزمر) (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا ؛ فيجازيكم عليه (إذا نودى للصلاة) إذا أذن لها (من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) فى المساجد (انظر آية ٢٧ من سورة الحج)

(وفروا البيع) أتركوا التجارة الخاسرة ، واسموا إلى التجارة الربحية (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) امشوا فيها ؛ وهو أمر لإباحة ، لا أمر لإلزام (وابتغوا من فضل الله) رزقه ؛ بالسعي في مصالحكم ، أو أريد بفضل الله : العلم (انقضوا) فارقوا من عندك ، وعن الاستماع إلى نصحك (إليها) أى إلى التجارة أو اللهو (وتركوا قائماً) وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة ؛ فقدم حذيفة بن خليفة بتجارة من الشام ؛ فقاموا إليه وتركوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائماً وحده ؛ ولم يبق معه غير

اثني عشر رجلاً من صحابته عليه الصلاة والسلام (قل ما عند الله) من الأجر والثواب (خير) مما انصرفتم إليه (من اللهو ومن التجارة) لأن الصلاة : مرضات لله ، والله جل شأنه يملك الدنيا والآخرة ، وملك خزائن الأرض والسموات . فإن شاء أبكاكم ، وإن شاء أضحككم «وهو الذى أضحك وأبكى» وإن شاء أعطاكم ، وإن شاء منعكم «إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر» (والله خير الرازقين) ولا رازق سواه أصلاً ! وإن قيل : فلان يرزق عياله ؛ فقد أريد أنه يسى عليهم من فضل الله !

٦٨٧

سورة المنافقون

اللَّهُ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَلَكُوتِي
وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا

(سورة المنافقون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاءك المنافقون) يا محمد (قالوا) ثقافاً ورياءً (نشهد أنك لرسول الله) يقولون بأستهم ما ليس في قلوبهم «والله يعلم أنك لرسوله» شهد المنافقون بذلك أو لم يشهدوا (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فيما يقولون (اتخذوا أيمانهم جنة) أى اتخذوا شهادتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة : وقاية لهم من القتل والأسر (انظر آية ١٦ من سورة المجادلة) (فصدوا) منعوا

الناس (عن سبيل الله) دينه القويم (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وكذبهم . وقد لحقهم السوء - في حياتهم - بانكشاف سترهم ، وإفضاح أمرهم ، وسيلحقهم - بعد موتهم - فيما يلقونه من العذاب في قبورهم ، وفي الجحيم بعد بعثهم ! (ذلك) السوء الذى وقع منهم (بأنهم) بسبب أنهم (آمَنُوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة ؛ كاسر من يدخل في الإيمان

(ثم كفروا) ظهر كفرهم بما أبدوه من نفاقهم . أو قالوا كلمة الإيمان المؤمنين « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » (فطبع الله على قلوبهم) غطى عليها ؛ فلا تقبل الإيمان ؛ بسبب نفاقهم ، وكفرهم بعد إيمانهم . فالطبع على قلوبهم : كان عقوبة لهم ؛ لأن كفرهم سابق على طبع الله تعالى وتطيته على قلوبهم ؛ وكذلك يطبع الله على قلوب الكافرين »

الجزء الثامن والعشرون

٦٨٨

ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٨٨﴾
 * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَكَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرُوا ﴿٦٨٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا نَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُؤُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٩٠﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٩١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩٢﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لا

الأضعف . عنوا بذلك المؤمنين ؛ لفقرهم وتواضعهم (وثة) وحده (الغزة) الغلبة والقوة ؛ يهبها لمن شاء من عباده (ورسلوه) أيضاً الغزة ؛ يضيفها على أتباعه (وللمؤمنين) وليست لكم ؛ لأن الغزة لا تكون إلا لله وبالله ؛ وأنتم عنه بعداء !

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم) لا تشغلكم (أموالكم) وجمعها والحرس عليها (ولا أولادكم) وفرط الرغبة في إسماعهم ؛ مضحين في سبيل ذلك بأوصارهم ربكم ، وبما فرضه عليكم من الإنفاق والبذل ؛ ناسين وعده بالاختلاف والأجر ؛ فلا يلهيكم الانشغال بذلك (عن ذكر الله) تذكره ، وخشيته ؛ وإطعام الفقير في سبيله ، وإنفاق المال على حبه ؛ (ومن يفعل ذلك) فيتلهى بجمع المال ، وحفظه للعيال (فأولئك هم الخاسرون) لأموالهم ولا خريتهم ؛ بل ولأولادهم أيضاً فكم قد رأينا من أبناء الأغنياء ، من أصاع ما جمعه الآباء ؛ فيما يفضب الله تعالى من اللذات والشهوات . وبعد ذلك

٦٨٩

سورة النازعات

لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمْ أَخْسِرُونَ ۝ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ
إِلَّا أَجَلَ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ۝

(٦٤) سِوَرَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي

صاروا عالة على المجتمع : يتكففون الناس ، ولا يمجدون قوت يومهم ! وما ذاك إلا من سوء نيات آبائهم ، وبعدهم عن مرضات ربهم ! كم قد رأينا من أبناء الفقراء : من أضخوا - بين عشية وضحاها - سادة ؛ بل قادة ! وما ذاك إلا من اتباع آبائهم لدينهم ، واستماعهم لنصح ربهم ! وتذكر هداك الله قول الحكيم العليم « كان أبوها صالحا ، فاحرس - كيف ووقيت - على إرضاء مولاك ؛ فيقيك الضر والفقر ، ويحفظ عليك دينك وبدنك وعبالك ؛ ويقبهم المسئلة من بعدك ، ويحسن دينك وآخرتك ! فياساعدة من جعل ماله ذخراً له عند ربه ، وجعل الله تعالى ذخراً لولده من بعده ! (وأفقوا بما رزقكم) كما أمركم (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي أسبابه ومقدماته (فيقول رب لولا) هلا (أخرتني لك أجل قريب فأصدق) كما أمرت (وأكن من الصالحين) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : ما قصر أحد في الزكاة والحج ، إلا سأل الرحمة عند الموت . نفوذ بالله تعالى من ذلك ! (والله خير بما تعملون) من خير أو شر ؛ فيجزيك عليه .

(سورة النازعات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي كل شيء فيها : من ملك ، وإنسان ، وحيوان ، وجاد (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) (له) وحده (الملك) والملكوت ، وهو وحده المتصرف فيه ؛ لا شريك له (وله الحمد) على كل حال (هو الذي خلقكم) من نفس واحدة

(فتم کافر) بخلافه ، منکر لرازقه (و منکم مؤمن) به ، موحد له (واقعہ بما تعملون بصیر) فعاظم علی الکفران ، و مثبک علی ایمان .

وقد ذهب قوم - غفر الله تعالى لهم - إلى أن الله تعالى خلق هذا كافراً ، وخلق هذا مؤمناً ؛ وبذلك يكون - أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين - قد ألزم الكافر بالكفر ، وألزم المؤمن بالإيمان ؛ وهذا المعنى - رغم فساده وإفساده - فإنه يتناقض مع قول العزيز الجليل « والله بما تعملون بصير » فأذع - أيها المؤمن

الطيب - فساد هذا المعنى ، وقبحه ، وتسمك
بما نقول : تحط بالقبول ، وتذكر قول الحميد
المجيد « وما أنا بظلام للعبيد » وما ظلمناهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : « أظن أن الذي نهاك دهاك ؟ إنما دهاك أسفلك وأغلاك ؟ وربك برىء من ذلك ! وإذا كانت المحصية حتماً فالعقوبة عليها ظلالاً » (وصوركم فأحسن صوركم) لا يستطيع لإنسان - بالتمام ما بلغ من الكفر والعتاد - أن يرى في تصوير الآدمي قصصاً أو أعوجاجاً ؛ وإن الإنسان لو تأمل في يده - مثلاً - ورأى أنها كيف تنقسم إلى خمسة أصابع ، وكيف أن كل أصبع من هذه الأصابع ينقسم إلى عدة مفاصل : لما وسعه إلا أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ! وأين اليد وحسنها ؟ من الوجه ودقة تصويره ، وبديع تنسيقه ؟ حقاً إن دقة هذا الصنع ، وإحكام هذا الوضع ؛ ليشهدات لمبدعهما بالقدرة والوحدانية والربوبية . فنعلم الخالق ، ونعم المصور ! (وإليه المصير) المرجع ؛ فيثيب الطامع ، ويمتدب العاصي (والله أعلم بديات الصدور) بما في القلوب (فذاقوا وبال أمرهم) الوبال : المهلاك . أي ذاقوا الهلاك ؛ الذي هو عقوبة فيهم ، وعقوبة كفرهم (بالبينات) بالمعجزات الواضحات ، والآيات

الجزء الثامن والعشرون

خَلَقَكُمْ لِنُفَكِّرَ كَافِرًا مِّنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَاحْسَنُ صُورَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُنَبِّئُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ
عَلِيمُ ذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَلَذَاتُوا بِآلِ أَهْرِيمَ وَلَمْ يَدْعُوا إِلَيْهِمْ ﴿٤﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْيِيهِمْ رُسُلَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا
أَبَشِرْهُمْ بِدُونِنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۚ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٥﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ
بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبِّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٦﴾ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالنُّورُ الَّذِي أُنزِلَنَا
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِرَبِّهِمُ الْجَمْعُ
ذَلِكَ يَوْمَ النَّفَاثَةِ ۚ وَمَنْ يُوْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا

بُكَفِّرْ

الظاهرات (فقالوا أبيض يهودنا) باللعجب؛ ينكرون رسالة البشر، ويؤمنون بربوبية المجرا (فكفروا) بالمعجزات والآيات (وتولوا) انصرفوا عن الإيمان (واستغنى الله) عنهم وعن إيمانهم (والله غنى) عن سائر مخلوقاته (حميد) محمود في كل أفعاله (زعم الذين كفروا أن لن ينصروا) يعادوا للحساب والجزاء يوم القيامة (ثم لننبؤن بما علمتم) أى تجزون عليه : إن كان خيراً نغير ، وإن كان شراً فنفسر (والنور الذى أنزلنا) هو القرآن الكريم ؛ وهذا الاسم من أجل أسمائه ؛ إذ أن النور: يستضاء به فى الظلمات ، والقرآن الكريم: ينير القلوب ، ويمحو الشبهات ، ويهتدى إلى الجنات ؛ (ذلك يوم التباين) أى يوم غيب الكافر ، وضعفه ، وخسارته ، وحسرتة . أو هو يوم التناسى: أى نسيان الكافر من الرحمة والنعمة . والتباين =

== يطلق على التناسى ، والحسران ، والضعف . وأصل الغبن : النقص في الثمن ، أو رداءة المبيع في البيع . ولما كان الكافر لا يجزى عن أعماله الصالحة التي عملها في الدنيا «وقدعنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» كان مثله كمثل الغبون (يكفر) يبع (ما أصاب) الإنسان (من مصيبة) في المال أو النفس (إلا بإذن الله) بإرادته وتقديره (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) جزاء على إيمان . وهكذا ربك يجزي دائماً الإحسان بالإحسان : يزيد من آمن إيماناً ، ومن اهتدى هداية «والذين

اهتدوا زادهم هدى» أما من ضل وغوى ؟ فإنه تعالى يزيده ضلالاً على ضلاله ، وخيلاً على خياله : «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً» (فإن توليتهم) أعرضتم عن الإيمان والطاعة (الله لا إله إلا هو) لا إله بعد سواه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قرن تعالى التوكل عليه بكلمة التوحيد : لأن الإيمان بغير توكل لا أثر له ؛ إذ أن كلمة التوحيد : إيمان باللسان ، والتوكل : إيمان بالقلب ، ووثوق بوجوده تعالى وقدرته ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) وهو ما يبدو كثيراً من نشوز بعض الأزواج وجهلهم ، وعقوق بعض الأولاد وطغيهم (فاحذروهم) أي فاحذروا عداوتهم . والحذر : الاحتراز ، والاستعداد ، والتأهب . والاحتراز من الأعداء : دفعهم ، والتأهب للقائهم وقتالهم . أما الحذر والاحتراز من الأبناء : فهو لإزالة أسباب العدا . كيف لا ؟ والزوج : قد أوصى بها الرب ، ومضى صاحب بالجنب . وقد أمرنا ببسط المودة لها ، والرحمة بها ! أما الأولاد : فهم فلدات الأكباد ؛ وزينة الحياة الدنيا ! وقد أمرنا لها ، وهدانا إلى دفع أعدائنا بالإحسان : «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» فن باب أولى يكون دفع الأزواج والأبناء ؛ وهم

يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ①
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ② مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ④
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ⑤ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمِنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّمَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑥ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ غَلِيظٌ حَرِيمٌ ⑦ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ

من خير الأبناء ! فوجب ألا يكون دفع عداوتهم ، والحذر منهم : إلا بالإحسان إليهم ، ومزيد برهم والعطف عليهم ؛ فيقلب بغضهم محبة ، وعداوتهم مودة ! يدل على ذلك قول الحكم العليم (وإن تغفوا) عنهم (وتصفحوا) عن عداوتهم (وتغفروا) ذنوبهم (فإن الله غفور) لكم ولهم (رحيم) بكم وبهم ! هذا وقد سار جل الناس ، وأغلب المفسرين على وتيرة واحدة في فهم هذه الآية بأوسع معاني العداة حتى لقد زعم بعض المفسرين أن «من» يائية ، لا تمييزية ؛ فتبليت الخواطر ، وحل الإزعاج مكات الطمأنينة ؛ ونظر كل والد إلى أولاده بين الارتباب ، وكل زوج إلى زوجته بين التوجس والاحتياط ! ألم يقل الله تعالى : «إن من أولادكم وأزواجكم عدواً لكم فاحذروهم» ألم تر بعض شرار الأبناء يقتلون =

== آباءهم ، وبعض الفاجرات يكثت لأزواجهن ؛ بما يصل إل حد الإيقاع بهم ظلماً ، أو دس السم في طعامهم ؟ ألم يناد نوح ابنه لنجاة ؛ فأبى إلا اتباع الطغاة ؟ وامرأة نوح ، وامرأة لوط ؛ ألم تكونا من أعداء زوجيهما وأعداء الله ؟

كل هذا ساعد على فهم هذه الآية ذلك الفهم الخاطي ؛ الذي لا يحتمله كتاب الله تعالى ولا يرتضيه سبحانه لمعان كلامه المجيد ! فقد أنزل تعالى كتابه لتهدأ النفوس لا لتزعج ، ولتطمئن القلوب لا لترتاع ! والشر كما يأتي من شرار الأبناء ؛ فقد يأتي من شرار الآباء ؛ وكما يأتي من شرار الزوجات ؛ فإنه قد يأتي من شرار الأمهات !

الجزء الثامن والعشرون

٦٩٢

يُوقِّعُ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧٠﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٧١﴾

(٦٩) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَلَانِيَّةً
وَأَيَّاهَا ١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسَارَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ
حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ فَإِذَا بَلَغَ

أَجَلُهَا

فهل معنى ذلك أن قربان الزوجة إثم ؛ لأنه من الشهوات ؟ وحب البنين جرم ؛ لأنه مما زينه الشيطان ؟ ! وإنما أراد الله تعالى بهذه الآية القرينة : أن من الأولاد والأزواج من يفعل بكم ما يفعله الأعداء ؛ من تمويككم عن الذكر والطاعات ! أليس الولد مجنونة مجنونة كما يقولون ؟ وأي جرم أشد من الجبن ، وأي إثم أحط من البخل ؟

وقد أريد بهذه الآية الكريمة : الاحتياط من الانشغال عن الطاعات بالذات ، والحذر من الاشتغال بحب الأولاد عن حب الله تعالى والحرس على الصادات ! وأي عدو أعدى من المخلوق الذي يشتغل عن الخالق ، والمرزوق الذي يصرف عن الرازق ؟ !

ولكننا لو تفهمنا هذه الآية بالمقل السليم ، وعلى ضوء المنطق المستقيم ، وعلى هدى الكتاب الكريم : لوجدنا أنها بريدة كل البعد عن هذا الفهم ، وهذا الزعم . وكيف يثير الحكيم العلم العداوة بين الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ؟ وغرض وجود العداوة بينهم فرضاً لا صرية فيه ، وجوب الحيلة والحذر منهم ؛ وهو جل شأنه القائل «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» فالأساس السكن والتراحم ، لا العداوة والبغضاء ! وقد بان لنا من ذلك أن العداوة المشار إليه في الآية ليس بالعداء الحقيقي الذي يكون بين الألداء ! يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين «لأنكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» فالتى يلحى عن ذكر الله تعالى هو العدو المبين ؛ الواجب الحيلة ، المستوجب الحذر ! فهل معنى ذلك أن الأبناء من الأعداء المستوجبين للحيلة والحذر ؟ ! ويقول جل شأنه أيضاً : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين» والمزين هو الشيطان الواجب مخالفته ، المقروض محاربه ؛

== وكن وسطاً في حبك ، وسطاً في ميلك ! هداك الله تعالى ! إلى صراطه المستقيم !
ومن قبل زعم المسرور أن سليمان - وهو من خيرة الأنبياء - قتل بضعة آلاف من الخيل لأنها
عطته عن صلاة العصر ؟ عند قوله تعالى « فطلق مسحاً بالسوق والأعناق » وهي فرية على سليمان عليه السلام
اقتراها اليهود الأفاكون الملاحين !

وهذا لا ينفع من وقوع بعض الهنات ، من الأبناء والزوجات ؛ وهو الذي أشار إليه المولى جل وعلا
بقوله « وإن تغفوا وتصفحوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله
غفور رحيم » .

سورة الطلاق

٦٩٣

أَجْلَهُنَّ فَأَسْكِنُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
يُعْطِيهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ وَالَّذِي يُنْفِقْ
الْعَجِيزُ مِنْ نَسَائِكُنَّ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّذِي لَا يَحْضُرُ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۖ
ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَزْلَهُ ۖ لِلْبَيْتِ ۖ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۖ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

وقد أشار المولى الكريم إلى المعنى الذي
أشترنا إليه آتفا وعضدناه بشق الحجج والآيات
بقوله عز وجل (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)
أى بلاء وعنة ؛ يوقونكم في الإثم من حيث
لا تشعرون (فاتقوا الله) خافوه ، واعملوا
بأوامره (واسمعوا) نصح القرآن (وأطيعوا)
داعى الرحمن (وأفقوا خيراً لأنفسكم) وأى
خير ينال الإنسان : أسى من الإحسان ؟ وأى
خير يحتسبه المؤمن عند ربه : أفضل من
الإفلاق ؟ ! فأتفق أيها المؤمن - جهد طاعتك ،
ووسع مالك - فذلك خير لك في دنياك ،
وسعادة دائمة لك في أخراك ! « وما أنفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » (ومن
يق شح نفسه) الشح : اللوم ، وأن تكون
النفس ككرة حريصة على المنع . أما البخل :
فهو المنع نفسه . والمراد هنا : يبخل النفس
بالزكاة والصدقة ، بدليل قوله تعالى (إن
تقرضوا الله قرضاً حسناً) عبر تعالى عن المصدق
بالمقرض ؛ وذلك إثباتاً لحقه في الوفاء له بالأجر .
وجعل تعالى نفسه مقرضاً : ليطمئن المقرض إلى
رد ما بذله إليه . لأنه كلما كان الملتزم ملتزماً :
كان الوفاء محققاً ؛ فما بالك والمقرض ملك
الملوك ، وأغنى الأغنياء ؛ وقد وعد بالوفاء

وفوق الوفاء ؟ فقال تعالى (بضاعته لكم) وبنيته (ويغفر لكم) ذنوبكم ؛ زيادة على مضاعفة أجوركم !
ومن ذلك تعلم أن الصدقة : ترضى الرب ، وتغفر الذنب « إن الحسنات يذهبن السيئات » (والله شكور)
كثير المجازاة على الطاعات (حليم) يغفو عن السيئات (عالم الغيب والشهادة) ماخى ، وما ظهر ؛ وهو
(العزيز) في ملكه : يعطى من يشاء ، وينزع من يشاء (الحكيم) في صنعه !

(سورة الطلاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فطلقوهن لمدنهن) أى مستقبليات لها . والمراد ألا تطلق المرأة إلا في طهر لم تجامع فيه ، ثم تخلى =

== حتى تنقضي عدتها (وأحصوا العدة) اضبطوها ؟ فلا تزيدوا عليها ، ولا تنقصوا منها (لا تخرجوهن من بيوتهن) حتى تنقضي عدتهن (ولا تخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) من الزنا : تخرج من بيتها لحفها ؛ تخرج لترجم ؛ إذ ما فائدة إحصاء العدة مع زناها ؟ فربما علقت من الزاني بها (وتلك) الأوامر هي (حدود الله) التي لا يجوز تجاوزها (ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (لا تدرى) أيها المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك) الطلاق (أمراً) أى لعل الله - وهو مقلب القلوب - يقلب قلبك من بغضها إلى محبتها ، ومن طلاقها إلى رجعتها ؛

الجزء الثامن والعشرون

٦٩٤

فتراجعها وهي في بيتك ، وتحت كنفك (فإذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء عدتهن (فأسكنوهن) راجعوهن ؛ إلت أردتم (معروف) بغير قصد إلحاق الضرر بهن بتلك المراجعة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على المراجعة ، أو الطلاق . هذا وقد أجمع الفقهاء على وقوع الطلاق بمجرد إرادته والطلاق به . وقد جرى العمل على ذلك في صدر الإسلام ؛ وبذلك يكون المراد بالإشهاد : الإشهاد على المراجعة دون الطلاق . وقد خالف الشيعة الإجماع ، وزعموا أن الطلاق بدون إشهاد : لنفو ، لا يقع ، ولا يثبت به . وقد رأى بعض مفكرى هذا العصر : منع وقوع الطلاق إلا أمام القاضي ؛ وهو رأى فاسد يأباه صريح القرآن ، وما سار عليه السلف الصالح من الأمة ؛ فالطلاق يقع - بلا قيد ولا شرط - متى رغب الزوج في إيقاعه ؛ ولا تستطيع قوة على ظهر الأرض منعه من هذا الحق الذى جعله الله تعالى متنفساً للزوجين (انظر مبحث الطلاق بآخر الكتاب) (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة لوجهه تعالى ؛ لا من أجل المطلق أو المطلقة (ذلكم يوعظ به) أى تلك الأحكام يعتض بها وينتفع (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) القيامة ، وما فيها من حساب وجزاء

فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُدُّوا عَنْهُنَّ فَإِنْ فَتَنَّهُنَّ فَأُولَئِكَ عَنِ الْفِتَنِ
مَعْرُوفٌ وَإِنْ تَعَاَسَمْتَ فَعَرَّضْ لَهُ بِأُخْرَى ۖ لِيُفْنِقَ
ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْنِقْ ۙ مِمَّا
عَاطَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا عَاطَاهُ ۚ سَيَجْعَلُ
اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَانَ مِنْ قُرْبَى عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهَا وَرَسُولِهِ ۖ فَاسْتَبْنَاهَا حَسْبًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَيْنَهَا عَذَابًا
ثَقِيرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبَ أَمْرِهَا
خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكَ

رِزْقًا ۝

(ومن يتق الله) في أموره (يجعل له مخرجاً) من كرب الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من حيث لا يخطر بباله . أو المراد «ومن يتق الله» في معاملة أزواجه ، ويتبع مأمراً الله تعالى به ؛ في طلاقهن ، أو إسكانهن «يجعل له مخرجاً» بأن يقيم له أهواجها إذا أسكها ، أو يبدله خيراً منها إذا طلقها «ويرزقه» مهراً ونفقة «من حيث لا يحتسب» عن الصادق المصدق صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إني لأمر آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكتفتهم» أى كافيته . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلت على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تغدو خفاصاً وتروح بطاناً» (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ==

== (إن الله بالغ أمره) منفذ أمره ومراهه (قد جعل الله لكل شيء) شرعه ؛ كإطلاق ، والعدة ونحوها (قدراً) زمناً لازماً ؛ لا يجوز قصصانه (واللأني يئسن من المحيض) لكبر سنهن (إن ارتبتم) أى إن شككنكم فى عدتهن ، أو إن شككنكم فيما ينزل منهن : أمو حيض ، أم استحاضة ؟ (واللأني لم يحضن) لصغرهن ؛ فعدتهن ثلاثة أشهر أيضاً (وأولات الأحمال) النساء الحوامل (أجلهن) انتهاء عدتهن (أن يضمن حملهن) أن يلدن ؛ ولو بعد الطلاق بدقائق معدودات (ومن يبق الله) فى أموره كلها (يجعل له من أمره يسراً) فهوون عليه كل شيء أرادته : زواجا ، أو طلاقا ، أو غير ذلك (ومن يبق الله بكفره) يحج (ويعظم له أجراً) فى الآخرة (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى مثل سكنكم ، أو مكاناً من نفس مسكنكم (من وجدتم) أى وسعكم ، وقدر طاقتكم (ولا تضاروهن) فى المسكن (لتضيقوا عليهن) ولتفتدين أنفسهن منكم (فاتوهن أجوهن) أى أنفقوا عليهن مدة الرضاع (واتموا بينكم بمعروف) أى ليكن أمركم بينكم بالمعروف : فى شأن النساء ، وإرضاع الأولاد ؛ فلا يأمر أحدكم بظلم المرضع المطلقة ، ومض حقوقها ، والنيل منها ؛ ومن كان متكلماً فليقل خيراً أو ليصمت . أو هو

رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

(٦١) يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ ۚ وَأَنزَلْنَا ۙ ١٢ نَزْلًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَٰكِن تَتَّبِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتُّنَ مَرْضَاتٍ أَرْوَجُكَ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۖ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ۖ وَظَاهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ ۖ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ ۖ قَالَتْ مَن أُنْبِئَكَ هَذَا ۖ قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ ۝

نفساً إلا ما آتاهما) أى ما أعطاهما من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسراً) هو وعد من الله تعالى بالتيسير على من أنفق قدر طاقته ووسعه . كأن سائلاً سأل : ذاك الموضع عليه قد أنفق من سعيته ؛ فما بال من ضيق عليه يؤمر بالإففاق ؟ فجاءت الإجابة على هذا السؤال ، من لدن ذى الجلال : إن الإففاق ما هو إلا علاج للاملاق «سيعمل الله بعد عسر يسراً» «ومن أصدق من الله قيلاً ١» (انظر الآيات ٢٦٧ - ٢٧٤ من سورة البقرة) (وكأين من قرية) (وكم من قرية) (عنت) تمردت (وعذبناها عذاباً نكراً) منكرأ عظيمها (فذاقت وبال أمرها) أى ذاق الهلاك ؛ الذى هو عاقبة أمرها (وكان عاقبة أمرها خسراً) أى خسراًناً وهلاكاً (يا أولى الألباب) يا ذوى العقول (قد أنزل الله إليكم ذكراً) هو القرآن الكريم (رسولاً) أى =

= وأرسل إليكم رسولا . ويجوز أن يكون المعنى « قد أنزل الله إليكم ذكراً ، أى شرفاً عظيماً : «رسولا» من لدنه (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (قد أحسن الله له رزقاً) في الجنة «فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» (ينزل الأمر) بالوحي والأرزاق ، والإحياء والإفناء (بينهن) أى بين السموات والأرض ١

الجزء الثامن والعشرون

٦٩٦

(سورة التحريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)

قيل : لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب عسلاً عند زينب بنت جحش ؛ فأدرك أمهات المؤمنين - من الفيرة - ما يدرك سائر النساء من البشعة فتواطأت عائشة وحفصة على أن يقولوا له : إنا نسم منك ريح المغافير - وهو صنع كرهه الرائحة يفسد به العسل - فلما سمع منها ذلك : حرم العسل على نفسه ؛ فزلت هذه الآية . وقيل : حرم على نفسه مارية أم ولده إبراهيم مرضات لحفصة (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم ما تتحللون به من أيمانكم ؛ وهو الكفارة (واقه مولاكم) يتولاكم برعايته وتدييره وإرشاده (ولذا أسر النبي إلى بعض أزواجه) حفصة (حديثاً) هو تحريم الصل ؛ أو مارية القبطية (فلما نبات به) أى أخبرت بهذا الحديث عائشة رضى الله تعالى عنها (وأظهره الله عليه) أى أطلمه على هذا الإنبياء (عرف) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة (بعضه) عرف بعض الذى أفشته من سره عليه الصلاة والسلام (وأعرض عن بعض) فلم يعرفها أنه قد اطلع عليه . وقيل «عرف» بمعنى غاب ، وأخذ (إن تتوبا

التحريم ١) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٢) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُكَ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَ مُسَلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَذِيبْنَ عِدَّتِ سَبَّحْنَ قَبْلَكَ وَأَبْكَارًا ٣) يَتَابِعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٤) يَتَابِعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْعَلُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥) يَتَابِعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَفْصًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ

يَقُولُونَ

إلى الله) قيل : المعنى : حلا تتوبا إلى الله (فقد صغت قلوبكما) أى إيمالت إلى ما كرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ من اجتناب الصل ، أو تحريم مارية (ولأن تظاهرا عليه) أى تتاموا على إبدائه ، وحب ما يكرهه (فإن الله هو مولاه) أى وليه وناصره (وجبريل) أيضاً (وصالح المؤمنين) أى والصالحون من المؤمنين (والملائكة بعد ذلك ظهير) أى والملائكة - على كثرتهم وقوتهم - بعد نصر الله تعالى له أعواناً (عسى) أى إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منك (لا يظاهرن عليه) ولا يتآمرن ، ولا يفشين سره لغيره (مسلمات مؤمنات فائحات) مطيعات (سالمات) صائمات والسامح : الصائم الملازم للساجد (نبيات وأبكارا) حسبما يريد ، وكيفما شاء (انظر آية ١٢٥ من سورة البقرة) (يا أيها الذين =

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمُ لَنَا نُورٌ وَنَا وَغَفِرْنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْهِنُهُمْ جَهَنَّمَ وَرِئَاسَ الْمَصِيرِ ﴿٢﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿٣﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنِيَ بِهَا الْفَتْنَيْنِ ﴿٥﴾

= آمنوا لولا أنفسكم وأهليكم نارا) أى عملوا الأعمال الصالحة ، واتمروا بالأوامر ، واجتنبوا النواهي ، وأمروا أهليكم بها ، وألزموا الطاعة والعبادة ؛ لتتقوا بذلك النار ؛ التي (وقودها الناس) الكافرون والمخالفون (والحجارة) وذلك لأن جهنم من قوتها وشدها : تذيب الحجارة (عليها ملائكة) هم خزنها عليهم السلام؛ وعندتهم تسعة عشر (غلاظ) على أهل النار (شداد) أقوياء ؛ لا ينفعهم مانع ، ولا يدفعهم دافع (لا يعصون الله ما أمرهم) بهمن البطش والتسكيل بالكافرين ! (يا أيها الذين آمنوا) توبوا إلى الله توبة نصوحا) أى توبة صادقة خالصة . والتوبة النصوح : أن يتوب عن الذنب ؛ فلا يعود إليه . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هي الاستغفار باللسان ، والتندم بالجنات ، والإقلاع بالأركان (عسى ربكم) إن تبتم (أن يكفر) يعفو (نورهم) يعنى بين أيديهم (أمامهم) (وبأيمانهم) حوالهم (انظر آية ١٢ من سورة الحديد) يقولون ربنا أعم لنا نورنا) يادخلنا الجنة (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف واللسان (والمنافقين) بالحجة والبيان (واغلظ عليهم) شدد عليهم بالحدود (كانتا تحت عبدین من عبادنا صالحین فخانتاهما) في الدين والمعاشرة؛ فقد كانت امرأة نوح تقول لقومه : إنه مجنون وكانت امرأة لوط تدعو قومه إلى إذابة أضيافه (انظر آية ٤٦ من سورة هود) (فلم يغنيا) أى لم يدفع نوح ولوط (عنهما من الله) من عذابه (شيئا) ولم ينفعهما أن كان زوجها من الأنبياء ، ومن خيرة خلق الله تعالى ، وأقربهم لديه (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) حفظته (ففخنا فيه) أى نفخ جبريل في فرجها بأمرنا (من روحنا) المخلوقة لنا ؛ قال تعالى «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» يهبها لمن يشاء إحياءه . أو المراد : نفخنا في فرجها بواسطة روحنا ؛ الذي هو جبريل . وقد تأول قوم الفرج هنا : بالحرق ، أو الفتق في درع مريم ؛ وهو ليس بشيء . وإنما الأجسام إلى هذا التأويل : خشية أن يقول قائل : إنما كانت ولادتها لعيسى عن الطريق المعبود لسائر من يولد من البشر (وصدقت) آمنت (بكلمات ربها) شرائعها ، وأحكامها ، وأوامرها ، ونوحيها . أو المراد «بكلمات ربها» عيسى عليه السلام ؛ لأنه كلمة الله ؛ يؤيده قراءة من قرأ «بكلمة ربها» (وكتبه) أى وآمنت بكتبه . يعنى التوراة والإنجيل ، وما أنزل من قبل (وكانت من القانتين) المطيعين العابدین .

(سورة الملك)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتقدس عن صفات المخلوقين (الذي بيده) أى تحت تصرفه ، وطوع إرادته ، ورهن مشيئته

الجزء التاسع والعشرون

٦٩٨

(الملك) السلطان والقدرة (الذى خلق الموت) فى الدنيا (والحياة) فى الآخرة ؛ أو خلقها فى الدنيا ؛ لأن إيجاد الحياة فى النطفة : إحياء لما يتخلق منها (ليلوكم) ليختبركم ويمتحنكم (أيكم أحسن عملاً) فيجزيه فى الدنيا ، ويحييه فيها حياة طيبة ، ويكرمه فى الأخرى وينعمه (وهو العزيز) القادر على الإكرام ، وعلى الانتقام (الففور) لمن تاب وأتاب (الذى خلق سبع سموات طباقاً) مطابقة ؛ بعضها فوق بعض (ما ترى فى خلق الرحمن) أى فى مخلوقاته : صفيها وكبيرها ، حقيرها وجليلها ، قيسها وخسيسها (من تفاوت) التفاوت : عدم التناسب والتناسق (أارجع البصر) أى رده إلى مصنوعات الله تعالى (هل ترى من فطور) أى هل ترى من عيب أو خلل . والفطر : الشق (ثم أرجع البصر) عاوده (كرتين) مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أى يرجع إليك بصرك ذليلاً حسيراً . والمعنى : أن بصرك لن يرى عيباً ولا خللاً ؛ مهما بحث وقلب عن عيب أو خلل ! (ولقد زينا السماء الدنيا) السماء الأولى ، القريبة من الأرض (بمصابيح) بكواكب ؛ من منها بمثابة المصابيح المضيئة ؛ وهى النجوم (وجعلناها) أى جعلنا هذه النجوم - فضلاً عن كونها مصابيح تضيء لكم - (رجوماً للشياطين) بأن ينفلخ شهاب من النجم - كالقوس من النار - فيمحق الشيطان الصاعد لاستراق السمع (وأعندنا لهم) أى أعددنا للشياطين

(٦٧) مِثْرُ الْمَلِكِ مَكْتَبَةٌ

وَأَيُّهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِن فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ
إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الْأَدْنَى بِمِصْبَاحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ
جَهَنَّمَ أَوْسَعُ أَلْمَصِيرُ ⑥ إِذَا الْفُتُورُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا

مِثْرًا

كالفيس من النار - فيمحق الشيطان الصاعد لاستراق النجوم - فضلاً عن كونها مصابيح تضيء لكم - (رجوماً للشياطين) بأن ينفلخ شهاب من النجم - كالقوس من النار - فيمحق الشيطان الصاعد لاستراق السمع (وأعندنا لهم) أى أعددنا للشياطين

شَيْقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٦﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى
فِيهَا فَتُوجَّ سَالَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَّا يَانْكَرُوا نَذِيرٌ ﴿٧﴾ قَالُوا بَلَى
قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٨﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ
فَنُحْضًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ
أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ
وَالِيهِ النُّشُورُ ﴿١٤﴾ أَمْ أَنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْفَى بِكُمْ
الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ

(سمعوا لها شيقاً وهي تفور) أى سمعوا لها
صوتاً منكراً ، وهي تغلي بهم (تكاد تميز من
الغيظ) جعلت كالمغناطة ؛ استعارة لشدة
غليانها بهم ، ولإيلامها لهم (كما ألقى فيها فتوج)
جماعة (سألهم خزنتها) الملائكة الموكلون بها
(ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم ما أنتم عليه
الآن من العذاب (فسحقاً لأصحاب السعير) فبعدا
لهم عن رحمة الله (إن الذين يخشون ربهم بالغيب)
يخافونه قبل معاناة العذاب ، ويؤمنون به من
غير أن يروونه (إنه عليهم بذات الصدور)
بجفائها القلوب ؛ لأنها من خلقته تعالى ، ويعلم
ما تهجس به (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف)
بعباده (الخبير) بخلقه (هو الذى جعل لكم
الأرض ذلولاً) لينة ، سهلة ، مذلّة (فامشوا
في مناكبها) في جوانبها ونواحيها ؛ طلباً
للرزق (وكلوا من رزقه) الذى يرزقكم به
(واليه النشور) مرجعكم بعد بعثكم (أأمنتم)
إن عصيتم (من في السماء) «وهو الذى في
السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم»
(أن يخسف بكم الأرض) بعد أن جعلها لكم
ذلولاً ، تمشون في مناكبها ، وتأكلون من
رزقه ؛ يخسفها بكم - لكفرانكم بتلك النعم -

كما خسفها بقارون (فإذا بها) بعد استقرارها (تمور) تضطرب وتتحرك ، ثم تتقلب بكم ؛ فتدفنكم في
جوفها (حاصباً) حجارة من السماء ، أو ريحاً ترمى بالحصى ؛ وهي الحصى (فستعلمون) وتفتنونكم (كيف نذير)
أى كيف كان إنذارى لهم بالعذاب ، وكيف تحقق ذلك الآن !

(ولقد كذب الذين من قبلهم) من الأمم السابقة (فكيف كان تكذيب) أي كيف إنكارهم لهم على هذا التكذيب ؛ ياتزال العذاب بهم ، وإهلاكهم (أولم يروا) من دلائل قدرتي ووحدانيتي (إلى الطير فوقهم) في جو السماء (صافات) باسطات أجنحتهن (ويقبضن) يضممنها إذا ضربن بها جنوبهن (ما يمسكن) حال طيرانهن في الهواء (إلا الرحمن) لأنه تعالى مسخر الهواء ؛ ولو شاء لأمسك ؛ فلا يجدي الطائر طيرانه ، ولم تقده أجنحته ؛ مهما قبضها أو بسطها ؛ وكيف لا يمسك الطير حال طيرانه ؛ من يمسك الفلك حال

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٠

دورانه ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ١ (أمن هذا الذي هو جند لكم) يعني إذا علمت أنه تعالى قادر على أن يخسف بكم الأرض فيهلككم ، وأن يرسل عليكم حامياً فينصركم ؛ فمن هذا الذي هو جند لكم ؛ تلجأون إليه ، وتعتصمون به ؛ (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك) الله تعالى عنكم (رزقه) الجواب : لا أحد. ولكن الكافرين لا يسمعون ، ولا يعقلون (بل لجوا) تبادوا (في عتو) عناد واستكبار (وهو) من الإيمان ، واتباع الطريق السوي (أفمن يمشي مكباً على وجهه) ساقطاً على وجهه ؛ يفتخر في كل خطوة ؛ لما هو فيه من الظلام . وهو مثل ضربه الله تعالى للكافر . أي هذا الذي يمشي مكباً على وجهه ؛ يفتخر في ظلمات الكفر والجهل (أهدى أمن يمشي سوياً) مستوياً معتدلاً ؛ يرى بنور الله ، ونور الإيمان (على صراط) طريق (مستقيم) وهو الإسلام . وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن . فالكافر «يمشي مكباً على وجهه» والمؤمن «يمشي سوياً على صراط مستقيم» (قل هو الذي أنشأكم) من لا شيء ، ومن غير مثال سبق (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) خص الله تعالى بالذكر هذه الحواس ؛ لأنها مناط العلم ، وأداة الفهم (فأركم) خلقكم

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْذِيبُ ١٥
يُرَوِّا إِلَى الطَّيْرِ فَرَقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمَسُّهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يُحْكُمُ شَيْئاً بَشِيرٌ ١٦ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
جُنْدُ لَكُمْ يَنْصَرُّ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا
فِي غُرُورٍ ١٧ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ
بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ١٨ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَى وَجْهِهِ
أَهْدَى أَمِنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٩ قُلْ هُوَ
الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٠ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢١ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ٢٢ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُبِينٌ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ٢٤ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

أَفَلَنْتُمْ

(وإليه تحشرون) يوم القيامة ؛ للحساب والجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) أي متى يكون الحشر والجزاء الذي تعدنا به ؛ (قل إنما أعلم عند الله) «إليه يرد علم الساعة» (ولمّا أنذرت) أي منذر بوقوعها ، وما يحدث فيها (مين) بين الإنذار ، واصله «فن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ا» (فلما رأوه) أي الحساب والعقاب يوم القيامة (زلفة) قريباً . والزلفة والزاني : القريب والمنزلة (سيئت وجوه الذين كفروا) أي ساءها رؤية العذاب ؛ فاسودت وعلتها الكآبة ، وغشيتا الفترة (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) أي تدكرون وبكم وتطلبون منه أن يجعله لكم . وقرئ «تدعون» من الدماء ؛ أي تطلبون . قال تعالى «وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» =

(قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا) قرت تعالى التوكل عليه ؛ بالإيمان به . والتوكل على الله تعالى : من موجبات رحمته ، وعزائم مغفرته ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً) أي غائراً ، ذاهباً في الأرض (فإن يأتيكم بماء معين) جار ، تراه العين ؛ يصل إليه من أرادته .

(سورة القلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة القلم

٧٠١

(ن) قيل : إنه إشارة إلى الدواة ، وما

بعدها القلم (والقلم) وما بعده الكتابة (وما يسطرون) أما ما قيل من إن «ن» اسم للحوت ، الذي يحمل الثور ، الذي يحمل الأرض فهو قول بادي التحريف ، واضح التصحيف . ولعل المراد بالقلم : القلم الذي تكتب به الملائكة وما يسطرونه - بأمر الله تعالى - من أرزاق العباد وآجالهم . وفي القسم بالقلم والكتابة : إعلال لشأن الكاتبين ، ودعوة إلى تعلم الكتابة ومحاربة الأمية . وحسبك دليلاً على شرف القلم : أنه يقيم الدول ويقعدها ، ويزلزل الممالك ويوطدها . وما تقدم قسم : جوابه (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي ما أنت يا محمد - وقد أنعم ربك عليك بالنبوة والرياسة العامة - بمجنون كما يدعون (وإن لك لأجراً غير ممنون) لثواباً غير مقطوع (ولأنك لعل خلق عظيم) ياله من شرف رفيع ، وقدر منيع ؛ لم يحظر على قلب بشر ، ولم يطمح لإدراكه إنسان ، ولم يدرك شأوه مخلوق : رب العزة يصف محمد بن عبد الله بأنه على خلق عظيم ! فأى فضل شمل الله تعالى به نبيه ! وأى مقام رفع إليه عبده ، ورسوله ، وصفيه وخليله ؟

وقد كان من خلقه صلى الله تعالى عليه

وسلم : العلم ، والحلم ، والعدل ، والصبر ، والشكر ، والزهّد ، والغفو ، والتواضع ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والبرودة ، والرحمة ، والوفاء ، وحسن الأدب والمعاشرة ؛ إلى ما لا حصر له من الأخلاق المرضية ، والخلال العلية ؛ التي اختصه بها خالقه جل شأنه !

وحقا إن المادحين بها وصفوا وبالقوا في مدح الرسول ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فلن يصلوا إلى بعض ما بلغه من شرف مدح الله تعالى له ؛ والله در القائل :

باصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أبروم مخلوق ثناءك بعد ما أننى على أخلاقك الخلاق ؟

=

أَنظَرَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا قَدْ يَجِيرُ الْكَافِرِينَ مَنْ عَذَابُ الْعَذَابِ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَاسِيَاءَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا قَدْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ
الْإِنشَاءُ ١٧ آيَةً آيَةُ ٢٢ وَرَوَاةُ ٤٨ آيَةُ آيَةُ ٥٠ فَتَنِيَّةٌ
وَأَيَّامُهَا ٥٢ نَزَلَتْ بِغَدَاةِ الْغَدَاةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَلَئِنْ لَعَلَّ خَلْقٍ عَظِيمٍ فَسَتَبْصُرُونَ بِأَبْصَارِكُمُ الْمُفْتُونِ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثَدِينَ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ

== وهو عليه الصلاة والسلام: خاتم المرسلين وإمامهم ، وشفيح المؤمنين ورأبهم ؛ سيد ولد آدم ولا فخر !
وقد وقف غلاة الكافرين ؛ حيال عظمتهم مشدوهين ، ووصفه ألد أعدائه ومقاتلوه بالصادق الأمين ؛
صلى الله تعالى وسلم عليه : صلاة تبلقنا رضاه ، وتجعلنا أهلاً لرفاعته ومحبته !

هذا وقد مدحه كثير من كتاب القرب والفرجة بدائع لم يصل إليها مادحوه من المسلمين . وإليك
شذرات مما قاله فيه أساطين كتاب القرب :

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٢

قال «برناردشو» الفيلسوف الانكليزي
الكبير : انني أعتقد أن رجلاً كعبد ؛ لو
تسلم اليوم زلم الحكم المطلق في العالم بأسره :
ثم النجاح في حكمه ، ولقائه إلى الخير ، ولحل
مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة
المنشودة !

وقال «لامرتين» شاعر فرنسا الكبير:
إن حياة محمد ، وقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده ،
ووثيقته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ،
وشهامته ، وجبرأته ، وبسالته ، وثباته ثلاثة
عمر عاماً ؛ يدهو دعوة في وسط أعدائه ؛
وتقابله سخرية الساخرين ، وهزه المازيئين ،
وحروب - التي كان جيشه فيها أقل من عدوه
عدة وعدداً - ووثوقه بالنجاح ، ولعمائه
بالظفر ، وإعلاء كلمته ، ونجواه التي لا تنقطع
مع الله ، وقبض الله لياحه إلى جواره ؛ مع نجاح
دينه بعد موته : كل ذلك أدلة على أنه لم يكن
يضر خداعاً ، أو يبيش على باطل ومين !

وقال «مبور» الكاتب الانكليزي
الكبير : لقد انتاز محمد بوضوح كلامه ،
ويسر دينه ؛ وقد آم - في حياته - من الأعمال
ما يدهش العقول ؛ ولم يعهد التاريخ مصلحاً
أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن
الفضيلة ، في زمن قصير ؛ كما فعل محمد !

وَدُّوا لَوْ تَدْرَهُنَّ فَيُدْهِمُونَ ❶ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ
مُؤْمِنٍ ❷ هَمَزَ مَشَاءَ تَجْمِيعٍ ❸ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَتِمْ ❹ عُنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ❺ أَنْ كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ❻ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ❼ سَنَسْمَرُ عَلَى أَنْحَرِطُومٍ ❽ إِنَّا يَلُونَهُمْ كَمَا
بَلَّوْنَا أَهْلَ الْخَنَةِ إِذَا أَقْسَمُوا لِيَصْرِنَهَا مِصْرِينَ ❾
وَلَا يَسْتَنْبِئُونَ ❿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ❶٠ فَاصْبِرْ كَاصْبِرِمْ ❶١ فَتَنَادَوْا
مِصْرِينَ ❶٢ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْبِكَ إِنْ كُنْتُمْ
صَاحِبِينَ ❶٣ فَانْظُرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ❶٤ أَنْ
لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ❶٥ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
قَنَدَرِينَ ❶٦ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ❶٧ بَلْ
لَحْنٌ مَجْرُومُونَ ❶٨ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَعْمَلُ لَكَ لَوْلَا

فَسِيحُونَ ❶٩

وقال «إدوار جيسون» الكاتب الروسي الكبير: إن دين محمد خال من الفنون والشكوك ؛ لأنه ينهى
عن عبادة الكواكب والأصنام ؛ وهو دين أكبر من أن تدرك أسرارها عقولنا الحالية !

وقال «توماس كارليل» الفيلسوف الانكليزي الشهير : ليس من المعقول أن تكون رسالة محمد - التي
عاش فيها ومات عليها هؤلاء الملايين من المسلمين خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن - أكذوبة كاذبة ،
أو خدمة مخادع ! أرايت رجلاً مدعياً ؛ يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب ؛ مع جهله بمخاض البناء ؟
أما عبد فقد بني بيتاً بقيت دعائمه اثني عشر قرناً ، وسكنه الملايين من الأنفس ! لقد كان متقشفاً في مسكنه ، =

== وما كله ، وملبسه ؛ وربما تابعت الأيام - بل الشهور - ولم توقد بداره ناراً وكان دائب السمي لنشر دين الله ليلاً ونهاراً ؛ غير طامع في مرتبة ، ولا طامح إلى سلطان ، أو متطلع إلى صيت أو شهرة ؛ ولم يكن ذليلاً ، ولا متكبراً ؛ فهو قائم في ثوبه المرقع : يخاطب قياصرة الروم ، وأكاسرة العجم ؛ بقوله المبين ويرشدهم إلى ما يجب عليهم ؛ وقد كان مجد صادقاً ؛ ما في ذلك ريب ؛ هذا الذي خلق من الصحراء الفاحلة : دولة وشعباً ، وأمة ؛ لأنه لم يمارس معجزة ، ولم يدع أنه قادر على إتيانها ؛ ولكن حياته ذاتها : كانت معجزة تفوق كل المعجزات

سورة القلم

٧٠٣

وكيف يستطيع الوصف أن يصف أخلاق من آذاه قومه بأقسى ضروب الإيذاء ، وابتلوه بأشنع أنواع الابتلاء ؛ فلم يقابل أذام بالدعاء عليهم ؛ بل بالدعاء لهم : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » وقد عدا أصيب نوح عليه السلام ببعض ما أصيب به محمد ، فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » فتبارك من خصنا ببعثته ، وشرفنا برسالته ؛ (انظر آية ١٩٩ من سورة الأعراف) (فستصر وبصرون) أى فسترى ما وعدناك به من النعيم المقيم ، وبرون ما أوعدناهم به من العذاب الأليم (يا أيكم المفتون) أى وسيوضح يومذاك أيكم الذى فتن بالجنون : أنت كما يفترون ، أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى ؟ (ودوا لو تدهن فيدهنون) أى ودوا لو تلين لهم ؛ فيلينون لك . وهو من المداينة ؛ التى هى المصانعة . وأدهن : غش . أو المراد : ودوا لو تنهون فيتهاونون (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف (مهين) حقير . ومن العجب أن كل من يكثر الحلف : يستهان ويستحققر ! (هاز) عياب للناس ، طعان فيهم (مشاء بنميم) يسعى بين الناس بالفساد والنميمة (مناع الخير) يخيل ، أو مناع للناس من الإيمان ؛ الذى هو الخير كل الخير ! (معتد) عليهم بهذا المنع ،

والإيذاء (أنيم) ظالم ، كثير الآثام (عتل) جاف (زنيم) أى ابن زنى . قيل : نزلت هذه الآيات فى الوليد ابن المغيرة ؛ وقد كان دعياً فى قريش . قال الشاعر :

زنيم ليس يعرف من أبوه

(أن كان ذا مال وبنين) أى لا تطع من هذا شأنه ؛ لكونه ذا مال وبنين . ومن هنا يعلم أنه لاعبرة ، ولا اعتداد بالمال والنفى ؛ بل الاعتداد بالإيمان ، وحسن الخلق ! (إذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال أساطير) أكاذيب (الأولين) السابقين (سفسسه على الخراطوم) أى سنكويه بالنار يوم القيامة ، على أنه ؛ زيادة فى مهاتته . وقيل : خطم بالسيف يوم بدر ؛ فصارت سمة على أنه إلى أن مات (إنا بلوناهم) أى أهل مكة : =

تَسْبِحُونَ ﴿١﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ ﴿٢﴾
فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ﴿٣﴾ قَالُوا يَبْرَأَ إِنَّا
إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرَ مَا هَذَا إِنَّا
إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٥﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٨﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٩﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿١٠﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَحْزِنُونَ ﴿١١﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا
عَلَيْنَا يَلْقَا إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿١٢﴾
سَلِّمُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿١٣﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
بَشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٥﴾ خَشَعَةً
أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ

== امتنعنا بالقطع ، والجوع ؛ استجابة لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بقوله : « اللهم اشدد وطأنا على مضر ، واجعلها سنين كسنى يوسف » (كما يولنا أصحاب الجنة) الجنة : البستان . وم قوم كان لهم بستان بقرية يقال لها خروان ؛ بالقرب من صنعاء . وقيل : كانت بالحبيشة . وقيل : من الطائف ؛ التي هي بلاد تعيق بالحجاز (إذ أقسموا) حلفوا (ليصرنها مصبحين) ليقطنن ثمرها وقت الصبح (ولا يستنون) أى ولم يقولوا : إن شاء الله قال تعالى « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله »

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٤

(فطاف عليها طائف من ربك) أنزل عليها المنتقم الجبار أفة سماوية فأحرقت أشجارها ، وأتلفت ثمارها ! وكان ذلك ليلاً ؛ لأن الطائف : لا يكون إلا ليلاً . قيل : نزلت عليها شهب من السماء فأحرقتها (فأصبحت كالصرم) أى كالليل المظلم ، أو كالشيء المصروم ؛ وهو المقطوع . قيل : كانت جنهم هذه بمدينة الطائف ؛ ولذا سميت الطائف (فتنادوا) نادى بعضهم على بعض (أن اغدوا) بكروا (صارمين) طافعين للشر . وصرم الشيء : قطعه (فانطلقوا) إلى جنهم (وهم يتخافتون) يتهايمون سرّاً ؛ خشية أن يسمعون فقير ؛ فيطلب منهم شيئاً (ألا يدخلها اليوم عليكم مسكين) عذرين بعضهم بأن لا يدخل عليهم في بستانهم مسكين ؛ لئلا يطالبهم بصدقة من ثمارهم (وغدوا على حرد قاذرين) أى بكروا ؛ قاصدين بستانهم بسرعة - قبل أن يفجأهم النهار بضوئه فترام الناس - ظانين أنهم قاذرون على جنى ثماره (فلما رأوها) رأوا جنهم ، وما حل بها (قالوا إنما لصالون) أى ضلنا جنتنا ، وقصدنا غيرها ؛ فليس هذا شأنها . ولما تأملوها جيداً ، وتحققوا من أنها جنهم ؛ قالوا (بل نحن محرومون) حرماناً ثمرة كدنا وجهداً طوال فامنا ، وخسرنا ثمارنا ! (قال أوسطهم) أعدهم

وأخيرهم - وكان معارضاً لهم - ولم يكن مرضياً حرمان المساكين (ألم أقل لكم لولا) أى هلا (تسجون) ربكم ، وتشكروني على نعمتي التي اختصكم بها ؛ ولكنكم عصيتموه ؛ فاستوجبتم ما حل بكم ! (قالوا سبحان ربنا) تقديس ، وتعالى ، وتزهة ! (إنما كنا طاغين) نغى الفقراء ، وعدم التوكل على الله وتقديم مشيئةنا ؛ وهذه القصة أوردتها الحكيم المتعال : ليعلمنا أن مصير الشحيح ، ومانع الزكاة إلى التلف حتا ؛ إن لم يكن بتلف ماله ، فبتلف أجره وفساد حاله ! وأنه إن ضن بما يستوجب رضاء الله : هلك ماله مصحوباً بنضب الله ! (كذلك الذباب) أى مثل إهلاكنا لجنة هؤلاء ؛ نستطيع أن نهلك المكذبين أنفسهم ، أو كذلك نغذب من نريد تعذيبه : بابتلائه في أمواله مثل هذا الابتلاء ! وكما قد رأينا من بسج بالافتاق : =

فيخل في ماله بما ينهيه ، أو في عياله بما يرهقه ! فليقل الله من يؤمن بالله ! (مالكم كيف تحكمون) تعجب منهم ؛ حيث إنهم يسوون الطبع بالعاصي ، والمؤمن بالكافر (أم لكم كتاب) منزل من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (إن لكم فيه لما تحفرون) أي لكم في هذا الكتاب ما تختارون (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) أي أم أخذتم علينا اليهود والمواثيق ؛ أن لكم الذي تريدونه وتحكمون به (سلمهم أيهم بذلك زعيم) كليل (أم لهم شركاء) فيما يزعمونه (فليأثروا بشركائهم)

٧٠٥

سورة الحاقة

ليذوقوا معهم ما أعد لهم من العذاب . وقد يراد بالشركاء : شركاء الله تعالى في الملك (يوم يكشف عن ساق) هو كناية عن صعوبة الأمر وشدة ، وذلك كقوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» كناية عن البخل ؛ وليس تمت يد ولا غل . والعرب تقول : كشفت الحرب عن ساقها : إذا حى وطيسها ، واشتد فيها . ومن أخش ما قاله بعض المفسرين في تأويل ذلك : أن الرحمن يكشف يومئذ عن ساقه . تعالى الله عما يقولون ، وجل عن صفات المخلوقين ! (ترحمهم) تشامهم (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) هو منتهى الوعيد (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) بأن نعد في أمصارهم ، ونوسع في أرزاقهم : حتى يزدادوا كفرًا على كفرهم ، وطفيانًا على طغيانهم (وأملئ لهم أمهملهم) إن كيدي متين قوي شديد (ولا تكن كصاحب الحوت) وهو يونس بن متى عليه السلام (إذ نادى) ربه ؛ وهو في بطن الحوت : «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» (وهو مكظوم) مملوء غيظًا على أمته وعمًا مما نزل به (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) ففني عن ذنبه ! وقد كان غضب على قومه وتعجل تعذيبهم وفارقهم ؛ من قبل أن يؤمر بذلك (لنبد بالعراء) لطرخ بالخلاء (وهو مغموم)

مذنب ومولوم (فاجتبه) اختاره (ربه فجعله من الصالحين) المرسلين ، العاملين بما أمرهم ربهم ، المتقين عما نهاهم عنه (ليزقونك بأبصارهم) ليزيلونك عن مكانك ؛ لشدة نظرم إليك شرراً .

(سورة الحاقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) القيامة ؛ سميت بذلك : لأن الأمور تحق فيها وتستقر ، لأنها يوم الحق (ما الحاقة) وما أدراك ما الحاقة (تعظيم لأمرها ، وتحويل لشأنها) (كذبت نمود) قوم صالح عليه السلام (وعاد) قوم هود =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الْحَاقَّةُ ٢ مَا الْحَاقَّةُ ٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٤ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٥ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٦ بِالطَّاغِيَةِ ٧ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٨ صَخْرَةً عَلَيْهِمْ سَعِ لَيَالٍ وَنَحْيَةٍ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَقَى النَّفْثُ فِيهَا صَرَغِيْنِ كَانْتَهُمُ انْجَارًا يُخَلَّ خَاوِيَةً ٩ فَقَالَ تَرَىٰ هُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ١٠ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالنَّاطِقَةِ ١١ فَصَوَّرَ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَاخَذَهُمْ أَخَذَةً ١٢ رَاسِيَةً ١٣ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ١٤ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ١٥ فَإِذَا تُفْعَخُ

== عليه السلام (بالقارة) القيامة ؛ لأنها تخرج الناس بهولها وفزعها (بالطاغية) قيل : هي الرفعة . أو الصيحة ؛ التي طفت عليهم فأهلكتهم جميعاً (بريح مصرعانية) هي الديور . ومصرع : أى شديدة الصوت (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام) متتابعة ؛ حتى أنت عن آخرهم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (حسوماً) حسمت أجالهم ؛ أى قطعها . وقيل : متتابعة (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى أصول نخل ساقطة (وجاء فرعون ومن قبله) من الأمم الكافرة التي تقدمته ، أو جاء فرعون وأتباعه ؛ يؤيده قراءة من قرأ

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٦

«ومن قبله» بكسر القاف وفتح الباء (والمؤفكات) قرى قوم لوط ؛ وسببت بذلك : لأنها انفضت بهم ؛ أى انقلبت (بالخاطئة) أى بالخطأ الثاني ؛ وهو الكفر (فأخذهم) ربه : عنهم وأهلكهم (أخذة راية) شديدة (إنما طغى الماء) فاض وزاد ؛ واقلب نفعه الكثير ، إلى ضرر كبير ، وشر مستطير : يوم الطوفان (حملناكم في الجارية) السفينة التي تجرى على وجه الماء (لتجصلها) أى لتجعل هذه الفطة ؛ التي هي أنجاء المؤمنين ، وإغراق الكافرين . أو لتجعل هذه السفينة (لكم تذكرة) عبرة وموعظة (وتبها) تحفظها وتبها (أذن وإعيا) أى مصفية : تسمع ما يقال ، فتقلعه إلى الدهر . ففيه (فإذا فتح في الصور) وهو القرن ؛ ينفخ فيه لإسرائيل عليه السلام النفخة الثانية ؛ للفصل بين المخلوق (فدكتنا) أى دقتنا وكسرتنا (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (واهية) ساقطة واهنة (والملك) يعنى الملائكة عليهم السلام (على أرجائها) أى على جوانب السماء (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) هو تمثيل لعظمته تعالى ؛ مثلاً هو مشاهد من أحوال الملوك والسلاطين يوم خروجهم على الناس ؛ ليكون ذلك أقصى ما يتصور من الجلال والعظمة ؛ ولا نقشونه

فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا رَّسِيمًا ۖ فَيَقُولُ مَا أَوْمَأْتُكُمْ لَآكِنِّي ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ ظَنَنًا ۖ أَلَىٰ مَلَأَتِ حَسَابِيَةً ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كَلَّا وَاتَّخَرُوا هِنًا ۖ بَمَا أَصْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا بِشَاهِدٍ ۖ فَيَقُولُ بَلْبَنِّي ۖ لَرَأَوْتُ كِتَابِيَةً ۖ وَلَرَأَوْتُ مَا حَسَابِيَةً ۖ بَلْبَنِيَآ كَأَنِّي الْفَاضِيَةُ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ خَذُوهُ فَعُوقُوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا

ذَرْعُهَا

سبعائة وتعالى أجل من أن تدركها إشارة ، أو تحيط بها عبارة ، أو يتسع لها فهم ؛ (فأما من أوتي كتابه) أى كتاب أعماله (بشهادة) وهو المؤمن الصالح ، الذي رجحت حسناته على سيئاته (فيقول) لنوبه وأهله - مقتضراً - أو يقول للملائكة (هاؤم) أى خنوا وتعالوا (إني ظننت) علمت وتأكدت أن وعد الله حق ، وأن القيامة فاعمة ، و (إني ملأ حسايه) جزاء ما عملت في الدنيا (قطوفها دانية) ثمارها قريبة لمرطبها (بما أسلفتم) بما قدستم (في الأيام الخالية) الماضية في الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشهادة) وهو الكافر (فيقول) (بالبينة) لم أوت كتابه (بالبينة كانت الفاضية) أى ياليت الموت الأولى كانت الفاضية ؛ فلم أبعث ، ولم أحاسب (ما أغنى) ما قنع ، وما دفع (عني ماليه) =

= الذى جمته فى الدنيا ، ولم أنصدق منه ، وكنت أغر وأتعالى به (هلك) ذهب ومضى وإمعى (معى سلطانیه) قوتى وحجتى ، وعزى وهيبتى ؛ فيقال للأنكة المذاب (خذوه فقلوه) وهو قول الله تعالى لخرنة جهنم ، أو قول بعضهم لبعض بأمر ربهم (ثم الجحيم صلوه) أدخلوه (ذرعها) طولها (فأسلكوه) فأدخلوه

سورة الحاقة

٧٠٧

(فليس له اليوم منها جيم) صديق يدفع عنه المذاب (ولا طعام إلا من غسلين) غسالة أهل النار ، وما يسيل منهم من الصديد (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) أقسم تعالى بالشاهدات والمفييات ، أو بالدنيا والآخرة ، أو بالأجسام والأرواح ، أو بالانس والجن ، أو بالنعم الظاهرة والباطنة ، أو بالخلق والحال (إنه) أى القرآن (لقول رسول كريم) هو محمد عليه الصلاة والسلام ؛ عن رب العزة جل شأنه وعز سلطانه ! (وما هو بقول شاعر) كما تفترون (ولا يقول كاهن) كما تزعمون . والكاهن : العراف الذى يتكهن بالقب (قليل ما تذكرون) تتظنون وتعتبرون (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) أى لو افتدى علينا محمد كما تهمونه (لأخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والشدة (ثم لقطعنا منه الوتين) الوتين : نياط القلب ؛ وهو عرق فيه ؛ إذا انقطع : مات صاحبه . وهو تصور لإهلاكه بأفظم ما يفعله الملوك : يؤخذ بالشدة والقسوة ؛ ثم تقطع رأسه (فا منكم من أحد عنه حاجزين) أى فى هذه الحال لا يستطيع أحد أن يمنع عنه عذابنا وتكليفنا ! (وانه) أى القرآن (لتذكرة) لظة (وانه) أى التكذيب بالقرآن ، أو الإشارة إلى القرآن نفسه (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على

ذَرُّهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْأَلْهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا جَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسْلَيْنِ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ۝ فَلَا أَقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۝
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۝ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝
فَإِنْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ
لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ ۝
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

الكافرين) حين يروى ما أعدده الله تعالى لمن صدق به من النعيم المقيم ، ولن كذب به من المذاب الأليم (وانه) أى القرآن ، أو المذاب (لحق اليقين) أى للحق من ربك يقيناً (فسبح) تزه وقس (باسم ربك العظيم) الذى يصغر كل عظيم أمامه !

(سورة المارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بمذاب واقع) هو الضر بن الحارث ؛ حيث قال مستهزئاً « اللهم إني كان هذا هو

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٨

الحق من عندك فأطمر علينا حجارة من السماء
أو اثنتا بمذاب أليم» (من الله ذي المارج)
الساوات التي تخرج منها وإليها الملائكة ،
أو هي المصاعد التي تصعد بها الملائكة لتلقى
أوامر ربه (تخرج الملائكة والروح) أي
تصعد الملائكة وأرواح الخلائق، أو «الروح»
جبريل عليه السلام (في يوم كان مقداره
خسین ألف سنة) هو بيان لطاية ارتفاع تلك
المارج ؛ على منهاج التمثيل والتخييل ؛ أي
لأنهم يصعدون في اليوم الواحد : مالا يستطيع
بلوغه في خسين ألف سنة . أو هو يوم القيامة
يراه الكافر - لكثرة عذابه وشدة بلائه -
تكمسين ألف سنة (فاصبر) يا محمد على أذى
قومك (صبراً جيلاً) لاجزع فيه ، ولا تضجر
منه (لأنهم يرونه) أي يوم القيامة (بعداً)
أي مستجيلاً (ونراه قريباً) واقعاً لاهالة
(يوم تكون السماء كالمهل) كالمدن المذاب
أو كمدى الزيت ، أو كالقطران (وتكون
الجال كالمهن) أي كالصوف المنفوش (ولا
يسأل حميماً) أي لا يطلب صاحب من صاحبه
شيئاً ؛ وإن طلب فلا يجاب ؛ لانفعال كل
واحد بما هو فيه . والحمي : القريب والصديق
(يبصرونهم) أي يبصر القريب قريبه ،
والصديق صديقه ، لكنه لا يستطيع أن يسأله
شفاعة أو أمراً من الأمور «لكل امرئ منهم

يومئذ شات يفتنه» (وصاحته) زوجته (وفصيلته) عشيرته (التي تؤويه) نفسه وتكلوه (ثم ينبجه)
ذلك الاقتداء (كلاً) لن يكون شيء مما أراه

(٧٠) مِثْرَةُ الْمَجَارِجِ مَكْنِيَةً

وَأَيُّهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَاقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَّيْسَ لَهُ
دَافِعٌ ② مِّنْ أَفْرِغِ الْمَجَارِجِ ③ نَّعْرُجُ الْمَلَكَةِ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ مِائِينَ أَلْفِ سَنَةٍ ④
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَرَأَوْهُ
قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّهَبِ ⑧ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ⑩
يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ تَوْفِيقَتِي مِّنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ
يُنَبِّئُهُ ⑪ وَصَحْبَهُ وَاتَّبَعَهُ ⑫ وَفَصَّلَتْهُ أَلْفِي
تَقْوِيهِ ⑬ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَبِّئُهُ ⑭ كَلَّا إِنَّهَا

لَقَدْ

(لَهَا لَظَى) لَظَى : علم للنار ؛ من اللظى : وهو الذهب (نزاعة للشوى) والشوى : جلدة الرأس ؛ تحترق ونعود ثانية . وخصها بالذكر لأنها أشد الجسم حساسية وتأثراً بالنار (تدعو) أى تتأذى النار وتأخذ (من أدبر) عن سماع القرآن (وتولى) عن الإيمان (وجمع) المال (فأوى) أمسكه فلم ينفق منه حيث أمره الله تعالى . أو «فأوى» أى جعله محفوظاً في وعائه ؛ فلم يخرج منه شيئاً . أو هو من الأوى ؛ أى جمعه وحفظه .

ومن عجب أن يجمع الإنسان خشية العدم ؛ وهو في نفس الوقت يسلم نفسه للعدم . قال الشاعر :
ومن ينفق الساعات في جمع ماله

خفاة فقر فالتى فعل الفقر
(إن الإنسان خلق هلوعاً) الهلع : سرعة الجزع
ويفسره ما بعده (إذا مسه الشر) الفقر (وإذا مسه الخير) الغنى (إلا المصلين) المؤمنين ؛ فإنهم بخلاف ذلك : لا يجزعون بل يصبرون ، ولا يمنعون بل ينفقون (الذين هم على صلاتهم دائمون) المقصود بالدوام هنا : الذى لا يتخلله انقطاع . جعلنا الله تعالى ممن يداوم على طاعته ، ويحافظ على مرضاته ! (والذين يصدقون بيوم الدين) يوم الجزاء ؛ وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون (إن عذاب ربهم غير مأمون) لا يأمنه العاصى ، ولا الطائع . جاء في الحديث الشريف ، عن الصادق المصدق ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها ذراع ؛ فإذا هو من أهل النار ! وإن منكم من يعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها ذراع ؛ فإذا هو من أهل الجنة !» فلا بد للمؤمن أن يكون في خشية دائمة من ربه ، وهذه الخشية يجب أن تكون مصحوبة بالحب والأمل ، فإنه جل شأنه غندظن عبده به :

إن كان خيراً فخير ، وإن كات شراً فشر (والذين هم لفروجهم حافظون) فلا يزنون (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب غير الذى أحله الله تعالى (فأولئك هم العادون) المعتدون على حرمانه . (انظر آية ٧ من سورة المؤمنون) (والذين هم بشهاداتهم قانعون) قال تعالى «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» وقال جل شأنه «وأقيموا الشهادة لله» وقال عز من قائل «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» (قال الذين كفروا قبلك) نحوك

لَظَى ١٧ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ١٨ تَدْعُوْنَ مِنْ أَدْبَرٍ ١٩ تَوَلَّى ٢٠ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ٢١ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ٢٢ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ٢٣ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢٤ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ٢٥ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٦ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٧ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٨ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ٢٩ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ٣٠ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٣٢ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٣ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٥ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَانِعُونَ ٣٦ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ٣٧ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٨ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(مطعين) مسرعين ؛ أو دائمي النظر إليك (عن اليمين وعن الشمال عزير) جماعات ، أو فرقا شتى . أصلها عزة ؛ وهي الفرقة . فاثنتين استهزاء بالمؤمنين : لئن دخل هؤلاء الجنة ؛ لندخلننا قبلهم ، فنجن أحق بها منهم ؛ لنسبنا وغنانا . قال تعالى رداً عليهم (أيطعم كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم . كلا) لن يدخلها أحد منهم ، ولن يعم ربها (إنا خلقناهم مما يملون) أي من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة ؛ فليس لهم فضل على غيرهم يستوجبون به الجنة ؛ إنما الفضل بالأعمال والتقوى . فن اتق دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار (فلا أقسم) أي أقسم (رب المشرق والمغرب)

الجزء التاسع والعشرون

٧١٠

مشارك الشمس والقمر وسائر الكواكب ، ومقاربيها . وسر القسم بها : لفت النظر لعظمها وعظمة خالقها وموجدها ، وتعميد لذكر قدرته تعالى على كل شيء . (إنا لقادرون على أن) نهلكهم ، و(نبدل) خلقاً آخر (خيراً منهم) إيماناً وتصديقاً وطاعة (وما نحن بمسبوقين) بما جزين عن أن فعل ذلك ، أو « بمسبوقين » إلى هذا الخلق والتبديل ؛ بأن سبقنا أحد إليه (فذرهم) دعهم في كفرهم وباطلهم (حتى يلاقوا يومهم) يوم القيامة (الذي يوعدون) فيه بالعذاب (يوم يخرجون) للبعث (من الأبدان) القبور (سراعا) مسرعين (كانهم إلى نصب) النصب ؛ هو كل ما نصب ، وعبد من دون الله تعالى (يوفضون) يسرعون (برحمتهم) تقشام

(سورة نوح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك) بالعذاب الموعود على التكذيب . ونوح : هو أبو البشر الثاني ، ومن أولى العزم . وأبناؤه : سام ، وحام ، ويافت .

بِكَ مَطْعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عَزِيرٍ ۝
أَيطْعُ كُلَّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَى أَن نَّبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا
نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ فَذَرْنَهُمْ يَمُحُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَشَعَةً ابْصُرْهُمْ
تَرْمَهُمْ ذُلًّا ذَٰلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ

وَأَرْوَاهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَخْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ أَنذَرَهُ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ

يَأْتِيهِمْ عَذَابُ الْيَمِّ ۝ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِلَى لَكَ نَذِيرٌ
 مُبِينٌ ۝ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝ يَغْفِرُ
 لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِيكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۝ إِنَّ أَجَلَ
 اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْتَرُ ۝ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي
 دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاوِي إِلَّا
 فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ
 فِي أَذَانِهِمْ وَاسْتَفْشَوْا بَيْنَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
 اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ
 لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝
 وَتُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَتَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَتَجْعَلُ
 لَكُمْ فَاكِهَةً ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ
 خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ

(ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة ،
 أو هو الموت (فلم يزدكم دعائي) لهم بالإيمان
 (إلا فراراً) من الحق ، ومن الإيمان
 (وإني كلما دعوتهم) إلى معرفتك (لتغفر لهم)
 ذنوبهم السابقة (جعلوا) وضعوا (أصابعهم في
 آذانهم) ليحولوا بين استماعها لفظائي وكلامي
 (واستفشوا بياهم) تغطوا بها ، ليحجبوا
 بصري عن رؤيتي (وأصروا) على كفرهم
 (واستكبروا) عن الإيمان (ثم إنني دعوتهم
 جهاراً) ظاهراً في غير خفاء (ثم إنني أعلنت
 لهم) بأعلى صوتي ، وصحت فيهم مجتمعين بالذي
 أمرتني به (وأسررت لهم إسراراً) حاولت
 نصيحهم في السريّة ؛ فقد يكون ذلك أدمى
 لاقتناعهم (يرسل السماء عليكم مدراراً)
 بالطر (انظر آية ٥٢ من سورة هود)
 (ويجعل لكم جنات) بساتين في الدنيا
 (ويجعل لكم أنهاراً) جارية : تسقون منها
 وتستقون . أو أريد بذلك جنات القيامة ،
 وما فيها من أنهار ونعيم مقيم (مالكم لا ترجون
 لله وقاراً) أي مالكم لا تسعون في توقيره
 وتعظيمه (وقد خلقكم أطواراً) خلقكم أولاً
 نطفاً ، ثم علقاً ، ثم مضغاً ، ثم عظاماً ولحمًا ،
 ثم إنساناً كاملاً ، ناطقاً ، سميعاً بصيراً (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) بعضها فوق بعض

(وَالله أَنبَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَأًا) يُخْلِقُ أَتَيْكُمْ آدَمُ مِنْهَا (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) بَعْدَ مَوْتِكُمْ (وَيُخْرِجُكُمْ) مِنْهَا (إِخْرَاجًا) عِنْدَ بَشْتِكُمْ (وَالله جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا) مُبَسَّطَةً كَالْبَسَاطِ (سَبَلًا لِّجَاجَا) طَرَفًا وَاسِعَةً ،

الجزء التاسع والعشرون

٧١٢

أَوْطَرَفًا مُخْتَلَفَةً (قَالَ نُوحٌ) عِنْدَمَا رَأَى إِصْرَارَ قَوْمِهِ عَلَى الْكُفْرِ ، وَعَزُوفِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَتَمَسُّكِهِمْ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ (رَبِّ لَهُمْ عَصُونِي) وَاسْتَهَانُوا بِرِسَالَتِي وَشَرِيعَتِكَ (وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا) إِلَّا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ؛ وَهُمْ الْأَغْنِيَاءُ (وَمَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا) مَكْرًا عَظِيمًا كَبِيرًا (وَقَالُوا) أَيُّ قَالِ السَّادَةِ وَالْأَغْنِيَاءِ ؛ لِلضُّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ (لَا تَدْرُنَ) لَا تَرْتَكُنْ (آلِهَتَكُمْ) الَّتِي تَعْبُدُونَهَا (وَلَا تَدْرُنَ وَدًّا وَلَا سِوَاءًا وَلَا يَفُوتُ وَيَمُوتُ وَنَسْرًا) هِيَ أَسْمَاءُ أَصْنَامٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا ؛ وَكَانَ «وَدًّا» عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَ«سِوَاءًا» عَلَى صُورَةِ امْرَأَةٍ «وَيَفُوتُ» عَلَى صُورَةِ أَسَدٍ «وَيَمُوتُ» عَلَى صُورَةِ فَرَسٍ «وَنَسْرًا» عَلَى صُورَةِ نَسْرِ. لَهُمْ اللهُ تَعَالَى أَنَّى يَوْفُكُونَ ! (وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ) (إِلَّا ضَلَالًا) عَلَى ضَلَالِهِمْ. وَقَدْ طَلَبَ لَهُمُ الْعَقُوبَةُ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ «قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» (بِمَا خَطِئْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا) أَيْ بِسَبَبِ خَطَايَاهُمْ أَغْرَقُوا بِالطُّوفَانِ ، وَأَدْخَلُوا النَّارَ (رَبِّ لَا تَتْرُكْ) لَا تَتْرُكْ (عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا) الدِّيَارُ : كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ الدِّيَارَ ، أَوْ هُوَ كُلُّ مَنْ يَدُورُ : أَيْ يَمُوتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ (إِنَّكَ إِن تَرْتُمْهُمْ) إِنْ تَرْتُمْهُمْ بِمَا تَعَذِّبُ ، وَلَا إِهْلَاكَ (يُضِلُّوْا عِبَادَكَ) بِصَرْفِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَتَعْذِيبِهِمْ . يُقَالُ : أَضَلُّهُ : إِذَا أَضَاعَهُ وَأَهْلَكَ (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا) رَبُّ قَائِلٌ يَقُولُ : وَمَنْ أَيْنَ لُوحٌ أَنْ يَقْطَعَ بِأَنْ قَوْمَهُ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا ؟ وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ : أَنَّهُ عِلْمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «إِنَّهُ لَنْ يَأْتِيََنَّ بِكُمُ الْأَمْنُ مِنْ قَدِ آمَنَ»

سَمَّوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
النَّجْمَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَأًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ۝ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ
لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خُسَارًا ۝ وَمَكْرُوا مَكْرًا
كِبَارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ الْهَفْكَ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا
سِوَاءًا وَلَا يَفُوتُ وَيَمُوتُ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ بِمَا خَطِئْتَهُمْ
أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
الْكَافِرِينَ دِيَارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي

وَلِئَمَّنْ

وَلِئَمَّنْ ، وَتَعْذِيبِهِمْ . يُقَالُ : أَضَلُّهُ : إِذَا أَضَاعَهُ وَأَهْلَكَ (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا) رَبُّ قَائِلٌ يَقُولُ : وَمَنْ أَيْنَ لُوحٌ أَنْ يَقْطَعَ بِأَنْ قَوْمَهُ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا ؟ وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ : أَنَّهُ عِلْمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «إِنَّهُ لَنْ يَأْتِيََنَّ بِكُمُ الْأَمْنُ مِنْ قَدِ آمَنَ»

وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُبْحَةَ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَمِيحًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بَرِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ

(ولا تزد الظالمين) الكافرين (إلا تباراً)
هلاكا .

(سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) استمعوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر (وأنه تعالى جد ربنا) الجد : العظمة والغني (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولداً) كما يزعمون (وأنه كان يقول سفيهاً) أى جاهلنا . أو هو إبليس ؛ إذ لاسفيه فوقه (شططاً) كذباً . والشطط : الغلو في الكفر . وشططت الدار : بعدت . وصف به قولهم ؛ لبعده عن الضواب . وهو نسبة صاحبة والولد إلى الله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل إذا أمسى في واد قفر ، وأدركه الخوف ؛ قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه . يريد بذلك الجن وكبيرهم ؛ فإذا سمع الجن ذلك استكبروا (فزادوهم رهقاً) أى زاد الإنس الجن إثمًا

— باستعادتهم بهم — لأنهم تكبروا وعتوا ؛ وقالوا : سدا الإنس والجن . ويجوز أن يكون المعنى : فزاد الجن الإنس رهقاً ؛ بأن أغوهم وأضلهم . هذا ولا يجوز الاستعاذة بغير الله تعالى ؛ فهو وحده القادر على الحفظ ، القاهر فوق عباده ، السميع ، البصير ، العليم ! وعن الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « إذا أصاب أحدكم منكم وحشة ، أو نزل بأرض مجنة ؛ فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات ؛ التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ؛ من شر ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يرج فيها ، ومن قنن التهار ، ومن طوارق الليل ؛ لإطارقه يطرق بخيرا » (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) أى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانوا كاركهم ؛ فلما سمعوا القرآن اهتدوا ؛ فهلا اهتديتم ؟

اللَّهُ أَحَدًا ❶ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَ حَرِّسٍ
 شَدِيدٍ وَشَبَابٍ ❷ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِسْمِ قَمَرٍ
 يَسْمَعُ ❸ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَبَابًا رَصَدًا ❹ وَأَنَا لَا تَدْرِي
 أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ❺
 وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
 قَدَدًا ❻ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ
 نَعْجِزَهُ هَرَبًا ❼ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَيْنِ وَاتَّخَذَا إِلَهُهُمَا
 بَنُونَ يُبْدِيهِ فَلَا يَخَافُ بُحْسًا وَلَا رَهَقًا ❻ وَأَنَا مِنَّا
 الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
 رَشَدًا ❽ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ❾
 وَالْوَالِدُ اسْتَفْتَمَا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ❿
 لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
 صَعَدًا ⓫ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ⓬

وَأَمَّا

(وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) تحسنا الطريق إليها
 كمادتنا . والمراد : طلبناها (فوجدناها) مثلت
 حرساً شديداً من الملائكة ؛ يمنع كل
 من يقرب منها (وشباباً) أى ومثلت نجوماً
 عرقة ؛ تحرق كل من اقترب من السماء .
 وهذا على خلاف العادة : قبل بعثته صلى الله
 تعالى عليه وسلم (وَأَنَا كُنَّا) قبل ذلك (نقعد
 منها) أى نقعد بقرب السماء (مقاعد للسبح)
 فنسمع بعض ما يدور فيها ، وما يصدر من
 الأوامر ؛ أما الآن (فمن يستمع) أى من
 يحاول الاستماع من السماء (يجده شهاباً
 رصداً) شهاباً ينتظره بالمرصاد (وَأَنَا مِنَّا
 الصالحون) المؤمنون الطائعون (ومِمَّا دُونَ
 ذَلِكَ) الكافرون الماصون (كُنَّا طَرَائِقَ
 قَدَدًا) مناهج متفرقة ، وأدياناً مختلفة ،
 وأهواء متباينة (وَأَنَا ظَنَنَّا) تأكدنا (أَنْ لَنْ
 نعجز الله في الأرض) أى لَنْ قوته ، ولن
 نتجوز من عقوبته إذا أراد (وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا
 المدي) القرآن (فَلَا يَخَافُ بُحْسًا) نقصاناً
 من ثوابه (وَلَا رَهَقًا) أى ولا يخاف إغماً ،
 ولا ترهقه ذلة (وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ) الكافرون ،
 الجائرون . قسط : جار . وأقسط : عدل

(وَالْوَالِدُ اسْتَفْتَمَا عَلَى الْطَّرِيقَةِ) للثلي ؛ وهي الإيعان بالله تعالى (لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) أى كثيراً من الإغداق .
 والمراد بذلك سعة الرزق ؛ حيث إن الماء سبب للخصب والرخاء (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم : أيشكرون أم
 يكفرون ؟ (يَسْلُكْهُ) يذهب له (عذاباً صَعَدًا) شافاً (وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ) المساجد : موضع السجود (فَلَا
 تَدْعُوا) لا تعبوا

وَأَنذَرْتُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
 لِبِئْسَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۞
 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي
 يُحْيِي بِنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۞
 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
 مَا يُوعَدُونَ فَيَسْتَعْجِلُونَ مِنْ أَضْعَافٍ نَاصِرًا وَقَلَّ عِدَدًا ۞
 قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
 أَمْدًا ۞ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۞
 إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُنُ
 خَلْفَهُ رِصْدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ
 وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عِدْدًا ۞

(وأنه لما قام عبد الله) عند عليه الصلاة والسلام (يدعوه) أي يدعو به (كادوا) أي كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات ؛ لاستماع القرآن ، والانتماذ به . أو كاد المشركون يجمعون على تسفيهه والاستهزاء به و«لبدا» جمع لبدة ؛ وهو ما تلبد بعضه فوق بعض (قل إني لا أملك لكم) من الله (ضرأ ولا رشدا) أي ولا قضا (ولن أجد من دونه) غيره (ملتحدأ) ملجأ ؛ لأن الملتحد (إلا بلاغا) أي لا أملك إلا إبلاغكم ما أوحى إلي (حتى إذا رآوا ما يوعدون) من العذاب يوم القيامة (فيسعلون) يومئذ (من) منا (أضعف ناصرا وأقل عددا) أقل أعوانا من الآخر : نحن أم هم ؟ (قل إن أدري) ما أدري (أقرب ما توعدون) به من العذاب (أم يجعل له ربي أمدا) أجلا . والأمد لا يطلق إلا على المدة الطويلة (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) إلا من ارتضى من رسول) فإنه يظهره على ما شاء من ذلك . والغيب هنا : الوحى ؛ فظهره عليه ؛ بما يوحى إليه من غيبه . أي لا يطلع على غيبه أحدا ؛ إلا بعض الرسل الذين يرتضيه ؛ فإنه يطلعهم على بعض غيبه الذي يكون متعلقا برسالاتهم ؛ ليكون معجزة لهم لدى أقوامهم (انظر آية ٤٤ من سورة آل عمران) (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يرسل أمام الرسول الذي يطلعه على الغيب وخلفه حرسا من الملائكة : يحوطونه من كل جانب ؛ يحرسونه من تعرض الشياطين ؛ لئلا يتشبهوا له في صورة الملك الموحى ، ويحفظونه ؛ حتى يبلغ إليه ، ما أمر بتبليغه إلى الناس ، و«ليعلم» الله تعالى علم ظهور - لأنه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن - ويصير هذا العلم حجة على الخلق الذين يتكبرون بجحى الرسل إليهم ، وجحى الملائكة إلى الرسل ؛ وهو كقولها تعالى

«وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» وهو أعلم بهم قبل خلقهم «ليعلم» (أن قد أبلغوا) أي أبلغ ملائكته إلى رسله (رسالات ربهم) أو ليعلم الرسول أنه قد أبلغ الملائكة رسالات ربهم بلا تحريف ، ولا تغيير . أو ليعلم محمد أن الملائكة «قد أبلغوا رسالات ربهم» لمن تقدمه من الأنبياء ، مثل تبليغهم له (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) أي أحاط الله تعالى بما لدى الرسل ، والمرسل إليهم ، والملائكة ، والرصد ؛ وعلم ما يخفون وما يكتمون !

(سورة الزمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الزمل) المتلف بتيابه ؟ وهو كقوله تعالى «يأيها المدثر» وإنما ناداه تعالى بذلك - تدليلاه - قبل أن يلقى إليه بالأمر الذي يشتم منه رائحة التقصير ؛ وذلك كقوله تعالى «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وهو

الجزء التاسع والعشرون

٧١٦

لوم شديد ؛ لو لم يسبق بالتدليل : « عفا الله عنك » لانتحل قلب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ا (قم الليل) عابداً ربك ، مصلياً له ، متبتلاً إليه (إلا قليلاً) من الليل ؛ فاجعله لحاجتك وراحتك ؛ وليكن هذا القليل (نصفه) أى نصف الليل (أو اقص منه قليلاً) أى من ذلك النصف المجهول لراحتك (أو زد عليه) قليلاً أيضاً ؛ وبذلك يكون المطلوب من سيد الخلق : ألا يزيد القيام عن الثلثين ، ولا ينقص عن الثلث (ورتل القرآن) أى اقرأه بتؤدة وتعمل ، وتبين ، وتهم . وقد زعم بعض القراء - أنابهم الله تعالى - أن معنى ذلك ما يتبعونه من غنى بلع مبلغ طين الدباب ، ومد تجاوز حد الصواب ، وتسهيل بلع حد الثقيل ، وسكنات فيها كثير من الهنات ؛ إلى غير ذلك من إدغام واشمام ، وإخفاء واستعلاء ، وإمالة وإشالة . وقد رددنا على هذه المزاعم في كتابنا «الفرقان» (إنا سنلقي سنزل) (عليك قولاً ثقيلاً) هو القرآن الكريم ؛ لما فيه من الأوامر والنواهي ؛ التي هي - في نفسها - تكاليف شاقة ؛ ثقيلة على المكلفين . أو «قولاً ثقيلاً» على الكافرين . أو المراد : إنه كلام موزون راجح ؛ ليس بالفساف ، ولا بالهذر ، ولا باللفو (إن ناشئة الليل) فيلame للعبادة ، وقراءة القرآن فيه (هي أشد

(٧٢) سورة الزمل مكية

إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ قدسية

وألفها ٢٠ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ١ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِصْفَهُ ٣
أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٤ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٦ إِنَّ نَاشِئَةَ
الْأَيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٧ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ٨ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَتَيَقَّلًا ٩ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١٠ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاجْهَرْمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ١١ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا ١٢ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٣ وَطَعَامًا ذَا

غَصَّةٍ

وطاً) أى أعظم أمراً ، وأجزل نقماً ؛ لحضور الذهن ، وموافقة السمع للقلب . أو لأنها أثقل على المصل من صلاة التهار . وما بعده يؤيد المعنى الأول (وأقوم قِيلاً) أى أسد مقالا ، وأثبت قراءة ؛ لهدوء الأصوات ، وانقطاع الحركات (إن لك في التهار سبعا طويلا) تصرفا لمعاشك ، وتقبلا في مهاتك ؛ فلا تستطيع أن تصرف للعبادة نفرا تاما كاملا ؛ فطليك بها بالليل (وتبتل إليه تبتيلا) أى اقطع إلى عبادته ، ولا يشغل قلبك سواه ؛ فإذا ما عملت عملا ظاهره طلب الدنيا ؛ فليكن باطنه مرضات الرب سبحانه ، والتقرب إليه ؛ والتبتل : رفض الدنيا ، والتماس الآخرة . وقد كان الحبيب المحبوب صلوات الله تعالى وسلامه عليه لا يعمل عملا دنويا إلا لا كان مقصده منه إرضاء مولاه ، والتبتل إليه ، وطلب الزلنى منه . وقد كان صلى الله تعالى =

عليه وسلم يدخل ضمن المبادات ما يتخذها الناس للمذات والشهوات (انظر بحث تعدد الزوجات بآخر الكتاب) (واصبر على ما يقولون) في إدايتهم وسبهم لك ، وطمعن في دينك (واجرم حجراً جبلاً) الحجر الجليل : هو المفارقة إرضاء لله تعالى ، واجتناباً لما يفضيه . وذلك كقوله تعالى «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» (وذري المكذبين) أى دعنى وإياهم ؛ فإنى أكفيكم . والمراد بالمكذبين : رؤساء قريش وصناديدهم (أولى النعمة) أصحاب الفنى والترفة والنعيم (ومهلهم قليلاً) في هذه الدنيا ؛ وسيلقون جزاءهم كاملاً من العذاب في الآخرة (إن لدينا أنكالاً) قيوداً ؛ واحدها : نكل ؛ وهو القيد الثقيل (وطاماً) في الجحيم ؛ من الزقوم (فاغصة) ينشب في الحلق ؛ فلا يكاد يساغ (يوم ترجف الأرض) أى تتحرك حركة شديدة ، وتترلزل (وكانت الجبال) أى صارت (كثيباً مهيلاً) رملًا منتشرًا (فأخذناه أخذاً وبيلاً) عذبهنا عذاباً شديداً وخيماً (يوماً يجعل الولدان شياً) من هولاء شدته ؛ وهو يوم القيامة (السماء منفطر به) أى إن السماء - على عظمها - تنشق وتتصدع يوم القيامة ؛ فأنك بغيرها من الخلائق الذين هم دونها في الخلق «أنتم أشد خلقاً أم السماء» (إن هذه) الآيات المخوفة (تذكرة) عبرة وعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) طريقاً يوصله إليه تعالى ؛ وهو الإيمان (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و) تقوم (نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) والله يقدر الليل والنهار (علم أن تحصوه فتأب عليكم فآقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يفتنون في سبيل الله فآقرءوا ما تيسر منه وأقيموا

٧١٧

سورة الزلزل

غُصَّةً وَعَذَاباً أَلِيماً ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا ﴿٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿٣﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿٤﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٥﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٦﴾ إِن هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ * إِن رَّبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَأَبَّ عَنْكَ فَأَقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا

الليل . وترى الكثير من أحبه الله تعالى وأحبه ، وعرفهم بنفسه فعرفوه ، وهداهم إلى بابه فوجدوه : يرون قيام الليل فرضاً واجباً ، والتبتل إليه ضريباً لازماً ؛ فإذا جن عليهم الليل : بأن وجدتم ، واشتد شغفهم ، وسالت أدمعهم ، ونشطت للعبادة أعضاؤهم ؛ فترام في الله خاشعين باكين ، وله راكعين ساجدين ؛ وما ذاك إلا لعناية الله تعالى بهم ، وحبه لهم ؛ والله در الإمام البوسيرى حيث يقول :

وإذا حلت العناية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

أحلنا الله تعالى دار عنايته ، وألبسنا ثوب هدايته ، وأفاض علينا من رعايته ! (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) ما سهلت عليكم معرفته ، وهان عليكم حفظه ؛ في صلاتكم بالليل (علم أن سيكون منكم مرضى) =

لا يطيقون قيام الليل (وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يبتغون من فضل الله) يطلبون رزقه ؛ فلا يستطيعون حال سفرهم ، قيام ليلهم (وآخرون) منكم (يقاثلون في سبيل الله) فهل يقومون ليلهم ؛ ويتركون أعداءهم ؟ والقتال في سبيله تعالى خير من قيام الليل وصيام النهار ؛ لأنه من أفضل العبادات ، وأجل القربات ! (وأقرضوا الله) أفضوا بما رزقكم (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) عجا لن يقرأ هذه الآية ويغل على الله ، بما آتاه

الجزء التاسع والعشرون

الله ! فاحذر - هديت وكفيت - عاقبة البخل للقيت ؛ فعاثته في الدنيا الفقر وقد أغناك الله وكفاك ، وعاقبته في الآخرة القل والحرامان ! ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر ؛ فإلى فعل الفقر !

(سورة المدثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) المتلف في ثيابه . قيل : إنها أول سورة أنزلت على الرسول : رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه - في أول الأمر - جبريل عليه الصلاة والسلام على هباته وصورته التي خلقه الله تعالى عليها : فرعب رعباً شديداً ، وذهب إلى أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها . وقال : دثروني ، دثروني ؛ فدثرته خديجة . فزلت : «يا أيها المدثر» (ثم فأنذر) ثم من نومك فأنذر قومك من عذاب الله تعالى (انظر آية ١ من سورة المزمل) (وربك فكبر) أى فظمك ؛ وقد يحمل الأمر على تكبير الصلاة (وثيابك فطهر) أى طهر ثيابك وهتك مما يستقنر من الأفعال . يقال : فلان طاهر الثياب ؛ إذا كان قنياً من المعاييب ، سالماً من النقائص . أو ثيابك تقصر : لتظهر من عادة الكبر ؛ كشأت

الصلوة وءاتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم

(٧٤) سُورَةُ الْمَدْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٥٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣
وَتَبَايَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالزُّجُرْ فَانجِرْ ٥ وَلَا تَمَنَّ ٦
تَسْتَكْبِرْ ٧ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٨ فَإِذَا نَفَرْنَا تَأَنَّفِرْ ٩
فَإِنَّكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ١٠ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ١١ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقَتْ وَحِيدًا ١٢ وَجَعَلَتْ لَهُ مِثْلَ
ثَمُودًا ١٣ وَبَيْنَ شُعُودًا ١٤ وَمَهَّدَتْ لَهُ مُبْتَلًى ١٥

سادات العرب وكبرائها - في الجاهلية - من جراتياب كبرا ويطرا . أو المراد ظاهر اللفظ : فطهرها بالماء من النجاسات (والرجز) القدر ، أو أريد به الأصنام «والرجز» والرجس : كل مستقنر يجر إلى العذاب والعقاب (ولانمن تستكبر) أى لا تطع رغبة في رد ما تطيه مضاعفاً . وهو أمر مشاهد في زمننا الحاضر ؛ فكم قد رأينا من يهدى البيضاء منتظراً للدجاجة ، ومن يهدى الدجاجة منتظراً للشاة ، ومن يطع رغبة في الذكر والثناء المريض . وقد يكون المعنى : لا تطع الطاء وتستكبره (انظر آية ٣٩ من سورة الروم) (ولريك فاصبر) أى لوجه الله تعالى اصبر على أداء القرائن ، وعلى أذى المشركين وكيدهم لك (فإذا قر في النافور) ففتح في الصور (فذلك يومئذ يوم عسير) شديد (على الكافرين) بك ، المعادين لك =

== (غير يسر) لما يتناهم فيه من الرعب القائم ، يتلوه العذاب الدائم ١ (ذرتي ومن خلقت وحيداً) أى دعه لي وحدي فأني أكفيك ، وأنتم لك منه ؟ وهو الوليد بن المغيرة . أو ذرتي ومن خلقتني وحدي بلامعين ؟ فلا أحتاج إلى معين في إهلاكه ، أو ذرتي ومن خلقتني وحيداً ؛ بلا مال ، ولا ولد (وجعلت له مالا ممدوداً) كثيراً وفيراً (وبين شهوداً) حضوراً معه - يتمتع بقربهم ومشاهدتهم ، ويستمتعون بقربه ومشاهدته - وذلك لاستغنائهم عن التجارة ومشاق السفر (ومهدت له تمهيداً) أى بسطت له الجاه والرياسة

(ثم بطم) بعد كفره ومزيد إنامناء عليه (أن أزيد) أى يرجو أن أزيد في ماله وولده ؛ من غير شكر لما تقدم من إنامناء (كلاً) لن أزيده ، ولن أجمع له بين الكفر والزيد من النعم (لأنه كان لآياتنا عنيداً) أى كان للقرآن جاحداً معانداً (سأرمقه صموداً) الإرهاق ؛ حمل مالا يطاق . أى سأجعل له مكان ما يطعم فيه من الزيادة عقبة شاقة للصعد . وهو مثل لما يلقي من العذاب الصعب الأليم (لأنه فكر وقدر) أى فكر في تكذيب القرآن ومزله وقدر ما يقوله من الإفك ، ونسبة الرسول عليه الصلاة والسلام للسر والجنون (فقتل) لمن وطرد من رحمة الله تعالى (كيف قدر) تعجب من تقديره وتقديره ؛ حيث بلغ غاية الكفر ؛ وهو تكذيب الرسول ، والظن فيما جاء به (ثم قتل كيف قدر) تكراراً لتأكيد لعنه (ثم نظر) تفكر في أمر القرآن (ثم عبس وبسر) قطب وجهه ، وزاد في التقيض والكلاخ (ثم أدر) عن الحق والإيمان (واستكبر) عن اتباع النبي صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم (فقال) عن القرآن (إن هذا) ما هنا (إلا سحر يؤثر) يروي عن السحرة (إن هذا) ما هنا القرآن (إلا قول البشري) قاله محمد ، أو تعلمه ممن قاله . قال تعالى رداً على قوله وكفره (سأصلبه) سأدخله

(سقر) هو علم لجهنم (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لاتتبع ولا تذر) لاتدع شيئاً أتى فيها إلا أحرقت (لواحة للبشر) البشر : جمع بشرة ؛ وهي ظاهر جلد الإنسان . أى محرقة للجلود ، مسودة لها . والمراد بذلك تبين أنها لا تهلكهم فيستريحوا ؛ (عليها تسعة عشر) ملكاً ؛ يلون أصرها (وما جعلنا أصحاب النار) خزنتها (إلا ملائكة) لأنهم في قوام واستعدادهم خلاف البشر ولا يمحشون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقد أمرهم المتم الجبار بالآ تأخذهم رافة ، ولا رحمة بمن عصى الله تعالى (وما جعلنا عدتهم) بتسعة عشر (إلا فتنة) أى إجلاء واختباراً (انظر آية ١ من سورة الفاحشة) (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ؛ لأن هذا العدد موجود في كتبهم «إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف =

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۚ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۚ
سَأَرْمُقُهُ صُعُودًا ۚ إِنَّهُ فُكِّرَ وَقَدَّرَ ۚ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ۚ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۚ ثُمَّ نَظَرَ ۚ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ۚ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۚ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۚ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۚ سَأُصْلِيهِ
سَقْرًا ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا تُتَّبِعْ وَلَا تَذَرُ ۚ
لَوْاعَةٌ لِّلْبَشَرِ ۚ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ

== إبراهيم وموسى (ولا يرتاب) لا يشك (ويقول الذين في قلوبهم مرض) شك ؛ وهم المنافقون (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد ؟ (وما يعلم جنود ربك) وعددهم ، وبلغ قوتهم (وما هي) أى وما جهنم وذكرها ووصفها (إلا ذكرى للبشر) عبرة وعظة (كلا والقمر) أقسم تعالى بالقمر ؛ لمصافيه من الفع العميم . فيه تنضح المزروعات ، وبه يحدث المد والجزر في البحار ؛ وبهذا المد والجزر - الذى يحدث كل يوم وليلة - تنفخ الأرض ؛ لأن المياه للأرض كالرئة ، والهواء كالنفس ؛ فإذا ماحدث

الجزر - وهو انخسار الماء عن شواطئ

٧٢٠

الجزر ، وارتفاعه في وسطها - كان ذلك بمثابة الزفير . وإذا حصل المد - وهو رجعة المياه إلى الشواطئ ، وغودتها إلى مستواها السابق - كان ذلك بمثابة الشهيق ؛ وبذلك يتم في الكون والكائنات ما أراد الله لها مبدعهما ؛ من نمو ، ونضج ، ومعيشة ؛ « صنع الله الذى أتقن كل شئ » (والليل إذا أدير ، والصبح إذا أفسر) أى أضاء . أقسم تعالى أيضاً بإدبار الليل ، وإسفار الصبح ؛ لأن فيها وقت صلاة الفجر ؛ وفي هذا الوقت مافيه من التجليات ؛ قال تعالى « إن قرآن الفجر كان مشهوداً » (إنها لإحدى الكبر) أى إن سقر لأحدى البلايا والدوامى الكبيرة (لمن شاء منكم أن يتقدم) لفعل الخير (أو يتأخر) عنه (كل نفس بما كسبت) من شر (رهينة) أى كل نفس مذنبه مرهونة بذنوبها ؛ فلا يفك رهنها حتى تؤدى ما عليها من المقوبات . ومنها ما يحبس في النار أبد الأبدن ، ودهر الداهرين (إلا أصحاب اليمين) إلا المسلمين ؛ الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ؛ فأنهم (في جنات يتساءلون) فيما بينهم (عن المجرمين) قائلين لهم (ما سلككم في سقر) ما الذى أدخلكم فيها ، وجعلكم من سكانها؟ (قالوا) لأننا (لم نك من المصلين) أى لم نك في زمرة المؤمنين برهيم ، المصلين له (ولم نك

إِلَّا ذُرَىٰ لِلْبَشَرِ ۚ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ وَآلِيلَ إِذَا دُبِّرَ ۚ
وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۚ إِنَّهَا إِحْدَىٰ الْأَكْبَرِ ۚ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ۚ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَّقِمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۚ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَسَلِكُكُمْ
فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَرَّ نَكٌ مِّنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَرَّ نَكٌ تَطْعِمُ
الْمَسْكِينِ ۚ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ۚ وَكُنَّا نَكْذِبُ
بِیَوْمِ الدِّينِ ۚ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْبَقِينَ ۚ فَأَنفَعَهُمْ شَفَاعَةُ
الشَّافِعِينَ ۚ فَأَهْلَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۚ كَانَهُمْ حُرٌّ
مُّسْتَنْفَرَةٌ ۚ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۚ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثْقَلَةً ۚ كَلَّا بَلْ لَّيَجْمَلُونَ الْآخِرَةَ ۚ
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۚ فَمِنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۚ وَمَا يَزِيدُهُ
إِلَّا أَن بَسَاءَ اللَّهِ هُوَ أَهْلُ النَّفْوِ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۚ

سورة

نظم المسكين) كما كانوا يطعمون (وكنا نحوش) في الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) يوم الجزاء ؛ وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ، أو القيامة التى كنا نكذب بها (فألهم عن التذكرة) عن تذكرة الله تعالى لهم بهذا القرآن (مرضين) لا يستمعون لها ؛ فيستظنون بها . وهم في إعراضهم وتوليهم وانصرافهم عن الحق (كأنهم حر مستنفر) وهى الحر الوحشية ، الغير المستأنسة ؛ التى تجمع وتتفر (فرت من قسورة) أى فرت من الأسد ، أو فرت من الرأى للسهام . وقد كانوا يسمونه «قسورة» أو هو القافس . شبه تعالى انصرافهم عن الإيمان ، وإدبارهم عن الهدى : بالحر المستنفر ؛ لإذ أرات أسداً مفترساً ، أو صائداً مقتصاً (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) أى يريد كل واحد منهم أن يكون =

= نبيا ، ويؤتى صفحا تنشر وتقرأ على الناس ؛ كصحف الأنبياء . أو يريد كل واحد منهم أن ينزل له كتابا خاصا ؛ يراه نازلا من السماء باسمه (كلا) لن يكون ما يريدون (لأنه تذكرة) أى إن القرآن تذكرة بليغة كافية للجميع (فن شاء ذكره) أى من شاء : ذكر القرآن واتعظ به (وما يذكرون) هذا القرآن ، ويتعظون بما فيه (إلا أن يشاء الله) ذلك التذکر ، وهذا الاتعاض . ولن يشاء الله ذلك : إلا إذا ألزم الإنسان طاعته ، واجتنب عصيانه ، واتقاه حق تقاته (هو) جل شأنه (أهل القوى) أهل لأن يتقوا ؛ لأنه القوى الجليل ! (وأهل المغفرة) أهل لأن يفر من أطاعته واتقاه ؛ لأنه الغفور الرحيم !

سورة القيامة

٧٢١

(سورة القيامة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم به .
والقسم به : تعظيم لشأنه ، وتأكيده لحجيته (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى وأقسم بالنفس التى تلوم صاحبها على عصيانه ، وعلى تقصيره فى جنب الله تعالى ؛ وتستغفره بعد ذلك ، وتوب إليه ، وتنيب له ! (أيعجب الإنسان) أبطن الكافر (أن نجمع عظامه) بعد فقتها وتفرقها (بلى قادرين) على جمعها ، (وعل أن نسوي بنانه) أى نعيد أصابعه كما كانت فى الدنيا . والبنان : أطراف الأصابع ، أو هى الأصابع نفسها . وقد ذكرها الله تعالى ؛ لما فيها من دقة الصنع ، وغرابة الوضع . وذلك لأن الخطوط ، والتجاويف الدقيقة التى فى باطن أطراف أصابع الإنسان : لا تماثلها خطوط أخرى فى أصابع لسان آخر على وجه الأرض . وهى دقة لا يتصورها العقل ، ولا يحيط بكنهها اللب ؛ ولذلك يتمددون على طابع الأصابع فى تحقيق الشخصية فى سائر أنحاء العالم (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أى ليدوم على غوره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝
أَيَعْجَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَدِيرِينَ ۝
عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّي بَنَانَهُ ۝ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ ۝
أُمَامَهُ ۝ بَسْطَلْ أَبَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا بَرَقَ ۝
الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ ۝ وَالْقَمَرُ ۝
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يَنْبِئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلَىٰ ۝
الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝

فيما بقى أمامه من الزمن ؛ لأن الفجر : الانبعاث فى المعاصى . أو المعنى «ليفجر أمامه» من التفجير ؛ أى ليجت وينقب فيما أمامه من المغيبات التى لم يحيط علمه بها ، ولا ضرورة تلجته إلى بحثها ؛ ويؤيده ما بعده (يسأل أيا ن يوم القيامة) أى يسأل منكرا متعتا : متى يوم القيامة ؟ (فإذا برق البصر) تحير فرعا ورعبا ؛ وذلك يكون يوم القيامة (وخسف القمر) ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) أى طالما فى مكان واحد . وشأنهما ألا يجتمعا - أو جمع بينهما فى الحسف وذهاب الضوء (يقول الإنسان) الكافر (يومئذ أين المفر) من هذا العذاب (كلا) ردد عن طلب الفرار . أى لا فرار من عذاب الله تعالى ، ولا ملجأ منه إلا إليه (لا وزن) لا ملجأ ، ولا منجا ، ولا حصن (إلى ربك يومئذ المستقر) مستقر سائر الخلائق ؛ فيحاسبون ويمجازون =

== (بنأ الإنسان) أى يجازى (يومئذ بما قدم) فى الدنيا من عمل: خير أو شر (و) ما (آخر) من هذه الأعمال بعد موته . ذلك لأنه يستن بمن مات - فى الحسنات والسيئات - فيثاب بأجر من عمل بحسناته ، ويجازى بقوة من تبعه فى سيئاته . قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه «من سن سنة حسنة : فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة: فعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة» فذلك معنى قوله تعالى «وآخر» أو «بما قدم» من المصيبة «وآخر» من الطاعة . أو يحاسب «بما قدم» من خير أو شر «وما آخر» منها ؛ فيعاقب على ما قدم من شر ، وآخر من خير ، ويثاب على ما قدم من خير ، وآخر من شر (بل الإنسان) أى أعضاؤه وجوارحه التى تتكون منها نفسه (على نفسه) على ذاته (بصيرة) مبصرة لما يعمل ويرتكب فى الدنيا ؛ فتكون شاهدة عليه يوم القيامة . أو «بصيرة» بمعنى حجة . أى هو بنفسه على نفسه حجة . وقد جاء فى القرآن الكريم اللمعة بمعنى البصيرة ؛ فى غير موضع : قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم» «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة» (ولو ألقى معاذيره) أى ولو بسط يوم القيامة أعذاره ، وحاول التخلص من ذنوبه ، والتبرؤ منها (لا تحركه) أى بالقرآن (لسانك لتجعله) أى لتجعله بقرآته . وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ فى قراءة القرآن قبل فراخ جبريل منه ؛ خشية أن يفتب عن ذهنه منه شيء (إن علينا جمعه) فى صدرك (وقرائه) وإثبات قراءته على لسانك (فإذا قرأناه) أى قرأه عليك جبريل بأمرنا (ثم إن علينا يائنه) أى يبان ما أشكل عليك فهمه (كلا بل تحبون العاجلة) الدنيا ؛ لتاعها الزائل ، وزخرفها الباطل (وتلدرون) تتركون وراء ظهوركم (الآخرة) فلا تعملون لها (وجوه يومئذ ناضرة) هى وجوه المؤمنين ؛

٧٢٢

الجزء التاسع والعشرون

لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعِجَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ۖ فَلَمَّا قُرْأْتَ قَائِمٌ قُرْآنَهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا يَاسَاتِهِ ۖ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ لِكِ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ تَظُنُّ أَنْ
يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَّاتِ ۖ
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقِ ۖ وَالْتَفَتِ
أَلَسْأَى بِالسَّاقِ ۖ لِكِ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ۖ
فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمَظُنُّ ۖ أَوَّلَى لَكِ فَأُولَى ۖ
ثُمَّ أَوَّلَى لَكِ فَأُولَى ۖ أَجَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ ۖ
سُدًى ۖ أَلَيْكَ نُطْقَةٌ مِّنْ مَّنْهَ بَمُنًى ۖ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً تَلَقَّى فَصْوَئِى ۖ جَعَلَ مِنَ الْوُجُوهِ

الذكر

نكون يومئذ حسنة مضية ؛ لأنهم كرهوا الدنيا وابعوها ، وأتقوا ما اتفق الأكثرون على حفظه والحرس عليه ، وأحبوا الآخرة ، وعملوا لها (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية ، ولا جهة . وقال جابر الله الزخيمى : «ناظرة» أى منتظرة ثواب ربها . وهو قول وجيه من حيث تزيهه تعالى عن رؤية المخلوقين «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (ووجوه يومئذ باسرة) كالخة ، شديدة العبوس (فاقرة) داهية عظيمة ، تقسم فغار الظهر (كلا) ردد عن إثبات الدنيا على الآخرة (إذا بلغت التراقي) أى إذا بلغت الروح التراقي ؛ وهى النظام المكتنفة لثغرة النحر ؛ وهو كقوله تعالى «فلولا إذا بلغت الحلقوم» (وقيل من راق) أى تقول الملائكة : أياكم يرقى بروحه ؛ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ أو قال أهله : من يرقيه ليشفيه ؟ ==

= أو هل من طيب ينجيه ؟ (وظن أنه الفراق) أى أبقى المحضر أن هذا هو فراق الدنيا (والثقت الساق بالساق) هو مثل لبلوغ الشدة أقصاها ، والكربة مداها أى والتقى آخر يوم من الدنيا - وفيه مافيه من آلام المرض ، وسكرات الموت - بأول يوم من الآخرة - وفيه مافيه من عذاب القبر وأحواله - وهذا مثل للكافر غسب ؛ بدليل قوله تعالى (فلا صدق) بالقرآن (ولاصلى) للرحمن (ثم ذهب إلى أهله) رغم كفره وتكذيبه (يتمطى) يتبختر كبراً وعجباً (أولى لك فأولى) أى ويل لك ، فويل لك ! أو هو

خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بمعنى : أنت أول بالثب والتبخر - إذا جاز ذلك - حيث إنك رأس النبيين ، وإمام المتقين (أحسب الإنسان أن يترك سدى) أى لا بيعت ، ولا يحاسب (ألم يك نطفة من منى بمعنى) أى ألم تخلقه ابتداء : من منى خلقناه فى صلب أبيه وثرائب أمه (ثم كانت علقه) وهى واحدة الحيوانات المنوية ؛ التى يتخلق منها الإنسان ، بصنع الرحمن ا (خلق فسوى) أى تخلقه الله تعالى فسواه (انظر آية ٢١ من سورة النازيات) (جعل منه) أى من الإنسان ، وأومن العلق ، أو من المنى (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أى أليس الفعال لهذه الأشياء ، الخالق لها ؛ بقادر على إعادتها بعد فناءها ، وإحيائها بعد موتها ؟ !

(سورة الإنسان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر)

أى قد مضى على الإنسان حين من الدهر . و«هل» تعجىء بمعنى : قد ، ويل ، وأم . والمراد من الحين : هو مدة لبثه فى بطن أمه أو فى صلب أبيه . أو أريد بالإنسان : آدم

عليه السلام . وبالحين : الزمن السابق على خلقه وإمجاده (من نطفة) منى (أحتاج) أخلاط . أى من نطفة الرجل مخلوطة بنطفة المرأة . ومشج بينهما : أى خلط (نبتليه) نخبره بالتكاليف (جعلناه) استعداداً لهذه التكاليف ، ونهضة له لفهمها وقبولها (سمياً) يسمع فيزدجر (بصيراً) يبصر فيعتبرا وبعد استماعه واعتباره : ابتليناه بالتكاليف ؛ بعد أن أبنا له الطريقين «وهديناه النجدين» وأوحنا له السبل (إنا هديناه السبل) بينا له طريق الهدى ؛ بأدلة العقل ، والسمع ، والبصر «جعلناه سمياً بصيراً» يختار بنفسه طريقه ؛ الذى يحدد به مستقبله ومصيره ؛ فهو (إما شاكر) لربه ، مؤمناً به ؛ فيكون من أهل الجنة (ولما كفوراً) بنعمائه ، منكراً لوجوده ؛ فيكون من أهل النار وقد اختار بقله ؛ ما ارتضاه لنفسه ! (إنا أعتدنا) =

سورة الإنسان

٧٢٣

الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنفَاقًا ٣١ نَزَلَتْ بِعِلَالِ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَاهُ الْإِنسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَ الْآخِرَ أَشْرَرُ مِنَ الْأَوَّلِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

== أعددنا وهبنا (إن الأبرار) جمع بر ، أو بار ؛ وهم الصادقون في الإيمان (يعبرون) في الجنة (من كأس) لائس الكأس كأساً : لا وفيها العراب ، ولا في كوب (كان مزاجها) ما تخرج به (كافوراً) ليس المراد بالكافور : الكافور العلوم . بل أريد المبالغة في طيب ما يمزج به الخمر ؛ ولأن الكافور : كان عند العرب من أطيب الطيب (عينا يشرب بها عباد الله) أى عينا في الجنة ، طيبة الرائحة « يشرب بها عباد الله » الخمر . أو المراد بالعين نفس الخمر . ويكون معنى : « يشرب بها » أى منها . وقد جاء في اللغة : يشرب بها ، أى يشرب منها . قال جميل :

الجزء التاسع والعشرون

٧٢٤

شرب الزئيف يرد ماء المخرج

أى من برد ماء المخرج . والزئيف : الذى عطش حتى جف لسانه ، ويست عروقه (يعفرونها) يبرونها حيث شاءوا ؛ وذلك النعيم لأنهم كانوا في حياتهم الدنيا (يوفون) بالنعم ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) طويلاً ، فاشياً ، متداً . كان سائلاً سأل : بم استوجبوا هذا النعيم ؟ فأجيب : جزاء وفاءهم بالنذر ، وخوفهم يوم الحساب ، وإطعامهم الطعام ! (ويطعمون الطعام على حبه) أى رغم حبهم للطعام ، وميلهم إليه ، وحاجتهم له . أو « على حبه » : في سبيل حبه تعالى ، والتقرب إليه (انظر آية ٣٧ من سورة الزخرف) فائقين لمن يطعمونهم (إنما نطعمكم لوجه الله) أى اجزاء مرضاته ، وطلب ثوابه ! لم يقولوا ذلك وإنما علمه الله تعالى من ضائرهم وسرائرهم ؛ فأثني عليهم به (يوماً عبوساً قطيراً) القمطرير : الشديد العيوس . وصف تعالى اليوم بصفة أهله من الأشقياء (فوقاهم الله) بسبب ما قدموه (شر ذلك اليوم) العيوس القمطرير (ولفاهم نضرة) حسناً ، وجمالاً ، وهبة ، وإضاءة (وسروراً) يلا وجوههم وقلوبهم (على الأرائك) الأسرة (لا يرون فيها شمساً ولا زمهراً) أى لا حراً

مُسْتَقْبِرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَكِينًا وَيَبْيُتًا وَإِسْرًا ٨ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا ١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَ ذَ لِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١ وَجَزَّهْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَائِنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ١٥ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ١٦ وَسَقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ١٨ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا

كبيراً ٢٠

ولا بزدا (وذلت قطفها) أدنيت ، وسهل تناولها ؛ لأنها ليست كقطف الدنيا : بعيدة المثال ، لا تتال إلا بالاحتيال (قوارير من فضة) أى من جامعة بين صفاء الزجاج ، وبياض الفضة وحسنها (قدروها تقديراً) هو مبالغة في وصف الآنية وقفاستها . أى إنها مقدرة ذات قدر كبير ، وقيمة عظيمة (كان مزاجها زنجبيل) أى ما تخرج به كالزنجبيل ؛ في جليل قوائمه ، وطيب نكهته . وقد كانت العرب تستلذه ، ولا ترى أطيب منه (عيناً فيها تسمى سلسيلاً) أى هذا الزنجبيل عيناً في الجنة « تسمى سلسيلاً » لسلاسة انحدارها في الخلق ، وسهولة مساقها ؛ وهنا عكس زنجبيل الدنيا ؛ فإنه حريف لاذع (ويطوف عليهم ولدان) غلمان للخدمة (مخلدون) لا يموتون (حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) لصفاء ألوانهم ، وفرط جلالهم (وإذا رأيت ثم) =

كَبِيرًا ۝ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّنْ دَسَدٍ ۖ وَاسْتَبْرَقُوا
وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَوْهُمْ زَيْتًا طَهُورًا ۝
إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۝
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنِ اهْتَمَّ أَزْكَوًّا ۝ وَأَذْكُرْ اسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ۝ إِن مَقُولَاهُ يُحْسِنُ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا نَقِيلًا ۝ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا
شَفَعْنَا بِنَارِنَا أَمْنَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِن هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ
لِّمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا
أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يَدْخُلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

«ثم» وقعة : بمعنى هنالك . أى إذا رأيت هناك فى الجنة (وأبت نعمًا) عظيمًا ؛ لا يحاكيه نعيم (وملكا كبيرا) لا يذانيه ملك (عليهم ثياب سندس) وهو ما راق من الديباغ ؛ أى يعلو أهل الجنة «ثياب سندس» بمعنى أنهم يلبسونه (واستبرقوا) ما غلظ من الديباغ (وحلوا أساور من فضة) وفى مكان آخر من القرآن الكريم «من ذهب» فلم أنه سيجمع بين اللتين فى التحلية . أو أريد أن يجمع بين نقاسة الذهب ، وصفاء الفضة ويأضيها . ألا ترون إلى الذهب الأبيض ؛ وقد علا وغلا عن الذهب الأحمر والأصفر ؟

وللى معدن البلاتين ؛ وقد امتاز عن الذهب بالصفاء ، والغلاء ؛ فقد يبلغ ثلاثة أضعاف الذهب فى الثمن والقدر ؛ مع امتياز به بياض الفضة (وكان سعيكم مشكوراً) مقبولا ، مرضياً ، محموداً (وأذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا) البكرة : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، والأصيل ما بين الظهر والعصر . والمراد بذلك : المداومة على ذكره تعالى وتذكره فى كل الأوقات ؛ وأريد بالذكر : الصلاة . فالبكرة : صلاة الصبح ، والأصيل : الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) المغرب والعشاء (وسجد ليلاً طويلاً) أى وسبح فى الليل تسبيحاً كثيراً (إن هؤلاء) المشركين (يحبون العاجلة) الدنيا (وينفرون) يتركون (وراءهم) خلف ظهورهم العمل للآخرة (يوماً ثقيلاً) شديداً ؛ وهو يوم القيامة (وشددنا أسرهم) قوبضناهم ، وأحكامنا ربط مفاسلهم بالأعصاب . أو الأسر : بمعنى الكل . ومنه قولهم : خذه بأسره ؛ أى خذه كله . فيكون معنى «وشددنا أسرهم» قوبضنا سائر أعضائهم وأجزاءهم : كل عضو بما يحتاج إليه ؛ من لحم ، ودم ، وعظم ، وعصب ، وغضروف (إن هذه) السورة ، وما فيها من بدء خلقه الإنسان وتدرجها ، وهدايته السبيل ؛ بواسطة الحواس التى خلقها الله تعالى ، والأعضاء التى

ركبها فيه ، وما أعد للكافرين من عذاب أليم ، وللمؤمنين من نعيم مقيم ، وأمره لرسوله وخيرته من خلقه ؛ بالصبر على أذى الكافرين ، ومواصلة ذكر رب العالمين ، والصلاة له بكرة وأصيلًا ، وتسبيحه ليلاً طويلاً ؛ إن جميع ذلك (تذكرة) عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ (فمن شاء) الجنة ونعيمها (اتخذ إلى ربه سبيلاً) طريقاً يرضيه عنه ويوصله إليه ؛ وليس هناك من طريق يوصل إلى الله تعالى : سوى اتباع أوامره ، والزام طاعته (وما تشاءون) شيئاً (إلا أن يشاء الله) أن تفعلوه ، ولن يشاء سبحانه وتعالى لكم فعل الخير ؛ إلا إذا أخذتم فى أسبابه ؛ لأنه تعالى لا يشاء لإنسان الإيمان ، وقد أسمع سمعه عن استماع الهدى ، وغضى قلبه عن فهم الحجج والآيات والمعجزات ؛ ولن يشاء جل شأنه لإنسان دخول الجنان ، =

== وقد أعلن الكفران ، وجاهره بالمصيان ، وعاث بالفساد ، وظلم العباد ؟ وأكل أموالهم ، وحرم فقيرهم ! وكيف يشاء الله تعالى لإنسان الخير وقد انصرف عنه ؟ أو كيف يريد له الإيمان ، وقد صد عنه !؟ (إن الله كان عليماً) بخلقهم (حكيماً) في صنعه ! فحذار أيها المؤمن أن تقول ما قاله الجاهلون : من أنه تعالى يسلك الكفر في قلوب الكافرين ! فغاشاه تعالى أن يكون من الظالمين ! واذكر قوله جل شأنه «ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك» واعلم أن ما استوجب الحمد : فمن الله ، وما استوجب الاستنفار : فهو منك (انظر آية ٢٠٠ من ٧٣٦ الجزء التاسع والعشرون)

۷۲۶

الاستغفار : فهو منك (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (والظالمين) الكافرين .
سماهم تعالى ظالمين : لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر ، وعرضوها للعذاب .

إِلَّا آيَةً ٤٨ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٥٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ﴿٢﴾
وَالنَّشْرَكَ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالنَّفْرَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِنَتِ
ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ ذَنْبًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ وَلَوْعَ ﴿٧﴾
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَتَيْتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُحِلَّتِ ﴿١٢﴾ لِيَوْمٍ الْفَضْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمٌ
الْفَضْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكْدِيِّينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَهْلِكَ
الْأُولَىٰ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالشَّجَرَيْنِ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكْدِيِّينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْنَا

مِنْ مَّا لَكُمْ

(مسورة الرسائل)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(والرسلات مرثا ، فالماصفات عصفاً ،
والناشرات نشرأ ، فالغارقات فرقا ، فالملقيات
ذكرأ) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة ؛
اللاتي أرسلهن بأوامره ، واللاتي عصفن
الرياح لتعذيب بعض الكفرة ، واللاتي نشرن
العرائق في الأرض ، وفرقت بين الحق
والباطل ، وألقين الذكر إلى الأنبياء عليهم
السلام . والعرف: ضد النكر . أو هو لإقسام
من الله تعالى بريح عذاب أرسلهن فعصفن .
وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ، ففرقن
بينه ، فألقين ذكرأ (عذراً أو تنزراً) وهذا
الذكر : إما عذراً للمعتزين إلى الله تعالى
بتوبتهم واستغفارهم عند معاهدتهم لآثار نعمة
إفاعة تعالى ورحمته في الفيت فيشكرونها ؛
فتنصب أراضيهم ، ويحل الخير بواديهم .
ولما إنذاراً للذين يكفرون بها ، وينسونها

إلى الأنواء ويقولون : مطرنا بنوء كذا . فتقلب عليهم عذاباً ، وتدع ديارهم يباباً . وجواب القسم (إن ما توعدون) به : من القيامة ، والحساب ، والثواب ، والعقاب (لواقع) لا محالة ١ ومن دلائل القيامة (فإذا النجوم طمست) بحيث ، أذهب ضوءها (وإذا السماء فرجت) فتحت وشققت (وإذا الرسل أقتت) أى جمل لها وقت معلوم ؟ يحضرون فيه للشهادة على أهمهم (لأى يوم أجلت) سؤال للتحويل والإشادة بشأن ذلك اليوم ، وما يتم فيه من أمور جسام ١ فأعظمه ، وما أهوله ١ (ليوم الفصل) الذى يفصل فيه الله تعالى بين الخلائق ؟ فيأخذ للظلم من ظلاله ، وللحكوم من حاكمه ؟ ويجزى المحسن لإحسانه ، والمسيء بإساءته ١ (ألم نهلك الأولين) الأمم الماضية ؟ حين كذبوا الرسل ، وجعدوا بالآيات والمعجزات =

== (ثم نلعبهم الآخرين) من سلك سبيلهم في التكذيب والكفر (كذلك تفعل بالجرمين) الذين يسرون على ستمهم ، ويتبعون طريقهم (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير ؛ وهو النطفة (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (إلى قدر معلوم) توقيت يعلمه الله تعالى ؛ هو مدة الحمل ؛ فإنها تختلف بين الستة أشهر والتسع ؛

عدا بعض الحالات الشاذة (فقد رنا) جميع ذلك لحكمة عظيمة ؛ لا يعلمها إلا كثرت : فقد يتلف الجنين لو بقي في بطن أمه أكثر من ستة أشهر ، وقد يتلف غيره من الأجنة لو لم يمكث تمام شهوره التسعة ، وقد تتلف الأم لو بقي الجنين أكثر ، أو أقل . فتعالى المقدر الحكيم العليم (ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً) أى تكفت للناس أحياء على ظهرها ، وأمواتاً في بطنها . والكفت : الجمع والضم (رواسى شاختن) جبلاً ثوابت ، طوالاً شواهي (ماء فراتا) عذباً . يقال : فرت الماء ؛ إذا عذب (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أى انطلقوا إلى الذى كذبتم به (انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) وهو دخان جهنم : يتشعب ثلاث شعب ؛ لظلمه (لا ظليل) أى لا يظل من حر ذلك اليوم (إنها) أى جهنم (ترى بشرى كالفصر) وهو البناء الشامخ العظيم ، أو الحصن ، أو هو الغليظ من الشجر (كأنه جملة) جمع جبل ؛ كحجر وحجارة (صفر) أى سود . جاء في لثة العرب : الأصفر : الأسود (هذا يوم لا ينطقون) فيه يثنى (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (فإن كانت لكم هيلة) تدفون بها عذابى عنكم وتحولون بين بطشى بكم (فكيدون) فافعلوا هذه الحيلة . وهو

مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِنَّ قَلْبَكَ مَعْلُومٌ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَّرٌ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ أَنْقَضَ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْيَتْمَانَ فِي ظِلِّهِ وَغَيْرِهِمْ ۝ وَفَوْكَ يَمًّاءَ يَسْتَهْوُونَ ۝ كُلُّوا

سؤال تحد : لإظهار ضعفهم ، وتبكيهم على ما فعلوه في الدنيا (إن التقيين في ظلال) جمع ظل ؛ والمراد به تكاثف أشجار الجنة ، لأن الجنة ليست فيها شمس فيستظل من حرها (وعيون) جارية

وَأَقْرَبُوا هَيْسًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كَذَّاكُ تَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا
فَلْيَلَا إِسْمُكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٤٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٢﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَعَاذِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

سُبَاتًا ﴿٩﴾

(كلوا وتمتعوا قليلا) في الدنيا ، وهو خطاب
للكافرين

(فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد
القرآن ؟ وما فيه من عبرة تدعو إلى الاعتبار ،
وآيات ؟ تدعو إلى الاستبصار !

(سورة النبا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أي عن أي شيء
يتساءلون ؟ (عن النبا العظيم) أي يتساءلون
عن النبا العظيم ؟ وهو البعث (كلا) ردع
من التساؤل ، وعن التكذيب (سيعلمون)
عاقبة اختلافهم وتكذيبهم ؟ وقال لهم :
« فوفوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون »
(الم نجعل الأرض مهادا) أي فراشا . والمهاد:
جمع مهد ، وهو فراش الطفل (والجبال
أوتادا) لتثبت بها الأرض ؟ كما تثبت الحبة
بالأوتاد (وخلقناكم أزواجا) أمنا

(وجعلنا نومكم سباتاً) أى راحة ، أو موتاً ؛ قال تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» (وجعلنا الليل لباساً) سترأ يستركم ؛ كما يستر اللباس الجسم عن الأبصار (وجعلنا النهار معاشاً) يقومون فيه لمعاشكم ، أو هو وقت حياة : تبعثون فيه من نومكم ؛ الذى هو الموت الصغرى كما فى قوله تعالى «وهو الذى جعل لكم الليل لباساً ، والنوم سباتاً ، وجعل النهار نشوراً»

(وبيننا فوقكم سبعاً شداداً) السموات (وجعلنا) لكم (سراجاً وهاباً) الشمس (وأنزّلنا من المصبرات) السحب ، وسميت بالمصبرات : لأنها تتعطب بالمطر ، وأعصروا : أمطروا . وقيل : «المصبرات» الريح تنصير السحاب فيمطر ؛ ومنه الإعصار : وهو الريح تثير السحاب (ماء فجاجاً) سيلاً ، منصباً بكثرة (وجنات ألفافاً) أى يساتين ملتفة الأشجار (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) وقتاً ؛ يثاب فيه المؤمن ، ويقاب فيه الكافر (يوم ينفخ فى الصور) القرن ؛ ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام بأمر ربه (فتأتون) من قبوركم إلى الموقف (أفواجاً) جماعات جماعات ، وزمراً زمراً (فكانت سراباً) أى لا شيء ، وكان مكانها منبسطاً كالذى يرى عليه السراب (إن جهنم كانت مرصاداً) كانت مرصاداً (ترصد الكافرين ؛ كمن يترصد لعدوه ليفتك به (الطاغين) الكافرين (مآباً) مرجعاً ؛ ليس لهم مدخل غيرها فيدخلونها (لا يثين فيها أحقاباً) ما كثر في جهنم دهوراً (لا يذوقون فيها برداً) هو ما يتردد به ، أو هو بمعنى النوم ، أو الموت (ولا يذوقون فيها شراباً) يطبق طأمهم ، ويروي غلثهم (إلا حمياً) ماء بالغا نهاية الحرارة (وغساقاً) هو ما يسيل من صديد أهل النار (جزاءاً وفاقاً)

سُبَاتًا ١ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ٢ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ٣ وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ٤ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّابًا ٥ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّابًا ٦ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ٧ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ٨ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ٩ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٠ وَقُضِيَ السَّيَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١١ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ١٢ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ١٣ لِلطَّاغِينَ مَعَاقِبًا ١٤ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ١٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ١٦ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ١٧ جَزَاءً وَفَاقًا ١٨ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ١٩ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا ٢٠ وَكُلُّ شَيْءٍ وَأُخْصِيَّتْ كُتُبًا ٢١ فَلَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٢٢ إِنَّ اللَّامِتِّقِينَ مَقَازًا ٢٣ حَدَّاقِينَ وَأَعْتَابًا ٢٤ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ٢٥

أى موافقاً لأعمالهم السيئة (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) أى لا يخافون محاسبة الله تعالى لهم ؛ على كفرهم وبغهم (وكذبوا بآياتنا) بمحجنا وأدلتنا (كذاباً) تكذبياً (وكل شيء) فلوله (أحصيناه كتاباً) أى كتابة (فذوقوا) جزاء أعمالكم (فلن تزيدكم إلا عذاباً) فوق عذابكم (إن للمتقين مفازاً) فوزاً بمطلوبهم ، وظفراً بمحروبيهم ؛ وهو الجنة (حدائق وأعناباً) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (وكواعب أزراباً) نواهد مستويات فى السن

(وَكَاَسَا دِهَاقًا) مترعة ملأى (لا يسمعون فيها لغواً) باطلاً وهجراً من القول (ولا كذاباً) ولا تكذيباً من أحد لأحد ، أو لا يسمعون فيها كذباً (عطاء حساباً) أى تفضلاً على حسب أعمالهم (لا يملكون منه خطاباً) أى لا يستطيع أن يكلمه أحد من خشيته ، وهو معنى أنهم لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه (يوم يقوم الروح) جبريل عليه السلام . وقيل : «الروح» خلق كالناس وليسوا بالناس (صفاً) مصطفين (ذلك اليوم)

الجزء الثلاثون

٣٣٠

هو اليوم (الحق) الذى يكذب به الكافرون (فمن شاء) منكم أيها الناس (اتخذ إلى ربه مآباً) أى مرجعاً ؛ بأن يؤمن ويعمل الصالحات (إنا أنفرنكم عذاباً قريباً) فى يوم القيامة . وقربه : أن الميت حين يقوم من قبره يظن أنه ما لبث فيه سوى يوم أو بعض يوم «قال كم لبتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبنا يوماً أو بعض يوم» (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى ينظر ثوابه ، أو عقابه ؛ على ما قدم من خير أو شر (ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً) وذلك لأن الله تعالى يحشر الحيوانات يوم القيامة ؛ فيقتس للجهنم من القراء ، وبعد ذلك يصيرها تراباً ؛ فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك ! (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) .

وَكَاَسَا دِهَاقًا ❶ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ❷
بَرَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ❸ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ❹
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَبَّرُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ❺ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ❻ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلْبِغْنِي كُنْتُ تَرَابًا ❼

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ٤٦ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبَأِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّشْرِ غَرَامًا ❶ وَالنَّشِيطِ نَشْطًا ❷

وَالنَّشِيطِ

(سورة النازعات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غراماً) الثلاثة تنزع أرواح الكفار . وقيل : لأن الكافر عند طلوع روحه ؛ يشعر كأنه غريق (والناشطات نشطاً) التى تنشط الروح ؛ أى تخرجها برفق ؛ وهى نفس المؤمن

(والسباحات سبحاً) التي تسبح في مضيقها ؛ أي تسرع (فالسباقات سبقاً) التي تسبق إلى أداء ما أمرت به (فالدبرات أمراً) التي تدبر أمر العباد بما يصلحهم في دينهم ودنياهم ؛ بأمر ربهم (يوم ترجف الراجفة) تتحرك الأرض بشدة ؛ فيموت كل من عليها . وهو عند النفخة الأولى (تبعها الرادفة) النفخة الثانية ؛

وعندها تبعث الخلائق . وقيل : «الرادفة»

السواء ؛ لأنها تتبع الأرض في التخريب ؛

فتنشق ؛ وتنتثر كواكبها (قلوب يومئذ

واجفة) مضطربة (أبصارها خاشعة) ذليلة

لهول ما ترى (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة)

أي كانوا يقولون ذلك في الدنيا ، أو ذلك قولهم

في الآخرة . يقال : رد إلى حافرة : أي إلى

أول أمره . وقيل : يتمنون أن لو يردوا

إلى قبورهم مبينين ، أو يردوا إلى الدنيا ؛ كقوله

تعالى حكاية عنهم «فهل إلى مرد من سبيل»

(نخرة) بالية (كرة خاسرة) رجعة ذات

خسران (فإنما هي زجرة واحدة) أي صيحة

واحدة ؛ وهي النفخة الثانية (فإذام بالساهرة)

فإذا هم أحياء على وجه الأرض (بالواد

المقدس) المطهر المبارك (طوى) اسم للوادي ،

أو هو بمعنى مرتين . أي الوادي الذي قدس

مرة بعد أخرى . وقيل : «طوى» بمعنى طأ

الأرض حافياً (إنه طغى) تجاوز الحد (فقل هل

لك إلى أن نركي) إلى أن تتطهر من الشرك

والمصيان (فأراه الآية الكبرى) التي موسى

عصاه «فإنما هي حية تسمى» (ثم أدبر يسمي)

تولى عن موسى، وسعى في مكابذته . أو أدبر

مرعوباً ، يسرع في مبعيته (فحشر فنادى فقال

أنا ربكم الأعلى) أي فجمع الجنود والسحرة

ونادى فيهم قائلاً : «أنا ربكم الأعلى» (فأخذه

الله نكال الآخرة والأولى) أي فعاقبه الله تعالى على كليتيه «الآخرة» وهي «أنا ربكم الأعلى» «والأولى»

وهي «ما علمت لكم من إله غيري» أو عاقبه الله عقاب الدنيا والآخرة (إن في ذلك) التشكيل بفرعون ،

وبسائر الكافرين (لعبرة) لعظة (لمن يخشى) الله تعالى ، ويخاف عقابه

وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّيِّغَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدْبِرَاتِ
أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ
أَوَأْنَا لِمُردودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَوْ أَكُنَّا عِظَمًا
نَحْرَةً ۝ قَالُوا إِنَّكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَلَمَّا هَمَّ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ۝ فَلَمَّا هَمَّ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝
أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى
أَنْ تَرْجُو ۝ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۝
فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَى ۝ فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُ
الْأَعْلَى ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۝ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ

(أنت أشد خلقاً أم السماء بناها) أى أخلقكم بعد موتكم أصعب أم بناء السماء ؟ (رفع سمكها) أى أعلى ارتفاعها (وأغطش) أظلم (ليلها وأخرج ضحاها) أبرز ضوء نهارها (والأرض بعد ذلك دحاها) بسطها ،

أو جعلها كالسحابة ؟ وهى البضرة . ويؤيده ما ذهب إليه الفلكيون ، والجغرافيون ؛ من كرية الأرض ، وانبعاجها كالبيضنة (أخرج منها ماءها ومرعاها) فخر منها العيون ، وأخرج منها الكلاء الذى يرى (متاعا لكم ولأنعامكم) (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى ؛ وهى القيامة (يوم يذكرو الإنسان ما سعى) ما عمل فى الدنيا ؛ من خير أو شر (فأما من طغى) كفر وجبر (وأثر الحياة الدنيا) أى فضل الدنيا القانية الزائلة ؛ على الآخرة الدائمة الباقية (وأما من خاف مقام ربه) أى قيامه بين يديه للحساب (ونهى النفس عن الهوى) أى نهاها عما تهواه ؛ مما يوقع فى الردى ، ويستوجب العذاب (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (يسألونك عن الساعة) عن القيامة (أيان مرساها) متى وقيتها ؟ (فيم أنت من ذكرها) أى أين أنت من ذكر الساعة ووقتها ؟ فقد تفرد بعلمها علام القيوم ! (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها ، وما يكون فيها (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما أرسلناك لتنذر - من أهوالها - من يخشاها ؛ لا أن تعلمهم بوقتها (كانهم يوم يرونها) أى يوم يرون الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلا عشيّة أو ضحاها)

وحا طرفة النهار ؛ فكأنه تعالى يقول : لم يلبثوا إلا جزءاً من يوم . وهو تعالى القادر على تقصير الأوقات وإطالتها ؛ فقد يرى النائم أنه قد تزوج وأنجب ، وأنه قد مرّت عليه من الأحداث ما يستغرق السنين ذوات العدد ؛ وهو لم يزاول مضجعه بعد ، وقد لا يتجاوز وقته بضع ثوان ؛ فكذلك المبت حين يبعث يظن أنه لم يلبث فى دنياه وقبره إلا جزءاً من يوم

الجزء الثلاثون

٧٣٢

السَّمَاءَ بَنَاهَا ١٧٦ وَفَعَّ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ١٧٧ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ١٧٨ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ١٧٩ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ١٨٠ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ١٨١ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ١٨٢ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ ١٨٣ الْكُبْرَى ١٨٤ يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ١٨٥ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى ١٨٦ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ١٨٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٨٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ١٨٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ١٩٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ١٩١ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ١٩٢ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ١٩٣ إِلَّا رَبُّكَ مُنْتَهَاهَا ١٩٤ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ١٩٥ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوْنَهَا ١٩٦ أَيَّامٌ يَوْمَ يُرَوْنَهَا ١٩٧ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ١٩٨

سورة

(عبس وتولى) أى قطب وجهه وأعرض . وهو حكاية عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (أن جاءه) أى لأن جاءه (الأعمى) وهو عبد الله بن أم مكتوم : أتى النبي صلى الله عليه وسلم - وعنده

صناديد قريش يدعوه للسلام - فقال له : يا رسول الله علمني مما علمك الله . وصار يكرر ذلك ؛ فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه مع صناديد قريش ؛ فعبس لذلك ، وأعرض عنه ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على هداية أشرف قريش ؛ ليهتدى بإسلامهم قومهم (لعله يزكى) يتطهر من دنس الجهل بما يسمعه منك من الآيات والعظات (أو يذكر) يتعظ (فتنفقه الذكري) ويؤمن (أما من استغنى) كان غنياً بالمال ؛ كأشراف قريش (فأنت له تصدى) تتصدى ، وتعرض ؛ بالإقبال عليه ؛ حرصاً على إيمانه (وما عليك ألا يزكى) أى وليس عليك بأس فى ألا يتطهر بالإسلام ؛ إن عليك إلا البلاغ (وهو يخفى) الله (فأنت عنه تلهى) تلهى ، وتعبس ، وتولى (كلا) أى لا تعد إلى مثلبا من الإعراض عن الفقير ، والإقبال على النقي (إنها تذكرة) أى إن هذه الآيات موعظة (فمن شاء) من المؤمنين (ذكره) تذكر تنزيل الله تعالى ووجهه ، واستمع إلى أوامره ونهيه ؛ وعلم أن بذل النصح والإرشاد واجب لمن يطلبه ويسعى إليه ؛ لا لمن يأباه وينصرف عنه (فى صحف مكرمة) أى إن هذه الآيات منتسخة من اللوح المحفوظ (فى صحف مكرمة) عند الله ، لا يسبها

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّه يَزْكَى ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ٤ أَمَّا مَنْ
اسْتَغْنَى ٥ فَأَنَّى لَمْ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزْكَى ٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَخْشَى ٩
فَأَنْتَ عَنْ تَلَكُّهِ ١٠ كَلَّا إِنَّا تَذَكَّرٌ ١١ فَسَاءَ
ذِكْرُهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٤
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦ فَقِيلَ الْإِنْسَانُ
مَا أَكْفَرُهُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِنْ نُطْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَّاهُ ٢١

إلا ملائكته المطهرون (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمزية (مطهرة) عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدي سفره) كتبه ؛ وهم ملائكة الرحمن ، الذين انتسخوها - بأمر ربهم - من اللوح المحفوظ (كرام بررة) كرام عند ربهم ، أتقياء (قتل الإنسان) لمن الكافر (ما أكفره) أى ما أشد كفره ا وعلام يكفر ، ولماذا يتكبر ؟ أفلا ينظر (من أى شئ خلقه) الله ؟ أليس (من نطفة) قدرة (خلقه فقدره) فسواء قعده ؛ وهياً لما يصلح له ، ويليق به من الأعضاء والأشكال (انظر آية ٢١ من سورة الدائرات) (ثم السبيل يسره) أى بين له طريق الخير والشر ، أو سهل له الخروج من بطن أمه

(ثم إذا شاء أنشره) أحياء بعد موته ، وقت مشيئته (كلا لما يقض ما أمره) أى لم يفعل الكافر ما أمره الله تعالى به من الإيمان ؛ حتى الآن ، و «لما» تفيد التنى إلى الحال ؛ لأن منفيها متوقع الثبوت ؛ بخلاف منفي «لم» فإنه يشمل الاتصال والاقطاع ؛ كلم يكن ، ثم كان (فليُنظر الإنسان) نظر تدبر (إلى طعامه)

أى فليأمل كيف دبرنا طعامه الذى يأكله وبحيا به ، وكيف صنعناه ؟ ولينظر إلى المحبوب وآبائهما ؛ والثمار وطعومها ، والأزهار وألوانها ؛ ليعلم أن هذا بتقدير منا ، ونفضل من لدنا ، ولينظر كيف (أنا صبينا الماء صبا) من السماء أو الأنهار المتكوة من الأمطار (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأنبتنا فيها حيا) كالخطة ، والشجر ، وغيرها (وعنباً وقضباً) القصب : الرطبة ؛ وهو كل نوع القصب - أى اقطع - فأكل طريا ، وهو أيضاً ما يسقط من أعالي اليلدان لمزيد نضجه (وزرثونا ونخلنا) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (وحدائق علباً) ساتين كثيرة الأشجار (وأبا) مرمى لدوابكم ؛ من أبه : إذا أمه ؛ أى قصده (فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة ؛ لأنها تصيح الأذان ؛ أى تصبها (يوم يفر المرء من أخيه) ومعاونته والأخ واجب المعاونة والمساعدة في كل وقت ، وفي كل حين (و) من (أمه وأبيه) وبرما فرض عليه (وصاحبه) زوجته ؛ وقد كلف بحفظها ورعايتها ، والذب عنها (وبنيه) وهم صنوره ، وقطعة من كبده (لكل امرئ منهم) أخا ، أو أما ، أو أبا ، أو زوجا ، أو ابنا ؛ لكل واحد منهم في ذلك اليوم (شان يفتيه) شغل شاغل ، وخطب هائل ؛ يصرفه

الجزء الثلاثون

٧٣٤

فَأَقْبِرْهُمْ ۖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرْهُمْ ۖ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُوا ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَيْنَا أَلْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَبْأًا وَقَضْبًا ۖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ وَحَدَادٍ وَقَلْبًا ۖ وَنَكِihَةً وَأَبَا ۖ وَمَتَاعًا لَّكَ وَلِأَنْعَامِكَ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ

سورة

عن الاهتمام بغيره ، إلى الاهتمام بنفسه . وفي هذا ما فيه من الدلالة على ما يكتنف هذا اليوم المصيب من أحداث تخرج المرء عن صوابه ، وتشغله بما حل به ؛ (وجوه يومئذ مسفرة) مضية ؛ وهى وجوه المؤمنين (ضاحكة مستبشرة) بما أعد الله تعالى لها من الثواب والجزاء (وجوه يومئذ عليها غبرة) كدورة ؛ وهى وجوه الكافرين (ترهقها قرة) تلوها ظلمة وسواد

(سورة التكويد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا الشمس كورت) نكست ، وذهب بضوئها (وإذا النجوم انكدرت) انطمس نورها (وإذا الجبال سيرت) انتثرت ، وسيرت في الجو تسيير السحاب (وإذا العشار عطلت) وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر ،

وشارفت الوضع (عطلت) تركت مهلة ؛ لاستئصال أحبابها بأنفسهم ، أو «عطلت» من الولادة . وقيل : إن العشار السحاب ؛

وتعطيلها : عدم إمرارها (وإذا الوحوش حشرت) جمعت ، وبعثت للقصاص (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) (وإذا البحار سجرت)

غلت مياهها ، أو امتلأت وتفجرت (وإذا النفوس زوجت) أى الأرواح قرنت بأجسادها ، أو إذا النفوس صفت : كل نفس مع من

يشاكلها من أجناسها (وإذا الموءودة سئلت) وهي التي دفنت حية . وقد كانت العرب تدد البنات خشية العار والإملاق . روى أن عمر بن

الخطاب رضى الله تعالى عنه بينما كان يجلس مع بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ إذ ضحك قليلا ، ثم بكى ؛ فسأله من حضر عن سبب

ضحكه ، وسر بكائه ؟ فقال : لقد كنا في الجاهلية نضم النظم من العجوة ؛ فنعبده أياها ثم نأكله ؛ وهذا ما أضحكى ، أما بكائى فلأنه

كانت لى ابنة ؛ فأردت وأدها - كشأنا فى تلك الأيام - فأخذتها ملى وحفرت لها حفرة ؛ فصارت تنفض لى حتى كلما تراكم عليها التراب ؛

فلم يشفع لها ذلك دون وأدها ؛ وقد دفنتها حية ؛ وهذا ما أبكاني !

هذا هو عمر - قبل الإسلام - فانظر إلى عمر بعد الإسلام ، وكيف خطت الدموع

فى وجنتيه خطين ؛ لمزيد رفته ، وشدة بكائه ، وكيف أنه حمل إلى أم الصبية - التى كانت تملأ أبناءها الجياع بالماء والحصى فى القدر ليناموا - الدقيق والسمن وجعل ينفخ فى النار ؛ ولجنته على الأرض فى التراب حتى طاب الطعام . وأقبل على الصبية بطعمهم ، وهو يبكي ويقول : ويل عمر ! ليت أم عمر لم تلد عمر !

هذا ولم ينقل عمر من درك الوحشية ، إلى سماء الإنسانية : سوى دين الإسلام - الذى سرى فى روحه ، وأشرب به قلبه - دين التور ، والرأفة ، والرحمة دين السباحة والحضارة ! (وإذا الصحف نشرت) من صحف الأعمال : تتكشف وتفتح للقراءة (وإذا السماء كشطت) قطعت وأزيلت (وإذا البحار سجرت) أوقدت

إنقاداً شديداً (وإذا الجنة أزلقت) هيئت ، وأدريت من التيقن (علمت نفس) وقتذاك (ما أحضرت) =

٧٣٥

سورة التكويد

(٨١) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْعَرْشِ الْعَظِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ٢ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٣
- ٤ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٥ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٦
- ٧ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٨ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٩
- ١٠ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ١١ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ١٢
- ١٣ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ١٤ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٥
- ١٦ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١٧ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٨
- ١٩ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِقَتْ ٢٠ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرَتْ ٢١
- ٢٢ فَلَا أَنْفُسٌ يَافِكُنَّ ٢٣ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ٢٤
- ٢٥ وَاللَّيْلُ إِذَا عَمَّسَ ٢٦ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ٢٧

== ما علمت من خير أو شر (فلا أقسم) أى أقسم (بالجنس) الكواكب الرواجع لأنها تذهب وتجيء ،
أو من الكواكب كلها ؛ لأنها تختفى نهاراً ، وتظهر ليلاً (الجوار) السيارة ، التى تجرى مع الشمس
(الكسوف) التى تختفى تحت ضوء الشمس . وكناس الظبي : بيته (والليل إذا عسعس) أدبر ظلامه (والصبح
إذا تنفس) أقبل . ولا يخفى ما جىء به الصبح من النسيم ، والروح ؛ الذى يشبه التنفس . وجبى ما تقدم :
قسم ؛ وجوابه : (إنه) أى القرآن (لقول رسول كريم) هوجبريل عليه السلام ؛ وقد أسند إليه : لأنه

المسرة الثلاثون

٧٣٦

هو الذى نزل به (مكن) ذى جاه ومكانة
(مطاع ثم) أى مطاع هناك فى السموات ؛
يطيعه أهلها (أمين) على الوحي المكلف باتزاله
(وما صاحبكم) محمد (بمعجون) وقد استدلل
الزخشمى بهذه الآيات على تفضيل الملك على
الرسول ؛ وهو استدلال باطل ؛ لأنها لم ترد على
سبيل التفضيل ؛ بل جاءت تكذيباً لقولهم :
« إنما يطعه البشر » وقولهم : « أم به جنة » وهذا
وإن كان فيه غلو من جانب الزخشمى فى تفضيل
الملك على الرسول ؛ فقد تنال أقوام بقولهم :
إن عوام البشر : أفضل من عوام الملائكة .
والذى أراه - ويراها كل منصف - أننا لو
استثنينا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : كانت
الملائكة أفضل من البشر ؛ لما ميزهم الله تعالى
به من الطاعة المطلقة « لا يصون الله ما أحرم »
ويقولون ما يؤمرون . وما اخصصهم به من
القرب « يسبحون الليل والنهار لا يفترون »
(انظر آية ٢٩ من سورة الحجر) (ولقد رآه
بالأفق المين) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما
الصلاة والسلام على صورته الملائكية بمطلع
الشمس (وما هو على الغيب بضنين) أى وما
محمد على تبليغ ما أوحى إليه ، وتعليمه للبشر
بمقصر بخيل . وقرئ « بظنين » أى بمتهم
(وما هو بقول شيطان رجيم) هو فنى لقولهم :
إن القرآن كهاة وسحر (فأين تهبون) أى

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ۝ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ ۝ وَمَا صَابِقُكُمْ
بِعَجُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بَضِينٌ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝
فَأَيْنَ تَهْبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ ۝ وَمَا شَاءَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

(٨٢) سُورَةُ الْأَنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ١٩ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا النُّجُومُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
اسْتَشْرَّتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ

بُعْثِرَتْ ۝

فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريق ؟ (إن هو) أى القرآن : ما هو (إلا ذكر) تذكيرة وتبصرة
(لمن شاء منكم أن يستقيم) أى لمن شاء الاستقامة ؛ بالدخول فى الإسلام . ومن هنا علم أن الإيمان والاستقامة
فى وسع كل إنسان ، ووفق مشيئته ؛ ولا يمنع ذلك قول الحكيم العليم (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب
الطالين) إذ أنه جل شأته « لا يرضى لعباده الكفر » ولا يفعل عز سلطانه ما لا يرضاه ؛ ففى فتح الإنسان
مغالق فهمه ، وأبدى استعدادده لتلقى كلام ربه : أمانه الله تعالى على نفسه ، ودفع عنه بأس شيطانه ؛ أما إذا
ركب رأسه ، ووضع أفعال الجهل على قلبه ، وأصم سمعه عن الهداية ، واتبع غير سبيل المؤمنين ؛ فإن
الله تعالى يعد له فى ضلاله ، ويزيد فى خياله « لينوق وبال أمره » وليس معنى ذلك أن الحكيم العليم فرض =

= عليهم الكفر فرضاً ، وألزمهم به إلزاماً ، وقسمهم عليه قسمراً ١

(سورة الاقطار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انقضت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فتحت بعضها

على بعض ؛ فاختلط عذبتها بأجاجها ، أو طفت

البحار على اليابسة فأعرقتها ومحتها .. والمراد

أن كل شيء يضطرب ولا يستقر على حاله

(وإذا القبور بعثت) أخرج ما فيها من الموتي

(علت نفس) أى كل نفس ؛ وطعها :

رؤيتها الجزاء العبد لها (ما قدمت وأخرت)

ما قدمت من معصية ، وأخرت من طاعة ،

أو «ما قدمت» في حياتها من عمل - صالح

أو طالح - وما «أخرت» بعد موتها من عمل

يقتدى به غيرها (يا أيها الإنسان) خطاب

للكافر (ماغرك بربك الكريم) أى ما الذى

جراك على عصيان مولاك ؛ الذى أكرمك

بما أكرمك ، وخلقك فسواك فعدلك (في

أى صورة ما شاء ربك) أى ربك في

صورة أى صورة المراد أنه تعالى ربك

في أحسن الصور . لقوله تعالى «لقد خلقنا

الإنسان في أحسن تقويم» وقد ذهب بعض

ضعاف الرأى إلى أن الله جلت قدرته أراد

بهذه الآيات : إلهام المخاطب المعانيب بالجواب ؛

فللعبد أن يجيب مولاه بقوله : غرني كرمك .

ألم يقل جل شأنه «يا أيها الإنسان ماغرك

بربك الكريم» وهذا - كما لا يخفى - تلاعب

بالتأويل ؛ يأباه صريح التنزيل إذ أن هذا

الكلام صادر في مقام التهويل والإرهاب ،

والتخويف من شدة الحساب ا يدل عليه

ما بعده (كلا) رده عن الاعتذار ، بكرم الجبار (بل) الحال أنكم

(تكذبون بيوم الدين) يوم الجزاء ا

وهو يوم القيامة (وإن عليكم) في كل وقت وأن (لحافظين) من اللائكة : يحفظون أعمالكم وأقوالكم

(كراماً) أثناء على ما أسند إليهم من ربهم (كاتبين . يعلمون ما تفعلون) فيكتبونه (إن الأبرار) جمع بر ،

أو بار ؛ وهم الذين يعملون البر ، ويتصفون به (لني نعيم) جنة «عرضها كعرض السماء والأرض» (ولاف

النجم) الكفار (لني جحيم) الجحيم : اسم من أسماء النار . وكل نار عظيمة في مهواة : فهي جحيم .

قال تعالى «قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم» (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم الجزاء (وما هم

عنها بغائبين) أى لا يخرجون عنها طرفة عين ؛ كقوله تعالى «وما هم بخارجين منها» وهذا ينفس قول =

٧٣٧

سورة الاقطار

بُعِثْتُ ١ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ٢ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٣ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ٤ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٥
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ٦ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ٧
كِرَامًا كُنُتَيْبِينَ ٨ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ٩ إِنْ
الْأَبْرَارُ لَفِي نَعِيمٍ ١٠ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١١
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ١٢ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ١٣
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ١٤ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الَّذِينَ ١٥ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٦

== القائلين بعدم الخلود في النار ، وأن المراد بالخلود : المبالغة في طول المكث (ثم ما أدراك ما يوم الدين)
تكرار لذكر هذا اليوم للتهويل ١

(سورة المطففين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٣٨

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ
وَابْتِهَا ٣٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَنَكَبُوتِ
وَهِيَ آخِرُ سُورَةِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ ٧ لَنِي حَسِينٍ ٨ وَمَا أَذْرَكَ مَا حَسِينٍ ٩ كِتَابَ
مَرْمُومٍ ١٠ وَعَلَى يَوْمَيْهِدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ١٢ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَنِيمٍ ١٣ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٤
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٥

(ويل) شدة عذاب . وقيل : هو واد
في جهنم (المطففين) الذين يخسون الناس في
الكيل والوزن ؛ يفسره ما بعده (الذين إذا
اكتالوا على الناس) أى كالوا منهم لأنفسهم
(يستوفون) ما يكيلونه (وإذا كالوهم) أى
كالوا لهم (يخسرون) ينقصون . والتطفيف
في الكيل والوزن : من أسوأ الأخلاق
المسقة للرواة ، المساحة للحنات ، المسقة
للإيمان ، يقول الله تعالى «إن الله يأمركم أن
تؤدوا الأمانات إلى أهلها» وقد صار للمشتري
منك أمانة عندك ؛ وهى أن تؤدى له ما اشتراه
كاملا غير منقوص . وصار للبائع لك أيضاً
أمانة لديك ؛ وهى أن تؤدى له ثمنه كاملا ،
ولستوفى حقه منه بغير زيادة . فارع الله أيها
المؤمن في دينك ، واخش مولاك من فوقك ؛
هذا وقد كان قديما المصريين يقطعون بين
مطفف الكيل والميزان (ألا يظن أولئك)
المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) هو يوم
القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب
العالمين) انتظاراً لثوابه ، أو عقابه (كلا)
أى ليس الأمر كما يظنون ؛ من أنهم غير
مبعوثين ، ولا معذنين ؛ بل (إن كتاب
الفجار) صف أعمال الكفار والمطففين (لنى
سجين) واد في جهنم . وقيل : لانه ديوان
النار ؛ أمر الله تعالى أن تدون فيه أعمال

الكفرة الفجرة ١ (وما أدراك ما سجين) تهويل لفأنه (كتاب مرموم) مسطور ؛ بين الكتابة
(ويل يومئذ للمكذبين) الكافرين (الذين يكذبون يوم الدين) يوم الجزاء (وما يكذب به إلا كل معتد
متجاوز للحد (أنهم) مرتكب للآثم (أساطير الأولين) أكاذيبهم (كلا) ردع وزجر عن قولهم ذلك (بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطت على قلوبهم ذنوبهم ؛ حتى حجبها عن الفهم ؛ فقالوا ما قالوا ،
وفعلوا ما فعلوا

(كلا) أى حقا (لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى إن الكفار لمحجوبون من رحمة الله تعالى ومغفرة يوم القيامة (ثم لأنهم لصالوا الجحيم) أى لداخلوا النار (كلا إن كتاب الأبرار) صف أعمالهم . والأبرار: هم الذين يعملون البر ، ويتصفون به (لنى عليين) أعلى الجنات . أو هو ديوان الخير ؛ كما أنت سجين

ديوان الشر (كتاب مرقوم) مختوم (يشهده المقربون) أى يرونه رأى العين ؛ أو أريد بالمقربين : الملائكة (على الأرائك) على الأسرة (ينظرون) ينظر بعضهم لك بعض سرورا ، أو ينظرون مقتبطين لك ما اختصهم به ربهم من نعيم مقيم ! (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة النعم ! (يسقون من رحيق الرحيق) اسم من أسماء الخمر ، وهو صفوها . والرحيق أيضاً : الشراب الخالص ؛ الذى لا غش فيه (خامه مسك) أى مختومة أوانيه بالمسك ؛ مكان الطين الذى كانوا يجتمعون به أوعية الخمر (وفى ذلك) أى فيما تقدم من النعيم والكرم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون ، وليتسابق المتسابقون ؛ بالمسارعة إلى الخيرات ، والالتناء عن السيئات ! (ومزاجه) أى ما يمزج به ذلك الشراب (من تسنيم) التسنيم : مصدر ستمه ؛ إذا رفعه ، والمعنى : أن الخمر تمزج بأرفع شراب فى الجنة (إن الذين أجمعوا) من الكفار (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) استهزاء (ولذا مروا بهم يتغامزون) عليهم ؛ سخرية منهم (ولذا اقبلوا إلى أهلهم) رجعوا إلى أهلهم فى الدنيا (اقلبوا فكهم) ضاحكين ، ساخرين من المؤمنين (ولذا رأوهم) أى إذا رأى المجرمون المؤمنين (قالوا) عنهم (إن هؤلاء) الناس (لضالون) نسبو إليهم الضلال وهو لاصق بهم . قال تعالى (وما أرسلوا عليهم) أى ما أرسل الكفار على المؤمنين (حافظين) لأعمالهم ؛ فيردونهم إلى صلاحهم ، ويمنعونهم عن ضلالهم الذى يزعمونه

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ بَشَّهْدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانُوا مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى
الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ نُؤَبِّدُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾

(٨٤) سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ٢٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْفِقَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ②
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدَمًا مَّا تَلْقَاهُ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كُتُبُهُ
بِيمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يَحْصِي حِسَابًا يَسِيرًا ⑧
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كُتُبُهُ

وَرَاءَ

(فاليوم) يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار
يضحكون) كما ضحك الكفار منهم في الدنيا
(على الأرائك) السرر (هل نؤبد الكفار
ما كانوا يفعلون) أي هل جوزوا في الآخرة
بسخرتهم بالمؤمنين في الدنيا .

(سورة الانشقاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت وتقطعت يوم
القيامة (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت ؟
حين أراد انشقاقها (وحقت) أي وحق لها
أن تمثّل لأمر خالقها ؛ إذ هو مدبرها ومالكها
(وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باتدكك
جبالها «لا ترى فيها عوجا ولا أمثا» (وألقت
ما فيها) أي ورمت ما في جوفها من الأموات ،
والأموال ، والكنوز (وتخلت) عن حفظه
في بطنها (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت
(يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدما
فلاقيه) أي إنك جامد ومجد بأعمالك التي

عاقبتها الموت حتا ؛ فتساق بملك هذا إلى ربك فلاحيم ؛ فيكائنك عليه ؛ إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر
«ووجد الله عنده نوفاه حسابه» (فأما من أُوِّيَ كتابه يمينه) وهو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)
سهلا أينا ؛ يجازى على حسناته ، ويتجاوز عن سيئاته (ويقلب إلى أهله) إلى عشيرته المؤمنين ، أو إلى أهله
من المحور العين (مسرورا) بما لاقاه من الإكرام والتكريم ، وعفو البر التواب الرحيم !

(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) وهو الكافر. وقيل: نفل يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره؛ فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) الثبور: الهلاك. أى يتمنى الهلاك (ويصل سعيماً) يدخل جهنم (إنه كان في أهله مسروراً) أى كان في الدنيا لاهياً لأعباء. قال تعالى «وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين» (إنه ظن) يتقن. والظن - في القرآن الكريم - يأتى دائماً بمعنى اليقين؛ إلا في بضع مواضع - يقتضيهام مقام الكلام - فإنها جاءت بمعنى الشك كقوله تعالى «إن نظن إلا ظناً»

«إن لم إلا يظنون» (أن لن يحور) لن يرجع (بلى) سيرجع (إن ربه كان به) وبأعماله (بصيراً) فيأخذ به (فلا أقسم) أى أقسم (بالشفق) وهو الحمرة التي تشاهد في الأفق بعد الغروب. وعند الرجاء: إنه النهار (والليل وما وسق) أى وما جمع وض؛ لأن ما انتشر بالنهار: يجمع بالليل؛ حتى أت جناحيك اللذين تمدهما إلى العمل بالنهار: تضمهما إلى جنبيك للراحة بالليل. والليل يضم الأفراخ إلى أمهاتها، والسائمات إلى مناخها، والإنسان إلى فراشه. وبالجملة فإن كل ما نفعه النهار بالحركة؛ يجمعه الليل ويضمه بالسكون (والقمر إذا اتسق) إذا اجتمع وتم (لتركن طبقاً عن طبق) أى لتركن حالة بعد حالة؛ على أن الحالة الثانية تطابق الحالة الأولى. أى ستعودون بعد الموت إلى حياة أخرى شبيهة بحياتكم هذه، مطابقة لها من حيث الحس والإدراك، واللذة والإلم. أى أنها حياة حقيقية، وإن خالفت في بعض شؤونها هذه الحياة (فالهم) رغم هذه الدلالات (لا يؤمنون) بربههم (ولذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى لا يخضعون لأوامره تعالى ونواهي؛ لأن السجود أصلاً معناه الخضوع. وبه سمي السجود في الصلاة؛ لما فيه من التلة والخضوع؛ في بوضع الرأس - وهي أشرف الأعضاء - في

موضع القدم؛ وهي أخسها (بل الذين كفروا يكذبون) دائماً بآيات الله تعالى ورسله (واة أعلم بما يوعون) بما يضمرون من الكفر والحقده على المسلمين (إلا الذين آمنوا) بالله وكتبه ورسله (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها، وحثهم عليها (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع، أو «غير ممنون» عليهم به.

(سورة البروج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسما ذات البروج) ذات الكواكب والنجوم (واليوم الموعود) يوم القيامة؛ الذي وعد الله به المؤمنين، وأوعده الكافرين

٧٤١

سورة البروج

وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۚ وَيَصَلَّىٰ
سَعِيرًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مُّسْرُورًا ۚ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن
لَّنْ يُحْجَرَ ۚ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۚ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ۚ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۚ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۚ
لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۚ فَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۚ بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۚ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ

(٨٥) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَيُّهَا ٢٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّمُسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۚ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۚ

(وشاهد ومشهود) قيل: الشاهد: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، والمشهود: يوم القيامة . أو الشاهد:

الجزء الثلاثون

٧٤٢

أمة محمد ، والمشهود : سائر الأمم . أو
الحفظة وبنو آدم (قتل) لمن (أصحاب
الأخدود) وهم قوم كانوا يشقون في الأرض
شقاً ؛ فيوقدون فيه نارا يطرحون فيها كل
من آمن بنبيهم (النار ذات الوقود) بيان
للأخدود (إذ هم عليها قعود) أى جلوس
حول النار ؛ يتشقون في المؤمنين بأحراقهم
فيها (وم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)
أى حضور : ناظرون لهم ، فرحون بتمزيقهم
وليلاهم (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله
العزيز الحميد) أى وما كان سبب انتقامهم
هنا ؛ سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد
(إن الذين فتنوا المؤمنين) أى ابتلواهم بالأذى
(ثم لم يتوبوا) عن إلقاء المؤمنين (إن بطش
ربك لشديد) البطش : الأخذ بمنف وقسوة ؛
فاذا ما وصف بالشدة ؛ فقد تضاعف وتزايد
(إنه هو يبدئ ويبعث) أى يخلق الخلق ابتداء ،
وبيعدهم بعد الموت عند بعثهم . وقيل :
«يبدئ» المذاب على الكفار ، ويعيده عليهم
(وهو الغفور) لن تاب (الودود) الذى يبذل
وده لأوليائه . وناهيك بود الغفور الودود ؛
(ذو العرش) صاحب الظلمة والسلطات
(المجيد) ذو الجدة ؛ المستحق لسائر صفات
العلو (فقال لما يريد) لا يعجزه شيء (هل
أتاك) يا محمد (حديث الجنود) نبؤم وما تم في

أمرهم . وهم (فرعون وثمود) وقد كانوا أشد بأساً ، وأقوى مراساً ؛ من بأس قومك وشذتهم ؛ وقد
أخذهم الله تعالى بذنوبهم (بل الذين كفروا) في سائر الحالات ، وكل الأوقات (في تكذيب) لما جاء به
الرسول ، ونزلت به الكتب

من

وَشَٰهِدٌ وَمَشْهُودٌ ۖ قِيلَ أَتَسْتَبُ الْأَخْدُودُ ۚ
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۚ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۚ وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۚ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَٰهِدٌ ۚ
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَشُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۚ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۚ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ۚ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ۚ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۚ فَعَالٌ لِّمَا
يُرِيدُ ۚ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۚ فِرْعَوْنُ
وَتَمُودُ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۚ وَاللَّهُ

(واثق من ورائهم بحيط) قادر عليهم ، وعالم بأحوالهم (بل هو) أى بل المكذب به (قرآن مجيد) عزيز ، شريف (في لوح محفوظ) اللوح المحفوظ : شئ أخبرنا الله تعالى به ، ولم يعرفنا حقيقته وكنهه . وأما دعوى أنه جرم مخصوص ، بفئات مخصوصة - كما أورده بعضهم - فهذا ما لم يثبت بالتواتر عن المصوم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . واللوح المحفوظ : مدون فيه ما كان ، وما يكون ؛ في كفوتنا هذا ؛ بل في سائر الأكران التي خلقها الله تعالى ؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة . وهو قابل للمحو والإثبات ؛ عدا أم الكتاب فإن ما فيه لا يقبل محواً ولا إثباتاً .

سورة الطارق

٧٤٣

ومثل اللوح المحفوظ؛ كمثل القانون العام الذي يصدره الملك ؛ ويذكر فيه كل ما يريده من الأنظمة المنظمة للملك ، الصالحة لرعيته : لذا كان القرآن الكريم بعض ما تدون في اللوح «لأنه لقرآن كريم ، في لوح محفوظ» والقرآن الكريم بعض ماتاوله المحو والإثبات في اللوح المحفوظ «مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» فالنسخ والإثبات : محو ، وإثبات بخير - ممانسخ أو أنسى - أو مثله : إثبات ؛ وكل ذلك بأمر العزيز الجليل ! وكل لإنسان يولد : يكتب في اللوح المحفوظ رزقه ، وأجله ، وسعادته أو شقاوته ؛ في هذه الحياة . وجميع ذلك خاضع للمحو والإثبات . فن وصل رحمه : اتسع رزقه ، وطال أجله ؛ كنس الحديث الشريف . ومن تصدق : رفع من ديوان الأشقياء وكتب في ديوان السعداء . وقد ورد في الحديث عن سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل النار : فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل الجنة : فيدخلها» . وظاهر الحديث : أن الإنسان ليعمل السيئة ؛ فيقذف به

في النار - وقد قضى حياته في موجبات النعم - وأنه ليعمل الحسنة ؛ فيرفق إلى الجنة - وقد قضى حياته في موجبات الجحيم ! أما أم الكتاب : فهو علم الله الأزلي الأقدس ؛ الذي لا يعتبره تبديل ولا تنفيذ ، ولا يلحقه محو ولا إثبات ؛ ولا يعلم عليه ملك ولا رسول ! فسبحان من أحاط علمه بالكائنات ، وتزه عن صفات المخلوقات ، وتفرّد بالملك والملكوت ! وقيل : إن اللوح المحفوظ : هو أم الكتاب (انظر آية ٣٩ من سورة الرعد) .

(سورة الطارق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسواء والطارق) وهو النجم . وأصل «الطارق» كل أت ليلاً (وما أدراك ما الطارق) =

مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢﴾
فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٣﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكْتَبَةٌ
وَأَيَّاهَا ١٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّا وَدَقِقٍ ﴿٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنْهَى عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادَرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يُبْلَى السَّرَّارُ ﴿٩﴾ قَسَاهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالنَّازِلِ ﴿١٤﴾

تهويل لذكره ، وتعظيم لشأنه (النجم الثاقب) الذى يثقب الظلام بضوئه (إن كل نفس لما عليها حافظ) أى ما كل نفس إلا عليها حافظ - من قبل الله تعالى - يحفظ عملها ، ويمص عليها ما تكسب من خير أو شر ؛ كما فى قوله تعالى « وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » وقوله تعالى « ورسول عليكم حطة » أو أريد بالحافظ : الله تعالى « فإله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » (فلينظر الإنسان) نظر تقدير واستبصار (مم خلق) من أى شيء خلق ؟ فعلام التكبر ، وحاتم التجبر ؟ ! (خلق من ماء دافق) وهو المني ؛ لأن الله تعالى جلت قدرته

الجزء الثلاثون

٧٤٤

جلته يتدفق من الرجل بقوة ؛ ليصل إلى بوق الرحم (يخرج من بين الصلب والترائب) الصلب : فقار الظهر ؛ وهو ما تعبر عنه العامة بسلسلة الظهر . والترائب : عظام الصدر . والجنين يتخلق من صلب الرجل ، وترائب المرأة . وهناك رأى يقول بأنه يتخلق من صلب الرجل وترائبه أيضاً (إنه) تعالى ؛ وقد خلق المني ، والصلب ، والترائب ، والرجل والمرأة (على رجسه) على إعادة الانسان ، وبشته ، وجعله كما كان (لقادر) يوم القيامة (يوم تبلى السرائر) تكشف سراير بني آدم ، ويعرف ما بهامن العقائد والنيات . أما الأعمال : فهي مدونة مكتوبة (فإله من قوة) تدفع عنه العذاب (ولا ناصر) ينصره من الله ، ويمجبه من عذابه (والسما ذات الرجس) الرجس : الماء . أى والسما ذات المطر (والأرض ذات الصدع) أى ذات النبات ؛ لأنه يصدع الأرض ، أى يشقها . أقسم تعالى بالسما التى تفيض عليكم بمائها ، وبالأرض التى تقيم معاشكم بنباتها . وجواب القسم (إنه لقول فصل) أى إن هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) ما هو باللب والباطل ؛ بل هو جد كله ؛ فقدير بقارته وسامعه أن ينظ به ، ويفكر فيه ، ويتدبر فى معانيه

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُودًا ۝

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ١٩ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى ۝
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَنْعَجَ الْمَرْمَى ۝
بَعَثَهُ غَتَاةً أَحْوَى ۝ سَنَفَرُكَ فَلَا تَنسَى ۝
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۝ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَتَبَسَّرَكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلُ الْأَنْفَارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝

قَدْ

(إنهم يكيدون كيداً) يعملون المكائد ؛ لإطال أمر الله تعالى ، وتعطيل دينه (وأكيد كيداً) أى وأجازيهم على كيدهم هذا بكيد مثله . وأين كيدهم من كيدى ؟ ! (فإله الكافرين أهلهم رويداً) أى لا تستعجل هلاكهم ومواختهم ؛ وأهلهم قليلاً . وهذا منتهى الوعيد !

(سورة الأعلى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) أى نزهه عملاً يليق به (الذى خلق) سائر المخلوقات (فسبحى) ما خلقه ، =

وأخرجه على أحسن نظام يصلح له ، وفي خير حالة أعد لها (والذي قدر فهدى) أى الذى «قدر» فى كل شيء من المزاي والحواص : مانعز عن إدراكه الأفهام ، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما فيه ! فلو تأملت ما فى النبات من الحواص ، وما فى المعادن من المزاي ؛ وكيف اهتدى الإنسان للانتفاع بها ، وكيف استطاع أن يستنبط من الحيوان والنبات : مادة لغذائه ، وبما تخرجه الأرض : مادة لدوائه ، وبما فى باطنها من المعادن والفترات : مادة لحياته ؛ فلو لا ما وفق إليه من تحويل الحديد إلى أسلحة وأدوات ؛ لما استطاع أن يبني الدور ، أو يشيد القصور ، أو ينشئ المصانع ، ويصنع المدافع ، ويبني الأساطيل الجوية والبحرية ؛ التى يحصى بها الدمار ، ويذود بها عن الديار ؛ لكانت لك تأملت جميع ذلك بعين التفكير والاستبصار ؛ لعلمت أنه لولا تقديره تعالى لحقيقته ، وهدايته لبريته : لكننا نهم فى دجاير الظلام ، كسائر الأنعام ! (والذى أخرج المرعى) أثبت ما ترعاه الدواب من الكلام (فعله غشاء) أى هشياً يابساً (أحوى) أسود . ولا يغنى ما فى المرعى من المنفعة ؛ بعد صيرورته هشياً يابساً ؛ فإنه يكون طعاماً هشاً ، نافعاً لكثير من الحيوانات ؛ مسمن لها ، مدر لألبانها . فسبحان من أحكم كل شيء ، و «قدر فهدى» (سفرئك) يا محمد (فلا تنسى) أى سنزل عليك كتاباً تقرؤه على أمتك ، ولا تنسى منه شيئاً . إن علينا جمعه وقرآنه (إلا ما شاء الله) نسغه من القرآن ؛ فإنه ينسبك إياه ؛ كقوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها» (ونيسرك للبسرى) أى نهديك ونوفقك للشرعة السخة ؛ التى يسهل على النفوس قبولها ، وعلى العقول فهمها (فذكر إن نعمت الذكرى) أى عظم الناس ؛ حيث تنفع العظة . وقيل : العظة واجبة ؛ نعمت أو لم تنفع . وهو قول باطل ؛ لأنه من الحق والحرق أن تعظم أقواماً

وأنت على تمام اليقين من أنهم لن يقبلونها . وإنما يجب التذكير : إذا كان فيهم من يقبلها ، ومنهم من يرفضها ؛ ويؤيده ما بعده (سيدكر من يخفى) الله تعالى ؛ ويخاف عقابه (وتجنبها) يرفضها ، ولا يسمعها ، وإن سمعها لا يعمل بها (الأشقى) الكافر ؛ الذى هو أشقى المخلوقات ؛ بما سينزل عليه من العذاب والبلاء (الذى يصلى النار الكبرى) وهى جهنم . أما النار الصغرى : فهى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) كما مات فى الدنيا واستراح (ولا يحيا) أى ولا تتوفر له أسباب الحياة ؛ لأن من دأب النار الإمامة والإفناء ؛ بمعنى أنه لا يحيا حياة طيبة من غير الاحتراق ، الذى هو من أسباب الموت (قد أفلح من تزكى) ظهر من الكفر بالإيمان ، ومن المعاصى بالطاعة . أو هو بمعنى تصدق (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه =

سورة الفاتحة

٧٤٥

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝
إِنَّ هَذَا لَآلِى الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝

(٨٨) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ بِمَكِّيَّةٍ

وَأَيُّهَا ٢٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الدَّرَجَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَبِيبُ الْفَتَنِ ۝ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
عَاقِبَةٍ ۝ لَيْسَ لَمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يَسْمِنُ
وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ ۝
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا

= (فصل) الصلاة المكتوبة ؛ أو بمعنى : فرحم الفقير ؛ لأن من معاني الصلاة : الرحمة «هو الذي يصل عليك» أى يرحمك (بل تؤثرون الحياة الدنيا) تفضلونها . ومعنى ما تقدم : قد أفلح من تصدق ، وتذكر ربه فرحم الفقير ؛ بل أنتم تفضلون الحياة الدنيا فتبخلون (والآخرة) وما فيها من النعم (خير) من الدنيا وما فيها (وأبقى) لدوام نعيمها . أما ماترونه من نعيم الدنيا ؛ فإنه صائر إلى الزوال والفناء (إن هذا) أى ما تقدم من النصح الرباني ، والإرشاد ، والتذكير ، والتحذير (لني الصحف الأولى) التي نزلت قبل

الجزء الثلاثون

٧٤٦

القرآن (صحف إبراهيم وموسى) وذلك لأن التحذير من النار ، والبشير بالجنة ، والتعريف بالله تعالى ، والدعوة إلى الإيمان به ، والمحث على طاعته ؛ كل ذلك وارد في كتب الله ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

(سورة الفاشية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أذاك حديث الفاشية) الداهية التي تنقش الناس بأهوالها وشدائدتها ؛ يعني يوم القيامة . أو هي النار ؛ كقوله تعالى «وتنقى وجوههم النار» والمعنى : هل علمت يا محمد حديث الفاشية ؟ فإن لم تكن تعلم ؛ فهناك حديثها ، وحديثها (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) أى وقع منها في الدنيا عمل ، وأصاها فيه نصب ؛ أى تب . وقيل : لأنها تعمل ما تنصب فيه يوم القيامة : تكوض النار ، وجر السلاسل والأصفاد ، ونحو ذلك . والأول أولى ؛ لمقابلته مع قوله تعالى في وصف أهل الجنة «لسميها راضية» أى لأعمالها في الدنيا (تسبي من عين آنية) أى شديدة الحرارة ؛ من آني الحميم : إذا انتهى حره ؛ فهو آن (ضريع) الضريع : مشوك ردى ، ترعاه الإبل ؛ فتسوء حالها . ويسمى

لَفْئَةٍ ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝
وَأَكْرَابٌ مَوْضُوءَةٌ ۝ وَنَحَارٌ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزُرَّابٍ
مَبْنُوءَةٌ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝
وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ۝ وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ
لَا تَحْسَبُ أَنَّ مَذَكَّرَ ۝ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُعْظِظٍ ۝ إِلَّا
مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝

(٨٩) سورة الفجر مكتترة

وآياتها ٣٠ نزلت بعد الدليلين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝

وَاللَّيْلِ

الشرق . و (وجوه يومئذ ناعمة) حسنة منعمة ؛ ذات بهجة (لسميها راضية) لعملها في الدنيا فرحة ، مطمئنة لما رأتها من ثوابه (في جنة عالية) بستان مرتفع . والو هنا : حساً ومعنى (لا تسمع فيها لاغية) أى لا تسمع فيها لغواً ، ولا شتاً ، ولا سباً (فيها سرر مرفوعة) ليرى الجالس عليها ما خوله ربه من النعم ، والملك العظيم . وهي مرفوعة قدرأ وعلا (ونحار) وسائد . وهو ما يسمى بالسند والمخدة (وزرابي) بسط فاخرة منقوشة (مبنوءة) مبسوطة (أفلا ينظرون) نظر تأمل واعتبار (إلى الإبل كيف خلقت) على هذا النحو العجيب ، والوضع الغريب ! فانظر - يارعاك الله - كيف أنها تبرك ؛ ليستطيع الإنسان أن يضع عليها حمولتها عن قرب ، ثم تقوم بما تحمل ، بما ينوء بالعصبة أولى القوة . ثم تميزها بالصبر على الجوع =

= والطنش الأيام المندودات ، ثم بلوغها المسافات الطويلة . ثم اكتفاؤها من المرمى بما لا يكاد يراه سائر البهائم . إلى غير ذلك من استعدادها الخلقى التى يساعدها : فشققتها مشقوقة لسهولة تناول الكل أثناء المشى ، ورجلها مفرطحة لثلا تقوص فى الرمال فيعوقها ذلك عن السير . فتبارك الذى أحسن كل شئ خلقه !

وقد خص الله تعالى «الإبل» بالذكر : لأنها أفضل دواب العرب ، وأكثرها فعملاً (وللى السماء كيف رفعت) من غير عمد (وللى الجبال كيف نصبت) قبضها قائم ، وبعضها منحدر ، وبعضها كبير ، وبعضها صغير ؛ وما خفى منها فى باطن الأرض أكبر مما

٧٤٧

سورة النجر

ظهر . قال تعالى «والجبال أوتاداً» وكل ذلك لحفظ توازن الأرض - أثناء دوراتها - لثلا تميد بكم (وللى الأرض كيف سطحت) بسطت رأى العين ؛ ولو أنها فى واقع الأمر كرية الشكل . وما قد وضعت الأدلة ، وقامت البراهين - حتى بلغت حد اليقين - على وجود رب العالمين ! (فذكر) هؤلاء الكفار ؛ بصنع العزيز الجبار ، وبأنعمه تعالى عليهم ، ووضوح أدلة وجوده وجوده ! (إنما أنت مذكر) فلا عليك أنت يهتدوا (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط (إلا من تولى وكفر) فلا داعى لتذكيره . قال تعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» «فذكر إن نفع الذكرى» أما «من تولى وكفر» وطفى واستكبر ؛ فيقابل باللسان لا باللسان ! وبعد ذلك يرد إلى يوم القيامة (فيعذب الله العذاب الأكبر) فى النار وبئس القرار ؛ بعد أن يلقى العذاب الأصغر فى الدنيا ؛ بالقتل ، والأسر ، والذل ، وعذاب القبر (إن إلينا إياهم) مرجعهم جميعاً (ثم إن علينا حسابهم) جزاءهم على ما فعلوه فى دنياهم .

(سورة الفجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَنسَرُ ۝ ١ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ جَمْرِ ۝
الرَّ تَرَكَيْتَ فَعَلَّ رَبُّكَ يَعَادُ ۝ ٢ إِمَّ ذَاتَ الْعِمَادِ ۝
أَنِّي لَأَمْلِكُ مِثْلَهَا فِي الْيَلْدِ ۝ ٣ وَنَعْمَ الَّذِينَ جَاءُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ ٤ وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ ٥ الَّذِينَ
طَفَعُوا فِي الْيَلْدِ ۝ ٦ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ ٧
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ ٨ إِنَّ رَبَّكَ
لَبَاسِرٌ صَادٍ ۝ ٩ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذْ مَا أَبْتَلَاهُ رَبُّهُ
فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ ١٠ وَأَمَّا إِذَا
مَا أَبْتَلَاهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝ ١١
كَلَّا بَلْ لَّا تَكْرَهُونَ الْيَتِيمَ ۝ ١٢ وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَىٰ
طَعَامِ الْيَتِيمِ ۝ ١٣ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاكُ أَكْلًا لَّمًّا ۝ ١٤
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ ١٥ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ۝ ١٦ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ ١٧

(والفجر) أقسم سبحانه وتعالى بالفجر ؛ لما فيه من خشوع القلب ، لحضرة الرب . وقيل : أريد بالفجر : النهار كله (وليسال عشر) مى عشر ذى الحجة ؛ أقسم بها تعالى : لما يكتنفها من عبادات ، ومناسك ، وقربات وقيل : مى العشر الأواخر من رمضان (والشفع والوتر) أى الزوج والقرء ؛ كأنه تعالى أقسم بكل شئ ؛ لأن سائر الأشياء : إما زوجا ، وإما فرداً . أو هو قسم بالخلق والخالق (والليل إذا يسر) إذا مضى . قيل : مى ليلة المزدلفة ؛ لاجتماع الحجيج بها ، وصلاتهم فيها ، وقيامهم بمناسك حجهم (هل فى ذلك قسم لى حجر) الحجر : العقل ؛ لأنه يحجر صاحبه عما لا ينبغى . أى هل فى ذلك القسم الذى أقسمت به مقنع لى عقل ؟ (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) هم قوم هود عليه السلام . وهى عاد الأولى =

= (إرم) هو اسم لجد القيلة ، أو هو اسم قبيلة عاد نفسها (ذات العاد) وصف لإرم : التي هي قبيلة عاد ومعنى «ذات العاد» سكان الحيام ؛ لأنها تنصب بالعد . أو هو كناية عن القوة والشرف وقال قوم : إن «إرم» هي دمشق . وقال آخرون : إنها الإسكندرية . أما ما رواه المفسرون ؛ من أن «إرم» ذات العاد مدينة عظيمة : قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الباقوت والزبرجد ؛ فهو من أفاصيص اليهود وأساطيرهم (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أى لم يخلق مثل أهلها ؛ في القوة والبطش ، والحلقة (وتعود) قوم صالح عليه السلام (الذين جابوا الصخر بالواد) أى قطعوا المجازة ونحوها ، وانحدوها بيوتاً ؛ لقوله تعالى «وتحتون من الجبال بيوتاً» (وفرعون ذى الأوتاد) قيل : كانت له أوتاد يربط بها من يريد تعذيبه . وقيل : هو كناية عن كثرة الجنود ، وخيامهم التي يأوون إليها . وقيل «الأوتاد» المباني العظيمة ؛ كالأهرام ونحوها وقيل : غير ذلك (الذين طغوا في البلاد) نجبروا فيها ، وتكبروا على أهلها (فأكثروا فيها الفساد) أى أكثروا المعاصي وسفك الدماء (فصب عليهم ربك سوط عذاب) هو كناية عن شدة التعذيب (إن ربك للبالرصاد) أى لا يفوته شيء ؛ وسيجازى على سائر الأعمال : إن خيراً غير ، وإن شراً فشر (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) اختبره وامتنحه بالفني ومنه النعم (فأكرمه) بالمال والآل ، والعبال (فيقول ربى أكرمن) بما أعطاني من النعم التي أستحقها . ولم يعلم أنه ابتلاه له : أشكر أم يكفر ؟ (وأما إذا ما ابتلاه ربه) اختبره أيضاً وامتنحه بالفقر والفاقة (فقدر عليه رزقه) ضيق عليه عيشه (فيقول ربى أهان) بتضييقه على ، ولم يخطر بباله أنه ابتلاه له : أبصر أم يجمع ؟ ولم يعلم كلاماً أن التقدير قد يؤدي إلى كرامة الدارين ،

٧٤٨

الحزب الثلاثون

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَنَّةٍ يَوْمَئِذٍ بِجَنَّةٍ يَوْمَئِذٍ بِجَنَّةٍ
لَهُ الَّذِي يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ①
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ② وَلَا يُؤْتِي نَفَقَهُ أَحَدًا ③
يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ④ أَرْجَىٰ إِلَىٰ
رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ⑤ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ⑥
وَادْخُلِي جَنَّتِي ⑦

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ قِيَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④
أَلَمْ نَجْعَلِ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ هَكَاةٍ ⑤ يُقُولُ أَهْلَكَ مَا لَا

أَلْبَدَ ⑥

وأن التوسعة قد تقضى إلى خسرتها ؛ والمعنى : أن الإنسان على كلا الحالين لا تنهيه الآخرة ؛ بل جل همه العاجلة ؛ ويرى أن الهوان في قلة الحظ منها (كلا) ليس الإكرام والإهانة ؛ في كثرة المال وقتله ، وسعة العيش وتضييقه (بل لا تكرمون النبي) انتقل القرآن الكريم من بيان سوء أقوال الإنسان ؛ إلى بيان سوء أفعاله ، وإلى أن التوسعة - كما قدمنا - قد تؤدي إلى الخسران ؛ لذا لم يبق الموسع عليه بما يجب عليه : من إكرام النبي ، والحض على إطعام المسكين ، والقيام بكل الواجبات التي هو مسئول عنها ، مطالب بها ، محاسب عليها (ولا تهاضون) أى لا يحض بعضهم بعضاً (على طعام المسكين) أى على إطعامه كما طعمتم ، وإشباعه كما شبعتم (وتأكلون التراث) الميراث (أكلأ لسا) أكلأ ذلماً ؛ وهو الجمع بين الحلال والحرام =

كناية عن أنهم كانوا يأكلون أنصباءهم ، وأنصباء باقي الورثة . وهو أمر مشاهد في كل حين ، وعاقبته من أواخر العواقب . فكم رأينا مستكثراً : داهمه الفقر ، وظالمه الدهر ، وناهياً : صبر الله ماله من بعده نهياً لأعدائه (وتحبون المال حباً جماً) حباً كثيراً ؛ مع حرص ، وطمع ، وشرة ! (كلاً) ردع عن أكل التراث ، وعن حب المال ؛ فإذا يفيد أكل حقوق الغير ؟ عند دخول القبر ؟ وماذا يجدي حب المال ؟ عند المال ؟ وماذا يفيد النعم الزائل ؟ عند العذاب الدائم ؟ ماذا يفيد كل هذا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى تزلزلت زلزلاً شديداً متتابعاً ،

وتهدمت ؛ عند قيام الساعة (وجاء ربك) أى جاء أمره وقضاؤه ، وظهرت آيات عظمتها وقدرته (و) جاء (الملك صفاً صفاً) أى وجاءت الملائكة صفوفاً صفوفاً ؛ متتابعة : كما يصطف جنود الملك وحراسه : انتظاراً لأمره (وحى) يومئذ يجهن يومئذ يذكر الإنسان ما قدم وأخر ؛ ويعلم أنه مؤاخذ على ما أكل من حق ، وما حفظ من مال ، وما بخل به من طعام (وأنى له الذكرى) أى ومن أين يكون له الذكرى ؟ وماذا يجدي التذكر ؟ وماذا تفيد التوبة ؟ وقد فات أوانها ؟ (ويقول) حينئذ (يا ليتني قدمت) في الدنيا عملاً صالحاً ينفعني (لحياتي) الباقية الدائمة : حياة الخلود (فيومئذ لا يعبذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) هو كناية عن هول عذاب الله تعالى ، وشدة وثاقه ! (يا أيها النفس المطمئنة) الآمنة . يقال ذلك للمؤمنين : عند الموت ، أو عند البعث ، أو عند دخول الجنة (ارجعي إلى ربك) إلى رحمته ، ورضوانه ، ونعيمه الوافر ! (راضية) عن الله تعالى بما آتاك من نعم مقيم (مرضية) عنده ؛ بما عملت من صالح الأعمال (فادخلي في عبادي) أى في زمرة عبادي الصالحين . وقيل : الخطاب لروح المؤمن ؛ يؤيده قراءة من قرأ «فادخلي في

عبدي» أى في جسد عبدي (وادخلي جنتي) مع الداخلين ، من عبادي المؤمنين !

(سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم) أى أقسم (بهذا البلد) أقسم تعالى بالبلد الحرام ؛ وهو مكة شرفها الله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) ساكن بها . أو «حل» بمعنى حلال لك ما فيها : لك أن تقتل من ترى قتله ، وتأسير من ترى أسره ، وتعذب من ترى تعذيبه ، وتعفو عن من ترى العفو عنه ؛ ليس عليك من شيء في هذا . =

لُبْدًا ١ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٢ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٣ وَنَسْأَنَ وَشَفَقَيْنِ ٤ وَهَدَيْنَهُ النُّجْدَيْنِ ٥ فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ ٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ٧ فَكُ رَقَبَةً ٨ أَوْ اطَّعِمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ٩ يَتَّبِعُكَ ذَا مَقْرَبَةٍ ١٠ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَفْرَقَةٍ ١١ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٢ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٤ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ١٥

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَدَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ

= وكان ذلك يوم دخوله مكة - ولد أمر يومئذ بقتل ابن خطل ؛ وهو أخذ بأستار الكعبة ؛ وكان من أعداء الإسلام والمسلمين - ولم تحمل مكة لأحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

أو المراد بقول جل شأنه «لا أقسم» نفي القسم ؛ أى «لا أقسم» بها «وأنت حل» بها ؛ أى حلال . وذلك أن أهل مكة استحلوا إفاية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإخراجه منها (ووالد وما ولد) هو كل والد وولده ؛ من إنسان وحيوان وغيرهما (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في مشقة ومكابدة : فالفقير - في هذه

الحياة الدنيا - يكابد من آلامها وهو مهابا يكابد

٧٥٠

في سبيل نيل قوته ، وإدراك عيشه . والنفي يكابد فيها أيضاً في سبيل المحافظة على ماله ، والخوف على حياته . هذا غير ابتلاء الأغنياء بالمرض ، والأصحاء بالفقر ؛ وبذلك لا يكون على ظهر الأرض إنسان لم ينل حظه من الامتحان والابتلاء ، والمكابدة ١ (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لقوته ، وكثرة ماله (يقول أهلك ما لبدأ) كثيراً مجتمعا .

يقول ذلك على سبيل الفخر والرياء ، وهو على عادة الجاهلية ؛ من ادعاء الكرم والتظاهر به . وقيل : يفخر بأهلك ماله في سبيل عداوة محمد والمؤمنين (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق هذا المال في غير مواضعه ، وأنت الله تعالى لا يحاسبه عليه ، ولا يجازيه عنه (لم نجعل له عينين) يرى بهما (ولساناً وشفقتين) ينطق بهما (وهديناه النجدين) أوضحنا له طريق الخير ، وطريق الشر (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) فلا اقتحم العقبة) أى فهلا شكر تلك النعم الجليلة ؛ بأن عمل الأعمال الصالحة : مثل الإعتاق ، والإطعام ، وغير ذلك (وما أدراك ما العقبة) تعظيم شأنها (فك رقبة) إعتاق رقبة (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة ٩٢ من سورة النساء) (مسغبة) جماعة (أو مسكيناً ذا متربة) هو الفقير الشديد

الفقر ، اللاصق بالتراب (وتواصوا بالصبر) أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على المصائب ، والشدائد ، ونوائب الدهر ، وتواصوا أيضاً بالصبر على طاعة الله تعالى ، وعن محارمه (وتواصوا بالرحمة) بالترحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الجنة) أولئك هم السعداء يوم القيامة وهم من المؤمنين ، أو من الذين : بمعنى البركة (أصحاب المشأمة) وهم الأشقياء يوم القيامة . وهم من المشركين ، أو من المشركين (عليهم نار مؤسدة) أى مطبقة عليهم ومنقلة ؛ من أسد الباب : إذا أغلقه .

إِذَا جَلَّئَهَا ۖ وَأَتَّبِلَ إِذَا يَفْتَنُهَا ۖ وَالْأَسْمَاءُ
وَمَا يَدْنُهَا ۖ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَنُهَا ۖ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّيْنَاهَا ۖ فَالْقَمْعُ بِحُورٍهَا وَتَقَرُّبُهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّيْنَاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ۖ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَفْرِئَتِهَا ۖ إِذْ أَنْبَأَتْ أَشْقَيْنَاهَا ۖ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَيْنَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَلَمَّ دَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّيْنَاهَا ۖ وَلَا تَحَافَ
عُقْبَيْنَاهَا ۖ

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٢١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَتَّبِلَ إِذَا يَفْتَنُ ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۖ وَمَا خَلَقَ

الَّذِي

(والشمس وضحاها) أى وضوئها (والقمر إذا تلامها) إذا تبعها فى الطلوع والإناارة عند غروبها (والنهار إذا جلاها) أظهر الشمس تمام الظهور (والليل إذا يشاها) أى بستر الشمس ؛ فنظلم

الآفاق (والسماء وما بناها) أى والقادر العظيم

المبدع ؛ الذى بناها (والأرض وما طحاها) أى

والمدير الحكيم العليم ؛ الذى بسطها (ونفس

وما سواها) أى والمخالق الرازق المصور ؛

الذى سوى الإنسان ، وأخرجه فى أحسن تقويم .

ومن تمام التسوية : أن ركب تعالى فى النفس

قواها الظاهرة والباطنة ، وشد أسرها ،

وأمرها بما يصلحها ، ونهاها عما يضرها ،

ووهبها العقل الذى تميز به بين الخير والشر ،

والتقوى والفجور (فألهمها فجورها وتقواها)

أى عرفها طاعتها ومعصيتها ، وما ينجيها وما

يرديها ، وخلق فيها العقل والإدراك ؛ الذين

تميز بهما بين الفث والتمين ، والحسن والقيج .

(انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) أقسم

تعالى فى هذه السورة الكريمة : بالشمس ،

والقمر ، والنهار ، والليل ، والسماء ، والأرض

والنفس : ليلقت النظر إلى هذه الآيات الكونية

الدالة على وجود بارئها ، ومدير حركاتها

وسكناتها ؛ بهذا الوضع العجيب ، والنظام

الباهر (قد أفلح من زكاها) من طهر هذه

النفس ، وأصلحها ، وارتفع بها من مرتبة

الحيوانية (وقد خاب) خسر (من دساها)

التدسية : النقص والإخفاء ؛ كأنه تعالى يقول

لقد خلقت النفس ، وأعدتها بمعدات العلم

والفهم ؛ اللذين ينجيها من مهوى الجهالة ؛

ولم يبق لها بعد ذلك عذر : فمن طاول هواه ، وجاهر بمعصيته مولاه ؛ فقد نقص من عداد العقلاء ، والتحق

بالأغبياء الجهلاء ! وأراد ربك أن يضرب مثلاً لمن دساها ، وما كان من عاقبة أمره فى دنياه ؛

فضلاً عما أعده له ربه فى أخراه ؛ فقال (كذبت ثمود) قوم صالح عليه السلام (بطقواها) أى « كذبت

ثمود » فيها بسبب طغيانها وبغيها (إذا نبعث) قام واطلق (أشقاها) أشقى القبيلة ؛ حين قام لعقر الناقة

(فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) أى دعوا ناقة الله تعالى ؛ التى أرسلها لكم آية ،

ولا تمسوها بسوء (وسقيها) أى لا تمنعوها الشرب فى يوم شربها العذ لها « لها شرب ولكم شرب يوم

معالوم » (فدمدم عليهم ربهم) طعنهم ، وأهلكهم عن آخرهم (فسواها) أى فسوى ثمود فى العقوبة ؛ =

الَّذِ كَرَّ وَالْأُنثَى ١ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٢ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَآتَى ٣ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٤ فَسَنِيَرُهُ
لِلْبَيْتِ ٥ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٦ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ٧ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ٨ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ٩ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ١٠ وَإِنَّ
لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ١١ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ١٢
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٣ الَّذِ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٤
وَسَبَّحَنِيهَا الْأُنثَى ١٥ الَّذِ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ١٦
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١٧ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى ١٨ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ١٩

= فلم يفلت أحد . أو سواهما بالأرض : بأت دمر مساكنها على ساكنيها (ولا يخاف عقابها) أي ولا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم ؛ لأنه ليس كسائر الملوك ؛ فلا هو بالظالم : فيخيفه الحق ، ولا بالضعيف : فيلحقه المكروه . ولا ينقص ملكه طائفة منه ، بل لا ينقص ملكه هلاك سائر مخلوقاته !

(سورة الليل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المسرة الثلاثون

١٧٥٢

(والليل إذا يشئ) إذا غطى النهار بظلمته (والنهار إذا ينجي) إذا ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والأنثى) أي والقادر العظيم ؛ الذي خلق الذكر والأنثى .

أقسم تعالى بذاته - على هذه الصفة - إشعاراً بأنه جل شأنه الخالق المصور المبدع ؛ لأنه لا يعقل أن هذا التخاليف بين الذكر والأنثى ؛ يحصل بالاتفاق من طبيعة لا شعور لها بما تفعل ، ولا علم عندها بما يلزم ؛ إذ أثت الأجزاء الأصلية في المني متساوية التكوين : فالولد ينتج من عناصر واحدة ؛ لكنه يخرج تارة ذكراً ، وتارة أنثى ؛ بحيث لا يطنى أحدهما على الآخر . ومن أعجب العجب أن تكثر ولادة الذكرا ن عقيب الحروب والطواعين ، واجتياح الرجال ؛ وجميع ذلك يدل دلالة قاطعة على أن واضع هذا النظام : عالم بما يفعل ، محكم لما يصنع ؛ ولا عبرة بما يقوله الآن بعض المشتغلين بالطب : من أنهم سيستطيعون قريباً التحكم في الجنين ، وجعله كما يريدون ؛ فإن هذا من صنع مدبر الكون ؛ الذي «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور» (إت سمعكم لشيئ) أي إن عملكم يختلف : فنه النافع ، ومنه الضار ، ومنه النجى ، ومنه المردى ؛ ويضمره ما بعده (لما من أعطى) الفقراء بما وهب الله

(٩٣) سِوْرَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَجِي ١ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَى ٢ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ٣ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ٥
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ٧
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ٩
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١٠

(واتق) ربه ، وخاف سوء الحساب (وصدق بالحسن) آمِن بالثبوت الحسنى ؛ وهى الجنة . أو صدق بالكلمة الحسنى ؛ وهى لا إله إلا الله (فتسبى له يسرى) نهية للخصلة المؤدية لليسر ؛ وهى الأعمال الصالحة ؛ المؤدية للجنة ؛ فتكون الطاعة أسير شيء لديه (وأما من بخل) على عباد الله ، ولم يؤتهم ما أمر به الله (واستغنى) عن نوابه (وكذب بالحسنى) أى كذب بالجزاء الحسن ، مقابل الإحسان ، أو كذب بكلمة التوحيد (فتسبى له يسرى) نهية للخصلة المؤدية للسر والشدة ؛ وهى الأعمال السيئة ؛ المفضية إلى النار ؛ فتكون الطاعة أعسر شيء عليه . وسمى تعالى طريقة الخير يسرى : لأن عاقبتها اليسر . وطريقة الشر عسرى : لأن عاقبتها العسر (وما ينفى) ما يدفع (عنه ماله إذا تردى) أى إذا هلك ، وتردى في القبر ، أو إذا تردى =

== في جهنم . و «تردى» سقط (إن علينا للهدى) أى علينا أن نوضح طريق الهدى ، ونحث عليه ؛ ونبين طريق الضلال ، وننفر منه (وإن لنا للآخرة والأولى) نوفق في الأولى ، ونجزى في الآخرة ؛ ومن أراد الدنيا أو الآخرة من غيرنا ؛ فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم ناراً تلتظي) تطلب . أى لرحمتنا بكم ، وعلما بمصالحكم : أسدينا لكم النصح ؛ فأوضحنا لكم الهدى وما يؤدي إليه ، والضلال وما يؤدي إليه ؛ فأنذرناكم ناراً تلتظي (لا يصلاحها) لا يدخلها للخلود فيها (إلا الأشقي) الكافر ؛ الذى هو أشقى العصاة

(الذى كذب) النبي والقرآن (وتولى) أعرض عن الإيمان (وسيجنبها) لا يدخلها ، ولا يقربها (الأتقى) المؤمن الصالح ، التقى (الذى يؤتى ماله) الفقراء (يتزكى) يتطهر بذلك من دنس البخل ، أو متزكياً به عن الرياء والسمعة ؛ بل ييسله بأمر الله في سبيل مرضاته ! (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى يجزيه عليها باعطاء المال ، أو لا ينتظر جزاء من أحد (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) المعنى : أنه لا يعطى ما يعطى جزاء نعمة سابقة أسبغها عليه العطى له ، أو منتظراً جزاء لما يعطيه : كموض ، أو ثناء ؛ بل يفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى فحب (ولسوف يرضى) هو وعد من الله تعالى بارضاء من أرضى عبيده ! فمن أراد رضا الله تعالى ؛ فليرض مخلوقاته !

(سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) صدر النهار ؛ حين ترتفع الشمس (والليل إذا سجي) إذا سكن (ماودعك ربك) من الوداع ؛ أى ما تركك (وما قلى) وما أبفضك (والآخرة خير لك من الأولى) من الدنيا (ولسوف يظنيك ربك

فترضى) أى يظنيك في الآخرة من النعيم والثواب حتى ترضى . قيل : لما نزلت ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لا أَرْضَى وواحد من أمتي في النار» وقد يكون المعنى : لنهاية أمره ؛ خير من بدايته . يدل عليه ما بعده (ألم يجدك يتيماً فآوى) أى فأواك إلى عمك أى طالب ، وضمك إليه ، وجعلك أحب الناس لديه . فالإيواء خير من اليم ! (ووجدك ضالاً فهدى) أى وجدك بين أهل الضلال ، معرضاً له فمصمك منه ، وهداك للإيمان ، وإلى إرشادهم إليه . فاهدى خير من الضلال ! وقد نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم في عصر تفتت فيه عبادة الأوثان ، وانتشرت فيه اليهودية والنصرانية ؛ ورأى بعينه ما في هذه الأديان من أباطيل ، وما يستمسكون به من أضاليل ؛ فجاء الله تعالى من الوقوع في برأى الوثنية ، وعصمه من السقوط في وهاد==

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ
أَلَدَّىٰ أُنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۖ

(٩٥) سُورَةُ الشِّتْرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ وَالْآزْمِتُونَ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَٰذَا

= اليهودية والنصرانية . ورغمما غن ذلك فقد كان أهله وعشيرته - من آخرم - يبدون الأصنام ؛ وجدير بمن نشأ في عصر كله ضلال أن يكون ضالاً ؛ لولا أن أغاثه مولاه بنياته ، وأدركه بطفه وهدايته ! (ووجدك عائلاً) فقيراً (فأغنى) فأغناك بما أفاء عليك من الغنائم ، أو بمال خديجة رضى الله تعالى عنها . فالغنى خير من الفقر ! (فأما اليتيم فلا تقهر) أى فلا تقبله على ماله لضعفه . وقرئ « فلا تكهر » أى فلا تمس في وجهه وهذا لا ينال القيام على إصلاحه وتأديبه وتهذيبه ؛ إذ أن تركه وإماله : قهر له (وأما

اليتيم فلا تقهر)

٧٥٤

السائل فلا تقهر) أريد بالسائل هنا : من يسأل علماً وفيها ؛ فلا ينهر ، بل يجاب على سؤاله برفق ولين . أو سائل المال ؛ فلا يحبس عنه . وتركه بغير إعطاء - مع حاجته - نهر له . ولا يحل بحال أن يمنع عن سائل المال المال ، أو يحبس عن سائل العلم العلم ؛ وكل من سأل شيئاً : وجبت إجابته في حدود الإمكان . وإنه لمن دواعي سقوط المروءة : رد السائل . وقد كان من قبلنا يقف ببابه السائل : فيشاطره قوته وماله ؛ غير منتظر منه جزاء ولا شكوراً ؛ بل يسرع ببذل الشكر له على قبوله العطاء ؛ وتسببه في رضاء مولاه عليه ! (وأما بنعمة ربك فحدث) التحدث بنعمة الله تعالى : شكر هذه النعم ، والشكر على النعم : صرف كل نعمة فيما خلقت له ؛ فيصرف المال في الخيرات ، وبر المحلوقات ، وببذل العلم لطالبه ، لينفعوا به ، وينفعوا الغير بنشره وإذاعته !

(سورة الفرح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نفرح لك صدرك) بالإسلام وقيل : أريد به : شق صدره الشريف . وغسل قلبه بما زحمه ؛ كما ورد في الحديث الشريف (ووضعتنا عنك وزرك) الوزر : الحمل الثقيل . أى وحططنا عنك عباك الثقيل (الذى أقتضى ظهرك) أى أثقله ؛ وهو مثل لشدة تأله عليه الصلاة والسلام ، وتلهفه على إسلام قومه (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وبذكره صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد ، والأذات ، والإقامة (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من دعوة الخلق ؛ فاجتهد في عبادة الخالق ! والنصب : التعب (ولم يربك فارغب) أى فارغب إليه بالسؤال ، ولا تسأل غيره . وقرئ « فرغب » أى رغب الناس في طلب ما عند الله لأنه متحقق الوجود ، متحقق الإجابة !

الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿١﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ قَلَّ يُكْذَبُكَ بَعْدَ بِالدِّينِ ﴿٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ

وَأَمَّا ١٩ وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبَّارٍ قَتَلٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

رَبِّكَ

رَبِّكَ

(سورة التين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون وطور سينين) الطور : الجبل . وقصد به هنا : الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى و«سينين» و«سيناء» شجر . و«سينا» جبل بالشام . وقيل : «طور سيناء» جبل بين مصر والعقبة (وهذا البلد الأمين) مكة زادها الله تعالى علواً وشرفاً ! وسميت بالبلد الأمين : لأمان من يدخلها .

٧٥٥

سورة التين

قيل : إن في هذا تقسيم لتاريخ هذا العالم منذ نشأته ؛ إلى أربعة أقسام ؛ وأقسم بكل قسم منها : لأهميته في تاريخ البشر عامة ؛ فالتين : إشارة إلى القسم الذي بدأ من خروج آدم من الجنة إلى وقت الطوفان ؛ وذلك لأن آدم وحواء استترا - حين بدت لهما سوءاتهما - بورق التين . والزيتون : إشارة إلى القسم الذي بدأ من الطوفان إلى ظهور الأديان الحديثة ؛ يبعثه موسى عليه السلام ؛ وذلك لأن نوحاً عليه السلام - حينما استوت سفينه على الجودي - زرع شجرة الزيتون ؛ لفضائه منه ، وغذاء ناشيته من ورقه ، والاستضاءة بزيت . وطور سينين : إشارة إلى القسم الذي بدأ يبعثه موسى عليه السلام إلى ظهور الإسلام ، وبعث سيد الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ وذلك لأن موسى ناجى ربه وكلمه عليه . والبلد الأمين : إشارة إلى القسم الذي بدأ برسالة خاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى يوم تقوم الساعة ؛ وذلك لأن مكة عظمها الله تعالى : هي مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ومبعثه ، ومصدر الإسلام ومنبعه ، وفيها بيت الله الحرام وقبلة سائر المسلمين ا

رَبِّكَ الرَّحْمَنُ ١ أَرَبَّتِ اللَّيْلُ يَنْهَى ٢ عَبْدًا ٣ إِذَا صَلَّى ٤ أَرَبَّتِ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ٥ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ٦ أَرَبَّتِ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ٧ أَلَّا يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ٨ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَسَمَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ٩ نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ خَاطِئَةٍ ١٠ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١١ سَبِّحْهُ الرَّبَّانِيَّةُ ١٢ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَتَأْجِدُ ١٣ وَاتَّقِرْبُ ١٤

(٩٧) سُورَةُ التِّينِ الْمَكِّيَّةُ

وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣ تَنَزَّلُ

وفي الإقسام بالتين والزيتون : إعلاء لأشانهما ، ولفت لما فيهما من منافع تجل عن البيان والحصر . فالتين : مقول القلب والدم ، مسمن ، ملين ، وهو يقطع البواسير ، ويعالج الأمهاض الروماتيزمية ، ويدفع النقرس . والزيتون : مفتت للحصى ؛ مقول للصدر ، طارد للبلغم ؛ وهذا بعض من أياها ، وقل من كثر من منافعها . وقال بعضهم : المراد بالتين والزيتون : منابتهما . فالتين : دمشق . والزيتون : بيت المقدس . وقيل : «التين والزيتون» : إشارة إلى نبوة عيسى «وطور سينين» إشارة إلى نبوة موسى عليهما السلام . و«البلد الأمين» إشارة إلى نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) في أحسن تصوير ؛ حيث خلقه تعالى مستوى القامة ، متناسب الأعضاء ، متصفاً بالعلم والفهم (ثم رددناه أسفل سافلين) =

= أى حيث إله لم يشكر نعمة خلقنا له فى أحسن تقويم ، ولم يستعمل ما خصصناه به من الزايا فى طاعتنا ومرضاتنا : سترده فى أسفل سافلين ؛ وهى جهنم . نفوذ بالله تعالى منها . ويحتدل أن يكون المعنى : رددناه إلى الكبر والمهرم ؛ الذين لما مظهر الضعف والحرف . والمعنى الأول أدق ؛ لقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع ؛ وهو الجنة وليس بمقول أن يكون المعنى : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فلن يكبروا ، ولن يهرموا (فما يكذبك بعد الدين) الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات - أى فاسبب تكذيبك

الجزء الثلاثون

٧٥٦

بالبعث والجزاء ؛ بعد هذا التبيين ، وبعد وضوح الأدلة والبراهين ؟ (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى ليس الذى خلق التين والزيتون ، وكلم موسى على طور سينين ، وأنشأ البلد الأمين ، وخلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وجعل النعم والجحيم ؛ فأدخل المؤمن فى نعيمه ، وأصلى الكافر فى جحيمه ؛ أليس ذلك بأحكم الحاكمين : صنعا ، وتدبيراً ، وعدلاً ؟

(سورة العلق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) أى اقرأ مبتدئاً باسم ربك . صح فى الأخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عليه الملك جبريل - أول نزوله عليه - وقال له : «اقرأ» فقال : ما أنا بقارئ فأخذه فغطه - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له «اقرأ» قال : ما أنا بقارئ . فغطه الثانية - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له «اقرأ» قال : ما أنا بقارئ ، فغطه الثالثة - حتى بلغ منه الجهد - فقال «اقرأ باسم ربك الذى خلق» حتى بلغ «علم الإنسان ما لم يعلم» وهذا أول خطاب إلهى وجه إلى النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ أما بقية السورة فتأخر

الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝
سَلَّمَ مِنْ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِطْلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْكَرِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُفْهُاً مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ خَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ

الزبور (خلق الإنسان من علق) ديدان صغيرة ؛ يؤتده ما أنبئه العلم الحديث من احتواء المني على حيوانات صغيرة لا ترى إلا بالميكروسكوب (اقرأ وربك الأكرم) الذى لا يدان كرمه كرم ! (الذى علم بالقلم) أرشد ، ووفق إلى الكتابة به ؛ وفى هذا تنبيه على فضل علم الكتابة ؛ فسادت العلوم ، ولا ضبطت كتب الله تعالى المنزلة إلا بالكتابة ؛ ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا (علم الإنسان ما لم يعلم) أى علمه ما لم يكن يعلم ، أو علمه ما لا يستطيع علمه بقواه البشرية ؛ ولأنه من ينظر إلى الكهرياء ، واللاسلكى ، والرادار ، والصواريخ الموجهة ، والطائرات ، والقواصات ، وغير ذلك من خوارق الصناعات والمعلومات : يعلم حق العلم أن العقل البشرى - مهما سما وعلا - ما كان يستطيع أن يبلغ ما بلغ ؛ بغير إلهام =

= وتعلم من الله تعالى (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) (كلا إن الإنسان ليطغى) أى ليتجاوز الحد ؛ فتطمح نفسه إلى نيل ما لم ينل ، ويتطلع بصره إلى السماء ؛ متخطياً ما رسمه الله تعالى له في الكون ، خارجاً على سنن الطبيعة التي أوجدها الله ؛ راغباً بلوغ الكواكب ؛ وما هو ببالها ! (أن رآه استغنى) أى أنت رأى نفسه غنياً بالمال ، الذي رزقه الله ليتصدق به ، متسلحاً بالعلم ؛ الذي وهبه الله ليفيده ، ويستفيد منه (إن إلى ربك الرجوع) المرجع ؛ فيجازى الكافر على كفرانه ، والطاغى على طغيانه ! (أرأيت) أيها السامع ؛ وهى للتعجب في مواضعها الثلاثة من هذه السورة (الذي ينهى عبداً إذا صلى) كأنه تعالى يقول : ما أسخف عقل من يطفى به الكبر والكفر ؛ فينهى عبداً من عبيد الله تعالى عن صلاته ! قيل : إن أبا جهل قال في ملا من قرش : لئن رأيت عبداً يصلى لأطأن عنقه . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى مرة فألقوا عليه - حين سجد - سلا جزور ، وكثيراً ما كانوا يتعجبون صلاته ؛ فيخصونه بصنوف من الإيذاء ، وضروب من الإستهزاء ! (أرأيت إن كان هذا الصلى (على الهدى أو أمراً) الذي ينهاه (بالتقوى) أى أمره بإتقاء الله تعالى وخشيته فيما يفعله . وقيل : «أرأيت» ذلك النامى «إن كان على الهدى» فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان أمراً بالمعروف والنهى ؛ فيما يأمر به من عبادة الأوثان ؛ كما يتفقد (أرأيت إن كذب وتولى) أى إن كان على التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح (ألم يعلم بأن الله يرى) كل هذا فيجازه عليه (كلا لئن لم ينته) عما يفعله (لنسفهاً بالناسية) لناخذن بناسيته ، ولنسجته بها إلى النار . والناسية : شعر مقدم الرأس (ناسية كاذبة خاطئة) وصف الناسية بذلك مجازاً ، وأراد به صاحبها (فليدع ناديه) أى

٧٥٧

سورة الزلزاله

الْيَكْتَسِبَ وَالْمُسْكَرِينَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ① إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ② جَزَاءُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ حَقَّقَ رَبُّهُ ③

(٩٩) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ زَلَّزَلْنَا زَلَّزَلْنَا
وَأَيُّهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأُتْرِجَتِ الْأَرْضُ
أُتْرَاقًا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَاذَا ③ يَوْمَئِذٍ
تُخْبِتُ أَنْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ مَا ⑤ يَوْمَئِذٍ

ليدع أهل ناديه ؛ وهم خلانه وأصدقاؤه ؛ الذين يجلسون معه في ناديه ؛ وكان - في دنياه - يترقب قوتهم ، ويتناول بشوكتهم . والنادى والندى : المجلس الذي يجلس فيه القوم ؛ ويسمع بعضهم فيه نداء بعض . والمعنى : ليدع اليوم من كان يستنصر بهم في الدنيا ؛ فإنهم لن يستجيبوا لدعائه ، ولا لندائه ، ولن يسموه ، وإن سموه فلن يستطيعوا نصرته ! (ستدع الزبانية) ملائكة العذاب ؛ فنقول لهم : «خذوه فقلوه» ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً فأسلكوه» و «الزبانية» الشرطه ؛ أطلقت على ملائكة العذاب ؛ لأن الشرطه يدفعون بالجرمين إلى السجون ، وملائكة العذاب يدفعون بالكافرين إلى النار (كلا) ردع وزجر لذلك الطاغى : النامى عن الصلاة ، وعن عبادة الله وردع عن طاعته واتباعه =

= (لأنهم) في ترك الصلاة (واسجد) لله ؛ وداوم عليها (واقرب) وتقرب إلى ربك بالسجود ؛ فإن
«أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد» ا

(سورة القدر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المسرة الثلاث

٧٥٨

يَصْنَعُ النَّاسُ أَشْيَاءَ لَا يَرَوْنَ أَغْمَلَهُمْ ① فَن يَمْعَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ② وَمَنْ يَمْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ③

(١٠٠) مِيزَةُ الْجَارِيَاتِ مَكْنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بِغَدَاةِ الْخَيْصَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَنَدِيَّتِ صَبْحًا ① فَالْمُرَبِّيَتِ قَدْحًا ②
فَالْمَغِيرَتِ صَبْحًا ③ فَالْزَيْنُ بِهِ نَقْعًا ④ فَوْسَطُنَ
بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَهُوَ
عَلَى ذَلِكَ لَشَّيدٌ ⑦ وَهُوَ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ① وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ ② إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ نَظِيرٌ ③

سورة

(سورة البينة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى ؛ وكفرهم : تكذيبهم بحمد عليه
الصلاة والسلام (والمشركين) عبدة الأصنام والأوثان (منفكين) منفصلين عن الكفر ، تاركين له
(حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة ؛ وهي الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذي ذكر في كتبهم (رسول من
الله يتلو صحفا مطهرة) هي القرآت (فيها كتب قيمة) أي في هذه الصحف مكتوبات مستقيمة ، ناطقة بالحق
والعدل (حنفاء) مؤمنين (وذلك دين القيمة) الملة المستقيمة (البرية) الخليفة (جنات عدن) جنات الإقامة =

(إنا أنزلناه) أي القرآن : نزل من
الوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ؛ وكان ذلك
(في ليلة القدر) أي في ليلة تقدير الأمور
وقضائها ؛ كقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر
حكيم» وقيل : سميت بذلك ؛ لشرفها وفضلها
على سائر الليالي ؛ وهي في العشر الأواخر
من رمضان ، ويرجع أن تكون في ليلة
السابع والعشرين منه (وما أدراك ما ليلة
القدر) تغيب لها ، وتظلم لثافتها (ليلة
القدر) في العظمة والشرف (خير من ألف
شهر) فالعبادة فيها : تفضل العبادة في غيرها
بأكثر من ثلاثين ألف ضعف (نزل الملائكة)
نزل إلى السماء الدنيا ، أو إلى الأرض
(والروح) جبريل عليه السلام . وخس
بالذكر : لأنه النازل بالذكر . وقيل :
«الروح» طائفة من الملائكة ؛ حفظه عليهم ،
كما أن الملائكة حفظه علينا «وما يعلم جنود
ربك إلا هو» (ياذن ربهم) بأمره وإرادته
(من كل أمر) أي نزل الملائكة لأجل كل
أمر قضاه الله تعالى على مخلوقاته لتلك السنة
(سلام من) أي لا يقدر الله تعالى فيها للمؤمنين
المتقين إلا الأمن والسلامة (حتى مطلع الفجر)
وبه يكون انتهاء الليلة . أو المراد بالسلام :
ما يحدث في هذه الليلة المباركة من كثرة تسليم
الملائكة على المؤمنين .

== من عدن في المكان : إذا أظم فيه (خالدين فيها أبداً) خلوداً دائماً ؛ لا يخرجون منها (رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) .

(سورة الزلزلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي حرك واضطربت اضطراباً شديداً ؛ لقيام الساعة (وأخرجت الأرض أثقالها) ما في جوفها من الموتى ، والكنوز (وقال الإنسان) الكافر (مالها) يقول ذلك مستغرباً ؛ لأنه لا يؤمن بالبعث . أما المؤمن فيقول : «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» (يومئذ تحدث أخبارها) ينطقها الله تعالى - الذي أطلق كل شيء - فتشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها ؛ وذلك (بأن ربك أوحى لها) أي إن نطقها هذا يوحى منه تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) متفرقين (ليروا أعمالهم) أي ليرى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال وزن ذرة) ذرة : الدرة : النملة الصغيرة التي تقودها الرياح . وهو مثل الصفر والقلة (خيراً يره) أي يرى ثوابه (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أي يرى عقابه .

(سورة العاديات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحاً) الخيل التي تجري ، فتضج . والضبح : صوت ألقاسها عند عدوها (فالوريات قدسا) التي تورى النار ، وتقدحها بجوافرها . وهذا مشاهد عند جرى الخيل ؛ حين تصطدم جوافرها بقطع الصخر ؛ فتندح شبراً (فالغيرات ضبحاً) التي تغير على العدو صباحاً (فأثرن به نقماً) أي فبهجن بوقت الصبح غباراً (فوسطن به جملاً) أي توسطن بهذا الوقت جوع الأعداء . أقسم تعالى بالخيل الجياد ، التي تندو الجهاد ؛ فتعدو فتورى النار ، وتقدحها بجوافرها ؛ لقوتها وشدة بأسها ، فتغير على الأعداء ، وتنزل بهم صنوف البلاء ، وتثير الغبار ، وتتوسط الجوع . وذلك للإشعار بعلو مرتبة الخيل ، والحض على اقتنائها والاعتناء بشأنها ؛ ولا يخفى ما يترتب على ذلك من تعلم الفروسية ، وإعداد العدة ، وأخذ الأهبة للحرب والجهاد في سبيل الله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أي لكفور بأنعمه (وإنه على ذلك) أي وإن الإنسان على كفره هذا وكنوده (لشديد) يشهد على نفسه بكفر النعمة ؛ =

سورة القارعة

٧٥٩

(١٠١) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠
نَارٌ حَلِيبَةٌ ١١

= حيث يظهر أثر ذلك عليه ؛ فهو دائماً يشكو من الله ولا يشكره على نعمه (وله لب الحبر) المال (لشديد) أى لأجل حبه للمال ليخيل بمسك (أفلا يعلم) ذلك الكنود الكفور ما يحل به (إذا بشر ما في القبور) بث ما فيها من الموتى (وحصل ما في الصدور) أى أخرج ، وعلم ما فيها : من كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، وشح وكرم (إن ربه بهم يومئذ) وبما في قلوبهم (لحبر) فيجازيهم على ما قدموا : من خير أو شر .

المزة الثلاثون

٧٦٠

(سورة القارعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القيامة ؛ وسميت قارعة : لأنها تزعج القلوب بأهوالها (وما أدراك ما القارعة) تهويل لآنها (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش : هو الطائر الصغير الدقيق ؛ الذى يتطاير حول النار . أو هو الجراد الصغير . وقد شبههم تعالى بالفراش ؛ لكثرةهم وانتشارهم وضيقهم وظلمهم ، و «المبثوث» المتفرق المنتشر (وتكون الجبال كالمنفوش) كالصوف المنتثر المتطاير ؛ كقوله تعالى «فكانت جبال منبثاة» (فأما من ثقلت موازينه) أى زادت حسنته على سيئاته (وأما من خفت موازينه) أى نقصت حسنته عن سيئاته ، أو لم تكن له حسنتات يمتد بها ؛ كمن يصنع الكرم مباهاة ، أو البسادة رياء (فأهه هاوية) أى فأواه النار . ويقال للماوى : أم ؛ لأن الأم : مأوى الولد ومفرغه .

(سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الماتم التكاثر) شغلكم التفاخر

بالأموال والأولاد ؛ عن طاعة الله (حتى زرم

المقابر) أى شغلكم جمع المال ، عن المال ؛ حتى أدرككم الموت ، ودفنتم في المقابر . وقيل : «حتى زرم المقابر» بمدددين سجايا آبائكم وأجدادكم (كلا) ردع عن التكاثر والتفاخر (سوف تعلمون) عاقبة تكاثركم وتفاخركم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد مما سوف يعلمونه ، وأنه حاصل لاعالة (كلا لو تعلمون علم اليقين لتزون الجحيم) أى لو علمتم العلم الحقيقى ، وتدبرتم وتفكرتم ؛ لمرقم الجحيم ، ولحقنوها كأنكم تزونها . وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام «أن تعبد الله كأنك تراه» (ثم لتزونها عين اليقين) أى ثم تزونها يقيناً يوم القيامة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى تحاسبون وتؤاخذون على التمتع الذى شغلكم عن الطاعة ولم تقوموا بشكره !

سورة

(١٢) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

وآيَاتُهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُكَورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنُكَاتُ الْكَاتِرُ ١ حَتَّى زُرْمَ الْمَقَابِرِ ٢ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

(١٣) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

وآيَاتُهَا ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّرُوحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْغَاشِيَةِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنِ خَشِيرٌ ٢ أَلَا الَّذِيْنَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا

بِالصَّبْرِ ٣

(سورة العصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أى والدهر . أقسم الله تعالى بالدهر لتتخذ من التاريخ عظة وعبرة ؛ فتعلم أن الرومان أهلكتهم الترف ، وأطاح بملكهم الفجور والجور . وأن الفراغة : أهلكتهم الكفر والكبر . وأن كثيراً ممن سبقنا من الأمم « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . وأن البقاء دائماً للأصلح ، وأن الأرض يرثها عبادى الصالحون .

٧٦١

سورة المزة والفيل

هذا وقد يكون المراد بالعصر : صلاة العصر ؛ لفضلها ، أولكونها الصلاة الوسطى (لأن الإنسان لني خسر) أى لني خسران ؛ لأنه يفضل العاجلة على الآجلة ؛ في حين أنه - فيما يتعلق بالدنيا - يفضل الآجلة على العاجلة : فكيف أقرض محتاجاً رغبة في الربا لأنه مطمئن لصدق مقرضه وملاؤه . أما وعد الإله - الفنى القدير - بالجزاء ؛ فليس في حسابه ، ولا يدخل في مجال اليقين لديه ؛ فبئست التجارة تجارته ؛ وهو في خسرات أبد الدهر ! (إلا الذين آمنوا) بالله تعالى ، وصدقوا برسله وكتبه ، وبوعده ووعيده (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم بعضاً بالحق الذى شرعه الله تعالى وأمر به . والحق : الخير كله ؛ من توحيد الله تعالى ، وطاعته ، واتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه (وتواصوا بالصبر) على الشدائد والمصائب ، والصبر على الطاعات ، وعن المعاصي .

(سورة المزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) وهو الذى يغتاب

الناس ، ويطن في أعراضهم . والهمز : الفخر والصفط ، والتخس . والغر : العيب ، والإشارة بالعين (الذى جمع مالا) كثيراً ؛ لأن القليل : لا يسمى جمعاً (وعده) أحصاه ، أو جمعه عدة لنوائب الدهر (يحسب أن ماله أخذه) أى يظن أن سعة ماله تتخلده في الدنيا ؛ فلا يموت . أو تخيلده في الفنى والنعيم ؛ فلا يساق إلى الجحيم (كلا) ردع عن ذلك (لينبذ في الحطمة) أى ليطرح في النار . وسميت حطمة : لأنها تحطم كل شيء (وما أدراك ما الحطمة) تهويل لأفئتها ، وتظيم لأمرها (نار الله الوقدة) جهنم أعادنا الله تعالى منها (التي تطلع على الأفئدة) أى تحرق قلوب الكافرين . وخص الأفئدة بالذكر : لأنها مكان الكفر ، وموطن النفاق . ولأنها أيضاً لا شيء في البدن أشرف منها ، ولا أشد تألماً (إنها عليهم مؤصدة) =

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①
الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③
كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④
وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤
نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَمُوقِدُهُ ⑥
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦
إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي كَفَّ فَعَلَّ رَبُّكَ يُخَبِّطُ الْفِيلَ ①
أَلَّا يَجْعَلَ كَيْدَهُمُ

= مطبقة مغلقة . من أصد الباب : إذا أغلقه (في عمد ممددة) أى أنهم بعد اطلاق أبواب جهنم عليهم : تعدد عليها العمد . وذلك لتأكيد يأسهم من الخروج . أو المراد أنهم مربوطون في العمد بالسلاسل والأغلال !

(سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٦٢

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)

وهم قوم أبرهة . روى أن أبرهة بن الصباح ، ملك اليمن : بنى كنيسة بصنعاء ، وأراد أن يصرف إليها الحاج عن مكة ؛ فجاء رجل من كنانة فاطخ قبلتها بالعذرة - احتقاراً لها - خاف أبرهة ليهيمن الكعبة . . وجاء مكة بجيش له جرار تحمله الفيلة . ولذلك سماهم الله تعالى أصحاب الفيل بـ قيل : لأن عبد المطلب - سيد قرش ، وجد الرسول عليه الصلاة والسلام - أصاب جيش أبرهة من ماله مائتي بعير ؛ فاستأذن على أبرهة فأذن له ، وقال أبرهة لزوجاته : سله عن حاجته ، فقال : أن ترد لى . فقال أبرهة لزوجاته : قل له : قد كنت أعجبتى حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلتني في مائتي بعير أصابها جيشي ، وترك بيتنا هو دينك ، ودين آبائك ؛ فلا تكلمني فيه ! فقال عبد المطلب : إني رب الابل ، ولأن لييت رباً سيئته . قال : ما كان ليمنع مني . قال عبد المطلب : أنت وذاك . فرد عليه الابل . وبعد ذلك تحرزوا في شعف الجبال خوفاً من فتك أبرهة . وقام عبد المطلب أخذاً بحلقه باب الكعبة مبتهلاً إلى الله تعالى بقوله :

فِي تَضَلُّلٍ ① وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ② تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ③ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ④

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٧ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّائِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① لِمَالِهِمْ رَحْلَةُ الْبَنَاءِ
وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ
مَكِّيَّةٌ ثَلَاثُ الْآيَاتِ الْأُولَى مَدَنِيَّةٌ الْفَسَّةُ
وَأَيَّاهَا ٧ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ

الْبَيْتِ ①

سنع رحله فامنع حلاك
ب وعابديه اليوم آلك
ومحلمهم عدواً محاك
والفيل كي يسبوا عيالك
جهلا وما رقبوا جلاك
سبتنا فأمر ما بدالك

لام إن البرء يم
وانصر على آل الصلي
لا يفلن صليهم
جروا جوع بلادهم
عمدوا حاك بكيدهم
إن كنت تاركهم وكعد

(ألم يجعل كيدهم في تضليل) في تضليل وإبطال . أى أبطل كيدهم الذي جاءوا منه أجله (وأرسل =

= عليهم طيراً أبابيل) أى جماعات من الطيور (ترميمهم بحجارة من سجيل) أى من طين متحجر . أو المراد انها حجارة من جهنم ؛ لقوة بأسها ، وشدة عذابها . ولعله من السجل : وهو النصب . أى لأن كل حجر منها من نصيب رجل منهم (فجعلهم كعصف مأكول) العصف : ورق الشجر الذى يحف ، وتعصف به الريح . والمأكول : الذى أكله السوس ، أو أكل الدواب بعضه ، وتناثر بعضه . وقيل : لأن الطير الأبابيل : من ميكروبات الامراض ، ولأنه قد تفشى فيهم مرض الجدري ؛ بدرجة يندر وقوع مثلها ؛ فكان لحهم يتساقط ؛ حتى هلكوا عن آخرهم . ولا حرج من تمثيل الميكروب بالطير ؛ لحل الهواء له ، وكثرة تنقله .

٧٦٣

سورة التكاثر والكافرون

(سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إيلاف قريش) أى لاجل تأليف قريش ، وإذهاب عداوتهم وأضغانهم (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت) أى « فليعبدوا رب هذا البيت » الذى ألف بين قلوبهم فى رحلة الشتاء والصيف . وكانت لهم رحلة فى الشتاء إلى اليمن ، وفى الصيف إلى الشام للتجارة . وكانوا فى رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد . وقيل : المعنى متصل بما قبله فى السورة السابقة . أى « فجعلهم كعصف مأكول ، فليعبدوا رب هذا البيت » الذى حماه من المغيرين ، وأهلك المعتدين ، ولا يتشاغلوا عنه تعالى بأفعه ، ولا يحملوا كفره مكان شكره ، وهو جل شأنه (الذى أطعمهم من جوع) أى بعد جوع (وأمّنهم) أمّنهم (من خوف) بعد خوف . قال تعالى « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » .

(سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) أى هل عرفت الذى يكذب بالبعث والجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه . يعنف ، ويرده بزجر وخشونة (ولا يحض) لا يبحث نفسه ، ولا غيره (على طعام المسكين) المحتاج للطعام ؛ وذلك لأن من شأنه التكذيب بالبعث والجزاء ؛ لا يبالى بما يفعل ؛ أحراماً كان أم حلالاً ؟ مادام فى ذلك تحقيق لرغبته ، وإرضاء لذوته ؛ ومادام يعتقد ألا معقب على فعله ، ولا محاسب على جرمه ! (فويل) شدة عذاب ؛ أو هو واد فى جهنم (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى يؤخرونها =

الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝
قَوْلِ الْمَصْلِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ ۝ وَيَتَّبِعُونَ
الْمَاعُونَ ۝

(١٠٨) سُورَةُ الْكَافُرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

(١٠٩) سُورَةُ الْكَافُرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَتَّيِبُ الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝

عن وقتها ؛ فإياك بمن لا يأتيها أصلاً (الذين هم) إذا سلوا (براعون) أى يصلون أمام الناس رياء ؛ ليقال : إنهم صلحاء ، ويتخشعون ليقال : إنهم أتقياء ، وتصدقون ليقال : إنهم كرماء (ويعتصمون الماعون) وهو كل ما يستعان به ؛ كالإبرة ، والفأس ، والقدر ، والماء ، والملح ، ونحو ذلك .

(سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٦٤

(إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير و«الكوثر» من الرجال : السيد الكثير الخير . وقيل : «الكوثر» نهر في الجنة (فصل لربك) صلاة عيد الأضحي (وأعمر) أغنيك . وقيل : كل صلاة ، وكل نحر . (إن شئت) إن مفضلتك (هو الأبر) المنقطع عن كل خير . قيل : نزلت في العاص بن وائل ؛ حيث سمى الرسول عليه الصلاة والسلام : أبر عند موت ابنه القاسم . وكيف يكون أبر من الحق بنسبه سائر المؤمنين ؟

(سورة الكافرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أعبد ما تعبدون) لأن إلهكم الذى تعبدونه يلد ، وإلهى لا يلد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لأن إلهى بأمرى باتباعى فلم تتبعونى ؛ فإذا أنتم لا تعبدونه (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى ولا أنا عابد عبادكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم عابدون عبادى . ومعنى الجلتين الأولين : الاختلاف التام فى المعبود ، والجلتين الآخرين : الاختلاف التام فى العبادة . أى لا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة (لكم دينكم) لكم شرككم (ولى توحيدى) .

(سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاء نصر الله والفتح) هو فتح مكة ، أو هو الفرج ، وتفتيس الكرب ! (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك بعد فتح مكة : صارت العرب تأتى من أقطار الأرض ؛ طائفة للرسول ، مختارة لدينه (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم - بعد نزولها - يكثر من قول «سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه» .

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❶ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❷

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❸ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ❹

(١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ نَزَلَتْ مَعَى فَتْحِ الْمَدِينَةِ فَفَعَلَتْ مَلَائِكَةً وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّورَةِ وَأَمَّا هِيَ ٣ نَزَلَتْ مَعَ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❶ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ❷ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ❸

(١١١) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ

وَأَمَّا هِيَ ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لُبَيْبٍ وَتَبَّ ❶ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

كُتِبَ

(سورة المسد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(نبت) أى ملكك (يدا أبى لهب) وهو عم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ وسبب ذلك أن الرسول عليه السلام لما دعا قومه للإسلام ، وقال لهم : «إنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب ؛ تبأ لك ، ألهذا جئتنا ؟ فنزلت هذه السورة ؛ دعاءاً عليه بمثل مادعا به على الرسول (وتب) أى وقد كان ذلك وحصل ، يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه «وقد تب» (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى لم يفده ماله الذى جمعه ، ولا عمله الذى اكتسبه (سبيل) سيدخل (ناراً ذات لهب) هى جهنم أعادنا الله تعالى منها ١ (وامرأته حالة المطب) وقد كانت تمشى فى القوم بالنميمة ، ويعبر عن الواشى بحمال المطب فى لغة العرب ؛ قال الشاعر :

٧٦٥

سورة الإخلاص والقلق

كَسَبَ ١ سَبَخَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٢ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٣ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٤

(١١٣) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤

إن بنى الأدرم حالوا المطب
هم الوشاة فى الرضاء والفضب
وقد ذهب كثير من المفسرين الى أنها كانت تحمل المطب حقيقة ، لتضعه فى طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو بعيد ؛ لأنها كانت موسرة ذات خدم وحشم ، فلا تعدم خادماً يقوم لها بما تريد : من إذابة الرسول ، ووضع المطب فى طريقه (فى جيدها) فى عنقها يوم للقيامة (حبل من مسد) المسد : الذى قتل من الجبال فتلا شديداً ، من ليف وجلد وغيرها . وليس كحبال الدنيا ، كما أن النار ليست ككنار الدنيا ، وإنما هو على سبيل التمثيل .

(سورة الإخلاص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) لارب غيره ، ولا معبود سواه ١ (الله الصمد) الذى يحتاج إليه كل مخلوق ، ولا يحتاج إلى أحد (لم يلد) لأنه لا يجانه أحد ؛ فيخذه من جنسه صاحبة فيتوالد «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (ولم يولد) لأن كل مولود : حادثه . وهو جبل شأنه قديم ؛ لا أول لوجوده . ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ١ (ولم يكن له كفواً أحد) أى لا يعائله أحد .

(سورة الفلق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق : الصبح (من شر ما خلق) من شر كل شئ خلقه ؛ ككنار ، =

== وشيطات ، وحية ، وعقرب ، وغير ذلك (ومن شر غاسق إذا وقب) قيل : لأنه الليل إذا دخل ؛ لما يتبع ذلك من الشرور ، والإجرام ، والفتك . وقيل : لأنه الثريا إذا سقطت ؛ لما يتبع سقوطها من الأسقام والطواعين . أو هو القمر إذا انخسف ؛ لأنه من علام الجذب والقطط ، أو انخسافه يوم القيامة ؛ حيث لا يوجد على ظهرها مؤمن . وقيل : الغاسق إذا وقب : الأبر إذا قام ؛ وكف ذلك من بلاد كبير ، وشر مستطير ! وهذا القول مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن شر النفاثات في العقد) المراد هنا : النمامون ، الذين يقطعون روابط الألفة ،

الجزء الثلاثون

٧٦٦

وحبال المحبة ؛ بما ينفثونه من سموم غائهم . شبههم تعالى بالسحرة المشعوذين ؛ الذين إذا أرادوا أت يحلوا عقدة المحبة بين الرجل وزوجه : عقدوا عقدة ثم قثوا فيها وحلوا ؛ ليكون ذلك حلاً للعقدة التي بين الزوجين ، أو بين المحابين . والنيمة تقبه أن تكون ضرباً من ضروب السحر ؛ لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة ولما كانت النيمة على هذا الجانب العظيم من المخطورة : علمنا الله تعالى أن نلجأ إليه ، ونعوذ به منها . أما ما رواه بعض المحرفين المخرفين - في تأويل هذه الآية - من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سحره ليد بن الأعصم ، وقد أضر سحره فيه ؛ حتى أنه كان يغفل إليه أنه يأتي الشيء وهو لا يأتيه ؛ فهو باطل مردود مخرج ؛ إذ ما أشبه هذا بقول المشركين فيه صلى الله تعالى عليه وسلم «إن تقبعون لإرجلنا مسحوراً» ولا يبعد أن من خلط في عقله بدرجة أنه كان يغفل إليه أنه يأتي الشيء وهو لا يأتيه : أن يغفل إليه أيضاً أنه يوحى إليه ، ولم يوح إليه ، أو أنه قد بلغ ما أوحى إليه ولم يبلغ ! وفلا عن هذا فإن هذه السورة مقطوع بمكيتها ، وما يزعمونه من السحر يقولون : إنه وقع بالمدينة . وبالجملة فإن هذا

واضح البطلان ، بادى الحسran ! لا يلتفت إليه ، ولا يعمل عليه (ومن شر حاسد إذا حسد) الحاسد : الذى يمتنى زوال نعمة الغير ؛ ومن طبيعة الذى يمتنى زوال النعمة : أن يجتهد في إبطال الأذى ، وتدمير المكائد ؛ بكافة الوسائل ، وسائر السبل . وجدير بمن هذا شأنه أن يلجأ الإنسان منه إلى قوة عظيمة يستعين بها على دفع أذاه ؛ ومن أعظم من الله في دفع الأذى ، وحماية من يحمى به ؟ ! أما ما يروونه في الحسد من أنه هو التأثير بنفس العين المجردة ، فهذا مالا أظنه ولا اعتقده - رغم توأره ، وكثرة وقوعه - وقد يكون من بعض الخرافات السائدة . وقد يؤثر السحر على بعض النفوس الضعيفة الفلقة .

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقُلُوبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝
إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْخَفَةِ
وَالنَّاسِ ۝

(سورة الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الناس) ألبأ إليه وأستعين به . ورب الناس : مربيهم (ملك الناس) الذى يحكمهم ، ويرعى مصالحهم ، ويضبط أعمالهم ، ويدبر شئونهم (إله الناس) معبودهم ، الذى لا إله غيره (من شر الوسواس) الذى يلقى حديث السوء فى النفس ؛ وهو الشيطان (الخناس) الذى يوسوس إلى الإنسان ؛ فإن لم يجد عنده استعداداً لوسوسته : رجع عنها وأعاد الكرة ثانية بعد برهة . وهو من خفس : إذا رجع (من الجنة والناس) أى إن الشياطين قسمان : من الجن ، ومن الإنس ، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكاً وخطراً من شياطين الجن . (انظر آيتى ١١٢ من سورة الانعام ، و ٢٩ من فصلت) .

(تنبية) جاء فى صفحة ٧٠٩ عند تفسير قوله تعالى «إن عذاب ربهم غير مأمون» هذا الحديث الشريف : «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل النار : فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل الجنة : فيدخلها» .

وقد أوردناه - فى هذا الموضع - بمعناه لا بلفظه . وقد أثبتناه بلفظه - رواية عن مسلم - فى صفحة ٧٤٣ عند قوله تعالى «بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ» .

فهرست

اصح النفس

لابن الخطيب



فهرس أوضع التفاسير

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢	٢	« العالمين » : كل ما سوى الله تعالى ...			تقاريط أكابر العلماء والفضلاء :
٤	٢	« يوم الدين »			كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ
٧	٢	من هم المنعم عليهم ؟			يوسف الدجوى : من هيئة كبار
٧	٢	من هم المقضوب عليهم ؟	ح	...	العلماء
٧	٢	« آمين » ليست من القرآن			كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ
	٣	(سورة البقرة)			عبد المجيد اللبان : شيخ كلية أصول
١	٣	« ألم » ما قيل في معنى فواتح السور ...	د	...	الدين
٣	٣	« الذين يؤمنون بالغيب »			كلمة الأساتذة الأجلاء : محمد أبو بكر
٣	٣	مدح المتقين			إبراهيم ، والمرحوم محمد جاد المولى
		وجوب الإيمان بالرسول المتقدمة ،	هـ	...	(بك) ومحمد عطية الأبراشي ...
٤	٣	والكتب المنزلة قبل القرآن ...			كلمة زهرة العلماء ، وقدوة المفسرين :
٤	٣	وجوب الإيمان بالآخرة وما فيها ...			المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف
٨	٤	غاية الإيمان	و	...	« أستاذ الشريعة »
٨	٤	الإيمان بالقلب لا باللسان			كلمة المرحوم الأستاذ محمد توفيق
١٦	٥	عاقبة المنافقين	ز		رفعت (باشا) رئيس مجمع اللغة العربية
١٧	٥	مثل المنافقين			كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ
١٧	٥	الدنيا كلها ظلمات			محمد خلف الحسيني من أفاضل العلماء
١٧	٥	الإخلاص أس العبادة	ح	...	وشيوخ المقارئ المصرية ...
١٩	٥	لحاطة الله تعالى بالكافرين	ك	...	مقدمة هذه الطبعة
٢٢	٦	نزول الماء من السماء ؛ رأى العين	س	...	مقدمة الطبعة الأولى
		تحدى المعارضين بالإتيان بأى سورة			(سورة الفاتحة)
٢٣	٦	من القرآن ، وعجزهم عن ذلك ...	١	٢	البسملة :
٢٦	٦	ضرب الأمثال			من قرأها متعبداً بها : وقاه الله تعالى
٢٦	٧	لإضلال الله تعالى للضالين : عقوبة لهم	١	٢	من النار ، ونجا من ملائكة الجحيم
٢٩	٧	تسخير الله تعالى كل شئ لى الإنسان			من قال : لأنها تيجان للسور ، وليست
٢٩	٧	تذليل الحيوان له	١	٢	بآية منها
		رحلة الطيور من مواطنها ؛ لتكون	١	٢	من يرى أنها آية من كل سورة ...
٢٩	٧	لقمة سائفة له	١	٢	من يرى أنها آية من الفاتحة خسر ...
٣٠	٧	سكنى الأرض بأمر قبل آدم			ترجيح أنها آية من كل سورة ، عدا
٣٠	٧	استفهام الملائكة عن حكمة خلق آدم	١	٢	براءة . لثبوتها في المصحف الإمام ...
٣١	٧	اشتقاق اسم « آدم »			فوائد البسملة ؛ عند البدء في الأمور
		بطلان قول من زعم أن آدم وإبليس	١	٢	المهمة
٣١	٧	رمضان لا أصل لها	١	٢	تعتمد بعض المتأخرين إغفالها في مؤلفاتهم
		علم سبيل صلوات الله تعالى وسلامه			لا يقال لمخلوق : هذا الرب ، معرفاً ،
٣١	٧	عليه	٣	٢	بل : رب المنزل ، ورب العالم ...

الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
١٠٦	التاسخ والمنسوخ			سجود الملائكة لآدم ؛ وكيفية
١٠٦	أقسام المنسوخ :	٣٤	٨	ذلك السجود
١٠٦	منسوخ الحكم والتلاوة			امتحان آدم وحواء بالنهي عن الأكل
١٠٦	منسوخ الحكم باقي التلاوة	٣٥	٨	من الشجرة
١٠٦	منسوخ التلاوة باقي الحكم	٣٧	٨	الكلمات التي تلقاها آدم من ربه
١٠٦	بطلان النسخ الأخير	٤٥	٩	الاستعانة بالصبر والصلاة
	قنوت الصلاة : ليس من القرأت	٤٩	١٠	تعذيب فرعون لبني إسرائيل
١٠٦	المنسوخ	٥١	١٠	ميعاد موسى عليه السلام
	تسريع الرسول عليه الصلاة والسلام	٥١	١٠	عبادة بني إسرائيل للعجل
١٠٦	واجب كتشريع القرآن	٥٤	١٠	التوبة عند الأمم السابقة
	بطلان ما رووه عن عائشة رضى الله	٥٧	١٠	المن والسوى
١٠٦	تعالى عنها من نسخ التلاوة	٥٧	١١	ظلم الإنسان لنفسه
١١٣	الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً	٦١	١١	تضجير بني إسرائيل من المن والسوى
١١٤	لثم تعطيل المساجد			الذلة والسكنة التي ضربها الله تعالى
١١٦	عدم اتخاذ الله تعالى للولد بالدليل العقلي	٦١	١٢	على بني إسرائيل
١٢٤	عدم جواز ولاية الفسقة والظلمة ...	٦٢	١٢	لم سميت النصارى « نصارى » ؟ ...
١٢٥	الأمر بركن الطواف	٦٢	١٢	الصائبين
	موافقة رأى عمر رضى الله تعالى عنه			نجاة من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
١٢٥	لما نزل من القرآن : ثلاث مرات	٦٢	١٢	صالحاً في دنياه
	استجابة دعوة ابراهيم عليه السلام	٦٣	١٢	سبب رفع الطور فوق بني اسرائيل
	لأهل الحرم ، وحل الثمار من سائر	٦٥	١٢	اعتداء اليهود في السبت
١٢٦	الأقطار للإيهم	٦٥	١٢	مسح اليهود قردة
	تكفل الله تعالى بأرزاق المؤمنين	٦٧	١٣	قصة البقرة
١٢٦	والكافرين	٧٤	١٤	القلوب أشد قسوة من الحجارة ...
	دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة	٨٣	١٥	الإحسان إلى الوالدين
	والسلام بيث محمد صلى الله تعالى			الحث على حسن الخلق وطلب المعاملة
١٢٩	عليه وسلم	٨٣	١٥	مع سائر الناس
	الإخلاص : أب كل خير ، وأساس			استنصار أهل الكتاب بالرسول
١٣٩	كل نفع	٨٩	١٦	الكريم قبل بعثته
١٤٣	مزايا الصلاة ، وتسميتها إيماناً ..	٩٢	١٧	عبادة بني اسرائيل للعجل
١٤٤	تحويل القبلة إلى الكعبة	٩٧	١٨	عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ...
١٤٨	وجوب الاستناب إلى الحيرات			قصة هاروت وماروت على وجهها
١٥٢	أنواع الشكر :	١٠٢	١٩	الأكل
١٥٢	الشكر بالأفعال : لا بالأقوال	١٠٢	١٩	عصمة الأنبياء عليهم السلام
١٥٢	ذكر الخواص والأعضاء	١٠٢	١٩	بطلان قول من قال بعصيانهم

فهرس أوضف الففاسف

٥

الآفة	الصففة	الموضوع	الآفة	الصففة	الموضوع
١٨٧	٣٤	الحفط الأفض؁ والحفط الأسود ...	١٥٢	٢٨	الاستعانة بالصبر والصلاة ...
١٨٨	٣٤	تفرم الرشوة ...			الصبر على المصفة؁ وما فقال عند
١٨٩	٣٤	مباشرة الأمور من ووجهها ...	١٥٦	٢٨	وقوعها ...
١٩٠	٣٤	مقاتلة الففدفف؁ وعدم البدء بالاعتداء ...			الحف؁ والاعتبار؁ والطواف بالصففا
١٩٤	٣٥	الأشهر الحرم ...	١٥٨	٢٨	والمروة ...
١٩٤	٣٥	المماثلة في الاعتداء على الحرمات ...			تسخفر السحاب : دالف على وحدانية
١٩٥	٣٥	عدم الاتفاق في الجهاد : موقع في الهلاك ...	١٦٤	٢٩	الله تعالى ...
١٩٦	٣٥	الهدى ...	١٦٦	٣٠	تبرؤ الرؤساء من متبوعفهم ...
١٩٦	٣٦	الففة؁ والصفقة؁ والنسك : في الحف؁ ...	١٦٨	٣٠	شفاطفن الإنس ...
١٩٦	٣٦	التمتع بالعمرة ...	١٧٢	٣٠	وجوب تفرى الطفبات من الرزق ...
١٩٧	٣٦	الرفث؁ والفسوق؁ والجدال في الحف؁ ...	١٧٢	٣٠	الشكر من لوازم العبادة ...
١٩٨	٣٦	عربنا؁ والمشعر الحرام ...			تفرم المفة والدم ولحم الخنزفر : من
١٩٩	٣٦	الإفاضة : والوقوف بالزلفة ...	١٧٣	٣٠	أهم ما حرص عليه الطب الوقاف ...
٢٠١	٣٧	حسنة الدنيا؁ وحسنة الآخرة ...	١٧٥	٣١	متابع الضلالة بالهدى ...
٢٠٣	٣٧	ذكر الله تعالى في أيام التفررف ...	١٧٧	٣١	طفب النفس عند بئل المال ...
٢١١	٣٨	آفات الله تعالى : هف نعمه التي أنعم بها على عباده ...			الرف موجود من أقدم العصور :
٢١٢	٣٨	ترففن الشفطان؁ في الحياة الدنيا للإنسان ...	١٧٧	٣١	والإسلام لا فدعو إليه : بل فدعو
		الذفن أنفوا فوق الذفن كفرؤا يوم			لأ التطفل منه ...
٢١٢	٣٨	القفامة ...	١٧٨	٣٢	القصاص في القفل ...
٢١٢	٣٨	قد فرزق الله العاصف؁ وفمنع الطائف ...	١٧٨	٣٢	جواز العفو في الحدود ...
		حسد الكافرفن المؤمنفن : لبعث	١٧٩	٣٢	حكمة القصاص ...
٢١٣	٣٩	خاتم النبفن ...	١٨٠	٣٢	الوصفة عند الموت ...
٢١٧	٤٠	جواز القتال في الأشهر الحرم ...	١٨١	٣٢	لأم لبدال الوصفة ...
٢١٩	٤٠	حكم الخمر والمفسر ...	١٨٣	٣٣	فرض الصيام ...
٢١٩	٤٠	منافع الخمر والمفسر ...	١٨٣	٣٣	الصيام كان مفروضاف على من قبلنا ...
٢١٩	٤٠	الاتفاق بما فرزد عن الحاجة ...	١٨٣	٣٣	الصيام ففن على خشفة الله تعالى ...
٢٢٠	٤١	مخاططة البئاف ...	١٨٣	٣٣	الاستعانة بالصيام على تفحقف المآرب ...
		النفى عن زواف المشركنا وتزوف	١٨٤	٣٣	رخصة الإفطار لمن فعبه الصوم ...
٢٢١	٤١	المشركفن ...	١٨٤	٣٣	الحث على الإفطار؁ والترغب في الصيام ...
		من قال : إنا الفهود والنصارف	١٨٤	٣٣	فوافد الصوم الدينية والبدنفة ...
٢٢١	٤١	مشركون ...	١٨٦	٣٣	شروط الدعاء؁ وسبب عدم الإجابة ...
٢٢٢	٤١	النفى عن قربان الحائف حتى تطهر ...	١٨٦	٣٤	الإفمان والعمل الصالح : شرط لقبول
		تشفبه النساء بالحرف؁ ووجوب	١٨٧	٣٤	الدعاء ...
٢٢٣	٤١	لأفانفن حث أمر الله تعالى ...	١٨٧	٣٤	إباحة الجماع لأفل الصوم ...
					تشفبه الرجل والمرأة باللباس ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢٣٨	٤٦	الصلاة الوسطى	٢٢٣	٤١	تأويل قوله تعالى «أنى شئتم» ...
٢٣٩	٤٦	صلاة الخوف	٢٢٣	٤١	تحريم لبثان المرأة في دبرها ...
٢٤١	٤٧	نفقة العدة ، ووجوب أدائها بالمعروف الجن : سبب في الموت ، والاستبسال :	٢٢٤	٤٢	جواز الحلف في الخير
٢٤٣	٤٧	سبب في الحياة والسعادة	٢٢٥	٤٢	اللغو في الأيمان
٢٤٥	٤٧	جزاء الإنفاق	٢٢٥	٤٢	اليمين الغموس
٢٤٧	٤٧	بسطة طالوت في العلم والجسم ...	٢٢٦	٤٢	الربص بعد الإيلاء
٢٥١	٤٨	الحرب : ضرورة من ضروريات الحياة الحرب يجب ألا تكون إلا لدفع ظلم ،	٢٢٨	٤٢	هضم حقوق المرأة واسترقاقها قبل الإسلام
٢٥١	٤٨	أو رد عدوات	٢٢٨	٤٢	الحقوق التي منحها الله تعالى للمرأة ...
٢٥١	٤٨	حروب اليوم وأهوالها ، وحق مدبريها	٢٢٨	٤٢	النهي عن تزويج المرأة لمن لا ترغب وجوب حسن العشرة ، وترك المضارة ، والحث على التلطف بالنساء والعناية بأمرهن
٢٥٢	٤٩	تفضيل بعض الرسائل على بعض	٢٢٨	٤٢	وجوب تزويج الرجل للمرأة
٢٥٢	٤٩	رفعة قدر نبيينا عليه الصلاة والسلام	٢٢٨	٤٢	قصة عمر رضى الله تعالى عنه مع المرأة التي أصرت على فراق زوجها
٢٥٤	٤٩	الدليل على كفر تارك الزكاة	٢٢٨	٤٣	الطلاق
٢٥٥	٥٠	الاسم الأعظم	٢٢٩	٤٣	الخلع : اقتداء المرأة نفسها برد المهر بطلان قول من قال بجواز أخذ شيء من مالها
٢٥٥	٥٠	امتناع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الشفاعة ؛ واعتذارهم بخطاياهم	٢٢٩	٤٣	النهي عن لمسك المرأة للاضرار بها النهي عن منع النساء من الزواج ؛ بعد طلاقهن
٢٥٥	٥٠	شفاعة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبولها	٢٢٩	٤٤	مدة الإرضاع
٢٥٦	٥١	حرية الاعتقاد	٢٣١	٤٤	النهي عن مضارة الوالدة بولدها ، والوالد بولده
٢٥٦	٥١	التدين لا يكون إلا بالافتناع العقلي ...	٢٣٢	٤٤	عدة المرأة عند وفاة زوجها
٢٥٨	٥١	محاجة إبراهيم عليه السلام لتمرود ...	٢٣٣	٤٥	جواز تزويج المرأة ، وتعرضها للخطاب بعد انقضاء عدتها
٢٥٩	٥٢	كيف يقوم الإنسان عند البعث ، وكيف تجمع عظامه المتفتتة	٢٣٣	٤٥	جواز التعريض بخطبة النساء
٢٦٠	٥٢	نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام ؛ حيث طلب رؤية كيفية إحياء الموتى	٢٣٤	٤٥	تحريم العقد قبل انقضاء العدة ... وجوب كسوة المطلقات : جبراً لخاطرهن
٢٦٠	٥٣	طريقة إحياء الموتى	٢٣٤	٤٥	رد نصف مهر الزوجة التي لم يدخل بها الحث على عدم التشدد ؛ وقت الطلاق
٢٦٢	٥٣	فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى ...	٢٣٥	٤٥	
٢٦٣	٥٣	إلانة القول ، والعفو : خير من الصدقة التي يتبعها أذى	٢٣٥	٤٥	
٢٦٤	٥٣	المن يذهب بثواب الصدقة	٢٣٦	٤٥	
٢٦٤	٥٣	مثل المنفق المرائي بإفناقه	٢٣٧	٤٦	
٢٦٥	٥٤	مثل المنفق ابتغاء مرضات الله	٢٣٧	٤٦	
٢٦٦	٥٤	فوائد التمر والغنم			

الآفة	الصففة	الموضوف	الآفة	الصففة	الموضوف
٤٩	٦٥	حكة إرفاء الأكف والأبرص ...			الإففاق من الطففات ، والففف من
٤٩	٦٥	أففاء الموف على بف عفسف فلفه السلام	٢٦٧	٥٤	الإففاق من الردف
		فساف فوف من قال : إن الإفففاء كان	٢٧١	٥٥	لإففاء الصدفاف ، أو لإففاففا ...
٤٩	٦٥	مجازفاً ، ولم ففكن حقفففاً	٢٧٥	٥٦	أكل الربا
٥٥	٦٦	الففلاف فف موف عفسف فلفه السلام	٢٧٥	٥٦	حال المرافف فف الفففا
٦١	٦٧	المفبافلة	٢٧٥	٥٦	لثم أكل الربا وموفله
٦٥	٦٨	المفافة فف إبراهيم فلفه الصلابة والسلام	٢٧٥	٥٦	الففن «قالوا إنما الففف مثل الربا» ...
٧٢	٦٩	مؤافرة أهل الكفاب على المؤمنف	٢٧٥	٥٦	الربا بفف الفل والمرفة «الآن» ...
		أمانة بفض أهل الكفاب ، وففانة	٢٧٥	٥٦	فساف فوف من قال بفله
٧٥	٦٩	بعضفم	٢٧٥	٥٦	الربا : ظلم لا ففءله ظلم !
٧٧	٦٩	نفق المففوف	٢٧٩	٥٧	الفففف والفوفف لمن فففافف الربا ...
		وففب إففاق الإنسان ماففب ،	٢٨٠	٥٧	لنظار المففن المفسر
٩٢	٧٢	وكرافة الفصفف بما ففكره	٢٨٠	٥٧	لإرفاء المفسر من الفففن
٩٧	٧٣	كفر من فففف فرضفة المفف	٢٨٢	٥٧	وففب كفافا الفففن
١٠٣	٧٣	الاففصام مففب الله «الفففان» ...	٢٨٣	٥٨	لثم كففان الفففافة
		وففب الأمر بالمرفوف ، والففف	٥٩		(سورة آل عمران)
١٠٤	٧٤	عن الففكر	٧	٥٩	الآفاف المففاف والمففافاف
١٠٤	٧٤	فرك الأمر بالمرفوف : مففلة للففاب			بفلاف فوف من قال : إن الفففان كله
		كفنا ففء أمة : للأمر بالمرفوف ،	٧	٥٩	مففافه ، ومن قال : لأنه كله مففم ...
١١٠	٧٤	والففف عن الففكر			فزففن الشففطان للناس حب الشففواف
١١٢	٧٥	ذلة الفففوف ، واضفهاد العالم لفم ...	١٤	٦٠	والمال
١١٧	٧٦	مثل إففاق الفففن كفرفوا			الفففن الففف - برناردفو ففوف : إنه
١١٨	٧٦	الففف عن أفافاء الأفءفاء من الأفءاء	١٩	٦١	ففن المفففبل
١٢٣	٧٧	فصر المؤمنف بففر	٢٧	٦٢	لأفراف الففف من الففف ، والمفف من الففف
١٣٠	٧٨	الفوافف المرفة فف الربا			الففف عن موالاة الكففار فوف
١٣٣	٧٨	الففف : فرففها السمواف والأرفف ...	٢٨	٦٢	المؤمنف
١٣٥	٧٨	الفافء لى ذففه : كالسففزى فرفه ...	٣٧	٦٣	مرفم فلفها السلام
١٤٠	٧٩	«فوفك الأيام ففافها بفف الناس» ...			الإرفافاف الفف صافبف مرفم فلفها
١٤٤	٧٩	مففءلفه الصلابة والسلام كسافر البشرف	٣٧	٦٤	السلام
١٤٥	٨٠	الفففن : لا فففف . والففففة : لا فففف ...	٣٩	٦٤	الصلابة مففاف لسافر الفففاف ...
١٤٧	٨٠	من آداب الفءاء : الاسفففار ...	٣٩	٦٤	مففف فلفه السلام
١٥٤	٨١	لنزالف الأمن فف موافن الففف ...			فل كان اسفففاء مرفم فلف سافر
١٥٩	٨٢	الأمر بالففف الدستورية الفففقراطية ...	٤٢	٦٤	النساء فاففة ؟
١٥٩	٨٣	الفوفل على الله ففاف			أففصام أهل مرفم فلفها السلام فلف
١٦١	٨٣	الففل من الفففافم	٤٤	٦٥	كففالفها

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
١١	٩٢	نصيب المرأة في الميراث ...	١٦٤	٨٣	بثثة الرسول عليه الصلاة والسلام
١١	٩٢	مساوات المرأة بالرجل في بعض حالات الموارث...	١٦٥	٨٣	من أعظم المنن ! ...
١١	٩٢	كفر من يدعو إلى المساواة في سائر الحالات ...	١٦٧	٨٤	الفرقة لا تكون إلا بسبب تخاذل
١١	٩٢	حرية الإنسان في ماله : مقيدة بما	١٧٠	٨٤	المقاتلين ...
١١	٩٣	فرضه ربه ...	١٧٥	٨٥	كفر من دعى إلى الجهاد فلم يستجب
١١	٩٣	حدود الوصية ...	١٨٠	٨٦	استبغار الشهداء بمن لم يلحقوا بهم
١١	٩٣	الوصية بشروط عدم الإضرار بالغير...	١٨١	٨٦	القيطان يخوف أولياءه ...
١١	٩٣	التهى عن إظهار بعض الأبناء ...	١٨٥	٨٧	لثم البخل ...
١٥	٩٣	الفاحشة بين النساء «المساحقة» ...	١٨٥	٨٧	كفر اليهود ، واعتدائهم على ربه...
١٦	٩٤	الفاحشة بين الرجال «الواط» ...	١٩١	٨٨	«وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» ...
١٦	٩٤	حد اللواط والمواط به ...	١٩١	٨٨	وصف الحياة الدنيا «شعر» ...
١٦	٩٤	التعزير في اللواط ، وحد التعزير ...	١٩١	٨٨	خشية الله ومراقبته في سائر الحالات
١٦	٩٤	الواط من أغش الفواحش ...	١٩١	٨٨	بطلان ما يدعيه بعض أرباب الطرق
١٧	٩٤	التوبة النصوح ...	٢٠٠	٨٩	الصوفية ...
١٨	٩٤	الوقت الذي لا تقبل فيه توبة ...	٢٠٠	٨٩	التفكر في خلق السموات والأرض...
١٩	٩٤	التهى عن أخذ مال النساء كرهاً ...	٩٠		الأمر بتحصين الحدود ، وحراستها
١٩	٩٥	الحث على التعاطف وعدم التظليق ...	٩٠		بالجنود ...
٢٠	٩٥	لا يجوز للطلق أن يأخذ شيئاً مما	٩٠		(سورة النساء)
٢٣	٩٥	آتاه مطلقته ...	٩٠		المحافظة على أموال اليتامى ، والتهى
٢٤	٩٦	المحرمات من النساء ...	٩٠		عن أكلها ...
٢٤	٩٦	تعريف ملك اليمين ...	٩٠		تعدد الزوجات ...
٢٤	٩٦	جواز لانقاص جزء من المهر ؟ يتراضى	٩٠		إعطاء المهور بطيب نفس ...
٢٤	٩٦	الطرفين ...	٩١		جواز التنازل عن بعض المهر ...
٢٥	٩٦	حث الفقراء ، على الزواج بالإماء ...	٩١		المبتزون ، وعديمو الأهلية ...
٢٥	٩٦	حد الإماء ...	٩١		ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم
٢٩	٩٧	تحريم أكل الأموال بالباطل ...	٩١		وجوب رزق السفهاء وكسوتهم ...
٢٩	٩٧	حقيقة التراضي في البيع والشراء ...	٩١		وجوب المحافظة على المال : مملوكا
٢٩	٩٧	التهى عن الانتعاز ...	٩١		أو غير مملوك ...
٣١	٩٧	الكبائر ...	٩١		اختيار اليتامى عند بلوغ الرشده ...
٣٢	٩٨	وجوب الفتناعة ...	٩١		إعطاء أولى القربى واليتامى والمساكين
٣٤	٩٨	قوامية الرجال على النساء ...	٩٢		من الميراث ؟ رغم عدم توريثهم ...
٣٤	٩٨	إذا انعدمت أسباب القوامية : العدمت	٩٢		تحذير الأوصياء واستعطافهم ...
٣٤	٩٨	القوامية ...	٩٢		لثم أكل مال اليتيم ...
			٩٢		إصابة أكل مال اليتيم في الدنيا
			٩٢		بالأمراض المهلكة الفتاك ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٩٣	١٠٩	خلود قاتل العمد في النار	٣٤	٩٨	مدح المرأة التي تحفظ سر زوجها ...
٩٧	١١٠	المهاجرة بالدين			تأديب المرأة بالوعظ ، والهجر ،
١٠١	١١١	قصر الصلاة : وأقوال الفقهاء فيه ...	٣٤	٩٨	والضرب ، وكيفية الضرب ...
١٠٢	١١١	صلاة الخوف ، وكيفية	٣٤	٩٩	الحث على عدم إيذائها والبنى عليها ...
١٠٣	١١١	ذكر الله تعالى في سائر الحالات ...			الحث على الإحسان إلى الوالدين ،
١١١	١١٢	لأن من يلصق الذنب بالبري			وذوى القربى واليتامى ، والمساكين
١١٤	١١٣	التناجي لا يكون إلا في معروف ...	٣٦	٩٩	والجار القريب والبعيد
١١٩	١١٣	إضلال الشيطان للناس			وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام
		صلح المرأة على أنت تعطى زوجها	٣٦	٩٩	بالجار
		شيئاً من مالها ، أو تنازل له عن	٣٨	٩٩	الرياء في الإنفاق
١٢٨	١١٥	بعض حقوقها	٤٣	١٠٠	عفو الله تعالى وكرمه «شعر» ...
		عدم استطاعة العدل بين النساء			فساد رأى بعض المفسرين في قوله تعالى
١٢٩	١١٥	في المحبة القلبية			«أم يحسدون الناس على ما آتاهم
		قد يعطى الله تعالى من يكره ، وينع	٥٤	١٠١	الله من فضله»
١٣٤	١١٦	من يجب !	٥٦	١٠٢	الإيلاء يكون في اختراق الجلد ...
١٣٥	١١٦	وجوب أداء الشهادة ولو على الوالدين			وجوب طاعة الحاكم؛ ماداموا قائلين
١٣٥	١١٦	عدم اتباع الهوى في الشهادة	٥٩	١٠٢	بطاعة الله تعالى
		الغزاة لله جميعاً ؛ لا تنال إلا عن طريق	٧٧	١٠٥	متاع الدنيا ، ومتاع الآخرة
١٣٩	١١٧	مرضاة !			بطلان قول من قال بأن الطاعة
		المستمع للإثم : شريك إقائه ؛ مالم	٧٩	١٠٦	والعصية من الله تعالى
١٤٠	١١٧	يمنعه قسراً ، أو يفارقه	٨١	١٠٦	حقيقة التوكل على الله تعالى
١٤٢	١١٨	مخادعة الله تعالى للمنافقين	٨١	١٠٧	ليس معنى التوكل : ترك الأسباب ...
		التكاسل والتشاغل في أداء الصلاة :	٨١	١٠٧	الكرامات ، والمعجزات
١٤٢	١١٨	من صفات الكافرين			فضل الله تعالى على الناس بإرسال
١٤٣	١١٨	المذبذبون	٨٣	١٠٧	الرسول
		إضلال الله تعالى لا يكون إلا لمبتغى	٨٦	١٠٨	التحية ، وأداء السلام
١٤٣	١١٨	الشيطان	٨٦	١٠٨	الحب : من أجل التحايا
١٤٨	١١٩	جواز سب الظالم ، والدعاء عليه ...	٨٦	١٠٨	رد التحية
١٥٧	١٢٠	تعذيب اليهود لعيسى عليه السلام ...	٨٦	١٠٨	المواطن التي لا يرد فيها السلام ...
١٦٠	١٢٠	تحرير الطيبات على اليهود بسبب ظلمهم	٩٢	١٠٩	دية القتل الخطأ
١٦٤	١٢١	تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام ...			الرق ، وواجباته ، وشرائطه في
١٦٤	١٢١	عدم جواز البحث في كيفية هذا التكليم	٩٢	١٠٩	الاسلام
	١٢٤	(سورة المائدة)			وصية الرسول عليه الصلاة والسلام
١	١٢٤	الوفاء بالعقود	٩٢	١٠٩	وملك اليمن
٢	١٢٤	شعائر الله تعالى	٩٢	١٠٩	استرقاق الأمم والشعوب

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		فساد القوانين الوضعية ، وقصورها	٣	١٢٥	الاستقسام بالأزلام
٣٨	١٣٣	عن ردع المجرمين	٤	١٢٥	صيد الجوارح
		زيادة الجرائم بسبب عدم تنفيذ	٥	١٢٦	حل ذبائح أهل الكتاب
٣٨	١٣٣	حدود الله	٥	١٢٦	حل زواج الكتائيات
		انعدام جريمة السرقة في بلاد الحجاز؟	٦	١٢٧	التيمم ، وحكمته... ..
٣٨	١٣٣	بسبب لإقامة الحدود			حكمة الفصل والوضوء : ليس مجرد
		نداء الله تعالى لرسوله عليه الصلاة	٦	١٢٧	النظافة الظاهرية !
٤١	١٣٤	والسلام بأحب الأسماء إليه... ..	٧	١٢٧	من وفي لله تعالى ؟ وفي الله تعالى له... ..
٤٤	١٣٤	الله تعالى أحق بالخشية من العباد	٨	١٢٧	أهل التقوى
٤٥	١٣٥	حكمة القصاص	١٤	١٢٨	عداوة اليهود والنصارى
٤٥	١٣٥	ترزّل الأمن بسبب عدم القصاص			اختلاف اليهود والنصارى في ملهم
		القرآن الكريم : نزل للعمل به ؟	١٤	١٢٨	ونعلمهم
٤٧	١٣٥	لا للتشدد بحروفه			تفنن الغربيين في إهلاك بعضهم البعض؟
		تحاكم اليهود للرسول عليه الصلاة	١٤	١٢٩	وهم أبناء الدين الواحد !
٤٩	١٣٦	والسلام وتحكمهم	١٦	١٢٩	سبل السلام
٥١	١٣٦	موالاة الكفار : كفر	١٦	١٢٩	الظلمات والنور
٥٤	١٣٧	حب المؤمن لربه... ..	١٦	١٢٩	تعريف القرآن للقرآن
		لا يجوز تفارق حبه تعالى بسبب من	١٦	١٢٩	تقصير الأصوليين في التعريف بالقرآن
٥٤	١٣٧	الأسباب... ..	٢٠	١٣٠	تدليل الله تعالى لبني اسرائيل
٥٤	١٣٧	رأى بعض الصوفية في حب الله تعالى			خطة الهجوم ، واكتساح دولة
		الحرص على رضا المخلوقين : سبب	٢٣	١٣١	الفرس ، وفتح الأندلس
٥٤	١٣٧	لحب رب العالمين	٢٣	١٣١	التوكل : من لوازم الإيمان
٥٤	١٣٧	الصدقات : من أهم الأسباب لحب الله			جبن بني اسرائيل ، وضعفهم ،
		لبن الجانب والتواضع : من دلالات	٢٤	١٣١	وحقارتهم
		حب الله تعالى للمؤمن ، وحب	٢٨	١٣٢	قتل قاييل هابيل... ..
٥٤	١٣٨	المؤمن لربه			يوم القيامة : يؤخذ من حسنات
		استهزاء بعض من تسموا بالمؤمنين	٢٩	١٣٢	الظالم فتراد في حسنات المظلوم
٥٨	١٣٨	بالمصايين			من قتل نفساً : فكأنما قتل الناس
٦٠	١٣٨	قبح القردة والخنازير	٣٢	١٣٢	جميعاً
		العداوة بين اليهود والنصارى ، وبين			عقوبة قطع الطريق : والقتل ، وسلب
		سائر المسلمين . أو بين اليهود			المال ، والسرقة بالإكراه ،
٦٤	١٣٩	أنفسهم	٣٣	١٣٣	والتخويف
٦٦	١٣٩	الطاغات : مفتاح لسائر السعادات	٣٥	١٣٣	الوسيلة
		الرسول عليه الصلاة والسلام : معجزة	٣٨	١٣٣	عقوبة السرقة
٦٧	١٣٩	الله تعالى بين سائر البشر	٣٨	١٣٣	حكمة قطع اليد ، ووجوب الأخذ بها

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
١٠١	١٤٧	القرآن : فيه الفناء ، وفيه الكفاء	٧١	١٤٠	لن يتوب لإنسان ، قبل أت يتوب
١٠٣	١٤٧	والخامى والوصيلة ،	٧٣	١٤٠	عليه المنان قول النصارى «إن الله ثالث ثلاثة»
١٠٦	١٤٨	شاهدا الوصية عدم جواز شهادة غير المسلم إلا	٧٧	١٤١	غلو أهل الكتاب في دينهم . الغلو :
١٠٦	١٤٨	في الوصية لإحياء عيسى عليه السلام للموتى :	٨٢	١٤٢	إفراط أو تقربط لإيمان النجاشى
١١٠	١٤٩	كان لإحياء حقيقياً فساد قول من قال : إن الإحياء لم	٨٩	١٤٣	اللقو في الأيمان تعريف الحجر
١١٠	١٤٩	يكن على حقيقته ؛ بل كان لإحياء	٩٠	١٤٣	الحجر : أم الكبائر تسميتها بغير اسمها
١١٠	١٤٩	لموتى القلوب طلب إنزال مائدة من السماء	٩٠	١٤٣	ما شرب منها للتداوى لإباحة شربها وبيعها : وصمة في جين
١١٢	١٤٩	(سورة الأنعام)	٩٠	١٤٣	الأمة المسلمة حد شارب الحجر ، وضربه بالنعال
١	١٥٠	الظلمات والنور ظلمة الكفر ، ونور الإيمان	٩٠	١٤٣	حياة شاربها مضار الحجر : روحيا وجسمانياً
١	١٥٠	ظلمة الجهل ، ونور العلم معجزة القرآن الكريم : أكبر	٩٠	١٤٣	تأثيرها السيء على الجهاز العصبي
٤	١٥١	المعجزات وأجلها الرسول لا يكون ملكا ، بل بشراً	٩٠	١٤٤	شارب الحجر لا يستطيع ضبط أقواله
٨	١٥١	رؤية الرسول لجبريل - عليهما الصلاة	٩٠	١٤٤	ولا أفعاله الميسر ومضاره ، وتخرجه
٨	١٥١	والسلام - على صورته تلتطف الله تعالى بعباده رغم عصيائهم	٩٠	١٤٤	الاستقسام بالأزلام عداء السكيون والمقامرون وصدم
١٢	١٥٢	دلائل رحمة تعالى وجوب تبليغ القرآن على من بلغه	٩١	١٤٤	عن الصلاة وذكر الله ؛ بسبب
١٩	١٥٢	القرآن إنكار البعث «التعطيل»	٩٣	١٤٤	السكر والمقامرة الحظ على إطعام المسكين ، وإيثار
٢٩	١٥٤	غلاة الزنادقة في هذا الزمان أمم الحيوان :	٩٤	١٤٥	الغير على النفس والولد التكاليف : امتحان من الله تعالى
٣٨	١٥٥	أمة النحل ومملكته مملكة النمل وحسن تدبيره	٩٤	١٤٥	لعباده وقوع الذنب بالاختيار المحض
٣٨	١٥٥	تضحية النمل بالأفراد لمصلحة المجموع	٩٥	١٤٥	التهى عن قتل الصيد في الإحرام الهدى والقلائد
٣٨	١٥٥	كل مخلوقات والكائنات ؛ خلقت	٩٧	١٤٦	التهى عن سؤال مالا نفع وراءه
٣٨	١٥٦	لمصلحة بنى الإنسان النمل يدبر معيشته أفضل من تدبير	١٠١	١٤٦	هدى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
٣٨	١٥٦	كثير من المخلوقات	١٠١	١٤٧	في السؤال معجزة القرآن الدائمة

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
١١٦	١٦٨	توجيه الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ، وإرادة قومه به ...	٣٩	١٥٦	ضلالاته تعالى للمبد : عقوبة منه ؛ ينزلها تعالى على الضالين ...
١١٩	١٦٨	ضلال كثير من الناس بسبب هواهم			إذا نسي الإنسان ربه : فتح عليه أبواب كل شيء ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ...
١٢٢	١٦٩	التزيين للمؤمنين والكافرين ...	٤٤	١٥٧	إدعاء الغيب والتصديق به : كفر ...
		التزيين للكافرين : عقوبة لهم على الكفر ...	٥٠	١٥٧	علمه تعالى الانتهاء ...
١٢٢	١٦٩	اختلاف ثمرات الجنات ...	٥٩	١٥٨	الطعام يطلب آكله ...
١٤١	١٧٢	التصدق من الحب والثمار يوم الحصاد	٥٩	١٥٩	النوم : قرين الموت ...
١٤١	١٧٢	لكل نعمة حقاً ...	٦٠	١٥٩	نهاية المؤمن ، ونهاية الكافر ...
١٤١	١٧٢	الحق على مرتب الموظف ...	٦٠	١٥٩	بأس الناس : أهون من عذاب الله ...
١٤١	١٧٣	حق المال ، ووجوب إخراج الزكاة	٦٥	١٦٠	وجوب عدم الجلوس مع الطامعين في الدين ، أو القرآن ...
١٤١	١٧٣	حبس الزكاة : بسبب كثرة الجرائم ...	٦٨	١٦٠	لا يجزئ الله تعالى مطلب ، وإذا أراد شيئاً : كان ...
		انفراد الفتي وحده بالتمتع : يكسر قلب الفقير ، ويثير حفيظته ...	٧٣	١٦١	إبراهيم عليه الصلاة والسلام ...
١٤١	١٧٤	تحريم ذكر اسم الأولياء عند الذبح	٧٥	١٦١	كواكب السماء : لا أعداد لها ...
١٤٥	١٧٥	تحريم المحلات على بني إسرائيل ...	٧٦	١٦١	إيمان إبراهيم بالكوكب : لم يكن إيماناً حقيقياً ؛ بل كان تعليمياً ...
١٤٦	١٧٥	لا حاجة لأحد على الله ؛ بل له تعالى الحجة البالغة ...	٧٦	١٦٢	الإله المعبود ؛ يتنزه عن التغير والأفول
١٤٩	١٧٦	خوف الإملاق : كفر بالخلاق ...	٨٣	١٦٢	توجيه نظر إبراهيم للكائنات ...
١٥١	١٧٦	استثمار مال اليتيم ، وإخراج زكاته	٨٣	١٦٢	التوصل لمعرفة الله تعالى بالدليل العقلي
١٥٢	١٧٦	إيفاء الكيل والوزن في حدود الطاقة			إبراهيم : رأس الله الخفية ، وجد إمام الأنبياء ؛ عليهما الصلاة والسلام ...
١٦٠	١٧٨	المراد بعشر أمثال الحسنة ...			صعوبة خروج أرواح المكافرين ، وسهولة خروج أرواح المؤمنين ...
	١٧٨	(سورة الأعراف)			المستقر والمستودع ...
١١	١٧٩	تصور الخلق على حقيقتهم قبل خلقهم	٩٣	١٦٤	البصائر ...
١١	١٧٩	سجود إبليس لأدم ، وكيفيته ...	٩٨	١٦٥	حرية الاختيار ...
١٢	١٨٠	عاجة إبليس اللعين لربه ...	١٠٤	١٦٦	كرامة سب الكفار ...
		من مكائد الشيطان نسبة إضلاله لرب العالمين ...	١٠٧	١٦٦	شياطين الإنس والجن ...
١٦	١٨٠	الرجوع إلى الله تعالى للنجاة من إبليس	١٠٨	١٦٧	صدق كل ما في القرآن . ولا تبديل لما فيه ...
١٧	١٨٠	زعم بعض المؤمنين أن الأكل من الشجرة : ليس على حقيقته ...	١١٢	١٦٧	ضلال الغالية العظمى وإضلالها ...
٢٢	١٨١	المراد من قصة إبليس ...	١١٥	١٦٨	
٢٣	١٨١	خسرات المعاند ، ونجاة المعترف	١١٦	١٦٨	
٢٣	١٨١	بالتذنب ، اللجوء إلى الرب ...			
٢٦	١٨٢	أنواع اللباس ...			

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٩٥	١٩٢	أخذ الله تعالى الكافر والفاسق ؛ بعد أن يد لها في النعيم	٢٩	١٨٢	وجوب اتباع أمر الله تعالى ؛ لامعاندته... ..
١٠١	١٩٣	ختم الله على قلوب الكافرين : عقوبة لهم على كفرهم	٣٠	١٨٢	لم يوجب الله تعالى الضلالة على بعض عباده ظلاً
١٠٨	١٩٤	آيات موسى عليه السلام : العصا واليد	٣١	١٨٢	التزني عند دخول المساجد
١١٦	١٩٤	سحر السحرة	٣١	١٨٢	وجوب عدم الإسراف في الأكل
١١٨	١٩٥	انتصار موسى عليه السلام على السحرة	٣١	١٨٣	لايجل للمسلم أن يأكل هو وأولاده وجاره يتصور جوعاً... ..
١١٩	١٩٥	الفرق بين السحر والمعجزة	٣١	١٨٣	إطعام الغير بما يشتهي الطعام
١٢٧	١٩٥	آلهة فرعون عليه اللعنة	٣٢	١٨٣	طلب لإيثار الغير على النفس
١٢٧	١٩٥	بطانة سوء	٣٢	١٨٣	أصول الطب . وخلاصة التجارب... ..
١٢٧	١٩٦	شأن المستبد الظالم	٤٢	١٨٤	الطاعات ، والأعمال الصالحات ؛ في وسع سائر الناس
١٢٨	١٩٦	الصبر : سلاح المصلحين في كل زمان	٤٢	١٨٤	النار تشتري بالنقود ، والجنة تنال مجاناً
١٣١	١٩٦	الشؤم والتطير	٤٣	١٨٥	رؤية أهل النار مقاعد من الجنة ، وأهل الجنة مقاعد من النار
١٣١	١٩٦	النهي عنهما	٤٦	١٨٥	أصحاب الأعراف
١٣١	١٩٦	ما الذي يقوله المتشائم	٥٤	١٨٦	بطلان قول من قال : إن أصحاب الأعراف ملائكة
١٣١	١٩٦	تشاؤم الكافرين بالمرسلين	٥٥	١٨٦	استواء الله تعالى على العرش... ..
١٣١	١٩٦	التشاؤم : مرذول ؛ ياباه الاسلام فساد قول من استدل بالتشاؤم من القرآن الكريم	٥٥	١٨٧	فضل عبادة السر
١٣١	١٩٧	التصدق : مانع للشؤم	٥٨	١٨٧	كراهة رفع الصوت بالدعاء ، وطلب مالاً ييجوز
١٣٣	١٩٧	المقوبات التي أقرها الله تعالى على بنى اسرائيل	٥٨	١٨٧	إرادة الله تعالى لاتعلق بالمستحيل عقلا الآفات الزرهمية تحدث بسبب نسيان الخلق لربهم
١٤٣	١٩٨	كيف تجلى الله تعالى للجبل	٧٣	١٨٩	الاجتهاد في طلب الدين والدنيا
١٤٥	١٩٩	نزول التوراة على موسى في الألواح الحسن والأحسن «في كتاب الله» من أنكر القدرة ، وقال بالأسباب الطبيعية	٧٩	١٩٠	أكل الحلال ، والابتعاد عن الحرام إرسال كل نبي من أمته وقومه
١٤٥	١٩٩	كم من عالم هو من أهل النار ! لتخاذ بنى اسرائيل للعجل	٨٢	١٩٠	خطاب صالح لقومه بعد موتهم... ..
١٤٨	٢٠٠	مقابلة الغضب بالحلم واللين	٨٢	١٩٠	فعلة قوم لوط عليه السلام
١٥٠	٢٠٠	فتنة الله تعالى لبنى اسرائيل	٨٤	١٩٠	إمطار السماء ناراً وأحجاراً على قوم لوط
١٥٥	٢٠١	رحمة الله تعالى لمن يتقون ويؤننون الزكاة	٨٦	١٩١	الفرق بين الوعد والتوعد
١٥٦	٢٠١	التبشير بمجيء البشير النذير في الإنجيل الفرآن الكريم : هو «التور»			

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		أوجه الشبه بين الكفار والبهائم ؛	١٥٨	٢٠٢	النبي الأُمى : أعلم العلماء ...
٢٢	٢١٣	بل لانهم شر من البهائم ...	١٦٠	٢٠٢	المن والسلوى ...
٢٤	٢١٣	الإيمان : حياة النفوس ...	١٦٣	٢٠٣	الصيد يوم السبت ...
		الويل لمن أمكن أعداءه من دينه أو	١٦٤	٢٠٣	بذل العظة لمن لم تنفع معه العظة ...
٢٤	٢١٣	وطنه ...			وعد الله تعالى بفتنة اليهود إلى يوم
٢٤	٢١٣	القلب : هو العقل ...	١٦٧	٢٠٣	القيامة ...
٢٥	٢١٣	لإصابة من ظلم ومن لم يظلم بالعباد	١٦٧	٢٠٣	فك الألمان باليهود ...
		فساد قول من قال يذهب الأمان	١٦٩	٢٠٤	طعم الفجار في مفخرة الله تعالى ...
		عن الأمة الإسلامية بموت رسولها	١٧٢	٢٠٤	أخذ الميثاق على جميع بني آدم ...
٣٣	٢١٤	عليه الصلاة والسلام ...	١٧٦	٢٠٥	ذم اتباع الهوى ...
		قله المستغفرين الآن : هو ذهاب			كل إنسان يستطيع التمييز بين الخير
٣٣	٢١٤	الأمان عن المسلمين ...	١٧٦	٢٠٥	والشر بطبيعته ...
		استغفار الرسول عليه الصلاة والسلام			حتى الحيوات : يحس بما هو خير ،
٣٣	٢١٤	لأمنه بعد حقوقه بالرفيق الأعلى ...	١٧٦	٢٠٥	وما هو شر ...
٣٧	٢١٥	الأعمال : يغيبها الرياء والأذى والمن	١٧٦	٢٠٦	مثل المتبع هواء ...
٤١	٢١٥	الحس في المقام ...	١٨٠	٢٠٦	وقد الأسماء الحسنى ...
٤٢	٢١٦	انحصار الضعفاء على الأقوياء ...	١٨٠	٢٠٦	آداب الدماء بأسمائه الكريمة ...
٤٢	٢١٦	تكيل الملائكة بالكافرين ...	١٨٠	٢٠٦	اسم الله تعالى الأعظم ...
٤٦	٢١٦	التهى عن التنازع في القتال ...	١٩٩	٢٠٨	وجوب التسهل في معاملة الناس ...
٤٨	٢١٧	تأييد إبليس للكافرين ...			عفو الرسول عليه الصلاة والسلام
		الأمر بالاستئصال ، وضرب العدو	١٩٩	٢٠٨	عمن آذاه وظلمه ...
٥٧	٢١٨	الضربة القاضية ...	١٩٩	٢٠٩	عفوه عن أبي سفيان ، ومنه عليه
٦٠	٢١٨	الأمر بأخذ العدة للقتال ...			عفوه عن «وحشى» قاتل حمزة رضى
		رأى عمر بن الخطاب ، وسعد بن	١٩٩	٢٠٩	الله تعالى عنه ...
		معاذ ؛ رضى الله تعالى عنها بقتل	٢٠٠	٢٠٩	نزع الشيطان ...
٦٧	٢١٩	الأسرى ؛ وتصدق الله تعالى لهما	٢٠٤	٢٠٩	القراءة في الصلاة ...
		احترام الشورى ، والنزول على رأى			(سورة الأنفال)
٦٧	٢١٩	الأغلبية «الديموقراطية الإسلامية»	١	٢١٠	الأضال ...
٧٢	٢٢٠	الوفاء بالهود والمواثيق ...	٢	٢١٠	المؤمنون حقاً : تحديد صفاتهم ...
٧٢	٢٢٠	منطلق سياسة اليوم : الحق للقوة ...	٧	٢١١	وقفة بدر ...
٧٥	٢٢١	أولوا الأرحام ...	٩	٢١١	إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة ...
		(سورة التوبة)	١٧	٢١٢	«ومارميت لإذرميت ولكن الله رى»
١	٢٢١	سبب ترك التسمية في هذه السورة	١٧	٢١٢	أفعال الخلق المكتسبة ...
		الله : رحيم رحمن ؛ ولو أمر بالقتال			أعمال الخير : من الله تعالى ، أما أعمال
١	٢٢١	وأُنزل العذاب ...	١٧	٢١٢	الشر : فمن أنفسنا ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		الصدقة : مطهرة للنفس ، مرضات للرب ٢٤٠	٦	٢٢٢	إقناع الكافرين بالدليل والبرهان ...
١٠٣	٢٤٠	فضح المنافق وانكشاف أمره ... ٢٤٠	٦	٢٢٢	رقة المسلمين ، في معاملة الكافرين ...
١٠٧	٢٤٠	مسجد الضرار ٢٤٠	١٦	٢٢٤	النهي عن اتخاذ الكافرين والمنافقين أصدقاء ٢٢٤
١١١	٢٤١	أجر الشهيد ٢٤١	١٨	٢٢٤	خنية الله تعالى : هي الإيمان كله ...
١١٤	٢٤٢	استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه ... ٢٤٢	٢٨	٢٢٦	نجاسة المشركين ٢٢٦
١١٧	٢٤٢	غزوة تبوك ، والشدة التي لافاها المسلمون فيها ٢٤٢	٢٩	٢٢٦	أخذ الجزية من الكفار ٢٢٦
١١٨	٢٤٣	الثلاثة الذين خلفوا ٢٤٣	٣٠	٢٢٦	قصة عزيز ٢٢٦
١١٨	٢٤٣	العقوبة بالمقاطعة ٢٤٣	٣٤	٢٢٧	رأى أبي ذر رضى الله تعالى عنه في الإنفاق ٢٢٧
١١٨	٢٤٣	توبة الله تعالى على عباده ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ٢٤٣	٣٥	٢٢٧	عقاب البخيل ٢٢٧
	٢٤٥	(سورة يونس)	٣٦	٢٢٨	ارتكاب المعاصي في الأشهر الحرم ...
٥	٢٤٦	منازل القمر ٢٤٦	٤٠	٢٢٩	«ثاني اثنين إذ هما في الغار» ...
		من شرائط الإيمان : التصديق بالآخرة ؛ فعلا . لا قولا ... ٢٤٧	٤٣	٢٢٩	سمو منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام عند ربه ٢٢٩
١١	٢٤٧	«كان الناس أمة واحدة» ٢٤٨	٤٧	٢٣٠	التي عن خروج المرتابين المترددين للقتال ٢٣٠
١٩	٢٤٨	من علام الساعة ٢٤٩			تعذيب المنافقين - في الحياة الدنيا - بأموالهم وأولادهم ٢٣١
٢٤	٢٤٩	القرآن : شفاء الصدور ٢٥٤	٥٥	٢٣١	الذين تجب لهم الزكاة : الفقراء ، المساكين ، الجباة ، المؤلفة قلوبهم الأرقاء ، المتقون بالدين ، المجاهدون أبناء السبيل ٢٣٢
٥٧	٢٥٤	الاستبشار وقت الزرع ٢٥٥	٦٠	٢٣٢	كفر المستهزين بالله ، وآياته ، ورسله ، وعبادته ٢٣٣
٦٤	٢٥٥	بطلان نسبة اتخاذ الولد لله سبحانه ... ٢٥٦	٦٦	٢٣٣	رحمة الله تعالى لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ٢٣٤
٦٨	٢٥٦	الاستماعة بالله تعالى : تبعث في النفس الطمأنينة ، وفي الجسم القوة ... ٢٥٦	٧١	٢٣٤	إقامة الصلاة : شكر لله تعالى ...
٧١	٢٥٦	قول من قال بإيمان فرعون ، وبطلان هذا القول ٢٥٩	٧١	٢٣٤	لبناء الزكاة : من أخس لوازم المؤمن الدعوة الصادقة لطاعة الله تعالى ...
٩٠	٢٥٩	السبب في معاقبة فرعون وملائته بالإغراق ٢٥٩	٧١	٢٣٥	النهي عن الاستغفار للمشركين ...
٩٠	٢٥٩	نجاة بدن فرعون ٢٥٩	٨٠	٢٣٦	النهي عن الصلاة على موتى الكفار صلاة الجنائز ٢٣٦
٩٢	٢٥٩	كل زجر ، أو تريع موجه للرسول عليه الصلاة والسلام : إنما أريد به أمته ٢٦١	٨٤	٢٣٦	تخلف الغني عن الجهاد ٢٣٨
١٠٦	٢٦١	(سورة هود)	٨٤	٢٣٦	«الأعراب : أشد كفرا ونفاقا» ...
	٢٦٢	الفناعة والرضا : هما الغنى الكامل ... ٢٦٢	٩٣	٢٣٨	
٣	٢٦٢	تكفل الله تعالى بأرزاق سائر الخلائق ... ٢٦٣	٩٧	٢٣٩	

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		فساد مايزعمه القراء من الإثم ،			رزقه تعالى للإنسان رغم كفرانه
١١	٢٨١	وكيفيته	٦	٢٦٣	وعصيانه
١٥	٢٨١	كيف نزل الوحي على يوسف في الحب			الفقراء : أحياء الله تعالى ، وأسباب
٢٤	٢٨٣	هم يوسف عليه السلام	٢٧	٢٦٦	جنته
٢٤	٢٨٣	برهان الله تعالى ليوسف عليه السلام			الغنى : من أهم أسباب البعد عن الله
٢٩	٢٨٣	وضوح براءة يوسف لدي عزيز مصر	٢٧	٢٦٦	تعالى
		وجه الظلة من وجود يوسف في بيت			إذا أراد الله تعالى شيئاً : قلب
٣٢	٢٨٤	العزيز	٤٠	٢٦٨	الأوضاع ، ومحا الطباع
		إدخال يوسف السجن بعد وضوح			سفينة نوح : ليست على جبال أراوات
٣٥	٢٨٤	برأته	٤٤	٢٦٩	كما زعم المكشفون
		تدرج يوسف عليه السلام في نشر			قول من قال : إن ابن نوح كاث
٤٠	٢٨٥	الدعوة	٤٦	٢٦٩	ابن زنا
٤٢	٢٨٦	جزاء من ينسى ربه في وقت الشدة			مزايا الاستغفار ، وفوائد النبوية
٤٧	٢٨٦	حفظ الحبوب	٥٢	٢٧٠	والأخروية
٥١	٢٨٧	صدق امرأته العزيز			تحدى هود عليه السلام لقومه : شدة
٥٣	٢٨٧	بطلان ماله القسرون في قصة يوسف			إيمانه ، ومزيد يقينه : بمثا فيه
٥٦	٢٨٨	عز الطاعة ، وذل المصيبة			القوة ، والطمأنينة ، والإقدام على
٥٨	٢٨٨	مجيء إخوة يوسف ، وعدم معرفتهم له	٥٥	٢٧٠	هذا التحدى
		جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة			الراضى عن المصيبة : شريك
٧٦	٢٩٠	بالحيلة	٦٥	٢٧٢	في المصيان
٨٧	٢٩٢	التحسس ، والتجسس			إتيان الذكران : يحط بن آدم عن
٩٣	٢٩٣	قيس يعقوب ، وما ورد في صفته ...	٧٨	٢٧٣	مرتبة الحيوان
٩٩	٢٩٤	لقاء يوسف لأبيه يعقوب			توفية الكيل والميزان : مجلبة لحسن
١٠٠	٢٩٤	لطف الله تعالى بيوسف	٨٦	٢٧٤	الحال والمآل
		إذا أراد المولى تعالى بعبد خيراً :			الأشقياء في جهنم « لهم فيها زفير
١٠٠	٢٩٤	جاءه الخير من طريق الشر ١ ...	١٠٦	٢٧٧	وشهيق »
		كل شيء في الكون يشهد لله تعالى	١١٣	٢٧٨	لثم مخالطة الظالمين ، والركون إليهم
١٠٥	٢٩٥	بالوجود ، والقدرة ، والمظنة ...	١١٤	٢٧٨	تعرض الإنسان لارتكاب الصفات ...
		(سورة الرعد)			الصفات ؛ بالإصرار والتكرار :
٤	٢٩٦	اختلاف الثمار والنبات	١١٤	٢٧٨	تتحول إلى كبرائم
٨	٢٩٧	تقدير الله تعالى للأشياء	١١٤	٢٧٨	« إن الحسنات يذهبن السيئات » ...
٨	٢٩٧	التوازن بين تعداد السكان وحاجاتهم			(سورة يوسف) .
٨	٢٩٧	تطور لبن الموضع مع نمو الطفل ...	٧	٢٨٠	قصص القرآن : للاعتبار والاستبصار
١٥	٢٩٨	سجود كل شيء لله تعالى			مضار إتيان بعض الأبناء على بعض :
٢٢	٣٠٠	فضل السر في الصدقة	٩	٢٨٠	في الحب والقرب

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢١	٣١٣	ابتلاء الله تعالى عباده بالبسط والقبض	٢٢	٣٠٠	الصدقة في السر والجهر
٢٢	٣١٣	إرسال الرياح لواقع			العقل : هو الميثاق الذي واثق الله
٢٩	٣١٤	كيفية سجود الملائكة لأدم	٢٥	٣٠٠	عباده به
		لم يفر الله تعالى لإبليس اللعين ؟	٢٧	٣٠١	الفرآن : فاق سائر المعجزات
٣٩	٣١٥	بل غوى بنفسه ، وأغوى غيره ...			مخاطبة الأمة بالتهديد والوعيد ؟
		ما خلق الله تعالى نفساً أكرم عليه	٣٧	٣٠٣	في شخص رسولها عليه السلام ...
٧٢	٣١٧	من محمد عليه الصلاة والسلام ...			الحو والإنبات في الرزق ، والأجل
٧٢	٣١٧	لإقسام الله تعالى بحياة نبيه عليه السلام	٣٩	٣٠٣	والسعادة ، والثقاوة
٧٤	٣١٧	لإهلاك قوم لوط عليه السلام			الصدقة ، وبر الوالدين ، وصلة
٨٨	٣١٨	النهي عن التطلع إلى ما عند الكفار	٣٩	٣٠٣	الرحم : تطيل العمر
٨٨	٣١٨	الأمر بالتواضع ولين الجانب للمؤمنين	٣٩	٣٠٣	محو القضاء الأزلي وتغييره
٨٨	٣١٨	فساد المقاييس والمعايير ، وظيآن المادة			القنوت والدعاء : يدلان على المحو
	٣١٩	(سورة النحل)	٣٩	٣٠٣	والتغيير
		القرآن : هو الخير كل الخير ، وهو		٣٠٤	(سورة إبراهيم)
٣٠	٣٢٢	سبب لكل رحمة ونعمة !	٤	٣٠٤	وجوب لإرسال الرسل بلسان أقوامهم
٤٨	٣٢٥	سجود كل شيء لله تعالى	٤	٣٠٥	وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات ...
٥٩	٣٢٦	كرهية بعض الجهال لمولد البنات ...	٤	٣٠٥	إضلال الله تعالى لمن يشاء لإضلاله ...
٥٩	٣٢٦	قد تكون الأثني خيراً من الذكر ...	١٨	٣٠٧	صفة أعمال الكافرين
٥٩	٣٢٦	الوآد في الجاهلية	٢٤	٣٠٨	الكلمة الطيبة
٦٠	٣٢٦	«لله المثل الأعلى»	٢٦	٣٠٨	الكلمة الحبيثة
		اتصاف بعض البشر بصفاته تعالى ؟			لا يضل الله تعالى إلا من أصر على
٦٠	٣٢٦	وهو «ليس كمثل شيء»	٢٧	٣٠٨	كفره وضلاله
٦٠	٣٢٦	فهم الكمال الإلهي	٢٨	٣٠٨	الكفر بالنعمة
		حزنية الكرم ، والرحمة ، والصبر ،			الرسول عليه الصلاة والسلام : هو
٦٠	٣٢٦	والعلم	٢٨	٣٠٨	النعمة العظمى !
		كلما تعلق الإنسان بالنفائل والمثل			رب ساع لا ينال جزاء سعيه ، ورب
٦٠	٣٢٦	العليا : ازداد حباً لله تعالى ،	٣١	٣٠٩	قاعدر رزق من حيث لا يحتسب ...
٦٠	٣٢٦	ومعرفة به ، وقرباً منه	٣١	٣٠٩	حكمة الإنفاق في السر والعلانية ...
٦٠	٣٢٦	تذوق الحب الإلهي !	٣٤	٣٠٩	أنعم الله تعالى التي لاتحصى
٦٨	٣٢٧	الوحي إلى النحل			استجابة دعوة إبراهيم عليه السلام
		فوائد العسل الطيبة : للضعف العام ،	٣٧	٣١٠	لأهل مكة
		والنسم ، وأمراض الكبد ،			(سورة الحجر)
		والذبجة الصدرية ، والحميات ،	١٦	٣١٣	منازل الكواكب السيارة
		واحتقان المخ ، وضعف القلب ،	١٩	٣١٣	تناسب العناصر
٦٩	٣٢٨	والحصبة ، وغير ذلك			

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		التهى عن قربات الزنا ، وما هو	٧١	٣٢٨	وجوب لإكرام العبيد
٣٢	٣٤٢	قربانه ؟	٧٥	٣٢٨	معنى الخفدة
٣٢	٣٤٢	الزنا : من أفيح الذنوب	٧٥	٣٣١	مثل البخل والكريم
٣٤	٣٤٢	الحافضة على مال اليتيم	٩٠	٣٣١	العدل : جامع الفضائل كلها
٤٤	٣٤٣	تسبيح كل شيء لله سبحانه	٩٠	٣٣١	الفحشاء والمنكر : يشملان جميع
		تسبيح السموات ، والأرض ،	٩٠	٣٣١	المعاصي والذرائع
		والجبال ، والكواكب ، والمياه ،	٩٧	٣٣٢	طيب حياة من يعملون الصالحات
٤٤	٣٤٣	والأشجار ، والأزهار	٩٨	٣٣٢	وجوب الاستمادة قبل قراءة القرآن
		نقى الشعر عن الرسول صلوات الله	١٢٢	٣٣٥	إبراهيم عليه الصلاة والسلام
		تعالى وسلامه عليه . وبطلان قول	١٢٥	٣٣٥	وجوب المجادلة باللين والحسنى
٤٧	٣٤٤	من قال بذلك	١٢٦	٣٣٦	كيفية الماتلة في العقوبة
		مرتبنا الرجاء والخوف ، والتوسط		٣٣٦	(سورة الإسراء)
٥٧	٣٤٤	فيهما	١	٣٣٦	تقديس الله تعالى
		رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام	١	٣٣٦	المبودية : غاية الغايات
٦٠	٣٤٥	مصارع الكفار في وقعة بدر	٤	٣٣٧	بنى اليهود وإنسادهم
		حصانة عباد الله تعالى من كيد الشيطان	٥	٣٣٧	إذلال اليهود على يد مختنصر
٦٥	٣٤٥	ووسوسته			تأويل قوله تعالى : وأمرنا مترقيا
٦٧	٣٤٦	الاستعانة بالله تعالى : وقت من الضر	١٦	٣٣٨	ففسقوا فيها
٨٣	٣٤٧	مضار اليأس ، وكفر اليأس القانط	١٦	٣٣٩	الزنا : السبب الأول للأمراض الفتاكة
٨٥	٣٤٧	الروح ، وحقيقتها	١٦	٣٣٩	الزهرى : من معقبات الزنا
٨٥	٣٤٨	بعث النفوس يوم القيامة بأجسادها	١٦	٣٣٩	معقبات الزنا : تلازم ذراري الزاني
٨٥	٣٤٨	زعم تخضير الأرواح			وخطائهم
٨٥	٣٤٨	لا سلطان لأحد على الروح ، سوى	١٦	٣٣٩	لا يجوز بحال نسبة الأمر بالفسق
١٠١	٣٤٩	خالقها تعالى			لله تعالى
١٠١	٣٤٩	آيات موسى عليه السلام	١٦	٣٣٩	خسران المقبل على الدنيا ، التصرف
١١٠	٣٥٠	أسمائه تعالى الحسنى	١٨	٣٣٩	عن الآخرة
١١٠	٣٥١	الجهر في الصلاة ، والخفوت فيها	٢٣	٣٤٠	وجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما
	٣٥١	(سورة الكهف)			وجه التشبه بين إحسان الله تعالى ،
٩	٣٥٢	أصحاب الكهف والرقيم	٢٦	٣٤٠	وإحسان الوالدين
١٨	٣٥٣	سبب تقلب أصحاب الكهف			فساد قول من قال : إنه لا فضل
١٨	٣٥٣	سبب الرعب منهم	٢٦	٣٤٠	لوالدين
٢١	٣٥٤	حجة بعث الناس بأجسادهم	٢٦	٣٤١	حقوق الأقرباء
٢١	٣٥٤	جواز اتحاد المساجد فوق القبور	٢٧	٣٤١	التهى عن التبذير
		وجوب الاستثناء في الأعمال «إت	٢٧	٣٤١	لا تبذير ، ولا إسراف في الخير
٢٤	٣٥٤	شاء الله»	٢٨	٣٤١	القول ليسور للوالدين

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		مناقشة مريم لعيسى عليهما الصلاة	٢٥	٣٥٥	حقيقة مدة لبث أهل الكهف ...
٢٤	٣٦٨	والسلام عند ولادته			وجوب تكريم الفقراء ، وعدم
٢٥	٣٦٨	فوائد الرطب للحوامل والوالدات ...	٢٨	٣٥٥	الانصراف عنهم
٢٧	٣٦٨	اتهام اليهود لمريم بالزنا	٣٢	٣٥٦	مثل الكافر والمؤمن
٣٠	٣٦٩	هل تلبأ عيسى عليه السلام عند ولادته؟	٣٢	٣٥٦	كفر المعتز بدينه
٥٥	٣٧١	وجوب الأمر بالصلاة والزكاة ...	٤٥	٣٥٧	مثل الحياة الدنيا
٥٩	٣٧١	إضاعة الصلاة ، واتباع الشهوات ...	٤٦	٣٥٧	والمال والبنون زينة الحياة الدنيا
		الجنة : ليس فيها ليل ونهار ؛ بل	٥٠	٣٥٨	لا يلبس وذريته
٦٢	٣٧٢	نور دائم	٥٣	٣٥٩	الظن : بمعنى اليقين
٧١	٣٧٢	ورود المؤمنين على النار	٦٠	٣٦٠	موسى وفتاه ؛ عليهما السلام ...
		اختلاف معاني «كلا» وأول ورودها	٦٥	٣٦٠	إلقاء موسى بالحضر عليهما السلام ...
٧٩	٣٧٣	في القرائن	٦٥	٣٦٠	دليل نبوة الحضر عليه السلام ...
		الإيمان والعمل الصالح : عجلة لحب	٧٧	٣٦٢	البخل : من أحط الصناعات
٩٦	٣٧٤	الله تعالى ، وود الناس	٧٩	٣٦٢	الفقر ، والسكين
		(سورة طه)	٧٩	٣٦٢	التعوذ من الفقر
٥	٣٧٥	استواء الرحمن على العرش	٨٠	٣٦٢	الرضا بقضاء الله في المكروه
٤٤	٣٧٨	المث على إلانة القول للطائع والمعاصي	٨٢	٣٦٢	صلاح الآباء : ينفع الأبناء
٤٤	٣٧٨	أخلاق المتقطعين	٨٦	٣٦٣	الشمس كما رآها ذو القرنين
٤٤	٣٧٨	رفقه تعالى بسائر مخلوقاته	٨٦	٣٦٣	الشمس على حقيقتها
		هداية الله تعالى لسائر مخلوقاته ؛	٨٦	٣٦٣	هل كان ذو القرنين نبياً ؟
٥٠	٣٧٨	بطريق الوحي والإلهام	٩٤	٣٦٤	بناء سد ذي القرنين
٥٠	٣٧٨	هداية الحيوان لما أعد له	١٠٩	٣٦٥	ماهية كلمات الله تعالى
٥٠	٣٧٩	هداية الحيوان لقطع سره مولوده ...	١٠٩	٣٦٥	لله تعالى كتابين : دالين على وجوده
		النوع الإنساني : واحد من ملايين			وشهوده
٥٠	٣٧٩	أنواع المخلوقات			(سورة مريم)
		حب سائر المخلوقات للبقاء ، والنشيط	١٠	٣٦٧	الصيام من موجبات استجابة الدعاء
٥٠	٣٧٩	بالحياة	١٢	٣٦٧	صفات يجي عليه السلام
٥٠	٣٧٩	التوازن الحيوي بين سائر المخلوقات	١٦	٣٦٧	قصة مريم عليها السلام
٥٠	٣٧٩	تكاثر الذباب والحشرات وغيرها	١٧	٣٦٧	إرسال الروح إليها
٥٠	٣٨٠	الإنسان : سيد المخلوقات الأرضية ...			مناقشة يوسف النجار لمريم ، حين
٥٠	٣٨٠	محاولة الإنسان إبادة كل ما يعرضه ...	٢١	٣٦٨	رأى منها مظاهر الحمل
		لكل نوع من الحشرات أعداء			يخلق الله تعالى الأشياء ابتداء بغير
٥٠	٣٨٠	توقف نموه وتكاثره	٢١	٣٦٨	سبب
		إفساد الحشرات : في ظاهره نعمة ،			نزول عيسى للتبشير بمحمد عليهما
٥٠	٣٨٠	وفي حقيقته نعمة	٢٣	٣٦٨	الصلاة والسلام

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٨٥	٣٩٧	ذا الكفل عليه السلام			الأوبئة ، والطواعين ، والحروب :
٨٥	٣٩٧	يودا وأتباعه	٥٠	٣٨٠	لصالح الكون والكائنات
٨٧	٣٩٧	قصة يونس بن متى عليه السلام ...	٨٢	٣٨٣	شرائط الفئران
٨٧	٣٩٧	دعاء يونس عليه السلام ، واستجابته	٨٨	٣٨٣	عجل السامري
٩٥	٣٩٨	عذاب الدنيا : لا يدفع عذاب الآخرة	٩٢	٣٨٣	ثورة موسى على هرون عليهما السلام
		«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» :			وجوب مواجهة ثورة الصديق
١٠٧	٣٩٩	مؤمنهم ، وكافرهم	٩٤	٣٨٤	بالتساهل والرفق واللين
	٤٠٠	(سورة الحج)	٩٧	٣٨٤	عقوبة السامري في الدنيا
١	٤٠٠	زلزلة الساعة	١٠٢	٣٨٥	حشر المجرمين «زرقاً» يوم القيامة
٥	٤٠٠	تأويل خلقه الإنسان «من علقه» ...			بطلات قول من قال : إن الزرقة
		من قرأ القرآن : لم يصب بالحرف	١٠٢	٣٨٥	في عبوديتهم
٥	٤٠١	في كبره	١١١	٣٨٥	الاسم الأعظم : «الحى القيوم» ...
٦	٤٠١	«ذلك بأن الله هو الحق»	١٢١	٣٨٦	معصية آدم عليه السلام
١٥	٤٠٢	من ظن أن ينصره الله : فليخترن	١٢٤	٣٨٦	معيشة الكافر : ضنك دائم
١٨	٤٠٣	«ومن يهين الله فإلهه من مكرم» ...	١٢٤	٣٨٦	حياة المؤمن : سرور في سائر الحالات
١٨	٤٠٣	إنما يهين الله تعالى : من يأبى الإيمان		٣٨٨	(سورة الأنبياء)
		بطلان مزاعم من ينسبون الظلم لله	٢	٣٨٨	القرآن الكريم : قديم محدث ...
١٨	٤٠٣	«وما ربك بظلام للعبيد»	٢٠	٣٩٠	تسبيح الملائكة عليهم السلام
٢٠	٤٠٣	شدة عذاب الله تعالى للكافرين ...	٢٣	٣٩٠	«لا يسأل عما يفعل»
٢٥	٤٠٤	لثم من هم بالمعصية في الحرم			بطلان زعم من يقول بأن الأرض :
٢٥	٤٠٤	حرمة الاختكار في الحرم	٣٠	٣٩١	قطعة من الشمس
		حكمة اجتماع الناس في العبادات :	٣٥	٣٩١	الابتلاء بالشر والخير
٢٥	٤٠٤	صلاة الجماعة ، الجمعة ، الحج ...	٣٧	٣٩٢	«خلق الإنسان من عجل»
٣٠	٤٠٥	شهادة الزور : من أكبر الكبائر	٤٧	٣٩٣	موازين القيامة
٤٠	٤٠٦	الحروب والقتال : ليست شرأ كلها	٦٨	٣٩٥	كيف انقلبت نار إبراهيم برداً وسلاماً
		الحروب : ضرورة من ضرورات			تسليط العوض لإهلاك قوم إبراهيم
٤٠	٤٠٦	الحياة	٧٠	٣٩٥	عليه السلام
		قصة الغرائق ، وبطلان ما ذهب	٧٨	٣٩٦	حكم داود وسليمان في مسألة الحرب
٥٢	٤٠٧	إليه المفسرون فيها			تفضيل حكم سليمان على حكم داود ؟
٥٣	٤٠٨	الشقاق الدائم بين الأمم الغريبة ...	٧٨	٣٩٦	مع صحة حكمه
٦٠	٤٠٨	لا تجوز الجبانة في العقوبة على إطلاقها	٧٩	٣٩٦	تسبيح الجبال والطير مع داود ...
٧٣	٤١٠	حكمة خلق الذباب	٨١	٣٩٦	تسخير الريح والشياطين لسليمان ...
٧٨	٤١١	جهاد النفس ، ومحاربة الشيطان	٨٣	٣٩٧	ضرر أيوب عليه السلام
	٤١٢	(سورة المؤمنون)	٨٣	٣٩٧	بطلان ما رواه أكثر المفسرين عن ضرره
٣	٤١٢	لغوا الكلام	٨٥	٣٩٧	إدريس عليه السلام

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢٢	٤٢٥	الحث على العفو	٦	٤١٢	ملك اليمين
٢٢	٤٢٥	وجوب إعطاء الفقير ، ولو عصى ...	٦	٤١٢	بطلان ما يؤولهم البعض من بقاء ملك اليمين حتى الآن
٢٦	٤٢٦	«الحيثات للحيثين ... والطيبات للطيبين»	٦	٤١٢	لا يستعبد النفوس : إلا الكفر والعداء للمؤمنين
٢٧	٤٢٦	آداب الزيارة ، وحضارة الاسلام ...	٦	٤١٢	لا يستحل الإماء الآت إلا زان ...
٣٠	٤٢٦	الأمر بفرض البصر	١٧	٤١٣	الطرائق : هي السموات
٣٠	٤٢٦	النظر إلى المحرمات : بريد الزنا ...	٢٧	٤١٤	فوران ماء الطوفان من التنوير ...
٣١	٤٢٧	نهى المرأة عن إبداء زينتها	٢٧	٤١٤	بطلان قول من قال بأن سفينة نوح كانت تسيير بالخيار
٣٣	٤٢٧	استعفاف الذين لا يستطيعون الزواج ...	٥٢	٤١٦	وجوب توحيد الأمة الإسلامية ...
٣٣	٤٢٨	مكاتبة العبيد للتحرر	٥٦	٤٢٠	دفع أذى الكفار بالحسن
٣٣	٤٢٨	ضرر المغالاة في المهور	٤٢٢		(سورة النور)
٣٥	٤٢٨	«الله نور السموات والأرض» ...			عقوبة الزانية والزاني : الحصن ، وغير الحصن
٣٥	٤٢٨	وجوب التمسك بنور الله تعالى ...	٢	٤٢٢	المرأة : منشأ الجنابة ، ومبدأ العوایة ، وعليها التبعة
٣٩	٤٢٩	مثل أعمال الكفار	٢	٤٢٢	فحش القوانين الوضعية في جرعة الزنا حد الزنا : يجب إيقاعه بالشدّة والعظّة
٣٩	٤٢٩	جزاء الكافر على إحسانه : يجعل له في الدنيا	٢	٤٢٢	تفشي الأمراض الخبيثة بسبب الزنا ... «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك»
٤٠	٤٢٩	مثل حيرة الكافر وضلاله	٣	٤٢٣	عقوبة قذف المحصنات
٤٥	٤٣٠	خلقة كل المخلوقات من ماء	٤	٤٢٣	سقوط عدالة القاذف ، وعدم قبول شهادته أبد الدهر
٥٥	٤٣٢	انتشار الاسلام وذبوته	٦	٤٢٣	قذف الزوج لزوجته
٥٨	٢٣٢	أوقات استئذان الخدم والأطفال ... البيوت التي يجوز الأكل منها ؛ بغير إذن من صاحبها	٦	٤٢٣	كيفية اللعان
٦١	٤٣٣	الإبن وماله : ملك أبيه	٦	٤٢٣	باللعان تحصل الفرقة الأبدية بين الزوجين الإفك : رى أم المؤمنين عائشة رضی الله تعالى عنها
٦١	٤٣٣	رب حبيب ، خير من قريب ، ورب أخ لك لم تلده أمك	١١	٤٢٣	مدح حسان بن ثابت لعائشة رضی الله تعالى عنها بقصيدة عصماء : برأ فيها نفسه مما نسب إليه من الإفك ...
٦١	٤٣٣		١٩	٤٢٥	عدم جواز التستر على الفواحش ...
٦١	٤٤٢	الكواكب لاتصلح لسكنى الإنسان ...	٢١	٤٢٥	أصدقاء السوء
	٤٣٤	(سورة الفرقان)			
		ابتلاء الناس بعضهم ببعض : الفقى بالفقير ، والمریض بالصحيح ، والوضیع بالعریف			
	٤٣٧	دوران الأرض حول الشمس			
	٤٣٩	فضيلة التسبیح			
	٤٤١	ولع بعض الناس باكتشاف القمر حق من قال بتفجير جزء من القمر للاختبار			
	٤٤١	الكواكب لاتصلح لسكنى الإنسان ...			

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٨٧	٤٤٩	وجوب اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء ؛ للفوز والنجاة ...	٦١	٤٤٢	أطاع الإنسان لانتف عند حد ...
١٦٥	٤٥٣	حكم القواط : حكم الزنا ...			الإنسان يريد من وراء الوصول إلى الكواكب : الوصول إلى إنكار
١٨٩	٤٥٤	عذاب يوم الظلة ...	٦١	٤٤٢	خالقها ...
١٨٩	٤٥٤	قد يرسل تعالى العذاب من مواطن الرحمة ...	٦١	٤٤٣	الأسباب الداعية لكفر الكافرين : كانت كافية لإيمانهم وهدايتهم ...
١٨٩	٤٥٤	ملوك مدين ...			الكواكب التي اكتشفها الإنسان حتى الآن : لا توازي ذرة من مجموعة الكواكب التي خلقها الله ، ولا
١٨٩	٤٥٤	أصل حروف الهجاء ...	٦١	٤٤٣	قطرة في بحر ملكه الزاخر ...
١٩٧	٤٥٥	بعكس ما عداها من الأمم ...			سلط الله تعالى الإنسان على أقوى مخلوقاته ؛ ولو سلط عليه أضعف مخلوقاته : لأهلكه وأفناه ...
١٩٧	٤٥٥	الناس دخولا النار ...	٦١	٤٤٣	لا يوجد شيء في الوجود ؛ يغير موجد
٢٠٠	٤٥٥	سلوك القرآن في قلوب الكافرين : لتسقط حجبتهم ...	٦١	٤٤٤	حق من يطلب السفر إلى الكواكب لن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر ...
٢٠٠	٤٥٥	بطلان قول من قال : إن الذي سلكه الله تعالى في قلوب الكافرين : هو الكفر والتكذيب ...	٦١	٤٤٤	لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما ...
٢٢٤	٤٥٧	ليس كل شاعر يعلم ، وليس كل شعر بمنوم ...			الشكر : لا يكون باللسان ؛ بل بالعبادة والصدقة ...
٢٢٤	٤٥٧	من الشعراء : من حاز مرتبة الأولياء (سورة النمل)	٦٢	٤٤٤	التوسط بين التقدير والإسراف ...
	٤٥٧	وجوب حذر الضعيف ، وأخذ أهنته : لتوق ضرر القوى وبطشه	٧٢	٤٤٥	شهادة الزور : من أكبر الكبائر
١٨	٤٥٩	استخدام الطير لحمل الرسائل ...	٧٢	٤٤٥	حكم قدام المصريين على شاهد الزور
٢٨	٤٦٠	ورود الأنظمة الديموقراطية في القرآن			(سورة الشعراء)
٢٩	٤٦٠	مضار الاحتلال ...	٢٢	٤٤٧	كرامة النوع الإنساني لا تتجزأ ...
٣٤	٤٦٠	الإيمان بعرض بلقيس إلى سليمان			الفرق بين سحر الساحر . ومعجزة النبي ...
٤٠	٤٦١	بطلان قول من قال : إن عرش بلقيس لم يحضر لدى سليمان ؛ بل الذي أحضر رسمه لأجسه ...	٤٥	٤٤٧	إيمان الشجرة بموسى عليه الصلاة والسلام ...
٤٢	٤٦٢	سبب تسمية المطر : رحمة ...	٤٦	٤٤٧	كنوز الفراعنة بأرض مصر ...
٦٣	٤٦٤	لأبنا أن في السموات سكاناً عقلاء	٥٨	٤٤٨	استفزاز الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصلاة على إبراهيم عليه السلام
٦٥	٤٦٥	تتق علم الغيب عن سائر المخلوقات ؛ حتى سكان السموات ...	٨٢	٤٤٩	والثناء عليه ؛ استجابة لدعوته ...
٦٥	٤٦٥		٨٤	٤٤٩	

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٨٨	٤٨١	« كل شيء هالك إلا وجهه » ...	٦٥	٤٦٥	« من ذهب إلى عرف : ذهب ثلثا دينه »
	٤٨١	(سورة العنكبوت)	٦٥	٤٦٥	الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو
		امتحان الناس : بالفقر والغنى ،	٦٥	٤٦٥	أفضل المخلوقات - لا يعلم ما في غد
		والمرض والعافية ، والموت ،	٨٢	٤٦٦	امتحان الحجاج لأحد العرافين ...
٢	٤٨١	والقحط ...	٨٢	٤٦٦	خروج الدابة : قبيل القيامة ...
٨	٤٨٢	لا طاعة لمخلوق ، في معصية الخالق	٨٢	٤٦٦	اختلاف الناس في صفاتها وهيئتها ...
		الحالة الوحيدة التي يجوز فيها مخالفة	٨٨	٤٦٧	ما استفعله الدابة بالمؤمنين والكافرين
٨	٤٨٢	الوالدين وعصيتهما ...	٨٩	٤٦٧	دقة صنع النمل والنحل ...
		« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء			نجاة المؤمنين من فرع القيامة وأهوالها
٤٥	٤٨٧	والمنكر » ...		٤٦٨	(سورة القصص)
٤٥	٤٨٧	« ولذكر الله أكبر » ...	٤	٤٦٨	فرعون موسى ...
		أمية الرسول عليه الصلاة والسلام :	٦	٤٦٨	نصيحة منجم لفرعون ...
٤٨	٤٨٨	معدة للشك في صدقه ...	٧	٤٦٩	جمع الله تعالى في آية واحدة : أمرين
٥١	٤٨٨	القرآن : معجزة الدهر ، وآية الأبد	١٠	٤٦٩	ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين ...
		رزقه تعالى يتناول الحشرة في الصخر	١٥	٤٧٠	هلع أم موسى عليه السلام ...
٦٠	٤٨٩	الأصم ...	١٥	٤٧٠	قتل موسى للقيبطي ...
		الله تعالى : هو الرازق بلا سبب ،	١٥	٤٧٠	الشیطان : محجوب عن الأنبياء ،
٦٠	٤٨٩	المعطى بلا طلب ...	١٥	٤٧٠	ممنوع من اغوائهم ، والوسوسة إليهم
٦٩	٤٩٠	من عمل بما علم : وهبه الله علم ما لم يعلم	٢٤	٤٧١	مقابلة موسى لابنتي شعيب عليه السلام
	٤٩١	(سورة الروم)			وسقيه لها ...
		الكفار : « يعلمون ظاهراً من	٢٤	٤٧١	حاجة موسى للطعام ، وتلطفه في الطلب
٧	٤٩١	الحياة الدنيا » ...	٢٥	٤٧١	من ربه ، وتأكده من استجابته
		« يخرج الحي من الميت ، ويخرج	٢٧	٤٧٢	تعالى له ...
١٩	٤٩٣	الميت من الحي » ...	٣٠	٤٧٢	مقابلة موسى لشعيب عليهما السلام ...
٢١	٤٩٣	وجوب التواد والتراحم بين الأزواج			الرجل الحكيم : يخطب لبناته ...
		اختلاف اللسان والألوان : من آياته			الشجرة التي نودي موسى من قبلها ...
٢٢	٤٩٣	تعالى ...			خاطب الله تعالى موسى بكلامه المقدس
٢٢	٤٩٤	استواء اللغات في وحدة المقصد ...			الذي لا يدركه سمع ولا يشابهه
		كل العلوم ، والمدارك ، والمضوعات :	٣٠	٤٧٢	صوت ...
		أدركها الإنسان بطريق الوحي	٦٨	٤٧٨	« وربك يخلق ما يشاء ويختار » ...
٢٢	٤٩٤	والإلهام والتوجيه الإلهي ...	٦٨	٤٧٨	كل المخلوقات : لدى الله تعالى سواء
		إعادة الخلق : « أهون على الله تعالى	٧٦	٤٧٩	فأرون وكنوزه ...
٢٧	٤٩٥	من يذنه » ...	٧٧	٤٧٩	الصدق بعد الكفاية ...
٣٣	٤٩٥	للتشرك مظاهر شتى ...	٧٨	٤٧٩	التي عن الاشتغال بالكيمياء :
					تحويل المعادن ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٤٩	٥١٥	الطلاق قبل الدخول ، وما يترتب عليه	٤٩٩		(سورة لقمان)
٥٢	٥١٦	تحريم الزواج على الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه	١٢	٤٩٩	من هو لقمان ؟
٥٣	٥١٧	أدق الأخلاق الإنسانية ، وأسمى الآداب الإجتماعية : في معاملة النساء الذين يصح للمرأة ألا تحتجب عليهم وجوب الاحتجاب عن نساء الكفار كالرجال تماماً	١٢	٤٩٩	لقمان لم يكن نبياً
٥٥	٥١٧	كرامة أن تصف المرأة المرأة للرجال وجوب كثرة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ خصوصاً عند ذكر اسمه الكريم !	١٢	٤٩٩	فكم لله من لطف خفي
٥٦	٥١٧	رأى الزنادقة في الصلاة عليه . صلى الله تعالى عليه وسلم	١٥	٥٠١	وجوب الاحسان إلى الوالدين الكافرين ، ومصاحبتهم معروفاً
٥٦	٥١٧	حرمة اختصارها في الكتابة « صلعم » أو « ص »	١٧	٥٠١	فرض الصلاة في سائر الشرائع المتقدمة الصبر على الشدائد والبلايا
٥٦	٥١٧	قول من قال : إنها تجب في العمر مرة ، وتسفيه رأيه	١٧	٥٠١	نعمه تعالى : الظاهرة والباطنة
٥٩	٥١٨	الأمر بالمحجبات	٢٠	٥٠٢	المрад بكلمات الله التي لا تنفذ
٧٢	٥١٩	الأمانة التي حملها الإنسان ؟ بعد أن أثبت السموات والأرض والجبال حملها	٢٧	٥٠٢	« وما تدرى نفس بأى أرض تموت »
	٥٢٠	(سورة سبأ)	٣٤	٥٠٣	الأمر المحسنة : التي اختص العليم الخبير بمقرقتها
١٠	٥٢١	إلانة الحديد لداود عليه السلام	٣٤	٥٠٤	(سورة السجدة)
١٤	٥٢٢	أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى		٥٠٤	الأمة العربية - قبل الرسالة المحمدية - كانت من أهل الفترة
٢١	٥٢٣	مخالفة النفس والشيطان	٣	٥٠٤	تناسب خلقه المخلوقات وحسنها
٢٤	٥٢٤	الأمر بالتلطف في مناقشة الكافرين ثواب الإنفاق	٧	٥٠٥	(سورة الأحزاب)
٣٩	٥٢٦	(سورة فاطر)		٥٠٧	توجيه الخطاب والعتاب للرسول عليه الصلاة والسلام ؟ والمراد به أمته « ما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه »
١	٥٢٨	الملائكة ، وخواصهم ، وبعض صفاتهم « يزيد في الخلق ما يشاء »	٤	٥٠٨	المظاهرة من النساء
١	٥٢٨	« أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً » العزة لله جميعاً	٤	٥٠٨	نصر المؤمنين بالربح ، والجنود من الملائكة
٨	٥٢٩	الكلم الطيب ، والعمل الصالح	٩	٥٠٩	تحخير الرسول عليه الصلاة والسلام لنسائه ؟ بين الدنيا والآخرة
١٠	٥٣٠	زيادة الأعمار وتقصانها	٢٨	٥١٢	قصة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ، وتخطب المفسرين فيها جواز زواج امرأة الدعي
١٠	٥٣٠		٣٧	٥١٤	الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع بين صفتي الشمس والقمر ؟ في النفع والإضاءة ، وبعث الحياة الحقيقية !
١١	٥٣٠		٤٦	٥١٥	

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		بطلان قول من قال ذلك ؛ بالدليل			اقتناع جميع المخلوقات إلى الله تعالى
٩٠	٥٤٧	العقل	١٥	٥٣١	« والله هو الغنى الحميد »
١٠٢	٥٤٨	قصة الذبيح	٢٨	٥٣٢	العلم : غاية الغايات
١٠٧	٥٤٨	إلى أى مدى يطيع الابن أباه	٢٨	٥٣٢	العلم : يجمع بين الحق والقوة
		«إلياس» النبي ؛ غير «إلياس» جد			رجال السياسة : غير جديرين
١٢٣	٥٤٩	النبي	٢٨	٥٣٢	بالانتساب إلى العلم
		قصة يونس عليه السلام ، وانتقام			مثل رجال السياسة في علمهم ؛ كإبليس
١٤٠	٥٥٠	الحوت له	٢٨	٥٣٢	في علمه
١٤٤	٥٥٠	دعوة يونس عليه السلام - المستجابة			التجارة مع الله تعالى : من أربع
		(سورة س)	٢٩	٥٣٣	التجارات
	٥٥٢				الإنسان : لا يمدو أن يكون واحداً
٢	٥٥٣	الأمم الغريبة : في شقاق دائم	٣٢	٥٣٣	من ثلاث
		جميع الأنبياء عليهم السلام : قامت			(سورة يس)
		ملهم على التوحيد ؛ الذى قامت	١	٥٣٥	معنى «يس»
٧	٥٥٣	عليه ملة محمد عليه الصلاة والسلام			العرب - قبل الرسالة - كانوا من
١٢	٥٥٣	لماذا سمي فرعون : بنى الأوتاد ؟	٦	٥٣٦	أهل الفترة
		قصة داود عليه السلام ، وإبطال	٣٨	٥٣٨	«والشمس تجري لمستقر لها»
		ما أورده المفسرون فيها من			في الكون شمس كثيرة تريد عن
٢٤	٥٥٥	فاحش القول			الأربعين مليوناً ؛ ومن هذه
		وجوب حد من يتحدث بقصة داود :			الشمس ما يزيد في الحجم عن شمسنا
٢٤	٥٥٥	حد القذف مضاعفاً	٣٨	٥٣٨	أربعين ضعفاً
		قصة سليمان عليه السلام ، وبطلان			لودنت الشمس قليلا من الأرض :
٣٣	٥٥٦	ماورد : من حكاية قتله للغيل	٣٨	٥٣٩	لفارت المحيطات ، وتبخر ماؤها
		قصة ولد سليمان ، الذى ألقى على	٤٧	٥٤٠	«أنظعم من لو يشاء الله أطعمه»
٣٤	٥٥٦	كرسيه	٤٧	٥٤٠	تلاعب الناس بالألفاظ ومعانيها
٣٧	٥٥٦	تسخير الريح والشياطين لسليمان	٥٣	٥٤٠	صيحة لإسرافيل بالبعث
٤١	٥٥٧	أيوب عليه السلام			(سورة الصافات)
٤٤	٥٥٧	عدم جواز التحايل في الأيمان			تأويل الصافات ، والزاجرات ،
		لا سلطان لإبليس على المحاصن من	٣	٥٤٣	والتاليات
٨٣	٥٥٩	عباده تعالى	٩	٥٤٣	قذف الشياطين بالشهب
		(سورة الزمر)			وصف حجر الجنة
	٥٦٠		٤٦	٥٤٥	أبناء نوح عليه السلام وذرائعهم
٣	٥٦٠	الدين الخالص	٧٧	٥٤٧	علم النجوم
٧	٥٦١	«ولا يرضى لعباده الكفر»	٩٠	٥٤٧	علاقة الإنسان بالكواكب وسعودها
٢٣	٥٦٣	«كتابا متشابها مثاني»			ونحوها
٢٩	٥٦٤	مثل الكافر والمؤمن	٩٠	٥٤٧	

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
		الإحسان إلى المسيء ، والكظم عند	٤٢	٥٦٦	النوم : هو الموت الأصفر ...
٣٤	٥٨٦	الغضب ، والنفو عند المقدرة ...			بحث الإنسان عن النوم ، وخوفه
٣٥	٥٨٧	بحسن الصبر	٤٢	٥٦٦	من الموت
		الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان ؟	٤٢	٥٦٦	من عمل صالحاً : فليمت آمناً مستريحاً
٢٦	٥٨٧	عند بواذر شره وتزغبه	٤٧	٥٦٧	أهل الرياء
		القرآن الكريم : شفاء للصدور	٦٧	٥٦٩	«وماقدروا الله حق قدره»
٤٤	٥٨٨	والأجسام ، ونور للعيون	٧٥	٥٧٠	القضاء بين الخلائق جميعاً : حتى الملائكة
٥٣	٥٨٩	«سندبرهم آياتنا في الآفاق»		٥٧١	(سورة غافر)
	٥٩٠	(سورة الشورى)			قول من قال : إن فواتح السور ؟ من
٥	٥٩٠	استغفار الملائكة لن في الأرض	١	٥٧١	أسماء الله تعالى
٢٣	٥٩٤	مودعة القرني	١١	٥٧٢	دليل الإحياء في القبر
٢٥	٥٩٤	حقيقة التوبة			استراق النظر إلى مالا يحل ، وما يخفى
		«ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا	١٩	٥٧٣	الصدور
٢٧	٥٩٤	في الأرض»	٣٢	٥٧٥	لم سمي يوم القيامة : «يوم التناد» ؟
		كل شيء يسرى هذا الكون بإرادته			إضلال الله تعالى للعبد : لا يكون
٣٣	٥٩٥	تعالى وكلامه	٣٤	٥٧٥	إلا نتيجة لإصراره على الكفر
٣٧	٥٩٥	الفواخش	٤٦	٥٧٧	عذاب القبر
٣٧	٥٩٥	التجاوز والتسامح	٥٥	٥٧٨	أفضل التسييح
٣٨	٥٩٦	النظام الشورى ، والنظام الاستبدادي	٦٠	٥٧٩	«وقال ربكم ادعوني أستجب لكم»
٣٩	٥٩٦	الانتقام من الظالم	٦٠	٥٧٩	وجوب الوثوق بما عند الله
٤٠	٥٩٦	«وجزاء سيئة سيئة مثلها»	٧٥	٥٨٠	الفرح الممنوم
		حضر الله تعالى على الغفو ، ونهى عن	٨٠	٥٨١	تسخير الحيوان والجناد للإنسان
٤٠	٥٩٦	الذل والجبن		٥٨٢	(سورة فصلت)
٥١	٥٩٧	أنواع الوحي	٧	٥٨٣	كفر مانع الزكاة
		القرآن : حياة القلوب ، وروح	١٢	٥٨٣	حفظ السماء بالكواكب
٥٢	٥٩٨	الأرواح !	١٦	٥٨٤	نفس الأيام وشؤونها : بسبب المصيان
		تزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام			هداية الله تعالى : بإرسال الرسل ،
٥٢	٥٩٨	عن النقائص ؛ منذ ولدوا	١٧	٥٨٤	وخلق العقول
٥٢	٥٩٨	عهد عليه السلام : أعلا الأنبياء رتبة	٢٠	٥٨٥	شهادة أعضاء الإنسان عليه يوم القيامة
	٥٩٨	(سورة الزخرف)	٢٠	٥٨٥	مامضى شهادة الجلود ؟
		هدى الله تعالى العباد : بخلق العقول	٢٤	٥٨٥	العتاب : لا يكون إلا مع الأحباب ...
٢٠	٦٠٠	فيهم ، وإرسال الرسل إليهم	٣٩	٥٨٦	شياطين الانس والجن
		مقياس العظمة : سمو الروح والنفس ؟	٣٠	٥٨٦	استبشار الصالح عند موته
٣١	٦٠١	لا المال والجاه	٣٤	٥٨٦	«ادفع بالتي هي أحسن»

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٣١	٦٢١	حساب الجن ، وآلهم يوم القيامة ... بطلان قول من قال : إن جزاءهم كجزاء البهائم	٣٢	٦٠١	المبادئ الهدامة امتحن الله تعالى الناس بضروب من الفنى والفقر ، والسعة والضيق ليس فساد المسلمين عيباً في الإسلام ... التفرقة العنصرية - بسبب اللون - في بعض الدول الراقية « المنحطة » دين الله تعالى : يدعو إلى البر والرحمة ! الفقر : لا يحول دون تولى المناصب الفنى الشاكر ، والفقر الصابر ... شيوخ المال واشترأ كيته الإسلام : مؤسس الاشتراكية الصحيحة ، والشيعوية السليمة ... انقسام الدول الأجنبية إلى معسكرين أساس النظام الإلهى حقارة الدنيا عند الله تعالى جزاء من يغفل عن ذكر الله تعالى
٣١	٦٢١	...	٣٢	٦٠٢	...
	٦٢٢	(سورة محمد عليه الصلاة والسلام) المؤمن : يكفر الله تعالى سيئاته ، ويصلح بآله	٣٢	٦٠٢	...
٢	٦٢٢	...	٣٢	٦٠٢	...
٤	٦٢٢	الأمر بقتل الكفار قبل أسرهم ... « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »	٣٢	٦٠٣	...
٧	٦٢٣	...	٣٢	٦٠٣	...
١٥	٦٢٤	وصف الجنة ، وما فيها من نعيم مقيم عدم نسخ قتال الكفار إلى يوم القيامة	٣٢	٦٠٤	...
٢٠	٦٢٥	...	٣٢	٦٠٤	...
	٦٢٧	(سورة الفتح) عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الذنوب : بعد النبوة ، وطهارة قبلها	٣٢	٦٠٤	...
٢	٦٢٧	...	٣٦	٦٠٥	...
١٠	٦٢٩	« يد الله فوق أيديهم »	٦٠٨		(سورة الدخان)
١٠	٦٢٩	بطلان مذهب المحسمة	٣	٦٠٨	...
١٠	٦٢٩	كفر من يقول بالتجسيم ليس على المريض حرج في التخلف عن الجهاد	١٠	٦٠٨	...
١٧	٦٣٠	...	٣٢	٦٠٩	...
١٨	٦٣٠	بيعة الحديبية	٣٢	٦٠٩	...
٢٧	٦٣٢	رؤيا الرسول عليه السلام بفتح مكة ...	٣٧	٦٠٩	...
٢٩	٦٣٢	نور الإيمان : يلوح في وجه المصلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : من أفضل العبادات ...	٥٤	٦١٠	...
٢٩	٦٣٢	...	٥٤	٦١٠	...
	٦٣٣	(سورة الحجرات) الحث على توقير العلماء تحريم رفع الصوت عند تلاوة القرآن ، أو الحديث ، أو عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام	٦١١		(سورة الجاثية)
٢	٦٣٣	...	٢٤	٦١٤	...
٣	٦٣٣	...	٣٥	٦١٥	...
١٠	٦٣٤	أخوة المؤمنين ، ووجوب الإصلاح بينهم	٦١٦		(سورة الأحقاف)
١١	٦٣٥	النهي عن السخرية ، واللمز ، والنبز	٢٩	٦٢١	...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢١	٦٤٣	حاسة الذوق	١٢	٦٣٥	الأمر باجتنب الظن
٢١	٦٤٣	حاسة البصر	١٢	٦٣٥	سوء الظن المباح
٢١	٦٤٣	حاسة السمع	١٢	٦٣٥	إذا قضى قاض بالظن : فهو ظالم آثم
٢٢	٦٤٣	« وفي السماء رزقكم وما توعدون »	١٢	٦٣٥	« الظن : أكذب الحديث »
٢٢	٦٤٣	الرزق : يسمى إلى الإنسان ، قبل	١٢	٦٣٥	التهى عن التجسس والغيبة
٥٥	٦٤٤	أن يسمى إليه	١٢	٦٣٥	حقيقة الغيبة
	٦٤٤	« وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »	١٢	٦٣٦	انتشار الغيبة الآن
	٦٤٥	(سورة الطور)	١٣	٦٣٦	« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ...
٤	٦٤٥	البيت المعمور		٦٣٦	(سورة ق)
	٦٤٨	(سورة النجم)	١٢	٦٣٧	« أصحاب الرس »
٧	٦٤٨	ظهور جبريل للرسول على صورته	١٩	٦٣٨	الميت : يرى عند موته مقعده من
	٦٤٨	الحقيقية	٣٦	٦٣٩	الجنة ، أو النار
١١	٦٤٨	رؤية محمد عليه الصلاة والسلام :		٦٤٠	الباحثون من إطالة الأعمار
	٦٤٨	كانت لجبريل ؛ لا لربه تعالى !		٦٤٠	(سورة الذاريات)
١٣	٦٤٩	« من قال : إن محمداً رأى ربه ؛ فقد	٢١	٦٤١	« وفي أنفسكم أفلا تبصرون »
١٤	٦٤٩	أعظم الفرية »	٢١	٦٤١	آيات الله تعالى في الأرض
٣٢	٦٥٠	سدرة المنتهى	٢١	٦٤١	آيات الله تعالى في الأنفس
٣٢	٦٥٠	« كباثر الإنم والفواحش »	٢١	٦٤١	كيف يتكون الجنين
٣٧	٦٥٠	اللهم			الاتحاد الذي يتم بين جرثومة الذكر
٣٧	٦٥٠	« وإبراهيم الذي وفى »	٢١	٦٤١	وبويضة الأنثى
٣٩	٦٥٠	« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ...	٢١	٦٤١	تكوين الخلايا وانقسامها
٣٩	٦٥٠	« وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من			مجموع الخلايا التي يتكون منها الإنسان
٤٣	٦٥٠	ثلاث »			الواحد : يزيد عن مجموع سكان
٤٣	٦٥٠	« وأنه هو أضحك وأبكى »	٢١	٦٤١	الكرة الأرضية أكثر من
٤٣	٦٥٠	الله جل شأنه : خالق الضحك			ألف مرة
٤٨	٦٥١	والبكاء بلا سبب	٢١	٦٤١	خلايا الجهاز العصبي
٥٦	٦٥١	« وأنه هو أغنى وأقنى »			لإرسال رسائل الحواس والأعضاء
	٦٥١	« هذا نذير من النذر الأولى » ...	٢١	٦٤١	إلى المخ ، وتصرف المخ فيها ...
	٦٥٢	(سورة القمر)	٢١	٦٤٢	علاقة الحواس بالمخ
	٦٥٢	انشقاق القمر للرسول عليه الصلاة	٢١	٦٤٢	اختزان العلوم والمعارف بالمخ ...
١	٦٥٢	والسلام	٢١	٦٤٢	الخيوط العصبية في المخ : تتجاوز
١٥	٦٥٣	البحث عن سفينة نوح عليه السلام	٢١	٦٤٢	عشرة آلاف مليون
٤٩	٦٥٥	« لما كل شيء خلقناه بقدر »	٢١	٦٤٢	حاسة اللمس
			٢١	٦٤٢	حاسة الشم

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
	٦٦٥	(سورة الحديد)	٤٩	٦٥٥	بطلان قول من قال بالجبر ...
		«هو الأول والآخر والظاهر			إن الله لا يهدي الكافرين؛ بل يهدي
٣	٦٦٥	والباطن» ...	٤٩	٦٥٥	المقين ...
٧	٦٦٦	«وأفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»			إذا قلنا بالجبر؛ فعلام أرسلت الرسل،
١٢	٦٦٦	إضاءة وجوه المؤمنين يوم القيامة			وأترلت الكتب؟ ولماذا تقتص
١٩	٦٦٨	التصديق لا يكون باللسان وحده ...	٤٩	٦٥٥	من الجاني؟ ...
٢٠	٦٦٨	تشبيه سرعة انقضاء الدنيا وزوالها		٦٥٦	(سورة الرحمن)
٢٣	٦٦٩	التوسط في الحزن والفرح ...			القرآن : هو النعمة العظمى ، والمنة
٢٥	٦٦٩	الميزات ...	٢	٦٥٦	الكبرى ...
٢٥	٦٦٩	أمة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام			أفضل الأعمال المقربة إلى الله تعالى :
	٦٧١	(سورة المجادلة)	٢	٦٥٦	تعلم القرآن وتعليمه ...
		قصة خولة بنت ثعلبة التي طاهر منها	١٧	٦٥٧	«رب المشرقين ، ورب المغربين» ...
١	٦٧١	زوجها ...			وصف المحور العين ، وبطلان ماورد
٣	٦٧١	كفارة الظهار ...	٥٨	٦٥٩	في وصفهن ...
٩	٦٧٢	التقوى ...		٦٦٠	(سورة الواقعة)
١٠	٦٧٢	«إنما النجوى من الشيطان» ...			عظمة أهل الجنة ...
١١	٦٧٣	وجوب التفسح في المجالس ...	١٦	٦٦١	بطلان قول من قال : إن الغلمان
		وجوب التمسك بالأدب الرباني ،			في الجنة للختمه ولغيرها ...
١١	٦٧٣	والخلق القرآني ...	١٧	٦٦١	المنى وحده : ليس سبباً في الإنجاب
١١	٦٧٣	«والذين أوتوا العلم درجات» ...	٥٩	٦٦٣	القول بأن الإنسان قد يخلق بعد
٢٢	٦٧٤	نفي الإيمان عمن يوالى الكفار ...			موته ؛ خلقاً أدناً ، أو أعلى من
٢٢	٦٧٤	الإيمان : روح القلوب وحياتها ...	٦١	٦٦٣	خلقته الأولى . وبطلان ذلك القول
		أرقى المراتب : «رضى الله عنهم	٧٣	٦٦٣	أنعم الله تعالى على عباده ...
٢٢	٦٧٥	ورضوا عنه» ...	٧٩	٦٦٤	المطهرون : هم الملائكة ...
	٦٧٥	(سورة الحشر)			بطلان قول من قال بتحريم مس
٢	٦٧٥	أول حشر لليهود ...			المصحف : لتفسير المسلم ، وغير
		الحشر الثاني : خروجهم من فلسطين	٧٩	٦٦٤	التوضي ...
٢	٦٧٥	إن شاء الله تعالى ...			القرآن : لا يساويه قول ؛ مهما
٢	٦٧٥	إخراج بني النضير من ديارهم ...	٨٠	٦٦٤	علا وسما ...
٧	٦٧٦	«كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم»			القرآن : لا يعمل ؛ بل كلما زده
٩	٦٧٧	حب الأنصار للمهاجرين ...	٨٠	٦٦٤	تلاوة : لإزداد حلاوة ...
		نزول بعض الأنصار عن زوجاتهم			طرب الإنسان ، لاستماع القرآن ؛
٩	٦٧٧	لبعض المهاجرين ...	٨٠	٦٦٤	ولو لم يفهم معناه ! ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٣	٦٩٠	خلق الإنسان في أحسن صورة ...	٩	٦٧٧	«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» ...
٩	٦٩٠	«يوم الثنابن» ...	٩	٦٧٧	حقيقة الزهد ...
١١	٦٩١	«ومن يؤمن بالله يهد قلبه» ...	٩	٦٧٧	التسبيح ...
١٤	٦٩١	عداوة الأزواج والأبناء ...	٩	٦٧٧	جن اليهود والمنافقين «لأنهم أعد
١٤	٦٩١	حقيقة هذه العداوة ...	١٣	٦٧٨	رهبة في صدورهم من الله» ...
١٤	٦٩١	عداوة بعض شرار الأبناء والزوجات			(سورة المتحنة)
		خلق الله تعالى الأزواج : للسكن ؟	٦٨٠	٦٨٠	التهي عن اتخاذ الكفار أولياء ...
١٤	٦٩٢	للاضغن ...	١	٦٨٠	وجوب حسن المعاملة ، وطيب
١٤	٦٩٢	الولد : حبة مبخلة ...	٨	٦٨١	المعاملة ؛ مع سائر الأجانب ...
١٥	٦٩٣	«إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ...	٨	٦٨١	وجوب مقابلة من يعتدى على الدين،
١٦	٦٩٣	«وأنفقوا خيراً لأنفسكم» ...	١٠	٦٨٢	أو الوطن ...
١٦	٦٩٣	الشح ، والخل ...	١٢	٦٨٢	الأمر بطلاق المرتدة ...
١٧	٦٩٣	واهب الفتي : يقترض من عبده ...	١٢	٦٨٢	الشرك الحفي ...
	٦٩٣	(سورة الطلاق)	١٢	٦٨٢	الراضي بالقتل : شريك في الإثم ...
		المطلقة : لا تخرج من بيتها قبل عدتها		٦٨٣	(سورة الصف)
١	٦٩٤	إلا إذا زنت ...	٢	٦٨٣	الأمر بالمعروف ، وعدم الاتجار به ...
٢	٦٩٤	وجوب الإتهاد عند المراجعة ...	٥	٦٨٣	«فلما زاعغوا أزاع الله قلوبهم» ...
		وقوع الطلاق : بمجرد إرادة الزوج	٦	٦٨٤	تيسير عيسى عليه السلام بمحمد صلى
٢	٦٩٤	ونطقه ...	٦	٦٨٤	الله تعالى عليه وسلم ...
		الشبهة : يقولون بعدم وقوع الطلاق	١٠	٦٨٤	من أسماء الرسول صلوات الله تعالى
٢	٦٩٤	بدون إتهاد ...	١٠	٦٨٤	وسلامه عليه ...
٢	٩٩٤	تقييد الطلاق : أمر لا يسهل الدين ...			التجارة الراجعة ...
٢	٦٩٤	«ومن يثق الله يجعل له مخرجاً» ...		٦٨٥	(سورة الجمعة)
		وجوب الاتجار بالمعروف ، في شأن	٢	٦٨٥	رسول الأمين ...
٦	٦٩٥	النساء ...	٣	٦٨٦	المعلم الأول عليه الصلاة والسلام ...
٦	٦٩٥	وجوب التساهل في أجرة الرضاع ...			«قل ما عند الله خير من اللهب ومن
٧	٦٩٥	«سيجعل الله بعد عسر يسراً» ...	١١	٦٨٧	التجارة» ...
	٦٩٦	(سورة التحريم)		٦٨٧	(سورة المنافقون)
١	٦٩٦	غيرة بعض أمهات المؤمنين ...			«لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن
١٠	٦٩٦	قصة المغافير ...	٩	٦٨٩	ذكر الله» ...
٥	٦٩٦	تهديده تعالى لأمهات المؤمنين ...		٦٨٩	(سورة الثنابن)
٦	٦٩٧	الوقاية من النار ...			بطلان قول من قال بأن الكفر
٨	٦٩٧	التوبة النصوح ...			والإيمان ما على طريق الإلزام
١٠	٦٩٧	خيانة زوجتنا نوح ولوط لهما ...	٢	٦٩٠	والإلزام ...

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
	٧٠٨	(سورة المارج)			مريم عليها السلام ، ونفخ الروح في فرجها
	٧٠٨	« في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »	١٢	٦٩٧	(سورة الملك)
٤	٧٠٨	تحرّم جمع المال ، وعدم إلقائه	١	٦٩٨	« تبارك الذى بيده الملك »
١٨	٧٠٩	المداومة على الصلاة	٣	٦٩٨	« ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت »
٣٣	٧٠٩	« لأن عذاب ربهم غير مأمون »	٥	٦٩٨	رجم الشياطين بالصهب
٢٨	٧٠٩	أداء الشهادة على وجهها	١٩	٧٠٠	لمسك الرحمن للطير فى الهواء
٣٣	٧٠٩	المشارك والمغارب	٢٢	٧٠٠	مثل المؤمن والكافر
٤٠	٧١٠	(سورة نوح)		٧٠١	(سورة القلم)
	٧١٠	نوح : أبوالبشر الثانى			بطلان ما قيل من أن « ت » اسم للحوث الذى يحمل الثور ، الذى يحمل الأرض
١	٧١٠	بعض الأصنام التى كانوا يعبدونها فى الجاهلية	١	٧٠١	إعلان شأن الكتاتين ، ومخاربة الأمية القلم : يقيم الدول ، ويترزل الممالك « وولك لمل خلق عظيم »
٢٣	٧١٢	دعاء نوح عليه السلام على قومه	١	٧٠١	خلق الرسول عليه الصلاة والسلام مدح كتاب الغرب لرسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام :
٢٦	٧١٢	(سورة الجن)	١	٧٠١	برناردشو : فيلسوف انكلترا
	٧١٣	استماع الجن للقرآن ، وقولهم فيه	٤	٧٠١	لامرئين : شاعر فرنسا
٢	٧١٣	عدم جواز الاستعاذة بغير الله تعالى مايقوله المؤمن إذا نزل بأرض تسكنها الجن	٤	٧٠١	ميور : كاتب انكلترا
٦	٧١٣	الجن : منهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون	٤	٧٠٢	ادوار جييسون : كاتب روسيا
١٤	٧١٤	إطلاع بعض الرسل عليهم السلام على الغيب	٤	٧٠٢	توماس كارليل : فيلسوف انكلترا
٢٧	٧١٥	(سورة المزمل)	٤	٧٠٢	لايستطيع أحد من البشر أن يصف محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم
	٧١٦	تدليل الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام	٤	٧٠٣	الزئيم : ابن الزنا
١	٧١٦	ترتيل القرآن الكريم	١٣	٧٠٣	جزاء البخل ، ومنع الزكاة والصدقات
٤	٧١٦	ليس الترتيل مايزعمه القراء	٣١	٧٠٤	مصير الشيخ ومانع الزكاة
٤	٧١٦	مبالغة القراء فى الفن ، والمدة ، وغير ذلك	٤٢	٧٠٥	« يوم يكشف عن ساق »
٤	٧١٦	التبثيل لى الله تعالى	٤٢	٧٠٥	بطلان قول من قال : إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة
٨	٧١٦	قيام الليل		٧٠٥	(سورة الحاقة)
٢٠	٧١٧	إسقاط فرض قيام الليل	٧	٧٠٦	الحسوم
٢٠	٧١٧	ولذا حلت العناية قلباً نشطت للمباداة الأعضاء	١٧	٧٠٦	حمة العرش
٢٠	٧١٧		٢٩	٧٠٦	أسف الكافر يوم القيامة

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
	٧٣٠	(سورة النازعات)	٢٠	٧١٨	الحث على الخير
١	٧٣٠	«النازعات» الملائكة	٢٠	٧١٨	عاقبة البخل
٢٥	٧٣١	«فأخذ الله نكال الآخرة والأولى» الدليل على كربة الأرض : خلقها كالدحية «البيضة»		٧١٨	(سورة المدثر)
٣٠	٧٣٢	(سورة عبس)	١	٧١٨	لقاء جبريل - لأول مرة - مع الرسول عليهما الصلاة والسلام
	٧٣٣	انصراف الرسول عليه السلام عن ابن أم مكتوم «الأعمى»	٤	٧١٨	«وثيا بك فطهر» ما المقصود بالتطهير؟
٢	٧٣٣	«لم» و «لما»	٦	٧١٨	الاعطاء ؛ بقصد الاستكثار
٢٣	٧٣٤	«فليظفر الإنسان إلى طاممه»	٣٢	٧٢٠	«كلا والقمر» ما يحدثه القمر في المكائنت
٢٤	٧٣٤	وجوب التأمل فيما تنبته الأرض	٣٨	٧٢٠	«كل نفس بما كسبت رهينة»
٢٤	٧٣٤	انشغال كل إنسان بنفسه يوم القيامة ، وانصرافه عن غيره	٥٠	٧٢٠	تشبيه الكفرة بالجرم المستنفرة
٣٧	٧٣٤	(سورة التكاثر)		٧٢١	(سورة القيامة)
	٧٣٥	أحداث القيامة	٢	٧٢١	النفس اللوامة
١	٧٣٥	وأد البنات في الجاهلية	٤	٧٢١	تحقيق الشخصية في القرآن الكريم
٨	٧٣٥	وأد عمر رضى الله تعالى عنه ابنته قبل لإسلامه	٤	٧٢١	دقة صنع البنان
٨	٧٣٥	غلظة الجاهلية ، ورقة الإسلام	١٣	٧٢٢	يعذب الإنسان وينعم : بعمل غيره إذا سار على سنته
٨	٧٣٥	تفضيل الملائكة على البشر	٢٣	٧٢٢	رؤية الله تعالى يوم القيامة
٢٢	٧٣٦	الإيمان والاستقامة في وسع كل إنسان		٧٢٣	(سورة الإنسان)
٢٨	٧٣٦	(سورة الانقطار)	١	٧٢٣	«هل» بمعنى : قد ، ويل ، وأم
	٧٣٧	اضطراب كل شيء عند القيامة	٣	٧٢٣	«إنا هدينه السبيل : إما شاكراً ، ولما كفوراً»
٥	٧٣٧	تلاعب بعض الناس بالتأويل	٥	٧٢٤	جزاء الأبرار
٨	٧٣٧	(سورة المطففين)	٥	٧٢٤	كافور الجنة
	٧٣٨	التطفيف في الكيل والوزن	٢١	٧٢٥	تحلى أهل الجنة بالفضة والذهب
٣	٧٣٨	عقوبة التطفيف عند قدماء المصريين	٢٨	٧٢٥	«نحن خلقناهم وشددنا أسرهم»
٣	٧٣٨	(سورة الانشقاق)	٣٠	٧٢٥	«وما تشاءون إلا أن يشاء الله»
	٧٤٠	سكون الليل ، وجمعه لما انتشر بالتهار العودة بعد الموت إلى حياة مطابقة لهذه الحياة		٧٢٥	لا يشاء الله تعالى الخير ؛ إلا لمن طلبه وسعى إليه
١٧	٧٤١	السجود : الخضوع	٣٠	٧٢٥	(سورة المرسلات)
١٩	٧٤١	(سورة البروج)	١	٧٢٦	«المرسلات» : طوائف الملائكة
٢١	٧٤١	«وشاهد ومشهود»		٧٢٨	(سورة النبأ)
٣	٧٤٢	المصبرات	١٤	٧٢٩	المصبرات
		الاقتصاص من البهائم	٤٠	٧٣٠	الاقتصاص من البهائم

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
	٧٥٢	(سورة الليل)	٤	٧٤٢	أصحاب الأخدود... ..
		اختلاف الأنوة والله كورة ؛ مع أن			الروح المحفوظ : يعترى ما فيه التبديل
٣	٧٥٢	أصلها واحد... ..	٢٢	٧٤٣	والتغير... ..
٣	٧٥٢	بطلان قول الطبيعيين... ..			القرآن الكريم : بعض ما تناوله
٣	٧٥٢	لا يمكن إطلافا التحكم في الجنين... ..	٢٢	٧٤٣	المحو والإثبات... ..
١٨	٧٥٣	فائدة التطهر من دنس البخل... ..			من وصل رحمه : اتسع رزقه ، وطال
	٧٥٣	(سورة الضحى)	٢٢	٧٤٣	أجله... ..
٥	٧٥٣	«ولسوف يبطيك ربك فترضى»... ..			أم الكتاب : لا يعترى تبديل ،
		عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام	٢٢	٧٤٣	ولا تغير... ..
		- قبل النبوة - من الضلال ،		٧٤٣	(سورة الطارق)
٧	٧٥٣	والوثنية ، واليهودية ، والنصرانية	٤	٧٤٤	«إن كل نفس لما عليها حافظ»... ..
		من هو السائل الذى نهانا الله تعالى	٧	٧٤٤	«يخرج من بين الصلب والترائب»... ..
١٠	٧٥٤	عن نهره... ..		٧٤٤	(سورة الأعلى)
		وجوب بذل العلم والمال ؛ لمن	٣	٧٤٥	تقدير خواص الأشياء ومزاياها... ..
١٠	٧٥٤	يطلبها... ..	٣	٧٤٥	هداية الإنسان للارتفاع بما فى الأرض
١١	٧٥٤	وجوب التحدث بنعمة الله... ..		٧٤٦	(سورة الفاشية)
	٧٥٤	(سورة الشرح)	١٧	٧٤٦	التأمل فى خلقه الإبل ، ودقة صنعها
	٧٥٥	(سورة التين)		٧٤٧	(سورة الفجر)
٢	٧٥٥	الجليل الذى كلم الله تعالى عليه موسى			«إرم ذات العماد» وبطلان ما قاله
٣	٧٥٥	البلد الأمين... ..	٧	٧٤٨	المفسرون فيها... ..
٣	٧٥٥	تاريخ العالم ؛ منذ نشأته :... ..	١٠	٧٤٨	ذكر نوح ، وفرعون ، وطفياهما... ..
٣	٧٥٥	من آدم إلى نوح... ..			الإكرام ، والابتلاء : امتحان من
٣	٧٥٥	من الطوفان إلى بعثة موسى... ..	١٦	٧٤٨	الله تعالى... ..
٣	٧٥٥	من بعثة موسى إلى سيد الخلق... ..	٢٠	٧٤٩	التهى عن حب المال ، والحرص عليه
٣	٧٥٥	المنافع الطبية للتين والزيتون... ..	٢٧	٧٤٩	النفس المطمئنة وجزاؤها... ..
٤	٧٥٥	خلق الإنسان فى أحسن تقويم... ..		٧٤٩	(سورة البلد)
	٧٥٦	(سورة العلق)			«لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل
١	٧٥٦	بدء الوحى... ..	٢	٧٤٩	بهذا البلد»... ..
		أول لقاء لجبريل مع النبي عليهما			إباحة القتل ، والأسر ، والتعذيب ،
١	٧٥٦	الصلاة والسلام... ..	٢	٧٤٩	والعزو ؛ للرسول صلوات الله عليه
٢	٧٥٦	خلق الإنسان من علق... ..			آلام الحياة وهمومها ؛ لدى الفنى
٤	٧٥٦	فضل الكتابة... ..	٤	٧٥٠	والفقر على السواء... ..
٥	٧٥٦	تعليم الله تعالى للإنسان ، وإلهامه له		٧٥١	(سورة الشمس)
١٨	٧٥٧	ملائكة العذاب «الزانية»... ..	٧	٧٥١	«وقس وما سواها»... ..
	٧٥٨	(سورة القدر)	٨	٧٥١	«فألهما فجورها وتقواها»... ..

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
	٧٦٤	(سورة الكوثر)	١	٧٥٨	ليلة القدر
	٧٦٤	(سورة الكافرون)		٧٥٨	(سورة البينة)
		الاختلاف في العبادة والعبود ؛ بين		٧٥٩	(سورة الزلزلة)
٣	٧٦٤	المسلمين والكافرين			ما يقوله الكافر ، وما يقوله المؤمن ؛
	٧٦٤	(سورة النصر)	٣	٧٥٩	عند البعث
		تسبيح الرسول - عليه الصلاة		٧٥٩	(سورة الماديات)
٣	٧٦٤	والسلام - واستغفاره	٣	٧٥٩	الماديات ، والموريات ، والمغريات ...
	٧٦٥	(سورة المسد)			الحث على تعلم القروسية ، وركوب
٤	٧٦٥	النميعة	٥	٧٥٩	الحيل، وأخذ الأهبة للحرب والجهاد
	٧٦٥	(سورة الإخلاص)		٧٦٠	(سورة القارعة)
		الله جل شأنه: يفتقر إليه كل مخلوق،	٣	٧٦٠	أحوال القيامة
١	٧٦٥	ولا يفتقر إلى أحد		٧٦٠	(سورة التكاثر)
	٧٦٥	(سورة الفلق)	٢	٧٦٠	النهي عن التكاثر بالأموال والأولاد
٣	٧٦٦	ما هو الفاسق؟		٧٦١	(سورة العصر)
٤	٧٦٦	تشبيه النمامين بالهجرة			وجوب الانعاط بما مر في سالف
		بطلان ما رواه بعض المحدثين	١	٧٦١	المصور
		والمفسرين : من أت الرسول	١	٧٦١	ما هو «العصر»
		المصوم عليه الصلاة والسلام	٣	٧٦١	وجوب التواصي بالحق ، والصبر ...
٤	٧٦٦	قد سحر		٧٦١	(سورة الهمة)
		الحسد ، والسحر : لا يؤثران إلا على	١	٧٦١	ذم الغيبة
٥	٧٦٦	بعض النفوس الضعيفة القلقة	٨	٧٦١	إيصاد جهنم على الكافرين
	٧٦٧	(سورة الناس)		٧٦٢	(سورة الفيل)
٥	٧٦٧	الوسواس الخناس	١	٧٦٢	قصة أصحاب الفيل
٦	٧٦٧	شياطين الجن ، وشياطين الإنس	١	٧٦٢	قصة عبد المطلب مع أبرهة صاحب
		(المباحث التي تناولها الكتاب)			الفيل
		(تعدد الزوجات)	١	٧٦٢	ما جاء في الطير الأبايل ؛ وأنها
٣		حكمة تعدد الزوجات	٥	٧٦٣	ميكروب الأمراض
٣		إباحة التعدد : لإباحة مطلقة		٧٦٣	(سورة قريش)
		الإباحة في البلاد الأجنبية ، وفشو	٣	٧٦٣	التأليف بين قلوب الاعراب
٣		الفساد والسفاد		٧٦٣	(سورة الماعون)
٣		رأى «برناردشو» في التعدد		٧٦٣	ذم المراءاة
		التدهور الأدبي في الشرائع التي تحرم	٦	٧٦٣	وجوب بذل ما يستعان به
٣		التعدد	٦	٧٦٣	

الموضوع	الصفحة	الآية	الموضوع	الصفحة	الآية
ضياح حقوق النساء الشرعية والمدنية بسبب الزواج الغير الشرعى عند الأوربيين ٤	٤	٤	حكمة زواجه بالسيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ١٢	١٢	١٢
حماية الإسلام للمرأة من عدوان الرجل ٤	٤	٤	حكمة زواجه بالسيدة حفصة رضى الله تعالى عنها ١٢	١٢	١٢
المفاضلة بين التعدد في الإسلام ، وتحريمه في الشرائع الأخرى ... ٤	٤	٤	حكمة زواجه بالسيدة زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها : وقد تزوجها بوحى من الله تعالى للتشريع	١٢	١٢
ترك أبناء من زوجات متعددة: خبر من ترك أبناء من زوجة شرعية ، وأخرى غير شرعية ٤	٤	٤	حكمة زواجه بالسيدة زينب بنت خزيمة رضى الله تعالى عنها ... ١٣	١٣	١٣
دحض حجة من قال : إن الإسلام يدعو إلى التزوج بواحدة ... ٥	٥	٥	حكمة زواجه بالسيدة أم سلمة رضى الله تعالى عنها ١٣	١٣	١٣
الرد على من قال بهذا الرأى الفاسد رأى المرحوم وحيد الأيوبى ... ٦	٦	٦	حديث أم سلمة : فيما يقوله المسلم عند المصيبة ١٣	١٣	١٣
رأى المرحوم عبد العزيز (باشا) فهمى دليل التعدد من الكتاب والسنة ... ٧	٧	٧	حكمة زواجه بالسيدة أم حبيبة رضى الله تعالى عنها ١٣	١٣	١٣
التعدد : من أدق النظم الاجتماعية ، وأعلىها ، وأرقاها ، وأواها ... ٨	٨	٨	حكمة زواجه بالسيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله تعالى عنها ... ١٤	١٤	١٤
التلاعب بألفاظ القرآن الكريم ... ٩	٩	٩	حكمة زواجه بالسيدة صفية بنت حيي رضى الله تعالى عنها ١٤	١٤	١٤
معارضة الرسول عليه الصلوة والسلام في زواج على على فاطمة ، رضى الله تعالى عنهما ، وسبب ذلك ... ٩	٩	٩	فضل أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن في تبليغ الأحكام ، وإذاعة الحلال والحرام ... ١٥	١٥	١٥
التعدد : يجب أن يكون بقصد الاستعفاف ؛ لا الإسفاف ... ١٠	١٠	١٠	علاقات الرسول عليه الصلوة والسلام بزواجه ، ومروأته ، وسعة صدره	١٥	١٥
طعن المبشرين في تعدد زوجات الرسول عليه الصلوة والسلام ... ١٠	١٠	١٠	الضعف الاختيارى : أقوى من سائر القوى ١٦	١٦	١٦
لم يشجع محمد وآله من خبز الشعير ... ١١	١١	١١	لإبطال الأحاديث الواردة في شأن ميله صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء ... ١٦	١٦	١٦
سبب نزول آية التخيير: تخييره عليه الصلوة والسلام لنسائه بين شظف العيش ، أو الطلاق ١١	١١	١١	صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء ... ١٦	١٦	١٦
حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ١١	١١	١١	(مبحث الطلاق)	١٩	١٩
حكمة زواجه بالسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ١١	١١	١١	الشرائع التى أخذت بنظام منع الطلاق	١٩	١٩
حكمة زواجه بالسيدة سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها ١٢	١٢	١٢	الفراق الجسماني في هذه الشرائع ... ١٩	١٩	١٩
			النأديب - في الإسلام - بطريق الهجر في المضاجع ١٩	١٩	١٩

الآية	الصفحة	الموضوع	الآية	الصفحة	الموضوع
٢٧	...	الأمير بغض البصر ...	١٩	...	مراحل تأديب المرأة في الإسلام ...
٢٧	...	امتلاء الطرقات ، بالنساء الكاسيات	١٩	...	فساد التأديب بالفراق الجسماني وعواقبه
٢٧	...	العاريات ...	٢٠	...	انقلاب العلاقات الزوجية ، إلى
٢٧	...	لثم التبرج والسفور : يقع على الرجال	٢٠	...	علاقات حيوانية ...
٢٨	...	غض البصر : من أئرم اللوازم ...	٢٠	...	بعض المآسى الخلقية في الديانات
٢٨	...	حدود المؤمنات في إبداء الزينة ...	٢٠	...	الأخرى ...
٢٨	...	تشدد الصحابة - رضوان الله تعالى	٢١	...	الطلاق : هو الواحة التي يستظل بها
٢٨	...	عليهم - في الحجاب ...	٢١	...	الزوجين ...
٢٩	...	رأى ابن عباس - رضى الله تعالى	٢١	...	تقييد الطلاق بإذن الحاكم : خطأ
٢٩	...	عنها - في الحجاب ...	٢١	...	ديني واجتماعي ...
٢٩	...	رأى عائشة - رضى الله تعالى عنها -	٢١	...	حكمه الطلاق ...
٢٩	...	في ذلك ...	٢٢	...	الطلاق : علاج للطباع المتنافرة ...
٢٩	...	النساء المتبرجات : لا يدخلن الجنة ،	٢٢	...	حت عمر رضى الله تعالى عنه على
٢٩	...	ولا يجدن رجها ! ...	٢٢	...	عدم الطلاق : للرعاية والدم
٢٩	...	من قال بأن تأخر المسلمين : سبه	٢٢	...	وجوب ملاينة الزوجة وملاطفتها ،
٢٩	...	الحجاب ...	٢٢	...	وصبر الزوج على ما يكره منها ...
٢٩	...	الرد على من قال ذلك ...	٢٣	...	(مبحث تحديد النسل)
٣١	...	تحرر الزينين من قيود الأخلاق	٢٣	...	فساد القول بعدم كفاية المواد الغذائية
٣١	...	والفضيلة ...	٢٣	...	الطير : تقعدو خاصاً وتروح بطاناً
٣١	...	ضبط زوج لزوجته عارية مع أجنبي	٢٣	...	الله تعالى يقول «وبارك فيها وقدر
٣١	...	إباحة المحاكم الإنجليزية لهذا الفعل ...	٢٣	...	أقواتها» ...
٣٢	...	الفجور العلى في البلاد الأجنبية ...	٢٣	...	الدعوة إلى تحديد النسل : دعوة
٣٣	...	(مبحث التعطيل)	٢٣	...	للمحادية ...
٣٣	...	إنكار البعث ...	٢٤	...	القلة : ذلة . والكثرة : عزة ! ...
٣٣	...	لا يجوز عقلا : وجود مصنوع بغير	٢٤	...	«وما من ذابة في الأرض إلا على الله
٣٣	...	صانع ...	٢٤	...	رزقها» ...
٣٤	...	قصيدة الزهاوى في إنكار البعث ...	٢٤	...	الإنسان لا يملك رزق نفسه ، وقوت
٣٥	...	كفر الزهاوى ...	٢٤	...	يومه ! ...
٣٦	...	الرد على قصيدة الزهاوى ...	٢٥	...	نهى الرسول عليه الصلاة والسلام
٣٧	...	المؤمن : ينام في قبره مثل العروس ...	٢٥	...	عن العزل ...
٣٧	...	فساد رأى الطبيعيين ...	٢٧	...	(مبحث التبرج والسفور)
٣٩	...	خاتمة الكتاب ...	٢٧	...	أمر القرآن الكريم بالحجاب ...